المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة



من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عاما من تاريخ الأدب الفارسى

المجلد الثانى

الحرية - التجديد

تأليف: يحيى آرين بور

مراجعة وتقديم

السباعى محمد السباعى

ترجمة

إيمان محمد إبراهيم عرفة

أشرف محمد عبد الوهاب

1929



يحيى آرين بور من كبار المفكرين والمحققين والشعراء الإيرانيين، والذى اتخذ لنفسه كلمة "دانش" أى "العلم" شأنه فى ذلك شأن الشعراء الفرس. ولد فى مدينة تبريز الإيرانية عام ١٢٨٦ هـ.ش / ١٩٠٧ م، وتوفى عام ١٣٦٤ هـ.ش / ١٩٨٥ م.

والكتاب الذى بين أيدينا هو ترجمة للمجلد الثانى من كتاب " از صبا تا نيما، تاريخ ١٥٠ سال ادب فارسى: من صبا حتى نيما، مائة وخمسون عاماً من تاريخ الأدب الفارسى "، وقد تناول المجلد الأول تاريخ الأدب الفارسى خلال مرحلتى العودة واليقظة، أما هذا المجلد و الذى يحمل عنوانا فرعيا (الحرية ـ التجديد) فإنه ينقسم إلى قسمين؛ القسم الأول تحت عنوان "الحرية"، ويتناول تاريخ الأدب الفارسى خلال العصرين الدستورى الأول والدستورى الثانى، أما القسم الثانى فعنوانه "التجديد"، ويتناول تاريخ الأدب الفارسى حتى سقوط الأسرة القاجارية وتأسيس الأسرة البهلوية.

تصميم الغلاف: أحمد بلال

من صبا حتى نيما

(مائة وخمسون عاماً من تاريخ الأدب الفارسى)

(المجلد الثانى)

الحرية - التجديد

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1929
- من صبا حتى نيما: مائة وخمسون عاما من تاريخ الأدب الفارسى
(المجلد الثانى) الحرية- التجديد
- يحيى آرين بور
- إيمان محمد إبراهيم عرفة، وأشرف محمد عبد الوهاب
- السباعى محمد السباعى
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة كتاب:

ازصبا تا نيما

تأليف: يحيى آرين بور

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

من صبا حتى نيما

(مائة وخمسون عاماً من تاريخ الأدب الفارسى)

المجلد الثانى

الحرية - التجديد

تـأليـف: يحيـى آريـن پـور

تـرجمـة: إيمان محمد إبراهيم عرفـة

: أشرف محمـد عبـد الوهـاب

مراجعة وتقديم: السباعـى محـمد السباعـى

2012

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بور، يحيى آرين.
من صبا حتى نيما: مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي (المجلد الثانى) / تأليف: يحيى آرين بور، ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة، أشرف محمد عبد الوهاب، مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى.
ط١- القاهرة - المركز القومى للترجمة، ٢٠١٢
٨١٢ ص، ٢٤سم
١- الأدب الفارسى - تاريخ ونقد .
(أ) عرفة، إيمان محمد إبراهيم (مترجم).
(ب) عبد الوهاب، أشرف محمد (مترجم مشارك).
(جـ) السباعى، السباعى محمد (مراجع ومقدم).
(د) العنوان ٨٩١,٥٥٠٩

رقم الإيداع ٢٠١١ / ٧٤١٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N -978-977-704-597-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

تقديم

أشرف اليوم بتقديم ترجمة المجلد الثانى من كتاب " أز صبا تا نيما : من صبا حتى نيما " الذى يتناول مائة وخمسين عامًا من تاريخ الأدب الفارسى كما هو وارد فى عنوان هذا الكتاب الذى ألفه " يحيى آرين پور".

ألف " يحيى آرين پور " العديد من المؤلفات، من بينها "كتب أربعة" هى :

١- "كتاب شناسى إيران".

٢- "براى تاج : من أجل التاج "، وهو عبارة عن مسرحية تقع فى خمسة مشاهد.

٣- "أز صبا تا نيما : من صبا حتى نيما" ويقع فى مجلدين.

٤- "أز نيما تا روزگار ما" أى "من نيما حتى عصرنا".

أشرت فى مقدمة ترجمة المجلد الأول من هذا الكتاب " من صبا حتى نيما "الذى صدر عن المركز القومى للترجمة تحت رقم ١٣٤٠ بتاريخ ٢٠٠٩ م، إلى جوانب مهمة من حياة المؤلف وتكوينه الثقافى والفكرى والدينى فى مدينة تبريز فى كُتّاب القرية كما جرت العادة آنذاك، وفى مدرستها الابتدائية والمدرسة المتوسطة والثانوية، وتتلمذ على يد عدد من كبار رجالات الفكر والأدب، كان من أبرزهم المفكر البارز " أحمد كسروى "، وذكرت أنه تولى رئاسة تحرير مجلة أدبية فى تبريز، سمح فيها للشعراء والأدباء الناشئين والمشهورين وغير المشهورين بنشر إنتاجهم الشعرى والفكرى مما هيأ المناخ المناسب لدفع تيار التجديد والتحرر فى الأدب الفارسى.

لقد كتب الكثيرون عن مسيرة الأدب الإيرانى الحديث والمعاصر من خلال كتبهم ومقالاتهم. وألف المرحوم " يحيى آرين پور" كتابه " من صبا حتى نيما " فى ثلاثة مجلدات معتمدًا على مصادر قيِّمة وثرية - يكاد بعضها يكون نادرًا - ترجع إلى المرحلة الدستورية وما بعدها. فأصبح كتابه مصدرًا لغالبية مَنْ أرّخوا للأدب الإيرانى الحديث والمعاصر، وترجــع أهمية هذا الكتاب إلى أن هؤلاء المؤلفين لم يضيفوا جديدًا يُذْكَر لما كتبه " يحيى آرين پور".

شارك فى ترجمة المجلد الأول ثلاثة من الزملاء هم؛ الدكتورة إيمان محمد إبراهيم عرفة، والدكتور محمد السباعى محمد السباعى، والسيد. أشرف محمد عبد الوهاب، فكان لهم الدور الأكبر فى ظهور هذا المجلد، وأظهر لى ولمن قرأ هذه الترجمة أنهم يمثلون جماعة متميزة فى الترجمة من الفارسية إلى العربية، فلهم منى مرة أخرى كل الشكر والتقدير.

كان مقررًا أن يقوم هذا الفريق بإتمام ترجمة المجلد الثانى من هذا الكتاب الذى أقدم له اليوم، ولكن الترجمة اقتصرت على زميلين فقط هما الدكتورة إيمان محمد إبراهيم عرفة، والسيد. أشرف محمد عبد الوهاب نظرًا لقيام الدكتور محمد السباعى محمد بترجمة تكملة هذا الكتاب أو المجلد الثالث منه، أى الكتاب الرابع من مؤلفات المؤلف " يحيى آرين پور " المعروف بـــ "أز نيما تا روزگار ما" أى من نيما حتى عصرنا، والكتاب قيد الطباعة وسيصدر خلال فترة وجيزة بإذن اللـــه.

من هنا كان دور الزميلين الفاضلين الدكتورة إيمان محمد إبراهيم عرفة والسيد. أشرف محمد عبد الوهاب.

قام السيد أشرف بترجمة الصفحات من ص ١ حتى ص ١٩٦، ثم من ص ٣١٧ حتى ص ٥٤٠، نهاية الكتاب.

وقامت الدكتورة إيمان بترجمة الصفحات من ١٩٩ حتى ٣١٥، أى الباب الأول من القسم الرابع الذى يحمل عنوان التجديد.

وقد بذل الزميلان جهدًا كبيرًا فى ترجمة هذا المجلد الذى احتوى نصوصًا صعبة، فلهما منى كل التقدير.

وقد زادنى إتمام هذه الترجمة اطمئنانًا على قدرتهما على تحمل مشاق ترجمة النصوص الأدبية والمتون التى تحتاج المزيد من الصبر والمثابرة، فلهما منى كل الإعزاز والتقدير.

والله من وراء القصد.

السباعى محمد السباعى

٦/ ١٢ / ٢٠١٠ م

القسم الثالث

الحرية

لمحة تاريخية

على أعتاب الثورة : ترك ناصر الدين شاه الدولة التى تفشى فيها الفساد حتى النخاع وسقط كل جزء منها فى يد أحد الأجانب تحت مسمى الامتياز- لخليفته مظفرالدين شاه وحفنة من الرجال الجهلة والخونة، وخليفته هذا هو ذلك " الطفل المُسن، وتلميذ المدرسة غير المُنضبط لمدة اثنى عشر عامًا[١] " والذى كان يتشبث بعباءة سيد البحرينى عند سماعه صوت البرق والرعد.

ومظفر الدين شاه الذى كان قد نشأ فى محيط بلاط أبيه الفاسد لم يكن يتمتع بدهاء وحنكة أبيه فى الإدارة، ليس هذا فحسب بل كان أيضًا رجلاً ساذجًا،ضعيف الشخصية، متردِّدًا وكان يفتقر بشدة إلى المعلومات السياسية والتاريخية والتى هى من ضروريات الحكم والإدارة، وكانت هناك جماعة وضيعة وفاسدة هم كاتمو أسراره وأفراد حاشيته، وكان الصدر الأعظم أمين السلطان " الطاعون الذى ابتليت به الحكومة والشعب[2]" على حد قول اعتماد السلطنة، يتبع رأى الأجانب علنًا، وعلى هذا الأساس كانت المناصب والألقاب والقرارات والفرمانات تباع بالمزاد العلنى على يد بائعى الروبابيكيا الإيرانيين والأجانب[٣]، واستمر الظلم والإجحاف والتمرد فى كل مكان. وخلال فترة ملكه القصيرة أيضًا سلمت بقية موارد الدولة الحيوية للأجانب فى مقابل الحصول على القرض.

كانت إيران فى فجر الثورة الدستورية دولة زراعية آسيوية متخلفة تمامًا، وكان نظام الحكم القبلى والطائفى لا يزال مستمرًا بين العشائر البدوية، وكانت آثار الرق

---

(١) مجلة يادگار ، السنة الأولى ، العدد الأول .
(٢) اعتماد السلطنة ، خوابنامه .
(٣) ناظم الإسلام ، تاريخ بيدارى إيرانيان .

والعبودية مازالت موجودة بشكل كبير فى الولايات الجنوبية الشرقية مثل كرمان وبلوشستان.

أما الإدارة السياسية للدولة فتقوم على أساس الحكم المطلق لـ" ظل اللـه " للرعية ، وكان الشعب يئن فى قبضة قهر واستبداد الملك والوزير وتحت ضغط نواب الحكام والولاة، أمّا الأشخاص الذين كانوا يعتبرون أمراء مستقلين فى مناطقهم، فكانوا يتسلطون تمامًا على أرواح وأموال وأعراض الشعب طالما لم يُعزلوا من جانب الملك . وإذا تكبّر قائد أو أمير فى وقت من الأوقات على الحكومة المركزية فى أحد أركان الدولة، لم يكن يلقى اهتمامًا كبيرًا وكان يتم قمعه على الفور .

وكان رجال الدين أصحاب الضياع والعقارات يتدخلون فى أمور الشعب الدنيوية، بينما ساد أرجاء البلاد الفقر والفاقة والبؤس والعجز والصمت المطبق، كما أخذ الجفاف والقحط والجوع والوباء والطاعون وسائر الأمراض المعدية يحصد أرواح الآلاف. وكانت الضرائب والرسوم والعوائد والهدايا قد أثقلت كاهل الشعب، وبات القرويون والحرفيون الفقراء يسافرون الجماعة تلو الأخرى إلى روسيا وتركيا، وبصفة خاصة إلى باكو للعمل فى مناجم بترول القوقاز، وفى مثل هذه الأوضاع كان ولى العهد محمد على ميرزا يعيش فى تبريز ويشرف على إعداده وتربيته هناك، معلم روسى هو أحد أعضاء وزارة الخارجية الروسية يدعى شابشال، وأصبح من الواجب عليه أن يدفع ضريبة لهو وغفلة أبيه وجده .

كيف بدأت الثورة ؟ كانت دولة إيران الغافلة قد استيقظت من نومها الطويل، "كان لابد من وجود فحم حتى تشتعل النار"، حيث ارتفعت أسعار السكر فى طهران وكانت حدة الوزير عين الدولة قد زادت النار اشتعالاً، فقام علاء الدولة حاكم طهران والذى كان رجلاً جريئًا بناءً على أمر الوزير بربط سبعة عشر فردًا من التجار واثنين من السادات فى الفلكة، وضربهم على أرجلهم بتهمة رفع أسعار السكر. وذلك فى يوم الإثنين ١٤شوال١٣٢٤هـ ق، وهو ما أعطى حجة للمعارضة فاشتعل الصراع بين

الحكومة والشعب وانضم للمعارضين علاوة على التجار، مجموعة من المستنيرين وعلماء الدين وأهل المنابر، كل منهم لسبب خاص، فتزعموا الحركة وهبّوا للدعوة ونشر أسس الإدارة الجديدة فى المساجد وعلى المنابر وفى المكتبات والمزارات والأسواق، وكانت هذه الحادثة مقدمة وتمهيدًا للثورة .

وقد اشتعلت الثورة بسبب مظالم الملك ورجال البلاط وتبعية الملك القاجارى للبلاط الروسى، وكانت أهم مطالبها عزل عين الدولة والمسيو نوز البلجيكى وحاكم طهران وتأسيس " دار العدالة" وقد بدأت فى صورة إضراب عام .

صدور فرمان الحكومة الدستورية : توجه أفراد الشعب والعلماء فى ١٦شوال سنة ١٣٢٣هـــ ق، إلى مسجد الشيخ عبد العظيم (الهجرة الصغرى) وانتقلت الحركة إلى مشهد وكرمان وفارس والمناطق الأخرى، فوعد الملك بعزل عين الدولة وتأسيس دار العدالة وهدأت الأمور، ولكنه لم ينفذ وعده بل ضغط على المتظاهرين، فاتسع نطاق الثورة الشعبية نتيجة نقضه للعهد وتطور الأمر إلى صدام .

وفى العام التالى-فى٢٣جمادى الأول سنة ١٣٢٤هـــ ق- أغلقت الأسواق، وهاجر العلماء إلى قم (الهجرة الكبرى)، وبعد ثلاثة أيام وفى آخر الأمر تحصنت مجموعة من أهالى طهران فى السفارة الإنجليزية .

وعمّت الثورة أيضًا أرجاء تبريز وأصفهان وشيراز، فاستقال عين الدولة وحل محله ميرزانصرالـــله خان مشيرالدولة " بوجه بشوش وكلام مقبول "، فعاد العلماء إلى المدينة، واضطر الملك الذى ارتعدت فرائصه وأحس بالخطر بسبب الثورة الشعبية، لإصدار فرمان الدستور وتأسيس مجلس الشورى الوطنى المكون من الأعضاء المنتخبين من قبل الشعب .

والحقيقة أن مظفر الدين شاه مع كل هذا العجز وعدم الكفاءة، كان رجلاً نقى القلب وقليل الإيذاء، وكان هو نفسه يرغب فى الحكم الدستورى من أعماق قلبه،

ويتمنى قيامه، برغم أنه لم يكن مدركًا لطبيعته ولا يملك الجرأة على تنفيذه، وأيًا ما كان الأمر فقد أقر الحكم الدستورى وبالتالى فقد خلّد اسمه فى التاريخ.

وبإقرار الحكم الدستورى فض التحصن وعاد رجال الدين الذين كانوا قد غادروا إيران وسافروا إلى الأراضى العثمانية، واستقبلوا استقبال الأبطال.

افتتح المجلس الأول فى ١٨شعبان سنة١٣٢٤ هـ ق، فى قصر الجلستان بحضور الملك مظفرالدين شاه، ووقع الملك فى آخر أيام حياته (١٤ذى القعدة١٣٢٤هـ ق) على واحد وخمسين بندًا من بنود الدستور.

وتوفى مظفر الدين شاه فى٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٤هـ ق، وجلس محمد على ميرزا مكان أبيه فى شهر ذى الحجة من نفس العام .

محمد على شاه : كان سوء ظن الشعب كبيرا تجاه الملك الجديد، وأخذت بوادر التوتر والثورة تظهر كل يوم، وكان أعضاء أذربيجان يعرفون محمد على شاه من تبريز ولا يثقون به، واستمرت الثورة والغليان وصراع الشعب والمجلس ضد البلاط وعناصر الاستبداد فى طهران والولايات، وكان العلماء ورجال الدين هم ركيزة الشعب[1] وكانت المجالس المحلية تتشكل تباعا فى طهران والمحافظات وأخذت تتزايد يوميًا ووصل عددها فى بعض الأحيان (فى النصف الثانى من عام١٣٢٤هـ ق) إلى١٤ أو أكثر. أمّا الصحف فقد كانت تظهركل يوم صحيفة جديدة، ولكن أغلبها كان يشجع الشعب على الثورة والإضراب. وكان المجلس فتيًّا وشديد التطلع وقليل التحمل، والحكومة مغرورة بنفسها والحاشية جاهلة وغير صالحة للعمل، وأصبح التحريض متواصلاً بين الطرفين، ومع أن الدورة الأولى كانت هى أفضل الدورات التشريعية الإيرانية وسنت قوانين جيدة نسبيا، ولكن نظرا لأنه قد دخل بين أعضائها أشخاص من

---

(١) كانت جميع الخطوات التحررية تتم باسم الدين، والعجيب أن اللجنة المحلية للحزب الاشتراكى الديمقراطى أيضا والذى اعتلى الحكم فى جزء من أذربيجان نتيجة الأحداث الجارية بروسيا وحركات القوقاز الثورية، بمجرد أن تلقت خبر ثورة طهران نشرت بيانا وضمن تمنتها للحكومة الدستورية باسم المجاهدين فى سبيل اللـــه والإسلام دعت فيه كادحى العالم إلى الوحدة .

رجال الدين والتجار، ولم يكن لدى الأعضاء بصفة عامة معلومات كافية عن السياسة والأوضاع العالمية، ولم يدركوا قيمة الثورة ونتائجها بشكل صحيح، فقد كانوا يتصورون أن الثورة قد أنهت مهمتها، ولهذا توانوا عن الكفاح تدريجيًّا، وانتابت محمد على شاه رغبة شديد فى إسقاط الحكم الدستورى مستغلاً هذا الضعف والإهمال.

ومع أواخر عام ١٣٢٤هـ ق، وضحت أولى علامات الرجعية، وقام الملك بحشد وتجهيز القوات علانية، وقام الأتابك باستدعاء أمين السلطان الذى كان قد حكم إيران لمدة ربع قرن، وعُزل بعد قيام الحكم الدستورى وكان يعيش آنذاك فى أوربا، وعيَّنه رئيسا للوزراء وامتنع عن توقيع الدستور.

وفى ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٢٤هـ ق، أغلق شعب تبريز الأسواق، وتجمعوا فى المجلس المحلى ومكتب التلغراف، واحتجوا لعدم اهتمام الحكومة بالنظام الدستورى. وبعد عدة أيام صدر مرسوم صريح بأن الملك سيقبل النظام الدستورى ويعمل بمقتضاه، وعلى هذا الأساس هدأت الأوضاع.

ومع هذا ظل الملك والأتابك يعاديان النظام الدستورى والأحرار، ولم يخفيا معارضتهما، وفى يوم السبت ٢١ رجب سنة ١٣٢٥هـ ق، وبعد مرور جزء من الليل وبينما كان الأتابك خارجًا من المجلس بصحبة بهبهانى، أطلق عليه شاب يدعى عباس آقا من شعب أذربيجان ثلاث رصاصات فأصابته الرصاصات الثلاث، وأطلق الشاب رصاصة أيضًا على نفسه فمات فى الحال[1].

وفى ٢٩ شعبان، تم تدوين ملحق الدستور والذى يعد أهم جزء فى بنود قوانين الحكم الدستورى، وكان يشتمل على ١٠٧ بنود، وقد أضيف إلى بنود الدستور البالغة واحدًا وخمسين. وبهذه البنود رسخ أساس الحكم الدستورى، وتم الفصل بين حقوق الشعب والسلطنة والقوى الثلاث فى المملكة وتحديد البنود المتعلقة بالقضاء والمالية.

---

(١) فى أربعين عباس آقا الموافق يوم الأحد ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٥هـ ق، تجمع أهالى طهران أمام مزاره وألقوا خطبًا وأنشدوا أشعارًا لفخر الواعظين وكان مطلعها على النحو التالى :

أيها المزار المهيب ، برغم أنك مجلس للمأتم والعزاء

ولكن حتمًا أنت سعيد ومبتهج بهذه الزهرة الجديدة التى نامت بداخلك.

٥

أصالة الحركة الدستورية : يتفق البعض على أن الحكم الدستورى الإيرانى كان بضاعة إنجليزية خالصة راجت فى السوق الإيرانى، وهؤلاء الأشخاص يريدون إثبات أن الشعب الإيرانى لم يكن له دور فى، الحركة الدستورية وإظهار زعماء الثورة فى صورة أداة عديمة الإرادة فى يد الساسة الإنجليز، مستدلين على ذلك بأن العوامل التاريخية لم تكن تتوافر بالقدر الكافى فى المجتمع الإيرانى فى ذلك العصر لوقوع مثل هذه الحادثة العجيبة، وهذا الرأى غير صحيح بالمرة ولا يتفق مع تضحيات الشعب الإيرانى خاصة فى عهد الحكومة الدستورية الثانية بعد قصف المجلس والتصديق على البنود التقدمية المفيدة فى ملحق الدستور، والتى كانت فى الواقع بمثابة "لقمة أكثر من سائغة"، فلم تكن هذه البنود بالطبع فى صالح الإمبريالية الإنجليزية، حيث مُنع تنفيذها بشكل كامل فيما بعد على يد الطبقة الحاكمة، و لم تتوقف الأمة الإيرانية عن المطالبة باسترداد هذه الحقوق الضائعة .

إن آثار المساعى الدبلوماسية الإنجليزية من أجل الاستفادة من الحركة الدستورية الإيرانية وكانت تبدو فى التجمعات الدينية والتحصنات والتظاهرات فى المساجد وعلى المنابر ومطالب زعماء الحرية، ولكن بصفة عامة لا يمكن اعتبار الإرادة الإنجليزية هى السبب وراء قيام الثورة الدستورية الإيرانية .

وفى ذلك العصر كانت مطامع الإمبرياليين قد أحدثت عاصفة فى العالم : كانت روسيا القيصرية تحاول الوصول إلى الخليج الفارسى ؛ معبر الهند، وإنجلترا تريد أن تمنع وصول الروس إلى الجنوب، وكان البلاط القاجارى خاضعًا فى الغالب للتأثير والنفوذ الروسين، فالروس كانوا يريدون المحافظة على الوضع القائم[1]، والإنجليز يرغبون فى تقليص سلطتهم فى إيران بتغيير الوضع، وزيادة نفوذهم قدر المستطاع، و لم تكن روسيا الديكتاتورية تستطيع بالطبع أن تقبل نغمة الحرية فى إيران، وكانت ترى البلاط القاجارى الاستبدادى الشرقى هو الأنسب لتحقيق أهدافها، ومن جهة أخرى كانت الدبلوماسية الإنجليزية تشعل الحركة التحررية. ومن هنا فإن القيصرية الروسية انضمت

(1) Status Quoad Praesentum .

للتيار المؤيد للطبقة الحاكمة أمّا الإمبريالية الإنجليزية فقد أيدت ظاهريًا المعارضين، وعلى هذا النحو أقامت الحكومة الإنجليزية تحالفا سريا مع فرقة من الأحرار الإيرانيين لتقويض النفوذ الروسى فى إيران الذى قد بدأ بمعاهدة تركمن چاى، وأخذ يتوسع يوما بعد يوم .

ومع هذا فقد كان الحكم الدستورى الإيرانى فى الأساس نتاج اليقظة الفكرية ونمو البرجوازية الإيرانية، وقد تحقق على يد المخلصين والشجعان الفدائيين وكان معظم مناضلى الحكم الدستورى رجالاً أطهار وشرفاء وأصحاب عقيدة، وكانوا يريدون استغلال أوضاع العصر الملائمة لإنقاذ أمتهم، وكانت كلمات الوطن والحرية والأخوة والمساواة تتردد على ألسنة الثوريين .

وسرعان ما كشف صلح إنجلترا مع روسيا النقاب عن الوجه القبيح للدبلوماسية الإنجليزية، وأدركت الأمة الإيرانية إلى حد ما حقيقة مشاعر هذا المستعمر القديم .

فالتشاؤم المتبادل بين الحكومتين أى قلق الإنجليز من بسط النفوذ الروسى السريع فى آسيا وخوف الروس من السياسة البريطانية تجاه ممتلكاتها فى آسيا الوسطى، أو بعبارة أخرى نفس العوامل التى تسببت فى التنافس والخلاف، قد أظهرت هذه المرة فكرة التقارب بين هاتين الحكومتين .وبما أنه كان من المتوقع أن تشتعل حرب فى أوربا فى أسرع وقت ممكن، وكان لابد أن تتحد هاتان الدولتان فى الحرب، فقد أنهيتا تنافسهما القديم فى إيران وعقدتا معاهدة فى ٣١ أغسطس ١٩٠٧[١]، حصلت كل منهما بمقتضاها على جزء من إيران وحق استغلاله بمنتهى الحرية وبلا منازع . وبمجرد أن شاع خبر انعقاد هذه المعاهدة غضب بشدة المستنيرون والأحرار الإيرانيون الذين لم يتوقعوا هذا من انجلترا، وتطاولوا بالسباب، فاضطرت السفارة الإنجليزية لإرسال مذكرة إلى وزارة الخارجية الإيرانية واعتبرت أن المعاهدة لا تنفى استقلال إيران بل تضمنه[٢] .

(١) الموافق ٢١ رجب ١٣٢٥ أى نفس اليوم الذى قتل فيه الأتابك .
(٢) رسالة السفارة الإنجليزية فى طهران المؤرخة ٤ سبتمبر ١٩٠٧ (٢٥ رجب ١٣٢٥هـ ــ ق) .

ولكن اعترض مجلس الشورى الوطنى على هذه المعاهدة فى ٢٤شعبان١٣٢٥هـ ـ ق، وبعد ذلك أيضًا لم تعترف إيران حكومة وشعبًا بهذه المعاهدة، وعلى هذا النحو فإن هذه المعاهدة التى أبرمت فى غياب المجلس، وكانت تعتبر " أمرًا واقعًا " قد ذهبت أدراج الرياح .

ولكن برغم ذلك أطلقت الحكومة الروسية يدها فى إيران نتيجة لهذه المعاهدة المشئومة وضيقت الساحة على الأحرار، وتمادى محمد على ميرزا أكثر فى عدائه للبرلمان مُعتمدًا على تلك الحكومة .

انقلاب الملك : ذهب الملك إلى البرلمان فى الثانى من شوال سنة١٣٢٥هـ ـ ق، وأدّى يمين الولاء. وفى التاسع من ذى القعدة اشتبكت مجموعة من الأشرار والفاسقين والأفراد التابعين للبلاط مع الدستوريين عند البرلمان، ولما لم يفلح هذا اضْطر الملك لكتابة تعهّد مؤكد وأرسله إلى البرلمان[1] .

وفى أواخر محرم سنة ١٣٢٦هـ ـ ق، ألقيت قنبلة على عربة الملك فتغيّر الوضع تمامًا وصمم الملك على مواصلة الصدام. وفى الرابع من جمادى الأولى سنة١٣٢٦هـ ـ ق، ذهب الملك إلى حديقة "باغشاه" فى جلبة وضجيج شديدين وحوّل المدينة إلى ثكنة عسكرية، وبعد أن حشد القوات بدأ فى العمل. ففى صباح يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الأول من سنة ١٣٢٦ هـ ـ . ق، حاصرت قوات القوزاق بقيادة العقيد " لياخوف."[2] البرلمان ومسجد سپهسالار وأمطروهما بوابل من النيران[3]، وقتلوا فى اليوم التالى عددًا

(١) أطلق براون على هذه الفتنة اسم " الانقلاب العقيم " .

(٢) هذا الشخص سافر إلى روسيا فى نفس اليوم الذى لجأ فيه محمد على ميرزا إلى السفارة الروسية، وبعد الثورة البلشفية انضم للجنرال دنيكين ثم فر إلى باطوم فى عام ١٣٣٩، وهناك أطلق عليه الرصاص ثلاثة أشخاص مجهولين فى نفس اليوم الذى كان يمر فيه بالشارع مع القائد الإنجليزى فمات فى المستشفى بعد عدة ساعات ، وقيل إن لجنة الثورة كانت قد أمرت بقتله .

(٣) فى عام ١٣٢٦ نشر صحفى بلغارى يدعى پانوف والذى كان قد حصل على مراسلات الكولونيل لياخوف السرية، نشر استنادًا إلى هذه المراسلات، أن قصف المجلس كان قد تم بناء على أمر السفير الروسى هارتفيتج M. D. Hartwig، والزعماء الرجعيين الإيرانيين وبموافقة القيادة العسكرية القوقازية .

من الأحرار فى حديقة باغشاه، وقاموا بحبس ونفى جماعة أخرى، فلجأ إلى السفارة الإنجليزية التى سمحت بدخول اللاجئين لكى لا تسقط من نظر الشعب .

وقد أطلق المؤرخون اسم " الاستبداد الصغير" على الفترة التى امتدت ثلاثة عشر شهرًا وعدة أيام منذ قصف البرلمان وحتى يوم انتصار الأمة وخلع محمد على شاه، وفى هذه المدة برغم أن الحكم الدستورى قد تعطل وسادت الديكتاتورية أنحاء البلاد، فإن الصراع بين الملك والدستوريين قد استمر أيضًا .

ثورة الأحرار : صارت تبريز مركزًا للثورة عقب قصف البرلمان مباشرة، ورفع الأحرار الأذربيجانيون راية الثورة بزعامة القائد الوطنى ستارخان .

وعمت الثورة كل أرجاء الدولة، ولكن كانت الحركة التحررية فى أذربيجان أقوى وأعمق بالمقارنة مع سائر المناطق الإيرانية بسبب قربها من روسيا الثورية وخاصة القوقاز .

وأخذ الثوار الروس يدعمون الثورة الإيرانية بكل أخوّة ورحابة صدر، وكانت لجنة الحزب الاشتراكى الديمقراطى القوقازى القوى تساند أساسًا أى ميول استقلالية فى مناطق النفوذ القيصرى الخارجى، فتم إرسال جماعة متطوعة من ثوّار القوقاز برئاسة س. أورجونيكيدزه الكرجى لمساعدة الأحرار الإيرانيين، وهؤلاء هم الذين قاموا بتعليم الإيرانيين تصنيع القنبلة واستعمالها .

وجاء إلى تبريز أشخاص من إيرانىّ القوقاز وعُرفوا باسم المجاهدين القوقازيين وكان لمجيئهم أثر كبير فى دعم الأحرار، إذ إنهم كانوا رجالاً متمرسين ومجربين، فقام على مسيو وأنصاره بتشكيل جماعة المجاهدين فى تبريز اقتداءً بهم . وكان الملك يرسل القوات تباعًا لقمع التبريزيين، ولكن الجنود المختارين من قبل طهران عجزوا أمام الأبطال المناضلين فى سبيل الحرية، وفى آخر الأمر لجأ الملك إلى القيصر نيكولا الثانى الذى كان يعتبر نفسه " حارس أوربا "، ورضخ لاحتلال أذربيجان الرسمى .

وبدأ حصار المدينة تقابله مقاومة مستمية من التبريزيين، واستمر الثوار فى النضال والمقاومة لمدة حوالى عشرة أشهر برغم الجفاف والجوع، ونظرًا لصمود تبريز عاد الأمل للوطنيين الإيرانيين بعد أن كانوا قد يئسوا ؛ وقاموا بحشد القوات .

وفى ذى الحجة سنة ١٣٢٤هـ ق، تحصنت جماعة فى أصفهان، وبعد عدة أيام وصلت إلى تلك المدينة مجموعة من البختياريين، وانضموا إلى المتحصنين، وأخذ يتوافد على أصفهان تدريجيًّا المعسكر البختيارى العظيم، وبعده صمصام السلطنة الإيلخانى وتم استقبالهم بترحاب، كما عاد إلى البلاد أيضًا شقيقه عليقلى خان سردار أسعد والذى كان فى باريس .

وفى العاشر من محرم سنة١٣٢٧هـ ق، هجم ثوار جيلان على المقر الحكومى وقتلوا حاكم المدينة، واستولوا على جيلان .

واضطربت أوضاع طهران، وهبّ الدستوريون للسعى والعمل، فتحصنت جماعة من الأشراف فى السفارة العثمانية وتحصنت مجموعة من العلماء فى مسجد الشاه عبد العظيم، كما نشط الدستوريون الإيرانيون بالخارج .

وصول القوات الأجنبية إلى الدولة : وفى مثل هذه الأوضاع قام الإمبرياليون الروس والإنجليز بالتدخل المسلح وأحضروا الجيوش إلى إيران : أنزل الإنجليز مجموعة فى الجنوب، وحلوا جمعية بوشهر واعتقلوا أعضاءها ثم استولوا أيضًا على بندر عباس ولنجه وموانئ الخليج الفارسى الأخرى، وأمسك القنصل الإنجليزى بزمام الأمور فى بوشهر. وفى أذربيجان تعرّض الشعب لمجاعة شديدة نتيجة غلق طريق تبريز - جلفا ومحاصرة المدينة من جميع الاتجاهات على أيدى قوات الملك، فضاقت السبل على الأحرار، وفى أوائل ربيع الثانى سنة١٢٢٧هـ ق، وافقت الحكومتان -الروسية والإنجليزية- على دخول الجيش الروسى تبريز بحجة كسر الحصار وحماية الرعايا الأجانب وتوصيل الطعام إليهم،

وقررت جمعية تبريز مضطرة التخلى عن جميع مطالب الشعب " والتوسل إلى الأب غير الرحيم " ولكن بعد فوات الأوان، حيث كان الجيش الروسى قد عبر الحدود .

وبوصول الجنود الروس فك الحصار عن تبريز، وابتعدت قوات الملك والجماعات الرجعية عن المدينة، ولكن لم تكن تلك النهاية التى شهدتها تبريز تعنى انتصار الرجعية، فقد استمر نضال الأحرار الإيرانيين .

فتح طهران : خطا الخطوة الأولى صوب العاصمة المعسكر الشمالى بقيادة سپهدار أعظم (كبير القادة) وكان ثوار القوقاز ضمن صفوفه أيضًا، وانضم المعسكران الشمالى والجنوبى إلى بعضهما بعضا على مسافة أربعة وعشرين كيلومترًا من طهران . وفى هذه الأثناء وصلت إلى قزوين القوات الروسية التى كانت قد جاءت من أنزلى، وأصبحت تمدد المعسكر الثورى من الخلف .

وفى٢٧ جمادى الآخرسنة ١٣٢٧هـــ ق، دخلت، طهران قوات الوطنيين والمجاهدين الجيلانية والبختيارية ، ولجأ الملك فى نفس هذا اليوم إلى السفارة الروسية، إلا أن حماية عرش محمد على ميرزا لم تعد فى نطاق قدرة الإمبراطور، فتم خلع الملك من السلطنة بناءً على حكم المجلس الأعلى واختير بدلاً منه ابنه الصغير أحمد ميرزا -الذى لم يتجاوز الثالثة عشر- ملكًا على إيران وعلى رضا خان عضد الملك رئيس القبيلة القاجارية نائبًا للسلطنة .

الدورة البرلمانية الثانية : تم إقرار الحكم الدستورى والقانونى مرة أخرى فى إيران، ولكن قبل أن يؤتى ثماره خطفت بعض الشخصيات زمام الأمور من يد الأحرار، وخنقوا القانون والحرية فى مهدها، وعندما اكتشف المناضلون ودعاة الحرية الحقيقيون المسألة كان الوقت متأخرًا جدًا .

وافتتحت الدورة البرلمانية الثانية فى الثانى من ذى القعدة سنة١٣٢٧هـــ ق، بعد عام واحد من غلق الدورة البرلمانية الأولى بحضور الملك الشاب، وأثناء افتتاح المجلس

ظهر واضحًا من خلال البيانات الرسمية للحكومة القلق تجاه بقاء الجنود الروس فى الدولة، بالرغم من تقديم وعد صريح بإنهاء هذا الأمر فى أسرع وقت ممكن . ولكن ظلت هذه القوات على حالها وأخذت ترتكب فسادًا جديدًا كل يوم، أمّا البرلمان الذى كان معظم أعضائه من الأشراف والخوانين، فإنه لم يُنجز أمرًا واحدًا طيلة فترة انعقاده، أما سپهدار الذى كان من أشراف جيلان، وكان قد استفاد من الثورة فلم يتخذ خطوة واحدة من أجل تحسين أوضاع الدولة، ليس هذا فحسب بل إنه تسبب بسياسته الرجعية فى نفور الشعب واستيائه، فقد خنق الثورة بإحدى يديه وهيّأ الظروف لزيادة نفوذ الأجانب فى الدولة بيده الأخرى .

خلاصة القول : إن الثورة الدستورية الإيرانية برغم أنها وجهّت ضربتها القوية لجسد الديكتاتورية وأقرّت البرلمان والقانون فى الدولة فإنها قد هُزمت من الإقطاع والإمبريالية[1].

وقامت حكومة مستوفى الممالك الذى كان قد تولى الحكم بعد سپهدار، بنزع سلاح آخر الجماعات الفدائية فى شعبان سنة ١٣٢٨هـــ ق، بمساعدة القوات البختيارية تحت قيادة ويفرم الأرمنى أحد أفراد حزب تاشناك والذى كان رئيسًا للشرطة، وطلبت من الرئيس الأمريكى هوارد تافت أن يرسل شخصًا إلى إيران لإصلاح الأوضاع المالية المتدهورة فوصل إلى إيران مورجان شوستر[2] والذى كان رجلاً ذا خبرة واسعة مع وفد من المستشارين الاقتصاديين الأمريكيين فى جمادى الأول سنة١٣٢٩ هــ ق، وبدأ العمل وفى يده صلاحيات غير عادية.

واستمرت التحريضات أيضًا، فأعاد الروس الملك المخلوع إلى إيران مرة ثانية لعرقلة عمل البرلمان والإطاحة بهيئة شوستر، فنزل الملك المخلوع فجأة فى گمش تپه

---

(١) ولكن على كل حال فقد أعلنت للدنيا هذه الحقيقة وهى أن إيران قد دخلت المرحلة التاريخية للثـــورات الديمقراطية — البرجوازية مثل بقية دول الشرق .

(2) W . M . Shuster

(پهلوى دج حاليًا) فى شهر رجب، وهجم على طهران مع فرقة من التركمان، ولكن نظرًا لأن الشعب والبرلمان وزعماء الحرية كانوا على كلمة واحدة، فقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل، وتحطمت قوات محمد على ميرزا فى خريف عام ١٣٢٩هـ ق، وفرّ إلى روسيا مرة ثانية .

وأثناء اشتباك الوطنيين مع قوات محمد على ميرزا، وعندما كان يبدو أن أمره قد انتهى ولاسبيل أمامه سوى الفرار، كشف الروس والإنجليز النقاب فجأة عن أهدافهم الخفية، وأنزلت إنجلترا الداعمة للحرية الوحدات الهندية فى ميناء بوشهر للاستيلاء على المناطق الجنوبية الإيرانية المهمة، بل وأمرت هذه الوحدات بالاستيلاء على أصفهان (فى منطقة النفوذ الروسى) وشيراز وبوشهر(فى المنطقة المحايدة)، وقامت روسيا هى الأخرى بإرسال جنود آخرين إلى إيران وبعثت بقواتها من الرشت إلى قزوين بحجة عجيبة وهى حماية أملاك شعاع السلطنة .

الإنذار الروسى: سلّمت روسيا القيصرية إنذارًا شديد اللهجة للحكومة الإيرانية فى يوم الأربعـــاء ٧ذى الحجة سنة١٣٢٩هـــ ق بمشاورة إنجلترا، وطلبت بموجبه من الحكومة الإيرانية أن يغادر شوستر ورفاقه إيران بأقصى سرعة، وأن تتعهد الحكومة بأن تأخذ موافقة الحكومتين الروسية والإنجليزية بعد ذلك فى مسألة استقدام المستشارين الأجانب، وأن تكون إيران مسئولة أيضًا عن نفقات الزحف العسكرى الروسى، وكان لجوء إيران إلى إنجلترا غير ذى نفع حيث أوصت وثوق الدولة وزير الخارجية الإيرانى ضمن خطاب أرسلته إليه بأن يقبل المطالب الروسية فورًا.ولكن البرلمان الإيرانى رفض الإنذار بالأغلبية الساحقة وازداد الشعب صمودًا فى تبريز وجيلان، وأحضر الروس قوات جديدة إلى إيران وارتكبوا مذابح فى تبريز والرشت ومشهد والمدن الأخرى، وفى آخر الأمر قبلت الحكومة الإيرانية الإنذار فى غرة محرم سنة١٣٣٠هـــ ق. وفى الثانى من محرم أغلق ناصر الملك باب البرلمان ومنع نشاط المنظمات الوطنية بإعلان الحكم العسكرى، واقتلعت جذور الحرية على يديه ويدى حسن وثوق الدولة، وخنقت

داخل أفواه الشعب أى صرخة اعتراض على تدخل الأجانب فى شئون الدولة والسياسة الرجعية الحكومية، وفى العاشرمن محرم سنة ١٣٣٠هـ ق، أعدم الروس فى تبريز جماعة من الفضلاء والأئمة ومن بينهم المجتهد المعروف ثقة الإسلام [١]، واستمرت مذبحة تبريز شهورًا، وعين الروس صمد خان شجاع الدولة الجزار والمجرم الشهير حاكمًا على أذربيجان و لم يتورعوا عن ارتكاب أى أعمال وحشية ضد أهالى أذربيجان على يديه[٢].

وعلى هذا النحو خمدت تلك الحركة التى استمرت سبع سنوات، وأصبحت الأفكار سطحية ومبتذلة وابتعد الرجال الصالحون المخلصون، وأمسك بالسلطة وزمام الأمور مجموعة من المجربين الوصوليين العارفين بخبايا الأمور، فكان كل ما قالوه وفعلوه فى صالح الأجانب وضد مصلحة إيران، وحتى بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وزوال الضغوط الأجنبية ظلوا يسيطرون على الأمور مرتدين ثوب التحررية والوطنية وواصلوا أعمالهم الحقيرة والمُخجلة.

وبعد الإطاحة بالبرلمان وطرد شوستر[٣]، بلغ تدخل الأجانب فى الشئون الداخلية الإيرانية ذروته، فأخذ الروس امتياز سكة حديد تبريز- جلفا، والإنجليز امتياز سكة حديد محمره- خرم آباد، وأجبروا الحكومة الإيرانية على أن تغيّر سياستها تجاه معاهدة ١٩٠٧التى لم تكن قد اعترفت بها رسميًا أى حكومة من الحكومات، وكان الروس يحصلون الضرائب من الأهالى فى قزوين وتبريز ويمنعون تحرك نوّاب أذربيجان إلى

(١) الآن وقد مرّ على هذه الأحداث ثلاثون عامًا، كلما فكرت فى هذه الأعمال تفيض مشاعرى وأشكر الله أنه قد عافانى من الاشتراك فى مثل هذه الأعمال ....على أى أساس تمت هذه الاعتداءات والتدخلات فى إيران من جانب الحكومة الروسية؟ هل هى من شروط القوانين الدولية! والحكومة الروسية لم تكن فى حالة حرب مع إيران، وفى روسيا نفسها أيضا لم نكن نقر الحكم العسكرى، والشىء المؤكد أن وضع سياستنا فى إيران كان مبهمًا وكنا نبادر بارتكاب أعمال خاطئة نظرًا لتحالفنا مع إنجلترا، أليس تسجيل مثل هذه الأعمال فى العلاقات الروسية الإيرانية أمرًا مُخزيًا ومُخجلا؟ (نيكيتين، إيران التى عرفتها ، ص ٧٩ ، ٨٠) .

(٢) مات هذا الرجل السفاح فى الأراضى الروسية بمرض السرطان فى يوليو عام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ ق) .

(٣) خرج شوستر من إيران فى العشرين من محرم سنة ١٣٣٠هـ ق وبناء على أخبار وكالات الأنباء فقد مات فى نيويورك ليلة السادس من خرداد سنة ١٣٣٩ ش، فى سن الثالثة والثمانين .

طهران، وكان الإنجليز قد استولوا على جمرك بوشهر فى مقابل القرض الصغير الذى أعطوه لإيران، أما ناصر الملك نائب السلطنة الذى عرف باسم " الدبلوماسى المكار " فقد وضع حمل السلطنة الثقيل على كاهل الملك الشاب الضعيف وسافر إلى أوربا.

وتم تتويج أحمد شاه آخر ملوك الأسرة القاجارية فى ٢٧شعبان سنة١٣٣٢هـ ق، وبينما لم يمض على تتويجه عدة أشهر اشتعلت الحرب العالمية فى أوربا التى تم التمهيد لها منذ فترات سابقة، ولكن هذه الحرب التى جلبت كل هذه التعاسة والبؤس لإيران والعالم، حملت بشرى النجاة للشعب الإيرانى الذى كان قد ضاق بمظالم جيرانه، فقد تسببت هزيمة روسيا فى الحرب وما أعقبها من ثورة أكتوبر١٩١٧م، كما سنرى، فى خلاص دولتنا من قبضة الاستعمار بعد أن كانت قد قسمت نتيجة معاهدة ١٩٠٧م.

فى طريق الثورة

مقدمة

كان فتح اللــه خان الشيبانى ومحمود خان ملك الشعراء يشكلان آخر حلقات سلسلة شعراء البلاط، مات الأول قبل مقتل ناصر الدين شاه بخمسة أعوام ومات الثانى قبل مقتله بعامين، وبموتهما طوى بساط شعر البلاط، وفى فترة سلطنة مظفر الدين شاه القصيرة لم يظهر شعراء كبار، وهؤلاء الذين كانوا يعيشون فى هذه الفترة انضموا لصفوف الأحرار بظهور الحركة الدستورية .

ومع هذا يمكن أن نذكر شاعرين قديرين أو ثلاثة، وبرغم أن بعضهم قد لحقوا بعصر الحركة الدستورية والحرية فإنهم ابتعدوا عن التيارات السياسية وظلوا أوفياء لأسلافهم .

١ - صفا

ولد محمد حسين صفا الأصفهانى بمدينة فريدن فى عام ١٢٦٩هـ ق[١]، وفى فترة شبابه حضر إلى طهران ومال إلى التصوف والعرفان وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، ويبدو أنه تعرّف إلى ميرزا محمد رضا مستشار الملك وزير خراسان (الذى لقب فيما بعد بمؤتمن السلطنة) فى السنة التى جاء فيها إلى طهران لإنجاز بعض المهام الحكومية، وذهب بصحبته إلى مشهد .

وكان صفا فى مشهد يعيش غالبًا فى قصر مؤتمن السلطنة ولم يكن يقابل أحدًا أو يختلط بأحد (باستثناء بعض الأشخاص منهم أديب النيسابورى) .

وقد توفى مؤتمن السلطنة فى عام ١٣٠٩، وآلت وزارة خراسان إلى ابنه الكبير ميرزا على محمد مؤتمن السلطنة، وكان هو أيضًا يجل ويحترم صفا مثل أبيه ويحسن إليه كثيرًا، فمثلاً اشترى له منزلاً قريبًا من قصره وهيأ له مستلزمات المعيشة، وعندما عُزل من وزارة خراسان وسافر إلى طهران تركه فى رعاية ابن عمه ميرزا حسين خان المعروف بـ " أبا خان " .

وظل صفا هكذا منعزلاً لسنوات طويلة ولم يتزوج فى حياته، وفى أيامه الأخيرة فقد الذاكرة تمامًا بسبب الإفراط فى تعاطى القنب والبانجو وسائر أنواع المخدرات والكحوليات، وأمضى معظم أوقاته ثملاً، وكان فى تلك الحالة من الانجذاب والاستغراق يتصور نفسه موضع تجلى الحق، وقد أنشد غزلياته الجميلة رباعية الأقسام أثناء تلك اللحظات .

وقد مرض فى عام ١٣١٤هـ ق، وطال مرضه لفترة، وبعد ذلك ابتعد عن الناس أكثر من ذى قبل بسبب شدة الضعف والعجز، وما لبث أن ذهب عقله وهام على

(١) فى سنة ألف وثلاثمائة وواحد هجريًا — اثنان وثلاثون عامًا فى أرجاء الدنيا
من أفق وحدة الوجود الواجب — بزغ نجم صفا الأصفهانى
ولكن جاء تاريخ ميلاده فى معجم " فرهنگ معين " بين عامى ١٢٥٢ و ١٢٦٣ .

وجهه فى الأزقة والأحياء، وفى آخر سنتين أو ثلاث من عمره عجز تمامًا حتى فارق الحياة فى عام الوباء ١٣٢٢هـ ق (بعد عدة أشهر من موت أبا خان) .

ومن الأشعار التى تركها صفا ونشرت فى ديوانه[1]، بعض القصائد والغزليات وعدة مسمّطات ورباعيات ومثنوى بنفس أسلوب " گلشن راز" (روضة الأسرار) للشبسترى .

والجزء الأعظم من هذه الأشعار لا يختلف من حيث البناء والتركيب عن بعضه بعضا، وهى أشعار عادية ومتوسطة يغلب عليها التصوف والعرفان، إلا أنها جميعًا – خاصة الغزليات التى تعتبر نتاج أمسياته – جميلة ورصينة وعذبة، وتتمتع باللطف والجاذبية والصفاء .

وقد نظمت بعض غزليات صفا على وزن خاص قليل الاستخدام، وهى نفس الغزليات التى منحته شخصية متميزة ومستقلة وأفسحت له مكانًا فى تاريخ الأدب الإيرانى المنظوم .

وهذه الغزليات قليلة العدد تتكون من أبيات، كل بيت منها مقسم لأربعة أقسام، وكل قسم له وزن منفصل، وكل قسم من الأبيات نظم على وزن ولحن الأقسام المماثلة فى الأبيات الأخرى، وأغلبها يحتوى على أبيات طويلة ووزن ثقيل ويمكن القول بأن بعض هذه الأوزان مبتكرة ونادرة فى الشعر الفارسى .

والحقيقة أن الشاعر بأسلوب بيانه الخاص جعل قيود النظم الفارسى الثقيلة أكثر ثقلاً، وجعل الأمر أكثر صعوبة على القارئ، ولكنه كان متمكنًا من دقائق فنه بقدرته ومهارته .

---

(١) ديوان أشعار الحكيم صفا الأصفهانى باهتمام وتصحيح أحمد سهيلى الخوانسارى ، طهران ، ١٣٣٧ ش .

وفيما يلى نموذج لغزلياته:

سلبت منى القلب بغارتك، أيها السارق المُغير

أرأيت ماذا فعلت بى، أيها الحبيب من جراء القلب!

عشقك توارى فى القلب،فأصبح القلب حزينًا والجسد عاجزًا

نفذت كالسهم فصار جسدى، كالقوس من حمل الهم

أحترق شوقًا إليك،فأنا بسبب فراقك فى النار

صدرى وكيانى، عشقى ووجدانى

أنا ثمل الصهباء الباقية،من تلك الكأس الصافية

التفكير فيك هو الساقى فى الحفل، وذكرك هو منشدى

لقد احترق القلب من حرارة العشق، وحاك الفلك الثوب الأسود

من نار آهتى احترق، نجمى فى السماء

خجل المجوسى والمسلم، فقد أصبح القلب فتنة للجسد

صار فى القلب مائة ثقب، من تدبير معشوقى الظالم

الحمد لله أننى ثمل من العشق، أشرب وأعشق

لقد علمنى أستاذى العالم، درس"ألست"[1]

إن حظى فى عشق السلطان، وشجرتى فى بستان الإقبال

عرشى هو رماد الفقر، تاجى هو تراب الفناء

الأول صقل مرآتى، ومنحنى صفاء القلب

والآخر سلمنى لريح الفناء، فعشقك هو رمادى

(١) إشارة إلى الآية القرآنية "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ"[الأعراف:١٧٢]، والمقصود من (درس ألست) الإقرار بالربوبية والتوحيد. (المترجم) .

إلى متى يا طبول القلب المنتصرة، تدقين فى ضجيج وجلبة؟

أخاف أن يراق دمك،على التراب فى حضورى

إن هموم عشقه الثقيلة، لا يتحملها الفلك

فكيف يستطيع أن يتحملها، جسدى النحيل هذا !

لقد تفتح القلب من شدة الصفاء،فقد دق طبلك على سقفنا

وغرس سلطان الإقبال اللواء، فى دولتى بسبب الفقر

أنتم الجماعة التى تريد الوصول إلى الله

ستكونون هكذا لو أنكم من سالكى سبيل الفقر والفناء

لقد كان الفناء هو عين البقاء، فإن سالكى طريق الفقر

قد ماتوا ووصلوا، أما أنتم ففى أسر البقاء !

إن قصر صاحب العرش هو سويداء قلوبنا

وأنتم عبيد السجاد وأسرى القصور

لو محوتم صدأ الشوائب عن صفحة القلب

ستكونون جميعًا كأس جمشيد[1] والبلورة المظهرة للغيب

لا يعطى الجزية للسلطان من يلبس تاج الفقر

فأنتم السلاطين الملوك وأنتم العبيد الفقراء

أنتم لا سحاب ولا رياح وبقدرة الملك والمَلَك

أنتم مشبعون بالسحاب المطير وأفضل من رياح الصبا

اقطعوا رأس شيطان الهوى واجلسوا

---

(١) جمشيد أحد أعظم ملوك الفرس القدماء ،والمراد بكأس جمشيد كأسًا أسطورية عجيبة منقوشًا عليها صور النجوم والأقاليم السبعة بخطوط تشبه خطوط الإصطرلاب كالتى يستخدمها العرافون، وتعني المرآة التى يرى فيها المرء ما لا يراد بعينه. (المترجم).

علـــــى عـــــرش الخلافـــــة فـــأنتم ســــليمانيون الهـــــوى

وأنــــتم يــــا مـــن تتــــسولون المكانــــة والتــــاج والكـــــبر

جاهــدوا أنفــسكم مــن الــرأس إلى القــدم فــأنتم لا ملــوك ولا شــحاذين

إن متــــسولى الوصــــول إلى اللـــــه لا يمكـــن النظـــر إلــيهم باحتقــــار

فهـــــم فقـــــراء متوجـــــون وأنــــــتم عـــــاجزون ومـــــساكين

النـــــساء اللاتــــــى يـــــردن الوصــــول إلى اللـــــه ربانيـــــات

وأنـــــتم أيهـــــا الـــــضعفاء أعــــداء رجـــــال اللــــــه

الـــــصفاء نـــــور منتـــــشر ويحـــــيط بالأضـــــداد

فهـــل أنـــتم الظلمـــة المطلقـــة الـــتى ضـــد الـــصفاء !

نحـــن جماعـــة الفقـــراء، فى تعـــب أثنـــاء النـــهار

الـــشمس نجمـــة النـــهار، ونحـــن شمـــس الليــــل

نحـــن كالـــشموع، نخبـــو بالنـــهار ونـــتلألأ بالليــــل

وأثنـــاء الاحتـــراق، تـــسعى إلينـــا الفراشــــات

نحـــن قـــرص الـــشمس، ونحـــن أيـــضًا القمـــر الـــصافى

نحــــن خلـــــف الأنبيـــــاء، ورداء للأوليــــاء

نحـــن ملـــوك الكـــون، مـــشتركون فى الأمـــر

لأننـــا لا نـــشرك بالواحـــد، ولـــيس لنـــا رب ســـواك

الـــصوفية رحالـــة، فطنـــون لـــسر الملائكـــة

ونحـــن غربـــاء عـــن العقـــل، وننتـــسب إلى العـــشق

نحـــن مرضـــى مـــساكين غربـــاء، محمومـــون بعـــشق الحبيـــب

مطيعـــون للطبيـــب، وحكـــام للعـــشق

نحـــن بــــلا زينـــة وبــــلا حلــــل،على قمـــة القمــــم
نحــــن المقـــصود بـــــلا علــــل، والموجــــود بــــلا ســــبب
حينًـــا الأرض وحينًـــا الــسماء، تــارة الـــداء وتـــارة الـــدواء
حينًـــا العبــــد وحينًـــا الـــرب، نحــــن طائفــــة عجيبـــــة
فى دولــــة الملكــــوت، نحـــــن رجـــال القـــوت والقـــوة
نحــــن الفــــرد المنتخـــــب، مـــــن دفتـــــر الجـــــبروت
نحـــن طـــائر حبـــة الـــذات، علـــى حافـــة نهـــر الحيـــاة
فى النغمـــات مـــن شـــدة الـــشوق، فى اللـــهيب مـــن شـــدة العـــشق
إذا ظهـــر الحبيــــب فكـــل مافينـــا، مـــن القـــدم إلى الـــرأس عيـــون
وإذا أعطـــى الحبيـــب قبلـــة، فكـــل مـــا فينـــا مـــن الـــرأس إلى القـــدم شـــفاه
سمعـــت أن كـــل مـــن لا يغفـــل، عـــن فـــيض الـــسحر كـــل ليلـــة
يحــــل الملــــك عقدتــــه، ولا يعاديــــه الفلـــــك
القلـــب الـــذى يكـــون مـــستيقظًا فى الـــصباح،لا عجـــب إذا
لم يتـــرك نـــداؤه فى حـــى الأحبـــة،كل لحظـــة أثـــرًا علـــى جنـــاح الطـــائر
إن الـــشخص الـــذى لاتـــؤثر فيـــه حرقـــة القلـــب لا يظهـــر أحمـــر اللـــون
بلـــون الـــشقائق أمـــام شـــهداء حـــى عـــشقه
إن الليـــالى تمتلـــئ بالثقوب،مثلنـــا نحـــن الفقـــراء مـــن ســـهم الآه
لأن الـــسماء لا تلـــبس الـــدرع أمـــام النجـــوم، والقمـــر لا يحتمـــى مـــن الهالـــة بـــالترس
كيـــف يمكـــن لـــصفا أن يفـــشى أســـرار العـــشق لمـــاجن؟
لـــيس كـــل مـــن يـــئن لأنـــين النـــاى مهيـــأ فى كـــل وقـــت كالنـــاى[1]

---

(١) يمكن مقارنتها بالقطعة التي نظمها ملك الشعراء بهار للغناء : حبيبي غافل عني لا ينظر إلى حالى البائس . . .

وليس لدينا كلام كثير يُقال عن صفا فيما عدا أنه يجب أن نشير إلى قصيدته المفصلة التى نظمها فى انتقاد أوضاع خراسان الاجتماعية، وقد تتبع فى نظمها قصيدة أبى حنيفة الإسكافى[1] المعروفة، والتى يقول مطلعها " عندما سئم الملك حفل الروضة "، وبرغم أن انتقاد صفا للأوضاع جاء بدافع عزلته المستمرة ونتيجة الميل الانتقامى والعداء الشخصى، فإنه أورد فى هذه القصيدة بعض النقاط التى تجعلها تقترب بشكل عام من القصائد التى نظمت فيما بعد فى عصر الحرية والحركة الدستورية فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية على يد أشخاص أمثال أديب الممالك الفراهانى وملك الشعراء بهار.

ونعرض فيما يلى أبياتًا من تلك القصيدة

عندما تحل مشكلة خراسان
سأحل مشاكلى بسهولة
سأذكر الأمور الهيّنة لأننى لو قلت الصعب
فإن مشكلة خراسان ستتعقد مرة واحدة
إن مشرق الشمس، سماء الحقيقة
قد اختفت الآن تحت سحابة الظلمة
فعالمها مرتش وحكومتها دنيئة
جماعة الأوباش مطمئنة والمملكة مضطربة
الغول فيها هو الرئيس والشيطان فيها هو الأمير
الوالى شيطان، وجنود الوالى شياطين

---

(١) المراد على ما يبدو الشاعر أبى حنيفه الدينوري، من شعراء عصر السلطان سنجر السلجوقى (٥١١-٥٥٢هـ ق/١١١٧-١١٥٧ م)، وكان يعيش فى مرو ينظم الشعر ويعمل إسكافيًا لذا عرف بأبى حنيفة الإسكافى. (المترجم) .

قصر الحكومة عامر بيد المظلمة
وقصر العدالة خرب بقدم المفسدة
الأحمق أجلس المفسدة فى حجره
والشيطان أجلس المظلمة فى ساحة العدل
إنها مملكة جمشيد وقد غاب هذا الجمشيد
فجلس الشيطان الوقح فى الإيوان
لقد بسط سليمان العدل فى أرجائها
والشيطان المحتال هو الآن حاكم بساط سليمان
الإنسان فيها جالس على جناح العنقاء
فصارت خراسان كجبل قاف والإنسان كالعنقاء
لم يظهر على الساحة ورد لحديقة البقاء
لم يبق لبن فى ثدى أم الوفاء
العدل فى هذه البلدة جليس العنقاء
والعلم فيها زميل النسيان
مقصد الأولياء أصبحت مرتعًا للجهلاء
يا حسرتاه على هؤلاء القوم الغارقين فى الخذلان!
نهر الحيل يجرى من جوانب هذه المملكة
ويتفرع فى كل مكان واليابسة هى عين الحياة
لقد أصبح الجهل كالسحابة السوداء فأسقط الظلم
على هذه الأرض كقطرات المطر
عالم أركان المدينة بغى ؛ أو اثنان أو ثلاثة

وعامـــــــل ديــــــوان الملــــــك قـــــوّاد ؛ أو اثنــــــان أو ثلاثـــــة
عـــــدل المزكــــــى[1] هـــــو الرشـــــوة لـــــدار القـــــضاء
والبرهـــــان القـــــاطع هـــــو المـــــال النقـــــدى لـــــديوان الحكومـــــة
يبيعـــــون الـــــدين ويأخـــــذون الـــــذهب المغـــــشوش
لـــــو أنـــــا كـــــافر، إذن هاتـــــان الفرقتـــــان مـــــسلمتان !
إن معـــــول الظلـــــم والـــــضلالة متطـــــاول
يقتلـــــع المملكـــــة مـــــن جـــــذورها
يخلعـــــون الثـــــوب عـــــن الجـــــسد فـــــلا يبقـــــى إلا الجلـــــد
يـــــأكلون خبـــــز اليتـــــامى فـــــلا تبقـــــى غـــــير الـــــروح
يـــــا صـــــاحب العـــــدل يـــــا إلـــــه النـــــاس اكـــــشف هـــــذا الأمـــــر
وأظهـــــره لملـــــك ملـــــوك إيـــــران

٢ - نعيم

ولد محمد بن حاجى عبد الكريم المتخلص بنعيم والمعروف بميرزا نعيم السدهى فى منتصف شعبان سنة١٢٧٢هــ ق، بقرية فروشان إحدى قرى بلوك سده، مركز ماربين بمدينة أصفهان، وتعلم مقدمات الفارسية والعربية فى نفس هذا المكان، وكان نعيم ينظم الشعر منذ ريعان شبابه وقد صاحب الشاعرين الأخوين "نير و سينا" اللذين كانا قد ظهرا على الساحة فى قرية فروشان، وكان هؤلاء الثلاثة يتبادلون فيما بينهم نقد أعمالهم والقيام بتعديلها وإصلاحها، وفى عام ١٢٩٨هــ ق، اعتنق نعيم البهائية وقام بالدعوة لها فضرب وجُرح وفرّ ليلاً إلى طهران، وهناك عاش فترة فقيرًا مسكينًا وقام بالتدريس بعض الوقت. وبعد ذلك اختلط بالأمريكيين والإنجليز وعُين فى منصب معلم

(١) المزكى هو الشخص الذى يقول رأيه عند القاضى بشأن عدل ونزاهة وتقوى الشهود . (المترجم) .

اللغة الفارسية فى السفارة الإنجليزية، وظل على هذه الحال حتى توفى فى صباح يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأول سنة ١٣٣٤هـ ق، حيث كان عمره آنذاك واحدًا وستين عامًا وبضعة أشهر .

وما تركه نعيم فيما يبدو محصور فى أشعار معدودة طبعت فى بومباى بعنوان كليات نعيم، والجزء الأعظم منها هو منظومة " استدلالية " وقد حاول الشاعر أن يثبت أحقية البهائية عن طريق الاستشهاد بالآيات والأحاديث والروايات والاعتراف بالأديان الأخرى.

ولنعيم مخمس مفصل نظم على وزن وأسلوب قصيدة قا آنى المشهورة "بهاريه" (الربيعية).

وفيما يلى جزء من ذلك المخمس :

طفـــل الربيـــع الرضـــيع أخـــذ حُـــسن الـــشباب

الـــبرعم الرضـــيع غـــسل شـــفتيه مـــن اللـــبن

وصـــارت الأشـــجار كلـــها مُثمـــرة ومُعطـــاءة

وأفـــشى العـــالم كـــل مـــا عنـــده مـــن أســـرار للزمـــان

مثلمـــا انكـــشف ســـر اللـــه فى هـــذا اليـــوم

مـــضى فـــصل الربيـــع وهبّـــت الريـــاح الآياريـــة[١]

وظهـــرت الفواكـــه مـــن جميـــع الألـــوان علـــى كـــل شـــجرة

البنفـــسجى والأصـــفر والأزرق،الأســـود والأحمـــر والأبـــيض

وهالـــت الصفـــصافة التـــراب علـــى رأســـها حـــسرة علـــى عـــدم الإثمـــار

وأشـــعلت شـــجرة الـــسنار النـــار فى نفـــسها حزنًـــا علـــى فروعهـــا الخاويـــة

(١) آيار هو أحد الأشهر اليهودية والذى يوافق ثالث شهور الربيع .

ومــــرة ثانيــــة أثــــار البــــستان غــــيرة الفــــردوس الأعلــــى
وأخــــذت حكايــــة المــــاء والطــــين صــــورة الوجــــود
وظهــــر المــــاء المعــــين فى صــــور متنوعــــة
الفــــستق واللــــوز والجــــوز والبنــــدق والزيتــــون والــــتين
الأتــــرج واللارنــــج والــــسفرجل والكمثــــرى والتفــــاح والرمــــان
عنــــدما رأى الــــدهقان أن عطــــارد قــــد ألقــــى بــــشعاعه فى الآفــــاق
وصــــبّ النــــار علــــى القــــصور الــــستة[1] وأشــــعل الأفــــلاك التــــسعة
اقتلــــع المــــترل مــــن المــــشتى، وضــــرب الخيمــــة فى المــــصيف
ســــخر مــــن الكتــــاب واســــتهزأ بــــالأوراق
رحــــل عــــن المدينــــة وألقــــى متاعــــه فى الحديقــــة
انظــــر إلى الحديقــــة الغنيــــة فــــسكرها كــــثير
فــــضتها وذهبــــها متنوعــــان، ياقوتمــــا ولؤلؤهــــا متعــــدد الألــــوان
زبرجــــدها بالمكيــــال وزمردهــــا بالأحجــــار
لآلئهــــا بالحفنــــة ودراريهــــا بالــــصاع
خزائنــــها جبــــال جبــــال، وجواهرهــــا أكــــوام أكــــوام
والحديقــــة بعــــد فــــروردين ســــلمت أولادهــــا لأرديبهــــشت
وبعــــد ذلــــك ســــلمهم أرديبهــــشت فى يــــد خــــرداد[2]
ثم أعطــــاهم شــــهر خــــرداد لــــتير ومــــرداد[3]
تــــارة يــــسلمهم للمربيــــة وتــــارة أخــــرى يعطــــيهم للمعلــــم

---

(١) القصور الستة ، كناية عن الدنيا نظرًا لجهاتها الست .
(٢) فروردين وأرديبهشت وخرداد هى الأشهر الثلاثة الأولى من السنة الشمسية المعمول بها فى إيران (المترجم).
(٣) تير ومرداد هما الشهران الرابع و الخامس من السنة الشمسية .

حــــتى صـــــار كـــــل أطفـــــال الحديقــــــة كـــــاملى العيــــار

بمـــا أن الـــبرعم قـــد أخـــرج الفـــرع فى الربيـــع الجديـــد

فإنـــه قـــد ســـقط بعـــد ذلـــك لأن الفـــرع أخـــرج ثمـــاره

نتيجـــة التلقـــيح المتبـــادل حيـــث إنـــه أخـــرج الفـــرع

والحبـــة أخرجـــت الجـــذر والجـــذر أخـــرج الفـــرع

والفـــرع أخـــرج الورقـــة والورقـــة أخرجـــت الثمـــرة

وكانـــت تكعيبـــة العنـــب الملتويـــة تـــشبه الفلـــك

فكانـــت عناقيـــد عنبـــها هـــى الـــسهيل والثريـــا

وكانـــت مجموعـــة النـــسرين علـــى غـــصن النيلـــوفر

كالمـــسبحة الفـــضية فى يـــد شـــيخ المدينـــة

أو عقـــد مـــن اللؤلـــؤ النفـــيس فى رقبـــة العجـــوز

٣ - شوريده

هو حاجى محمد تقى شوريده، الشاعر الشيرازى الكفيف الذى يصل نسبه طبقًا للشواهد إلى "أهلى الشيرازى" صاحب المثنوى المشهور"سحر حلال" (السحر الحلال)، ولد فى ذى الحجة سنة١٢٧٤هـ ق، وفقد بصره وهو فى السابعة من عمره متأثرًا بمرض الجدرى، وبعد عامين توفى والده عباس الذى كان يعمل حرفيًا فى شيراز، وتولى الخـال رعاية وتربية هذا الطفل الكفيف.

وفى عام١٣١١هـ ق، انتقل شوريده من شيراز إلى طهران برفقة حسينقلى خان مافى (نظام السلطنة) وتقرّب إلى الأتابك ميرزا على أصغر خان وتم تقديمه لناصر الـدين شاه وابنه مظفر الدين شاه، وأنشد قصائد فى مدحهما ونال لقب مجد الـشعراء وبعـد ذلك فصيح الملك.

وعاد شوريده إلى شيراز فى عام١٣١٤هـ ق، وعاش حياة مرفهة من دخل الضيعة التى كانت الحكومة قد منحتها له كإقطاع، وظل فى شيراز حتى توفى يوم الخميس السادس من ربيع الثانى سنة١٣٤٥هـ ق (٢١مهر ١٣٠٥ش) .

وغزليات شوريده تمتزج بالوجد والشجون :

ستأتى أم لن تأتى ؟

تلك الملائكية الوجه هل ستقترب ذات يوم من بابى أم لن تقترب

أريد أن يمر الوقت وتعود أم لن تعود

هل ستظلنى عناية تلك الشمس أم لا

وأمسك بيدى طرف ثوب تلك السروة المدللة أم لا

فضح طفل دموع عشقى أمام الناس

فالطفل لا يعتبر من عداد أهل الأسرار، أم لا

قبل أن تمضى الأيام ويُطوى كتاب عمرى

هل ستأتى رسالة من حى الحبيب العطوف أم لن تأتى

ما دام لا يرى آهتى فهل سيحترق قلبه علىّ أم لن يحترق

ما دام الحديد لايرى النار فهل ينصهر أم لا ينصهر

عشقًا لبلدة السرى و أصالة شعبها

هل ستهب رائحة عالية الطراز من شيراز أم لن تهب

ليس فى قلب العاشق المجنون سوى الأحبة

فهل يتذكر قلب محمود شيئًا سوى إياز، أم لا

ومن أشعار شوريده المفتون الأخرى :

إن حسنك له فى كل لحظة طلب آخر

لــــه فى كـــل وقـــت وجـــد آخـــر وضـــجة أخـــرى

لم يـــضع كاتـــب ديـــوان الأزل علـــى صـــفحة

القلـــب ختمًـــا آخـــر إلا حاجبـــك

أيهـــا الأصـــدقاء أنـــا ثمـــل فاقـــد الاتـــزان

فـــأدركوا الثمـــل بكـــأس أخـــرى

منـــذ ذلـــك اليـــوم الـــذى رأيـــت فيـــه عـــين الـــساقى الجميلـــة

زادت رغـــبتى فى كـــأس ثانيـــة والمزيـــد مـــن الـــصهباء

والقلـــب تـــارة يطلـــب الوصـــال وتـــارة يميـــل إلى الهجـــر

فهـــذا المفتـــون لـــه فى كـــل لحظـــة أمنيـــة أخـــرى

مـــن المنطقـــى أن تهـــب عاصـــفة فى كـــل لحظـــة

وينـــساب مـــن كـــل هـــدب مـــن أهـــدابى بحـــر آخـــر

بقيـــت بخطـــوة واحـــدة بـــينى وبـــين الـــسروة، فأمـــام الـــدلال

لا تـــستطيع أن تخطـــو خطـــوةً أخـــرى للأمـــام

مـــا أجمـــل تلـــك الليلـــة الـــتى أمـــسك فيهـــا خـــصلتك بيـــدى

كـــى أشـــرح لهـــا قـــصة الليـــالى الأخـــرى

فى المـــائتى قـــرن القادمـــة لـــن يكـــون هنـــاك مثلـــى ومثلـــك

معـــشوق آخـــر وعاشـــق مفتـــون آخـــر

٤ – أديب النيسابورى

ولد الشيخ عبد الجواد أديب بن الملا عباس فى عام١٢٨١هـــ ق، وكان من أسرة متوسطة تعمل بأمور الزراعة فى نيسابور، وفى سن الرابعة فقد عينه اليمنى تمامًا وجـــزءًا من اليسرى متأثرًا بمرض الجدرى، وبرغم ذلك درس العلوم التمهيدية فى مسقط رأســـه

حتى سن السادسة عشرة، وسافر إلى مشهد فى عام١٢٩٧هــ ق، وأقام فى "مدرسة خيرات خان" وبعد ذلك فى مدرستى "فاضل خان" و"نواب" وبعد المطالعة والتحقيق فى الفنون الأدبية والإلمام باللغة والشعر العربى قام بالتدريس للطلاب فى مشهد ثلاثة وأربعين عامًا .

عاش أديب كل عمره أعزب وتوفى بمشهد فى١٢ذى القعدة سنة١٣٤٤هــ ق، وأشعاره حوالى خمسة آلاف بيت من قصيدة وغزل ورباعى وأغلبها بالأسلوب الخراسانى، وقد طبعت بسعى واهتمام عباس زرين قلم تحت عنوان "لئالى مكنون" (الدر المكنون) .

ليت:

ليت محبوبى يكون عادلاً مع قلبى
ويسعده بنظرة واحدة من حين لآخر
أخشى أن ذلك الوجه الشبيه بليلى وذلك القلب الشيرينى
يجعلنى ذات يوم مجنونًا مثل فرهاد[1]
عندما تهب الرياح على ذلك الوجه وعلى ذلك الشعر
يتذكر قلبى أوامر الأستاذ
"تلك الخصلة السوداء على تلك الوجنة بالضبط كأن
أحدًا يشعل النار فى ريش الغراب[2]"
يعطينى خمرًا مرة المذاق ولا يمنحنى قبلة حلوة
أين القاضى الذى يعدل بينى وبينه

---

(١) الوجه الشبيه بليلى المقصود ليلى محبوبة المجنون، والقلب الشيرينى نسبة إلى شيرين محبوبة كسرى فى القصة الشهيرة خسرو وشيرين، وفرهاد هو منافس خسرو فى حب شيرين. (المترجم) .

(٢) محمد صالح المروزى أحد الشعراء المتقدمين (لباب الألباب) .

لا أعلم:

لا أعلـــم مـــا هـــو الحـــزن أو مـــا هـــى الـــسعادة

مـــا هـــو الـــذنب فى الـــدنيا وعـــصير العنـــب

مـــــاذا يوجـــــــد تحـــــــت الأرض

ومـــاذا وُضـــع داخـــل القبـــاب وفـــوق القبـــة

لـــو أن البرهـــان ظـــاهر للأشـــعرى

فمـــا الـــذى يـــؤثر فى مـــزاج المعتـــزلى

لـــو أن الـــصوفى يعتـــبر اللـــه واحـــدًا

فمـــا هـــو الوصـــول والخلـــسة والجـــذب والطلـــب

إذا اتجهـــت إلى أى ناحيـــة فأنـــت تتجـــه نحـــوه

فمـــا هـــى نظريـــة الأدب فى وضـــع الكعبـــة

إذا كـــان المـــريض هـــو طبيـــب نفـــسه

فلمـــاذا أنـــتم فى هـــذه الحرقـــة والـــذوبان فى فراقـــه

لـــو يعلـــم أنـــك لا تعـــرف ســـوى حبّـــه

مـــا الـــسبب فى أن قلبـــه لا يحتـــرق علينـــا

لـــو أن هـــذه التجليّـــات قـــد خرجـــت مـــن حُـــسن الأزل

فمـــا هـــو ذنـــب الحـــسناوات عـــذباوات الـــشفاه

والآخـــرون قـــالوا هـــذا الكـــلام أيـــضًا

وأنـــا لا أقـــول بمفـــردى فلمـــاذا الغـــضب

مـــا أحـــسن مـــا قـــال، كـــل مـــن كـــان موجـــودًا قـــال

أى ثـــوب أفـــضل مـــن هـــذا علـــى جـــسم البرهـــان

"رياح الشمال تهب من ناحية بغداد
فما هو ذنب أهالى شط العرب "
يا أديب مع هذا الطبع الذى يتصف به
لم يكن عجيبًا أن يريق الدماء،فما هو وجه العجب

والشعر السياسي الوحيد الذى أعرفه لأديب النيسابورى هو قصيدة أنشدها حول الاتفاقية الإنجليزية الروسية عام ١٩٠٧ وتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ، وأنا سأعرض أبياتًا منها :

من كان يظن أن المؤسسة الفريدونية
سيقسمها العدو هكذا عن اليمين و اليسار
كيف يجوز ضرب مجلس الأنس والطرب النوشروانى
عن اليمين واليسار وشطره إلى نصفين
كل هذا لا يكون إلا بسبب سلوك شعبه
البعيد عن أخلاق الأجداد القدامى
سواء الشيخ أو الشاب كلهم يستحقون الذبح
سواء المرأة أو الرجل كلهم يستحقون الشنق
عاشوا الحلم الأحمق بخلود الإيرانيين
ونسى الكبير والصغير قصة أصحاب الكهف والرقيم[١].

(١) يطلق الرقيم على أشياء متعددة مرتبطة بأهل الكهف منها : اسم قريتهم ، اسم الجبل الذى كانوا به، اسم كلبهم ، اللوح الذى كتبت عليه أسماؤهم ونسبهم ودينهم وقصتهم. (المترجم).

الباب الأول

الصحف والمطبوعات فى العصر الدستورى الأول

الفصل الأول

الصحف وموضوعاتها

لا شك أن الحركة الثورية قد انعكست أيضًا على الحياة الأدبية بالدولة، فانضم سريعًا مجموعة من الشعراء والكتّاب إلى معسكر الأحرار، ووجدوا مع بداية الحركة الدستورية الفرصة كى ينهضوا عن طريق القلم ويهبوا للقتال بحرية وعلانية، ولكن كانت أوضاع الأحرار صعبة وغير ملائمة لأن آلات الطباعة والورق وكل أدوات العمل كانت فى يد الحكوميين والمستبدين، ومع كل هذا فقد تركزت حملات الأحرار الإعلامية وحروبهم القلمية فى الصحف بالرغم من أنها كانت تتم بصعوبة، وبهذه الطريقة انحصر أدب عهد الثورة فى إطار الصحف الضيق، حيث كانت الصحيفة هى الوسيلة الوحيدة لنشر المعتقدات بحيث يمكن القول بأنه لم يكن يوجد أى كتاب أو رسالة تقريبًا فى هذا العصر .

وبعد إعلان الحكم الدستورى وحرية المطبوعات زاد عدد الصحف، صدرت عشرات الصحف فى طهران والرشت وتبريز وسائر المدن الإيرانية. وأولى صحف العهد الدستورى التى ظهرت بعد افتتاح البرلمان فى إيران كانت هى صحيفة " مجلس " والتى صدرت فى ٨شوال سنة١٣٢٤هـــ ق، وكانت صحيفة " مجلس " تنشر أساسًا أخبار ووقائع جلسات مجلس الشورى الوطنى، وكانت قد تأسست على يد أحد أعضاء الحزب الدستورى وهو ميرزا سيد محمد صادق الطباطبائى، وهو ابن ميرزا سيد محمد الطباطبائى المجتهد المعروف، وأحد الزعيمين الدينيين للحركة الدستورية، وقد ظل وفيًا لمعتقدات والده المستنير فكان يدعو الناس دائمًا فى صحيفته للأخذ بسبل الحضارة التى كان يعتبرها الوثيقة الوحيدة للحرية والرفعة الوطنية.

وعلاوة على أخبار المجلس فقد كانت هذه الصحيفة تنشر أيضًا أشعارًا لمدير الصحيفة الشاعر المعروف أديب الممالك الفراهانى.

وبعد صدور صحيفة " مجلس " اتجه الجميع كالمجانين نحو الكتابة الصحفية وظهرت صحف عديدة فى طهران والمدن الأخرى بأسماء : وطن، نداى وطن، نداى إسلام، كليد سياسى، كشكول، مساوات، تمدن، صبح صادق، حى على الفلاح، صراط مستقيم، روح القدس، روح الأمين، كوكب درىّ، نيّر أعظم، الجمال، الجناب، آئينهء عيب نما، جام جم، عراق عجم، زبان ملت، آدميت، تدين، اتحاد، گلستان سعادت، قاسم الأخبار وغيرها مع بعض الكتابات التى تتصدر الصفحة الأولى من آيات القرآن وكلام العظماء والموضوعات المتفرقة والمتنوعة، إلا أن هذه الصحف لم تستمر طويلاً وسرعان ما أغلقت باستثناء البعض منها، وكانت بعض هذه الصحف مثل نداى وطن وتمدن ومساوات والجمال تنشر أيضًا بعض الأشعار والأعمال الأدبية علاوة على الأخبار والمقالات السياسية. وكان يحرر صحيفة "مساوات" سيد محمد رضا الشيرازى والذى كان رجلاً جريئًا وعنيدًا، وأخذ هو وسلطان العلماء الخراسانى يصطدمان بمحمد على ميرزا، ويكتبان نقدًا لاذعًا[1].

وفى آخر الأشهر التسعة الأولى بعد إعلان الحكم الدستورى ظهرت فى طهران صحيفة محترمة بعنوان "حبل المتين" وصحيفتان أدبيتان أيضًا الأولى هى "تاتر" والثانية هى "صور إسرافيل" .

وقد أسس "حبل المتين" الصادرة فى طهران سيد حسن الكاشانى الشقيق الأصغر لمؤيد الإسلام صاحب "حبل المتين" الصادرة بكلكتا فى ١٥ربيع الأول سنة١٣٢٥هـ ق، وهى فى الواقع تابعة لها، وكانت تصدر يوميًا على ورق فاخر وبخط جميل . وبما أن مقالاتها كان يكتبها الشيخ يحيى الكاشانى والذى كان كاتبًا جيدًا وأيضًا أكثر اطلاعًا من

(١) سيد أحمد كسروى، تاريخ مشروطيت إيران، بخش دوم (الجزء الثانى) .

الآخرين، فقد كان لها قرّاء كثيرون، وقد استمر إصدارها حتى قصف المجلس، وبعد فتح طهران بدأت "حبل المتين" فى الانتشار مرة ثانية، وفى هذه المرة توقفت فى عام ١٣٢٧هـ ق، لمدة ٢٣ شهرًا.

أمّا صحيفة "تئاتر: المسرح" والتى كانت تصدر مرة واحدة كل خمسة عشر يومًا فقد كانت تنشر على صفحاتها المشاهد الدراماتيكية فى صورة حوار وسؤال وجواب حيث كان الهدف من ذلك هو انتقاد أسلوب حكم العصر القاجارى ورجال عهد الاستبداد، وبدأ إصدار هذه الصحيفة فى الرابع من ربيع الأول سنة ذ١٣٢٦هـ ق، كان ميرزا رضا خان الطباطبائى النائينى، عضو البرلمان فى دورته الثانية يتولى إصدارها، وتعد من الصحف الجيدة فى ذلك العصر.

أمّا "صور إسرافيل" فقد أسسها ميرزا قاسم خان التبريزى وميرزا جهانگيرخان الشيرازى، وكان ميرزا على أكبر خان دهخدا (دخو) من كتّابها، وسوف نتحدث بالتفصيل وعلى حدة عن هذه الصحيفة التى كانت تشبه تمامًا صحيفة "ملا نصر الدين" القوقازية سواء من حيث الأسلوب الأدبى أو من حيث الموضوعات وكذلك من نواحٍ كثيرة أخرى .

وسرعان ما اقتدت المدن الأخرى أيضًا بطهران فصدرت صحف فى كثير من المدن، ففى تبريز ظهرت أولاً صحيفة "أنجمن"، وهذه الصحيفة التى صدر عددها الأول فى غرة رمضان سنة١٣٢٤هـ ق، كان اسمها فى البداية "روزنامهء ملى" ثم أصبح بعد فترة "جريدهء ملى"، وكانت تنشر أخبار أذربيجان بلغة بسيطة، وتعد واحدة من أكثر الصحف المفيدة فى ذلك العصر، تولى تحريرها ميرزا على أكبر خان بن سيد هاشم الچرندابى أحد أفراد أسرة وكيلى، والذى كان توقيعه فى أول الأمر "سروش غيبى"، وكانت جمعية تبريز الوطنية تقوم بمراقبة هذه الصحيفة والإشراف عليها.

أمّا صحيفة "عدالت" التى كانت تصدر قبيل الحركة الدستورية باسم "الحديد"، فقد سُميت بهذا الاسم منذ عام ١٣٢٤هـ ق، تولى إدارتها وتحريرها ميرزا سيد حسين

خان أحد الفضلاء، امتنع عن التملق وكتب مقالات مفيدة، ولكن نظرًا لأنه كان قد عاش فترة طويلة فى روسيا فقد تحدث فى صحيفته عن حرية المرأة بمجرد أن ظهرت الحرية، وبما أن هذا الكلام لم يكن مناسبًا فى ذلك الوقت فقد قامت الجمعية نفسها والأحرار بإغلاق صحيفته وأخرجوه من المدينة.

وكانت صحيفة "أذربيجان" هى أكبر صحف تبريز وأكثرها احترامًا والتى ظهرت فى السادس من محرم سنة١٣٢٥هـ ق، وقد أسس هذه الصحيفة الحاج ميرزا آقا بلورى أحد المجاهدين والتجار الذين شاركوا فى الثورة الدستورية، وتولى تحريرها ميرزا عليقلى صراف الذى كان يكتب فى السابق رسالة "احتياج واقبال"، وظلت صحيفة "آذربيجان" تصدر لمدة عام باللغتين الفارسية والأذربيجانية وعلى غرار "ملا نصر الدين" القوقازية وكانت تتضمن أيضًا رسومًا كاريكاتورية، وهى أول صحيفة تطبع بالحروف الرصاص فى تبريز[(١)].

وقد ظهرت صحف أخرى أيضًا فى تبريز بأسماء : أميد، آزاد، اتحاد، أخوت، إبلاغ، مصباح، مجاهد، حشرات الأرض، والتى اختفت جميعًا بعد صدور عدة أعداد منها.

وكان يكتب صحيفة "مجاهد" سيد محمد أبو الضياء بمشاركة حاجى ميرزا آقا بلورى فى عام١٣٢٥هـ ق، وكانت من الصحف المحترمة فى تبريز .وفى آخر عام١٣٢٥هـ ق، نشرت مقالة فى هذه الصحيفة تعرّض خلالها سيد كاظم اليزدى مرجع التقليد الشيعى للسب والقذف وأطلق عليه " شبيه ابن ملجم "، فنشرت جمعية تبريز بيانًا أعلنت فيه استياءها من تلك المقالة واستنكارها الشديد لما ورد فيها، واستدعت أبا الضياء إلى مقر الجمعية وبعد المحاكمة عوقب بالضرب بالعصا والطرد من المدينة .

---

(١) عندما كان محمد على ميرزا متجهًا من تبريز إلى طهران اشترى بلورى مطبعته وأحضرها إلى منزله وبعد ذلك ظل يطبع فيها معظم كتابات الأحرار ثم صحيفة "أذربيجان" .

وكانت "حشرات الأرض" صحيفة فكاهية مُصورة وبدأت تصدر مزودة برسوم كاريكاتورية ملونة فى ١٤صفرسنة١٣٢٦هـ ق تحت إدارة حاجى ميرزا آقا بلورى، وكانت مقالات هذه الصحيفة تكتب على لسان مجنون تبريزى معروف ومتجول بالسوق ويدعى "غفار وكيل" تقليدًا لملا نصر الدين القوقازية، ولم يصدر من هذه الصحيفة حتى بداية الحرب والثورة أكثر من عشرة أعداد ونيف، وقد صدرت "حشرات الأرض" مرة ثانية فى العصر الدستورى الثانى ولكن سارعت الحكومة بإغلاقها بعد صدور عدد واحد منها .

وفى الرشت كانت تصدر صحيفة "نسيم شمال" الفكاهية والتى كانت تنشر أشعار سيد أشرف الدين الحسينى ونحن سنتحدث عنها على حدة، وفى أرومية (رضائيه حاليًا) صدرت صحيفة "فرياد" المحترمة لصاحبها ميرزا حبيب اللـه آقازاده وكاتبها ميرزا محمود غنى زاده .

وقد ظهرت صحف فى المدن الأخرى أيضًا ونشرت لفترة إما قليلة أو كثيرة .

ومسألة البحث والتحقيق فى تاريخ الصحافة الإيرانية وإعداد قائمة بأسماء جميع صحف العاصمة والمدن وخصائص كل صحيفة من هذه الصحف التى كانت تحارب وتبذل التضحيات والفداء فى سبيل الحرية فى تلك الأيام المضطربة، تعتبر مسألة صعبة جدًا ومُثيرة للاهتمام، ولكن هذا الكتاب لن يستوعبها، وسنكتفى فقط بالحديث عن بعض هذه الصحف ممن كانت لها قيمة أدبية فى موضعها .

وقد قام رابينو[1] فى كتيب "فهرست الجرائد الفارسية" والذى نشره فى الرشت سنة ١٣٢٩هـ ق، وميرزا محمد على خان تربيت أحد علماء ومستنيرى أذربيجان فى

(١) Rabino : القنصل الإنجليزى الأسبق فى رشت ، والذى كان والده جوزيف رابينو مدير البنك الشاهنشاهى الإنجليزى فى طهران، ولهذا السبب اطلع على الحياة الإيرانية بشكل أسرع وأفضل، واشترك بعد ذلك فى عضوية جمعية باريس الآسيوية ثم تقاعد بعد احتلال المناصب السياسية فى المغرب ومصر وكتب رابينو كتبًا عديدة حول جيلان والتى قد أصبحت سببًا فى شهرته ، فمثلاً ألف كتابا مفصلا بعنوان "جيلان" وعرّف أوربا بتاريخ جيلان وجغرافيتها الإدارية والاقتصادية .

رسالته المعروفة باسم "أوراق من دفتر تاريخ الصحف الإيرانية والفارسية " والتى نشرت ترجمتها الإنجليزية بمهمة إدوارد براون سنة١٣٣٣هـ ق[1]، قاما بتفنيد الصحف الفارسية وعرضا قائمة بأسمائها، حيث ذكر براون فى القائمة التى أعدها حول الصحف الإيرانية وفقًا لما كتبه تربيت، ثلاثمائة وواحدًا وسبعين صحيفة، وقد زاد عددها بالطبع فيما بعد بشكل غير عادى[2].

كما أن غالبية زعماء الثورة الدستورية كانوا عاجزين وحائرين فى أمرهم برغم كل ما كان بداخلهم من ثورة وحماسة وغليان، بسبب عدم الاطلاع على أحوال العالم وعدم معرفة المعنى الصحيح للعمل الدستورى والحرية وعدم وجود مرشدين ومعلمين مطلعين على الحياة الاجتماعية وأسس إدارة شئون البلاد، فإن أغلب الصحف التى ظهرت فى العهد الدستورى لم تكن تعرف هى الأخرى الطريق الصحيح للسعى والكفاح، برغم أنه لم يكن لها سوى هدف واحد وهو خدمة الوطن وراحة الشعب، وكانت كل صحيفة تزن العمل الدستورى والحرية والقانون بميزان ذوقها وأفكارها ومعلوماتها المسبقة، وتستخدم كلاً من الحرية والعلم والصناعة والفن والحضارة وغيرها فى الغالب مكان بعضها بعضًا، وبدلاً من أن تقدّم المعنى الصحيح لكل مظهر من مظاهر الحياة الحرة الكريمة كانت تمتلئ بالعبارات العامة حول كل مسألة من هذه المسائل أو تقوم بالذم والسب والشكوى والأنين من البلاط والملك والحاشية ومسئولى الدولة دون أن تقدم سبيلاً للخلاص. ولم يكن أغلب الكتّاب يعرفون أصلاً ماذا يكتبون ولمن يكتبون، وفوق كل هذا فقد كان أساوب الكتابة فجًا وبدائيًا بشكل غير عادى. فمن ناحية لم يكن ذلك الأسلوب المعقد والغامض والمملوء بالمحسنات البديعية والمتعلقة بالعصر القديم مناسبًا لبيان قضايا العصر، ومن ناحية أخرى لم يكن النثر الحديث قد شق

(1) The Press and Poetry of Modern Persia , Cambridge , 1914

هذا الكتاب ترجمه إلى الفارسية محمد عباسى بالحواشى والملحقات فى مجلدين .

(٢) ألف سيد محمد صدر هاشمى أخيرًا "تاريخ جرايد ومجلات إيران " بالتفصيل فى أربعة مجلدات ونشره فى أصفهان فى أعوام (١٣٢٧ – ١٣٣٢ ش) .

طريقه بعد، وكان الكتّاب يخلطون نفس معلوماتهم القديمة فى الفلسفة والعرفان والحديث والأمثال والحكم بأشعارهم وأشعار الآخرين وينسجونها معًا ويصنعون منها مقالة أو موضوعًا، وبالتالى فإن ما كتبوه بالأمس عن العلم مثلاً كانوا يكتبونه اليوم عن الأخلاق وغدًا عن الحضارة والصناعة والفن وهكذا .

إن إيراد نماذج عديدة للكتابات الصحفية فى ذلك العصر أمر لا فائدة منه سوى زيادة حجم الكتاب، ومع هذا فإننا سنعرض فيما يلى عدة نماذج لبعض صحف العاصمة والمدن لزيادة اطلاع القرّاء على أسلوب الكتابة الصحفية فى ذلك العصر :

بسم اللـــه الرحمن الرحيم إن المسألة الواضحة والمؤكدة لأولئك المطلعين على تقدم الدول والأمم، أنه لم يرتق أى قوم من حضيض الذلة إلى أوج العزة إلا فى ظل العلم والاتفاق والتبرؤ من الجهل والنفاق، وقد ثبت بالتجربة أنه لحصول هذين الأمرين كان لابد من المحرك الذى يجذب أذهان العامة باستمرار نحوهما، وذلك بذكر الأحداث وشرح الوقائع بصورة سهلة وبسيطة، ونحن نسمى هذا المحرك الدائم فى الوقت الحالى الجريدة، فهى تعرض للجميع بتعبيرات عذبة وجمل ظريفة كل يوم أو كل أسبوع الأحداث الجارية والنصائح المفيدة وشكل وفوائد المخترعات الحديثة أو المفاسد وأضرار العادات الذميمة. واليوم وبعد سنوات طويلة من عدم الاطلاع والغفلة عن التأييدات الغيبية، اتجه كوكب حظ الإيرانيين نحو أفق الإقبال، وبدأ عامة أفراد الشعب فى البحث عن حقوقهم وإصلاح أمورهم بقلب واحد ولغة واحدة، ووافق الشاهنشاه (ملك الملوك) السعيد ــأنار اللـــه برهانه بقلبه الرؤوف جزاه اللـــه عن هذا العمل كل خيرــ على المطالب النبيلة للأمة، وأصدر فرمان الحرية، هذا هو الأب، أما ملكنا الرؤوف، محمد على شاه الذى قام بالإجراءات الملكية بنفسه بمنتهى الرأفة والرحمة من أجل استحكام هذا الأساس سواء قبل الجلوس على مقعد السلطنة أو بعده .

(صحيفة تمدن، طبعة طهران، العدد الأول المؤرخ ١٧ذى الحجة ١٣٢٤هـــ ق)

نحمدك اللــه يا من دلع لسان الصبح بنطق تبلجه[1]

لقد أقبل الصبح يا من أنت للصبح الظهير والمعين

آلاف الشكر للــه المتعال، فعند طلوع فجر السعادة ونداء الوحدة بين الحكومة والشعب والذى هو وقت الاستيقاظ من النوم الثقيل وطلوع شمس إقبال أهالى إيران، خرجت مجلة "صبح صادق" من أفق السعادة لتهدى العالمين إلى طريق الصدق والحقيقة ومعرفة اللــه والوطنية وأشكال التدين والصدق والوصول إلى نتيجة وفائدة الخلقة والوجود بقوة العزم والهمة وبارقة السعادة، وتوضح بالبيان الفصيح عوامل التقدمات الدنيوية والوصول إلى نقطة العلم والمعرفة ونشر الخدمات لأبناء الوطن ومكافحة الأمراض الناتجة عن البطالة والحزن وتكميل نواقص المعيشة وتحصيل مواهب الإنسانية والمدنية، ونسأل اللــه القادر الرحيم والعالم الظاهر الباطن، بمنتهى العجز والخضوع والافتقار والاستكانة، أن يحقق عن طريق قلم كاتب هذه الصحيفة كل ما فيه المصالح الخيرية والتقدمات الدنيوية والأخروية لأشقائنا الأعزاء أبناء الوطن، وأن يفتح أمام مطالعيها وقرّائها أبواب صبح السعادة، ويوقظ الجميع من النوم الثقيل ويفيقهم من غفلة ليل الجهل، إنه خير موفق ومعين والحمد للــه الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا اللــه .

" صبح صادق، طبعة طهران، العدد الأول المؤرخ ٢٣صفر١٣٢٥ "

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾[2]، وسهّل أمرى برحمتك يا أرحم الراحمين.

يــــا قلمــــــى يــــــا نــــــورًا مُبــــــدًا للظـــــــلام

يــــا قلمـــــى يــــا صــــبحًا مُــــضيئًا للنـــــهار

---

(١) من " دعاء الصباح " (وردت هذه الشطرة بنصها باللغة العربية فى المتن الأصلى . (المترجم).

(٢) القرآن الكريم ، سورة طه الأيات (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧).

يـــــــا قلمـــــــى يـــــــا كـــــــــزًا لا ينفـــــــد
يـــــــــا أنـــــــــيس الجفـــــــوة والهجـــــــران

يـــــــا قلمـــــــى يـــــــا كـــــــاتم أســـــــرار أفكـــــــارى
يـــــــا ترجمـــــــان فكـــــــرى وأســـــــرارى

أيهـــــــا المحبـــــــوس فى ســـــــجن الظلـــــــم
أيهـــــــا المظلـــــــوم مـــــــن هـــــــم وغـــــــم

ســـــــنوات وشـــــــهور وأنـــــــت تغـــــــط فى نـــــــوم عميـــــــق
فى حـــــــين يجـــــــب أن تكـــــــون أنـــــــت ذلـــــــك الـــــــدرغير المثقـــــــوب

انهـــــــض الآن فقـــــــد أقـــــــر الملـــــــك الدســـــــتور
فقـــــــد رآنـــــــا فى النـــــــار فأعطانـــــــا النـــــــور

اشـــــــرح أيهـــــــا الـــــــصقر مـــــــنير الجنـــــــاحين
مـــــــا تعرفـــــــه للملـــــــك ولمـــــــساعده

إيران، إيران، أيها الوطن المقدس، أيتها الأرض المقدسة الطاهرة، يا جنة الدنيا، أيها الوادى الساحر الجذاب، يا مقبرة أباطرة العالم، ويا مكمن الملوك والسلاطين، يا إيران، يا مهد المدنية ويا مهد الإنسانية، ويا منبع العلوم ويا منبع البدائع والفنون، يا إيران، كم أنت بلد جذابه، كم أنت مكان ممدوح .

(صحيفة أذربيجان، طبعة تبريز، العدد الأول المؤرخ ٦ محرم ١٣٢٥)

بعد الحمد للـــه والصلاة والسلام بدون انتهاء على خاتم الأنبياء وأئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام، ليعلم حضرات القرّاء الأعزاء أنه منذ سنوات طويلة وأنا أفكر فى إعداد وطبع الصحيفة، وبرغم هذه القدرة العاجزة فإننى كنت آمل فى تقديم هذه الخدمة البسيطة، ولكن فى كل مرة لم أكن أوفق فى الوصول إلى المقصود والمراد لحدوث مانع أو محظور،

حتى ألقانى قضاء اللـــه وقدره فى هذا البلد فى هذا العصر وتهيأت لى الظروف إلى حد ما من بعض الجهات الأخرى، ولذلك فقد قمت بتنفيذ مقصدى القديم بدون تضييع وقت، ولكن من الواضح أن هذا المقصد بالشكل الذى يريده ويتوقعه أصلاً أهل البصيرة كانت تلزمه بعض الأمور والتى لم تكن جاهزة كلها بشكل فورى، وحتمًا وقطعًا لن يكون العمل فى بداية الأمر مبرًا ومنزهًا من جميع النواقص والشوائب، فقط مطلوب من حضرات القرّاء الآن أمرين الأول أن يلتمسوا لهذا العمل العذر فى بداية الطريق والثانى أن يقدموا المساعدة مستقبلاً قدر الإمكان من أجل رفع نقائص هذا العمل، وعلى كل حال فإننى أسأل اللـــه المنان النجاح، فمنه التوفيق وعليه التكلان .

(صحيفة أصفهان، طبعة أصفهان، العدد الأول المؤرخ الاثنين متمم رجب١٣٢٥)

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) ﴾[١].

يا اللـــه يا قدوس، يا رحمن يا رحيم ! المدد المدد فأنت المدد لكل العالم، أى قدرة لأحقر العباد على التكلم فى هذا المحيط اللامتناهى بدون الاستعانة بقدرتك البالغة ، وأى قدرة للعاجز العابد على السير فى هذه الصحراء الشاسعة بدون هداية توفيقك ! يا رب، المدد يا رب فقد رحل الأتباع واستراحوا جميعًا فى المنزل المقصود ووصلوا إلى أقصى المرام، ولكن أخرجنا غيلان البشر من الطريق لهذا الوادى والأبالسة الآدميون لهذه الصحراء، وخطفوا من أيدينا زمام الإرادة وقوة السلطة المادية والمعنوية، وأجبرونا على الجرى زمنًا طويلاً فى الجبل والوادى ونحن مهملون ومشردون، يا رب، يا رب إنه وقت الفجر والجو مظلم قليلاً وهذا الطريق الذى أمامنا ضيق جدًا، ونحن أيضًا قد استيقظنا من النوم بنفخة الصور وصوت النفير، وما زلنا نسير حائرين ومخمورين، بنفس حالة الاضطراب التى تحدث نتيجة تناول خمر الصباح.

(صحيفة فرياد، طبعة أرومية، العدد الأول المؤرخ ٢١محرم١٣٢٥)[٢]

---

(١) القرآن الكريم، سورة طه، (الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨).

(٢) هذه النماذج قد نقلت من "تاريخ جرايد ومجلات ايران" تأليف سيد محمد صدر هاشمى .

ولابد أن نقول أيضًا: إن بعض كتّاب ذلك العصر كانوا قد اكتشفوا بأنفسهم الوضع المتدهور للصحف، وسخافة هذا النوع من الكتابة، ولكن لم يكن عندهم أى حل، مثلما نبّه إلى هذه النقطة سيد محمد رضا مساوات مدير إحدى أهم أربع صحف فى عهد الثورة، فى العدد الأول من صحيفته الصادر بتاريخ الأحد ٥ رمضان ١٣٢٥.

الفصل الثانى

الأشعار الصحفية

من الواضح أن النثر الصحفى لم يكن يستطيع بمفرده فى ظل مثل هذا الوضع أن يسد احتياجات دعاة الحرية فى التعبير عن المشاعر السياسية والاجتماعية، وكان المجاهدون الثوريون مضطرين للاستعانة بالشعر- الذى تغلب دائمًا على النثر فى إيران ليس هذا فحسب بل كان أفضل وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس- لنشر أفكارهم الجديدة، وتسلم الشعر فى الحقيقة جزءًا من المهام الصحفية .

ونحن نعلم أن الشعراء- حتى ما قبل الحركة الدستورية- كانوا يعيشون بعيدًا عن الشعب، وكان الشاعر محصورًا فى إطارالبلاط ورجال البلاط و لم يكن ينطق بكلمة واحدة إلا من أجل إرضاء أوليائه، وكانت الأشعار تدور فى الغالب حول المعشوق والخمر والصيد والحفلات والأعياد وفتوحات الممدوح، وبالتالى فإن الشعراء الذين كانوا قد تربوا فى مثل هذا المحيط الغارق فى الترف والنعمة والرفاهية لم يعرفوا إطلاقًا آلام الشعب ومتاعبه.

و لم يستفد الشعر الإيرانى من الحركة المعروفة باسم "العودة"، فالعودة قد خلصت الشعر الفارسى من الأسلوب الهندى وأعادته إلى العهد السابق، ولكن لم يترك شعراء هذا العصر الذين كانوا يريدون أداء دور الأساتذة الحقيقيين للعصور السابقة، سوى بعض النماذج التتبعية المُقلدة .

قالب الأشعار الصحفية : بظهور الحكم الدستورى طوى بساط البلاط الذى كان ملاذًا للشعراء، وأصبح الشعر فى متناول الشعب، ولكن لا شعراء عهد الثورة

كانت لديهم معرفة تامة باللغة الجافة وشديدة التكلف وسائر دقائق الفن الشعرى الإيرانى القديم، ولا تلك الأساليب والقوالب كانت سهلة ومناسبة للتعبير عن المشاعر والمفاهيم الجديدة، ولمّا لم يجد شعراء هذا العصر طريقًا آخر أمامهم، فقد قرروا مضطرين أن يصبوا مفاهيمهم وتعبيراتهم الجديدة وتصوراتهم الذهنية فى أوزان أبسط وأقصر، وهو ما وجدوه على الفور جاهزًا ومُعدًّا فى الأدب الشعبى .

وكان المهرجون والمطربون ولاعبو الأكروبات والمشعوذون قد ابتكروا منذ عهد بعيد نوعًا من العروض المضحكة فى إيران، وكانت هذه الفرق تتجول فى المدن والقرى وتقيم المسارح وتعرض فقراتها الصغيرة المضحكة، وكانوا يقومون أثناء التمثيل وأداء العرض الفكاهى بالسخرية والاستهزاء من المسئولين تارة بالتلميح وتارة بالتصريح، وظهرت فى حلقاتهم الأغانى المرتبطة بأحداث ووقائع العصر وأخذت تجرى على الألسنة ويرددها أفراد الشعب فى الحوارى والأسواق، وقد حلت هذه الأغانى فى الحقيقة محل اللغة الصحفية الحرة بعد الثورة الدستورية، واستخدمت مثل المطايبات الأدبية الجديدة، وقد استفاد الأدب الثورى الجديد من شكلها وقالبها فى الخطوات الأولى من التجربة، وهذه الأغانى التى كانت ملائمة لذوق الشعب بالنظر إلى بنيتها ونغمتها الخاصة، بمجرد انتشارها بين أهالى السوق والحارة كانت تجرى على الألسنة، تبث مشاعر اليقظة فيهم وتحث جماهير الأمة على الحركة والجهاد ضد النظام الاستبدادى.

الدرويش الثائر : تعتبر القطعة التالية هى أحد الأشعار الإيقاعية الغنائية والتى تتفوق على نظيراتها من ناحية الفن الشعرى، وهذا الشعر قد نظمه الأستاذ پورداود على لسان درويش متجول، وكما نعلم فإن الدراويش منذ العهد الصفوى وربما قبل ذلك كان لهم دور أساسى فى الدعاية والحركات السياسية(١) .

(١) أورد برتلس الترجمة الروسية لهذه الأشعار فى تاريخ مختصر أدبيات إيران (لينجراد ، ١٩٢٧) وقد تكرم الدكتور حسينعلى سلطان زاده بسيان وأعطانى نسختها الفارسية والتى كانت نادرة .

هو الحق مدد نظرة يا مولانا

هو الحق مدد نظرة يا مولانا

كيف أصبحنا بائسين هكذا ؟

وصرنا عجزة ومهمومين ؟

وتشردنا من بيتنا ؟

لا يوجد شخص شريد مثلنا !

هو الحق مدد نظرة يا مولانا

انظر إلى إيران الخربة

انظر إلى شعار الوطن فقد أصبح خرافة

لقد أصبح أهلها كلهم مجانين

لتفنى هذه النوعية من البشر

هو الحق مدد نظرة يا مولانا

لقد كان هذا البلد أفضل من زحل

كان محفلاً للأبطال

كان موضع حسد جميع الملوك

فأصبح عرضة للغول التترى

هو الحق مدد نظرة يا مولانا

ومنذ ذلك الحين ونحن نبحث عن طريق الرجال
نبحث عن علاج لآلام الوطن
إيران، إيران، إيران نقولها
فى أوراد الصباح والمساء ووقت السحر
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

إيران، إيران، يا قبلتنا
نحن العبيد أنت الإله الواحد
إن القلب والروح يمتلئان الآن بحبك
أنت روح القلب ونور البصر
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

هو هو هو هو، قل لى أين دارا ؟
أين شاپور ذلك القائد العسكرى العظيم ؟
أين أنوشيروان الذى اتخذ من الفلك خيمةً ؟
لقد رحلوا ولم يبق لهم أثر
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

عندما غابت شمس الملوك

أصبح العدو يترقب الليل كالخفاش
اللعنة على لعبة القدر
فقد أثارت الظلم ضدنا
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

إلى متى ستظل فى مأتم وفى بكاء ؟
إلى متى ستجرى الدموع من العينين ؟
إلى متى العار والذل ؟
إلى متى ستظل فى هذا الحزن الدامى ؟
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

آه آه فنحن سكارى من الخمر
ضعفاء ومدمنو أفيون وغارقون فى النوم
غافلون عن أنفسنا ولذا فنحن فى الحضيض
فاقدون الوعى لا ندرى بأنفسنا
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

الأمة غافلة والعدو فى عمل وسعى
فهذا نائم وذلك يقظ
هذا مدهوش وذلك منتبه

وبهذا الشكل ستزول الأمة
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

لقد استولى العدو على عشنا
مع أنه هو نفسه يعلم أن هذا بيتنا
ملأ بطنه بحبوبنا
وألقى الشرارة على بيدرنا
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

العدو الجائر فى تبريز
يذكرنا بظلم جنكيز
سبحان اللـــه على هذا السفاح
فقد أحرق الأخضر واليابس
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

نسعى بكل إخلاص من أجل الوطن
نلبس الحلة من يد الأجل
ونتجرع السم من كأس الفناء
حتى يذوق الوطن طعم الشهد
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

إننا نحتاج إلى السيف والبندقية
وشجاعة الأسد وقوة التمساح
وساعِد الشجعان فى وقت الحرب
لا وجه شاحب ولا عين دامعة
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

ابذل روحك هو هو هو هو
أسل دمك هو هو هو هو
اقرأ أيها الدرويش هو هو هو هو
اصرخ وارفع البلطة
هو الحق مدد نظرة يا مولانا

توقيع گل (الزهرة)

أغنية منارة هانم : أورد براون فى كتابه قطعة أخرى أيضًا والتى عنوانها " أغنية من كلام منارة هانم " بتوقيع هوپ هوپ (أى الهدهد)، وتحكى هذه القطعة عن حسرة وحيرة وندم الأمة الساذجة التى كانت تتوقع من الحركة الدستورية الحرية والراحة ولم تنعم بهما :

لقد كنت نائمًا يا أمى فرأيت حلمًا

أن شهر رمضان قد أقبل يا أمى   وأن الخبز واللحوم قد رخصت يا أمى
لقد كان حلمى كذبة يا أمى   وكل ما رأيته كان لبنًا رائبًا يا أمى

لقد كنــت نائمًــا يــا أمــى فرأيــت حلمًــا

أن الحكم الدستورى قــد أعلــن يــا أمــى وأنه قد أصــبح عــيش الفقــراء يــا أمــى

لقــد كــان حلمــى كذبــة يــا أمــى وكل ما رأيتــه كــان لبنًــا رائبًــا يــا أمــى

لقد كنــت نائمًــا يــا أمــى فرأيــت حلمًــا

أن الحـــارة جميلـــة يـــا أمـــى وأن مدينتنا قد أصــبحت أوربيــة يــا أمــى

لقــد كــان حلمــى كذبــة يــا أمــى وكل ما رأيته كــان لبنًــا رائبًــا يــا أمــى

لقد كنــت نائمًــا يــا أمــى فرأيــت حلمًــا

أن الحمّـــام نظيـــف يـــا أمـــى وطرقعــة الأصــابع متواصــلة يــا أمــى

مــرة ثانيــة الحمّــام خــرب يــا أمــى والبلـــد نـــائم يـــا أمـــى

لقد كنــت نائمًــا يــا أمــى فرأيــت حلمًــا

سأشــترى لــك الحلــوى المــسكرة حتمًــا سأشــترى لــك الإســدال الــذهبى

مــا دمــت تفكــرين فى المتــاع يــا أمــى فإنــك تجعلــين حظــى أســودًا يــا أمــى

توقيع هوپ هوپ

هل ممكن ؟ هذه الأغنية نشرت أيضًا فى العدد الثانى والعشرين من صحيفة " نسيم شمال " وشعرها لأشرف الدين الحسينى .

هــل ممكــن أن تــصاحب الحكومــة الــشعب لا تقــل لا يمكــن أبــدًا أبــدًا

ويحتــرق قلبــها علــى أهــل المملكــة لا تقــل لا يمكــن أبــدًا أبــدًا

وتــصبح مثــل نــادر الأفــشارى لا تقــل لا يمكــن أبــدًا أبــدًا

لا تقــل لا يمكــن أبــدًا أبــدًا

الأســود لا يمكــن أن يــصبح أحمــر

هل ممكن أن يتـصاحب ذئـب مـع القطيـع   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
هل ممكن أن يـصبح الـشيطان فى صـورة الأوليـاء   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
هـــل ممكـــن أن يـــصبح شـــهوانى ملكًـــا   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
الأســـود لا يمكـــن أن يـــصبح أحمـــر
بروح علىّ تعال ونـق قلبـك أيهـا الملـك   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
بـــروح علـــىّ خلّـــص الرعيـــة   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
بـــروح علـــىّ أحـــسن معاملـــة الـــشعب   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
عباءة من الصوف الخشن لا يمكن أبـدًا أبـدًا
بـــروح علـــىّ لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
هـــل ممكـــن أن تعمـــر إيـــران الخربـــة   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ويسعد المظلـوم بهـذا الحكـم الدسـتورى   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ويتحـــرر أيـــضًا الـــصحفى قلـــيلاً   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ويرضـــى الأخ لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ويـــصرخ القاضـــى لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
هـــل ممكـــن أن نـــستيقظ نحـــن النـــائمون   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ونـــشتهر فى أقطـــار العـــالم كاليابـــان   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
ونـــصبح أذكيـــاء كـــالأمريكيين   لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
لا تقـــل لا يمكـــن أبـــدًا أبـــدًا
الأســـود لا يمكـــن أن يـــصبح أحمـــر

المسمط والمستزاد : النوع الآخر من الأشعار كان "المسمط" و "المستزاد"، وللمسمط تاريخ قديم فى الأدب الإيرانى، أمّا المستزاد فقد ظهر فى العصور الأقرب نسبيًا[١] خاصة وأن " يغما " كان قد صبّ مراثيه فى قالب المستزاد .

وقد استخدم شعراء عهد الثورة أيضًا هذين الشكلين والقالبين بصورة وافية، وعلى هذا النحو ظهرت هجائيات وفكاهيات وطنية وسياسية كثيرة والتى كان كل مقطع منها ينتهى ببيت ترجيعى مماثل ومختلف وكانت بصفة عامة تشبه الأشعار الغنائية[٢] الإنجليزية القديمة.

وقد جمع إدوارد براون نماذج عديدة من هذه الأشعاروالتى كانت تنشر فى صحف بداية عهد الحركة الدستورية، وطبعها فى كتابه النفيس " الصحف والأشعار الإيرانية الحديثة "[٣].

قيمة هذا النوع من الأشعار : يرى براون أن هذه المؤلفات الشعرية ذات أهمية عظيمة وكبيرة سواء من الناحية التاريخية أو من الناحية الأدبية، ويمكن وضعها ضمن الأشعار الكلاسيكية الإيرانية، ولا شك فى أهميتها التاريخية والسياسية الكبيرة، أمّا من ناحية المضمون فهى أيضًا أكثر أصالة وواقعية من كثير من الأشعار. وذلك لأنها قد نبعت من الحياة المعاصرة وعبّرت عن الآلام والمشكلات الاجتماعية، ولكن هذا الرأى مبالغ فيه من الناحية الفنية ولا يصل أى منها فى المتانة والجزالة إلى الشعر الإيرانى القديم أو حتى أشعار مرحلة العودة، فهى مجرد أشعار عابرة وغير ثابتة تظهر لأغراض ومقاصد خاصة وتبين أحداث ووقائع العصر بأسلوب حيوى وجذاب، وتشير إلى الوقائع التى تعتبر مهمة فى وقت حدوثها وظهورها، فهى إذن جديرة بالاهتمام من حيث الوقوف على

---

(١) يمكن الرجوع إلى مقالة مهدى إخوان ثالث الممتعة " نوعى وزن در شعر أمروز فارسى : أنواع الوزن فى الشعر الفارسى المعاصر" (الجزء الرابع) ، مجلة پيام نوين ، السنة الخامسة ، العدد الثانى عشر .

(٢) Ballads .

(٣) Brown , E , The Press and Poetry of Modern Persia .

أوضاع العصر وذوق المجتمع وآراء وآمال وإحباطات الأبطال، ولكن بمجرد أن تـــزول عوامل ظهورها، تفقد قيمتها وأهميتها وتصبح فى طى النسيان .

وهذه الأقوال والأشعار- أكرر- برغم أنها لا تتمتع بقيمة كبيرة من الناحيـــة الأدبية فإنه لا يمكن إنكار دورها المهم والمؤثر جدًّا فى الحياة الـــسياسية والاجتماعيـــة الإيرانية، وفى يقظة الشعب الغافل الذى لم يكن قد اعتاد على الحياة السياسية حتى ذلك العصر، وكذلك فإنها تعد من الناحية التاريخية مصدرًا قيمًا جدًّا للبحث والتحقيق، ومن هنا فإننا لا يمكن أن نتجاهلها فى هذا الكتاب.

الفصل الثالث

الكتابة الساخرة

وعلى هذا النحو ظهر ضمن أنواع الكتابة الصحفية نوع جديد من الأدب وهو الكتابة الساخرة، والتى كانت تسخر من عيوب ومفاسد النظام السابق وتصرفات مسئوليه .

وهذا النوع الأدبي الذى يسمى فى اللغات الغربية (Satire) ويُعرف فى الفارسية بكلمة (طنز: السخرية) هو عبارة عن أسلوب خاص فى الكتابة يقدّم صورة هجائية للجوانب القبيحة والسلبية و" الشاذة " فى الحياة، ويعرض من خلالها عيوب ومفاسد المجتمع والحقائق الاجتماعية المرّة بصورة مبالغ فيها، أى أقبح وأسوأ وأشد مما هى عليه، كى تبدو ملامحها وخصائصها أكثر جلاءً ووضوحًا، وتتضح بذلك الفجوة العميقة بين الوضع القائم والحياة الراقية المأمولة، وعلى هذا الأساس فإن قلم الكاتب الساخر يهاجم بضراوة كل ما هو جامد وقديم ومتخلف وكل ما يمنع الحياة من الرقى والتقدم .

وأساس السخرية هو الضحك والمزاح ولكن هذا الضحك ليس هو ضحك الفكاهة والسعادة، وإنما هو ضحك مُر وجاد ومؤلم، ومقترن بالتوبيخ والتقريع، وهو لاذع إلى حد ما، حيث إنه ينبّه المخطئين إلى خطئهم بإثارة الخوف والرعب فيهم، ويمحو العيوب والنواقص التى قد ظهرت فى الحياة الاجتماعية، وبعبارة أخرى هو تحذير وتنبيه اجتماعين يدينان العزلة والغفلة، والهدف منه الإصلاح والتهذيب لا الذم والقدح والإيذاء، فهذا النوع من الضحك هو ضحك الانشغال والاهتمام : يسبب الضيق ولكنه يستحق الشكر، ويحث الأشخاص الذين يتعرض لهم إلى التدبر والتفكر[1].

---

(١) وقد قال أيضًا مارك توابن : " يمكن إضحاك القارئ، ولكن الضحك الذى لا يقوم على أساس محبة خلق اللـــه ، هو ضحك غير مناسب ولا معنى له " .

ويمكن القول مجازًا بأن قلم الكاتب الساخر هو مشرط الجراحة وليس سكين الذبح، فمع أنه حاد وقاطع بشكل مخيف إلا أنه ليس مؤلمًا للروح أو مؤذيًا أو قاتلاً وإنما يمنح الراحة والسلامة، يفتح الجروح الغائرة ويخرج منها القيح والصديد والأوساخ ويزيل العفونة ويشفى المريض .

أحيانًا تكون الضحكة والمزحة عابرة وخفيفة ووليدة العيوب والأخطاء الصغيرة وعديمة الأهمية، وأحيانًا تكون مُرّة وسامة وناتجة عن العيوب والمفاسد والانحرافات التى تحط من الشأن الأخلاقى للطبيعة البشرية، إذن كلما كانت معارضة الكاتب وبغضه وكراهيته لأحداث الحياة أشد وأقوى، كانت سخريته لاذعة وقوية بنفس القدر ووصلت إلى ذروتها وهذه هى نفس " السخرية الواقعية " بالمقارنة مع المزاح والضحك البسيط والخفيف .

والكتابة الساخرة هى أعلى درجات النقد الأدبى[1]، والكاتب الساخر يستخدم الفانتازيا الواقعية وأسس الفن البديع الأخرى ويُظهر الأحداث والشخصيات أكثر وضوحًا مما هى عليه ولا يكون مقيدًا بأن يبدو المشهد طبيعيًا كما هو[2]. إن خلط العلاقات والأوضاع القائمة والتغيير والتحريف للواقع الحقيقى للأحداث والأشخاص، يعتبر وسيلة لخلق النماذج البشرية ونشر وتعميم هذه الصفات على جميع الأفراد وأخيرًا الوصول إلى واقعية أكثر على مسرح الحياة .

ونستنتج مما قيل أن السخرية الحقيقية لا يمكن أن تكون بلا هدف أو مجرد وهم وخيال، وبعبارة أخرى: إن هجوم الكاتب الساخر على صنم " القبح والقذارة " يمكن أن ينجح عندما يضع الكاتب أمام ناظريه دائمًا تمثال " الخير والجمال " الفريد والملهم .

وعندما يسخر الكاتب الساخر من موضوع معين ويرفضه ويستنكره فإنه فى الحقيقة يعرض للقارئ علنًا أو بالكناية، بالتصريح أو بالتلميح، رؤيته الإيجابية النبيلة والتى تقع فى الجهة المعاكسة .

---

(١) چرنيشفسكى ، كليات ، ج٣ ، موسكو ، ١٩٤٧ ، ص ١٨ (أدبيات روس در عهد گوگول) .
(٢) المصدر السابق نفسه .

فمن أهم وظائف السخرية الواقعية "خلق صورة لحياة راقية وجميلة عن طريق تصوير الجوانب الوضيعة والمخزية فى الحياة، وإيقاظ مشاعر الاشتياق إلى الكمال المنشود لدى القارئ"[١].

" يجب لفت نظر القارئ إلى ما يدور حوله وتفنيد السلبيات أمامه، كما يجب متابعة القارىء خطوة بخطوة وعدم تركه مستريحًا للحظة واحدة، إلى أن يضيق فى النهاية بكل هذا القبح اللامحدود وينهض من مكانه بعزم راسخ ويصرخ قائلاً : ما نهاية هذا السجن الذى أنا فيه ؟ إن الموت أفضل عندى من هذه الحياة ! لا أريد بعد ذلك أن أحتضر تحت هذه القيود والأغلال[٢]! " .

والخلاصة، أن السخرية من الممكن أن تصل إلى هدفها السامى فقط عندما تخرج من روح نبيلة وطاهرة، تلك الروح التى تتعذب وتتألم من مشاهدة التناقض العجيب والغريب فى الحياة المحيطة وتنشد حياة أخرى مأمولة، وهى نفس الصفة السامية والهدف العظيم للسخرية واللذين قد أشار إليهما " هوراسيا " فى العصور القديمة .

الهزل والهجاء فى الأدب الإيرانى : لابد أن يراقب أدب السخرية الأحداث العامة (المتطابقة) للحياة وليس الانحرافات الفرعية العارضة الخارجة عن حدود العادة والطبيعة، وبناءً على هذا فإنه لا يجب أن يكون سلاحًا فى وجه الأشخاص الذين يعتبرون مكروهين وغير مقبولين فى نظر الكاتب، فهجاء الأشخاص وسبِّهم لا يليق باسم الكاتب ومنزلة الكتابة.

وللأسف قلما وُجدت السخرية فى الأدب الإيرانى القديم بالمعنى الذى عرفناه، أى النقد الاجتماعى بالكناية وفى ثوب الهزل والمزاح، لأنه فى تلك العصور والأزمنة وفى ذلك الوضع الإدارى والاجتماعى للدولة، كان الأدب يوجد فى الغالب من أجل الملك ورجال البلاط وخواص المملكة، ولم يكن الشاعر أو الكاتب حتمًا يستطيع أن ينتقد أعمال وأفعال ولاة الأمور أو الجهاز الذى كانوا يترأسونه، علاوة على أن العوامل الشخصية (الداخلية) خاصة الكراهية والمصلحة والغرور كانت تحتل دائمًا المرتبة الأولى

---

(١) و . گ . بلينسكى ، كليات ، ج ٢ ، ص ٦١٥ .
(٢) ن . آ . دابروليوبوف ، منتخبات آثار فلسفى ، ١٩٤٦ ، ج ٢ صفحات (٤٠٢ ، ٤٠٣) .

فى "هزل" الشعراء الإيرانيين و "هجائهم" و لم تكن تترك مجالاً للتصوير الحقيقى الشامل، وبدلاً من أن يتناول شعراء الهجاء القضايا الاجتماعية ويبرزوا عيوب المجتمع العامة، كانوا إمّا يهاجمون منافسيهم وزملاءهم أو يسبون ويلعنون أولياء النعمة والإحسان الذين كانوا يمنعون عنهم المال ويبخلون عليهم بالجوائز والعطايا، وبهذه الطريقة كانوا يلقون بمكانتهم الشعرية ومترلتهم الإنسانية فى الحضيض .

وقد قال شاعر أصفهانى :

أيّما شاعر لا يكون هجّاءً يصير كأسد بلا مخالب وأنياب

فالسيد المصاب بداء البخل ليس له دواء سوى الهجاء

ما دام أبولهب قد لعنه الله فأنا لا أندم على نظم الهجاء

ونفس هذا الشاعر بعد أن مدح الممدوح أرسل إليه قطعة تتضمن مطلبًا وهدده بالهجاء:

اعتاد الشعراء الطامعون على ثلاثة أنواع من الشعر

الأول المديح والثانى القطعة المتضمنة للطلب

فإذا أعطى كان الثالث هو الشكر وإذا لم يعط فالهجاء

وأنا من هذه الثلاثة نظمت اثنين فماذا يجب أن يكون الثالث؟

وإذا استثنينا بعض النماذج النادرة والمعدودة مثل موش وگربه (الفأر والقط)، وبعض لطائف عبيد الزاكانى شاعر القرن الثامن والشعراء الآخرين، والمطايبات والنوادر التى تنسب للملا نصر الدين أحد الأتراك الأناضوليين أو أشخاص مثله والتى تجرى على ألسنة العوام، وبعض أعمال محمد حسن صفا على المعروف ببنى السارقين فى عهد ناصر الدين شاه، فإننا لن نقابل الكتابات الساخرة التى هدفها الإصلاح والتهذيب فى كل الأدب الإيرانى الضخم الذى عمره ألف سنة، وحتى أجمل وأقيم الهجائيات مثل هجاء الفردوسى المشهور للسلطان محمود الغزنوى، وهجاء أبى العلاء الگنجوى لصهره الخاقانى الشيروانى، وأمثال ذلك كانت كلها ذات نزعة شخصية ونظمت بقصد الانتقام .

أمّا هجائيات الأنورى والسوزنى ومختارى الغزنوى وفى العصور الأخيرة هجائيات شهاب الترشيزى ويغما الجندقى فإنها مكدسة بالكلمات والعبارات القبيحة وغير اللائقة لدرجة أنها تصيب أى إنسان عند قراءتها بالقشعريرة(١)، وفى الأزمنة القريبة من عصرنا أيضًا سلك شعراء الهجاء مثل إيرج وعشقى للأسف نفس طريق وأسلوب المتقدمين، لدرجة أن منظومة "عارفنامه" للشاعر إيرج، كانت منظومة هجائية مملوءة بالسباب والشتائم والقذف ضد رجل ورع ومخلص مثل عارف القزوينى .

١ - السخرية فى خدمة الدستورية والحرية :

بانطلاق الحركة الدستورية ظهر أدب السخرية الحقيقى والذى كان قد رفع نصله الحاد فى وجه المجتمع وعيوبه العامة أكثر من الأفراد، وقد توحد فى الحقيقة مع شعر الغزل لمصلحة الأفكار التحررية، وبعبارة أخرى كانت السخرية والواقعية توأمين تربيا فى كنف شعر الغزل الإيرانى.

وقلما استخدمت الكتابة الساخرة الكتابة النثرية، ومع هذا فقد ظهرت فى النثر الفارسى أيضًا مرحلة جديرة بالاهتمام نسبيًا مع بداية الحكم الدستورى وظهور الكتابة الصحفية، وعلاوة على الأشعار السياسية والوطنية فإن ثورة الأفكار التحررية وموجة الحرية والمشاعر الوطنية قد انعكست أيضًا فى سلسلة مقالات وهوامش فكاهية ومزاحية قصيرة (والتى لم تكن كثيرة بالطبع ولا كاملة من جميع الجوانب)، وكانت هذه الكتابات قد حررت بلغة الحوار المتداولة فكانت نموذجًا جيدًا للكتّاب الذين كانوا يريدون جعل الأدب أكثر قربًا من الناس . إن استخدام اللغة المتداولة بين طبقات الشعب المختلفة واستعمال العبارات والمصطلحات والأمثال الشعبية المنتشرة بين العامة والتى امتنع الكتّاب السابقون عن استعمالها، كانت خطوة للأمام فى طريق زيادة شعبية النثر الأدبى، وكان رائد هذ الأسلوب الكتابى دهخدا(٢) محرر صور إسرافيل، مثلما كانت ريادة الشعر الساخر لسيد أشرف الدين القزوينى .

---

(١) فى حين أن الاثنين سواء شهاب أو يغما كانا شاعرين موهوبين، وكان بإمكانهما فى الظروف الملائمة أن يوجّها فنهما وموهبتهما لنقد عيوب المجتمع العامة .

(٢) للأسف ابتعد دهخدا فى السنوات التالية عن الأدب وكرس وقته لتحقيق وتأليف "لغتنامه" و"الأمثال والحكم" وغيرها ولكن لحسن الحظ واصل جمال زاده وصادق هدايت وآخرون هذا الأسلوب الكتابى كل على حسب ذوقه .

وبعد هذه المقدمة القصيرة سنتحدث بالتفصيل عن كلا القسمين، وقبل أى شيء نشير إلى أن الثورة الدستورية الإيرانية التى كانت تبحث عن حياة جديدة وبالتالى كان لابد أن تختار طرقًا جديدة وغيرمعروفة فى مجال الشعر والأدب أيضًا، قد بدأت العمل بحماسة، وسرعة كبيرين، وكما سنرى فإنها لم تبتعد هذه المرة أيضًا عن التتبع والتقليد والاقتباس .

أشرنا قبل هذا إلى صحيفة "ملا نصر الدين" القوقازية، وهذه الصحيفة التى " يجب أن تبقى ذكراها خالدة فى التاريخ[1]" قد أسسها ميرزا جليل محمد قلى زاده أحد كتّاب أذربيجان المشاهير فى تفليس عام ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ ق) وصدرت مليئة بمقالات وأشعار جيدة جدًا ورسوم كاريكاتورية راقية.

وعندما يتحدث محمد قلى زاده فى مذكراته فيما بعد عن ظهور السخرية الثورية فى أدب القرن العشرين الميلادى وعن ظروفها التاريخية، يخلص إلى أن " الذى أوجد صحيفة "ملا نصر الدين" هى الطبيعة والعصرنفسه[2]"، ويضيف بعد ذلك فى موضع آخر: وفيما يتعلق بتطور السخرية الواقعية كانت الأقلام القديرة لزملائنا الكتّاب الشماليين والمسيحيين (المقصود الكتّاب الروس) مثالاً ونموذجًا لنا .

٢ - " ملا نصر الدين "

يمكن القول بأنه حتى مطلع القرن العشرين الميلادى لم تكن قد صدرت فى القوقاز أى صحيفة أو مجلة تستحق الذكر، ولكن بعد بيان أكتوبر ١٩٠٥ المرائى، ظهرت الصحف والمطبوعات كظهور النجوم من خلف السحب[3].

---

(١) أحمد كسروى ، تاريخ مشرو إيران ، بخش يكم (الجزء الأول) ، ص ١٩٤.

(٢) حليل محمد قلى زاده ، منتخبات ، ج ١ ، صفحات (٤٣٤ ، ٤٣٥).

(٣) نذكر من الصحف المتشددة (قوچ دعوت) ، (كارگر باكو) ومن الصحف الرجعية (حيات)، (فيوضات) ، (شلاله) (ديريليك) ، وكانت هناك صحف ومجلات أخرى أيضًا والتى لم يكن لها توجه مميز، وكان من بينها إقبال، صدا، نجات، إرشاد، دوغروسوز، ايشيق ، هلال، ترقى، طوطى، بهلول، باباى أمير، زنبور، وغيرها وكانت مجلة "فيوضات " هى القاعدة القوية للبرجوازية والمرشد العقائدى للوحدة الإسلامية والوحدة التركية والتى كانت تصدر برأسمال حاجى زين العابدين تقى أوف مليونير باكو المعروف وتولى إدارتها على بيگ حسين زاده .

وبعد ستة أشهر من صدور بيان أكتوبر ظهرت "ملا نصر الدين" كأول صحيفة أذربيجانية فكاهية ساخرة أو كما تقول هى "تعقبت الأشقاء المسلمين" .وقد اتخذت هذه الصحيفة لنفسها وضعًا مخالفًا فى جميع الأمور الاجتماعية والسياسية، وسرعان ما انضم إليها الشاعر صابر ومن بعده تلاميذه وأتباعه الموهوبون الذين واصلوا أفكاره فى حياته وبعد موته المفاجئ، وكتّاب أكفاء مثل عليقلى نجف أوف ومحمد سعيد اردوبادى[1] والكاتب المسرحى الشهير عبد الرحيم حق فرديوف[2] .

جليل محمد قلى زاده : ولد ميرزا جليل بن محمد قلى مؤسس صحيفة "ملا نصر الدين" (١٨٦٩ – ١٩٣٢م) بولاية نخجوان فى قرية تسمى نحرم، وكان أجداده أصلاً إيرانيين فقد رحل جده حسينعلى بنا من مدينة خوى وانتقل إلى نخجوان فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى وهناك تزوج فتاة من أهل مدينته .

ويتحدث ميرزا جليل فى السيرة الذاتية التى كتبها بقلمه بمنتهى الفخر والغرور عن أصله الإيرانى : " ولدت بمدينة نخجوان التى تقع على بعد ستة فراسخ من نهر أرس وأربعين فرسخًا من قصبة جلفا، وأنا أذكر كلمتى ارس وجلفا هنا متعمدًا لأنه كما هو معلوم نهرارس يقع فى الحدود الإيرانية وجلفا أيضًا هى النقطة الجمركية بيننا وبين إيران وأنا أفتخر بانتسابى لهذا النهر وهذه البلدة لسببين أولهما: أن دولة إيران كانت هى مسقط رأس جدى والثانى أن دولة إيران التى تشتهر فى العالم بالتدين كانت دائمًا مبعثًا للافتخار بالنسبة لى، وكنت دائم الشكر لأننى قد ولدت بجوار مثل هذا المكان المقدس " .

وقد تعلم ميرزا جليل قراءة وكتابة اللغات الآذربيجانية والفارسية والروسية فى مدرسة المدينة والتحق بدار المعلمين بمدينة گورى فى الـــ(گرجستان) وهو فى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر، وبعد أن فرغ من التعلم قضى بعض السنوات فى التدريس بالمدارس المحلية، وفى عام ١٩٠٤ ذهب إلى تفليس وانشغل بالكتابة فى صحيفة "شرق روس" التى كان مديرها هو محمد آقا شاه تختى .

---

(١) (١٨٧٢ – ١٩٥٠) مؤلف رواية (تبريز المغطاة بالضباب) و (السيف والقلم) وتاريخ " الـــسنوات الدامية " باللغة الآذربايجانية ومترجم مؤلفات عديدة للكتّاب الروس .

(٢) (١٨٧٠ – ١٩٣٣) من رواد الواقعيـــة النقـــدية ومـــؤلف قصص " غزلانى " و "رسائل من جهنم" و " كتاب رحلات موزالان بيك" باللغة الأذربيجانية .

وبدأ ميرزا جليل نشاطه الأدبي بكتابة القصص القصيرة، وفى قصصه الأولى مثل "صندوق البريد" و "أحوال قرية دانا باش" و "الأستاذ زينال" والتى كتبها قبل عام ١٩٠٤، صوّر مشاهد مهمة من الأحوال المعيشية والحياتية لمسلمى القوقاز، وهذه الأعمال زاخرة بالحقائق الموجعة والضحكات المشوبة بالمرارة .

ومن آثاره الفنية الخالدة قصص "الحرية فى إيران" و "الطفل الملتحى" و "قربان على بيك" وكل من كوميديا "الموتى" و"كتاب أمى" و "مجمع المجانين" والتى كتبها بعد نشر صحيفة "ملا نصر الدين "، وعلى وجه الخصوص كوميديا "الموتى" التى تعد ضمن المؤلفات الكلاسيكية العالمية وتتساوى مع "تارتوف" لموليير و "المفتش" لجوجول .

وتبدأ المرحلة الثانية والمهمة من النشاط الأدبي لمحمد قلى زاده بإصدار صحيفة "ملا نصر الدين"[١]، وكانت "ملا نصر الدين" جبهة ديمقراطية ثورية جمعت حولها مجموعة من المستنيرين والمتمدنين والأدباء والمثقفين، وكانت تنشر الأفكار الثورية وتدعو إليها بجانب الصحف الأخرى، وظلت تهاجم الملك الإيرانى والسلطان العثمانى وأمير بخارى والأشراف والأعيان والمغيرين الآخرين وتسخر وتستهزئ من عالم الاستثمار والاستعمار بقوانينه وإجراءاته الظالمة، وتحارب التعصب والبدع الدينية[٢]، وعلى حد قولها "تفتح الجروح" و "تبرز التناقضات" و "ترفع الحجب" وتخاطب الشعب المتخلف

---

(١) صدر أول أعدادها فى السابع من ابريل ١٩٠٦ ، وكان العامان، الثالث والرابع، أفضل وأقوى عصور الصحيفة، وفى هذين العامين تعدت شهرتها حدود القوقاز وذاع صيتها فى إيران وتركيا ومصر والهند ، وفى آخر عام ١٩١٤م، توقفت الصحيفة عن الانتشار بسبب اندلاع الحرب العالمية ، وفى عام ١٩١٧، صدر منها عدة أعداد فقط ، وفى عام ١٩٢١م صدر منها مرة أخرى ثمانية أعداد فى تبريز حيث كان محمد قلى زاده قد جاء إلى إيران بقصد الإقامة فى أرض أجداده ؛ ولكن لم يستطع أهل وطنه أن يوفروا له الرعاية فلم يمكث أكثر من عام واحد فى تبريز وسافر إلى باكو بناء على دعوة حكومة أذربيجان السوفيتية .

(٢) مثلاً فى نفس هذا العدد الأول كان قد رُسم أحد الفقهاء وهو يرفع يده بالدعاء للإمبراطور وخلفه مجموعة العوام باللحى المخضبة يشاهدون فى حالة استسلام وخضوع المشهد الذى فيه يضع قائد الدرك القيصرى الروسى قدمه بالحذاء طويل الساق فوق سجادة الصلاة، ويعلق ميدالية صفيح فى صدر إمامهم وشيخهم ، ويصف بيت سعدى الذى أدرج أسفل الكاريكاتير هذا الوضع المهين للمؤسسة الدينية أمام السلطنة المستبدة وذلك البيت هو :

القطة أسد فى اصطياد الفأر   ولكنها فأر أمام النمر

العاجز الجاهل: " لو كنتم بشرًا، لو كان عندكم غيرة وشعور ... لما جرؤ ظالم على أن يتطاول على حقوقكم الإنسانية؟[1] ".

وطلبت "ملا نصر الدين" من قرّائها أن يقرأوا بدقة المقالة الافتتاحية لأحمد بيگ[2] المكونة من ستة أعمدة، والتى نشرت فى العدد التاسع والسبعين من صحيفة "إرشاد" من أجل "حل أزمة البطالة"، وجاء فيها: " لا أبالى بأن الخلفاء الراشدين حدث لهم كذا وأن نبى السيف[3] قد حدث له كذا وكذا، ونفس الشيء بالنسبة لتيمور ونادر وفلان وعلان ... فنحن الآن فى فصل الصيف وهذا ليس وقت هذا الكلام، فمن الممكن أن يهلك الإنسان من الحر ... والآن يجب اختصار الموضوع، انظروا مثلاً إلى هذا الأسلوب، مختصر ومفيد:

" لماذا أصبحنا فى الدنيا أذلاء وضعفاء وبلا قيمة ؟ والسلام .تم . لن يفيد هنا بعد ذلك التاريخ وفلان[4] " .

وكاتب السطور السالفة الذكر كان يعلم جيدًا أن الكتّاب البرجوازيين لو طرحوا القضايا الاجتماعية المهمة جانبًا وتحدثوا عن تاريخ الخلفاء وتيمور ونادر، فإن هذا لا يعنى قلة الخبرة أو العجز، وإنما هم يريدون أن يغيّبوا الشعب عن القضايا الجارية فى الحياة بالحيلة والخداع وأن يشغلوه بالعصور التاريخية .

وكانت "ملا نصر الدين" تأمل فى نظام اجتماعى يكون فيه السيد والشحاذ، الغنى والفقير متساوين فى الحقوق والحريات، وتتولى الرئاسة حكومة تعلن أسس الحرية وتقسيم الأملاك والأراضى بين المزارعين والقرويين بدلاً من سن قوانين العقوبات والإعدام المشددة، وتشرك العمال والفلاحين فى شئون الحكم وتدير الأمور بمنهج البحث والشورى[5]".

---

(١) ملا نصر الدين ، العدد الثلاثين ، ١٢ أغسطس ١٩٠٧ م .

(٢) أحمد بيگ آقايوف الوطنى القراباغى المتطرف ومدير ومحرر صحيفة إرشاد ، وهى الصحيفة نفسها التى ظل يُنشر فى ملحقها فيما بعد دليل فارسى بإشراف سيد محمد صادق أديب الممالك الفراهانى .

(٣) نبى السيف المقصود سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم (المترجم).

(٤) جليل محمد قلى زاده ، كليات ، ج ٣ ، صفحات (١٨٣ – ١٨٤).

(٥) بياننامۀ ملا نصر الدين العددان ١٢ ، ٢٣ يونية ١٩٠٦ .

يقول مدير الصحيفة فى السيرة الذاتية التى كتبها عن نفسه : "إن الاستبداد الذى كان قد ارتفع عاليًا أمامنا مثل الجبل، كان هو استبداد الملك والسلطان، وظلم وجبروت الأشخاص الذين قد حرفوا الشريعة "، وكان الضحك هو السلاح الذى ناضل به "ملا نصر الدين" ضد هذا الظلم والاستبداد المخيفين، الضحك المفعم بالمعنى بعيد المغزى، وقد خاطبت هذه الصحيفة القرّاء فى نفس عددها الأول فقالت : " أيها الأشقاء المسلمون، عندما تسمعون منى كلامًا مضحكًا وتفتحون أفواهكم فى الهواء وتغمضون عيونكم وتضحكون وتقهقهون بشدة لدرجة أنه من الممكن أن يُغشى عليكم من شدة الضحك وتمسحون عيونكم بأطراف ثيابكم بدلاً من المناديل وتلعنون الشيطان ... لا تظنوا أنكم كنتم تضحكون على "ملا نصر الدين" ... أيها الأشقاء المسلمون، إذا أردتم أن تعرفوا على من تضحكون امسكوا المرآة فى أيديكم وشاهدوا جمالكم المبارك !(١)" .

إلا أن الأشخاص الذين كانوا ينظرون إلى وجوههم القبيحة فى المرآة المصقولة لهذه الصحيفة، بدلاً من أن يفيقوا عقدوا العزم على محاربة كتّابها، واجتهد الجهاز الرقابى القيصرى والقوى الإقطاعية السوداء .

وكان الأعداء والمغرضون يتزايدون مع صدور كل عدد، وأخذ رجال الدين يلعنون ويكفرون ناشريها وقرّاءها فى المساجد وعلى المنابر ويسمونهم أعداء الإسلام بل إنهم كانوا يؤذون بائعى الصحيفة .

وفى الأرشيف الشخصى لجليل محمد قلى زاده والمحفوظ بدار المخطوطات بأكاديمية العلوم بجمهورية أذربيجان السوفيتية، توجد رسالة شخص مجهول من قرية قاسم كندى مملوءة بالسب والقذف والتهديد بالقتل وإراقة الدماء .

أمّا مدير الصحيفة الذى على حد قوله " كان قد اقتحم عش الدبابير "، فقد اضطر للتزول فى حى تفليس الكرجى بعيدًا عن اعتداءات المسلمين ويقول فى مذكراته :

(١) العدد الأول ، السابع من إبريل سنة ١٩٠٦.

"فى اليوم الذى كتبت فيه مقالة عن حرية المرأة فى أحد أعداد السنة الثانية، نصحنى الأصدقاء بألا أسير فى الأزقة والأسواق بالنهار لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين فى "بازار الشيطان"[(١)] وتفرغوا للبحث عنى[(٢)] "

وكان عصرًا مظلمًا، ساد فيه التعصب والخرافات بدلاً من الدين وباسم الدين، حتى طريقة اللبس وإطلاق اللحية وحلق الرأس وغسل الأطباق وكيفية وجوب غسل الأطباق وعدد مرات غسلها، كانت قد أصبحت جزءًا من المسائل الدينية المهمة، فكان من الواجب على "ملا نصر الدين" أن تقتلع تدريجيًا مثل هذه الخرافات والتعصبات وأن تغرس مكانها بذور الثقافة والحرية دون أن تثير غضب العوام وبالتالى خصومة الحكومة القيصرية !

وبرغم كل هذا كانت "ملا نصر الدين" متفائلة دائمًا بالمستقبل لم تكن تبعد أبدًا عن نظرها شعار "الضياء فى الظلام"، فقد كان "الملا عمو" يرقب دائمًا الأحداث بذلك الوجه النورانى من الزوايا والأركان، من خلف الباب ومن جانب النافذة، من خلف السور والسياج . تارة ضاحكًا وتارة حزينًا مهمومًا، أحيانًا غارقًا فى التفكير وأحيانًا أخرى غارقًا فى الحيرة والدهشة، ولكنه كان دائمًا متحمسًا ومتفائلاً بمستقبل مشرق ونتائج مبهرة لجهوده ومساعيه، وفى أغلب أعداد "ملا نصر الدين" تبدو صور الجوانب الإيجابية فى المجتمع والحياة المفعمة بالحرية والرفاهية والعالم المزين بالمروج البهيجة الخضراء والجبال العظيمة الشاهقة، وتبتسم الشمس المشعة الفياضة للقراء .

وكان من مزايا هذه الصحيفة أولاً: أن رسومها الكاريكاتورية الجميلة كانت تعد بريشة عظيم عظيم زاده، الرسام المشهور ومبتكر الشخصيات الشرقية[(٣)]، وفنانين

---

(١) حى المسلمين فى تفليس .

(٢) جليل محمد قلى زاده ، منتخبات ، ج ١ ، باكو ، ١٩٥١ ، ص ٤٦٦ .

(٣) عظيم عظيم زاده (١٨٨٠ – ١٩٤٣ م)، ابن أصلان مؤسس فن التصوير الواقعى فى أذربيجان السوفيتية، بدأ فى الرسم منذ عصر الثورة الروسية الأولى (١٩٠٥م) ، وكان بارعًا فى رسم اللوحات الهزلية والرسم بألوان الماء وقد رسم أكثر من خمسين كاريكاتيرًا لمجلة "هوپ هوپ نامه : كتاب المدهد " لصاحبها صابر ، وكان عظيم زاده يفهم جيدا ماهية أشعار صابر وكان يصور موضوعاتها فى رسوماته الفنية الحية ، وفى الحقيقة فإن ريشة الرسام كانت تصل بعمل الشاعر الأستاذ إلى حد الكمال ، وعلاوة على "ملا نصر الدين" فقد كان عظيم زاده يعمل أيضًا فى صحف "طوطى" و "باباى أمير" و "مزه لى" ، ومن أعمال عظيم زاده الأخرى رسومات "مائة نموذج لباكو القديمة" و كاريكاتير "حديقة الحيوان الفاشية" .

كاريكاتوريين بارعين آخرين[1]، وثانيًا أن أشعارها الفكاهية والنقدية كان ينظمها ميرزا على أكبر طاهر زاده صابر أعظم وأفضل شعراء أذربيجان .

"ملا نصر الدين" وإيران : كان ظهور هذه الصحيفة المفيدة يعد حدثًا تاريخيًا عظيمًا ليس للقوقاز وحدها بل لإيران وكل أنحاء الشرق .

فقد كانت صحيفة "ملانصرالدين" مهتمة بكل بلاد المشرق الإسلامى، وأخذت تكشف العيوب والمفاسد فى هذه الدول مثل إيران وتركيا وأفغانستان والسعودية والجزائر، بلغة بسيطة ممزوجة بالهزل والأشعار والحكايات والتعليقات والقصص القصيرة والرسائل والتلغرافات الفكاهية والنصائح الظريفة والرسوم الكاريكاتورية النفيسة والنابضة، وأخيرًا تبنت ثورة جريئة ضد كل تلك الأشياء التى كانت حتى ذلك العصر مصونة من أى هجوم.

وكان كتّاب "ملا نصر الدين" على علم تام بعادات وآداب الإيرانيين، وقد أخذت هذه الصحيفة تتابع الأحداث الإيرانية فى كل عدد تقريبًا منذ عام ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ ق) وكانت تبدى اهتمامًا خاصة للأحداث الثورية التى كانت تحدث فى أذربيجان .

وكانت "ملا نصر الدين" تكن احترامًا خاصًا لميرزا جهانجيرخان مؤسس صور إسرافيل وملك المتكلمين اللذين كان كلاهما من الأعضاء النشطين بالحزب الاشتراكى الديمقراطى الإيرانى[2]، وفى عام ١٣٢٦هـ ق، وعندما أغلقت أبواب مجلس الشورى الإيرانى وتعرض الأحرار للتعقب والمطاردة من قبل القوى الرجعية، كتبت "ملا نصر الدين" : "نحن نشاطر إخواننا الإيرانيين فى المصيبة التى حلت بهم، وننحنى تعظيمًا لأرواح الكتّاب الطاهرة والمجاهدين فى سبيل الحرية الذين قد استشهدوا فى سبيل الوطن بفرمان الجلادين

---

(١) وبعد ذلك وعندما كانت "ملا نصر الدين" تصدر فى تبريز كان يعد رسومها الكاريكاتورية سيد على بهزاد البالغ من العمر ستة عشر عامًا بن مير مصور الرسام الأذربيجانى المعروف متأثرًا برسوم عظيم زاده الكاريكاتورية وبأسلوب والده الفنان .

(٢) سيد على آذرى ، قيام كلنل محمد تقى خان ، ص ٥١ .

الجبناء، ونتمنى من كل قلوبنا أن تنجو دولة إيران من هذه المصيبة وأن ينعم شعبها بالسعادة ".

وكتبت فى موضع آخر : " أيها الأشقاء التبريزيون يا من يطعمونكم الحصى والرمال بدلاً من الخبز، يا أهالى خوى ومشكين وسراب، يا إخواننا فى مراغه وأردبيل وخلخال، تعالوا وأرشدونى إلى الطريق، فقسمًا باللـــه إن عقلى لا يدركه، وفى النهاية فقد تغيرت الدنيا والزمن، وكل شيء عاد إلى أصله، وكل موضوع تم التطرق إليه، تعالوا نجلس حول بعضنا بعضًا ونضع فيما بيننا أولاد بلدنا ونفكر ونرى إلى أين يتجه وطننا؟

تعالوا، تعالوا، أيها الأشقاء المساكين يا أبناء الوطن المنسيين، تعالوا نرى أى حلم رآه لكم مسئولو الأمة الذين تربوا فى المهد بلبن الأجانب، وعاشوا بعيدين عن وطننا ولا يعرفون شيئًا عن أرواحنا نحن الشعب ؟! لماذا لا تتكلمون بعد كل هذا يا إخوانى العراة الفقراء ؟ ".

وقد أحدثت هذه الكتابات هلعًا شديدًا بين صفوف المنسيين لدرجة أنهم منعوا قراءتها، وقام المشايخ من فوق المنابر بلعن "ملا نصر الدين" وكتّابها "الملحدين"، ودعوا الشعب للانتقام من هؤلاء "الضالين"(١)، واعتبروها من "الأوراق المضلة" فى الفتوى التى أصدرها علماء تبريز وصدّق عليها أيضًا مجتهدو النجف، وأعلنوا أن كتابات هذه الصحيفة تمتزج بالكفر وأنها أسوأ من "سيف شمر"(٢)، وأمر محمد على ميرزا ولى العهد أيضًا بإيقافها وجمع نسخها فى مصلحة البريد، ولكن أحدثت هذه المسألة ضجة كبيرة لدرجة أن المجلس المحلى لتبريز أرسل تلغرافًا للبرلمان ورفع عنها الإيقاف(٣).

---

(١) أرشيف مخطوطات جمهورية أذربيجان السوفيتية ، الورقة رقم ٨٧٩٤ ومجموعة الأدب تأليف م . عزيز ، ج٣ ، باكو ، ١٩٤٨.

(٢) نفس المصدر ، الورقة ١٧٤ (نسخة الفتوى موجودة فى أرشيف الصحيفة فى باكو) ويمكن الرجوع أيضًا لتاريخ مشروطة إيران تأليف أحمد كسروى ، الجزء الأول ، ص ١٩٣ .

(٣) أحمد كسروى ، تاريخ مشروطة إيران ، الجزء الأول ص ١٩٤ ، وكتبت صحيفة "إرشاد" أيضًا فى العدد ٢٨٥ بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٠٦ : " ... لم تعجب إبداعات "ملا نصر الدين" المسئولين الإيرانيين، وقد

وبرغم كل هذه الضغوط فإن أعدادها كانت تصل إلى إيران باستمرار[١]، وكانت تُقرأ بكثرة خاصة فى أذربيجان حيث كان شعبها يعرف لغة الصحيفة، وكان يجرى على الألسنة كل ما يدور حول إيران من أشعار صابر فى تبريز والمناطق الأذربيجانية الأخرى، وينتشر فى الأزقة والأسواق ويترك آثارًا إيجابية لإيقاظ الشعب، وكان الأذربيجانيون أنفسهم يضيفون إلى تلك الأشعار مقاطع أخرى وينظمون أشعارًا جديدة تقليدًا لها[٢] ومثل هذه الأشعار التى أخذت تعبر عن نفور الشعب واستيائه الشديد من الملك وجهازه الديكتاتورى فى إطار فكاهى ساخر" كانت تمنح الثوريين المزيد من الجرأة فى محاربة الملك[٣] " .

وقد ورد بالمذكرات المتعلقة بذلك العصر: كان المجاهدون وتلاميذ المدارس قد أقاموا حفلاً كبيرًا بمناسبة مقتل الأتابك، وفى العرض الذى كان يُقدم بهذه المناسبة حضر ميرزا تقى چايچى المعروف بـــ "قليج آقا" (أى سيد السيف) إلى السوق بسيف مسلول أمام العازفين، وعندما كان مقدمو العرض يمرون من أمام متجر حاجى مهدى كوزه كنانى، أبى المله، أنشد حاجى مهدى الشعر الذى كان قد نظمه صابر بمناسبة مقتل الأتابك، مُخاطبًا الشعب من الطابق العلوى :

أنا لا أنكر أنكم قتلتم الأتابك

ولكن إذا لم أخطئ فإن عندكم أيضًا آلاف الأتابكة

- أمروا بمنع دخولها إيران وحرق نسخها على الحدود ، وبرغم أن إخواننا الإيرانيين من تفليس والقوقاز وسائر المدن قد أعربوا عن استيائهم الشديد من هذا الإجراء وبعثوا التلغرافات إلى مجلس الشورى الوطنى فى طهران بل ووصلت شكاوى تلغرافية من بعض المناطق الإيرانية نفسها مثل خلخال والأماكن الأخرى، فإنه لم يصل حتى الآن الرد الشافى .

(١) خاصة بعد نقض العهد من جانب محمد على ميرزا وثورة رجال أذربيجان الشجعان ، وكان من مهـــام اللجنة الثورية فى حلفا أن تقوم بتوصيل أشعار صابر الجديدة التى كانت تنشر فى "ملا نصر الـــدين" إلى معسكرات المجاهدين فى تبريز (انقلاب و فرهنگ ، باكو العدد الأول – ص ٥٣ سنة ١٩٣٧) .

(٢) أحمد كسروى ، تاريخ مشروطهٔ إيران ، الجزء الأول

(٣) من رسالة لاهوتى المؤرخة ١٧ يونيه ١٩٥٤ من موسكو إلى عزيز أمير أحمدوف ، مؤلف كتاب "صابر"، باكو، ١٩٥٨ .

والتأثير الذى تركته هذه الأشعار فى الشعب الأذربيجانى البطل لا يوصف، فقد كان مجاهدو وأحرار تبريز يرددون دائمًا الأشعار التى كان قد نظمها صابر فى ستارخان، فى الخنادق وميادين الحرب ويستمدون منها القوة .

وقد جاء فى موضع آخر: كان هناك احتفال وقد عُزفت فى ذلك الاحتفال النغمات وأنشدت الأشعار والأناشيد الثورية، فمثلاً صعد شاب من الأحرار على خشبة المسرح وأنشد الأشعار التى كان قد نظمها صابر فى ستارخان :

لا تظن أيها القارئ من حالى المضطرب أننى مجنون

لا تعتقد صرختى المجنونة خرافة

فأنا شاعر طبعى هو طبع البحر والشعرالبديع يخرج منى موجعًا

وأنا أمدح همة ستارخان العالية .

فاتصلوا هاتفيًا بالزعيم الوطنى ستارخان وطلبوا منه أن يستمع إلى هذه الأشعار وعندما وصل القارئ إلى هذا البيت " أحسنتم يا شعب تبريز، أحسنتم بأن أوفيتم بعهدكم " وقف الحاضرون وصفقوا لستارخان وأثنوا على قارئ الأشعار[1] .

٣ – صابر

يجب أن نتحدث بشكل منفصل ومستفيض عن صابر وأشعاره مـــن ناحيـــة علاقتها بإيران وتأثيراتها القوية فى أدب – مرحلة الثورة .

ولد ميرزا على أكبرطاهر زاده صابرالشاعر الأذربيجانى القوقازى الوطنى الكبير وناظم الفكاهيات الاجتماعية والثورية وزميل الكفاح الدائم لصحيفة "ملا نصر الدين" فى الثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٦٢م (١٢٧٩هـــ ق) بمدينة شماخى إحـــدى مـــدن شيروان التجارية القديمة .

---

(١) صحيفة (انقلاب و فرهنگ) باكو ، العدد الأول ، سنة ١٩٣٧ .

عمل والده مشهدى زين العابدين بمهنة البقالة وكان رجلاً متدينًا، فنشأ صابر فى مثل هذا المحيط الإيمانى مع التسبيح والصلاة والصيام والانشغال بالفرائض الدينية، وقضى فترة الطفولة والشباب فى أحضان الصحراء والغابة والرياض ... وعندما تعالت أولى نداءات الإنسانية فى دولته كان هو " مستغرقًا فى صمت التجليات العرفانية " .

ذهب صابر إلى المدرسة وهو فى الثامنة من عمره وتعرّض للضرب والزجر من الشيخ فى المدرسة ومن الأب والأم فى البيت .

وفى آخر القرن التاسع عشر الميلادى حدث تقدم كبير فى ثقافة وصحف القوقاز، وأنشئت مدارس جديدة فى باكو وشماخى ونوخا، والتحق صابر وهو فى الثانية عشرة من عمره بالمدرسة التى كان قد أسسها المجلس المحلى لمدينة باكو، وقد ساهم هذا الأمر بشكل كبير فى استكمال معلوماته وظهور موهبته الشعرية، وفى ذلك الوقت كان الشاعر سيد عظيم الشيروانى (١٨٣٥-١٨٨٨م) يعمل معلمًا للغات الأذربيجانية والفارسية والعربية فى هذه المدرسة، وأخذ صابر أثناء دراسته يطالع أشعار نظامى وفضولى والشعراء الآخرين ويحفظها، وينظم الشعر ويترجم الأشعار الفارسية كذلك[1]، وكان الشيروانى يقوم بقراءتها وتعديلها، وعلى هذا النحو كانت رغبة صابر وميله نحو الشعر يزداد يومًا بعد يوم .

وبعد عام أو عامين وعندما تعلم قراءة وكتابة التركية والفارسية منعه والده من الذهاب إلى المدرسة وأجبره على العمل فى دكانه، فشق هذا الأمر على صابر الذى أصبح مولعًا بالتعليم ودراسة الأدب، فاشتعل الخلاف بين الأب والابن لدرجة أن والده مزّق دفتر أشعاره .

ولم يبحث صابر عن عمل أو حرفة حتى سن الثانية والعشرين، وأمضى أوقاته مع الشعر والكتاب، وفى عام ١٨٨٤م (١٣٠١هـ ق) قرر السفر قاصدًا زيارة مشهد

---

(١) كانت أولى ترجمات صابر من الشعر الفارسى قطعة من إحدى حكايات الجلستان المنظومة والتى تبدأ بهذا البيت :

رأيت باقة من الورد النضر — معقودة على قبة من النبات

الرضا، فقام بزيارة مشهد وسبزوار ونيسابور وسمرقند وبخارى ومناطق أخرى، وسافر إلى كربلاء أيضًا بعد ذلك، وبعد عودته تزوج فتاة من أقاربه، واضطربت حياته بسبب كثرة عدد أفراد الأسرة، ففتح دكانًا لصناعة الصابون مضطرًا فى حدود عام ١٨٩٠م، وعلى حد قوله "بما أنه لم يكن قادرًا على تنظيف القذارة الباطنية للأشخاص فقد احترف مهنة صناعة الصابون عله يغسل قذارتهم الخارجية على الأقل[١] " .

وبرغم كل هذه المشاغل كان صابر ينظم الشعر فى بعض الأحيان، فإن تأثير التعليم فى المدارس القديمة والماضى المحصور فى الخرافات والتعصبات قد حال دون ظهور قريحته الحقيقية لفترة طويلة، ولم يكن يسمح له بالتحرر من قيد قوانين الشعر الكلاسيكى، وعلى هذا الأساس ظل مقيدًا بالقصيدة والغزل حتى بداية القرن العشرين الميلادى، ولكن بالرغم من هذا كله فإن روح الفكاهة والمرح والمزاح وانتقاد الأوضاع كانت واضحة فى أشعاره .

وبعد هزيمة روسيا من اليابان وعقب حادثة التاسع من يناير عام ١٩٠٥ (الأحد الدامى) اشتعلت الثورة فى كل أنحاء روسيا والولايات التابعة لها، ونتيجة لهذه الثورة ازدهر الأدب والفنون الجميلة كالمسرح والموسيقى والرسم إلى حد كبير، وكما قلنا فقد أصدر جليل محمد قلى زاده أول صحيفة فكاهية بعنوان "ملا نصر الدين" فى عام ١٩٠٦ وجمع حوله المستنيرين.

انضم صابر هو الآخر إلى هذه الجبهة ونشرت أشعاره على صفحات "ملا نصر الدين" بداية من العدد الثامن (٢٦مايو١٩٠٦م)، وانطلق أنين الشاعر فجأة من وسط مشاعل الثورة الحمراء، وسُمع فى كل الدول الشرقية، ووجد طريقه إلى الأسواق والأزقة والقرى والنجوع ودوّى فى قصر الملك وبلاط السلطان .

---

(١) من كلام صابر لعبد الله شائق (مقالة شاعرنا المحبوب ، صحيفة أذربيجان ، باكو ، العدد السابع، سنة ١٩٤٦).

وبالرغم من أن فكاهيات صابر كانت تنشر بتوقيعات مستعارة وأحيانًا بدون توقيع، فإن أفراد الشعب كانوا جميعًا يحسون بأن هذه الأشعار ليست إلا من نظم صابر، ولهذا فإن سهام الطعن واللعن والخصومة كانت تسقط على رأسه من كل جانب كالمطر، وتجعل حياته التي لم يكن لها ملامح أصلاً منذ البداية أكثر مرارة وبؤسًا يومًا بعد يوم، حتى بدا في هذا الوقت وكأنه، على حد قوله، " مسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة " ولكن كان صابر قد تقبل الطعن واللعن والتكفير بكل صدر رحب، ولم يغفل لحظة واحدة عن خدمة الناس و" كان جزاؤه على خدماته أن أرضى ضميره حتى يوم الممات[1]".

فتح صابر مدرسة في شماخي في عام ١٩٠٨، ولكن لم تستمر تلك المدرسة أكثر من عام واحد وتعرّض الشاعر مرة ثانية للفقر والعوز، وكانت الفترة من عام ١٩٠٨وحتى عام ١٩١٠، هي الفترة المفعمة بالحماسة والغليان بالنسبة لكتابات صابر، فقد أنشد في هذه السنوات حوالي ثلث أشعاره، ومعظم أشعاره حول إيران وتركيا تتعلق بهذه الفترة.

وفي بداية عام ١٩١٠م، سافر الشاعر إلى باكو بقصد الحصول على عمل، وهناك قام بالتدرس صباحًا في إحدى مدارس المناطق البترولية وتعاون مع الصحف، فكان يرسل الأشعار والمقالات للصحف ويعمل في المطابع، وعلى هذا النحو أمضى أيامه الثمينة فقيرًا بائسًا حتى أصيب بمرض السل في خريف عام ١٩١٠م، وفي آخر الأمر رحل عن الحياة في ١٢ يوليو سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ ق).

وبعد موت صابر وبصفة خاصة بعد سنوات ثورة أكتوبر، كرّمه شعب أذربيجان السوفيتية التكريم اللائق به، ففي عام ١٩١٩م أسست مكتبة في باكو باسمه والتي أصبحت مركزًا ثقافيًا ومجمعًا للمستنيرين، وفي ٢٨ أبريل ١٩٢٢م، أقيم له نصب

(١) ع . صحت ، آثار برگزيده ، باكو ، ١٩٥٠ ، ص (٣٥٥ – ٣٥٦).

تذكارى وأطلق اسمه على مدرسة ومكتبة وناد ومزرعة تعاونية وحديقة وشارع وميدان وأقيم أمام دار الفنون التربوية بمدينة شماخى تمثال له بكامل هيئته .

أمّا مجموعة أشعاره والتى كانت قد نشرت بشكل متقطع فى صحيفة "ملا نصر الدين" وسائر صحف القوقاز، فقد طبعت مرارًا فى أذربيجان السوفيتية وأذربيجان الإيرانية باسم هوپ هوپ نامه (أى كتاب الهدهد)[1]، وترجمت إلى اللغات الروسية ولغات دول الاتحاد السوفيتى وكتبت شروح وتفاسير وانتقادات عديدة حول صابر وفنه الشعرى .

وبرغم أن صابر عاش بائسًا ومات مسكينًا، فإنه كان رجلاً محظوظًا على الساحة الأدبية، فقد ظهر فى عصر سارعت فيه أحداث الزمان لإعانته، وأبرزت فجأة قدرته وموهبته الفنية التى كانت قد ظلت حبيسة لفترات كجمرة مشتعلة تحت الرماد، فظهرت هذه الموهبة فى نظم الغزل والقصيدة، وسجل التاريخ اسمه ضمن فنانى الثورة الروسية الأولى.

وعندما يتحدث الشاعر عن الأحداث الاجتماعية والدولية الكبيرة مثل الثورة الإيرانية والعثمانية التى وقعت بعد عام ١٩٠٥م، فإنه يضع نصب عينيه دائما التجارب التاريخية المُرّة للثورة الروسية الأولى، وكان يذكّر القرّاء دائمًا بدروس الثورة ويشير إلى أهمية هذه الدروس فى ظهورالأحداث التالية، وبوجه عام فإن ثورة ١٩٠٥ قد تركت آثارًا شاملة وعميقة فى أيديولوجية صابر الاجتماعية والتاريخية، وتشكيل معتقداته الثورية والديمقراطية .

إن مرجع صابر ومآله فى أى موضوع يتحدث عنه هو مرجع واحد ؛ ألا وهو الشعب ومصير الشعب، فعندما ينتقد الظلم وانعدام العدالة والمفاسد الاجتماعية وبصفة عامة الجوانب السلبية فى الحياة فإنه يستلهم دائمًا المُثل العليا العظيمة التى تقوم دعائمها على محبة

---

(١) صدرت الطبعة الأولى بعد عام واحد من موت الشاعر فى عام ١٩١٢م فى ١٠٤ صفحات و ٢٠٠٠ نسخة بفضل زوجته بلورنسا وصديقه عباس صحت .

البشر والإنسانية، ويرفض صابر ويستنكر الحياة الدنيئة الحقيرة فى مقابل الحياة السامية التى يتمناها، وشعر صابر هو شعر السعادة والنور، هو أغنية الحياة الحرة الكريمة الشريفة .

ويعتبر صابر من حيث مضامين أشعاره وخصائصه الفنية شاعرًا واقعيًا ومُجددًا أحدث ثورة فى أدب أذربيجان، وصنع عهدًا جديدًا فى الكتابة الساخرة ببلاده وبعض الدول الشرقية.

صابر والثورة الدستورية الإيرانية : إن يقظة الشعور السياسى فى الشرق وثورة المظلومين الإيرانيين والأتراك وجهادهم فى سبيل الحصول على الحرية كانت مبعثًا لسعادة أهالى القوقاز، فقد تعلم معظم مستنيرى القوقاز فى المراكز التعليمية الشرقية الأساسية وكانت تربطهم بالشعب الإيرانى أواصر العرق والدم، فضلاً عن العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين هذين البلدين . وعلى هذا الأساس لم يكن فى استطاعتهم أن ينظروا إلى مصير إيران بشىء من اللامبالاة ليس هذا فحسب، بل إن محاربة الديكتاتورية والرجعية والمساهمة فى يقظة الشعب الإيرانى كانت تعد أحد أهدافهم السياسية الأيديولوجية[1].

وعندما قويت الحركة الديمقراطية فى إيران، صارت القضايا التى كانت تتعلق بهذه الحركة من أهم موضوعات الكتّاب والصحف القوقازية التحررية والتقدمية .

وكان جليل محمد قلى زاده- قبل أن يصدر صحيفة ملا نصر الدين- يدعو الكادحين الإيرانيين والأذربيجانيين إلى محاربة الديكتاتورية، ويحثهم على تعلم المنطق الثورى من خلال مقالات بعنوان "المحروم" و "دعاء الخير" وغيرها[2]، وكان عباس صحت قد نظم منظومة "حمية أحمد" حول بطولات وتضحيات أحد العمال الأذربيجانيين الوطنيين أثناء الاشتباكات الثورية .

---

(١) يقول أمين عابد : فى مطلع القرن العشرين كان عشق العادات الإيرانية القديمة والتعلق بها قد زادا بشكل كبير، لدرجة أن أحد المسئولين القيصريين كان يمنع قراءة الشاهنامه خوفًا من أن يصبح شعب أذربيجان فى شجاعة رستم من كثرة قراءته لقصص رستم وسهراب وكيو وكودرز البطولية (فردوسى ، شاهنامه ، داستانهاى برگزيده ، باكو ، ١٩٣٤ ، صفحة ٩٥ مقدمه).

(٢) جليل محمد قلى زاده ، آثار برگزيده ، باكو ، ١٩٥٣.

ولكن دور صابر يفوق هذه المساعى، فصابر الذى لم يكن يـستطيع أن يتحـدث بشكل علنى ومباشر عن السياسة القيصرية وأحداث الثورة الروسية بسبب الرقابة الـشديدة، اضطر لأن يجعل الأحداث الجارية فى إيران والدولة العثمانية حجة لنشر الأفكـار الثوريـة، وأخذ يهاجم ديكتاتورية ورجعية هاتين الدولتين فى أشعاره، وبهذه الطريقة كان ينتقد سياسة الحكومة القيصرية وتدخلاتها فى الشئون الإيرانية بشكل غير مباشر.

وكما نعلم فإن الحكومة القيصرية كانت هى العدو اللدود الغادر للثورة الإيرانية فكانت تحاول وأد الأفكار التحررية بشتى السبل حتى عـن طريـق إرسـال القـوات العسكرية، وكانت الصحف الموالية للحكومة القيصرية مثل "نوفيه ورميـا"[1] تـصرخ وتحذر من أن مستنيرى القوقاز يعربون عن اهتمامهم بـالثورة الإيرانيـة، ويرسـلون المتطوعين إلى إيران لكى يحاربوا القوات الحكومية جنبًا إلى جنب مع الإيرانيين " ربما قد نسوا أنهم تابعون لروسيا[2] ".

وفى وضع كهذا يمكن لمس القيمة السياسية لأشعار صابر، فبرغم إقامته فى القوقاز التى كانت تحت سلطة ونفوذ روسيا القيصرية من جميع الوجوه فإنه كان متضامنًا مـع الأحرار الإيرانيين ومؤيدًا للثورة الإيرانية .

يقول عباس صحت[3]، أحد كتّاب سيرة الشاعر صابر :" أثرت أشعار صـابر خلال هذه السنوات الخمس[4] فى انتصار الحركة الدستورية الإيرانية أكثر من أى جيش مسلح[5] ".

---

(١) معناها العصر الحديث .
(٢) " نوفيه ورميا " ، ١٨ أكتوبر ١٩٠٨.
(٣) ميرزا عباسقلى صحت (١٨٧٤ – ١٩١٨م) من شعراء أذربيجان القوقازيين الرومانـسيين ومؤلـف مجموعة أشعار " الآلة الموسيقية المكسورة ".
(٤) خمس سنوات من التعاون مع صحيفة (ملا نصر الدين).
(٥) ع . صحت ، مقدمة بر كتاب "هوب هوب نامه : كتاب الهدهد "، چاپ أول ، ١٩١٢.

وللأسف فإن أدباءنا وكتّابنا قلما طالعوا الصحف القوقازية خاصة مقالات وحكايات "ملا نصر الدين" وأشعار صابر الساخرة حول إيران، و لم يبحثوا جيدًا أهميتها وتأثيرها فى الثورة الإيرانية .

وكانت لدى صابر أخبار ومعلومات تاريخية مستفيضة عن إيران، وكان قد سافر فى شبابه إلى دولة إيران وتعرّف على حياة الإيرانيين، ووقف على استبداد الخوانين والملاك والنفوذ المتزايد لرؤوس الأموال الأجنبية والتخلف السياسى والاقتصادى والثقافى لهذه الدولة[1]، وكان يرى بعينه الوضع المؤسف للفلاحين الإيرانيين الكادحين الذين كانوا يسقطون فى دائرة الفقر والتسوّل بسبب ضغط الملاك، ويتجهون إلى المراكز الصناعية بالقوقاز(الجانب الآخرمن نهر إرس) بحثًا عن العمل[2]، وظل يتابع الأحداث الإيرانية خطوة بخطوة خاصة منذ عام ١٩٠٥م، كسائر حكماء القوقاز، وأصبح مجموع هذه المعلومات والمشاهدات والتأثرات بمثابة حجر الأساس لأشعار صابر الرائعة حول إيران .

وقمة إبداع صابر فى أنه كان يقيّم الأحداث المهمة الجارية فى دولة إيران فى ذلك العصر بشكل صحيح ثم يصيغها فى قالب شعرى يفيض بالصدق والصفاء، بل إنه قد تنبأ بالأحداث القادمة فى بعض الأمور .

فصابر الذى لم ينس إعلان أكتوبر ١٩٠٥ وسياسة النفاق والتدليس التى كانت تنتهجها الحكومة والمجالس التشريعية الروسية، استطاع بحكم التجارب التاريخية المُرّة

---

(١) عندما صدرت أول أشعار صابر " لقد أصبحت الأمة غنيمة ونهبًا وليكن ، ماذا عساى أن أفعل ! " كتبت صحيفة "أذربيجان" التبريزية فى عددها السادس كل من يقرأ هذه القطعة سيقول إن الشاعر قد صوّر حياتنا نحن الإيرانيين بالضبط .

(٢) فى مطلع القرن العشرين الميلادى كان يسافر إلى روسيا سنويًا مائتا ألف شخص من إيران للعثور على عمل (إيفانوف ، تاريخ مختصر إيران ، ١٩٥٢ ، ص ١٩٣)، فى عام ١٩٠٤ كان يعمل فى باكو وحدها ما يقرب من سبعة آلاف عامل إيرانى وكان هذا الرقم يعادل تقريبًا ٢٢ بالمائة من مجموع العاملين فى باكو (نفس المصدر ، ص ٢٠٠)، كتب كسروى أن عدد العاملين الإيرانيين فى مناجم النفط فى صابونچى وبالاخانى عشرة آلاف شخص (تاريخ مشروطه ، الجزء الأول) أما تقى زاده فقد صرح فى الخطبة التى ألقاها فى تبريز فى أرديبهشت ١٣٣٩ ش، بأن عدد العاملين الإيرانيين فى باكو ٨٠٠٠٠ شخص فقط فى الشتاء و ٥٠٠٠٠ شخص فى الصيف ، ولا أعلم مصدره .

التنبؤ فى اليوم الذى وقّع فيه ملك إيران على قرار الحكومة الدستورية بأن كل هذه الأمور ليست إلا مسرحية، الغرض منها إسكات الشعب وخنق الحركات الدستورية وأن الحريات الخادعة التى تمنح فى الظاهر ستسترد بالفعل فى يوم من الأيام[1] .

ويُعتقد أنه كانت هناك عوامل أخرى أيضًا ساعدت صابر على الحكم بشكل جيد بشأن ماهية الثورة الإيرانية وتصوير أحداثها بصورة صحيحة، فمثلاً علاقته بعزيز بيجوف[2] أحد زعماء منظمة حزب " همت " والذى ارتبط بعلاقة وثيقة مع الثورة الإيرانية، كان لها تأثير إيجابى فى طريقة تقييمه للأحداث .

وعلى كل حال فقد كانت أحداث الثورة الإيرانية فى الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩١١م، كما قلنا من الموضوعات الأساسية فى كتابات صابر الساخرة، ففى هذه المدة نظم الشاعر ما يقرب من عشرين قطعة شعرية حول الثورة الإيرانية، ويمكن القول بأنه قد صوّر جميع مراحل الثورة فى أعماله سطرًا بسطر من بداية ظهور الثورة، والعراقيل التى وضعها محمد على شاه وحاشيته، وبطولات الفدائيين والمجاهدين وضعف مجلس الشورى الوطنى وغفلته، وطلب الملك المساعدة من الحكومة الروسية والإمبرياليين الأوربيين، وقبول بعض رجال الدين دور العملاء للحكومة الرجعية وأخيرًا هزيمة الثورة .

وأول أعمال صابر فى هذا الموضوع على حد علمنا هى قطعة يقول مطلعها " أنا لم أتوقع كل هذه المآسى " والتى قد نشرت فى صحيفة "ملا نصر الدين" فى ٢٤ نوفمبر

(١) فى اليوم الذى أمر فيه الملك بقصف المجلس وعطل الحكم الدستورى وانسحب الملاك والتجار ورجال الدين الانتهازيون والمغرضون واحدًا واحدًا وتركوا الأحرار الحقيقيين بمفردهم وأخيرًا عندما أرسلت الحكومة القيصرية (فى بداية عام ١٩٠٩– ١٣٢٧هـ ق) الجيش إلى إيران وأنزل الإنجليز القوات فى الجنوب وضيقوا الخناق على الأحرار، عندئذ عرفت جيدًا قيمة تنبؤات صابر .

(٢) كان مشهدى عظيم بيك أوغلى (١٨٧٦-١٩١٨م) من زعماء النهضة الثورية الأذربيجانية السوفيتية ، أسس منظمة "همت" فى باكو فى عام ١٩٠٤، وشارك بالفعل فى ثورة (١٩٠٥-١٩٠٧) وبعد ثورة أكتوبر الكبرى لقى مصرعه فى ليلة العشرين من سبتمبر عام ١٩١٨ برصاص العملاء الإنجليز أثناء وجوده ضمن فرقة بلاشفة باكو التى ضمت ٢٦ فردًا .

سنة ١٩٠٦م، وهذه القطعة نظمها صابر على لسان حاجى ميرزا حسن مجتهد عندما طرده الأحرار الأذربيجانيين من تبريز[١] .

وفى ربيع عام ١٣٢٥هـ ق، وُجهت الدعوة لميرزا على أصغر خان أمين السلطان – أحد أهم أسباب بؤس إيران – للعودة إليها مرة ثانية بعد ثلاث سنوات ونصف السنة قضاها مبعدًا عن المملكة منذ جمادى الآخر سنة ١٣٢١هـ ق، ولم يتخذ أعضاء المجلس قرارًا حاسمًا فى هذا الشأن بسبب ضعفهم وغفلتهم، وبمناسبة هذه الواقعة أنشد صابر الأشعار التالية فى توبيخ وتقريع الإيرانيين، ونشرها فى صحيفة "ملا نصر الدين" فى ١٢مايو ١٩٠٧م (عندما وقع مجلس الدوما الروسى الثانى فى أزمة وكان على وشك أن يحل):

ها قل لى أيها الزميل ما كل هذا الصراخ والعويل الذى تفعله ؟

ألم تكن أنت الذى ملأت الأرض والسماء بالأنين والصراخ ؟

لعلك تعرف عيبك وتقلع عن حركاتك التمثيلية ؟

والآن أيها الزميل ألم يحدث ما كنت قد قلته أنا ؟

---

(١) فيما يلى ترجمة لبعض الأشعار: أنا لم أتوقع كل هذه المآسى، ولم أكن أعلم أن شعب تبريز عنده كل هذه الحمية، أنا كنت زعيمهم والكل يعرف أننى كنت قد اشتريت هذه المكانة بالمال وجعلت الكبير والصغير غلمانًا وعبيدًا، وفى النهاية من كان يعرف أن الحرية ستقوم لها قائمة فى إيران، وأن أيامى ستنقلب مظلمة! لقد جمعت كل هذه الأملاك تدريجيًا من ضياع ومزارع وقطعان خيول وأغنام، وجعلت القبائل والعشائر خدماً لى من أجل كسرة خبز، ووضعت المدن والقروى فى الأغلال، كنت أعيش حياتى مستريحًا ونائمًا، وألصق أى تهمة بالمسلمين، كنت ذئبًا يتشبّه بالغنم، كنت أمزق أى ساذج مسكين، وكل من يفتح فمه بكلمة حتى كنت أخيط فمه .. يا خسارة فقد = = مُحيت الشريعة وابتلينا بالدستور! لا أعلم من حرّك عش الدبابير وأيقظ النائمين ؟! لا أعلم من غرس غصن هذه الفتنة، الذى كلما قطعته طرح فروعًا وأوراقا أكثر؟، لقد وصل المغرضون إلى هدفهم : لن تجرى وتطبق بعد ذلك أحكام الشريعة، ولن تمتلئ المخازن بالقمح! ليت ميرزا جواد (المقصود جواد المتحدث) كان قد خرس لسانه ولم يفش الأسرار، فقد جمع حوله هو وميرزا حسين (حسين الواعظ) أشخاصًا منافقين، وأحدثوا ضجيجًا شديدًا حتى اشتعلت هذه الفتنة والفساد وأخرجونى من تبريز: والآن فإن الاشتياق إلى رؤية تبريز، وأمنية التعظيم والتكريم والشوق إلى المائدة الممتدة، ورائحة المطبخ المحبوبة، ورائحة الأرز الأبيض، وخيال الشراب والعصير، قد جعلتنى كالمجنون، فيا إلهى، هل سأرى تلك الأيام مرة ثانية أم سآخذ معى إلى القبر هذا الخيال الساذج ؟

ألم تقل أنت إنه لن يوافق حتى فرد واحد من أعضاء المجلس
على عودة الأتابك إلى الدولة ؟
والآن ماذا حدث، غلت أيدى المجلس وأصيب بالعجز
ألم تكن أنت الذى قلت إننا جميعًا متحدون ومتفقون
ولكن هل تتذكر أننى قلت إننا لا نثق فى هذا الكلام
وكل سعينا وجهدنا موجَّه نحو الخصومة والخلاف ؟
الآن وقد رُفع النقاب فجأة
هل ما قلته أنا حدث أم لم يحدث ؟

وبعد أن قتل الأتابك على يد المجاهد الأذربيجانى عباس آقا فى شهر رجب سنة ١٣٤٥هـ ق، نظم أحد الأشخاص بتوقيع محمد محمد زاده بعض الأشعار فى صحيفة (تازه حيات) التفليسية مخاطبًا صحيفة "ملانصرالدين" والتى يقول فيها "أنت الذى كنت قد قلت الحقيقة أم نحن ؟ " وذكرت صحيفة "أذربيجان"[1] التبريزية هذا الموضوع أيضًا وردت على أشعار صابر كالتالى :

ها، أرأيت كيف كان كلامنا كله صحيحًا وفى موضعه ؟
أرأيت كيف استجاب اللـــه تعالى لدعائنا
وكيف أنه أجاز مطلبنا ومقصدنا ؟

(١) كانت هذه الصحيفة قد ظهرت بفضل همة ستارخان وحاكت أسلوب "ملا نصر الدين"، وكان مدير الصحيفة ميرزا عليقلى صفراوف الذى تعاون لفترة مع صحيفة "ملا نصر الدين" فى تفليس، وأخذ ينظم بعد ذلك أشعارًا على غرار أشعار صابر وينشرها فى "أذربيجان"، كما قامت هذه الصحيفة أيضاً بترجمة ونشر أول أشعار صابر والتى يقول مطلعها "لقد أصبحت الأمة غنيمة ونهباً وليكن ماذا عساى أن أفعل ! " وتولى ترجمة الأشعار ميرزا مهدي خان مدير صحيفة "حكمت" .

والآن يا عمى الشيخ هل حدث ما قلته أنا أم لم يحدث ؟

قلت أنت إن أعضاء المجلس يجب أن تكون عندهم حمية وهمّة

دعك من كل حساباتك وانظر إلى حسابات الفلك !

ألم أقل أنا إن هناك مصيبة ستقع على رأس الأتابك ؟

والآن يا عمى الشيخ هل حدث ما قلته أنا أم لم يحدث ؟

ألم أقل لا تسمحوا لأى شخص بدخول هذه البلاد

ولا تقدموا للمجلس الموقر أحدًا ؟

ألم أقل اصبر وانظر ماذا سيحدث فى النهاية ؟

والآن يا عمى الشيخ هل حدث ما قلته أم لم يحدث ؟

إن صرخة وا وطناه كانت قد هزت روحى

حيث وصل فجأة رسول البشرى السعيدة

وقال لقد قضوا تمامًا على الأتابك

والآن يا عمى الشيخ هل حدث ما قلته أنا أم لم يحدث ؟

فكتب صابر مرة ثانية ردًا على هذه الأشعار فى صحيفة "ملا نصر الدين" بتاريخ الثانى من أكتوبرسنة ١٩٠٧م، وفى هذه الأشعار يضحك صابر على بعض الأحرار السذج ويوصى الشعب الإيرانى بألا يقعد عن الأمر، وألا يكل من السعى والجهاد، وفيما يلى مقاطع منها:

لا تعوّد نفسك على التكبر والعنجهية مثل مُحدثى النعمة

لماذا تضحك بميوعة هكذا مثل الأولاد عديمى التربية ؟

عليك بالنوم ولا تصرخ هكذا بلا وعى
فإن رأسك وأذنك مشوّشتان
وما قلته أنت لم يحدث بعد
لا يمكن أن تنتظم الأمور المختلة
والفجر شبه المظلم لا يمكن أن يصبح ضحى
والربيع لا يُقبل بوردة واحدة
اذهب وعليك بالنوم فإن ما قلته لم يحدث
صحيح أنكم قتلتم الأتابك
ولكن إذا لم أخطئ فإن عندكم أيضًا آلاف الأتابكة
لنفترض أن الأتابك قد قتل فأين مدافعكم وبنادقكم
وأين سفنكم الحربية فى بحر القتال العميق اللامتناهى ؟
نفس الحمّام ونفس الوعاء القديم،
فأين صورتكم الجديدة ؟
قل لى هل تم إصلاح وزارة المالية الخاصة بكم ؟
هل قطعت تلك الأيادى الطويلة
وقصرت تلك العمامات العالية ؟
هل دخلت السكة الحديد دولتكم ؟
اذهب وعليك بالنوم فإن ما قلته لم يحدث

اذهب وانظر إلى مستشفى طهران

وشاهد طريقة ميرزا أبي الحسن خان فى الطبابة

وكيف أنه سمم نصف شعب إيران وقتلهم

اصمت يا عزيزى وعليك بالنوم فإن ما قلته لم يحدث بعد ...

فردت "أذربيجان" مرة ثانية وفيما يلى بعض أشعارها :

إذا أردنا أن نذهب إلى طهران

فهل من الممكن أن نقطع كل هذا الطريق مرة واحدة

يواش يواش كما يقول الأتراك أو شوى شوى كما يقول العرب

أمّا أنت يا من ليست لديك قدرة على الصبر فاصبر وانظر إلى نهاية الأمر

أنت تقول إن شهر فروردين سيحل فى فصل الشتاء

ولكن أنا أقول إن الربيع لن يقبل ما لم يمض فصل الشتاء

اطمئن ولا تصغ إلى هذا الكلام المرائى

أمّا أنت يا من ليس لديك قدرة على الصبر، فاصبر وانظر إلى نهاية الأمر

إن الكثيرين من خارج الدولة قد ضحكوا علينا

وأحدثوا صفيرًا متواصلاً مثل الحذاء القديم

ولفوا كالنحلة الخشبية، دون النظر إلى دوران الزمان

أمّا أنت يا من ليست لديك قدرة على الصبر فاصبر، وانظر إلى نهاية الأمر

وكان لحن شعر صابر ولهجته تتغيران وفقًا للأحداث والشخصيات التى كانت تصوّر فى هذا الشعر وخاصة مع ما تحققه الثورة من نجاحات وإخفاقات، فتارة تظهر فى كلماته علامات الفرح والسرور كدليل على انتصار الأحرار، وتارة تبدو علامات الحزن والغم كدليل على الفشل والهزيمة وأحيانًا علامات الاضطراب والحيرة كدليل على الإحساس بالخطر والتهلكة.

وقد صورت فكاهيات صابر ماهية الحكم المطلق والظلم والفساد الاجتماعى وسياسة الحكومة الداخلية وشخصية الملك المستبد والرؤساء والقادة ورجال الدين المرائين مثل ظل السلطان وسبهدار ومير هاشم وغيرهم على النحو الذى كانوا عليه بالضبط[1] .

ويثبت شعر صابر أن محمد على شاه قاجار- الشخص الذى لم يكن يحب أسلافه، وكان يعتبر والده مظفر الدين شاه رجلاً غافلاً عن السياسة، ويرى جده ناصر الدين شاه رجلاً لا يعرف خيره من شره- قد سلك هو نفسه أيضًا نفس طريق ودرب والده وجده فى إدارة المملكة ليس هذا فحسب، بل ويسبقهم بمراحل فى الحقارة والوضاعة وفى تعبير صابر " ممده لى " تجسيد حى لسلطان محتال وجاهل وكاذب وفاسد ومرتش .

(١) مثل منظومة "ذنب إيران" ومطلعها: "أنا الملك قوى الشوكة مالك بلاد إيران" وقد نشرت بعد فترة من انقلاب محمد علي شاه وقصف المجلس ورسُم فيها الوجه الحقيقى للملك والذى يتحدث عن قوته بمنتهى الجرأة والوقاحة، ويتباهى بأفعاله (هوپ هوپ نامه: كتاب الهدهد، طبعة ١٩٦٢ ، ص ١٤٠) وقطعة يقول مطلعها " صار الغم والألم كثيرًا ، والملك دون وحقير من كثرة الخداع " وقد نظمت بعد إسقاط الحكم الدستورى (نفس المصدر، ص ١٧٥) وقطعة " صار الغم هو المرشد حتى قادنا إلى البلاء " ونظمت بعد اعتقال السلطان عبد الحميد وحبسه فى قلعة سالونيك ، وقد نظمت على لسانه مخاطبًا محمد على شاه (نفس المصدر، ص ١٨٥) ومنظومة " ما هو ذنب الإيرانى ؟ " ونظمت بعد فرار محمد على ميرزا (نفس المصدر، ص ١٩٥) وأشعار كثيرة أخرى مثل "لماذا لا يصدر الملك قرار الحكم الدستورى؟ " (نفس المصد، ص ١٩٢) و" فلتصبح الحمية والغيرة حلالاً " (نفس المصد، ص ١٩٣) و" ظل السلطان يجبر على ضربه " (نفس المصدر، ص ١٩٩) وقد نظمها صابر كلها حول الملك ورجال الاستبداد .

والجزء الثانى من سلسلة أشعار صابر حول إيران هى مجموعة من الأشعار تصوّر الصراع بين الشعب الصامد والرجعية الغاشمة وبطولات ستارخان ورفاقه، ويتضح فى هذه الأشعار الوجه الحقيقى للأحداث والتفاؤل بنتائج الأعمال.

مدح صابر لستارخان : كان ستارخان رجلاً جريئًا وشجاعًا وفدائيًا وفى الوقت نفسه مدبرًا وحازمًا وخبيرًا بفنون الحرب، تميز بالصدق والتسامح والحمية ومساندة الحق والتدين الشديد والوطنية، وبهذه الصفات ذاعت شهرته وشجاعته فى كل أنحاء الدولة بل وتعدّت الحدود الإيرانية أيضًا منذ أول أيام ثورة أذربيجان، فخصص الملك جائزة لمن يأتى برأسه، أمّا جمعية "سعادت" فقد أرسلت إليه وسامًا، وسمّاه الدستوريون الإيرانيون "سردار ملى" (الزعيم الوطنى) وأطلقت عليه الصحف الروسية والأوربية الغربية اسم "بوجاتشوف أذربيجان" و "جاريبالدى إيران" ونظم له أفراد الشعب أشعارًا وأغانى كثيرة وكان أهالى أذربيجان قد صوروا ستارخان فى هذه الأغانى كأحد الأبطال القوميين والفرسان الأسطوريين مثل " يرتدى قميصًا من القرآن وسهم العدو لا يؤثر فيه " وكان يقول هو نفسه أيضًا " لا تؤثر فيه أى رصاصة، وسهم الأجل ليس من بينهم [١] " .

وفى مثل هذه الظروف نشر أيضًا شعر صابر حول ستارخان، وكان هذا الشعر يختلف عن بقية أشعاره، فنظم الشاعر شعره الجديد فى بحر الرمل الإيقاعى الثقيل.

وأنا لا أستطيع ألا أقدم للقرّاء الناطقين بالفارسية الترجمة الكاملة لهذه المدح البليغ حول شعب تبريز والزعيم الوطنى الإيرانى برغم أنها لن تكون فى بلاغة وسلاسة النص الأصلى :

لا تظن أيها القارئ أننى مجنون عندما ترى شدة وجدى

ولا تتصور صرختى المجنونة وهمًا

(١) إسماعيل أمير خيزى ، "قيام أذربيجان و ستارخان"، ص ٢٣.

فأنا شاعر طبعي مثل طبع البحر وشعري العذب يخرج مؤلمًا

والحرية والتحرر هما راحتي وسعادتي

وانجذابي يكون للشجعان

فمرحبًا بهمة ستارخان العالية

عندما هُدم المجلس الوطني في طهران

تعاهد أهل أذربيجان مع ستارخان

على الثورة ضد الظلم والاستبداد

والتضحية بالروح في سبيل الأمة والوطن

آية "ذبح عظيم[1]" لمثل هؤلاء الفدائيين

فمرحبًا بهمة ستارخان العالية !

لقد أعان اللـــه شعب أذربيجان

حتى يثوروا ضد ضحاك آل قاجار

ألف رحمة تنزل على أرواح الشهداء الطاهرة

الذين خضبوا بدمائهم تراب تبريز وطهران !

مكانهم هو الفردوس الأعلى

فمرحبًا بهمة ستارخان العالية

(١) القرآن الكريم ، سورة الصافات الآية ١٠٧ .

انظروا أى أمر أقدم عليه ستارخان
فلم يورّط "الملك" و "الوزير" فحسب بل ورّط الدنيا بأسرها
به زاد الإسلام شرفًا والوطن كرامة
فقد أثبت مكانته ومنزلته ووطنيته
حيث تتجه أنظار العالمين نحو إيران
فمرحبًا بهمة ستارخان العالية !

لقد أحيا ستارخان دولة إيران
وتولى رعاية دينها الحنيف
وكان فى الحرب مثال الشجاعة والرجولة
وفضح "عين الدولة" أمام العالم
فلم يكن هو الفراشة التى تهرب من الشعلة ...
فمرحبًا بهمة ستارخان العالية !

أحسنتم يا أهل تبريز، ما أجمل أنكم حافظتم على العهد !
نلتم مدح وثناء الصديق والعدو
حفظك اللـــه أيها القائد العظيم !
إن رسول الإسلام سيفاخر بك فى الجنة
فما قدمته كان خدمة للإسلام والإنسانية
فمرحبًا بهمة ستارخان العالية !

شاهنامه (كتاب الملوك) : والمنظومة الأخرى للشاعر صابر بعنوان : " شاهنامه " والتي تظهر فيها قوة وشجاعة رجال الثورة ومشاعر الفخر والسرور عن الشعور بهذه القوة.

بعد أن تم إغلاق المجلس أرسل الملك جنودًا إلى تبريز وكان يريد خنق الثورة في مهدها ولكن انتصرت تبريز بقيادة ستارخان في الحروب التي دارت، وفرّ جنود الملك، وبعد فترة قصيرة صاغ صابر هذه الحادثة التي وقعت في رمضان سنة ١٣٢٦هـ ق، في قالب شعرى على شكل ملحمة، وهي تقليد لشاهنامه الفردوسي، وفي هذا المثنوى المكون من ستة وثمانين بيتًا تتضح لهجة المزاح اللطيف وكذلك روح البطولة .

وفيما يلي ترجمته إلى الشعر الفارسي :

أيها الملك المتوّج قوى الشوكة
يا صاحب العظمة والرفعة والجلال
إذا كنت تسأل عن أحوالي من باب العطف والرحمة
فاقرأ حالي أيها الملك من هذه الرسالة
عندما رحلت من بلاطك
سرت نحو مدينة تبريز
وكان هدفي أن أحارب برجولة
وأصب الأمر على المحاربين
أنا لست مثل ستار ولا رفاقه
بل أنا أقذف الشرر في قلبه وروحه
وأقلب بساطه رأسًا على عقب

وأملأ البلاط والوادى والهضبة بالدماء
فأنا عندى جواد جامح سريع مُزين بالسرج
وهو يتوسط الظل الممدود واللواء الذهبى
وكبار القادة يقفون يمينًا ويسارًا
أى قادة هؤلاء ؟ إنهم مثل رستم فى الحروب
والجيش كله فى ضجيج وصخب كالسيل المنهمر
والخدم كلهم فى سعى ودأب كفرق الجيش
وحزام الرصاص على أكتاف الشجعان
والمسدس وحمالة البندقية فى اليد
وصوت البوق والنفير يرتفع بشدة
وأصوات طلقات الرصاص تصل إلى عنان السماء
وعرادات المدافع فى الأمام والخلف
ومن قوة صوت الطبول يصاب الفلك بالصمم
نعم أنا بهذا الحظ المبارك الميمون
بهذه الرفعة والعظمة والجلال
قطعت هذه الطرق الطويلة
واجتزت كل المنخفضات والمرتفعات
وأقمت المعسكر خارج تبريز
وصرخت فى كل اتجاه مثل رستم
وأمرت أن يدقوا الطبول
ويرسلوا الجواسيس إلى المدينة

ولكن لم يطع أوامرى
أحد من فرسان الميدان هؤلاء
وعندما صرخت بكل قوتي وأمرت
بأن يفتحوا النار على المدينة من كل اتجاه
حدث اضطراب وفوضى شديدة لدرجة أنه
يُخيل إليك أن النيران تسقط من السماء
والقتلى يتساقطون فى كل جانب
والتلال ترتفع من أجساد القتلى
ولما رأى ستارخان هذا الوضع
أطلق صرخة كالأسد الهصور قائلاً
" هيّا أيها الشجعان إنه وقت الحمية
إذا كان لابد من الموت فها هى الفرصة سانحة
ليكن لى العار والخذلان من هذه الحياة
إذا كنت مجرد قائد أنفذ الأوامر ! "
وكان قوله هذا مؤثرًا للغاية لدرجة
أن الجيش قد زأر كالأسد قائلاً
" سيموت ذات يوم كل من يولد
فإذا ضحّينا بأرواحنا، فنعم المراد ! "
قالوا هذا وخرجوا جميعًا
فى صخب وضجيج وكلهم متعطشون للدماء
وتحركت المدينة فجأة من مكانها

وكـــــأن القيامـــــــة قــــد قامـــــت
وصـــــلوا وســــجدوا اللـــــه تعــــالى
وســـحقوا وجــــه التـــضرع علـــى أرض الـــوطن
ســـــاروا يمينًـــا ويـــــسارًا وتـــــأهبوا
وهجمـــــوا علـــــىّ كالنـــــذير الـــــشؤم
ودارت معركـــــة بـــــين الجيـــــشين
وضــــاقت هـــذه الـــدنيا علـــى المقـــاتلين
فـــزاغ بـــصرى مـــن هـــذه الحادثـــة
وأظلمــــت الـــدنيا فى عـــينى
وضـــقت ذرعًـــا مـــن تـــزاحم الجـــيش
فـــسرت بقـــدمى إلى أعلـــى الجبـــل
كـــى أبتعـــد عـــن ظلـــم العـــدو
ربمـــا أدفـــن نفـــسى حيًّـــا فى القـــبر
فـــصرخت : ومـــاذا بعـــد ؟ قـــف قـــف !
فإنـــه وقـــت الرجولـــة والقـــوة !
إن طريـــق الكراهيـــة قـــد قطـــع نفـــسى
ولكـــن كيـــف ذهبـــت فى انتظـــار شـــخص آخـــر !
وا أســـفاه فقـــد مـــضت تلـــك العظمـــة والقـــوة
ودخلـــت مائتـــا شـــوكة فى " عـــين الدولـــة "[1]
وخـــلا ميـــدان الحـــرب مـــن الرجـــال

(١) إشارة إلى الأمير عين الدولة قائد جيش الملك.

وتعرضــــــت الخيـــــول والمــــــدافع والبنـــــادق للإغـــــارة

ولمّـــا رأيـــت وضــــع الجـــيش قـــد اختـــل

لجــــأت إلى عـــشرة أو عـــشرين قوزاقيًّـــا

فانتـــشلونى مـــن تلـــك المعركـــة الداميـــة

انتـــشلونى وأخرجـــونى . . .

فـــاقرأ حـــالى مـــن هـــذه الرســـالة

وحكايـــة معـــركتى فى تبريـــز

وفى النهايـــة لـــك الأمـــر يـــا قـــوى الـــشوكة

أنـــا مـــستعد، رأســـى فـــداك وروحـــى فـــداك

بـــرغم أنـــنى قـــد تعبـــت مـــن مـــشقة الطريـــق

فـــإننى متأهـــب للخدمـــة[1].

(١) ترجمة لمؤلف هذا الكتاب ، ويعترف المترجم بأنه لم يستطع المحافظة على واحد فى المائة من لطف وجمال المتن الأذربيجانى.

الفصل الرابع

ممثلا أدب مرحلة الثورة الشهيران

كانت الصدور مشحونة وممتلئة عن آخرها فى بداية الحركة الدستورية، ولكن كما ذكر لم يكن الشعراء والكتّاب الإيرانيون يعرفون وسيلة للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم، حيث كان الشعر الفارسى الكلاسيكى بنوعيه - القصيدة والغزل وبتعبيراته الخاصة لايرقى إلى قامة الأفكار الجديدة ولا يناسبها، أمّا النثر الفارسى والذى لم يكن قد استخدم حتى ذلك الوقت إلا فى كتابة الرسائل والتاريخ والتذاكر، وأمثال ذلك فإنه لم يكن مناسبًا بالقدر الكافى للتعبير عن أهداف ومطالب الأحرار. فى مثل هذا الوقت علا صوت "ملا نصر الدين" من القوقاز وسرعان ما تحوّل هذا الصوت إلى دعوة ورسالة.

وبمساعدة هذه الصحيفة انتهج بعض الشعراء والكتّاب الإيرانيين منهجًا صحيحًا وواضحًا فيما يتعلق بأسلوب التفكير والتعبير، وتعلموا من كتّاب تلك الصحيفة أسلوب التعبير الحى النابض المتنوع فى الكتابة الساخرة وطريقة تبنى الأفكار التقدمية، وهناك اثنان من الكتّاب الصحفيين والسياسيين الإيرانيين بصفة خاصة قد استفادا بصورة كبيرة من أسلوب هذه الصحيفة وهما: سيد أشرف الدين الجيلانى الذى نظم أشعار"نسيم شمال" تقليدًا لأسلوب صابر الفنى والثانى هو على أكبر دهخدا الذى ابتكر لنفسه نثرًا خاصًا وعُرف بأنه مؤسس النثر الفارسى النقدى الساخر.

١ – " نسيم شمال " – أشرف

صدرت فى مدينة الرشت صحيفة أدبية وفكاهية صغيرة بعنوان "نسيم شمال" قبل قصف المجلس بتسعة أشهر[١]، وكان مديرها وصاحبها هو سيد أشرف الدين القزوينى المشهور بالجيلانى ابن سيد أحمد الحسينى القزوينى وليست لدينا معلومات كثيرة عن حياته، ربما ولد فى عام ١٢٨٧هـ ق، ويتضح من السيرة الذاتية المنظومة التى كتبها بقلمه أنه ولد فى قزوين وأصبح يتيمًا وعمره ستة أشهر، ونظرًا ليتمه تم اغتصاب أملاكه وأمواله وبيته فأصبح فقيرًا محتاجًا، وقد ذهب إلى العتبات المقدسة فى شبابه وعاش فترة (خمس سنوات تقريبًا) فى كربلاء والنجف، وبعد ذلك جذبته المشاعر الوطنية إلى إيران، فحضر إلى قزوين ومنها سافر إلى تبريز وهو فى الثانية والعشرين من عمره، وتعرّف إلى أحد الشيوخ الأتقياء[٢]، وقضى فى تبريز فترة دراسة العلوم التمهيدية فتعلم الفلك والجغرافيا والصرف والنحو والمنطق والهندسة والعلوم الأخرى المتداولة، وبعد فترة حضر إلى جيلان وأقام فى الرشت ورأى من أهلها أنواع العطف والمودة وهناك نظم أول أشعاره، إلى أن:

فى سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وعشرين

وعندما قام الحكم الدستورى فى هذه المدينة وهذه البلاد

نشرتُ هذا النسيم اللطيف وعطرت العقل برائحته

---

(١) صدر أول أعدادها بتاريخ ٢ شعبان ١٣٢٥هـ ق، واستمرت حتى تعطيل الدستور وفى عام ١٣٢٦هـ ق، وعندما قصف المجلس وأغلقت الصحف والجمعيات ، توقفت أيضًا "نسيم شمال" ثم صدرت مرة ثانية حتى عام ١٣٢٧هـ ق، بعد فتح طهران وانتصار الأحرار بفضل المساعدات المادية والمعنوية لمحمد ولى خان سبهسالار الأعظم وفى عام ١٣٣٣هـ ق، قدم سيد أشرف الدين إلى طهران مع فتح الله أكبر سبهدار الأعظم ونشر صحيفة "نسيم شمال" فى مدينة طهران.

(٢) فى طريق تبريز ومع الشعور بالتعب والشوق   وصلت فى منتصف الليل إلى أحد الشيوخ
وعندما رآنى ذلك الدرويش مجنونًا   ووجدنى ثملاً من خمر الأحبة
علمنى كل أسرار الحق   فاستنارت روحى بأنوار الحق

كان سيد أشرف يكتب بنفسه موضوعات "نسيم شمال" كلها من أولها إلى آخــــرها، التى كانت فى الغالب أشعارًا فكاهية ونقدية، ولم يكن ينشر فيها أشعار الآخرين، وكان له أسلوب مميز حيث يبدو وكأن " شولت " شاعرَ رواية الزنبقة الحمراء للكاتب أناتول فرانس، يقول هذا الكلام الجميل على لسانه: " هدفى أن أنصب الصليب الحى على أنقاض هذه الحضارة الظالمة المجحفة فيطوى العالم تحت ساعديه القويين وأزهاره وسنابله المزينة، أريد أن أؤسس صحيفة تتحاور مع الناس بأشعار بسيطة ومؤثرة، وأن أبيع العدد الواحد لخلق اللـــه بشاهى[1] واحد، لأننى أؤمن بأن الأشعار البسيطة سواء المفرحة أو المحزنة هى اللغة الوحيدة التى تستقر فى قلوب البسطاء سيما لو استطاعوا أن يغنوها أيضًا[2] ".

وتتجاوز أشعار سيد أشرف العشرين ألف بيت[3]، وقد طبع جزء منها فى بومباى وطهران وأعيد طبعه أكثر من مرة تحت عنوان باغ بهشت (روضة الجنة).

ويعتبر سيد أشرف أكثر الشعراء الوطنيين الذين لقوا حبًا وأحرزوا شهرة خلال مرحلة الثورة، فكان مدافعًا بكل معنى الكلمة عن الطبقات الكادحة، وكان ينفر ويفر من الطبقات المتميزة أيًا كانت مناصبهم[4].

وهذا الرجل " خرج من وسط الشعب، وعاش مع الشعب وغاص فى أعماق الشعب. ولم يصبح وزيرًا ولا نائبًا ولا رئيس إدارة، لا جمع مالاً ولا بنى بيتًا، لا اشترى ملكًا ولا أخذ مال أحد ولا تحمل دية أحد، وربما لم يحتفل أحد أيضًا بذكرى ميلاده وأنا رأيت بنفسى أنه لم تُقم له أيضًا ختمة عند موته ".

---

(١) شاهى عملة كانت متداولة فى عهد القاجاريين (المترجم).

(٢) يمكن الرجوع إلى مقالة جمالزاده فى مجلة يغما ، السنة الثالثة عشرة، العدد الثالث خرداد ١٣٣٩ ش.

(٣) دهخدا ، لغتنامه.

(٤) يقول طاهر خانوف بعد ذكر علاقة مجاهدى الرشت الوثيقة بثوار القوقاز فى عامى ١٩٠٩ و ١٩١٠ : بالتأكيد كان سيد أشرف مدير صحيفة "نسيم شمال" والذى كان ينادى بأفكار المجاهدين على علاقة بثوار القوقاز (مجلة جامعة لينينجراد، سنة ١٩٤٢ ، العدد الثانى).

"لم أر شخصًا أكثر بساطة وتواضعًا ومسالمة وطيبة وطهرًا منه".

" كان بكل معنى الكلمة رجلاً مؤدبًا ومتواضعًا وبسيطًا وعطوفًا وبشوش الوجه وحسن الطبع وصدوقًا وحميميًا وكريمًا وسخيًا ومحسنًا وزاهدًا فى الدنيا وغير مهتم بأصحاب الجاه والجلال، فضّل دائمًا المتسول الجالس فى الطريق على الثرى الجالس فى القصر، وكل ما قاله وفعله كان من أجل هؤلاء الفقراء والمساكين".

" كان ينظم الشعر ليلاً ونهارًا وينشره كل أسبوع ويسلمه للشعب، حيث كانت صحيفته "نسيم شمال" تطبع كل أسبوع فى مطبعة اليهود وكانت واحدة من أصغر مطابع طهران فى ذلك العصر، فى أربع صفحات صغيرة من قطع الأوراق المستخدمة حاليًا، ثم تنشر بعد ذلك لتصل إلى أيدى الشعب، وعندما كان بائعو الجرائد المتجولون ينادون ويعلنون عن اسم الصحيفة كان كل أفراد الشعب الرجل والمرأة، الشاب والشيخ، الكبير والصغير، الجاهل والمتعلم، يهجمون فى الحقيقة لشرائها ثم يتناقلونها فيما بينهم، وكان المتعلمون يقرأونها للأميين فى النواصى وعلى المقاهى وفى التجمعات العامة وأفراد الشعب يفترشون الأرض ويجلسون فى حلقة ويستمعون بإنصات".

"لم تكن هذه الصحيفة كبيرة الحجم ولا جيدة الطباعة، ولم يكن مديرها أيضًا نائبًا أو سيناتورًا أو وزيرًا سابقًا، إذن فلماذا كان الناس يتهافتون عليها بهذا الشكل ؟ اسألوا الناس أنفسهم، وكان اسم هذه الصحيفة يجرى على الألسنة لدرجة أن الناس كانوا يسمون مديرها سيد أشرف الدين القزوينى باسم الصحيفة أى "نسيم شمال" وكان الجميع ينادونه بالسيد نسيم شمال، وفى الوقت المحدد لصدور الصحيفة كان الأطفال ذوو العشرة والاثنى عشر عامًا الذين يقومون بتوزيعها يتجمعون فى نفس هذه المطبعة جماعات جماعات، وتقوم كل جماعة بعد كمية كبيرة من النسخ ثم تستلمها منه وتحملها تحت الإبط، وكان هؤلاء الأطفال يتباهون فى الحقيقة بأنهم يبيعون "نسيم شمال".

"ما من يوم إلا وأحدثت فيه هذه الصحيفة ضجة كبيرة فى طهران، وكثيرًا ما ضاقت بها الحكومات، ولكن ماذا يفعلون مع هذا السيد الفقير مهلهل الثياب خالى الوفاض غير المبالى بأى شخص وأى شيء؟ بأى مصلحة يجذبونه إليهم؟ فى السجن؛ هل كان سيجلس صامتًا ؟ كانت لديه ذاكرة عجيبة فقد كان يحفظ كل ما ينظمه من شعر بدون دفتر، وبالتالى فإنه لم يكن بحاجة إلى الورقة والقلم والحبر فقد كان صدره هو نفسه اللوح المحفوظ".

"اقتحم الميدان أثناء ذلك الصراع والنزاع المشتعل بين الدستوريين وأنصار الاستبداد، ونظم أشعارًا مشهورة فى ذم مساوئ محمد على شاه والأمير بهادر وأعوانهما وأنصارهما وكانت تتناقل من شخص لآخر، ولم يكن هناك من هو أكثر تأثيرًا منه خلال هذه الأحداث".

" اعلموا يقينًا أن دوره فى سبيل حرية إيران لم يكن أقل من دور ستارخان البطل العظيم، بل إن هذا الرجل الفاضل الشريف قد رفع البندقية فى قزوين وحارب مع مجاهدى فرقة محمد ولى خان تنكابنى وسبهدار الأعظم، وغامر بحياته فى فتح طهران".

" تمتع هذا الرجل باستقلال وحرية فكرية عجيبة، فكنت تستطيع أن تقول له أى شيء حيث لم يكن عنده أى تعصب، كان يحفظ لطائف كثيرة ويروى قصصًا جميلة، فكان خزانة من اللطف والرقة، ولم يحمل فى قلبه كراهية لأحد، ولم يكن يشتم أحدًا ولكنه كان يسخر من الجميع وما أجمل ما كان يفعله! يا ليت أمثاله يظهرون أيضًا ليفعلوا نفس هذا الأمر مع أهالى هذا الزمان!".

"عاش خالى الوفاض فى كل جوانب الحياة، وفى النهاية ابتلى بالعواقب التى هى النتيجة الطبيعية والحتمية لمثل هؤلاء الرجال العظام".

" نُقل إلى مصحة "شهرنو" النفسية وخصصت له حجرة فى الفناء الخلفى للمصحة. وأنا لم أفهم ماذا كانت علامة الجنون فى هذا الرجل العظيم ! فهو كما هو، ماذا كان الهدف من هذا الأمر؟ هذه واحدة من أكثر حوادث هذا العصر غموضًا فى حياتنا"

"و لم يبلغوا أحدًا بموته أيضًا، فهل مات حقًا ؟ - لا ما زال حيًّا، وأنا لا أعرف شخصًا ينبض بالحياة أكثر منه ![1] ".

وأيًا كان، صدق أم كذب، فقد شاع بقوة فى تلك الأثناء – عام ١٣٤٥هـ ق – أنه قد ابتلى بالجنون، ولهذا السبب أو بهذه الحجة أخذوه إلى المصحة النفسية وعاش عدة سنوات مريضًا وفقيرًا ومحتاجًا حتى توفى فى ذى الحجة عام ١٣٥٢هـ ق[2].

أشرف وصابر : الآن يجب أن ندرك مدى تميز "نسيم شمال" وعذوبتها، تلك الصحيفة الصغيرة التى " لم تكن كبيرة الحجم ولا جيدة الطباعة و لم يكن مديرها أيضًا نائبًا ولا سيناتورًا ولا وزيرًا سابقًا " ؛ حتى " يحبها الشعب ويجرى اسمها على الألسنة بهذا الشكل "، وما هى تلك الأشعار التى " أخذت تحدث ضجة كبيرة فى طهران" كل أسبوع، ومن أين كانت تنبع؟

هناك جزء من أشعار أشرف -كما سيرد الذكر - يتمتع بأهمية من الناحيتين التاريخية والسياسية (وحتى من الناحية الأدبية أيضًا كما يرى براون) عبارة عن اقتباس أو ترجمة حرة لأشعار ميرزا على أكبر طاهر زاده صابر الشاعر القوقازى، حيث كان

---

(١) من مقالة الأستاذ سعيد نفيسى (مجلة سپيد وسياه ، شهريور ١٣٣٤ ش) نقلت العبارات بعينها.
(٢) يقول العلامة القزوينى فى مذكراته (مجلة يادگار، السنة الثالثة، العدد الثالث) : حدثت وفاة سيد أشرف فى حوالى سنة ١٣٠٢ ش الموافق ١٣٤٢ ق، وهو بالقطع خطأ، فقد مات فى فروردين ١٣١٣ ش (ذى الحجة ١٣٥٢هـ ق) وصدرت صحيفة نسيم شمال مجددًا بعد وفاته يوم الخميس ١٠ خرداد من نفس العام (١٧ صفر ١٣٥٣هـ ق) وكان صاحب الامتياز هو ح. حريرچيان، ورئيس التحرير محسن الحسنى حريرچيان ساعى .

سيد أشرف الدين يضعها -كما سنرى - تحت أيدى قرّاء ذلك العصر الناطقين بالفارسية المتعطشين للحرية الراغبين في الإطاحة بالنظام الاجتماعى المتهالك القديم، وكان سيد أشرف الدين فى هذا الجزء من أشعاره فى الواقع مترجمًا وناقلاً لأفكار صابر للناطقين بالفارسية وحتى أغلب أشعاره الأصيلة كانت أيضًا " صابرية " إلى حد ما.

وينسب ملك الشعراء بهار لسيد أشرف الانتحال مع اعترافه بجاذبية أسلوبه وحداثته ضمن رسالته المنظومة لصادق سرمد :

كانت فكاهيات[1] سيد أشرف ظريفة

وكان نظمه لهذه الفكاهيات مطلوبًا

كان فنه جذابًا

كان أسلوب أشرف جديدًا وفريدًا

ولكن كانت فى طياته " هوپ هوپ نامه : كتاب الهدهد "

فقد كان شعره منتحلاً[2]

برغم أنه من الممكن أن نقول: إن سيد أشرف لم يكن يعلم أن الأشعار التى تنشر فى صحيفة "ملا نصر الدين" بتوقيعات مستعارة، هى أشعار صابر فإن الأمانة كانت تحتم عليه أن يشير فى "نسيم شمال" مرة واحدة على الأقل إلى المصدر الذى قد أخذ منه مضمون أشعاره[3]، وعلى كل حال فإن هذه الغفلة والتساهل يعدان عيبًا ونقصًا فيه، وفى اعتقادى أنه طالما أن كلتا الصحيفتين كان لهما هدف سياسى ودعائى واحد، وكان مضمون الأشعار ينبع من روح أفراد الشعب ويتحدث عن لسانهم، فإنهم لم يهتموا إطلاقًا بمن هو القائل وكانوا سعداء فقط بأن الرجل والمرأة والشاب والشيخ والمتعلم والجاهل كانوا يقرأونها ويتناقلونها من يد إلى أخرى.

(١) أشعار سوقية يفهمها العوام ولها طابع هزلى ومزاحى .

(٢) ديوان بهار ، ج ٢ ، ص ٢٢٩.

(٣) مثلما ذكر صابر صراحة مصدر الشعر الوحيد الذى ترجمه عن نسيم شمال فى الشعر نفسه .

وبصفة عامة إذا كان اقتباس نسيم شمال واقتراضه من صابر يقلل إلى حد ما من القيمة الفنية لهذه الأشعار، فإنه لن يقلل أبدًا من قدر الخدمة العظيمة التى قدمها ناظمها وهى توصيل هذه المضامين إلى الإيرانيين والمساهمة فى سبيل حرية إيران، لأن قيمة هذه الأشعار وأهميتها - أكرر- تتعلق فى الغالب بمضامينها والهدف من وراء نظمها.

وأنا أشرت إلى هذه النقطة لكى تسجل فى تاريخ الأدب الإيرانى ويعرفها الأشخاص الذين لم يدركوا هذا العصر ويريدون أن يعملوا فى هذا المجال فيما بعد، والآن لاستكمال هذا البحث سأطابق كليات نسيم شمال بهوپ هوپ نامه لصابر، وأضع فى عمودين متواليين ترجمة بعض أشعار صابر التى نشر أصلها تدريجيًا فى صحيفة "ملا نصر الدين" وترجمت بعد فترة قصيرة أو نشر مضمونها فى "نسيم شمال" :

يقــــــــــول هــــــــــوپ هــــــــــوپ :

مــــا الخــــبر ألم يــــصل بعــــد ؟ فلتــــسلم

أخذ (اشترى) الحاج أحمد الصحيفة أيضًا - يـاه ! أيهـا الابـن، مـاذا عـنى

مـاذا حـدث هـل رقـد (فى القـبر) كـثيرًا هـؤلاء الأبنـاء المـوتى

مـــاذا أيــضًا إن لحـــاف الميـــت الموجـــود علـــي

أيهـــا الفاعـــل، هـــل تظـــن أنـــت أيـــضًا أن هنـــاك إنـــسانًا

أيهـــا الأحمـــق، هـــل تعتقـــد أن الإنـــسانية أمـــر هـــين ؟

حـــتى أنـــت يـــا صـــغيرى هـــل تخفيـــت ؟

فـــــاذكر أمـــــرين بالـــــضبط ؟

ينفطـــر قلـــبى مـــن الحـــزن أيتـــها الخالـــة

انظـــر مـــن يـــصدر صـــوت الخريـــر منـــذ أن وصـــل وشـــعر بالـــشوق

واأســـفاه كـــان ينبغـــى قـــضاء أيامًـــا ســـعيدة كـــثيرة !

حيث كان فيها أبناء الوطن سذجًا !

صار عمري ستين عامًا، ولاتزال تهب عليك رياح أردبيل

لو أن ذكرى أردبيل تذكرني بك فجأة فمن هو الجبان

أيها الشيخ، إنني أفعل المصلحة قائلاً :

قل هل أنا تعافيت من المرض أم لا ؟

تجاوز عمر الأب الخمسين أو الستين عامًا

هل من الصحي لي أن أتزوج فتاة أم لا ؟

المحامي:لقد نطقت بالحق من أجل الباطل وغرقت في ذنوب كثيرة

الطبيب: لم أشخص الداء وأبكيت قوم من الأقرباء

أيها الابن هل أنت إلى الآن في مخزن القمح، ليس له صنعة ولن يكون

لا رغبة لك في الفن والدرس والمدرسة ولن يكون

أشهد بالله العلي العظيم

أنا صاحب الإيمان، فلتقفز فهناك متسع !

لا يوجد يقين لي في دين جديد

أنا قارئ القرآن فلتقفز فهناك متسع ؟

لا تنظر، على العين والرأس، إنني أغلق عيني

لا تعيد ! أنا مُطيع إنني أكف عن الكلام

أكتب إعلاني هذا على ورقة

لقد فتحت في مدينة السري محلاً واسعا

كثيرًا ما أبيع فيه هذا الجوز وكل شيء غالي الثمن

أيها المشتري ! إنني أبيع بلاد السري !

أنا رجل عظيم أعيش

إننى أسرع الخطى مع أربع زوجات

لقد سقط فى بلاء الفقر، فلترضى اصبر أيها المسكين !

لو تعب وجهك فاصبر عند التنحى عن العمل

تقول نسيم شمال :

يا -كبلا باقر- نعم سيدى- ماذا حدث؟ لا شيء سيدى

وما هذه الجلبة والضجيج- لا مشكلة سيدى

الويل لى ربما هذه هى الأمة الجاهلة الميتة !

الغوث ربما هؤلاء هم كل البشر الميتون !

وأنت أيها العامل البسيط هل دخلت الآن أنت أيضًا فى زمرة

لماذا أصبحت الآن تتظاهر بالعظمة أيها المسكين؟

أيها الشريف عالى المقام بارك الله فيك !

أيها الشاعر عذب الكلام بارك الله فيك!

أيتها العمة أنت غافلة عن زوجى

وعن البلاء الذى حطه على رأسى ؟

آه، يا للعجب كانت عندنا أيام سعيدة !

كانت عندنا قوانين وأحكام جيدة !

إن خاطرى سعيد فى مدينة موسكو يا أبى

من الحماقة أن أتذكر قزوين يا أبى

إنها ليلة العيد، وأنا لا أعرف أيها الشيخ

هل نأخذ الذهب من الخزانة أم لا نأخذه

إن عمري يتجاوز السبعين

قل لى هل أتزوج أم لا أتزوج

المحامى– أنا المحامى وكيل عن كل العالم

الطبيب– أنا الطبيب أعالج الناس فى بلدة طهران هذه

إذا لم يكن عندك العلم والصنعة فما شأنك بى

إذا لم تكن ترغب فى الدراسة فما شأنك بى

لقد عاد عصر الكلام

أنا جعفرى أنا جعفرى جعفرى

أشهد بالله العلى العظيم

بأننى مستقيم فى خط الإسلام

لا تصفق ! عينى، قيدتُ يدى

لا تمش! عينى، كسرتُ قدمى

السوق رائجة يا حاج، رائجة

أين المشترى ؟ المزاد المزاد !

أبيع كل إيران

أبيع شرف وكرامة المسلمين

أبيع الرشت وقزوين وقم وكاشان

اشتروا هذا الوطن الرخيص

يزد وخونسار، المزاد المزاد

أين المشترى ؟ المزاد المزاد !

برغم أننى مسن وقد انحنى ظهرى من

الـــــــــشيخوخة فـــــــإنني لا أعـــــــرف شـــــــيئًا عـــــــن العـــــــالم

لى أربـــــــع زوجـــــــات وأفكـــــــر فى زوجـــــــة أخـــــــرى

ولا أعـــــــرف شـــــــيئا عـــــــن العـــــــالم

اصـــــــبر، اطمـــــــئن، اصـــــــبر يـــــــا عزيـــــــزى

اصـــــــبر، علـــــــى عـــــــينى المـــــــك، اصـــــــبر.

والآن سنعرض أيضًا نموذجًا أو اثنين من المتن الكامل لترجمات سيد أشرف :

نشر فى صحيفة "ملا نصر الدين" فى أوائل عام ١٩٠٩م، شعر لصابر بعنوان "سأبيع"، وكان الشاعر قد رسم الملك الديكتاتورى فى صورة تاجر مفلس قرر أن يبيع أملاكه بثمن بخس :

إن الشعب لم يهدأ ولم يتركنى أستريح يا عمى الشيخ، ليكن ؛ دعهم يضعون رأسهم برأسنا، اكتب الآن إعلانى هذا فى صحيفتك، بأننى سأفتتح محلاً كبيرًا فى طهران وأبيع فيه كل شيء بثمن بخس.

اكتب : ستجد فى محلى كل ما يسرك من كأس جمشيد وعلم كسرى وعرش قباذ، وبرغم أن بعض الإيرانيين يريدون لسوقى الكساد، فإننى لا أقيم لهم وزنًا، فأين المشترى؟ سأبيع مملكة الرى ودولة كسرى !

ماذا سيستفيد هؤلاء سوى أنهم يشتتون ذهنى ؟ إن نهر "آب شور" لم يكن وفيًا مع جدى، فأى ولد عاق أنا إن لم أبع "قصر شيرين" ذلك التذكار التاريخى للملوك الأكاسرة !

الحكم والأمر لى، البيت وأسراره لى، عرض وشرف وعار ومصلحة وحكومة القاجاريين كلها لى وحدى، فمن إذن له دخل إذا كنت سأبيع كل ما أملك ؟ أين المشترى ؟

وبعد شهر واحد أى بالضبط فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الفرقة الأولى من المجاهدين بقيادة سبهدار إلى طهران نشرت قطعة فى العدد الخامس والأربعين من صحيفة نسيم شمال، وفى هذا الشعر هوجم الشيخ فضل اللـــه نورى[1]، الذى كان بوجه عام على رأس رجال الدين المعارضين للدستوريين :

إن الســـــوق رائجـــــة يــــا حــــاج
فــــأين المـــشترى ؟ المـــزاد المـــزاد !
أبيـــــع كـــــل إيـــــران
أبيـــع شـــرف وكرامـــة المـــسلمين !
أبيـــع الرشـــت وقـــزوين وقـــم وكاشـــان
اشـــترى هـــذا الـــوطن الـــرخيص !
يـــزد وخوانـــسار، المـــزاد المـــزاد !
أيـــن المـــشترى ؟ المـــزاد المـــزاد
أنـــا عـــدو فرقـــة الأحـــرار
أنـــا قاتـــل زمـــرة الأبـــرار
أنـــا الـــشيخ فـــضل اللـــه السمـــسار
أنـــا بـــائع الـــدين فى الـــسوق
تركـــة الميـــت، المـــزاد المـــزاد !

---

(١) كان هذا العالم الدينى من أشد المعارضين للدستور وحليفًا لمحمد على ميرزا ، وكان يريد الدستور موافقًا للشرعية ، وهو أيضًا الذى صعد على المنبر فى ميدان المدفعية وحمّى الدستوريين بالبابيين والبهائيين وفتح الكتاب المقدس للبهائيين وقرأ هذه العبارة " إن يا أرض الطاء سوف تنقلب فيك الأمور ويحكم عليك جمهور الناس" وقال إن الدستوريين هم أنفسهم البهائيون الذين يريدون أن تنقلب الدولة كى يجعلوا ذلك معجزة ودليلا على أن بهاء اللـــه ينطق بالغيب ، وبعد فتح طهران أعدم الشيخ فضل اللـــه بناء على حكم المحكمة فى ١٣ رجب سنة ١٣٢٧ هـــ ق .

أيــــن المـــــشترى ؟ المـــــزاد المـــــزاد !

أنـــــــا أخاصـــــــم كـــــــل النـــــاس

أنـــــــا أعــــــادى كــــــل الأمــــــة

أنـــــــا أنـــــوب عــــــن الملـــــك نفـــــسه

وأدعـــــــو الجميـــــــع إلى المـــــــزاد

إنـــه وقـــت الإفطـــار، المـــزاد المـــزاد !

أيــــن المـــــشترى ؟ المـــــزاد المـــــزاد !

الجـــــيش الـــــوطنى متأهـــــب فى "شــــهرنو"

وتفـــــرق القـــــوزاق الكرجيـــــون

وأصـــــبحت مجنونًـــــا فـــــلا حـــــرج

فلـــيس لى ســـوى المـــزاد طريقًـــا للفـــرج

الأمتعـــة المُذهَبـــة، المـــزاد المـــزاد

أيــــن المـــــشترى ؟ المـــــزاد المـــــزاد !

مـــن يريـــد الطبـــل والـــنفير والعلـــم ؟

مـــن يريـــد شـــعار الأســـد والـــشمس ؟

مـــن يريـــد عـــرش جمـــشيد الفـــارس ؟

مـــن يريـــد تـــاج كـــسرى ومـــن يريـــد عـــرش جمـــشيد!

الحـــصان واللجـــام، المـــزاد المـــزاد !

أيــــن المـــــشترى ؟ المـــــزاد المـــــزاد !

ســـــأرهن عـــــرش الأكاســـــرة

سأشـــعل النـــار فى عـــرش جمـــشيد

وأضع أمامي طبق الطعام
وأتناول الأرز باللحم المفروم
كنافة بالمكسرات، المزاد المزاد !
أين المشترى ؟ المزاد المزاد !
سمعت أن كبار المشايخ فى العتبات
قد نصبوا الخيمة على حافة شط الفرات
وسيتجهون إلى فارس بالصلوات
فليس لى سوى المزاد طريقًا للنجاة
أنام مضطرًا، الدين فى، المزاد المزاد !
أين المشترى ؟ المزاد المزاد !
لو أن الإسلام قد امحى أثره
لو أن الثورة قد قامت فى جيلان
ولو استقر هو أرس فى تبريز
فليكن ما يكون،فإلى جهنم وإلى الجحيم!
فرقة الإفشاريين، المزاد المزاد !
أين المشترى ؟ المزاد المزاد !
إن جدى الملك المرحوم من شدة عطفه وحنانه
قد أهدى سبع عشرة مدينة من القوقاز
وكل ما زاد عن ملك أبيه
سيبيعه كله وليكن ما يكون !
كله دفعة واحدة، المزاد المزاد !

أين المشترى ؟ المزاد المزاد !

يصيح ملاك من ناحية

ويصيح بختياري من ناحية

شعب الرشت ثائر من ناحية

والشيخ يعتزم البيع من ناحية

أثاث البلاط، المزاد المزاد!

أين المشترى ؟ المزاد المزاد !

أنا أستاذ فى كل فنون المكر والدهاء

أنا مفتى البصرة وبغداد

أنا قاضى سلطة آباد

آه، يا للعجب، فقد وقعت فى الفخ !

الذئب والضبع، المزاد المزاد !

أين المشترى ؟ المزاد المزاد !

والقطعة الجميلة التالية هى أيضًا ترجمة للشعر الذى نظمه صابر بمطلع " لا تنظر ! على العين والرأس، أغلقت عينى "، وللإنصاف فقد ترجمها أشرف بصورة جيدة جدًا :

السوط

لا تصفق ! عينى، قيدت يدى   لا تمشى ! عينى، كسرت قدمى

لا تتكلم ! قطعت الكلام   لا تنطق ! عينى، أغلقت فمى

لا أفهم أبدًا ! لا تقل هذا الكلام   لا تطلب من إنسان عدم الفهم

سأكون أخرس وأصم وأعمى   ولكن مستحيل أن أكون حمارًا

إلى متى تسير مستسلمًا كالحمار ؟   أخرج رأسك من محيط البشرية !

وقد استطاع الشاعر(سيد أشرف) أن يحافظ علىٰ خصائص شعر صابر إلى حد كبير سواء فى الشعر سابق الذكر أو فى بعض الترجمات الأخرى مثل القطعة التالية التى تعد واحدة من أفضل ترجمات سيد أشرف :

أيها العامل البسيط، هل أصبحت أنت أيضًا الآن من البشر؟
لماذا أصبحت اليوم تتظاهر بالعظمة أيها المسكين؟
بالله، ليس لك مكان فى مجلس الأعيان
لأنك لا تحمل فى يدك الذهب والفضة
ليس لك فى صدرك الخالى من الأحقاد سوى الآه
لماذا انحنيت اليوم كشيخ فى التسعين من عمره
لماذا أصبحت اليوم تتظاهر بالعظمة أيها المسكين؟
لا يجوز للعامل البسيط أن يتساوى مع الأسياد
وصاحب الأملاك لا يجوز أن يصبح ديمقراطيًا
لا تنتفخ أيها المفلس الفقير المهووس
وما دمت تأكدت اليوم أنك غارق فى الفقر
فلماذا أصبحت اليوم تتظاهر بالعظمة أيها المسكين؟

إلا أن المترجم فى جزء آخر من ترجماته قد أعطى لنفسه حرية العمل أكثر من الحد المسموح به- سواء من حيث الشكل والقالب أو من ناحية حجم وكم الشعر- فمثلاً قطعة صابر " لم يكن له ولن يكون " المكونة من ٢٤ سطرًا جاءت فى الترجمة ٤٢ سطرًا، وهذا الاختلاف فى الحجم يتجاوز هذا الحد أيضًا فى ترجمة شعر" المصلحة "، بمعنى أن المترجم قد أضاف إلى المتن الأصلى موضوعات كثيرة من عنده، وبالتالى فإن هذا الشعر الذى كان فى الأصل ٣٥ سطرًا قد وصل فى الترجمة إلى الضعف أى ٧٠ سطرًا.

علاوة على أن سيد أشرف لم يحقق فى ترجماته النجاح التام على الدوام، فمثلاً فى قطعة "حوار اثنى عشر شخصًا فى أحد المجالس" والتى تعد أشبه بعرض مسرحى صغير، يذكر ممثلو كل طبقة من طبقات المجتمع المختلفة (المحامى، الطبيب، التاجر، قارئ الروضة، الدرويش وغيرهم) مساوئ أعمالهم ويعترفون بلسانهم كيف أنهم قصّروا فى أداء واجباتهم ومحوا "هالة القدسية" من جبين المجتمع بقبح سلوكهم وأفعالهم، وبرغم أن مضمون الشعر وروح صابر فى البيان قد تم الحفاظ عليهما، ومع أن كل صنف ونمط يظهر بصورته المعنوية أو بعبارة أفضل بأقبح صفاته، فإن عمق وإحكام الشعر الأصلى قد تواريا فى الترجمة إلى حد بعيد، وتوارى كذلك بشكل كبير تعميم وشمول صفات الفرد النموذج على سائر الأفراد.

ولكى يستبين القرّاء الناطقون بالفارسية، فإننا سنضع أصل شعر صابر وترجمته النثرية وجهًا لوجه أمام شعر سيد :

شعر صابر (المحامى : لقد نطقت بالحق من أجل الباطل وغرقت فى ذنوب كثيرة)

الترجمة النثرية (أظهرت الباطل حقًا وغرقت فى الذنوب)

شعر سيد أشرف الدين (أنا المحامى وكيل عن كل العالم)

شعر صابر (الطبيب : لم أشخص الداء وأبكيت قومًا من الأقرباء)

الترجمة النثرية (لم أشخص الداء وجعلت الأسر باكية)

شعر سيد أشرف الدين (أنا الطبيب أعالج الناس فى بلدة طهران هذه)

شعر صابر (التاجر : لقد خلطت الحرام بالحلال)

الترجمة النثرية (أنا أخلط بين الحلال والحرام)

شعرسيد أشرف الدين (أنا التاجر، أتاجر بالعلبة الفارغة)

شعر صابر (قارئ الروضة : أخذت أموال الشعب وبللت عيونهم بالدموع)

الترجمة النثرية (أخذت أموال الشعب وجعلتهم يبكون)

شعر سيد أشرف الدين (أنا أجعل الناس تبكي وأتسبب فى دخولهم الجنة)

شعر صابر (الدرويش : لو أننى أجده إلى أين أسوقه وقد بعت كلامًا كاذبًا)

الترجمة النثرية (حيثما سنحت لى الفرصة أحدثت جلبة وذكرت للشعب آلاف الأكاذيب)

شعرسيد أشرف الدين (أتحدث عن الحسين من الصباح إلى المساء)

شعرصابر (الصوفى : أخذت أردد الحق الحق ليل نهار وغررت بكل شخص)

الترجمة النثرية (أخـــذت أردد طول الليل والنهار هو الحق هو الحق، ولعبت على الجميع)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر (الشيخ : أصدرت فتوى كل يوم وخدعت خلقًا كثيرًا)

الترجمة النثرية (أصدرت كل يوم فتوى واستغفلت الشعب)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر (العلم : فقدت الأمل، وألقيت هؤلاء القوم جميعهم)

الترجمة النثرية (إننى يئست من هؤلاء القوم وتركتهم)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر (الجهل : لقد استمتعت بهذا ووصلت إلى هدفى)

الترجمة النثرية (لقد تلذذت بهذا الوضع ووصلت إلى هدفى)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر(الشاعر : نظمت الأكاذيب حول البلبل والعشق والورد)

الترجمة النثرية (نظمت أكاذيب عن العشق والزهرة والبلبل)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر (العامة : لا أفهم شيئًا على الإطلاق، رقدت على فراش الجهل)

الترجمة النثرية (أنام على فراش الجهل ولا أفهم شيئًا على الإطلاق)

شعر سيد أشرف الدين (غير مترجم)

شعر صابر (الصحفى : استرسلت فى الموضوع لكى أملأ الصحيفة)

الترجمة النثرية (استرسلت فى الموضوع لملء الصحيفة)

شعر سيد أشرف الدين (أنا أسعى من أجل يقظة الأمة)

شعر صابر (الطماع : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف الدين (أنا أعبد اللــه من أجل التمر)

شعر صابر (العالم : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا أدعو الناس إلى نور العلم)

شعر صابر (الجاهل : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا الجاهل، أطيع كل الأوامر)

شعر صابر (الشره : ليست فى الأصل)

شعرسيد أشرف (عندما أتناول اللحم بالمكسرات أفكر فى المشروب)

شعر صابر (الرمّال : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا أخلق المحبة بعلم الرمل)

شعر صابر (مسخر الجان : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا أستضيف جيش الجن كل ليلة)

شعرصابر(المرائى المتعصب دينيًا : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا ألعن الدستورى كل يوم)

شعر صابر(المتسول : ليست فى الأصل)

شعر سيد أشرف (أنا احترفت التسول، متى أقلع عن تلك العادة)

وبمقارنة كلام المحامى والطبيب فقط فى الأصل والترجمة يمكن أن ندرك جيدًا كيف أن ذلك المضمون الجامع الشامل قد مُحى فى الترجمة، وأن النقد والسخرية قد فقدا قدرهما، ومع هذا فإن نقص ترجمة الشاعر الإيرانى الموهوب لا يمكن أن يقلل من قدر خدمته فى نشر وترويج الأفكار التى اشترك فيها مع صابر، وتوصيلها إلى مسامع الأمة الإيرانية التحررية.

أشعار سيد الأخرى : سنعرض فيما يلى نماذج من أشعار سيد أشرف الأخرى والتى لا يوجـــد ما يعادلها فى "هوپ هوپ نامه" وتبدو أصيلة، وهى فى حد ذاتها سلسة وبليغة :

المستزاد الذى نشر فى العدد التاسع من صحيفة "نسيم شمال" طبعة الرشت بتاريخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٥هـــ ق :

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه !

لقـــــد أصـــــبح الـــــوطن غريـــــق المحـــــن والأحـــــزان

واحـــــــسرتاه علـــــــى الـــــــوطن واحـــــــسرتاه

هبّـــــوا وســـــيروا خلـــــف الـــــنعش والكفـــــن

واحـــــــسرتاه علـــــــى الـــــــوطن واحـــــــسرتاه

مـــن دمـــاء الـــشبان الـــذين قتلـــوا فى هـــذا الطريـــق

تخـــــــضّب وجـــــــه القمـــــــر

واتـــشحت بلـــون الـــدماء الـــصحارى والهـــضاب والوديـــان والـــسفوح

واحـــــــسرتاه علـــــــى الـــــــوطن واحـــــــسرتاه

أين الهمّة وأين الحمية وأين ثورة الفتية ؟

أين ثورة الأمة ؟

وامصيبتاه إن سيول الفتن تسقط من كلا الجانبين

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه

وأسفاه لقد أصبح الإسلام موطئًا لأقدام الأجانب

من كل جانب

وأصبحت الحركة الدستورية الإيرانية مجرد ذكرى وتاريخ

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه

ولم يضيع الوطن وحده وتسوء سمعته

بل ضاع الإسلام أيضًا

لقد ذبلت هذه الحديقة بما فيها من ورود وأشجار سرو وياسمين

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه

ولم يذكر البلبل إسم الزهرة أبدًا من شدة الخوف

وصار النرجس أحمر اللون

وصار بيض الروضة أحمر من هذا الحزن

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه

وأصبح مسلك بعض الوزراء هو مسلك اللصوصية

سواء أكان ذلك فى السر أو العلانية

وغرق العلماء فى هذا الوحل والطين

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه

أمّا المكلومون المساكين فهم غارقون فى الأحزان والمآتم

يــــا إلهـــــى هـــــل جـــــاء يـــــوم الحـــــشر ؟
لا يملـــــك أحـــــد مـــــن الرعيـــــة أى ثيـــــاب واحـــــسرتاه
واحـــــسرتاه علـــــى الـــــوطن واحـــــسرتاه
تـــــارة تـــــصل الأخبـــــار بـــــأن قائـــــد الفرقـــــة الروميـــــة
قـــــد حـــــضر إلى أروميـــــة
وتـــــارة أخـــــرى تخـــــرّب "آســـــتارا" علـــــى يـــــد فرقـــــة الملـــــك
واحـــــسرتاه علـــــى الـــــوطن واحـــــسرتاه
واأســـــفاه علـــــى هـــــذا البلـــــد مـــــنجم الجـــــواهر
فقـــــد أصـــــبحت مُقـــــسّمة
كـــــان ترابهـــــا فى كـــــل أطرافهـــــا أفـــــضل مـــــن مـــــسك الخـــــتن
واحـــــسرتاه علـــــى الـــــوطن واحـــــسرتاه
أيـــــن بلـــــخ وبخـــــارى ومـــــاذا حـــــدث لخيـــــوه وكابـــــل ؟
أيـــــن بابـــــل وزابـــــل ؟
أيـــــن الـــــشام وحلـــــب وأرمينيـــــة وعمـــــان وعـــــدن واحـــــسرتاه
واحـــــسرتاه علـــــى الـــــوطن واحـــــسرتاه
إن الرعيـــــة المـــــسكينة لم تـــــر ذرة اهتمـــــام واحـــــدة
مـــــن الوجهـــــاء والأشـــــراف
لا يملكـــــون ســـــوى الغـــــوث يـــــا حـــــسين النجـــــدة يـــــا حـــــسين
واحـــــسرتاه علـــــى الـــــوطن واحـــــسرتاه
وأشـــــرف لا يـــــشم إلا شـــــقائق الحـــــزن
ويقـــــول فى كـــــل لحظـــــة :

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه على الوطن

واحسرتاه على الوطن واحسرتاه!

الفقير

ونشر هذا المستزاد أيضًا فى العدد العاشر من صحيفة "نسيم شمال" بتاريخ ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٢٥هـ ق، وأشير فيه إلى وقائع ذى القعدة من هذا العام والتى سمّاها براون "الانقلاب العقيم" :

داء إيران بلا دواء[١]

كان أحد المجانين يقول ليلة أمس دون مساءلة

داء إيران بلا دواء

فقال أحد العقلاء خذ الحكمة من أفواه المجانين

داء إيران بلا دواء

إن المملكة تعج بالفوضى والاضطرابات من جهاتها الأربع

كمريض يحتضر

فى ظل وجود مثل هذا الشيطان الحاكم فإن هذا المريض لا أمل له فى الشفاء

داء إيران بلا دواء

الملك ضد الأمة والأمة فى خصومة مع الملك

آه من هذه المصيبة آه !

ولو تنظر بعين الحق ستجد أن هذا مُخطئ وذاك مُخطئ

داء إيران بلا دواء

فقد حمل كل واحد العداء للآخر وتمنى له الضرر والأذى

(١) يمكنكم مقارنتها بمراثى يغما ومستزاد ملك الشعراء بهار الذى يقول مقطعه الترجيعى " أمر إيران بيد اللـه " .

والهمه بالاستبداد

مع وضع كهذا ما أكثر الدعاء التى أريقت والأرواح التى أذهقت

داء إيران بلا دواء

لقد ظهرت "صور إسرافيل" وأشرق صبح السعادة

ووصلت "ملا نصر الدين"

والبرلمان و"حبل المتين" هما المرشد نحو العدالة

داء إيران بلا دواء

وبرغم وجود هذه الجرائد لم يستيقظ نائم واحد

ولم ينبض عرق واحد

فهذه الجرائد كالنفير والبوق

داء إيران بلا دواء

كنا نشكر الله على أن الأمور كلها قد انتظمت

وأن المملكة قد أصبحت دستورية

ولكن مرة ثانية نرى نفس الطبق ونفس الحساء

داء إيران بلا دواء

فقلت فى نفسى إذن ما علاج هذا الداء ؟

وبكى أيضًا العقل القاطع

وقال بعد الآه والأنين : إن الأمر بيد الله

داء إيران بلا دواء

الشيخ فضل الله من ناحية والآملى من ناحية أخرى

اصطفوا للأمة

إن الأطراف الأربعة لمدفعية ميدان الحرب هم مشايخنا

داء إيران بلا دواء

أتعرف ما هو هدف البغال فى هذه المعركة ؟

ليس مساعدة الإسلام

إنما هدفه هو الساعة والحقيبة والسلسلة الذهبية

داء إيران بلا دواء

لقد امتلأ المسجد المروى بالأشرار الناهبين

وأصبحت المدرسة خندقًا

روح صاحب الوقف داخل الجنة فى عزاء من هذه المصيبة

داء إيران بلا دواء

لا تظن أن قتلى جماعة البغالين

ستضيع دماؤهم هدرًا

فموعد الانتقام من الأشقياء هو يوم الحساب

داء إيران بلا دواء

يا أشرف! إن كل من ضحّى بروحه فى سبيل هذه الثورة الدستورية

قد سمت مكانته وعلا قدره

فليكن جزاؤه متكأ من استبرق فى جنات عدن[1]

داء إيران بلا دواء

الفقير

أمّا هذا الشعر فقد نشر فى العدد الثانى والعشرين من "نسيم شمال" بتاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦هـ ق، (قبل انقلاب محمد على شاه بخمسة أيام) :

(١) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة الكهف.

إن إيـــــــران لا يمكـــــــن أن تتعطـــــــــر بعطـــــــــر العلـــــــم

والـــــشقائق لا يمكــــن أن تتيـــــسر زراعتــــــها فى الأرض المالحـــــة

واحجـــــــار اللؤلــــــؤ والجــــــواهر لا يمكـــــن وجودهـــــا

قلنـــــا وكررنـــــا مائـــــة مـــــرة لا يمكـــــن وجودهـــــا

وأســـنان الثعبـــان لا يمكـــن أن تـــصبح مقبـــضًا للخنجـــر

أيـــــــن الظـــــــالم وأيـــــــن طريـــــــق العـــــــدل ؟

أيـــــن الـــــسلطان وأيـــــن الرحمـــــة مـــــع الـــــضعفاء ؟

أيـــــــن أطفـــــــال الحـــــــى وأيـــــــن التربيـــــــة ؟

إن الجـــــزر لا يمكـــــن أن يـــــصبح بنجـــــرًا بالـــــذهب والقـــــوة

وأســـنان الثعبـــان لا يمكـــن أن تـــصبح مقبـــضًا للخنجـــر

قلنـــا إن هنـــاك طفـــرة فى العلـــم والـــصناعة وزيـــادة فى الثـــروة

وأن الملـــــك نـــــزل تمامًـــــا مـــــن علـــــى فيـــــل الظلـــــم

وبـــــــسر الـــــــصنعة تم اكتـــــــشاف القـــــــصدير

ووجـــدنا أن هنـــاك مـــشكلة وأن الحجـــر لا يمكـــن أن يـــصبح ذهبًـــا

وأســـنان الثعبـــان لا يمكـــن أن تـــصبح مقبـــضًا للخنجـــر

لا أقوالنـــــــا صـــــــادقة ولا أفعالنـــــــا صـــــــحيحة

لا عقولنـــــــا رزينـــــــة ولا أعمالنـــــــا ســـــــليمة

لا ضـــــــرائبنا مُحـــــــددة ولا أحوالنـــــــا منتظمـــــــة

وهـــــذا الفقـــــير واللـــــه لايمكـــــن أن يـــــصبح غنيًـــــا

وأســـنان الثعبـــان لا يمكـــن أن تـــصبح مقبـــضًا للخنجـــر

ضـــــــاع تعـــــــب ســـــــنتين هبـــــــاءً وامـــــــصيبتاه !

وســـــارت أوضـــــاع الـــــشعب إلى الأســـــوأ وامـــــصيبتاه!

تجرعنا السم بدل السكر وامصيبتاه !
ورأينا أنه ليس كل أسود قنبر
وأسنان الثعبان لا يمكن أن تصبح مقبضًا للخنجر
حيثما ظهر غصن الحركة الدستورية الجديد
جرت تحته جداول الدم بدل الماء
لابد أن يجرى الدم أسفل نخيل الوطن
فبدون الماء لا يمكن أن تنمو أى غلة
وأسنان الثعبان لا يمكن أن تصبح مقبضًا للخنجر
لقد أصبحت " بيله سوار"[1] موطنًا للأعداء
وامتلأت القلوب حرقة وحزنًا من ظلم اللصوص
وامتلأت تبريز بأنين النساء
وأنا حائر لأن أذن الفلك لا يمكن أن تكون صمّاء!
وأسنان الثعبان لا يمكن أن تصبح مقبضًا للخنجر
وا ألماه واحسرتاه فقد زاد جنوننا
لا تتحدث أيها المستبد عن أحوالنا
فالقاضى يقبل أى رشوة والشمن دماؤنا
إن هذه العزة بحق الله لا يمكن أن تصبح تيسًا
وأسنان الثعبان لا يمكن أن تصبح مقبضًا للخنجر
الآن وقت الغيرة أيتها الأمة الغيورة
الآن وقت الاعتبار أيتها الأمة النجيبة

(١) مكان بالقرب من الساحل الغربى لبحر قزوين فى الجزء الشمالى لولاية طوالش ، قرب الحدود الروسية الإيرانية ، والذى كان ميدانًا لإحدى الهجمات الروسية الأولى .

فقـــــد مُحـــــى الـــــدين والـــــوطن ذليـــــل
والمـــسلم المطيـــع لا يمكـــن أن يـــصبح ظالمـــا وكـــافرًا
وأســنان الثعبـان لا يمكـن أن تـصبح مقبـضًا للخنجـر

والشعر التالى نُظم فى فتح الوطنيين وخلع محمد على شاه وخلافة ابنه الشاب السلطان أحمد شاه، ونُشر بعد هذه الأحداث بأسبوعين فى العدد الثامن والأربعين من "نسيم شمال" بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣٢٧هـ ق، وعلاوة على الكلمات الجميلة والوزن النابض الحى فإن الذى يلفت الانتباه فى هذا الشعر إيقاع النصر الباعث على الأمل والتفاؤل، والذى قلما يوجد عادةً فى أشعار هذا العصر :

انظـــر أيهـــا الـــسلطان الـــشاب إلى المحـــاربين الأســـود
انظـــــر إنـــــه عـــــالم آخـــــر
انظـــر فقـــد اســـتراحت الأمـــة كلـــها للحكـــم الدســـتورى
انظـــــر إنـــــه عـــــالم آخـــــر
احكـــــم فـــــإن الـــــدنيا تـــــسير حـــــسب مـــــشيئتك
فهـــــى طائعـــــة لـــــك وشـــــاه أحمـــــد هـــــو اسمـــــك
ومـــــن محامـــــدك أن اسمـــــك علـــــى اســـــم الرســـــول
انظـــــر إنـــــه عـــــالم آخـــــر
أقـــم العـــدل فى هـــذا النظـــام الدســـتورى مثـــل أنوشـــيروان
انـــــشر شـــــعاع الهمـــــة فى العـــــالم
اعتـــــبر نفـــــسك أعظـــــم مـــــن دارا والإســـــكندر
انظـــــر إنـــــه عـــــالم آخـــــر
اقـــضِ علـــى أعـــداء العلـــم مـــن بـــين المعـــارف
انـــــشر كرمـــــك وامـــــحُ الجهـــــل

انظـــر إلى الوقـــت الــضيق والجــواد الأعـــرج ووعـــورة الطريـــق
انظـــــــــر إنـــــــــــه عـــــــــــالم آخـــــــــــر

وفى النهاية هل هذه هـــى إيـــران الـــتى كانـــت مقـــر جمشيد أو عـــرش كـــسرى
إلى مـــــتى ســــيظل أهلـــــها غــــارقين فى الغفلـــــــة ؟

أيهـــا البـــستانى، انظـــر إلى الحديقـــة فإنهـــا بـــلا فـــروع أو أوراق أوثمـــار
انظـــــــــر إنـــــــــــه عـــــــــــالم آخـــــــــــر

أيهـــا القائـــد الرشـــيد يـــا شـــارح الـــصدور ومفـــرح القلـــوب
ضـــــع قـــــدمك دائمًـــــا فى طريـــــق التقـــــدم

احفـــــظ اسمـــــك فى الـــــسجل مـــــا بقـــــى العـــــالم
انظـــــــــر إنـــــــــــه عـــــــــــالم آخـــــــــــر

عمّـــــــر البرلمـــــــان بـــــــالنوّاب الـــــــصالحين
اعـــــــــــدل واســـــــــــعد الأمـــــــــــة

ســـــارع فى طـــــرد الخونـــــة وانظـــــر إلى المجلـــــس
انظـــــــــر إنـــــــــــه عـــــــــــالم آخـــــــــــر

لقـــد ســـقط الـــشيخ نـــورى[1] فى قبـــضة فرقـــة الأحـــرار
وأصـــــــبح ذلـــــــيلاً، وأعـــــــدم مقتـــــــدر[2]

وشـــــنق ذلـــــك المفـــــاخر[3] فـــــانظر إلى الجـــــزاء

---

(١) الشيخ فضل اللـــه نورى الذى مر ذكره.

(٢) خسرو خان مقتدر نظام الذى ضُرب بالعصا بتهمة إشتراكه فى الانقلاب العقيم فى ذى القعدة ١٣٢٥هـــ ق، وبعد قصف المجلس حضر إلى طهران محاطًا بالعظمة والجلال ، ولم يكن قد عوقب بعد أثناء نظم هذا الشعر(!) ونحن لا نعرف قصة هذا الموضوع .

(٣) مفاخر الملك نائب حكومة طهران ، كان رجلاً دنيئا ومفسدًا ومن أشد المعارضين للحركة الدســتورية، وقد لجأ إلى السفارة الروسية بعد فتح طهران وكان قد تركها برغبته، حيث حكمـــت عليـــه المحكمـــة بالإعدام وأعدم رميًا بالرصاص فى رجب سنة ١٣٢٧هــ ق .

انظـــــــــــــر إنــــــــــــه عــــــــــــالم آخـــــــــــر

منـــذ فتـــرة وأنـــت تـــذهب أيهـــا الـــشيخ وتتـــآمر مـــع الأعـــداء

وتهجـــــم، أرأيـــــت أنـــــك خـــــسرت فى النهايـــــة ؟

انظـــر إلى الأوضـــاع بعـــد ذلـــك فقـــد ازدادت ســـوءاً

انظـــــــــــــر إنــــــــــــه عــــــــــــالم آخـــــــــــر

يـــا ضـــاربى الـــصدور إن شـــيخنا يقـــول تقـــدموا بـــالنواح

أيـــــن الأرز؟ مـــــاذا حـــــدث، أيـــــن الأرز بـــــاللحم ؟

أين اللحم بالكسرات واللحم بالمشمش والفستق واللوز وأين المشروب الرطب؟

انظـــــــــــــر إنــــــــــــه عــــــــــــالم آخـــــــــــر

أيـــــن الأطعمـــــة الـــــشهية والطيـــــور اللذيـــــذة ؟

لذيـــــذة الطعـــــم، أيـــــن الكبـــــاب والـــــشمّام ؟

انظـــر إلى طـــائر الحجـــل فى الأرض الجبليـــة والغـــزال فى الفـــلا

انظـــــــــــــر إنــــــــــــه عــــــــــــالم آخـــــــــــر .

وفى ختام هذا البحث نقول : أولاً برغم أن أشعار سيد أشرف لا تصل إلى رقى أشعار الشعراء الكلاسيكيين، فإنها تتفوق على كثير من الأشعار الفكاهية والسياسية لذلك العصر من حيث تركيب العبارات وأسلوب البيان، ثانيًا صحيح أن أشرف لم يكن رجلاً ثوريًا وتوجد فى بعض أشعاره خاصة تلك التى لم تنظم تحت تأثير "صابر" المباشر، الحسرة على الماضى والرغبة فى التصالح مع الديكتاتورية والتيار المحافظ والجهات الرجعية، ولكن برغم هذا كله فإن الدفاع عن استقلال إيران ومعاداة المعتدين الأجانب كان هو أكبر أهدافه الفنية التى كان يعرضها كلها فى قالب الأشعار النارية الملتهبة وبالأسلوب الهزلى الساخر الذى تعلمه من صابر، وفى أشعاره الأصيلة أيضًا التى تمتلئ بالسخرية الخفيفة (ليست شديدة الحدّة والمرارة) واللاذعة فى نفس الوقت، تم الاستهزاء

والسخرية من بائعى الوطن والخونة وأعداء الحرية والدبلوماسيين المنافقين وجميع الأشخاص الذين لم يهتموا بالدولة والشعب.

٢ – صور إسرافيل – دهخدا

والصحيفة الأخرى التى لها أهمية كبيرة فى تاريخ الحركة الدستورية الإيرانية، هى صحيفة "صور إسرافيل" الأسبوعية والتى صدرت فى طهران، بعد تسعة أشهر من انضمام إيران لركب الدول الدستورية(١).

وكانت هذه الصحيفة تُدار برأسمال ميرزا قاسم خان التبريزى (نفس الشخص الذى عُين فيما بعد وزيرًا للبريد والتلغراف)، وجهود ميرزا جهانجيرخان الشيرازى ومعاونة ميرزا على أكبر خان دهخدا.

وكان ميرزا جهانجيرخان من الأحرار الإيرانيين المشهورين، ورجلاً نشيطًا ومكافحًا وعنيدًا، وقد عانى كثيرًا أثناء الثورة الدستورية، وبعد إقرار الحكم الدستورى أصدر صحيفة "صور إسرافيل" وكرّس جهده لفضح رجال الحكومة وكشف خيانتهم وتبعيتهم للأجانب، ولهذا السبب كان دائمًا منبوذًا من المحافل الرجعية وتمت ملاحقته أكثر من مرة بسبب هجومه الشديد، حتى قتل فى آخر الأمر فى حديقة "باغشاه" بناءً على أوامر محمد على ميرزا وذلك فى انقلاب جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ هـ ق .

ومنذ بداية الحكم الدستورى حيث راجت الكتابة الصحفية فى إيران، وجد الكتّاب والشعراء، كما ذكرآنفًا، أن الأساليب الأدبية القديمة وبصفة خاصة قالبى القصيدة والغزل الشائعين، غير قادرة على التعبير عن الأحاسيس والمشاعر الجديدة فقرر

---

(١) صدر عددها الأول بتاريخ الخميس ١٧ ربيع الآخر ١٣٢٣هـ ق، وعددها الثانى والثلاثين الذى كان آخر أعداد الدورة الأولى للصحيفة ، يوم الخميس ٢١ جمادى الأول ١٣٢٦هـ ق، قبل ثلاثة أيام من قصف المجلس وقبل أربعة أيام من إعدام ميرزا جهانجيرخان المظلوم .

بعضهم التحدث بلغة الشعب، وبما أنهم لم يجدوا وسيلة أخرى فقد أخذوا يوصلون كتاباتهم إلى الشعب الهادفة إلى انتقاد الأوضاع الاجتماعية وإيقاظ أفراد الأمة من خلال العبارات الهزلية البسيطة أو الهجائيات المنظومة التى كانت تصب فى قالب الأغانى العامية والأوزان الخفيفة.

وقد اختارت صحيفة "صور أسرافيل" نفس هذا الطريق أيضًا.

وقلما اهتمت هذه الصحيفة بالشعر، وكانت أهميتها ترجع فى الغالب إلى القطع النثرية خاصة المقالات القصيرة التى كانت تكتب تحت عنوان "چرند پرند" (ثرثرة) وبرغم ذلك كانت هناك أشعار تنشر فيها فى بعض الأحيان، فمثلاً فى عددها الرابع الصادر بتاريخ ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٥هـ ق، نشر شعر على لسان فتيات "قوچان". والحكاية أن جماعة من الإيرانيين المقيمين على الحدود كان بينهم أيضًا عدة فتيات كن قد وقعن فى الأسر على يد التركمان وحُملن إلى روسيا، وكانت هذه القضية قد أثيرت منذ فترة فى مجلس الشورى الوطنى وكان المجلس يحاول استرداد هؤلاء الفتيات، ونظرًا لأنه كان قد أشيع أن آصف الدولة حاكم خراسان كان له يد فى هذا الأمر أو تخاذل فيه فقد تم استدعاؤه إلى طهران، حيث قام المجلس باستجوابه وتابع القضية باهتمام، وكان استرداد فتيات قوچان قد أصبح إحدى أمنيات الأحرار، وفى وضع كهذا تأججت فيه مشاعر الشعب، ظهر فى "صور إسرافيل" شعر على وزن ولحن أغنية قديمة.

ولكن فى القسم الخاص بـ "چرند پرند" الذى كان عبارة عن قطع نقدية هجائية كانت تُدرج نماذج جيدة جدًا من النثر الفارسى ذات عبارات عامية موجزة وفصيحة، و" لهذا كانت (صور إسرافيل) تشبه "ملا نصر الدين" القوقازية و"أذربيجان" التبريزية وكان القرّاء يهتمون بهذا الجزء فى الغالب، وإليه يرجع السبب فى رواج الصحيفة أكثر من بقية أقسامها[1] ".

---

(١) أحمد كسروى ، تاريخ مشروطه إيران ، الجزء الأول.

وهذه المقالات التى كانت تنشر بتوقيع "دخو" وأحيانًا بتوقيعات مستعارة أخرى (دخو علی، خرمگس (الذبابة الكبيرة)، أسير الجوال، برهنهء خوشحال (خالى البال)، نخود همه آش (الفضولى)، كانت تعد بقلم ميرزا على أكبر خان القزوينى (دهخدا) والذى أصبح فيما بعد واحدًا من أشهر الأدباء وعلماء اللغة الإيرانيين.

دخو: ولد دهخدا بن خانباباخان أحد الملاك المتوسطين فى قزوين، بطهران حوالى سنة ١٢٩٧هـ ق، وتوفى والده وهو فى العاشرة من عمره، وقد تعلم اللغة الفارسية والعربية والعلوم الأدبية والدينية عند المعلمين فى ذلك الوقت مثل الشيخ غلام حسين البروجردى، واستفاد من مجلس السيد الشيخ هادى نجم آبادى العلمى، وعندما افتتحت مدرسة العلوم السياسية فى طهران تابع دراسته فيها لفترة وبعد ذلك وبالتحديد فى عام ١٣٢١هـ ق، سافر إلى أوربا برفقة معاون الدولة الغفارى الوزير الإيرانى المفوض فى دول البلقان، وعاد إلى إيران بعد عامين ونصف العام العام وشارك فى الثورة الدستورية الإيرانية، ولما استقر الحكم الدستورى وظهرت الصحف الحرة انضم لكتّاب صحيفة "صور إسرافيل".

ويحظى دخو بمكانة رفيعة فى أدب عصر الثورة، ويعتبر أذكى وأدق كتّاب السخرية فى هذا العصر،وقد عُرف بأنه مؤسس النثر الفارسى النقدى الساخر من خلال النثر الخاص الذى استخدمه فى كتابة مقالات "صور إسرافيل" النقدية.

ولهجة دخو فى الكتابة الساخرة حادة وشديدة ولاذعة جدًا؛ فهو لا يعرف التسامح والتغاضى ولا يرحم ضحيته[١].

---

(١) برتلس ، تاريخ مختصر أدبيات إيران ، ص ١٢٦.

ويوجه دخو شفرته الحادة فى مقالاته نحو النظام الاستبدادى الديكتاتورى، فهو يتحجج بأى حادثة أو واقعة ويهاجم من خلالها فساد جهاز السلطنة ووقاحة وخيانة رجال الحكومة وظلم الأغنياء والملاك ونفاق رجال الدين العملاء والفقهاء الكاذبين ويستهزئ بهم ويسخر منهم بدون تسامح أو تغاضٍ.

وتتميز هذه الكتابات الساخرة باهتمامها بالشعب وتأثرها بأحواله، فأوضاع الفلاحين والمزارعين المتدهورة وفقر وبؤس أهل المدينة وجهل وعجز النساء الإيرانيات، جميعها قضايا طرحت مرارًا فى كتابات دخو.

وفى الحقيقة أن حال المجتمع الإيرانى فى العصر الذى أمسك فيه دهخدا بالقلم، كانت تنطبق عليه عبارة المُحزن المُضحك وكان يشبه بالضبط مسرحية "تراچى كوميدية"، وبرغم أن دهخدا يضحك على مثل هذه الحال فإن ضحكه ليس نابعًا من اليأس أو التشاؤم ولا توجد فى كتاباته أصلاً روح اليأس والبؤس التى تضعف قدرة الإنسان المعنوية وتمنعه من السعى والعمل – تلك الروح المرتبطة بالكتّاب الرجعيين والمنحطين – وإنما توجد فى هذه القطع قوة معنوية تحرك الأفكار وتثير المشاعر.

وقد آمن دهخدا ورفاقه بأن الطريق الذى اختاروه هو الطريق الصحيح، ولهذا فقد كان الأمل والتفاؤل هما خط سيرهم الباطنى والمعنوى طيلة سنوات الجهاد حتى فى أصعب مراحل الرجعية، وبكشفه عن جوانب الحياة المظلمة القائمة لم يكن دهخدا ينسى أبدًا جانبها المشرق المضىء. وكان من الواجبات الأساسية التى أخذها كاتب "صور إسرافيل" القدير على عاتقه اقتلاع جذور الخرافات الدينية، والخضوع والاستسلام للقضاء والقدر والانعزال وترك الدنيا والأوهام والتعصبات، وكان يهاجم البطالة والكسل وتبلد الإحساس و يرغب فى أن يكون الشعب الإيرانى شعبًا يقظًا وذكيًا وواعيًا وأن يصبح هو "السيد".

ويتناول دخو فى مقالاته الأولى الآفات الاجتماعية المختلفة مثل تعاطى الأفيون والأمية والجهل والعادات والخرافات واحتكار القمح ومظالم الخوانين والملاك وزبانية النظام الديكتاتورى – مثل رحيم خان چلبيانلو فى أذربيجان وقوام الشيرازى فى فارس – ثم يوسع نطاق السخرية شيئًا فشيئًا ويتناول أهم قضايا ومشكلات العصر لدرجة أنه يسخر من المجلس والنوّاب ومسئولى الحكومة بشكل علنى ويذم طريقة عملهم ويضرب بسوط الغضب على المتحكمين فى عجلة الزمان.

وقد جاء فى المقالة التى نشرت فى العدد الثانى والعشرين من "صور إسرافيل" بتاريخ متمم ذى الحجة سنة ١٣٢٥هـ ق، أن أحد الإيرانيين والذى كان أكثر دستورية من الجميع منذ القدم وذهب منذ اليوم الأول إلى السفارة وإلى ضريح الشاه عبد العظيم، وسار بعد ذلك على قدميه إلى قم برفقة السادة، وقد عرّفه السادة المتفرنجون منذ اليوم الأول أن الدستور يعنى العدالة ورفع الظلم وراحة الرعية وإعمار المملكة... هذا الشخص بمجرد أن تنتهى انتخابات المجلس وتعلن أسماء "نوّاب الشعب" يرى أنه فى انتخاب النوّاب الأكفاء لم يُلتفت إلا لعظم البطن وغلظة العنق وضخامة العمامة وطول اللحية وكثرة الجياد والعربات، ويرى أن المساكين قد تصوروا أنهم يريدون إرسال هؤلاء النوّاب إلى المجلس بدون فرمانات ووعود بالرشوة، فربما يخجل الحاجب من ضخامتهم ولا يطالبهم بالأوراق الممهورة وبطاقة الدعوة !

وفى العدد الخامس والعشرين والذى صدر فى التاسع من صفرسنة ١٣٢٦هـ ق يهاجم دهخدا رؤساء الأمة ونوّاب الطبقات الحاكمة بصورة شديدة وعلنية : " والله يا منصفين أوشكت أن أشق ثيابى، أوشكت أن أصبح كافرًا، أوشكت أن أغمض عينى وأفتح فمى وأقول : لو أن أمورنا كلها يجب أن يصلحها القدر، وأن شئوننا يجب أن ينظمها باطن الشريعة، وأعمالنا تصححها يد الغيب، فماذا تريدون أنتم يا ملايين

الرؤساء والسادة والعظماء منا نحن المساكين؟ لماذا يا آلاف القادة والأمراء والخوانين تجعلوننا كالشواء تحت أشعة الشمس ؟ لماذا تلتصقون بأجسادنا كالعلقة وتمصون دماءنا بهذه السماجة ؟ ".

وفى العدد الرابع بتاريخ ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـــ ق، يهاجم أدعياء العلم الدينى المفسدين والغافلين عن حقائق الإسلام والذين يتكالبون على منصب قاضى قضاة طهران، ويوجه انتقادات صادقة وموضوعية بشأن انحطاط الأمم الإسلامية من جرّاء أعمال وأفعال هؤلاء والتى كانت للإنصاف حادة جدًّا ومتهورة فى ذلك العصر فى ظل هذه الظروف، وسنعرض هذه المقالة بعينها لما لها من أهمية :

الظهور الجديد

"إذا قيل لأى مسلم إيرانى اغسل أنفك أيها المؤمن، نظف أذنك القذرة أيها المقدس، ارفع جوربك يا عدو معاوية، فإن عملاً بسيطًا كهذا سيكون بمثابة عبء ثقيل ومصيبة كبيرة لهذا المسكين !

أمّا إذا قلت له صر نبيًّا أيها السيد، ادّعِ الإمامة يا حضرة الشيخ، كن نائب الإمام يا سماحة حجة الإسلام، فإن سماحته يسرح بخياله فى حالة دهشة ويرسم الحزن على وجهه وينخفض صوته، وفى آخر الأمر يجعل صدره درعًا لسهام شماتة الغافلين والمنافقين والخونة، أى أن السيد يستعد بكل ذرة فى كيانه لنزول الوحى والإلهام، وفى النهاية يصل إلى سمعه فى الأيام الأولى صوت مثل دبيب النمل أو طنين النحل، وبعد عدة أيام يرى بعينه جبريل فى كامل هيئته الملائكية .

والعجيب هنا، أنه مع أن مزايا الدين الإسلامى الحنيف واضحة وضوح الشمس لكل الدنيا وبرغم ورود جميع الآيات المحكمة والأخبار المؤكدة فى أمر الخاتمية وانقطاع

الوحى بعد الرسول، ومع أن الإيمان بكل هذه المراتب من أساسيات ديننا، فإن جميع هؤلاء الأنبياء المزيفين والأئمة المزورين والنوّاب الكاذبين يتركون كل الدنيا وينزلون بجلال فى هذه البقعة الصغيرة من الأرض التى تعد مركزًا للدين الإسلامى المبين.

لا أحد من أتباع " النقطة الأولى " أو " جمال القدم " أو " صبح الأزل " أو " من يظهره اللـــه " أو " الركن الرابع[1] " فى أى منطقة من المناطق الجبلية الأوربية أو فى أى قرية من القرى الأمريكية يستطيع أن يتحدث فى مثل هذه الهراءات بحكم القانون وانتشار العلوم، ولو أتى جبريل بالأمر الصريح ألف مرة لإعلان البعثة فإنه سيجيب إجابة صريحة مضطرا، أمّا أرض إيران المباركة فإنها ماشاء اللـــه تنتج كل ساعة نبيا جديدا وإماما جديدا بل – نعوذ باللـــه – و إلهًا جديدًا والأعجب أن المسألة تتطور بسرعة والمعركة تشتعل أيضًا !

ما السبب ؟

السبب فى تحريك خيال المدّعين أيًا ما كانوا، والسبب فى طاعة العوام ورضا الشعب الإيرانى لا يخرج عن أمرين : الجهل وعادة العبودية .

خلال فترة ألف وثلاثمائة عام برغم كل هذه الآيات البينات، وبرغم كل هذه الأوامر الصريحة وبرغم آية الهداية الوافية، والذين يجاهدون فينا[2]... إلخ، فقد أُجبرنا على العبودية وقبول أصول ديننا وفروعه ونحن معصوبو الأعين، وأغلق أمامنا طريق التعمق والتأمل وتنمية الأفكار لدرجة أنه لا يوجد اليوم فى إيران مع اتساع رقعة العالم

(١) النقطة الأولى ، جمال القدم ، صبح الأزل، من يظهره اللـــه هى مصطلحات البابية والبهائية والأزلية، والركن الرابع هو مصطلح الشيخية الذين يقرون بركن رابع بعد اللـــه والرسول والإمام وهو الوسيط بين الإمام والناس .

(٢) من سورة العنكبوت الآية ١٦٩ أصل الآية هو :﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

الإسلامى طالب أو عالم أو فقيه واحد يستطيع أن يتحدث ساعة واحدة على الأقل بشكل منظم ووفقًا لأصول المنطق مع قسيس مسيحى أو حاخام يهودى أو إسماعيلى مدّعى القطبية دون أن يرفع عصا التكفير والتى هى آخر وسيلة للتغلب على الخصم.

ومن بين جميع الأصول الإسلامية المحكمة يكتفى أطفالنا فقط بحفظ أحد الأشعار المعقدة (هو جسم لا هو مركب، وليس له جوهر ولا عرض) والذى لا يستطيعون كشف رموزه حتى لو وصلوا لسن الثمانين.

أمّا طلابنا وعلماؤنا فإنهم يقنعون بقراءة أحد شروح الباب الحادى عشر[١] والذى يثبت الوحدانية بسورة الإخلاص، وإذا قرأ أحد لا قدر اللــه آراء أبى حنيفة الفقهية، وتجرّأ على قراءة الحكمة والكلام خلافًا للمعنى المزيف الذى يربطونه بالحديث الشريف " الحكمة ضالة كل مؤمن " عندئذ سيقع المسكين فى مستنقع الوهم ودوامة الخرافات ولن يكون أمامه للخلاص سوى العناية والرحمة الألهية.

إن حكمتنا وكلامنا عبارة عن مزيج مضحك من أوهام المساطيل الهنود وأفكار الوثنيين اليونانيين وخرافات الكهنة الكلديين وخيالات الرهبان اليهود.

حتى زعماء عبدة " الجنج " وعلماء عبدة " اللاما " ورؤساء عبدة العناصر الهنود يكتب كل واحد منهم على الأقل كتابًا أو اثنين مختصرين لشرح فلسفة مذهبم الباطل وينشرونه بين أمتهم وشعبهم، أمّا علماؤنا نحن فإن متعة الاستماع إلى صوت نعال السلطان والحرص على القرب منه طيلة ألف وثلاثمائة عام من شهوة الرئاسة لم تعط لهم الفرصة كى يفصلوا الفلسفة الإسلامية عن هذه المظاهر، ويكتبوا بلغة العوام رسالة مختصرة واحدة تشتمل على فلسفة طريقتهم الحقة.

---

(١) شرح الباب الحادى عشر ، المتن للعلامة الحلى فى المعتقدات ، والشرح لفاضل مقداد .

إن أمتنا قد ابتعدت عن الشريعة الإسلامية وعن الحمية الدينية التى يتحلى بها هؤلاء السادة، وابتعدت اليوم تمامًا عن معنى الإسلام وحقيقته لدرجة أنه من البلادة والتقصير الشديدين ألا يفكر اليهودى فى نشر دينه، وألا يقوم أى أحمق فى أى ركن من إيران باختراع دين جديد !

لا يمر أسبوع إلا وتقوم أحقر مكتبة أوربية بتقديم "قائمة" أو صحيفة أمريكية حقيرة جدًّا بالإعلان عن كتب عديدة فى إنكار الإسلام، وفى المقابل لا يقوم فرد واحد من علمائنا بنشر رسالة واحدة مكونة حتى من ورقتين ليس لإبطال الأديان الباطلة بل على الأقل للدفاع عن الدين الإسلامى الحنيف.

نعم، هؤلاء هم أولو الأمر، هؤلاء هم ورثة الأنبياء، هؤلاء هم خلفاء أئمة الدين، هؤلاء هم الأشخاص الذين ما زالوا يريدون أن يكونوا هم الأمناء على أرواحنا ودماءنا وأموالنا وأعراضنا.

ولإثبات كل هذه المراتب ليس هناك دليل أوضح من هذا المكتوب الذى يصل من الرشت ويصيب كل مسلم غيور بالدهشة : سيد جلال المحامى الشهير بشهر آشوب (مثير الفتنة بالمدينة) والذى حبسته الحكومة منذ فترة فى الرشت بسبب ارتكابه إحدى المخالفات، حضرت زوجته وأولاده إلى جمعية الرشت الوطنية وهم يحملون المصحف، والتمسوا إخراجه من السجن فطلب أعضاء الجمعية من الحكومة الإفراج عنه رأفة بأولاده الصغار، وبعد إثبات التقصير عاقبوه وسمحوا له بالخروج، فقال سيد فى نفسه: طالما أن الجمعية الوطنية هى التى أخرجتنى من الحبس فيجب أن أكون فى خدمة هذه الجمعية طيلة عمرى، وقد سمح له الأعضاء بذلك أيضًا فانشغل سيد لفترة فى خدمة جمعية الرشت إلى أن اضطر الرعية للثورة والتظاهر فى قرية " لشت نشا " التابعة لمعالى أمين الدولة بسبب

الفقر والفاقة، فوصل تلغراف من طهران إلى جمعية الرشت لمنع المظاهرة، وكلف معالى حاجى ميرزا محمد رضا الذى يعتبر موضع ثقة الجمعية وقبول العامة، بإخماد المظاهرة فأخذ معه أيضًا سيد جلال المحامى المذكور، وبعد أن أعادوا الهدوء والنظام إلى ذلك المكان عاد خاجى ميرزا محمد رضا إلى الرشت، ولكى يطمئن سيد جلال تمامًا على استقرار الأمن فى ذلك المكان ظل هناك على أن يعود بعد عدة أيام.

وبمجرد أن عاد حاجى ميرزا محمد رضا، يرى "سيد شهر آشوب" فى المنام أن الإمام عليه السلام قد قال له أنت نائبى وخلال فترة السبع سنوات المتبقية على غيابى، أنت الرئيس من جانبى وأنت إمام الأمة قولك هو قولى وفعلك هو فعلى...

المكتوب مفصل جدًا ولكن خلاصة الموضوع، أن سيد قد أصبح له خلال فترة عدة أيام اثنا عشر ألف مريد، وأعفى الأهالى هناك من ضرائب سبع سنوات ووعدهم قائلاً : إن حضرته سيظهر قريبًا بنفسه وعندئذ ستنفذون كل ما يقوله بالحرف.

وكتبت جمعية الرشت رسائل شديدة اللهجة عدة مرات لـــ "شهر آشوب" فقال فى رده: إن هذه الأوراق لا معنى لها، وتشجع أكثر بفضل اعتقاد الحمقى وثقتهم فيه، بل وكان يأمرهم أيضًا فى كل مرة بأن يدفعوا لحامل الرسالة خمسة تومانات، والعجيب أنه بمجرد أن يقول هذه الكلمة يتقدم مائة شخص وكل منهم يحمل فى يده خمس تومانات ليدفعها لحامل الرسالة، وكانوا يتسابقون فيما بينهم فى إطاعة أمر السيد (انتهى).

نعم هذه هى حال أمة بائسة غافلة عن حقيقة دينها ومُجبرة على العبودية والطاعة العمياء، وهذه هى نهاية أمة ليس لعلمائها هدف سوى حب النفس وحب الرئاسة".

وقد أحدثت هذه المقالة ضجة كبيرة بين الملالى والعامة واضطر الكاتب لنشر مقالة مفصلة للدفاع عن نفسه وإثبات براءته، وقد استعان فى آخرها بالمقالة التى كانت قد كتبت فى نفس هذا الموضوع بقلم الواعظ الشهير السيد جمال الدين.

ومقالة " الدفاع " التى نشرت فى العدد ٧-٨ من صحيفة "صور إسرافيل" بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥، هى – خلافًا لأسلوب دهخدا المعروف – مقالة جادة واستدلالية مشحونة بآيات القرآن والعبارات الغليظة المتداولة بين العلماء الإسلاميين حيث يبدو أنها قد كتبت بلغتهم هم أنفسهم لإسكات المدّعين والرد عليهم.

ونحن سنصرف النظر عن نقل النص الكامل لهذه المقالة بسبب طولها ولكن لكى لا يفقد القرّاء خيط الموضوع، سنعرض ملخصًا لها مع المحافظة على ترابط موضوعاتها :

... خلال هذه الحقبة الطويلة التى هوت فيها هذه الجماعة (أى الإيرانيين) فى الدرك الأسفل من التشويش... وحتى الدين والمذهب كانا قد تعرضا أيضًا للانكسار والضعف، وكل واحد من ملائكة البعث (الجرائد) قد انشغل فى هذا اليوم ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[1] بإصلاح جانب من أوضاع هذه الأمة البائسة، وسعى كل منهم بشكل أو بآخر لانتشال وإنقاذ هذه السفينة الغارقة فى الطوفان، تحركت جريدتنا "إسرافيل" أيضًا من منطلق الحمية الإسلامية والتعصب الدينى وسلكت طريق الحسرة واللهفة على ديننا المهجور وأطلقت نداء " على الإسلام فليبك الباكون[2]"...وقد كان قلمنا منذ العدد الأول ينظر بمزيد من الحسرة والألم إلى المعالم المطموسة والآثار المندرسة لهذا الدين القيم، ثم يبكى دمًا وقد وضع قدمه شيئًا فشيئًا على طريق إيقاظ الأفكار وتنبيه الخواطر لهذا العيب الفاحش وسرعة معالجة هذا الجرح الذى يعد أعظم جروح الأمة المتدينة، وقام تدريجيًا بانتقاد العيوب العارضة والنواقص الطارئة برغم أنه كان هو نفسه يعلم أن هذا الطريق ضيق ومظلم جدًا وشديد الوعورة، فطربت آذان الشعب لهذا الكلام، ولم يروا

(١) القرآن الكريم ، سورة التكوير من الآية ٥ .

(٢) مأخوذ من دعاء الندبة الذى يروى عن الإمام جعفر الصادق وأصل العبارة هى : وعلى الأطائب من أهل بيت محمد فليبك الباكون وليندب النادبون .

حالهم وانحطاطهم فى المرآة... (هنا عرض شرحًا مفصلاً حول العهد الماضى الذى شهد شوكة الإسلام وسطوته).

ولكن ماذا حدث حتى يزول ظل الإسلام عن ممالك الدنيا بعد أن كانت الشمس لا تغيب عن الممالك الإسلامية ؟ ماذا حدث حتى نصل إلى هذا اليوم الأسود، ويستعبد الأجانب مائتى وسبعين مليون مسلم من بين ثلاثمائة مليون مسلم؟ ماذا حدث حتى يعتبر ديننا الحنيف عند الأجانب مخالفًا للحضارة والرقى ويصبح منبوذًا والعياذ باللــــه؟ لأن بعض علمائنا قد غفلوا عن حقائق الإسلام وأخذوا قشوره السطحية واستخدموها تبعًا لأهوائهم. لأنه فى هذا النفس الأخير واللحظات الختامية والرمق الأخير للإسلام، حيث لم يبق أكثر من لمحة بصر واحدة على زوال وانقراض استقلال الدول الإسلامية بصفة عامة وطننا الغالى بصفة خاصة، ما زالت توجد مجموعة ممن لا يعرفون اللـــه، وبحثًا عن السلطة الوهمية الفانية وتعاليًا على الآخرين يريدون إفساد آخر دواء لهذا الداء المزمن القاتل ومحو مجلس الشورى الوطنى بل والدين الإسلامى، وذلك بالتلبيسات الشيطانية، واقتلاع الكلمة الطيبة من جذور الأرض وعدم الرفق بهذه المجموعة الذليلة البائسة المتسولة، وتسليم بيت هؤلاء المسلمين الخرب المتصدع ليد الكفار، وكل هذا من أجل أن يتولوا منصب قاضى قضاة طهران بضعة أيام!

لقد ظل رؤساء المسلمين غافلين تمامًا عن نواقصهم وعيوبهم بسبب شدة الغرور، ومُزجت حقائق الإسلام البسيطة النقية بموضوعات التصوف المعقدة والشعريات وسفسطة المذاهب الباطلة، ووجدت الأوهام والأساطير والعادات والخرافات الغربية على المجتمع الإسلامى طريقها إلى قلوب المؤمنين، فى حين أن الإسلام قد نسخ كل أنواع الخرافات من السائبة والحام والوصيلة والطيرة وضرب الأقداح والكثير غيرها .

ورفض رؤساؤنا أن يسمعوا العيوب التى طرأت على أحوالنا لا من الصديق ولا من العدو، ولم يصغوا أبدًا لأى انتقادات أو مناقشات ولم ينفذوا مضمون الآية ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1] "، واعتبروا النقد والحمية إهانة للشرع والدين، وعندما كانوا يستمعون لكلمة واحدة مخالفة لآرائهم المقدسة (دون أن يكون فى ذلك الموضوع ذيوع وإجماع) كانوا يمدون يدهم إلى ناحية البرهان الحسى ويطلقون ألسنتهم باللعن والتكفير. . . فمثلاً قمنا نحن فى الأعداد الأولى من هذه الجريدة انطلاقًا من هذه الغيرة على الدين والتعصب للإسلام والحمية الدينية بتنبيه علمائنا الذين كنا نرى أنهم بصدد تخريب بيضة الإسلام بسبب هوى النفس، فى مواضع عديدة بالقول اللين والموعظة الحسنة وقلنا كلمة حق بناءً على اعتقادنا فى تنبيه الغافلين، الغافلين عن أن المدّعين والحاسدين المنتقدين متربصون ويأخذون نصف كلمة التوحيد ويتركون النصف الآخر[2]، ويرفعون فجأة عصا التكفير، والأمر الذى يعد سهلاً ميسرًا على غالبية إخواننا فى الدين يجعلونه يلتبس على ورثة الأنبياء وآيات اللـــه الذين هم حماة بيضة الإسلام.

نعم رفع أعداء الحق أصوات الولولة فى المدينة ودقوا طبول الطعن وشوّشوا أذهان نوّاب الشعب وأئمة ورؤساء الأمة بالتدليس والمغالطات، فأصدر بعضهم حكم وجوب القتل وأشار البعض الآخر بالانتقام من القلم نفسه ومعاقبته أى إيقافه، بل إن أحد الرفاق أيضًا والذى يبدى مودته تجاه المُضحين بأرواحهم ويُظهر نفسه فى المحافل المؤيدة لحرية القلم، كان يقول: إن هذا الأمر يستوجب عقوبة شديدة، ولكن بما أنه صعب فى الوقت الحالى فعليهم أن ينفذوا عقوبة القتل على الأقل! على كل حال فقد علت صرخة

(١) القرآن الكريم ، سورة الزمر من الآية ١٨.
(٢) المقصود " لا إله " فقط بدون " إلا اللـــه ".

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[1] فى العاصمة الإيرانية ومركزالحرية ومقر دار الشورى الوطنى، وتساقطت الطعنات واللعنات من كل فم على "صور إسرافيل" التى بناءً على قول البعض هى كتاب يُطبع فى مصر وبرواية البعض الآخر هى نسخة تأتى من الهند، وفى آخر الأمر التبس الأمر علينا نحن أيضًا. (بعد ذلك يدافع عن كتاباته بشكل مفصل ومطول ثم يقول) لا، وألف مرة لا ! نعوذ بالله أن يُهان ديننا أو أن تهدر كرامة مذهبنا ! وإنما لو كانت هناك إهانة فهى لخدام الدين هؤلاء الذين قصّروا فى أداء واجبهم ووظيفتهم و لم يستعينوا بعلوم الحكمة والفلسفة و لم يتعلموا لغة العدو و لم يقرأوا افتراءات الأعداء و لم يتعمقوا فى تاريخ مذاهب العالم وبحث أديان الأمم واكتفوا فقط بقواعد اللغة العربية التى هى ليست أكثر من لغتهم الدينية، وكل ما كتبوه أيضًا حتى الآن كتبوه بتلك اللغة الأجنبية وحرموا لغتهم الوطنية من الكتابات الدينية، وشعبهم من المعلومات الدينية الضرورية .

صور إسرافيل وملا نصر الدين

أشرنا آنفًا إلى أنه كان هناك تشابه وتوافق بين جريدة "صور إسرافيل" وجريدة "ملا نصر الدين" القوقازية من نواحٍ عديدة، ولتوضيح هذا الأمر يجب القول أولاً أن هاتين الجريدتين كان بينهما دائمًا اتصال وتعاون وثيق :

نُشر فى العدد الثالث والعشرين من "صور إسرافيل" بتاريخ ١٧محرم١٣٢٦هــ ق، شعر لـــ "دهخدا" تحت عنوان " تعزية لملا نصر الدين فى مأتم شيخ الإسلام " — أحد علماء الدين القوقازيين الرجعيين — وقد كتب هذا الشعر باللغة الأذربيجانية المختلطة بالفارسية وكان تقليدًا فكاهيًا لجريدة "ملا نصر الدين".

وكان شعر دهخدا قد بدأ بالتحية والسلام الودود الحار لملا نصر الدين :

(١) القرآن الكريم ، سورة الحاقة الآية ٣١ .

يا رياح الصبا، إذا مررت على القوقاز، توقفى قليلاً فى تفليس وأوصلى منى مليون سلام لملا نصر الدين وقولى لها أيتها الغارقة فى الحزن والغم، من سارت هذه الدنيا على هواه ؟ سيدخل ابن آدم القبر فى يوم من الأيام سواء كان أميرًا أو شحاذًا ولن يبق فى الدنيا إلا اللــه، لا تكونى نافذة الصبر بهذا الشكل، نعم مات شيخ الإسلام ولكن لا تظنى أن اسمه قد مُحى بين وسط الأسماء، اذهبى واشكرى اللــه أن عندنا الشيخ نورى[1] وحسن دبورى، أن سقف الدين وعموده لن ينهارا أبدًا ولن يتركنا اللــه بلا شيخ أو فقيه.

إذا رحل الأب فليبق الإبن فليبق الجحش مكان الحمار!.

أمّا جريدة "ملا نصر الدين" فقد كانت تتابع بدورها أيضًا مجرى الأحداث الإيرانية وأدب الثورة ومساعى جريدة "صور إسرافيل" خطوة بخطوة، فمثلاً نشرت فى العدد العاشر من عام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ ق) شعرًا تحت عنوان "الحركة الدستورية" وكان عبارة عن أغنية شائعة ومقطعها الترجيعى هو "أخى العزيز" والتى كانت تصور حالة الاضطراب والبؤس التى كان عليها شخص إيرانى لم ير من الدستور والحرية إلا الضرر والأذى :

إن الحركة الدستورية قد أزهقت أرواحنا وألقت بالجميع فى دوامة البؤس، وبرغم أن غصن الدستور لا يثمر إلا الثمرة الحلوة فإن هذه الثمرة للأسف لم تنضج بعد فى إيران، فالخان قد ارتشى والشيخ أخذ والاثنان اتفقا معًا، إذن ماذا بقى للأمة ؟ إننا نحن الإيرانيين رعية الملك ونلتزم بالأصول القديمة ومعبودنا الشال والعمامة، والخونة قد خانوا الأمة أكثر من مرة وهذه الحكاية قد نفخها "إسرافيل" فى "الصور"[2].

---

(١) الشيخ فضل اللــه الذى مر ذكره .
(٢) إشارة إلى صحيفة " صور إسرافيل " .

ولكن تشابه هاتين الصحيفتين أو بعبارة أفضل تقارب كتابات الكاتبين (دهخدا ومحمد قلى زاده) لم يكن فقط فى الموضوعات المشتركة وإنما كان هناك أيضًا توافق غير عادى بينهما فى الأسلوب الفنى من حيث ابتكار الأنماط والشخصيات واختيار الساحة والبيئة المناسبة وتزيين هيكل القصة وتشويق الموضوع والاستنتاج.

وفى عام ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ ق) نُشرت قصة قصيرة بعنوان "الحرية فى إيران" بقلم جليل محمد قلى زاده، وكان محور القصة يدور حول عامل قروى من أهالى إيران يدعى كربلائى محمد على والذى ترك زوجته وولده فى قرية "عربلر[١]" قبل عامين ونصف العام وحضر إلى القوقاز للعمل، وبعد فترة تزوج كربلائى محمد على من إحدى الأرامل زواجا مؤقتا (متعة) على كتاب اللـــه وشريعة الرسول، فزادت نفقاته و لم يستطع بعدها أن يرسل أى أموال لأسرته فى إيران وفى هذه الأثناء يصدر فى إيران فرمان الحكم الدستورى فيظن محمد على أنه قد نجا أخيرًا من الفقر والبؤس :

كان القنصل قد دعا المواطنين[٢] اليوم للحضور إلى المسجد، وكان الجميع يدعون للملك لأنه قد منح إيران الحرية فذهبت أنا أيضًا إلى هناك، وكانت الأعداد غفيرة والمكان مزدحمًا جدًا لدرجة أنه لم يكن هناك موضع لثقب إبرة، وكان المواطنون فى غاية الفرح والسعادة... والحقيقة أننا نحن المواطنين المساكين قد تحملنا حتى الآن الكثير من الذل والمشقة وضقنا ذرعًا بالعمل، ولكن إن شاء اللـــه بعد الآن سيجرى فى أيدينا المال وننعم بالثروة. . . يُقال إن القنصل قد دعا جميع المواطنين وأنه سيعطى لكل واحد نصيبه من الحرية فى الغد، حسن حسن، أطال اللـــه فى عمر ملكنا !

ويكتب محمد على رسالة إلى إيران ويلتمس أن يرسلوا إليه نصيبه من الدستور على الفور.

---

(١) قرية على الحدود الإيرانية الروسية بالقرب من باكو .
(٢) كان الإيرانى يُسمى فى المدن القوقازية المواطن خاصة العامل الإيرانى .

وبطل القصة نموذج ومثال لنوعية معينة من القرويين الأذربيجانيين الأميين، وهذا الرجل العامى الذى لم يسمع عن الدستور والحرية سوى الاسم فقط، ويعانى بشدة من الفقر والعوز يظن بسبب جهله وبؤسه أن نصيبه من الدستور الذى قد منحه الملك للدولة سيصل إليه من إيران وينقذه من هذا الفقر والبؤس[1].

وهذه القصة تذكرنا بمقالة دهخدا الفكاهية التى نشرت فى العدد السادس من صور إسرافيل (٢٣جمادى الأول١٣٢٥هـ ــ ق) وتصور ولدًا كرديًا جاهلاً وأميًا يدعى آزاد خان كرندى :

كان قد كتب فى الكتاب : " يجب أن يكون عند الإنسان دين، وكل واحد ليس عنده دين سيذهب إلى جهنم".

الأخ يسأل الشيخ :

– ما هو الدين ؟

– الإسلام.

(١) القصة عذبة ولذيذة : الشيخ المعلم كتب رسالة على لسان أوستا جعفر التبريزى لأمه على النحو التالى : " أمى العزيزة ، إننى لم أنسك لحظة واحدة خلال هذه السنوات التى عملت فيها فى بلاد الغربة، أرجو ألا تكونى غاضبة منى لأننى لم أرسل لك نفقات ، اللـــه باللـــه إن الغلاء هنا شديد جدًا، فى البداية لم تكن عندى زوجة وكان حملى خفيفا وكنت أرسل إليك أحيانًا بعض الأموال ولكن العبد المسلم لا يجب أن يعيش أعزب ، فما كان منى إلا أن تزوجت أرملة هنا زواجًا مؤقتًا على كتاب اللـــه وطبقًا للشريعة، وأيًا كان الأمر فهى فى النهاية امرأة ولها نفقاتها ومتطلباتها ، وأقسم باللـــه أننى مهما أسعى وأبذل قصارى جهدى لا يتبقى شىء من نفقات البيت كى أرسله إليك ، قبّلى الأولاد نيابة عنى وأبلغى كل الأهل والأقارب السلام) ويضع الشيخ هذه الرسالة بجانبه فوق الأريكة أمام الشمس كى يجف حبرها وفى هذه الأثناء يصل كربلائى محمد على، الذى كان قد أوصاه بكتابة رسالته وذهب ليشترى ظرفا ، فيعطيه الشيخ رسالة أوستا جعفر التبريزى بطريق الخطأ ويسلم هو الرسالة لحاجى على التاجر الماكوئى حتى إذا ما ذهب أحد إلى ماكو أخذها معه وأعطاها لمشهدى إسكندر القهوجى فى (شاه تختى)ثم يرسلها مهدى إسكندر إلى أمه فى "عربلو" وتصل الرسالة ويمر شهر وتصل زوجة كربلائى محمد على مع أخيها من الطريق وهما راكبات البغل ويكيلان الضرب والشتائم للمسكين محمد على وزوجته المؤقتة اللذين كانا ينتظران وصول نصيبهما من الدستور والحرية من إيران .

وبعد ذلك يعلمه الشيخ بعض الكلمات ويقول له إن هذا هو الدين الإسلامى، ولكن بعد أن يكبر ويذهب إلى منزل إمام الجمعة ويرى أن وقف المدرسة المروية يأخذه ميرزا حسن آشتيانى من الإمام، ويتزاحم الناس هناك ويقولون إن الدين قد ذهب ! وينشغل الأخ كيف ذهب الدين ؟

ويسمع فى ضريح شاه عبد العظيم أن الطلاب المتجمعين يقولون إن الدين قد ذهب، ويعلم أن أحمد القهوجى قد دعاه سالار الدولة إلى الأهواز وأن ابن ميرزا حسن أرسل الطلاب ليعيدوه من ضريح الشاه عبد العظيم.

ويخدم بعد ذلك عند السمسار الذى قد خطف ابنته الجميلة من منزل زوجها وأخذ زوجته (بزواج المتعة) خديجة المطربة لعين الدولة، ويسمع من السمسار أن الدين قد ذهب ! وعندما عاد الإقطاع وكان الحديث حول الرواتب والأجور يسمع مرة ثانية أنهم يقولون لقد ذهب الدين!

عندئذ يظل حائرًا ويتساءل أى هذه الأشياء هو الدين ؟ هل هو ذلك الذى قاله الشيخ المعلم، أم هو ملكية الوقف، أم أحمد قشنگ القهوجى، أم زوجة وابنة السمسار أم الإقطاع والأجور والرواتب أم هو شيء آخر ؟

ونلاحظ نفس أسلوب الكتابة فى كلتا الصحيفتين : فى بحث القضايا الاجتماعية يبدأ كلا الكاتبين الموضوع من النواحى البعيدة والمسائل الفرعية وغير المهمة والتى ربما ليس لها أى علاقة بالموضوع، فمثلاً تفسر "ملا نصر الدين" قصر نظر المسئولين الإيرانيين وحماقتهم بأن الإيرانيين يتعلقون بشدة بالعمامة ولا يخلعونها من على رؤوسهم حتى فى أوقات الليل عند النوم، ولما كانت العمامة تدمر الرأس وتضيع العقل فيجب إذن على المجلس أن يجد حلاً سريعًا لإصلاح العمامة عسى أن تنصلح أيضًا رؤوس المسئولين[1].

(١) ملا نصر الدين ؛ ٢٨ إبريل ١٩٠٨م (ربيع الأول ١٣٢٦هـــ ق).

وفى وصفه لرجال إيران يقول دهخدا بدوره أيضًا فى إحدى مقالات "چرند پرند" (ثرثرة) إن النساء الإيرانيات لديهن اعتقاد تام بالإناء المستعمل، وإن الأمهات الإيرانيات يرفضن تبديل إناء مستعمل واحد بعشر أوانى جديدة وغير معيوبة، ويضيف إن عقيدة وأخلاق وعادات الأمهات طيلة العمر هى أساس أخلاق الأبناء وعاداتهم، فمثلاً أدّى اعتقاد أمهاتنا هذا بالإناء المستعمل إلى أننا نحن أيضًا بدون استثناء لدينا اعتقاد تام فى عظمة المسنين أى الأشخاص المتهالكين مثل الأوانى(١).

وقد استفاد دهخدا كثيرًا من أسلوب كتابة "ملا نصر الدين" وقلده مرات عديدة، وسنقوم بمقارنة مقالتين للصحيفتين :

فيما يلى ترجمة مقالة جليل محمد قلى زاده التى نشرت فى صحيفة "ملا نصر الدين" تحت عنوان "الرد على رسالة دمدمكى" بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٠٧م (ربيع الأول ١٣٢٥هـ.ق):

دمدمكى، أنت مجنون حقًا، كيف لم تخف وكتبت لى هذه الأشياء ؟ هل مللت من حياتك ؟ لو جئنا ونشرنا كلامك فى الصحيفة تعرف ماذا سيحدث ؟ سيرجمك أهل باكو بالحجارة ولن يشترى أحد صحيفتنا بعد ذلك.

إذن احكم أنت بنفسك، هل أنا أستطيع أن أكتب أنهم قد حوّلوا مكتبات باكو العامة إلى أوكار للبوم؟ هل أستطيع أن أكتب أنه لا أحد يهتم بجمعية باكو الخيرية وأن أعضاءها مجموعة من الجهلة والعاطلين ؟ هل أستطيع أن أكتب أن أزقة باكو قد امتلأت بالرجال والنساء والأطفال المتسولين ؟

احكم بنفسك يا دمدمكى، هل أنا أستطيع أن أكتب أن اثنين من الأعيان المسلمين المعروفين قد أشهر كل منهما الطبانجة فى وجه الآخر فى التاسع من أبريل وأنهما قد تبادلا أفظع الشتائم والسباب ؟

---

(١) صور إسرافيل ، العدد ٣١ بتاريخ الخميس ١١ جمادى الأول ١٣٢٦ هـ ق.

كيف أستطيع أن أكتب فى الصحيفة أن المسلمين قد ارتكبوا مجزرة بشعة فى "بى بى هيبت" فى ٢٨ صفر، لدرجة أن الدماء مازالت حتى الآن تسيل من رؤوس البعض ؟ دمدمكى، ماذا أقول أين ذكاؤك ؟ هل يمكن أن أكتب وأشرح كيف أن أهالى باكو فى نفس شهر ربيع الأول قد قبضوا على جميع اللصوص الذين كانوا قد جاءوا من الخارج، وأركبوهم البغال وطافوا بهم فى المدينة، فى حين أنهم أخرجوا لصوصنا نحن من السجن ؟ لماذا ؟ لأن هؤلاء اللصوص كانوا أهالى وأقارب أصحاب السلطة والثروة !

احكم بنفسك يا دمدمكى، هل أنا أستطيع أن أكتب فى الصحيفة كل ما تسأل عنه ؟ أنا أريد أن أعرف إذا كتبت أنا كل هذا، فكيف ستنجو أنت بروحك ؟

ويكتب دهخدا أيضًا فى العدد الخامس من صحيفة "صور إسرافيل" بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٢٥هـ ق، إلى رفيقه "دمدمكى" ردًا عليه :

... لو كنت أرغب فى كتابة كل ما أعرفه كنت كتبت الآن أشياء كثيرة، فمثلاً كنت كتبت أنه قد مر الآن شهران..."[1].

وفى العدد الثالث والعشرين من صحيفة "ملا نصر الدين" بتاريخ ٨ نوفمبر١٩٠٦م (رمضان١٣٢٤هـ ق) نشرت مقالة بعنوان "محضر جلسة هيئة تحرير الصحيفة" والتى ذكرت فيها الأسماء المستعارة لكتّاب الصحيفة مثل "هوپ هوپ" و"دمدمكى" ويكتب دهخدا تقليدًا لملا نصرالدين أيضًا عمودًا من "چرند پرند" (ثرثرة) فى العدد الخامس عشرمن صحيفة "صور إسرافيل" بتاريخ ٢٩رمضان١٣٢٥هـ ق، ويقوم بتشكيل رابطة "المعوزين" المؤقتة بعضوية رفاقه وزملائه الكتّاب (خرمگس، دمدمى، أويارقلى، آزاد خان كرندى، ملا إينكعلى) ويقرأ "سگ حسن دله" كاتب الرابطة ملخص مباحثات الرابطة السابقة.

---

(١) يمكن الرجوع إلى صفحة ١٤٨ وما بعدها .

وموضوع البحث هو السجاجيد التى أرسلها صاحب السمو حاكم كرمان كمساعدة إلى صحيفة "صور إسرافيل" (ذلك الحاكم الظالم الذى ينتزع القرط من أذن فتيات القرية ويسحب الكليم من تحت أقدام أسرة قروية بائسة ولا يبقى على طيور السيدة العجوز ولا يترك أيضًا أى مال غير مشروع أو حتى عن طريق الرذيلة).

وبعد المباحثات تقرر الرابطة أن تكتب رسالة لصاحب السمو الحاكم.

وفيما يلى نص الرسالة :

حضرة صاحب السمو الشريف السعيد، الأمير نصرت الدولة حاكم كرمان، دامت أيام عدالته ! إنك يا صاحب السمو لم تتبع طريق السياسة، بمعنى أنه لولا التجرؤ لخجل حضرة الملا إينكعلى أيضًا الذى كان يناصرك فى المجلس، ووضعك أنت أيضًا يا صاحب السمو سيئ للغاية، حضرة صاحب السمو! كان يجب عليك الآن أن تنشغل بالدراسة فى المدارس الإنجليزية والألمانية لا أن تكون حاكم ولاية كرمان فى إيران الخربة، وقد أرسلت إلى "صور إسرافيل" سجاجيد قيمتها مائة تومان كهدية بإيصالات مختومة، وبعد، اعرف مع من تتعامل، ولا تندفع فإن "صور إسرافيل" لا تتلقى الرشوة كما أن آهات قلوب الشهداء الجدد وآكلى خبز الذرة ودم الأغنام لن تظل باقية على أرض كرمان.

توقيع رابطة المعوزين

ولم تكن "ملا نصر الدين" تنتقد أوضاع العصر السياسية بشكل مباشر وإنما كانت تبين كل موضوع فى الخفاء وبشكل غير مباشر وعن طريق الحكاية والتمثيل وإيراد الشواهد والأمثلة والمقارنة الفكاهية مع نادرة أو حادثة مضحكة أخرى، ونفس الأسلوب أيضًا كان يستخدمه دهخدا غالبًا فى " چرند پرند " (١).

(١) صور إسرافيل ، الأعداد ١ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، وغيرها.

وكذلك كانت صور إسرافيل"، مثل "ملا نصر الدين" أيضًا، تنشر بعض فكاهياتها فى صورة رسائل مرسلة من القرّاء إلى إدارة الصحيفة ورد الصحيفة عليها ويمكن أن نرى مثل هذه الرسائل والردود فى كل أعداد الصحيفة تقريبًا.

وكانت كل صحيفة من الصحيفتين تستفيد بشكل كبير من كنز الأدب الشعبى الثرى (الفولكلور) والحوارات الحية الجذابة والتلغرافات وأمثالها، وهناك تشابه كبير بين كتابات الصحيفتين من حيث أسلوب الكتابة وبيان الموضوع وطريقة المقارنة وإيراد التشبيهات والصور، وبصفة عامة أغلب الخصائص والصفات، وبهذه الخصائص والسمات غير المسبوقة احتلت كتابات دهخدا مكانة رفيعة فى الأدب الإيرانى وأعلنت عن كاتبها كأحد رواد ومؤسسى النثر الفارسى الحديث.

قطعتان شعريتان لدهخدا

برغم أن دهخدا لم يشتهر فى مجال الشعر فإننا سنعرض هنا من باب التبرك قطعتيه المنظومتين اللتين نشرتا فى صحيفة "صور إسرافيل" وتميزتا بالبساطة والجمال .

فى قطعة " الرؤساء والشعب[١] " التى انتقد خلالها النظام الديكتاتورى بطريق الكناية، يعرض "الرؤساء" فى صورة الأم الجاهلة و"الشعب" فى صورة الطفل المريض الذى تفيض روحه بين ذراعى الأم من شدة الجوع :

الويــــــل لى، لقــــــد اســــــتيقظ الطفـــــــل مـــــــن النـــــــوم

نم يـــــا حبـــــيبى، لقـــــد جـــــاء ذو الـــــرأس والأذنـــــين

لا تبـــــــك، ســـــــيأتى الـــــــوحش ويأكلـــــــك

القطـــــــة تـــــــأتى وتأخـــــــذ الأطفـــــــال الـــــــصغار

واء واء، مـــــاذا بـــــك يـــــا حبـــــيبى؟ أنـــــا جـــــائع

---

(١) صور إسرافيل ، العدد ٢٤ بتاريخ المحرم ١٣٢٦ هـــ ق.

انفلـــــــق، هـــــو اللــــــى أكلتــــــه قليـــــــل!
امـــــش يـــــا كلـــــب، بـــــس يـــــا قطـــــة
هـــــو نتــــه هـــــو، هــــش هـــش يـــــا دجـــــاج
ح أمـــــوت يـــــا أمــــى مــــن الجـــــوع
لا تبــــك، غـــــدًا ســـــأعطيك الخبـــــز
الويـــــل يـــــا أمــــى روحــــى ح تطلـــــع
لا تبكـــى، قـــدر الثريـــد واللحـــم يغلـــى علـــى النـــار
يـــدى، آه، انظـــرى كيـــف أصـــبحت يـــدى بـــاردة
اللعنــــة، انظـــر كيـــف تـــؤلمنى حلمـــة الثـــدى
لمــــاذا رأســـى تـــدور هكـــذا والـــدنيا تلـــف بى ؟
إن القمـــــل يحفـــــر فى رأســــك ليتغــــذى
خ خ خ (دلالـة علـى النـوم) مـاذا بـك يـا حبـيى!
أهه أهــه(دلالــة علــى البكــاء)... الحقــينى يــا خــالق !
لمــــاذا تحجــــرت عينـــاه ويحـــدق فى الـــسقف
آه، تعـــالى انظـــرى كيـــف أصـــبح جـــسده بـــاردًا
لمــــاذا أصـــبح لونـــه مـــصفرًا، الويـــل لى ؟
يـــا ويلـــى لقـــد ضـــاع مـــنى طفلـــى، لقـــد رحـــل رحـــل !
رحـــــل، رحـــــل وتـــــرك لى الحـــــسرة والألم !

ولطاهر زاده صابر شعر أيضًا نظمه فى صورة حوار بين أم وطفلها حيث ترغب الأم فى إسكات الطفل وتنويمه، وفى هذا الشعر تتكرر جملة " نم يا حبيبى نام! " بعد كل خمسة مصاريع وتعطيه لحن أغنية من أغانى الأطفال الرضع[1].

(١) صابر ، هوب هوب نامه ، طبعة تبريز، ص ١٩.

ويرى دهخدا وكذلك صابر الشعب المتعطش للحرية الراغب فى اليقظة، فى صورة طفل تحاول الأم الجاهلة القاسية أن تعمل على تسليته وتهدئته بأى وسيلة .

وهذا الأسلوب الكتابى يوجد بكثرة فى صحف عصر الثورة الإيرانية مثل شعر" هدهدة الأم[1] " لأبى القاسم اللاهوتى و " أغنية الجندية[2] " لشاعر مجهول و " هدهدة المهد[3] " لأشرف الدين الجيلانى .

والقطعة التى نقلت لدهخدا ليست بعيدة الشبه عن قطعة صابر الشعرية الأخرى أيضًا والتى نشرت فى العدد الثامن والعشرين من صحيفة "ملا نصر الدين" سنة ١٩٠٨م بعنوان "اصبر"، وفى ذلك الشعر يمدح الشاعر صبر الشعب بمزاح وسخرية ويحاول أن يشجعه على تحمل ظلم الرؤساء .

والقطعة الأخرى من أشعار دهخدا مسمط نشر فى العدد السابع عشر من "صور إسرافيل" بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣٢٥هـ ق، وهذه القطعة تشبه تمامًا أشعار صابر وكأن دهخدا قد تحدث على لسان الشاعر القوقازى .

أنت مرفوض مـــن الـــرب ومطـــرود مـــن كـــل عبـــد يـــا كربلائـــى
أنـــــت مثـــــال حـــــى للمهـــــرج يـــــا كربلائـــــى
بـــــالمزاح والـــــسخرية والـــــضحك
لم تـــــرحم الحـــــى ولا الميـــــت يـــــا كربلائـــــى
أى عنيـــد وجـــرىء أنـــت يـــا كربلائـــى !
ألا تخـــف مـــن الرمّـــال وقـــارئ الكـــف ومُـــسخر الجـــان
ألا تقلـــق مـــن الـــدرويش ومـــن الانجـــذاب ومـــن الحـــال
ألا تخـــف مـــن الـــتكفير ومـــن المـــسدس ومـــن شابـــشال[4]

(١) صحيفة إيران نو ، طهران ، العدد ١٢٣ ، سنة ١٣٢٨ هـ ق.
(٢) صحيفة دبستان تبريز ، العدد الثالث ، ١٣٢٤ هـ ق.
(٣) باغ بهشت ص ٨٣.
(٤) شابشال ، المعلم الروسى لمحمد على ميرزا.

من الصعب عليك أن تدفن نفسك بالحياة يا كربلائى
أى عنيد وجرىء أنت يا كربلائى !
ألم أقل لك مائة مرة إن خيالك محال
مادام نصف هذه الطائفة محبوسًا فى الجوال
إن ظهور الإسلام فى هؤلاء القوم خيال
هيا قل مرة ثانية كلامًا مبعثرًا يا كربلائى
أى عنيد وجرىء أنت يا كربلائى !
تارة تتشاجر وتتعارك مع الدرويش
وتارة تفضح الواعظ الفقيه
نفخت الأسرار المختبئة كلها فى "الصور"
ألا تعرف معنى الخجل يا كربلائى يا مكشوف الوجه
أى عنيد وجرىء أنت يا كربلائى !
لقد ماتت الرعية من شدة الجوع، فإلى الجحيم
وإذا لم تكن هناك وحدة بين هؤلاء القوم فإلى الجحيم!
لقد قطع الأفيون عرق الحمية، فإلى الجحيم!
فاسعد مع المطرب والعازف يا كربلائى
أى عنيد وجرىء أنت يا كربلائى !
إذا كنت تنتظر أن تمحى الرشوة فى إيران
وأن يسعد الملا بالعدل والقانون
وأن يتحرر الإسلام من الرقال والمرشد
فكأنك تقول يا كربلائى إن الميت سيحيا !
أى عنيد وجرىء أنت يا كربلائى !

الدورة الثانية لصحيفة "صور إسرافيل"

بعد أن هُزم الأحرار وأغلق المجلس فى دورته الأولى فى انقلاب ٢٣جمادى الأولى ١٣٢٦هـ ق، تعطلت تمامًا الصحف الحرة الصادرة بالعصرالدستورى الأول، وتوقفت عدة أشهر ومن بينها صحيفة "صور إسرافيل"، وبما أن محمد على شاه كان يحمل فى قلبه كراهية شديدة لمدير"صور اسرافيل" وكتّابها بسبب لهجتها النقدية الحادة والصريحة، وكان يتحين الفرصة دائمًا للانتقام منهم، فقد قتل ميرزا جهانجيرخان الشيرازى فى حديقة "باغشاه" بصورة شنيعة غداة يوم الانقلاب، ولكن نجا دهخدا بتحصنه فى السفارة الإنجليزية ونفى إلى أوربا مع عدد آخر من الأحرار، فأدار دهخدا صحيفة "صور إسرافيل" بنفس الأسلوب السابق مرة ثانية فى أول محرم عام ١٣٢٧هـ ق فى مدينة إيفردون بمساعدة ابى الحسن خان معاضدالسلطنة (پيرنيا)، وكان دهخدا يعد كل موضوعاتها بمفرده ويكتب مقالات " چرند پرند " بتوقيع دخو أيضًا، ويهاجم الملك بشدة ولكن لم يصدر من هذه الصحيفة أكثر من ثلاثة أعداد.

قطعة شعرية أخرى لدهخدا

فى ثالث وآخر أعداد هذه الدورة من صحيفة " صور إسرافيل " والذى صدر بتاريخ ١٥صفر١٣٢٧هـ ق، نشرت قطعة شعرية لدهخدا كان قد نظمها فى ذكرى رفيقه القديم ميرزا جهانجيرخان الشهيد لرثائه، وربما كان هذا الشعر هو أول شعر فارسى يحمل خصائص الأشعار الأوربية حيث إنه خلق شكلاً جديدًا فى الأدب الإيرانى المنظوم ليس هذا فحسب بل إنه جدير بالاهتمام من ناحية رمزيته العميقة ولهجته القوية.

ويقول دهخدا بشأن هذا الشعر" رأيت المرحوم ميرزا جهانجيرخان فى المنام ذات ليلة، وكان يرتدى ثوبًا أبيض وقد قال لى " لماذا لم تقل إنه مات فى شبابه ! " ففهمت

من هذه العبارة أنه يقصد :.لماذا لم تتحدث عن موتى أو تكتب عنه فى أى موضع ؟ فجاءت إلى خاطرى فى المنام هذه الجملة على الفور" تذكّر الشمعة المنطفئة ! " واستيقظت فى هذا الوضع فأضأت النور، وقمت بنظم ثلاثة مقاطع من المسمط التالى حتى قرب الصبح، وفى اليوم التالى صححت ما كتبته بالليل وأضفت إليه مقطعين آخرين، ونشر هذا الشعر فى العدد الأول[1] من صحيفة "صور إسرافيل" المطبوعة فى إيفردون السويسرية[2] ".

ونضيف هنا، أنه لا يُستبعد فى رأينا أن يكون دهخدا الذى كان يعرف اللغة التركية جيدًا[3] ويقرأ صحيفة "ملا نصر الدين" وينظم الشعر بهذه اللغة بأسلوب صابر[4]، قد رأى فى صحيفة "ملا نصر الدين" قطعة (عندما يهل الربيع) للشاعر التركى رجائى زاده أكرم[5]، أو الشعر الفكاهى الذى نظمه ميرزا على أكبر صابر تقليدًا لتلك القطعة[6]، واحتفظ فى ذاكرته بوزنها وتركيبها ومضمونها، ونظم قطعته تقليدًا أو تتبعًا لها بعد ذلك الوحى الذى استلهمه فى عالم الواقع، وعلى كل حال فإنه لا شك فى أن شعر دهخدا هو تتبع وتقليد لشعر الشاعر التركى فى الشكل والأسلوب والوزن والبناء وحتى عدد المصاريع.

---

(١) هذا الشعر كما قيل نشر فى العدد الثالث من الدورة الجديدة لصور إسرافيل وربما دهخدا يقصد العدد الأول بعد ليلة الحادثة الذى هو العدد الثالث نفسه .

(٢) مجموعة أشعار دهخدا ، به اهتمام دكتر محمد معين ، ص ١.

(٣) " أنا تعلمت اللغة التركية من معلمى حسين بيك والذى كان من أهل درحزين " (مجموعة أشعار ، حاشية ص ١٣٢) .

(٤) عزاء إلى جناب " ملا نصر الدين " فى عزاء شيخ الإسلام ، شعر تركى لدهخدا ، "صورإسرافيل" ، العدد ٢٣.

(٥) رجائى زاده محمود أكرم بيك (١٢٦٣ – ١٣٣١ هـــ ق) ولد الكاتب والشاعر ورائد فن النقد فى الأدب التركى بمدينة اسطنبول ، والتحق بالعمل الحكومى ، وبعد الحكم الدستورى وصل إلى وزارة المعارف والأوقاف ثم إلى عضوية مجلس الأعيان بعد ذلك ، وأهم أعماله المجموعتان الشعريتان " زمزمه " (نغمة) و " نژاد أكرم " (أصل أكرم) وكتاب فى " تعليم الأدب ".

(٦) البيت الأول من شعر صابر : فى ذلك الوقت الذى يُنصب فيه مأتمًا لذلك الرجل الطيب.. يمتد أيضًا بساط الإحسان.

ونتقل فيما يلى مقطعين من قطعة أكرم بيك، وقطعة دهخدا فى الرثاء كاملة، ونترك الحكم للقرّاء حول مدى تأثر دهخدا بشعره :

عنـــدما يهـــل الربيـــع وتستأنف الكائنـــات حياتها مـــن جديـد
وعنـــدما يختبـــئ ألـــف معـــشوق ويخفـــى نفـــسه وســـط أوراق الـــشجر
ولا أعلـــم مـــن بُعـــد المـــسافة أى شـــخص يـــصرخ ويـــئن
فى تلك اللحظـــة مـــن صـــفاء الـــسماء أكتـــشف صـــفاء عـــشقى
وتـــذكرنى للحظـــة واحـــدة

عنـــدما تجلـــس فى ليلـــة ســـاكنة علـــى حافـــة النـــهر
انظـــر إلى أعلـــى وعندما يسطع نـــور القمـــر المـــثير للعـــشق
ويمـــلأ قلبـــك بـــالحزن والـــشجن تـــذكّر الـــزمن الماضـــى
وعنـــدما يمـــوج البحـــر وينتشـــر النـــور أمـــام عينيـــك
تـــذكّرنى فى ذلـــك الـــسكون

وفيما يلى رثائية دهخدا :

وصـــية صـــديقى الوحيـــد لأطفـــال
العـــصر الـــذهبى
هديـــة أخ وفىّ لحـــضرة تلـــك الـــروح
القدســـية العاليـــة

يـــا طـــائر الـــسحر عنـــدما وضـــعت هـــذه الليلـــة
المُظلمـــة خمارهـــا الأســـود عـــن رأســـها
وعنـــدما زالـــت حالـــة الثمالـــة والنعـــاس
مـــن رؤوس النـــائمين جـــراء نفحـــات الـــسحر العليلـــة
وحـــل نـــور الـــصباح عقـــد

ضفائر محبوبة السماء الزرقاء
وظهر إله النور والخير على أكمل صورة
واندحر إله الظلام الشرير
فتذكّر الشمعة المنطفئة !
عندما تبتهج الروضة مرة ثانية
أيها البلبل البائس المسكين !
وتصير الآفاق كالمرسم الصينى
ممتلئة بالسنبل والورد الأحمر والريحان
ويظهر الندى على الورد الأحمر وكأنه العرق على وجهه
وتفقد أنت القرار والتمكين
بسبب تلك البرعمة الجديدة والتى
لا تهدئ من شوق المعشوق
فتذكّر برودة شهر دى المتجمد !
يا مؤنس يوسف فى هذا السجن
عندما اتضح لك تفسير الرؤيا
وامتلأ قلبك بالسرور ووجهك بالبسمة
وصرت محسود الأعداء ومحبوب الأصدقاء
وتتبعت رفيقك وقريبك
أخفّ من النسيم وضوء القمر
وأكثر حرية من ذلك الذى يتمنى معك
طوال الليل وصال الأحباب
فتذكّر نجوم السحر !

يا رفيق ابن عمران[1] فى التيه[2]
عندما مضت هذه السنون المعذودة
وأعلن ذلك المعشوق اللطيف بمجلس العرفان
وعده وجعله مشهودًا
وعندما انتقل من مطلع الشمس إلى زحل
عبير العنبر والعود كل صباح
لأنه بذنب القوم الجهلاء
توجه فى حسرة إلى الأرض الموعودة
فتذكّر الميت فى البادية !
عندما عمّرت الدنيا من جديد
يا طفل العصر الذهبى !
وسعد العبيد بطاعتهم
واستأنف الإله الألوهية
لا أثر لإرم ولا اسم لشداد
وأغلقت الزهرة فم الثرثرة
بسبب ذلك الشخص الذى بنصل سيف الجلاد
عوقب بتهمة سلب الحقوق
فتذكّر كأس خمر الوصال !

وهذا المسمط المُحزن الذى يوضح ألم وعناء الشاعر وشدة نفوره واستياءه من قتلة صديقه القديم، كما قلنا خلق إبداعًا جديدًا فى الأدب الإيرانى من حيث الأسلوب

---

(١) موسى عليه السلام.
(٢) التيه (صحراء بنى إسرائيل) الصحراء التى هام فيها بنو إسرائيل على وجوههم بعد خروجهم من مصر.

والقالب والقافية وتخلى عن أفكار الشعر القديم وقوالبه[1]، ولذا فيجب اعتبار"دخو" من هذه الناحية أحد الرواد سواء فى مجال تطور النثر الفارسى أو ظهور الأساليب الجديدة فى الشعر الإيرانى.

ما قلناه يتعلق بفترة شباب دهخدا ومرحلته التحررية شديدة الحماسة، المرحلة التى صنعت منه مجاهدًا صلبًا وحازمًا ومحررًا ثوريًا "عنيدًا ومتشبثًا برأيه"، وفى هذا العصر يصرخ دخو "الأكثر دستورية من الجميع" ويثور كبحر هائج متلاطم، ويجاهد من أجل بناء إيران فتية وحرة ومستقلة وينظر إلى مآثر ومفاخر وطنه القديم بنظرة غرور وتباه ويأمل فى مستقبله المشرق، ويتمنى أن "يضع الليل المظلم الخمار الأسود عن رأسه وأن تزول حالة الثمالة عن رؤوس النائمين" ويأمل فى أن "ينحدر إله الظلام الشرير ويظهر إله النور فى أكمل صورة ".

وفيما يلى عدة نماذج لمقالات دهخدا الجميلة :

چرند پرند (ثرثرة)

بعد عدة سنوات من السفر إلى الهند ورؤية الأبدال والأوتاد والمهارة فى الكيميا والليميا والسيميا، توصلت بحمد اللـــه تعالى إلى تجربة عظيمة وهى علاج إدمان الأفيون، ولو كان هذا العلاج قد اكتشفه أى أحد فى أى دولة من الدول الأجنبية لأصبح حتمًا من صفوة القوم ولحصل على الهدايا والجوائز وذكر اسمه بإجلال فى كل الصحف، ولكن ماذا أفعل وليس هناك فى إيران من يقدّر !

---

(١) بما أن هذه القطعة كانت غير مسبوقة فى الأدب الإيرانى سواء من حيث الشكل المضمون أو أسلوب البيان، فقد لقيت الاستحسان الشديد فى ذلك الوقت ونظمت بعد ذلك قطع كثيرة تقليدًا لها والتى من بينها :

يا طائر السحر عندما ألقت الليلة المظلمة	خمار الظلمة من الوجه	(أحمد خرم)
عندما يظهر كوكب	السعادة من خلف الأفق	(يحيى دانش)
أقبل الصبح وطائر الصباح	عزف النغمات فى ذكرى العهد القديم	(پروين اعتصامى)
تذكر أيها القلب جفاء العين	تذكر تلك الدمعة المتقطرة	(ملك الشعراء بهار)
عندما يستيقظ الربيع الجديد البهيج من الحلم	الجميل كل عام	(أسد اللـــه اشترى)
يا طائر السحر عندما هبت الرياح	المظلمة من ناحية خراسان	(عبد الرحمن فرامرزى)
يا ابنة قصر ودولة جمشيد	إلى متى تسيرين عكس الطريق ؟	(حيدر على كمالى)

وقطع أخرى كثيرة .

إن العادة طبيعة ثانوية وبمجرد أن يعتاد الإنسان على أمر ما لا يمكن أن يتركه بسهولة بعد ذلك، والعلاج ينحصر فى أن يقلل العادة تدريجيًا بمرور الوقت وبنظام محدد حتى يتركها تمامًا.

وأنا أعلن الآن لكل أشقائى المسلمين الغيورين مدمنى الأفيون، أنه من الممكن الإقلاع عن إدمان الأفيون باتباع الآتى : أولاً أن يكونوا جادين وعازمين على مسألة الإقلاع، ثانيًا الشخص الذى يتعاطى مثقالين من الأفيون فى اليوم الواحد مثلاً عليه أن يقلل الجرعة قمحة واحدة فى اليوم ويضيف بدلاً منها قدر قمحتى مورفين، والشخص الذى يتعاطى عشرة مثقال أفيون عليه أن يقلل الجرعة قدر حمصة واحدة يوميًا ويضيف قدر حمصتى حشيش، ويستمر على هذا المنوال حتى تصل جرعة صاحب المثقالين إلى أربعة مثاقيل مورفين وصاحب العشرة مثقال إلى عشرين مثقال حشيش، وبعد ذلك يصبح تحويل تعاطى المورفين إلى حقن المورفين وتحويل تعاطى الحشيش إلى اللبن الرايب أمرًا سهلاً للغاية، أشقائى مدمنى الأفيون الغيورين ! إذا كان اللــه تعالى قد يسّر الأمور بهذا الشكل، فلماذا لا تخلصون أنفسكم من مشقة كلام الناس وتضييع كل هذا المال والوقت ؟ وإذا تم الإقلاع عن الإدمان بهذا الشكل فإنه لا يسبب المرض والأمر سهل جدًا، ونفس هذا الأمر يفعله دائمًا الرؤساء والشخصيات البارزة الذين يريدون صرف الناس عن أى عادة قبيحة.

انظروا مثلاً فإن الشاعر فى الحقيقة قد أحسن القول " العقل والسلطة قرينان "، على سبيل المثال عندما يرى الرؤساء ضرورة أن يكون الشعب فقيرًا وألا يستطيع أكل خبز القمح وأن تقضى الرعية كل عمرها فى زراعة القمح، وفى نفس الوقت تكون هى نفسها دائمًا جائعة، انظروا ماذا يفعلون : فى اليوم الأول من السنة يخبزون الخبز بالقمح الخالص، وفى اليوم الثانى يضعون فى كل جوال "مَنــًا" واحدا (المن وحدة وزن تعادل ٣ كيلوجرامات) من الحنظل والشعير وحبة البركة ونشارة الخشب والبرسيم والرمل..أقول باختصار على سبيل المثال كمية من الطمى الجاف والطوب فى شكل حبّات صغيرة كل

منها تزن ثمانية مثاقيل، ومعلوم أن منًّا واحدًا من هذه الأشياء لا يظهر إطلاقًا وسط جوال قمح يحتوى على مائة مَنٍّ، وفى اليوم الثانى يضيفون منين وفى اليوم الثالث ثلاثة وبعد مائة يوم أى ثلاثة أشهر وعشرة أيام تصبح المائة مَن قمح عبارة عن مائة مَن حنظل وشعير وحبة البركة ونشارة خشب وتبن وبرسيم ورمل، فى الوقت الذى لن ينتبه فيه أحد لهذا الأمر، ويترك الناس عادة أكل خبز القمح.

حقًّا العقل والسلطة قرينان

أشقائى الغيورين مدمنى الأفيون، تعلمون بالطبع أن الإنسان عالم صغير وأنه يشبه تمامًا العالم الكبير، يعنى على سبيل المثال أى شىء يحدث للإنسان من الممكن أن يحدث أيضًا للحيوان والشجرة والحجر والطوب اللبن والباب والجدار والجبل والبحر والعكس أى شىء يحدث لها من الممكن أن يحدث للإنسان أيضًا، لأن الإنسان عالم صغير وهذه الأشياء جزء من العالم الكبير، فمثلاً كنت أريد أن أقول إنه مثلما يمكن صرف الناس عن عادة معينة يمكن بنفس الشكل أيضًا إخراج عادة معينة من رأس الحجر والطوب اللبن والآجر لأن هناك تشابه تام بين العالم الصغير والعالم الكبير، إذن أى إنسان هذا الذى يكون أقل حتى من الحجر والطوب اللبن !

على سبيل المثال أيضًا شيد المرحوم المجتهد الحاج الشيخ هادى مستشفى، وخصص لها أيضًا أوقافًا بحيث يكون فيها دائمًا أحد عشر مريضًا طيلة بقاء الحاج الشيخ هادى على قيد الحياة، وبمجرد أن توفى قال طلاب المدرسة لابنه الكبير: سنعتبرك السيد إذا جعلت أوقاف المستشفى نفقة لنا، انظروا الآن ماذا فعل هذا الابن الصالح بقوة العلم !

فى الشهر الأول قلل عدد المرضى إلى عشرة ثم إلى تسعة فى الشهر الثانى، ثم إلى ثمانية فى الشهر الثالث ثم إلى سبعة فى الشهر الرابع، وهكذا حتى وصل عدد المرضى إلى خمسة فقط، وشيئًا فشيئًا زال هؤلاء الخمسة أيضًا فى الخمسة أشهر التالية بحسن التدبير، انظروا إذن كيف يمكن بالتدبير صرف جميع الأشخاص وكل الأشياء عن العادة،

فالمستشفى الذى اعتاد على أحد عشر مريضًا قد تخلى الآن عن عادته دون أن يعتل، لماذا ؟ لأنها هى أيضًا جزء من العالم الكبير ويمكن التخلى عن عادته مثل الإنسان الذى هو عالم صغير(١).

دخو

برغم أننى أسبب للرأس الصداع لكن ما العمل فإن الكلام هو اجترار الإنسان ، والإنسان الذى لا يتكلم يصاب قلبه بالعفن وأنا لى صديق اسمه "دمدمى" وهذا الدمدمى كان قد صدّع رأسى منذ أكثر من عام، بقوله : يا كربلائى أنت أكبر سنًا من هؤلاء المحررين وأكثر خبرة ودراية أيضًا والحمد للــه سافرت أيضًا إلى الهند فلماذا لا تحرر صحيفة ؟ فكنت أقول له : يا عزيزى دمدمى، أولاً أنت الآن تدّعى صداقتى ولكن عندئذ ستصبح عدوى، ثانيًا علاوة على ذلك إذا جئنا الآن وكتبنا الصحيفة، فقل لى ماذا نكتب ؟ فكان يطأطئ رأسه قليلاً ثم يرفعها بعد برهة من التفكير ويقول : بما أننى أعرف نفس الكلام الذى يكتبه الآخرون، فاكتب أنت عيوب الرؤساء وعرّف الأمة بالعدو والصديق، فأقول له : يا عزيزى واللــه باللــه نحن فى إيران، ومثل هذه الأمور لا نهاية لها هنا، فيقول : إذن بالتأكيد أنت أيضًا مستبد، إذن حتمًا أنت أيضًا هكذا... وعندما كنت أسمع هذه العبارة كنت أظل مشتتًا لأننى كنت أعلم أن هذه العبارة "أنت أيضًا هكذا"... تحمل معانى وكنايات كثيرة.

الحكاية باختصار أنه سبّب لى صداعًا فى رأسى فقد ظل يقول ويكرر حتى دفعنى إلى هذا الأمر، ومع هذا فإنه يرى الآن أن هذا الأمر فوق طاقته فاختل توازنه ونسى كل هذا الكلام لدرجة أنه إذا رأى فرّاشًا أحمر الثياب يخفق قلبه، وإذا وقعت عينه على جندى درك يصفر وجهه ويقول أعوذ باللــه من جليس السوء إننى سأحترق بنارك فى النهاية، فأقول له يا عزيزى: أنا لم أكن أكثر من مجرد عمدة كان عندى أربعة بساتين كان يرويها

(١) صحيفة " صور إسرافيل " ، العدد الأول ، ربيع الآخر ١٣٢٥هـ ق.

البستانيون ويأخذون عنبها إلى المدينة ويجففون زبيبها وكنت فى الحقيقة قد ألقيت نفسى فى ركن البستان مستمتعًا بحياة الترف والنعيم مثلما يقول الشاعر عليه الرحمة :

لم أكن أحرث ولا أزرع   وإنما كنت أتناول العنب فى الظل

وفى الواقع أنت الذى أقحمتنى فى هذا الأمر، أو كما يقول الطهرانيون أحرجتنى، أنت الذى وضعت الحناء فى يدى (ورطتنى) فلماذا تشمت الآن ؟ فيقول لا، لا، إن الإدراك الزائد يكون سببًا للموت فى ريعان الشباب، نعم أعرف، صحيح أنك دمدمى (أى هوائى ومتردد).

حسن يا عزيزى دمدمى، قل لى ما الذى قلته أنا الآن وأخافك بهذا الشكل ؟ فيقول عيب عليك، إن الشعب لم يفقد عقله وفهمه، فأنت عندما تقول " ف " أفهم أنها "فرحزاد" وبهذه الصورة التى رسمتها توضح ماذا ستكتب فى النهاية، أنت بل قلبك بالتحديد أراد أن يكتب أن أشرافنا ورؤساءنا يُعينون وفقًا لهوى الروس والإنجليز، ربما كنت تريد أن تكتب أن بعض مشايخنا قد رفعوا أيديهم الآن عن بيع الأوقاف واستعدوا لبيع المملكة، ربما كنت تريد أن تكتب أنهم فى إدارة القوزاق يدسون السم للقادة الذين هم غير مستعدين لخيانة الوطن (هنا يتلعثم فى الكلام وتظهر لكنة فى كلامه ويقول) لا أعلم أى شىء فى أى شىء،. لو حدث هذا فالويل لى كيف أعلن نفسى صديقًا لك أمام الناس، لا لا، لا يمكن، أنا عندى عيال، أنا شاب، أنا مازالت عندى أمنيات فى الحياة، فأقول له يا عزيزى، أولاً اللص الطليق هو الملك، ثانيًا طالما أننى لم أكتب شيئًا فكيف يستطيع أن يتحدث معى أحد، اجعل فكرك حرًا بعيدًا عن رأى العلماء كما خلقك اللـــه، دعك من هذا، أنا أفكر فقط فى كل ما يريده قلبى ، وإذا كتبت قلت ما يريده قلبى ، فأنا لو كنت أريد أن أكتب كل ما أعلمه كنت كتبت أشياءً كثيرة حتى الآن، كنت كتبت مثلاً أن قائدًا قوزاقيًا رفض خيانة وطنه منذ شهرين، وهو مسكين وهارب من بيته، وهناك قائد خائن مكلف بقتله مع عشرين جنديًا قوزاقيًا، كنت كتبت مثلاً: أنه لو تم التفتيش فى الحساب الكودى "ب" بالبنك الإنجليزى يمكن اكتشاف

أكثر من عشرين كرور (عشرة ملايين) من قروض الحكومة الإيرانية، كنت كتبت مثلاً: أن اقبال السلطنة فى ماكو وابن رحيم خان فى نواحى أذربيجان وحاجى آقا محسن فى العراق وقوام فى شيراز وارفع السلطنة فى طوالش، يقول لسان حالهم : ماذا نفعل، الخليل يأمرنى والجليل ينهانى[1]!، كنت كتبت مثلاً: أن التصميم الذى رسمه المهندس البلجيكى المسيو " دوبروك " لطريق تبريز وتعب فيه خمسة أشهر وتكلف آلاف التومانات من خزانة الحكومة البائسة، قد خطفه أحد الوزراء ذات يوم من فوق المنضدة وطار به إلى السماء، ولا يزال المهندس البلجيكى المسكين حزينًا وكلما تذكر الجهد الذى بذله فى إخراج هذا التصميم امتلأت عيناه بالدموع، وعندما يصل الكلام إلى هنا يرتبك ويقول : لا تقل، لا تقل، لا تتحدث أكثر من ذلك، فهذه "الجدران بها فئران والفئران لها آذان"[2]، فأقول له : عينى، كل ما تأمر به مطاع، وفى النهاية أيًا كان الأمر فأنا أكبر منك سنًا وأكثر منك خبرة، وأنا نفسى أعلم أى موضوعات يجب كتابتها وأى موضوعات لا يجب كتابتها، هل أنا كتبت حتى الآن : عندما دخل نائب وزير الداخلية المجلس يوم السبت قبل ٢٦ شهرًا ماضية، وقال ذلك الكلام الحاد شديد اللهجة، لماذا لم يرد عليه أحد ؟ هل أنا كتبت: لماذا تجد عملية تزوير الأوراق التمجيد والإشادة فى إيران برغم أنها تعتبر فى سائر الدول من الجرائم الكبرى، هل أنا كتبت: لماذا يمكن الصفح عن سبعين تلميذًا مسكينًا مهاجرًا من تلاميذ المدرسة الأمريكية ولا يمكن الصفح عن مدير واحد ؟ فهذه كلها من أسرار الدولة، وهذا كله كلام لا يمكن قوله فى أى مكان، أنا لم أقض عمرى هباءً ولم أخرج من الدنيا دون تجارب وخبرات فكن مطمئنًا فأنا لن أكتب هذا الكلام أبدًا، ما علاقتى أنا إذا كان نوّاب المدينة يريدون إعادة تأسيس المجلس المحلى بشكل حتمى من فرط اهتمامهم بشئون مدينتهم، ما علاقتى أنا إذا كان "نصر الدولة بن قوام" يتباهى فى مجلس عظماء طهران ويدّعى ويقول أنا شارب دم المسلمين، أنا هاتك

---

(١) يأمرنى الخليل (إبراهيم) وينهانى الجليل (اللـــه) الكلام على لسان سكين إبراهيم عندما كان يريد أن يذبح ابنه إسماعيل تنفيذًا لأمر اللــه ولم تقطع السكين.

(٢) مرادف للمثل الشعبى " الحيطان لها ودان" (المترجم).

عرض الإسلام، أنا الذى استوليت على عُشر أرض ولاية فارس بالقهر والغلبة، أنا الذى قتلت ستة وسبعين شخصًا قشقائيًا من الرجال والنساء بطلقات المدافع والبنادق، ما علاقتى أنا إذا كان عظماء طهران بعد قول هذا الكلام يصيحون قائلين " يعيش قوام "، ما علاقتى أنا إذا كان شخصان ملفوفان بعباءتين يدخلان كل ليلة من باب كبير مع أحد المسئولين، أنا غير مستعد لأن أضحى بنفسى، والحساب أيضًا فى الآخرة، إن عيونهم كفيفة، فليذهبوا إلى الآخرة ويجيبوا !، وعندما يسمع هذا الكلام يفرح ويتعلق برقبتى ويقوم بتقبيل وجهى ويقول : منذ زمن وأنا مؤمن بعقلك الكبير، بارك اللـــه بارك اللـــه، كن دائمًا هكذا، وبعد ذلك يصافحنى بمنتهى السعادة ويودعنى ويذهب[1].

دخو

دروس الأشياء

ها يا أمى ! علام تستند هذه الأرض ؟ على قرن الثور– وعلام يستند الثور؟ – على السمكة– وعلام تستند السمكة ؟– على الماء– وعلام يستند الماء ؟، يا ويلتاه، يا إلهى ما كل هذا الكلام، لقد نفذ صبرى.

أطباق وأوانٍ من كل نوع ولا يوجد غداء أو عشاء واحد.

أطباق وأوانى من كل نوع ولا يوجد غداء أو عشاء واحد ! قال لا تأكل فالعسل والشمام لا يجتمعان معًا، فلم يسمع وأكل وبعد ساعة رأى صاحبه يتلوى كالثعبان، فقال ألم أقل لك لا تأكل فهذان الاثنان لا يتفقان معًا، فقال بما أنهم قد خلطوا هذين الاثنين معًا بشكل جيد حتى يتخلصوا منى وحدى!!! فأنا أريد أن أشبّه مسئولى الحكومة بالعسل وزعماء الشعب بالشمّام، وإذا قالت وزارة العلوم إن فى هذا إهانة، فأنا مستعد لعرض مائتى وخمسين حديثًا فى فضيلة الشمام ومائة وتسعة وأربعين حديثًا فى فضيلة العسل كشاهد.

---

(١) " صور إسرافيل " العدد الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٢٥ هـــ ق.

وأصحاب مثل هذه الخيالات يسميهم الأوربيون " الفوضويون " ويطلق عليهم المسلمون " الخوارج " ولكن باللـــه عليكم لا تلصقوا أيديكم الدموية الآن فى ياقتى رحم اللـــه والديكم فأنا مهما يكن الأمر لست فوضويًا ولا خارجيًا .

أنا لا أقول أبدًا إن الرئيس ليس ضروريًا لنا، فالحيوانات مخلوقات اللـــه الصمّاء، يعتبر الأسد بينها هو الملك المفترس، وبصريح عبارة الشيخ سعدى يعتبر حيوان الوشق هو أيضًا رئيس الوزراء بل إن الحمار أيضًا يعتبر رئيس نقطة الحراسة .

والكمثرى أيضًا هى الملك بين الفواكه والكرنب ربما يكون شيئًا هو الآخر، ولو طبق الدستور بين النباتات كان لابد أن تكون البطاطس... (أى شىء أقول، ليرضى عنه اللـــه) على كل حال لنذهب إلى أصل الموضوع .

أنا لا أقول مطلقًا أن يصبح أشرف المخلوقات أدنى من الحيوان والنبات، أنا لا أقول أبدًا أن يكون للحمار والبقرة رئيس وملك وأن يكون للبنجر والجزر رئيس وسيد ونائب، فيعاقبونا نحن المخلوقات .

أنا أتذكر فى الحقيقة أن خالتى فاطيم رحمها اللـــه عندما كنا نأتى بأعمال شيطانية ونحن أطفال بعد موت أبى رحمه اللـــه ونقلب البيت رأسًا على عقب، كانت تقول يا إلهى لا بيت بدون كبير .

فالكبير ضرورى والرئيس لازم والسيد مهم ورئيس الشعب ضرورى أيضًا ورئيس الحكومة لازم كذلك، واتفاق واتحاد هاتين الطبقتين أى توافقهما معًا ضرورى ولازم ولكن طالما أنهما لا يتفقان معًا، فإنهما يقضيان علينا وحدنا.

لا يمكن لأحد أن ينكر أننا نحن الشعب الإيرانى عندنا بين العشرة ملايين نسمة اثنان ونصف مليون وثلاثمائة وسبعة وخمسون ألف وزير وأمير وقائد حربى وضابط عسكرى وقائد كتيبة وقائد لواء وعقيد وعميد وسلطان وياور وقائد وحدة وسفير وقائم بالأعمال ومستشار وشاويش ويوزباشى وعريف، وعلاوة على ذلك فنحن

الشعب الإيرانى عندنا أيضًا وسط العشرة ملايين نسمة (بارك اللــه) ثلاثة ملايين وأربعمائة واثنان وخمسون ألفًا وستمائة واثنان وأربعون آية الله وحجة الإسلام ومجتهد حاصل على الإجازة وإمام جمعة وشيخ إسلام وسيد وشيخ وملا وفقيهًا وقطبًا ومرشدًا وخليفة ومريدًا ودليلاً وإمامًا، وعلاوة على هذا فإننا عندنا أيضًا بين العشرة ملايين نسمة مليونا أمير وشريف ووجيه وخان وإيلخان ورئيس قبيلة ورئيس عشيرة، وعلاوة على كل هذا لو كان هناك بقية فسيكون عندنا حوالى ألفين أو ثلاثة آلاف عضو برلمانى وعضو رابطة وعضو مجلس محلى وكاتب وسكرتير وغيرهم.

وكل هذه الطبقات التى ذكرت ليست أكثر من قسمين، وهما رؤساء الشعب ومسئولو الحكومة، ولكن كلا القسمين ليس لهما أكثر من هدف واحد فهم يقولون لنا اعملوا وكافحوا وتحملوا الشمس والبرد وتعروا وعيشوا جوعى وعطشى واعطونا حتى نأكل ونحميكم ونحرسكم، فماذا نقول نحن ! نقبل فيضهم وندعوا لهم بالتوفيق، حقًا حقًا لولاهم لاضطربت الأوضاع ولأكل الإنسان أخاه الإنسان ولضاعت الحضارة والأخلاق وفقدنا كل شىء، حتمًا وجودهم بشكل أو بآخر ضرورى بالنسبة لنا، ولكن إلى متى ؟ فى اعتقادى طالما أن هذين الاثنين لا يتفقان معًا فإنهما يقضون علينا وحدنا.

أنا لن أقول إن الشعب الإيرانى كان ذات يوم أول شعوب العالم واليوم أصبح عارًا على حضارة العصر الحالى بسبب خدمات هؤلاء الرؤساء، ولن أقول إن حدود إيران كانت فى وقت من الأوقات تمتد من خلف سور الصين حتى ساحل نهر الدانوب واليوم لو اشتبك فأران معًا على مدى طول إيران وعرضها سيصطدم رأس أحدهما بالجدار، بفضل جهود هؤلاء الرؤساء.

أنا لن أقول إنه برغم وجود كل هؤلاء الرؤساء والزعماء الذين يقومون جميعًا بحمايتنا وحراستنا فإن مدننا الثمانى عشرة فى القوقاز قد صارت أول أمس إتاوة الروس وبعد غد ستقسم المدن الباقية أيضًا إلى ثلاثة أجزاء كلحوم الأضحية.

أنا لن أقول إن أوربا لم تر الوباء والطاعون منذ سنوات عديدة، فلماذا يجب أن ندفن نحن بأيدينا كل عام نصف مليون من الأيادى العاملة بالمملكة أى شبابنا وشاباتنا.

أنا لن أقول إنه خلال العدة قرون الأخيرة، كل حكومة تأتى تسعى وتجتهد من أجل نفسها فتوسع أراضيها وتجهز مستعمراتها وبرغم وجود كل هؤلاء الرؤساء والزعماء والسادة لم ننجح حتى فى حماية بلادنا.

نعم، لن أقول هذا لأننى أعلم أن كل هذا مرده إلى القضاء والقدر، فكل ما حدث لنا هو قضاؤنا وقدرنا، فكل هذا هو مصيرنا نحن الإيرانيين.

والله يا منصفوين أوشكت أن أشق ثيابى، أوشكت أن أصبح كافرًا، أوشكت أن أغمض عينى وأفتح فمى وأقول : لو أن أمورنا كلها يجب أن يصلحها القدر، وأن شئوننا يجب أن ينظمها باطن الشريعة، وأعمالنا تصححها يد الغيب، فماذا تريدون أنتم يا ملايين الرؤساء والسادة والعظماء منا نحن المساكين؟ لماذا يا آلاف القادة والأمراء والخوانين تجعلوننا كالشواء تحت أشعة الشمس ؟ لماذا تلتصقون بأجسادنا كالعلقة وتمصون دماءنا بهذه السماجة ؟

لو فرضنا وسلمنا بأنه ليس عندكم أموال لتبنوا سد الأهواز، ولا تقدرون على إرسال الجيش لحماية الحدود، ولا تستطيعون إنشاء الطرق فى المملكة، لكن والله بالله بأجزاء القرآن الثلاثين ألا تقدروا على استدعاء الشيخ محمود إمامزاده الجعفرى من "ورامين" للحضور إلى طهران، ألا تقدروا على إرسال مائة جندى إلى يزد للمحافظة على النظام فى يزد والانتقام من قاتل سيد رضاى داروغه، واسترداد السبعمائة تومان التى خسرها موظفو العدل فى القمار من حجة الإسلام وملاذ الأنام ميرزا على رضاى صدر العلماء اليزدى أطال الله أيام إفاداته، فأنتم تستطيعون خلع مير هاشم من سلطنة مملكة أذربيجان بخمسمائة فارس.

وبما أنكم لن تفعلوا فأنا أيضًا من حقى أن أقول إنكم جماعتان اتفقتا معًا مثل العسل والشمّام للتخلص منا نحن الشعب المسكين، ولا يمكن لوزير العلوم أيضًا أن يعترض علىّ أبدًا.

وأنا أتذكر مائتى وخمسين حديثًا فى فضيلة الشمّام ومائة وتسعة وأربعين حديثًا فى فضيلة العسل، وسأعرضها كشاهد فى أى وزارة، أنتم تقولون لا، هذه هى الكرة وهذا هو الميدان، فتعالوا كى نتقابل[1].

(١) "صور إسرافيل"، العدد ٢٥، صفر ١٣٢٦ هـ ق.

الباب الثانى

الصحف والمطبوعات

فى العصر الدستورى الثانى

الفصل الأول
صحف طهران

بعد قصف المجلس أغلقت جميع الصحف وكانت تصدر فى طهران صحيفة واحدة فقط من حين لآخر، وهى صحيفة ورقية حكومية إيرانية بعنوان "أقيانوس"(١)، ولكن فى العصر الدستورى الثانى أى بعد فتح طهران وفرار محمد على ميرزا عاد إلى إيران الأحرار ومديرو الصحف الذين كانوا يعيشون خارج الدولة وراج سوق الصحافة مرة ثانية.

وظهرت صحف جديدة فى طهران والأقاليم وصدرت من جديد صحيفة "حبل المتين" الطهرانية وبعض الصحف الأخرى، وقد صدرت الصحف هذه المرة بقطع أكبر وموضوعات أكثر فائدة، وقام كل حزب وتيار بتأسيس صحيفة له كى تتحدث باسمه وتنشر أفكاره ومعتقداته، ومع هذا لم تتحل صحف هذا العصر بالحماس والولاء اللذين تميزت بهما فى العصر الدستورى الأول ولم تستطيعا أن تؤديا المهام التى تعهدتا بها بشكل جيد .

وقد صدر من "حبل المتين" ستة أعداد فى عام ١٣٢٧هـــ ق، ولكن حدثت ضجة كبيرة فى طهران بسبب نشر مقالة فى العدد السادس فى رجب من ذلك العام تحت عنوان " إذا فسد العالِم فسد العالَم " بخصوص إعدام الشيخ فضل اللـــه والتى تضمنت

---

(١) ولكن فى تبريز أثناء الأزمة بمجرد أن تشكل المجلس المحلى صدرت صحيفتان تناديان بالحرية والأولى هى " ناله ملت " والتى كانت تكتب بقلم ميرزا آقا خان، والثانية هى " أنجمن " والتى توقفت بعد شهرين أو أكثر وصدرت من جديد على يد غنى زاده سلماسى .

موضوعات مناوئة للدين فتم إيقاف الصحيفة بحكم محكمة الجزاءات وتغريم مديرها سيد حسن الكاشاني مبلغًا ماليًا وحبسه ثلاثة وعشرين شهرًا بتهمة نشر تلك المقالة، وعلى هذا النحو أغلقت "حبل المتين" للأبد(١) .

أمّا صحيفة "صور إسرافيل" فقد صدرت مجددًا كما رأينا في إيڤردون السويسرية في بداية عام ١٣٢٧هـ ق، تحت إدارة على أكبر دهخدا ولكن لم يصدر منها أكثر من ثلاثة أعداد، وقد تناولنا هذه الصحيفة بالبحث آنفًا من ناحية أهميتها الأدبية الخاصة.

شرق - برق - رعد

من أهم وأقوى الصحف التي ظهرت في هذه الفترة لأول مرة صحيفة "شرق" والتي صدرت في طهران عام ١٣٢٧هـ ق، وتولى إدارتها سيد ضياء الدين طباطبائي بن سيد علي اليزدي(٢).

وتحت عنوان الأدب كانت هذه الصحيفة تنشر أشعارًا تنتقد الحكومة في ذلك الوقت بالكناية، وكانت هذه الأشعار بسيطة وقريبة إلى اللغة العامية وذات قيمة أدبية وكان ينظمها شاعر من كرمان شاه(٣) .

---

(١) بعد أحداث المجلس وحديقة باغشاه نفي مدير " حبل المتين " مع أربعة آخرين من طهران ، وقد توقف عدة أشهر في الرشت وأصدر هناك عدة أعداد من الصحيفة وفي منتصف عام ١٣٢٧هـ ق، وعندما طرد محمد علي شاه من طهران، عاد إلى طهران وأدار للمرة الثانية صحيفة "حبل المتين" فيما يبدو في جمادى الآخرة من ذلك العام .

(٢) صدر العدد الأول منها في الرابع عشر من رمضان عام ١٣٢٧ هـ ق .

(٣) لاهوتي .

وكانت صحيفة "شرق" تنشر فى البداية أفكار حزب "الاتحاد والترقى" ولكن بدأت تدعو بعد ذلك إلى الأفكار الثورية.

وقد أغلقت هذه الصحيفة بعد إصدار العدد رقم ١٠٦ فى ٢١ شعبان عام ١٣٣٨هـ ق، بسبب مقالاتها الحادة وهجومها الشديد على الطبقة الحاكمة فى إيران على اعتبار أن ذلك "إهانة وتحقير للوزراء العظام" وصدرت بدلاً منها صحيفة أخرى بعنوان "برق" بتاريخ الأحد ٥ شوال عام ١٣٣٨هـ ق، والتى كانت تنتهج أيضًا النهج السياسى الثورى.

وقد لقيت صحيفة "برق" أيضًا نفس مصير سابقتها بعد إصدار العدد الثالث عشر مثلما توقع مديرها فى العدد الأول[١] وصدرت بدلاً منها مباشرة صحيفة " رعد " منتهجه أيضًا نفس النهج[٢].

وكانت المقالات الأساسية للصحف الثلاث تكتب بقلم مديرها السياسى المعروف سيد ضياء الدين طباطبائى.

"إيران نو :إيران الحديثة"

والصحيفة المهمة الثانية فى هذه الفترة كانت صحيفة "إيران نو" اليومية الصادرة فى قطع كبير والتى صدرت فى طهران عام ١٣٢٧هـ ق[٣] .

---

(١) (أوقفتم " شرق " فأصدرنا " برق " ، أوقفوا " برق " وسنطبع وننشر " رعد " ، خذوا منا " رعد " فإن الألفاظ المتداولة الأخرى لم تمح بعد) .

(٢) وفى صحيفة " رعد " أيضًا لم يتوقف سيد عن مهاجمة وانتقاد رجال الحكومة خاصة شخص وثوق الدولة ، وبالرغم من أن وثوق الدولة قد قدمه للمحاكمة فإن سيد قد انتصر على خصمه ولكن بسبب عوامل أخرى (ربما كان أهمها توغل الجنود العثمانيين فى الأراضى الإيرانية). غادر إيران فى محرم سنة ١٣٣٥ هـ ق، وتحرك عبر طريق روسيا قاصدًا اليابان ، وبعد عودته من روسيا أدار سيد صحيفة "رعد" مرة ثانية ، والتى ظلت تارة تغلق وتارة تصدر حتى انقلاب اسفند ١٢٩٩ (١٣٢١م) .

(٣) صدر أول أعدادها فى السابع من شعبان من ذلك العام .

وهذه الصحيفة التى كانت تصدر بشكل منتظم وبأسلوب ونهج الصحف الأوربية سرعان ما صارت نموذجًا تقتدى به الصحف الإيرانية الأخرى.

وكان ناشر الصحيفة فى الظاهر سيد محمد الشبسترى المشهور بأبى الضياء[١] المدير السابق لصحيفتى "الحديد" و "مجاهد"، أمّا فى الحقيقة فقد كان هو محمد أمين رسول زاده أحد الأعضاء السابقين لفرقة "باكو" الاشتراكية الديمقراطية.

رسول زاده

كان رسول زاده رجلاً تركيًا من مسلمى القوقاز ولد فى باكو فى أسرة من أهل العلم، ودرس فى مدارسها الروسية وأصبح كاتبًا قديرًا فى اللغتين الروسية والأذربيجانية، وقد سار فى خط السياسة منذ ريعان شبابه وتعاون فى بداية القرن العشرين الميلادى مع ستالين وأعوانه خاصة فى ثورة ١٩٠٥م، وكان فى أول الأمر يعمل فى صحف باكو القومية (حيات، إرشاد، فيوضات)، وبعد ذلك أسس بنفسه صحيفة "تكامل"، وقد تضامن فى بداية الثورة الإيرانية مع الأحرار الإيرانيين فى باكو، وحضر إلى الرشت فى فترة الاستبداد الصغير(١٣٢٧هـ ق) من طرف لجنة (الاشتراكيين الديمقراطيين) ومنها توجه إلى طهران بصحبة المجاهدين وأصبح أحد أعمدة الحزب الديمقراطى الإيرانى.

وكان رسول زاده يعد مقالات "إيران نو" الفكاهية بنفسه بتوقيع "نيش"، أما غلا مرضا أمير حاجى والذى كان رجلاً كرجيًا ويدّعى أنه قد اعتنق الدين الإسلامى، فكان يكتب بعض مقالاتها الافتتاحية بالفرنسية، ويترجمها آخرون إلى الفارسية.

---

(١) كان هذا الشخص من رواد الحركة الدستورية فى أذربيجان وكان قبل إعلان الحكم الدستورى يكتب صحيفة "الحديد" و بعدها " العدالة " بمشاركة سيد حسين خان ثم أسس فى عهد الحكم الدستورى صحيفة " مجاهد " بالتعاون مع حاجى ميرزا آقا بلورى، وعندما كتب فى هذه الصحيفة مقالة سب فيها سيد كاظم اليزدى تسببت المقالة فى فتنة بين الشعب ، فضرب أبو الضياء بالعصا وطرد من المدينة .

وكانت "إيران نو" مدافعًا قويًا عن الأسس الديمقراطية، وأضفت الآراء السياسية المطروحة بها قيمة وأهمية كبيرة لمقالاقما، وظلت هذه الصحيفة تتعرض دائمًا لهجوم الصحف المعارضة لها بسبب المقالات التي تنشرها حول الأحداث والوقائع السياسية الجارية، وكانت الصحيفة في معظم الأوقات تدخل في مشاجرات قلمية، فمثلاً حدثت ضجة كبيرة بسبب نشر ترجمة إحدى قصص كريلوف بعنوان "كونشرتو الحيوانات[١]"، فكان نشر هذه المنظومة بمثابة سخرية من حكومة سپهدار بسبب تغيير قراراقما بصفة مستمرة.

وظلت "إيران نو" تتعرض دائمًا للضغوط والإيقاف كونها مؤيدة ومناصرة لحزب الأقلية (الديمقراطيين)، وقد صدرت هذه الصحيفة مرة ثانية في ٢١ شوال من ذلك العام وأصبحت الناطق الرسمي باسم الحزب الديمقراطي. وفي هذه الفترة أغضبت مقالات هذه الصحيفة (وصحيفة شرق أيضًا) حكومة سپهدار وبعض مجتهدي النجف بشدة، لدرجة أنهم اعتبروها إهانة للدين الإسلامي ومنعوا المسلمين من قراءتها، ونفى رسول زاده رئيس تحرير"إيران نو" من طهران في النصف الثاني من جمادى الأولى عام ١٣٢٩هـ ق، نتيجة ضغوط السفارة الروسية[٢]، ولكن ظلت الصحيفة تصدر لفترة من جانب الحزب

---

(١) هذه الترجمة ليست تحت يدي ، ومضمون القصة أنه لابد من امتلاك القريحة والموهبة كي يصبح الإنسان فنانًا ، وإلا فلا يصح وجود بعض الأفراد غير الفنانين وغير الموهوبين ضمن أعضاء الفريق الموسيقي.

(٢) سافر رسول زاده بعد النفي من إيران إلى القوقاز ومنها إلى اسطنبول، وعاش فترة في تركيا في فقر وضيق وانضم بعد ذلك لحزب الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة، وبعد ثورة أكتوبر عاد إلى باكو وأصبح في الحكومة الأذربيجانية زعيم حزب "المساواة" ورئيس المجلس، وقد ظهر حزب المساواة في أذربيجان في عام ١٩١٢م (١٣٣٠هـ ق) وكان في عهد ثورة أكتوبر الاشتراكية أحد العوامل القوية المناهضة للثورة، وقد تولى هذا الحزب حكومة أذربيجان منذ يونيه ١٩١٨م حتى أبريل ١٩٢٠م (١٣٣٦- ١٣٣٨هـ ق) بمساعدة الأتراك ثم الإنجليز بعد ذلك ، وكان حزب المساواة وزعيمه رسول زاده يرفعان شعار الوحدة الإسلامية والوحدة التركية وكانوا يحاولون في صحيفة "آچيق سوز"- مفشي الكلام- الناطقة باسم الحزب التوفيق

الديمقراطي حتى أغلقت في ٢٢ شعبان ومرة أخرى في ١٨ ذي الحجة من ذلك العام، وصدر بعد ذلك عدد واحد منها بعنوان "إيران نو" في ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٩هـ ق، ثم صدر عدد آخر بعده مباشرة باسم "رهبر إيران نو: زعيم إيران الحديثة" وبعد ذلك أغلقت للأبد.

وكانت "إيران نو" تلقى أهمية بسبب قيامها بفضح الأجانب وإفشاء مؤامراتهم وكان النوّاب في الغالب يستندون إلى موضوعاتها في خطبهم.

"پليس إيران : شرطة إيران"

ظهرت صحيفة أخرى في طهران في ٤ ذي الحجة عام ١٣٢٧هـ ق، باسم "پليس ايران" رافعة شعار" حماية وخدمة الوحدة الإسلامية والمحافظة على استقلال إيران السياسي والاجتماعي والأدبي والأخلاقي "حيث إنها كانت تعتبر" بحث شئون المملكة وشكاوى المظلومين ورد حقوقهم" من أهم واجباتها[1]، وكانت هذه الصحيفة تنتمي لحزب المعتدلين أي الحزب الموالي للحكومة وكان مديرها هو مرتضى قليخان قاجار مؤيد الممالك.

بين علم وثقافة العصر الحديث وعادات وتقاليد العالم القديم، وقد سقطت حكومة حزب المساواة عقب وصول الجيش الأحمر إلى أذربيجان وفر رسول زاده إلى داغستان واعتقل هناك وسافر إلى موسكو-بمساعدة صديقه القديم ستالين ، وظل رسول زاده يقوم بتدريس الفارسية في مدرسة لازارفسكي للغات الشرقية، يتعلم اللغة الألمانية حتى سافر إلى لينينجراد في صيف عام ١٩٢٣م وفر من هناك إلى اسطنبول وبدأ نشاطه مرة ثانية في تلك المدينة، ولما تولى الحكم في تركيا في ذلك العصر الفاتح مصطفى كمال، وقرّب الأتراك إلى الروس ، نفي من تركيا وأقام في أوربا طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ولكنه ظهر في أنقرة مرة ثانية في عام ١٩٤٧، وانشغل هناك بالجهاد والكتابة حتى توفي في أنقرة في شهر أسفند عام ١٣٣٣ ش (رجب ١٣٧٤ هـ ق) .

(١) في السنة الثانية تقلصت مهام هذه الصحيفة قليلاً وعرفت بأنها " صحيفة محايدة تؤيد الوحدة الإسلامية وتحمي استقلال إيران الفلسفي والسياسي والإخباري والأخلاقي " .

"استقلال إيران"

صدرت فى جمادى الأولى عام ١٣٢٨هـ ق، صحيفة "استقلال إيران" اليومية والتى كانت هى المتحدث الإعلامى باسم حزب "الاتحاد والترقى" تحت إدارة الدكتور حسين خان كحال، فى أول الأمر ثم محمد خان مهندس همايون وأخيرًا الدكتور أبو الحسن خان التبريزى واستمرت حتى شعبان ١٣٢٩هـ ق .

"چنتة پابرهنه: شنطة الحافى"

كانت نشرية (چنتة پابرهنه) الأسبوعية المصورة أيضًا من الصحف المدافعة عن النظام السياسى الديمقراطى والتى صدرت فى طهران فى عام ١٣٢٩هـ ق، تحت إدارة ميرزا محمود خان أفشار دواساز، وكان ينشر بهذه الصحيفة مقالات فكاهية فى شكل قصص وحكايات باللغة العامية البسيطة عن فوائد الحكم الدستورى وأوضاع العمال والقرويين، وقد لعبت دورًا كبيرًا فى نمو الوعى القومى، وكما نشرت بها أيضًا أشعار تحت عنوان " أدب بابا أحمد "

بهلول

صدرت صحيفة "بهلول" النقدية الكاريكاتورية فى طهران فى بداية عام ١٣٢٩هـ ق، تولى إدارتها الشيخ على العراقى فى أول الأمر، ثم أسد اللـه خان پارسى بعد ذلك، ومنذ العدد الحادى عشر فصاعدًا أصبح مديرها الشيخ حسن، وكان لهذه الصحيفة قرّاء ومؤيدون كثيرون فى تلك الأيام، وكانت أعدادها تباع دائمًا بأكثر من ثمنها المعتاد، وقد تمت مصادرة "بهلول" عدة مرات بسبب كتاباتها الحادة، وذات مرة بسبب نشر صور كاريكاتورية باللون الأحمر، وفى كل مرة كان يصادر فيها عدد منها كانت تحظى بمزيد

من الانتشار، وعلى هذا النحو كانت موضوعاتها تصل إلى الشعب .وهذه الصحيفة ذات اتجاه ديمقراطى.

ونتقل الأشعار التالية من العدد السادس عشر من السنة الأولى لصحيفة بهلول :

يقـال إن هنـاك مجموعـة مـن الجهلـة يريـدون الحكومـة العسـكرية
حـتى تكـون هـذه الأمـة المسكينة مثـل عهـد الشاه المخلـوع
أسـيرة كلـها فى يـد القـوزاق مثـل آل علـى فى يـد الشامى
يأخـذون علـى عـاتقهم الحكومـة دون الخـوف مـن لجـام العبوديـة
يعتقلـون الدسـتوريين وحيثمـا رأوا رجـلاً شـهيرًا
ضـمن الفرقـة الديمقراطيـة أغلقـوا فى وجهـه أبـواب النجـاح ...
ولـو قبلـت "بهلـول" هـذا الكـلام سـيمدحها كـل ناضـج بسـذاجة
لـو كانـت هـذه الجماعـة العاميـة فرضًـا بـلا إدراك كالبـهائم
فـإن العاقـل لا يتـصور ذلـك لأن الحمار يتعب مـن عـدم وجـود اللجـام !

الفصل الثانى
صحف الأقاليم

أمّا فى الأقاليم فقد كانت صحيفة "شفق" من الصحف القيمة، صدرت فى تبريز من ٢٧ رمضان عام ١٣٢٨هـ ق، وكان مالكها وكاتبها ميرزا حاجى آقا زاده (الدكتور شفق فيما بعد) ثم انتقلت إدارتها بعد فترة لميرزا محمود غنى زاده سلماسى ناشر "فرياد" و"بوقلمون" وغيرهما.

وقد أثارت صحيفة "شفق" غضب القياصرة الروس بسبب أسلوبها الحاد فتم إغلاقها فى محرم عام ١٣٣٠هـ ق، بعد اعتدائهم على إيران.

ومن الصحف الأخرى التى صدرت فى الأقاليم يجب ذكر صحيفة "خراسان"[(١)] و"تازه بهار"[(٢)] فى مشهد، و "صداى رشت"[(٣)] فى الرشت و "زاينده رود"[(٤)] فى أصفهان وكانت كل هذه الصحف تؤيد رأى الديمقراطيين وتدافع عنه.

---

(١) تأسست تحت إدارة سيد حسين الأردبيلى عضو هيئة مؤسسى جمعية "سعادت" الخيرية وعضو مجلس الشورى فى دورته الثانية عن خراسان ، وقد نشر عددها الأول فى ٢٥ صفر عام ١٣٢٧هـ ق وصدر العدد الرابع والعشرين والذى كان آخر أعدادها فى ٢٥ رجب عام ١٣٢٧هـ ق .

(٢) صدرت فى عام ١٣٢٩ هـ ق بدلاً من "نوبهار" تولى إدارتها ملك الشعراء بهار .

(٣) ظهرت فى عالم المطبوعات منذ ١٥ محرم عام ١٣٢٩ هـ ق، تولى إدارتها على أحمد زاده .

(٤) صحيفة أسبوعية مصورة ، تولى إدارتها مؤتمن الإسلام الخوانسارى .

الفصل الثالث

مجلة بهار - اعتصام الملك

ظهرت فى ربيع عام ١٣٢٨هـــ ق، مجموعة أدبية نفيسة ذات قيمة عالية بعنوان "بهار: الربيع"، ووضعت قدمها فى عالم الصحافة الإيرانية والتى للأسف لم يتم تعريفها حتى الآن فى تاريخ الأدب بالشكل اللائق ونحن هنا بصدد أداء حق هذه المجلة وكاتبها العالم.

ولد ميرزا يوسف خان اعتصام دفتر ثم اعتصام الملك بعد ذلك والد پروين اعتصامى فى تبريز عام ١٢٩١هـــ ق، وكان والده ميرزا إبراهيم خان مستوفى الملقب باعتصام الملك أحد أولاد أشراف آشتيان، والذى سافر فى شبابه إلى تبريز للعمل بمنصب مدير حسابات أذربيجان وعاش هناك حتى آخر أيامه.

تعلم يوسف اعتصام الملك الأدب العربى والفقه والأصول والمنطق والكلام والفلسفة القديمة واللغتين التركية والفرنسية فى تبريز وأحاط تمامًا باللغة العربية، و لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره بعد عندما كتب كتاب "قلائد الأدب فى شرح أطواق الذهب" باللغة العربية، وهو رسالة فى شرح مائة مقامة من مقامات محمود بن عمر الزمخشرى(٤٦٧-٥٣٨هـــ ق) وقد اختار المصريون هذا الكتاب ليكون ضمن الكتب الدراسية، وكتب بعد ذلك كتاب "ثورة الهند" أو "المرأة الصابرة" باللغة العربية أيضًا والذى كتب عنه أدباء نهر النيل العديد من التقريظات .

وأنشأ اعتصام الملك مطبعة فى تبريز عن طريق الاقتصاد فى النفقات من المبالغ التى كان يأخذها من والده، وبذلك يسّر الأمر على أصحاب الكتب والمجلات الذين كانوا يتعاملون مع المطابع الحجرية حتى ذلك الوقت .

وفى عام ١٣١٨هـ ق، نشر كتابه "تربيت نسوان" وهو ترجمة لكتاب "تحرير المرأة " لقاسم أمين المصرى، فحظى بمكانة مميزة فى مدينة مثل مدينة تبريز، خاصة فى ذلك العصر الذى ساد فيه التعصب بشكل عام.

كان اعتصام الملك مترجمًا بارعًا وماهرًا أكثر من كونه كاتبًا، وله ترجمات عديدة جيدة مثل "الخدعة والعشق" تأليف شيللر، وقد نقله للفارسية بعبارات سلسة عن ترجمته الفرنسية بقلم الكسندر دوما، وطبع فى مطبعة فاروس بطهران عام ١٣٢٥هـ ق.

وترجمته المهمة الأخرى هى المجلداين الأول والثانى من رواية البؤساء لفيكتور هوجو، بعنوان "تيره بختان : البؤساء" حيث إنه استعان فيما يبدو فى هذه الترجمة بالترجمة العربية "البؤساء" أو الترجمة التركية سفيللر أو كليهما .

وعلاوة على هاتين الترجمتين المهمتين فقد ترجم اعتصام الملك أيضًا كتبًا أخرى عديدة وهى : السفينة الغواصة تأليف چول ڤيرن، السيرة الذاتية لتولستوى، هنرى الرابع، عشق نابليون الأول، سقوط نابليون الثالث، عشق الشباب، المقالات الأمريكية، هنرى الثامن والملكة السادسة، الكونت دو مونتجمرى، الكولونيل چيرار، طبيب الفقراء، كاترين هيوارد، التيوليب النوّار (الشقائق السوداء)، روكامبول، أم روكامبول، وترجمات كثيرة أخرى[1].

---

(١) بعض هذه الترجمات طبعت ونشرت.

وكان اعتصام الملك يقضى معظم أوقاته منعزلاً بسبب اشتغاله بالتأليف والترجمة، ولم يكن مكبلاً بالأعمال الحكومية، فقط أُختير لعضوية مجلس الشورى فى الدورة الثانية، وفى آخر سنوات عمره عُين رئيسًا لمكتبة المجلس وعضوًا بلجنة المعارف، وفى هذه الأثناء قام بتدوين فهرس نفيس جدًا لمخطوطات المجلس وترك أيضًا آخر أعماله وهو ترجمة "سياحتنامه فيثاغورس : كتاب رحلات فيثاغورس"[1].

وقد توفى بطهران ليلة الأحد ٢٩ شوال سنة ١٣٥٦هـ ق (١٢دى ١٣١٦ش) "يناير ١٩٣٨م".

ومجموعة "بهار" التى كان اعتصام الملك يكتب معظم مقالاتها بنفسه قد صدرت فى العاشر من ربيع الآخر عام ١٣٢٨هـ ق(الفاتح من أرديبهشت١٢٨٩ش)، وانتهى عامها الأول فى ٢٥ذى القعدة سنة١٣٢٩هـ ق (آبان١٢٩٠ش) فى اثنى عشر عددًا، وصدرت للمرة الثانية فى شعبان ١٣٣٩هـ ق (أرديبهشت١٣٠٠ش) بعد عشر سنوات من التوقف وصدر اثنا عشر عددًا آخر حتى جمادى الأول سنة ١٣٤١ هـ ق.

وقيل بشأن هدف المجلة فى المقالة الافتتاحية للعدد الأول من السنة الأولى : " الهدف من تأسيس مجموعة بهار هو عرض الموضوعات العلمية والأدبية والأخلاقية والتاريخية والاقتصادية المفيدة والفنون المتنوعة لأهل العلم والتى من المهم جدًا معرفتها فى الوقت الحالى، وذلك بطريقة جيدة وأسلوب مشوّق، وكذلك التعهد بنشر المعارف التى هى إكسير النجاح ومصدر الحياة الخالدة للأمم المتحضرة، وإطلاع الرأى العام على المعلومات المفيدة".

---

(١) سياحتنامهٔ فيثاغورث در إيران : كتاب رحلات فيثاغورث فى إيران، ١٣١٤ ش .

وأسلوب مجلة "بهار" فى العام الثانى هو نفسه أيضًا فيما عدا أنه فى هذا العام وجّه اهتمامًا أكبر بصفة خاصة لترجمة أعمال بعض الكتّاب مثل جان جاك روسو وفيكتور هوجو وسائر عظماء الأدب الفرنسي.

والترجمات تحتل الجزء الأكبر من موضوعات مجلة "بهار" خلال هذين العامين، وفى اعتقادى أن كل أو معظم هذه الترجمات قد نقلت إلى الفارسية عن اللغة التركية الاسطنبولية والعربية اللتين كان اعتصام الملك متبحرًا فيهما، فضلاً عن أنه ربما يكون قد قرأ الأعمال الأوربية فى الكتب والمطبوعات العربية والتركية كما فى مجلة (رسملى كتاب) واستمتع بها وأراد بعد ذلك أن ينال مواطنوه قسطًا من هذه المتعة "بجمال فى الكتابة وعذوبة خاصة فى الأسلوب" وأن يتعرف الناطقون بالفارسية على أعمال عظماء العلم والأدب، ونجح بدوره فى هذا الأمر إلى حد كبير.

يقول ملك الشعراء بهار فى إحدى مقالاته حول مجلة "بهار:الربيع" : " تدين مجلتنا[1] فى مجال عراقتها بالفضل لمجلة "بهار" التى كتبها العالم الفاضل اعتصام الملك، فعلاوة على انفراد هذه المجلة بالريادة، فقد فتحت أمام عالم الإيرانيات نافذة خاصة من بوستان الأدب الحديث وحملت، البشرى السعيدة وهى وصول فروردين (أول الربيع) كأى زهرة جديدة تتفتح قبل فصل الربيع[2]".

وتلاحظ هذه الكلمات شديدة الحسرة فى آخر المقالة التى نشرت فى العدد الثانى عشر من العام الثانى لمجلة "بهار" : " بإصدار هذا العدد يمر العام الثانى على مجلة بهار

---

(١) أى " دانشكده " .
(٢) مجلة " دانشكده " العددان ١١ ، ١٢ .

ويكتمل تمامًا، فبعد عشرة أعوام رفعنا فيها قلم الكتابة بتشجيع الأصدقاء، لم نترك عقيدتنا القديمة و لم نكن متفائلين : كنا نعلم أن المطبوعات العلمية والأدبية يجب أن تظهر حسب مقتضيات العصر والظروف حتى لا تحرم من الحماية والدعم، ولكن ماذا يمكن العمل فقد أجبرنا على تجربة ما خَبِرناه من جديد !

ويجب أن نعترف بدون تفكير بأن نور الفضيلة قد انطفأ فى قلوبنا، ولهذا السبب فرضت علينا سطوة الجهل وحكومة القبائح والرذائل والانحطاط الأدبى والأخلاقى المخيف !

وقد اعترض البعض على أن معظم موضوعات مجلة "بهار" أوربية، والآن حيث تصل الدورة الثانية من المجلة إلى نهايتها، نحن مضطرون لأن نكتب بعض الكلمات فى هذا الشأن ونقول لنفس هؤلاء السادة : فى الوقت الذى نقلت فيه أعمال شعرائنا وكتّابنا الكبار إلى اللغات الأجنبية، وزينت مكتبة عالم المعرفة، أليس من المناسب أن نعرف نحن أيضًا إلى حد ما الشعراء والكتّاب الغربيين ؟ هل الآسيوى سيجد الضرر بدل النفع إذا تعرّف على أسلوب الكتابة الأوربية وتتبع أدب الأمم ؟ وكما أن أى شخص فرنسى أو ألمانى أو إنجليزى أو إيطالى يقرأ فى لغته ترجمة كليات سعدى وديوان حافظ ورباعيات الخيام وشاهنامة الفردوسى وخمسة النظامى، أليس من الممكن أن يرغب شخص إيرانى أيضًا فى أن يطالع أفكار شكسبير وهوجو وشيللر وبايرون وغيرهم ؟ ماذا لديكم فى اللغة الفارسية من آلاف الكتب المفيدة وثمرات المواهب المتميزة التى تشع نورًا فى آفاق الأدب الواسعة ؟ لا شىء ! أنتم أيها العشاق الولهانين للتجدد، يا من تتحدثون عن الكلاسيكى والرومانسى وسائر الأشياء، ماذا أهديتم للشرق من نفائس الأدب الغربى ؟ أى تحفة أدبية استخرجتموها من خزائن علوم ومعارف تلك البلاد ثم عرضتموها على المشتاقين للاستفادة منها ؟

إن مجلة "بهار" بأسلوبها الساحر وطريقتها اللطيفة وحسن اختيارها ومثل هذه الأشياء التي هي من أهم سماتها قد عرفتكم ببعض قطوف من الشعر والنثر الأوربين، وقدمت لكم نموذجًا للزهور العطرية الجميلة، وحافظت في ترجمة الآثار الأدبية على أسلوب وروح كل كاتب أو شاعر قدر المستطاع "

إن استمتاع الكاتب وإعجابه بالأعمال الأدبية الأوربية كبير جدًا، لدرجة أنه حتى في القطع التي لم يتم الإشارة إلى أنها نقلت من مصدر أجنبي يبرز الطابع الأوربي بشكل واضح فيها، فمثلاً في القطعة الجميلة "الجرس والسندان" كان القارئ يسمع طنين الجرس المتواصل من وسط البرج المخروطي للكنيسة بدلاً من آذان "اللــه أكبر" الساحر من فوق منارة المسجد العالية، وفي قطعة "نغمة الثوب" تظل امرأة تعمل في نهار ديسمبر الحزين (وليس شهر آذر) حتى يعلق العصفور عشه في طرف السقف .

وتوجد في مجلة "بهار" القطع الأدبية والشعر وتراجم المشاهير والمقالات الاجتماعية والتربوية والمباحث السياسية والتاريخية والعلمية ومقالات حول النساء وترجمة الأعمال الأجنبية.

وفيما يلي فقرات من كتابات وترجمات اعتصام الملك لتعريف القرّاء بأسلوب إنشائه وترجمته :

القطرات الثلاث[1]

في أحد الأيام وفي وقت السحر كان إله الفجر يمر بالقرب من وردة حمراء متفتحة فرأى فوق أوراقها ثلاث قطرات ماء فناديْن عليه.

---

(١) مجلة " بهار " السنة الأولى ، العددان ٥ و ٦ ، شعبان ورمضان ١٣٢٨ هــ ق.

ماذا لديكن أيتها القطرات اللامعات ؟

نريد أن تحكم بيننا .

ما الموضوع ؟

نحن قطرات ثلاث أتينا إلى الوجود من مصادر مختلفة، ونريد أن نعرف أى منا أفضل .

أنت الأولى عرّفى نفسك .

فتحركت إحدى القطرات وقالت : أنا نزلت من السحاب، أنا بنت البحر ونائبة المحيط الموّاج .

وقالت الثانية :

أنا الندى ورائدة الصباح، يسموننى مشاطة الصبح ومزينة الرياحين والأزهار .

ومن أنت بنيّتى ؟

أنا لست شيئًا، أنا سقطت من عين فتاة، كنت فى المرة الأولى ابتسامة، وكان اسمى المحبة لفترة من الزمن والآن يُطلق علىّ الدمعة .

فضحكت القطرتان الأوليان من سماع هذا الكلام، ولكن أمسك الإله القطرة الثالثة بيده وقال :

احذروا، عُدن إلى أنفسكن ولا تغترن، فهذه أطهر وأغلى منكن .

فقالت الأولى : أنا بنت البحر .

وقالت الثانية : أنا بنت السماء .

فقال الإله : هذا صحيح، ولكن هي البخار اللطيف الذى صعد من القلب إلى الرأس ثم نزل من مجرى العين !

قال هذا ومصّ قطرة الدمع ثم غاب عن الأنظار .

نغمة الثوب[1]

الأصابع مُتعبة وعاجزة وجفون العين حمراء وثقيلة، كانت هناك امرأة قد جلست فى ثوب رث وقديم، وكانت فى معركة مع الإبرة والخيط، غارقة لأذنيها فى الجوع والفقر، وكانت تنشد نغمة الثوب بلهجة حزينة.

العمل ! العمل ! إلى أن يوصّل الديك صوته إلى الأماكن البعيدة، العمل ! حتى لمعان النجوم فى قبة السماء، لو أن كل امرأة حالها بهذا الشكل وقضت كل عمرها بهذا التعب والشقاء، فما أهمية الوقوع فى أسر تركى ظالم ؟

العمل ! العمل ! إلى أن ترتعد الرأس وتضطرب، العمل ! حتى تبدأ العين فى الانطفاء، فيا من لكم أخوات عزيزات، ويا من أنتم سعداء بوجود أمهاتكم وزوجاتكم ! إن ما تلبسونه ليس ثوبًا فهذه الحياة جزء من نوعية البشر، غارقون فى العوز والاضطراب ! إن حياكة كفن أفضل من هذا الأمر .

العمل ! العمل ! إن سعيى لا ينتهى أبدًا، فما أجر هذه المشقة المستمرة ؟ مهجع من التبن والنشارة، قطعة قماش جافة، ثوب ممزق ومتهالك، سقف مشقق، حجرة بلا سجاد، كرسى ومنضدة محطمين، جدار قديم !

---

(١) مجلة " بهار " السنة الثانية ، العدد الثالث ، شوال ١٣٣٩ هـ ق .

العمل ! العمل ! مثل المساجين الذين يحاكمون بتهمة الخيانة، العمل ! العمل ! في نهار ديسمبر الحزين، وعند صفاء ودفء الجو، حتى يعلق العصفور عشه في طرف السقف.

آه ما أجمل استنشاق روائح زهور الربيع والنظر إلى السماء أعلى الرأس، والروضة الخضراء أسفل القدم، والاغتراب عن شدائد الاحتياج كما كانت الحال في العصر الماضي، آه ! إن فترة قصيرة لا تكفي لاستراحتي، إن عدة قطرات من دموع قلب المتألم ستواسيني، ولكن يجب أن تتوقف دموعي في مقلة العين، فكل قطرة من الممكن أن تمنع الإبرة والخيط عن العمل !

الأصابع متعبة وعاجزة وجفون العين حمراء وثقيلة، كانت هناك امرأة قد جلست في ثوب رث وقديم، وكانت في معركة مع الإبرة والخيط، غارقة لأذنيها في الجوع والفقر، وكانت تنشد نغمة الثوب بلهجة حزينة .

الفصل الرابع

الكتابات التـاريـخية

تاريخ بيدارى إيرانيان :تاريخ يقظة الإيرانيين : قلنا إنه لم يوجد أى كتاب أو رسالة فى عهد الثورة الدستورية، وأن النثر الفارسى قد انحصر فى إطار الصحف، ومع هذا فإننا فى جزء التأريخ إذا لم نأخذ فى الاعتبار بعض التذاكر التاريخية مثل "كتاب تاريخ انقلاب أذربيجان" و "بلواى تبريز" تأليف الحاج محمد باقر قدكچى ويجويه (تبريز ١٣٢٦) والتواريخ التى كتبها كتّاب غير إيرانيين مثل: تاريخ الثورة الإيرانية لبراون والتقارير الرسمية والسياسية مثل الكتاب الأزرق بالإنجليزية، والكتاب البرتقالى بالروسية، فإن كتاب التاريخ الوحيد المعتبر الذى كتب فى عهد الثورة الدستورية الإيرانية هو "تاريخ بيدارى إيرانيان" غير المكتمل لناظم الإسلام الكرمانى والذى " تفوق قيمته كل كتب التاريخ الفارسية التى كتبت فى الستة أو السبعة قرون الأخيرة[١] " .

ولد ميرزا محمد ناظم الإسلام بن على محمد شريف الكرمانى بكرمان فى عام ١٢٨٠هـ ق، وتعلم فيها بدايات الفارسية والعربية والفقه والأصول والمنطق، وفى محرم عام ١٣٠٩هـ ق، حيث كان فى الثامنة أو التاسعة والعشرين من عمره، حضر إلى طهران لاستكمال دراسته واستفاد من الحلقات الدراسية لدى ميرزاى جلوه وسيد شهاب

---

(١) براون ، تاريخ أدبيات إيران أز آغاز عهد صفويه تا رمان حاضر ، ص ٢٨٨ .

الدين الشيرازى، وفى عام ١٣١٢هـ ق، سافر إلى العراق ونهل من علم حاجى ميرزا محمد حسن الشيرازى وميرزا محمد حسين الشهرستانى، وبعد عودته إلى طهران تعرّف إلى ميرزا سيد محمد طباطبائى أحد مؤسسى الحركة الدستورية وفى عام ١٣١٧هـ ق، أسس طباطبائى مدرسة باسم "الإسلام" لتشجيع الناس على المعارف الجديدة، وعين ميرزا محمد ناظرًا لها وربما لهذا السبب لقب بلقب ناظم الإسلام، وقام فى هذا الوقت بتأليف وترجمة الكتب فمثلاً ترجم فى عام ١٣٢١هـ ق، كتاب "مقامات الحريرى" إلى الفارسية ولكنه لم ينجح فى نشره.

ومع اقتراب العصر الدستورى وعلو نغمة الحرية ترك نظارة مدرسة الإسلام وتفرّغ للسياسة والكتابة الصحفية[1] وتأليف كتب التاريخ، وبعد فترة من استقرار الحكم الدستورى – ربما فى عام ١٣٣٢هـ ق – سافر إلى كرمان ليشغل منصب القضاء وتوفى هناك فى آخر صفر عام ١٣٣٧ هـ ق.

ويعد كتاب "تاريخ بيدارى إيرانيان : تاريخ يقظة الإيرانيين" كتابًا فى ذكر الأحداث المتعلقة بنهاية عصر الاستبداد وبداية العصر الدستورى فى إيران، وفى هذا الكتاب تم تعريف الملك والوزراء والرجال الذين تولوا شئون البلاد وكذلك المجتهدين والأئمة وزعماء الحرية، بصدق وصراحة فى الغالب وبعيدًا عن المدح والثناء حيث ذم الأشرار ومدح الأبرار[2].

(١) أدار صحيفة " كوكب درى " فى شهر صفر عام ١٣٢٥ هـ ق ، وكانت هذه الصحيفة تصدر بدلاً من صحيفة "نوروز" التى تأسست فى عام ١٣٢٠ هـ ق وأغلقت بعد عام ونصف العام .

(٢) ومع هذا سواء معلوم أو غير معلوم " اعتبروا الأمير الأعظم الذى لم يفعل شيئًا ، من زعماء الحرية ، وذكروا بين الأحرار علاء الملك الذى كان من أعداء الحرية المشهورين وذهب فى عصر الاستبداد الصغير إلى بطرسبورج من طرف محمد على ميرزا حتى يخرس لسان الصحف التحررية الروسية التى كانت تنتقد

وفى الحقيقة فإن "تاريخ بيدارى" ليس كتاب تاريخ مدوّنًا بالمعنى المعروف، وإنما هو مجموعة كاملة ومفصلة من الوثائق والمستندات المتعلقة بالثورة الإيرانية والتى لولا تسجيلها لكان من الممكن أن تضيع كلها أو بعضها و لم تحفظ فى التاريخ.

ويشتمل كتاب " تاريخ بيدارى " طبقًا لقول المؤلف على مقدمة وعشرة أبواب، وكان الكاتب ينوى أن يترك بقيته للعصر التالى بحيث لن يكون هناك مانع فى نشر موضوعاته، ولكنه لم ينجح فيما يبدو فى تنظيم كل مجلدات الكتاب أو أن جزءًا من المذكرات قد فُقد[1].

ونثر الكتاب لا يتميز من حيث الجملة وتركيب العبارات وإنما تميزه فى ذكر الحقائق التاريخية بعبارات بسيطة ومفهومة، ومن هنا فقد فضله براون على تواريخ العصر القاجارى العظيمة والمشهورة (روضة الصفاى ناصرى وناسخ التواريخ) بينما لم يفصل بينها وبين تأليف "تاريخ بيدارى" أكثر من خمسين سنة تقريبًا.

والخلاصة : أن " تاريخ بيدارى " يعتبر مصدرًا جيدًا وموثوقًا به نسبيًا للأشخاص الذين يريدون إعداد تاريخ مفصل حول الثورة الدستورية الإيرانية.

مظالم لياخوف، وكى يثلج صدر القيصر بإطلاق يد لياخوف فى إيران ... " من مقدمة كسروى على " تاريخ مشروطه إيران " .

(١) نشر جزء من موضوعات هذا الكتاب فى أول الأمر فى صحيفة " كوكب درى " التى أسسها وتولى إدارتها المؤلف نفسه، وبعد ذلك نشرت أجزاء منه فى طهران بشكل أسبوعى فى طبعة حجر مزودة بصور جيدة نسبيًا و ظل المجلد الثالث غير مكتمل ، وفى آخر الأمر حصل سيد محمد هاشمى الكرمانى على الأجزاء غير المطبوعة أيضًا والتى لم تأخذ شكل التاريخ المرتب والمدون ، وكانت عبارة عن مذكرات المؤلف ، فطبعها كلها فى مجلد واحد فى طهران فى عام ١٣٣٢ ش .

الباب الثالث
الشعر الرسمى

مقدمة

إن الحركة الدستورية برغم كل عيوبها ومثالبها فإنها أثرت فى الأوضاع المادية والمعنوية للمجتمع الإيرانى، وكان من الحتمى أن تحدث تحولاً فى مجال الأدب أيضًا، ولكن لم يحدث مثل هذا التحول العميق، و لم تظهر الموهبة الفذة التى يمكن أن تواكب الثورة السياسية والاجتماعية.

والظاهر أن الرباعيات والأغنيات والمستزادات وبصفة عامة كل هذه الأشعار البسيطة التى كانت تصوّر أحداث العصر وسميناها نحن " الأشعار الصحفية " لقصور القافية، برغم كل ما كان لها من قيمة وأهمية فى تقدم الثورة ويقظة الأمة الإيرانية فإنها لم تكن تستطيع أن تحتل للأبد مكان الأشعار القيمة المتناسقة للشعراء الكبار أصحاب الدفاتر والدواوين وكان لابد، شاءت أم لم تشأ، أن تترك مكانها فى النهاية لنوع من الشعر البديعى أو ما يُعرف بمصطلح الشعر " الرسمى ".

فبينما لم ينته بعد عصر الكفاح السياسى و لم تتوقف الأفكار عن التوهج والغليان أحس بعض الشعراء بهذه الضرورة جيدًا وبحث كل من وجهة نظره عن طريق جديد غير مألوف، إلا أن الأسس والقواعد الأدبية الراسخة قد أحاطت الشاعر بجدار عال من الأوزان المقبولة وغير المقبولة والقوافى الصعبة والتشبيهات والاستعارات والتلميحات، وكانت معارضة نقاد " الأدب " المعروفين لأى إبداع وابتكار وخروج عن قوانين الشعر القديم، شديدة جدًا لدرجة أنه لم يجرؤ أحد على أن يضع قدمه خارج دائرة " المألوف " .

وعلى هذا النحو ظل شكل وقالب الكلام المنظوم وكذلك البيان الشعرى على نفس الصورة التى استخدمها الشعراء القدامى، وراج مرة ثانية نظم القصيدة والغزل، والذى لم يكن إلا ترقيع قطع قديمة شديدة التمزق مثلما كان الأمر قبل الثورة، وامتلأت صفحات الصحف بالقصائد والغزل، وكما رأينا فإن شعراء معروفين مثل أديب النيسابورى وشوريده الشيرازى قاما على هذا بنظم الغزل فى وصف الحبيب وبيان الأفكار العرفانية، وكأن عاصفة الثورة لم تمر من فوق رؤوسهم، أمّا أولئك الذين كانوا أكثر تجددًا فإنهم لم يفعلوا شيئًا سوى أنهم مثلاً مدحوا الوطن والحرية بدلاً من الممدوح فى القصائد، وبدلاً من المعشوق فى الغزليات، وأخذوا من اللغات الأوربية فى بعض الأحيان مجموعة من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية بشكل مباشر أو عن طريق الأدب التركى، واستخدموها فى أشعارهم بمناسبة وبدون مناسبة، وظنوا أنهم بهذا العمل قد مهّدوا طريق التجديد الأدبى، فى حين أن هذه الأشعار لا يوجد فيها أى عنصر جديد لا فى الشكل ولا فى اللفظ .

وقد نظمت فى هذا العصر أشعار حاول ناظموها أن يستخدموا الألفاظ والمصطلحات الجديدة لعصر الحرية، حيث إنهم بالغوا بشدة فى هذا الطريق، لدرجة أن الأمر وصل إلى حد السخافة والابتذال.

يناجى أحد شعراء هذا العصر[1] المعشوق بنفس الألفاظ والمصطلحات التى جرت على ألسنة العوام على النحو التالى :

---

(١) سيد أحمد فخر الواعظين المتخلص بخاورى من وعاظ وشعراء كاشان الأحرار ، وكانت أشعاره تنشر فى صحف ذلك العصر الشهيرة والمعروفة مثل " حبل المتين " و " مجلس ". وفى عام ١٣١٧هـ ق، حيث كان ميرزا على أصغرخان الأتابك يتفاوض للحصول على قرض من روسيا، تشكلت جمعية سرية ضده فى طهران ووقع فى يد الملك أحد المنشورات السرية للجمعية فى مهجع قصر نياوران، والذى كانت قد أدرجت فيه هذه الأشعار : لا تؤذى المسلمين يا ابن الأرمنى ... لا تسلم سلطنة الإيمان فى يد الكفر، إلى هذا البيت : وعاؤك المصقول ليس فيه ثمرة من الروس... فهذا الوعاء الأسود سيقتل الضيف فى النهاية . وقد عُرف ناظم الأشعار واتضح أنه خاورى نفسه ، وتم اعتقاله ونفيه مع رفاقه ، وكان هو أيضًا الذى أنشد قصيدة على قبر عباس آقا قاتل الأتابك فى يوم الأربعين لوفاته والتى جرت على الألسنة .

إن عينــــه الفتانـــة تنـــوى إشـــعال نـــار الظلـــم فى مملكـــة القلـــب

إن أســـود القلـــب هـــذا يتمـــادى منـــذ فتـــرة فى ســـفك الـــدماء

فى كـــل لحظـــة يطلـــق رصاصـــة الغمـــزة مـــن مـــسدس أهدابـــه

ربمـــا كـــان أســـتاذ معـــشوقى عبـــاس آقـــا

فى روضـــة حـــسنه تـــصلى القلـــوب

ربمـــا سيتأســـس مجلـــس الـــشورى فى ذلـــك المكـــان

وهذا الغزل أيضًا لملك الشعراء بهار والذى أنشده فى خراسان أثناء الحرب العالمية الأولى وهاجم فيه الجيش الروسى الذى كان قد احتل إيران، وكما ترون فإن الشاعر قد سمّى هذا الغزل " الشعر الحديث " :

المعـــشوقات الفاتنـــات اللائـــى لهـــن مكانتـــهن فى روســـيا العزيـــزة

لمـــاذا يـــستهدفن قلوبنـــا باســـتبداد وديكتاتوريـــة

إنهـــن معـــشوقات مـــستبدات وهوائيـــات وروســـيات الطبـــع

وإلا لمـــاذا يـــرابطن فى مـــنزل الغـــير

تـــارة حُـــسن ولطـــف وتـــارة عتـــاب ولـــوم

وفى النهايـــة مـــاذا يـــردن مـــن كـــل هـــذه الـــسياسة

بـــرغم أنهـــن فى قاعـــدة الحـــسن وسياســـة الجمـــال

يـــسرن علـــى نهـــج حـــسناوات أوربـــا

ولكـــن العـــشاق ثـــابتون علـــى الحريـــة والاســـتقلال

فكيـــف يخـــافون مـــن سياســـة طـــرف خـــصلتك

إن صف أهدابك له خبرة سياسية طويلة
بما له من نفوذ فى حياة القلوب
بأى قانون يهجم جيش دلالك أيها الغلام التركى
ويغير على حدود قلوب الأحبة
أى صلح هذا وجيش إشاراتك القوزاقى
يأوى داخل دولة القلب
ماذا أفعل بلجنة الشكاوى وشكوتى منك
فالكل يعلم حالى أنا المجذوب المتيّم
نحن لا نقنع بشرح عينيك
لأنهما فى ألفة ونجوى مع الأجانب
إن الروضة التى تتشكل فيها هينة
مجلس شورى القلب تحتمى بطرف خصلتك
كاتمو أسرارك فى جمعية القلب السرية
يتمنون خطبة رمزية من فمك

....

إن الشعر الجديد ليس غريبًا عن طبعك يا "بهار"
فكل المشرقين لديهم فصاحة التعبير

وقد كانت هذه المحاولات كما قلنا وليدة حاجة ملحّة زاد الشعور بها بحثًا عن الطرق الجديدة لبيان المدارك الجديدة للحياة، ولكن أيًا كان الأمر فقد ظل القالب وكذلك النسيج الشعرى قديمًا كما هو، وبرغم ذلك فقد دخلت فى الشعر الفارسى بعض المضامين الجديدة مثل تأييد إيران الثورية ومحاربة استبداد الشاه وحاشيته ومدح الوطن وبيان المشاعر الوطنية ومعاداة الغاصبين الإمبرياليين وذم تدخلاتهم غير الشرعية فى شئون الدولة وتمحيص الخرافات والتعصبات وأحيانًا الحديث عن الحرية وحقوق المرأة وقضايا أخرى من هذا القبيل، واستقرت فى نفس هذا الإطار الضيق للقصائد والغزليات .

وعلاوة على الأشعار المتفرقة الكثيرة التى نشرت فى صحف ذلك العصر، فإن الشعراء المشهورين فى ذلك العصر جعلوا قريحتهم وموهبتهم الشعرية أيضًا فى خدمة الوطن وأهداف الأحرار، فمثلاً ملك الشعراء بهار الخراسانى الذى كان قد تربى فى محيط الشعر الكلاسيكى، انضم لجماعة الأحرار بعد فترة من ظهور الحركة الدستورية، وبرغم أن أديب الممالك الفراهانى قد ظل دائمًا أديبًا وناظمًا للقصيدة فإنه طوّع بعض أشعاره لخدمة القضايا الوطنية والاجتماعية، وعارف القزوينى الذى كان قد تحوّل من محيط البلاط المرفّه إلى أحضان الشعب ؛ أبدع أشعاره الوطنية الجميلة التى تنشد على أنغام الموسيقى بالإضافة إلى أغنياته الجذابة الساحرة، أمّا لاهوتى وعشقى فقد جعلا غزلياتهما وأشعارهما الحماسية تعبر عن حرية الشعب واستقلال الدولة .

١ – بهار

ولد ميرزا محمد تقى المتخلص بـ "بهار" فى مدينة مشهد يوم الخميس١٢ربيع الأول سنة١٣٠٤هـ ق، وبينما لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره توفى والده ميرزا محمد كاظم صبورى ملك شعراء العتبة الرضوية المقدسة[1] فى عام١٣٢٢هـ ق، وانتقل لقب ملك الشعراء من الأب إلى الابن بناء على فرمان مظفر الدين شاه.

---

(١) ولد ملك الشعراء صبورى بخراسان سنة ١٢٥٧هـ ق، وكان والده من أهالى كاشان وصاحب مصانع لصناعة الحرير والخارا (نوع من النسيج الحريرى المموج والمخطط) وكان رأسماليًا وتاجرًا فى هذا المجال، وقد وصل صبورى إلى صحبة أهل الفضل فى شبابه وحصل على لقب ملك شعراء العتبة الرضوية المقدسة من ناصر الدين شاه وكان مقلدًا لأسلوب القدامى فى فن القصيدة ، وديوان صبورى يضم ثلاثين ألف بيت (مجلة دانشكده ، العدد الرابع) .

أخذ بهار تخلصه من بهار الشيروانى، وهذا الشخص كان من الشعراء المشهورين فى عهد ناصر الدين شاه، وربطته فى مشهد صداقة بصبورى والد بهار، وتوفى فى منزله[1].

تعلم بهار الأدب الفارسى فى أول الأمر على يد أبيه وبدأ فى نظم الشعر منذ سن السابعة واستفاد من مجالس العلم التى كان يديرها ميرزا عبد الجواد أديب النيسابورى وصيد على خان درجزى لعدة سنوات وذلك لاستكمال دراسته للفارسية والعربية، وبعد أن تولى العمل الحكومى وحصل على منصب ملك الشعراء قام باستكمال دراسة اللغة العربية وأثرى معلوماته عن طريق قراءة الكتب والمجلات المصرية وتعرّف على العالم الجديد.

انضم بهار لفرق الأحرار بصحبة والده منذ سن الرابعة عشرة وتعلق بالدستورية والحرية نظرًا للأنس والألفة التى كان قد وجدها فى الأفكار الجديدة، وانضم بهار للدستوريين الخراسانيين بعد عامين من وفاة والده، وبالتحديد فى عام ١٣٢٤هـ ق، عندما أُعلن الحكم الدستورى فى مملكة إيران وكان عمره عشرين عامًا.

---

(١) ميرزا نصر اللـه بهار الشيروانى (١٢٥١ – ١٣٠٠ هـ ق) ولد بمدينة شماخى فى أسرة تعمل بالتجارة، وسافر فى شبابه إلى الهند قاصدًا السياحة والتجارة وقدم إلى إيران فى عام ١٢٧٥ هـ ق، وترقى فى بلاط ناصر الدين شاه وحصل على لقب ملك الشعراء وسافر بعد ذلك إلى كردستان وهناك قام على تأهيل بعض التلاميذ ، وكانت آخر رحلة له إلى خراسان، حيث إنه توفى فى نفس هذا المكان بمدينة مشهد .ولبهار ديوان قصائد وغزليات بالفارسية والأذربيجانية والذى كان يحمل نسخته المخطوطة معه دائمًا ولم يُعثر عليها بعد موته، وقد أنشد أيضًا مثنويين عنوانهما "النرجس والزهرة" و "تحفة العراقين" تقليدًا للخاقانى وهما غير موجودين الآن، وبناء على إحدى الروايات فإن نسختيهما المخطوطتين قد أخذهما أحد السفراء الإنجليز معه إلى لندن. وقد بقيت من أعمال بهار عدة غزليات تركية وفارسية ويبدو من هذه الغزليات أنه كان شاعرًا ذا قريحة وموهبة وله أسلوب جميل (تاريخ مختصر ادبيات أذربيجان ج ٢ ، باكو ، ١٩٤٤) وهذان البيتان الشهيران له :

ذرف الزاهدون دموع الرياء فـــى بيت اللــه — وألقت الباغية طفل الخطيئة أمام المسجد
الزاهد يرشد الجميع بزهده وهو نفسه ضـــال — كالمصـــباح الذى يكون فـــى يد أعمى

وبعد وفاة مظفر الدين شاه حيث اشتعل الصراع بين أعضاء البرلمان ومحمد على ميرزا، ظهرت فى مشهد جمعية باسم "سعادت" وكانت على اتصال بجمعية "سعادت" الاسطنبولية وأحرار باكو، فانضم بهار لجمعية "سعادت"، وفى الفترة التى عُرفت باسم "الاستبداد الصغير" واستمرت منذ انقلاب ٢٣جمادى الأول ١٣٢٦هـ ق، وقصف المجلس بالمدفعية حتى أول رجب١٣٢٧هـ ق، قام بطبع صحيفة "خراسان" فى السر مع بعض زملائه الحزبيين مثل سيد حسين الأردبيلى مدير المدرسة الرحيمية، ونشرها باسم مستعار "رئيس الطلاب" ونشر فيها أول أشعاره الوطنية.

وبعد فترة وعندما وصل مجاهدو الرشت والقوات البختيارية إلى العاصمة، ولجأ الملك إلى السفارة الروسية واستقال من السلطنة ؛ أُقيمت الاحتفالات الوطنية فى كل مكان ومن بينها مشهد، وكانت الأشعار والأناشيد التى قرأت فى ليلة الحفل فى مشهد كلها لبهار.

وفى عام ١٣٢٨هـ.ق، تأسس الحزب الديمقراطى الإيرانى فى مشهد بتعاليم حيدر عمو أوغلى، أحد رواد الحركة الوطنية، وتولى بهار- الذى كان قد انضم فى نفس هذا العام لعضوية لجنة الحزب المحلية - إدارة صحيفة "نوبهار" التى كانت تنشر أفكار وسياسات الحزب الجديد .

وكانت لهذه الصحيفة كما يقول براون[1] أهمية خاصة نظرًا لشجاعتها وهجومها النارى الحاد ضد ممارسات الروس وتدخلاتهم فى السياسة الداخلية للبلاد، وكانت الحكومة القيصرية تساند المستبدين فى إيران وأحضرت قواتها إلى خراسان، وكان منهج الحزب الديمقراطى هو معارضة سياسة الروس وبقاء القوات الروسية فى إيران .

---

(1) Brown . E . G . The Press and Poetry of modern Persia.

وفى آخر عام ١٣٢٩هـ ق وبداية، عام ١٣٣٠هـ ق، ظهرت على الساحة قصة شوستر والإنذار الروسى ومذبحة تبريز وجيلان وغلق المجلس الثانى وديكتاتورية ناصر الملك، ومع تعيين شوستر مديرًا للشئون المالية الإيرانية دخل محمد على ميرزا المخلوع إيران برفقة أخيه شعاع السلطنة، وصمد الأحرار وأغلقت صحيفة "نو بهار" بعد عام واحد بسبب ضغوط السفارة الروسية[1]، ولكنها سرعان ما نشرت باسم "تازه بهار"[2] حتى أغلقت مرة أخرى بقرار حكومة ناصر الملك الديكتاتورية فى محرم الدامى عام١٣٣٠هـ ق، مع غلق المجلس ونهاية الحكومة الدستورية الثانية، ونفى بهار مع تسعة آخرين من أعضاء الحزب إلى طهران وعلى حد قوله "كل مساعى الأحرار صارت هباءً" .

وكما قلنا فقد تولى بهار منصب ملك شعراء العتبة الرضوية وهو فى ريعان شبابه، وكان ينظم القصائد فى تمجيد عظماء خراسان ومدح مناقب الأولياء الصالحين كما هى عادة العصر، وأشعار بهار الأولى من هذا القبيل : فى رثاء الأب، فى مدح مظفر الدين شاه، فى مدح حضرة خاتم الأنبياء، فى منقبة مولى المتقين، فى مدح الإمام الثامن، فى مبعث ولى العصر، فى إعطاء خاتم من طرف الملك لنائب سادن العتبة الرضوية (مع وجوب إيراد لفظ خاتم فى جميع الأبيات)، الخمرية، الغديرية، البهارية، نصيحة لحاكم قوچان، وفاة مظفر الدين شاه، جلوس محمد على شاه، وزارة الأتابك الأعظم، الفقر، الغنى، وأمثالها.

---

(١) العشرون من شوال سنة ١٣٢٩ هـ ق .

(٢) العدد الثالث منها تاريخه ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٩ هـ ق .

وقد تتبع بهار أساتذة الشعر الفارسى القدامى فى كل هذه القصائد :

تريـــــد قلــــبى أيهــــا المعــــشوق ولا تعلــــم أن هــــذا خطــــأ
يجـــب طلـــب الـــروح مـــن عاشـــق ولهـــان مثلـــى

فى تتبع الفرخى:

لقــــد انتــــصر معــــشوقى علــــى قلــــبى وهــــذا جــــائز
أيــن أجــد اليــوم مثــل معــشوقى مــن بــين كــل الحــسان؟
لقــــد منحــــت ذلــــك الحبيــــب قلــــبى ليعطــــينى قبلــــة
وإن أمنحــــه قلبًــــا آخــــر يعطــــينى قبلــــة أخــــرى

فى تتبع الأمير معزى:

مـــا هـــذا المـــاء الـــذى يجعـــل الوجـــه بلـــون النـــار
وأن مرارتــــه تمــــنح العــــيش حــــلاوة أخــــرى
مـــا أجمـــل الـــركن[١] والحطـــيم[٢] فى الكعبـــة المـــشرفة
مـــا أجمـــل مقامـــك فهـــو فى عظمـــة مقـــام إبـــراهيم

فى تتبع الأزرقى الهروى:

لا تـــضع المـــسك علـــى ذلـــك الوجـــه الأبـــيض
فـــإن خـــصلتك علـــى ذلـــك الوجـــه الأبـــيض المـــنير تـــشبه المـــسك
لا تقـــص علينـــا حـــديث الإســـكندر فقـــد صـــار
خرافـــة وحـــديثًا قـــديمًا فى هـــذه الـــبلاد

---

(١) الركن هو الحجر الأسود .
(٢) الحطيم هو جدار الكعبة بين الركن وزمزم (البئر) والمقام (إبراهيم) .

فى تتبع الفرخى:

لقـــد صـــارت قـــصة الإســـكندر خرافـــة وحـــديثًا قـــديمًا
فائـــت بحـــديث جديـــد لأن للجديـــد حـــلاوة أخـــرى
انظـــر إلى تلـــك الخـــصلة الـــتى عليهـــا زهرتـــا الزعتـــر والـــسوسن
فـــإن قلـــبى مفتـــون بزهرتيهـــا الزعتـــر والـــسوسن

فى تتبع الفرخى:

لا قلـــب ذلـــك المعـــشوق يليـــق بوجهـــه الأبـــيض المـــضىء
ولا كلامـــه مـــن جـــنس شـــفاهه الـــتى تـــشبه الـــسكر
لقـــد صـــارت الـــدنيا وفـــق هـــواى فتـــرة
بحيـــث كـــان للزمـــان معـــى عهـــد وميثـــاق

فى تتبع الرودكى:

لقـــد ســـقط كـــل مـــا كـــان لـــدى مـــن أســـنان
لم تكـــن أســـنانًا لا بـــل مـــصباحًا مـــضيئًا

ولكن بعد قيام الثورة الدستورية وانضمامه لصفوف الأحرار أوقف نفس هذه القصائد مع أنواع جديدة من شعره على شئون الثورة والحرية.

وأشعار بهار فى هذه الفترة تتميز بالسخونة والحماسة والصدق، ويبرز فن الشاعر وأستاذيته وهو ما يجعل شعره فى مرتبة أعلى من مؤلفات كل شعراء عهد الثورة.

والشاعر فى هذه الأناشيد ذات المعانى الغزيرة العميقة يحارب السياسات الاستعمارية ويتحدث عن ألم وغضب ونفور وبؤس الشعب الإيرانى ومعاناته التى لا تنتهى ويمدح الثورة وأبطال الحرية ويهاجم الخونة والعملاء ويدعو الشعب ويشجعه على التدخل فى الأمور السياسية والاجتماعية مُصورًا روح العصر.

وأهم ما يميّز بهار أنه قد استطاع برغم انتسابه لمدرسة الشعر القديم أن يوحّد شعره مع مطالب الأمة وأن يرفع ندائه فى قضايا العصر وفى الأحداث التى كانت قد أصابت أبناء وطنه بالهيجان والاضطراب.

وأشعاره فى هذا العصر خاصة من نوع المستزاد جديرة بالاهتمام من حيث سلاسة النظم والتناغم بين المصاريع الطويلة والقصيرة .

وفيما يلى نماذج من أشعار بهار والتى قد أنشدها أثناء إقامته وكفاحه فى خراسان (١٣٢٥ – ١٣٣٠ هـ ق) :

فى عام ١٣٢٥هـ ق، فى نصيحة الملك أثناء جهاد الدستوريين الإيرانيين ضد محمد على شاه:

افـــتح عينيـــك الـــصغيرتين أيهـــا الملـــك
فكّـــر أول شـــيء فى عاقبـــة الأمـــر
افـــتح عينيـــك اليقظـــتين
حـــتى تـــرى عاقبـــة أمـــرك
لقـــد ضـــاعت مملكـــة إيـــران
ومـــا أكثـــر الظلـــم والعـــدوان اللـــذين تعرضـــت لهمـــا

وبما أنك لا تعرف طبيعة الحكم

فإن العدو يتدخل للوساطة

إن أوضاعك تسوء بسبب العدو

وثروتنا تقل وشأنك فى انحطاط

إن أفعالك كلها سيئة أيها الملك

وأنت لا تسىء إلينا بل تسىء إلى نفسك

إن طبعك ليس محبوبًا أيها الملك

فروح الرعية ليست سعيدة بك

وا حسرتاه على الملك قاتل الرعية

إن حال الأمة الراضى غير راضٍ عنه

راعى الغنم يحافظ على القطيع

وهو ليس راعى الغنم بل ذئب الغنم

الكلب أفضل من الراعى الكبير

الذى يأخذ من القطيع ويعطى للذئب

المحض وتخلى عن كل هذه المظاهر

فنحن جميعًا الأبناء، فكن لنا بمثابة المربية

ولكن ليست تلك المربية التى بدلاً من اللبن

تضع السم على شفاه الطفل الصغير

لقد كان فعلك كله قبيحًا

ألم تصل عاقبة أمرك !

وفى عام١٣٢٥هـ ق، وبعد عام واحد من جلوس محمد على شاه، ونظرًا لبعض الأعمال المستبدة التى كانت تصدر منه وتسببت فى قلق واضطراب الوطنيين والدستوريين، فقد أنشد "تركيب بند" مفصل (فى ١٥٨مقطع) بعنوان "مرآة العبرة" والذى سرد فيه لمحة تاريخية مختصرة عن ملوك إيران من بداية سلطنة كيومرث وحتى آخر عهد مظفر الدين شاه، وأسدى للملك بعض النصائح، وأرسل هذه الأشعار لمحمد على شاه عن طريق مشير السلطنة وزير البلاط[1] وكانت المنظومة تبدأ بهذا البيت :

إلى متى هذه الغفلة والنوم الثقيل أيها الحارس

أفق من النوم وانتبه فالحارس ليس له أن ينام

وتنتهى بهذه الأبيات الوعظية :

إن كل آثار الملوك هذه ليست خرافة أيها الملك

لا مفر لك من سيرة الملوك أيها الملك

إن الملك المناسب لا يكون ثملاً مجنونًا

ضياء المجلس بالشمع نعم، ليس بالفراشات

الآن ليس هناك رب للبيت غيرك فى هذا البيت

لا يوجد بيت خرب مثل بيتك أيها الملك

انهض وعمّر هذا البيت بالعدل والعطاء

وأبعد الأجنبى عن بيتك شيئًا فشيئًا

(١) ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ١ ، ولكن ذكر براون تاريخ هذا الشعر فى كتاب " تاريخ الصحافة والمطبوعات الإيرانية " عام ١٩٠٩، والذى يوافق جمادى الأولى سنة ١٣٢٧ هـ ق، وهذا التاريخ هو الأصح فى نظرى .

وفى هذا المسمط بتاريخ جمادى الأولى سنة١٣٢٧هـ ق، قام بتذكير الملك بموعظة سعدى ثم ذم أعماله المستبدة :

أيهـــــا الملــــــك مـــــاذا تهـــــدف مـــــن الاســــــتبداد ؟

فلـــــن تـــــشهد مـــــن هـــــذا الأمـــــر ســـــوى الإدبـــــار

جُـــــد بالحيـــــاة الدســـــتورية فقـــــد صـــــرت معبـــــودًا

"فى حـــــين أن شـــــرف الرجـــــل فى جـــــوده وكرامتـــــه فى ســـــجوده

فكـــــل مـــــن لـــــيس لـــــه هـــــذان عدمـــــه أفـــــضل مـــــن وجـــــوده"

أيهـــــا الملـــــك لا تحتـــــرف الظلـــــم ولا تـــــنقض العهـــــد

فـــــــــإن اللـــــــــه ســـــــــيجازيك

إن أحـــــداث الزمـــــان تـــــضع التـــــراب علـــــى رأســـــك

"ألا تـــــرى تـــــراب مـــــصر الطـــــروب هـــــو نفـــــس

تـــــراب مـــــصر ولكـــــن علـــــى رأس فرعـــــون والجنـــــود"

أيهـــــا الملـــــك إن ظلمـــــك واســـــتبدادك يحرقـــــان إيـــــران

وعقابًـــــا لـــــك فـــــإن الـــــوطن هـــــو المنتـــــصر اليـــــوم

ولمعـــــان نـــــور العقـــــاب لـــــيس مـــــن اليـــــوم

"فهـــــذه هـــــى نفـــــس عـــــين الـــــشمس مـــــنيرة العـــــالم

الـــــتى كانـــــت تـــــشع علـــــى قـــــبر عـــــاد وثمـــــود"

لاتـــــضرب المعـــــول فى جـــــذورك أكثـــــر مـــــن هـــــذا أيهـــــا الملـــــك

ولا تلقـــــى بنفـــــسك وبالأمـــــة فى ورطـــــة الـــــذل والمهانـــــة

لا تقتلـــع جـــذورك بهـــوس وهـــوى الـــنفس

"لا تحـــط مـــن شـــأنك بـــالملاهى والمنـــاهى

ربمـــا يكـــون إيمانـــك صـــحيحًا فى اليـــوم الموعـــود"

مـــن ظلمـــك حـــصدت زرع الأمـــة كلـــه

لقـــد صـــارت قـــصة جنكيـــز قديمـــة مـــن ظلمـــك الجديـــد

لمـــاذا تتعلـــق بالـــدنيا بعـــد هـــذا الحـــوار

"يـــا مـــن أنـــت غـــارق فى الملـــذات والـــشهوات لا تغتـــر

فمـــن المـــستحيل الخلـــود فى هـــذه الـــدنيا"

مُـــر علـــى منطقـــة تبريـــز وقـــبر الـــشهداء

واسمـــع تلـــك القـــصة المحرقـــة للـــروح واجـــرح القلـــب بـــالحزن

وبعـــد ذلـــك الـــصراخ والعويـــل فى تلـــك البلـــدة

"اســـكن فى تـــراب الطريـــق الـــذى تمـــر عليـــه

فهـــو العيـــون والجفـــون وهـــو الخـــدود والقـــدود"

إن الملـــك لم يخلـــص للدولـــة وصـــارت الأمـــور هبـــاءً

والأمـــة متعبـــة، فكّـــر فى شـــىء آخـــر فى هـــذه المرحلـــة

لا تـــضع قـــدم الأمـــل علـــى بـــاب الملـــك المـــستبد

"ارفـــع يـــد الحاجـــة إلى اللـــه كالملائكـــة

فهـــو الكـــريم والـــرحيم وهـــو الغفـــور والـــودود"

مـــــن هـــــو الملـــــك نفــــسه بكـــــبره وأنانيتــــــه
حـــــتى تكـــــون نيتـــــه حــــسنة معنــــا
نحـــــن عبيــــد الحـــــق ومعترفـــــون بألوهيتــــــه
"نحـــــن علـــــى عبوديتــــه مـــــن الثـــــرى إلى الثريــــا
والجميـــــع فى ذكــــر ومناجـــــاة وقيـــــام وقعــــود"
ســـيبزغ كوكـــب الدســـتورية مـــن فلـــك الكمـــال
وسينقـــضى ليـــل الهجـــران ويطلـــع صـــبح الوصـــال
سيتحـــسن الأمـــر بعظمـــة اللــــه المتعـــال
"فيـــا مـــن أنـــت فى شـــدة الفقـــر واضـــطراب الحـــال
اصـــبر فـــإن هـــذه الأيـــام المعـــدودة ســـرعان مـــا تنقـــضى"
لا يجـــب انتظـــار شـــيء مـــن هـــذا الملـــك إلا ارتكـــاب الأخطـــاء والجـــرائم
فمـــا نـــراه فيـــه كلـــه مـــن أولـــه إلى آخـــره خطـــأ
لا تنـــصحه فـــلا فائـــدة مـــن نـــصح الأشـــرار
"إن نـــصيحة ســـعدى الـــتى هـــى مفتـــاح كـــنز الـــسعد
لا يمكـــــن أن يلتـــــزم بهـــــا إلا المـــــسعود"

ومن الأشعار الجيدة لبهار قصيدته من نوع المستزاد والتى نظمها فى جمادى الأولى سنة ١٣٢٧هـ ق، قبل فتح طهران بعدة أسابيع ونشرها فى صحيفة خراسان عندما لجأ شعب طهران إلى السفارات، وأعلن تضامن شعب تلك المدينة مـع مـساعى أهـالى أذربيجان وجيلان وأصفهان :

أمر إيران إلى الله[1]

من الخطأ الحديث مع ملك إيران عن الحرية
فأمر إيران إلى الله
إن مذهب ملك إيران يختلف عن المذاهب
فأمر إيران إلى الله
الملك ثمل والقائد ثمل والشرطى ثمل والشيخ ثمل
وقد ضاعت البلاد
كل لحظة تقوم الفتنة والفوضى بأيدى الثمالى
فأمر إيران إلى الله
كل لحظة يعلو بحر الاستبداد
بأمواج عاتية مهلكة للروح
وسفينة الشعب من هذا التلاطم فى دوامة البلاء
فأمر إيران إلى الله
المملكة هى السفينة وحوادث البحر هى الاستبداد الحقير
الربان هو العدل فحسب
إن أمر حماية السفينة وقيادتها بيد الربان
فأمر إيران إلى الله

---

(١) يمكن مقارنتها بمراثى يغما :

العزاء مُقام بسبب هذه المصيبة لا بسبب الأموات — متى يجوز هذا ؟
دار العزاء ليس الأركان الأربعة والجهات الست بل الفلك كله — متى يجوز هذا ؟

يدعو الملك نفسه مسلمًا ويرتكب الآثام

ويسفك دم الشعب بلا ذنب

فمتى جاز فى الإسلام هذا الظلم أيها المسلمون ؟

أمر إيران إلى الله

إذا كان ملك إيران لا يرغب العدل فلا تبالى

فهو من طينة نجسة

فهكذا تصاب عين الخفاش بالأذى أمام نور الشمس

فأمر إيران إلى الله

إنه يضحك ليلاً ونهارًا على لحية الوزير الضنيلة

وشارب القائد المدبب

فكيف يستقيم أمر الملك بهذه السخرية والاستهزاء

فأمر إيران إلى الله

فليكن حتى ينتبه الملك لهذه الحماقة

الانتقام الآلهى

الانتقام الإلهى هو البرق وهو الحماقة

فأمر إيران إلى الله

عندما ذهب الملك من حديقة "باغشاه" ليتحصن فى "دوشان تبه"

تجدد جرحه وألمه

وفى اليوم التالى تلاشى حصنه فى حدود المملكة

أمر إيران إلى الله

لكن، حتى يخرج القائد العظيم من الرشت

عظمـــــــــــــة العـــــــــــــــادل الكـــــــــــــــبير

ذلـــك الـــذى بـــسبب رعايتـــه صـــارت جـــيلان كالـــدار الآخـــرة

أمـــــــــــــــر إيـــــــــــــــران إلى اللـــــــــــــــه

لـــيكن ،حـــتى يظهـــر مـــن أصـــفهان صمـــصام الحـــق

اســـــــــــم الحـــــــــــق ظـــــــــــاهرًا

حـــتى نـــرى أيـــن ذلـــك الـــذى يحيـــد عـــن أحكـــام الحـــق

أمـــــــــــــــر إيـــــــــــــــران إلى اللـــــــــــــــه

أرض إيـــران مـــدن وأحيـــاء تنـــهل مـــن الحـــضارة

مـــــــا عـــــــدا خراســـــــان فإنهـــــــا خربـــــــة

" إن كـــل مـــا يحـــدث بـــسبب قامتنـــا المعوجَّـــة غـــير المـــستقيمة "

أمـــــــــــــــر إيـــــــــــــــران إلى اللـــــــــــــــه

والقصيدة التالية نظمها فى خراسان تقليدًا لقصيدة الفرخى، عندما هجم محمد علي شاه من استر آباد وجمش تبه (جرجان حاليًا) على طهران بمساعدة الحكومة الروسية القيصرية، وهُزم على يد الوطنيين، وأنشدها فى حفل عيد ميلاد السلطان أحمد شاه الذى أقيم فى الإدارة الحكومية فى شعبان سنة ١٣٢٩هـ ق، ونشرها بعد ذلك أيضًا فى صحيفة نوبهار :

رزمنامه : منظومة القتال

اتـــرك الخمـــر مـــن يـــدك أيهـــا المعـــشوق ودع القيثـــارة جانبًـــا

وارتـــد ثـــوب القتـــال فقـــد حـــان وقـــت الحـــرب

لقـــد تجمـــدت الخمـــر بالنـــهار فـــاترك الخمـــر مـــن يـــدك

وانقضى وقت الغناء فدع القيثارة من يدك
أضئ الوجه وادهن وجه العدو بالقار
مدّ القامة واثن قامة الخصم كالخطاف
أنزل البندقية من على الكتف ودع هاتين
الخصلتين السوداوتين المسكيتين تستريحان للحظة
فتلك الخصلة لا تضطرب من غبار المعركة
ولا ذلك الوجه يسوّد من دخان البندقية
إن خصلتك هي المسك والمسك لا يمحى بالغبار
ووجهك هو القمر والقمر لا يصدأ بالدخان
تبختر نحو ساحة المعركة مع الحشود
كالغزال فى الصحراء والماعز الجبلي فى الجبل
لم أر غزالاً مثلك فى المعركة
يشق جنب الأسد ويقتلع عين النمر
لم يسمع أحد أبدًا عن غزال يحمل الدرع والقوس مثلك
لم يسمع أحد أبدًا عن غزال يحمل السهم والرمح مثلك
غزال ولكن ربيب تلك الصحراء التي يهجم
غزلانها اليوم على الأسود بلا خوف
إن بلاد إيران هي مقر الأسود حيث إن الله
قد كتب لها النصر على كل حجر

....

تــزين وجههــا لفتــرة بالديانــة الزرادشــتية

ثم تلونــت الدولــة مــن جديــد بــاللون الإســلامي

مُلكهــا المنــصورى مــن بــاب الــرى إلى بــاب الــصين

ومُلكهــا المحمــودى مــن بــاب الــصين إلى ســاحل الجــنج

جــيش حكومتــها الــسلجوقية طــوى الطريــق ســريعًا

مــن ســور حديقــة إرم إلى روضــة بوريــشنگ(أفراســياب)

....

إن إيــران كــالحجر الثقيــل والحــوادث كالــسيل

فيمــر الــسيل العــالى ويظــل الحجــر فى مكانــه

وعــدوها لم يــر الخــير إلا مــن يــد الأجــل

وخــصمها لم ينــل مــراده إلا مــن فــك التمــساح

ليــتنى أرى ذلــك اليــوم الــذى تــصبح فيــه ســاحة إيــران

مزينــة مثــل كتــاب مــانى بيركــة عظمــة الفــضلاء

معمــل مــن أجــل البحــث والتنقيــب فى كــل مــنجم

محطــة ســكة حديــد فى كــل فرســخ

وأفــراد كلــهم أصــحاب حرفــة وعــزة وكرامــة

يخجلــون مــن البطالــة والتقــاعس

يترلــون قــاع أى بئــر وفى بــاطن الأرض

ويـــــصعدون أعلـــــى أى قـــــعر وقمـــــة بـــــرج الــــسرطان[1]

يزرعـــــون الأراضـــــى ويعمـــــرون الــــصحارى

يـــــشدون الرحـــــال إلى أى قريـــــة مهمـــــا كانـــــت ضـــــيقة

إن الرجـــــال والنـــــساء يحفظـــــون الحكـــــم مـــــن أقـــــوال "بهـــــار"

بـــــدلاً مـــــن الأقـــــوال العربيـــــة والروايـــــات الأوربيـــــة

لتـــــدم الحكومـــــة الدســـــتورية مـــــا دامـــــت الحيـــــاة

إن جيـــــشنا هـــــو الغالـــــب وملكنـــــا ذو قبـــــضة نحاســـــية

وفى ذى الحجة سنة١٣٢٩، حيث قدّمت الحكومة الروسية القيـصرية إنـذارًا شديد اللهجة لإيران وبدأت الثورة، نظم بهار هذا المسمط فى مدينة مـشهد ونـشره فى صحيفة "نوبهار":.

إيران ملك لكم

هبـــــوا أيهـــــا الإيرانيـــــون فـــــإن إيـــــران فى محنـــــة وبـــــلاء

فقـــــد وقعـــــت مملكـــــة داريـــــوش لعبـــــة فى يـــــد نيكـــــولا

إن قلـــــب مملكـــــة الكيـــــانيين قـــــد ســـــقط فى فـــــم التـــــنين

فـــــأين الغـــــيرة علـــــى الإســـــلام وأيـــــن الإحـــــساس بالوطنيـــــة ؟

أى تخـــــاذل هـــــذا أيهـــــا الإخـــــوة النجبـــــاء ؟

إن إيـــــران ملـــــك لكـــــم، إيـــــران ملـــــك لكـــــم

لقـــــد هـــــبّ الـــــصليب وقـــــام مـــــرة ثانيـــــة للانتقـــــام مـــــن الإســـــلام

(١) برج السرطان كناية عن السماء .

وأطلق الخصمان الشمالى والجنوبى صرخة مخيفة

روح الحضارة على حافة آية ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ﴾ (1)

دين محمد يتيم ودولة إيران غريبة

وصلاح أحوالنا فى يد هذا اليتيم وتلك الغريبة

إيران ملك لكم، إيران ملك لكم

لقد رفعت دولة الروس فى الشمال راية الحقد والضغينة

وسعت لمحبو الدين المبين وإفساد الهمة

وبذرت فى الأرض الإيرانية بذرة العداوة والبغضاء

وهى تمهد الطريق للاستيلاء على إيران بعد ذلك

والآن وجب إظهار الرجولة والبطولة

فإيران ملك لكم، إيران ملك لكم

كم من حيلة احتال بها الأعداء علينا

وكم من مرة تآمروا على دولة إيران

كم من مرة تلاعبوا بنا كالأفيال الهائجة

كم من مرة اعتدوا على شرفنا

فاقطعوا أيديهم لو عندكم ذرة من الحمية

فإيران ملك لكم، إيران ملك لكم

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النمل ، من الآية ٦٢ .

وفى سنة١٣٢٩هـ ق، حيث كان حاجى صمد خان شجاع الدولة قد سيطر على أذربيجان بمساعدة الحكومة الروسية القيصرية، نظم الشاعر هذه القطعة فى مواساة أحرار أذربيجان ونشرها فى صحيفة نوبهار :

فى ذكرى أذربيجان

تحركى ليلاً يا رياح الصبا من المشرق
وهبّى على أذربيجان فى الصباح
مرّى من فوق جبلها " سهند "
وعطرى منخفضاتها ومرتفعاتها بالعبير
تبخترى على ساحل نهرها " سرخاب "
وأرسلى لها السلام من عين المشتاقين
اجعلى غبار واديها تاجًا للرؤوس
وبللى ثراها بدموع العين
على كل حجر رأيت عليه رسومات العشق
وكل ذرة تراب شممت منها رائحة الدم
ابكى وانتحبى على ذلك الحجر الأسود
وقبّلى نيابة عنا ذلك التراب الوردى
ومرى بعد ذلك صوب معبد آذرگشسب
وفى ذلك المعبد ضعى التراب على الرأس
وعندما تمرين فى ذلك الإيوان المطموس

روح كيقباد وروح كاووس

قولي لهم أيها الملوك العظماء

يا من أنتم جديرون بالتاج والعرش

ليس هذا هو إقليم أذربيجان

الذى كان اسمه المبارك " عتبة الملوك "

ملوك أكباتان واصطخر

كانوا يبحثون عن العزة والفخر من هذا الباب

كانوا يخرجون مرة واحدة كل عام

كانوا يأتون إلى هذه الأرض للتعبد والتضرع

في عهد كورش كان هنا مقر الجيش

وكان هنا مركز الاستطلاع ومعسكر الملك

والآن بسبب لعبة الملك ووزيره

أراها أسيرة في قبضة المتمردين

فقد التوى ذراعها القوى

وسقطت قامتها الطويلة على الأرض

وانتشرت الخيانة على أرضها

وتخضب جسمها الرقيق بالدم

وصار علماؤها مجرد زينة

وأصبح غيورها أذلاء أمام المذنب والضيع

واقتلعت مخالبها مرة واحدة

وأصيبت أرضها منبع الرجال بالعقم

فيما عدا دم شبابها النجباء

لا تخرج الشقائق فيها من أرض الأمل

فيما عدا دم قلبها الحزين

لا ترى أى أثر للغيرة على أرضها

....

لينشق الجبل إذا كان مكان النمر

ثعلب أعرج يقفز على الحجر

لتحترق الروضة إذا كان مكان العصفور

جبارى يجلس على غصن شجرة السرو

ومرّى يا رياح الصبا من هناك إلى ناحية الرىّ

وأخبرى الوزراء بأمرك

وقولى لهم أسعد الله قلوبكم الحزينة

وأنزل على أرواحكم الطاهرة مئات الرحمات

لقد استغفلتم الشعب رجالاً ونساءً

وحزمتم حقائبكم وأمتعتكم

وأضعتم المملكة التى كانت الشمس

قد طلعت عليها منذ عهد جمشيد

لـــــــو تــــــــصير إيـــــــران روضــــــــة الجنــــــــان
فإنهـــــــا لــــــــن تــــــــرى مثـــــــل أذربيجـــــــان
لقــــــــد جعلــــــتم هــــــــذا الملــــــك معيوبًــــــا
ليعطـــــــيكم اللــــــــه الجــــــزاء فقــــــد أحــــــسنتم

ونظم هذا المستزاد أيضًا فى مشهد عام ١٣٢٩هـ ق، عندما كانت الأمة الإيرانية لا تزال خائفة من ثقافة العالم المتمدن، وكان أصحاب الأفكار الجديدة يواجهون عصا التكفير، وقد نشره فى صحيفة "نوبهار" :

نحن السبب ولا أحد غيرنا

هــــذا الــــدخان الأســـود الـــذى خـــرج مــــن سمـــاء الـــوطن .
نحــــــن الــــــسبب فيــــــه ولا أحــــــد غيرنــــــا
وهــــذه الــــشعلة الحارقــــة الــــتى صــــعدت مــــن الــــيمين واليــــسار
نحــــــن الــــــسبب فيهــــــا ولا أحــــــد غيرنــــــا
لــــو بلغــــت الــــروح الحلقــــوم لا نــــشكو مــــن الغــــير
ولا نلــــــــــــــوم الآخــــــــــــــرين
نــــشكو مــــن أنفــــسنا فهنــــا لــــب الموضــــوع
نحــــــن الــــــسبب ولا أحــــــد غيرنــــــا
عنــــدما نؤيــــد شخــــصًا مــــا نجــــيّش لــــه الجيــــوش
بــــــــــــــالقلانس والتيجــــــــــــــان
وإذا اختلفنــــا مــــع أحــــد الملــــوك نتركــــه وحيــــدًا بمفــــرده

نحن السبب ولا أحد غيرنا
نحن شجرة سنار قديمة فلا نئن من الريح
ولنفتخر على الأرض
ولكن ماذا نفعل، فنارنا فى داخلنا
نحن السبب ولا أحد غيرنا
لو أن الإسلام فى هذا العصر ذليلاً وضعيفًا
فالسبب فى ذلك هؤلاء القوم الشرفاء
لا الجرم من عيسى ولا التعدى من الكنيسة
نحن السبب ولا أحد غيرنا
عشر سنوات ونحن نقول ونسمع فى مدرسة واحدة
حتى إننا لم ننم بالنهار
واليوم رأينا أن هذا كله ألغاز
نحن السبب ولا أحد غيرنا
نقول إننا استيقظنا فأى خيال هذا
ما هى يقظتنا هذه
إنها يقظة طفل يحتاج إلى المدهدة
نحن السبب ولا أحد غيرنا
ننفر من الكيمياء والجغرافيا والتاريخ
ونبتعد عن الفلسفة
وهناك ضجة فى كل مدرسة بسبب كثرة الجدل

نحـــــــن الـــــــــسبب ولا أحـــــــــد غيرنــــــــا

ويقولـــــون إن بحـــــار عاشــــق للغــــرب بروحــــه وقلبــــه

أو كـــــــــافر يحـــــــــب محاربتـــــــــه

نحـــن لـــن نبحـــث فى تلـــك النقطـــة فهـــى واضـــحة

نحـــــــن الـــــــسبب ولا أحـــــــد غيرنـــــــا

ونظم فى خراسان عام ١٣٢٨هــ ق، هذه القصيدة التى خاطب فيها السير إدوارد جراى[1] وزير الخارجية الإنجليزى، ونشرها فى صحيفة حبل المتين الصادرة فى كلكته[2]، وقد دار الحديث فى هذه المنظومة عن معاهدة ١٩٠٧ الروسية الإنجليزية بشأن تقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ، ومد خطوط السكة الحديد فى كل أنحاء إيران برأسمال أجنبى، وتعتبر أشهر قصيدة سياسية فى ذلك العصر :

هدية انتقادية لجناب السير إدوارد جراى :

لـــتمض يـــا نـــسيم الأســـحار الطـــاهر إلى لنـــدن

وأبلـــغ الـــسير إدوارد جـــراى رســـالة مـــنى

فقـــل لـــه أيهـــا الـــوزير العاقـــل يـــا مـــن لم ينجـــب العـــالم

وزيـــرًا ذكيـــا وفنانـــا مثلـــك

إن خطـــة بطـــرس بجانـــب فكـــرك نقـــش علـــى المـــاء

(١) Sir Edward Grey .

(٢) ذكر تاريخ نظم القصيدة فى المجلد الأول من ديوان الشاعر عام ١٢٨٩ ش (١٣٢٨ هــ ق) ولكن ذكره براون فى " تاريخ إيران " ١١ نوفمبر سنة ١٩١٢ م، والذى يوافق ذى الحجة سنة ١٣٣٠ هــ ق، وأنا لا أعلم أيهما أصح .

ورأى بيـــــــــسمارك بجانـــــــــب رأيـــــــــك ســــــــــراب

لـــــــو لم يعـــــــر جـــــــيش نـــــــابليون مـــــــن "تولـــــــون"

لكـــــــان اسمـــــــك ظـــــــاهرًا فـــــــوق الأهرامـــــــات

لامتلكـــــــت "بـــــــاريس" ولـــــــولا التزامـــــــك بالمعاهـــــــدة

لـــــــسافرت نحـــــــو منطقـــــــة "الـــــــزاس- لـــــــورين" للجنـــــــود الألمـــــــان

لـــــــو كانـــــــت إنجلتـــــــرا طلبـــــــت منـــــــك المـــــــدد في أمريكـــــــا

لكنـــــــت قطعـــــــت طريـــــــق القتـــــــال إلى واشـــــــنطن

لـــــــو كنـــــــت بقـــــــدرتك رفيقـــــــا لكوماندرتـــــــشيف[1]

كنـــــــت قطعـــــــت طريـــــــق الهجـــــــوم الـــــــشديد علـــــــى البـــــــوير[2]

لـــــــو كنـــــــت أنـــــــت الـــــــزعيم الروســـــــي الـــــــذي يحكـــــــم في منـــــــشوريا

مـــــــا هُـــــــزم جـــــــيش كروبـــــــاتكين[3] مـــــــن اليابـــــــان

لـــــــو كـــــــان فكـــــــرك في رأس عائلـــــــة مانـــــــشويار

مـــــــا تجـــــــرأ الثـــــــوار علـــــــى الملـــــــك

إذا كـــــــان ســـــــوء تـــــــدبيرك ســـــــيحيق بـــــــإيران

فلـــــــن تمـــــــضى هـــــــذه الأنـــــــات وتلـــــــك الآهـــــــات دون أثـــــــر

مثلمـــــــا أنـــــــه عنـــــــدما تظلـــــــم الـــــــدنيا علـــــــى الرجـــــــل

لا يـــــــصدر منـــــــه أى عمـــــــل مفيـــــــد أو مـــــــؤثر

---

(١) Commander – in – Chief .

(٢) Boers سكان جنوب أفريقيا الهولنديون الأصل الذين حاربوا الإنجليز بشجاعة .

(٣) الجنرال الروسي الذي هُزم في الحرب ضد اليابان (١٩٠٤) .

بـــرغم كـــل هـــذا العلـــم فإنـــك للأســـف مثـــل الحمقـــى

فعلـــت ذلـــك العمـــل الـــذى لـــن تنـــال منـــه إلا الحـــسرة

ففككـــت عقـــدة الهنـــد فى مائـــة عـــام

وفتحـــت البـــاب أمـــام الـــروس ولم تخـــف مـــن التـــشرد

ربيـــت ابـــن الـــذئب فى حـــضنك وهـــذه الـــسياسة

ليـــست إلا نتيجـــة الجهـــل والغفلـــة

تمنيـــت حليفـــا ذكيـــا فى لحظـــة غفلـــة

وطأطـــأت رأس التـــسليم، مـــا أحلـــى العنـــاد !

إن هـــذه الاتفاقيـــة الـــتى عقـــدتها مـــن قبـــل مـــع الـــروس

هـــى غـــبن وإجحـــاف ولكنـــك لم تـــدرك ذلـــك لأنـــك قـــصير النظـــر

فقـــد مهـــدت أنـــت نفـــسك الطريـــق أمـــام الخـــصم

للوصـــول إلى التبـــت وإيـــران وأفغانـــستان

وفتحـــت الطريـــق مـــن الموصـــل إلى زابـــل

واستـــسلمت مـــن طريـــق التبـــت إلى هـــراة

ومنـــذ ذلـــك الحـــين كـــان لابـــد مـــن وجـــود نـــصف

مليـــار جنـــدى بحـــرى وبـــرى لحمايـــة هـــذه الطـــرق الثلاثـــة

وإذا كانـــت النفقـــات أكثـــر مـــن عوائـــد الهنـــد

فإنـــه فى النهايـــة لا عائـــد ســـوى حـــسرة القلـــب

إن الـــضرر الـــذى لحـــق بـــإنجلترا مـــن جـــراء هـــذه المعاهـــدة

لم تعلمـــه أنـــت ويعلمـــه البـــدوى والحـــضرى

لن تكون إيران وحدها تحت قبضة الروس

بل سرعان ما يلحق الدمار بكل من بلاد الأفغان وكاشغر

وإن تقل بأن الروس لن ينقضوا الاتفاقية

فاذهب وتصفح التاريخ كى ترى العجب

فلا احترام للمعاهدات أمام أى مكسب سياسى

إننى لا أقول هذا من تلقاء نفسى بل إن هذه هى طبائع البشر

لا سيما وأن الروس مغرمون بالهند

كالصقر المهووس بطائر القطا الكبير

وإلا لماذا أطلق الروس القوزاق ولبسوا

تاج الظلم فى إيران بإشارة واحدة

وقادوا كل هذا الجيش بلا سبب

إلى خراسان التى هى أعظم الطرق المؤدية إلى الهند

لماذا أشعلوا الفتنة ولماذا فى آخر الأمر

فعلوا أمرًا غير مقبول وكأنه عمل عظيم مشهور

لقد انتشرت جحافل الروس ما بين تبريز وسرخس

وتدفق أكثر من عشرين ألف جندى إن كنت تحسن العد

احذر فإن منطقتنا من الشرق إلى الشمال أمان

فلماذا يظل الجيش الروسى هكذا خالى الوفاض

فلو أن لهم فائدة، سيرسلون هذا الجيش

المختار على رأسه مائة من المشاهير

فسفرهم إلى الهند وأمنيتهم الهند

يريدون الهند، نعم المتنعمون الخزريون

خاصة إذا صممت على مد خط السكة الحديد

من طريق روسيا إلى ناحية الهند

فإن خط السكة الحديد يقرب الطريق إلى العدو

حتى لا تسلك بعد ذلك طريقًا بكل هذه الخطورة

فقد كان سدًا إيرانيًا عظيمًا فى طريق الوصول إلى الهند

ويا للعجب فقد أزيل هذا السد العظيم

اللعنة على العناد فإنه قد كشف الأمور

وظهر الوجه المزين بالفضل على حقيقته

بالعناد والغرض فعلت الشيء الذى سخر

منه العرب البدو والترك التاريون

خسارة أن تؤجر فكرك العالى ورأيك السديد

بدون فائدة فى هذه القضية

ما أجمل فكرك العالى المزين هذا !

ما أعظم سياستك القديرة الحكيمة هذه !

وهذه الأغنية أيضًا من نظم بهار، والتى قد نشرت فى صحيفة "نوبهار" فى ذى الحجة عام ١٣٢٨هـ ق :

فى مقام الأفشارى

١

لا أعلم لماذا أصبحت خربًا - يا وطنى
لماذا صرت معسكرًا للجيش الأجنبي - يا وطنى
لقد كنت يا وطنى العزيز شمعة تجمعنا – فلماذا
صرت فراشة لشمعة الآخرين - يا وطنى (مكرر)
أنت وطنى العزيز، أنت زهرة الروضة
لماذا مُحيت بهذه المهانة وصرت أسطورة – يا وطنى

٢

ما أحلى ذلك اليوم الذى كنت فيه سعيدًا ضاحكًا – ياوطنى
فقد حطمت أسنان العدو وكسرت مخالبه- يا وطنى
كنت مرفوع الرأس، واحسرتاه واحسرتاه- يا وطنى
فقد سقطت الآن فى دائرة العجز والذل- يا وطنى (مكرر)
الأمان الأمان، الغوث الغوث
فقد أصبحت خربًا بسبب ظلم الأعداء- يا وطنى

٣

وطنى العزيز، وطنى العزيز، يا وطنى العزيز
أنت شفاء صدرى ودواء قلبى المحترق
أنت أمى المظلومة الباكية المضطربة
أنت هربيتى ومهدى الهزاز (مكرر)

أنـــــــت أمـــــــــى الحنـــــــون رفيقـــــــة الــــــــروح
لمــــــاذا صـــــرت غريبًـــــا عـــــن أولادك؟ يـــــا وطــــــنى

٤

إن أنـــــواع الظلــــم تـــــأتى إلينـــــا مــــن الــــــروس والإنجليــــز
والأحــــــزان والآلام تهجـــــم علينـــــا مـــــن كـــــل جانــــــب
لقــــد وضــــعوا أقــــدامهم فى أرضــــنا للانتقـــــام وبـــــرغم ذلـــــك
يمنــــون علينـــا ويطلبــــون منـــا الـــشكر أصـــحاب الأقـــدام الـــشؤم (مكـــرر)
إن كـــــانوا يعقـــــدون المعاهــــــدة فلمـــــاذا يخبنـــــون ؟
لقـــد صـــرت بـــسبب هـــذه المعاهـــدة بـــلا قيمـــة- يـــا وطـــنى!
لقـــد أصـــبحت خربًـــا يـــا وطنى،أصـــبحت خربًـــا يـــا وطـــنى!

٢ – أديب الممالك

يعتبر أديب الممالك الفراهانى أستاذًا آخر من أساتذة عصر اليقظة والذى أدرك العهد الدستورى.

ولد ميرزا محمد صادق أميرى بن حاجى ميرزا حسين وحفيد ميرزا معصوم المتخلص بمحيط (شقيق ميرزا أبو القاسم قائمقام الوزير المعروف للملك محمد شاه قاجار وله ديوان ورسائل) يوم الخميس ١٤ محرم سنة ١٢٧٧هـ ق، بقرية جازران إحدى القرى التابعة لمدينة أراك.

وبينما لم يتجاوز أميرى الخامسة عشرة من عمره توفى والده سنة ١٢٩١هـ ق، وانفرط عقد أسرته، وفى سنة ١٢٩٣هـ ق، حضر إلى طهران نتيجة ضغط الدائنين

واعتداءات الأمير عبد الحميد ميرزا ناصر الدولة حاكم ورئيس جيش أراك، وتعرّف بعد فترة إلى الأمير طهماسب ميرزا مؤيد الدولة، وكذلك حس نعلى خان أمير نظام جروسى والذى كان آنذاك وزيرًا للطرق، وقد حوّل تخلصه من پروانه إلى أميرى نسبة إلى اسمه وذهب بصحبته إلى كرمانشاه فى سنة ١٣٠٩هـ ق، وظل معه فى كرمانشاه حتى عام ١٣١٣هـ ق، حتى عاد إلى طهران فى آخر نفس هذا العام .

وفى ربيع الأول عام ١٣١٤هـ ق، لقبه مظفر الدين شاه بلقب أديب الممالك[1]، وفى ذى القعدة من نفس العام حيث عُين أمير نظام حاكمًا لأذربيجان سافر معه إلى تبريز وفى عام ١٣١٦هـ ق، أصبح مساعد ونائب رئيس المدرسة اللقمانية بتبريز .

وفى بداية عام ١٣١٨هـ ق سافر إلى القوقاز ومنها إلى خوارزم وعاش فترة عند محمد خان خان خيوه، وانتقل من هناك إلى مشهد وعاش فى مشهد حتى عام ١٣٢٠هـ ق، وحضر إلى طهران بعد ذلك ربما فى آخر ذلك العام أو فى بدايته وكان فى عامى ١٣٢١ و ١٣٢٢هـ ق، أكبر وأهم كاتب فى صحيفة " إيران سلطانى ".

وفى عام ١٣٢٣هـ ق، سافر إلى باكو وهناك تعاون مع صحيفة "إرشاد" التركية فكان ينشر ملحقها بالفارسية.

وفى شعبان عام ١٣٢٤هـ ق، حيث افتتح مجلس الشورى الوطنى كان فى طهران وتولى منصب رئيس تحرير صحيفة "مجلس" والتى كان قد أسسها ميرزا محمد صادق طباطبائى.

---

(١) كان حتى ذلك الوقت يُلقب بأمير الشعراء .

وفى عام ١٣٢٧هـــ ق، دخل طهران مسلحًا ضمن المجاهدين الفاتحين وعمل بعد فترة بوزارة العدل ومنذ هذا التاريخ بدأ هجومه على إدارات ورؤساء وزارة العدل، ولكن برغم اشتغاله بالشعر وقبوله العمل بالجهاز الحكومى فقد كان عمله الأصلى هو الكتابة الصحفية وقد نشرت صحف عديدة بقلمه سواء قبل الحكومة الدستورية أو بعدها وطبعت معظم أشعاره فى نفس هذه الصحف أيضًا(١).

وفى عام ١٣٣٥هـــ ق، تعرض أميرى لأزمة قلبية عندما كان مندوبًا لوزارة العدل فى يزد، فانتقل إلى طهران وتوفى بها يوم الأربعاء ٢٨ ربيع الثانى من ذلك العام، وهو فى الثامنة والخمسين من عمره(٢).

نُشر ديوان أديب الممالك فى طهران فى شهر آبان عام ١٣١٢ش، باهتمام وحيد دستجردى وبتصحيحاته وحواشيه، ويقع هذا الديوان فى ٧٥٠ صفحة، ويشتمل على مجموعة كبيرة من القصائد والقطع والفكاهيات والتركيب بند والهجائيات اللاذعة التى قد نظمها الشاعر بقصد الانتقام من معارضيه.

---

(١) الصحف التى نشرت بقلم أديب الممالك على النحو التالى :
صحيفة "أدب" الأسبوعية بخط التعليق وطباعة حجر وتتضمن صور علماء وعظماء العالم ومقالات علمية بقلم الطبيب خنفلى خان قائممقامى وأشعار أديب نفسه، تبريز، ١٣١٦ هـــ ق .
صحيفة "أدب" الأسبوعية بخط النسخ وطباعة حجر، مشهد، ١٣١٨ هـــ ق .
صحيفة "أدب" الأسبوعية ، طباعة حجر، طهران، ١٣٢٢ هـــ ق (هذه الصحيفة قام أديب الممالك بتسليمها بعد فترة قصيرة لمجد الإسلام الكرمانى وسافر هو إلى باكو) .
" عراق عجم " الناطقة باسم رابطة تحمل نفس الاسم، طهران، ١٣٢٥ هـــ ق .
(٢) ذكر تاريخ وفاة أديب الممالك فى جميع المصادر عام ١٣٣٦هـــ ق، ولكن الأصح بالتأكيد هو قول محمد القزوينى الذى كتب تاريخ وفاته عام ١٣٣٥هـــ ق، مع ذكر اليوم والشهر والسن، ويمكن الرجوع إلى مذكرات العلامة القزوينى، مجلة يادگار،السنة الثالثة،العدد الثالث،آبان ١٣٢٥ش.

ويعتبر أميرى شاعرًا قديرًا جدًا فى أنواع الشعر (فيما عدا الغزل الذى لم يوفق فيه) وبصفة خاصة فى نظم القصيدة، وهو يتتبع الأساتذة القدامى فى أسلوب النظم ويسير على نفس نهج قاآنى وسروش فى عصر التجديد الأدبى والذى يبدأ بنشاط الأصفهانى وصبا الكاشانى وينتهى به هو نفسه .

وكان يبدأ الشعر أيضًا بالمدح مثل أسلافه، وقد نظم قصائد طويلة يغلب عليها التملق فى وصف أمراء وأركان عصره بهدف الحصول على المكافآت والجوائز وتوفير نفقات الحياة، فمثلاً فى القصيدة التى نظمها فى السادس من صفر عام ١٣٠٨هـ ق، بمناسبة عيد ميلاد ناصر الدين شاه، مدح بهذه الأبيات مظفر الدين ميرزا ولى العهد الذى كان معروفًا بالجبن والعجز:

من هيبتك يلين الحجر الصوان
مثلما لان الحديد فى يد داود
تستطيع بقدرتك أن تدحرج القمر من السماء
مثلما أسقط فرهاد جلمود من جبل بيستون

وفى ختام القصيدة طلب الجائزة بهذه العبارة :

إننى قد نظمت هذه القصيدة وفقًا للقوافى التى قالها
أبو الفوارس فى مدح مغيث الدين محمود
فأعطاه ألفًا وخمسمائة دينار ذهبًا أحمر
مع مائتين من الإبل تحمل المتاع والنقود

ولم يفقد أميرى الخاصية الأساسية لشعره وهى نظم القصيدة حتى بعد الثورة الدستورية وإطلاق الحرية، حيث دخل فى صراعات سياسية وصحفية ووجد ميدانًا جديدًا لنشاطه.

وفى هذه الفترة التى وضع فيها قدمه على طريق الكتابة الصحفية عُرف كرجل تحررى متجدد يمدح ظهور الثورة ويرحب بافتتاح المجلس وينتقد القوانين القديمة، ويحاول أن يرسخ الأفكار الوطنية فى الأمة وأن يتحدث بصدق وإحساس عن حالة البؤس والعجز التى يعانى منها الفلاحون الإيرانيون، ولكن ربما كان هيكل وبناء شعره غير مؤهل لهضم وتحليل المعانى والمضامين الجديدة.

ويعتبر أديب الممالك رجلاً أديبًا بكل معنى الكلمة متبحرًا بشكل غير عادى فى اللغتين الفارسية والعربية مُلمًا بالأدب والتاريخ والقصص والروايات العربية والفارسية، ولكن هذه الإحاطة باللغة العربية والتبحر فى العلوم التى كان القدامى يرون أن معرفتها أمر لازم وضرورى لأى أديب وخاصة عشقه للألفاظ المبتكرة فى كتب القواعد، والتى يعتبرها جزءًا من معلوماته ويستخدمها فى أشعاره بتكلف شديد، كانت قد أبعدت قصائده ومدائحه بل وأشعاره السياسية أيضًا – برغم أنها أسهل من أعماله الأخرى – عن دائرة فهم العوام.

وينتقد أميرى الأسلوب الشعرى القديم ويسأل الشعراء والأدباء :

أيها الشعراء إلى متى تقصرون أفكاركم
على ليمونة الثدى المثمرة وتفاحة الذقن !
أيها الأدباء إلى متى تأخذون المعانى الجوفاء
لتصيغوا منها أبجد وكلمن (كلمات لا معنى لها)!

ومع هذا فإنه لم يتجاوز مرحلة أخذ المعانى الجوفاء لصياغة الكلمات التى لا معنى لها، ليس هذا فحسب بل إنه نسج شعره بكلمات من اللغات الأخرى مثل أونيورسته (جامعة) وفاكولته (كليّة) وراديكال (راديكالى) وهو ما لم يكن بالطبع فى صالح نزعته التجددية.

ونقل فيما يلى على سبيل المثال أبياتًا من قصائد أميرى ومقاطع من أشعاره الوطنية والسياسية :

إن صـــــلاة المغــــــرب الــــــتى قـــــد أضـــــاءت خيمـــــة

الليـــــــــل الـــــــــسماوية بقنـــــــديل النجـــــــــوم

تـــــــشبه العـــــــرائس الجـــــــدد وقـــــــد ربطـــــــن

عقـــــــــد اللؤلـــــــــؤ المثقـــــــوب فى أعنـــــــــاقهن

أو مثـــــــل حريـــــــر أزرق اللـــــــون مُـــــذهّب تمامًـــــا

بُـــــــسط بـــــــصورة متعمـــــــدة علـــــــى محـــــــراب

أو مثـــــــل خيـــــــمة نـــــــصبت بالمـــــــسامير الذهبيـــــــة

ورُبطـــــــت بالأحبـــــــال المـــــــسكية

أو مثـــــــل لـــــــوح مـــــــسكى كُتبـــــــت عليـــــــه

عـــــــدة ســـــــطور عربيـــــــة بـــــــالقلم الـــــــذهبى

أو مثـــــــل طـــــــست مقلـــــــوب فـــــــيروزى اللـــــــون

ممتلـــــــــئ بـــــــــالجواهر المتنوعـــــــــة .

وقد نُشر هذا المسمط أول مرة عام ١٣٢٠هـــ ق، فى صحيفة "أدب" طبعة مشهد (السنة الثانية، أعداد ٢٦، ٢٩، ٣٠) :

اخفض أيها الجمّال واربط الهودج

فإن راية كاوة كانت تلوح فى أفق السماء العالية

لقد انطلق صوت طائر القُبرة من بين أغصان الشجر

وزادت حسرتي من طول السفر

امض سريعًا ومُر من نهر سماوه

وانظر فى عيني إلى بحيرة ساوة

وسيظهر من صدرى معبد پارس المتوهج بالنيران

نحن الذين أجبرنا الملوك على دفع الخراج

بعد أن سلبناهم التيجان وزينة الملك

نحن الذين استولينا على العروش ومقاليد الحكم

وأغرنا على الأموال والذخائر

ونزعنا عن أجسادهم الديباج والحرير

بلى نحن الذين سلبنا البحر أمواجه

ولم نخف من طوفانه وتياره

عم الصراخ والعويل فى الصين والختن هيبة منا

وساد الاضطراب مصر وعدن هلعًا من جبروتنا

وكانت قدرتنا واضحة للعيان فى الأندلس والروم

وتحت إمرتنا خضعت غرناطة وأشبيلية

وفى كنف رايتنا التجأت صقلية واحتمت

وجعل القضاء أوامرنا الملكية المباركة

سارية فى الأرض وكذلك الأفلاك الثابتة والسيارة

لقد وطأنا الأراضى العربية من أقصى المشرق

وانطلقنا إلى أفريقيا من ناحية الغرب

ونقلنا البحر الشمالى إلى المشرق

ونشرنا الغبار على الفلك من البحر الجنوبى

وأخذنا الهند من يد الهندى والختن من التركى

ونحن الذين أوصلنا من الثرى إلى الثريا

اسم الفن وعادة الكرم عن جدارة واستحقاق ...

ولكننا اليوم أصبحنا أسرى الهموم والمحن والأحزان

كمن يضرب أخماسًا فى أسداس

وهكذا سيطر علينا النواح والحسرة فى هذه الدنيا الفانية

وبقينا مشوشى الفكر ومبعثرين كخصلة العروس

لقد أحرقنا أمتعتنا وأضعنا كنوزنا

ثم وقفنا نزن القافية فى الحزن والفرح

حيث تنوح بومتنا فى كل خرابة ويصدح بلبلنا فى كل روضة

....

قمرك وصل إلى مرحلة المحاق وملكك دُفن فى غرى[١]

الورد والريحان رحلا عن حديقتك

---

(١) القمر كناية عن الزهراء، والملك كناية عن سيدنا عليّ، والذى دفن فى غرى (التى يُنسب إليها الغروى) النجف حاليا .

وجاء الحزن من السفر وسافرت السعادة
وتجرأ المجنون على ديوانك
وانتقل ذلك الشيطان المشئوم إلى خيمة الملاك
وقميص النسرين الندى كورق الورد
قد تخضب بدماء القلب وتمزق بظلم الشوك
لقد قطعوا منقار طيور البساتين
ومزقوا طومار أوراق الرياحين
وأطلقوا الأبقار المشرهة لترعى فى الروضة
وركضت الذئاب كثيرًا خلف يوسف
حتى جذبوه فى آخر الأمر إلى السوق
فباعه الرفاق واشتراه الأغيار
آه من البائع وا أسفاه على المشترى !
وا أسفاه فقد غمر الماء هذه المزرعة
وغط فى النوم هذا الفلاح المنكوب
وتلوّن دم قلوبنا بلون الخمر الصافية
وانحنت قامتنا من حرارة الحمى
ووجه الفن أصبح كالليل المشوب ببصيص القمر
وعيون العقل أسدلت عليها ستائر حمراء
وأصبحت الثروة غير ذات قيمة وأضحى الصحيح سقيمًا
لقد صعدت سحابة غطت السماء

وأظلمت الجو بدخانها وشررها

وأشعلت النار فى سكان الأرض والسماء

وأحرقت السموات العلا والأراضين السفلى

فياللـه عليك يا وسيط رحمة الحق

ابعد عن هذه البلاد طوفان البلاء

وامسح هذه السحابة الحارقة

وعندما وصل خبر موت باولوس كروجر رئيس جمهورية ترانسفال[1] إلى طهران، نظم أميرى هذه القصيدة ونشرها فى العدد السادس والثلاثين من صحيفة "أدب" بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٢٢هـ ق :

أيتها الشجرة المثمرة ما حييت على ظهر الأرض

لا تقطعى العلاقة والصلة بهذه البلاد

إن هذا الوطن الذى يريده العدو، وأشعل

نار الاعتداء فى سلالتك من أجله ؛ بمثابة الأم لك

فإذا كان عندك شىء من العلم والغيرة والشرف

فلا تقبل أن تكون أمك فى يد العدو

لكى لا يأسرك وينتصر عليك

اكسر عنقه وقامته وتحرر من هذا القيد

---

(١) Paulus Kruger (١٨٢٥ – ١٩٠٤ م) الذى دافع عن ترانسفال برجولة ضد الإنجليز .

وإلا فإنه إذا ضاع الشرف ضاعت السمعة

وإذا تشتتت الأسرة ضاع البيت

وإذا ضاع البيت أقسم بحياتك

لن يبقى فى القرية مكان لبيت الله

سيحزن مثل "كروجر" على الوطن المعوج

كل من لا يأخذ العبرة من حزنه على وطنه

الرحمة أيها البستانى فمن نار الظلم

احترقت كل شجرة مثمرة فى الحديقة

أوصل ذيل الصين بمدينة بطرسبورج

وربط عنق مملكة الهند بايرلندا

التخفى الإنجليزى والاستعباد الروسى

وصارت حسناء كشمير هى عروس سمرقند

لقد قامت القيامة فى العالم وأنت نائم

لنفرض أن نومك موت فإلى متى ؟

انهض فإن فى مخزنك لصًا مجرمًا

وقد ملأ حجره بالذهب وحضنه بالفضة

اذهب وفكر فى المستقبل واترك الماضى

فمتى كان المستقبل مثل الماضى ؟

انظر إلى "كروجر" وكيف اقتلع

معول الأيام غصن أمله من الحياة

كـــل نفـــس مـــن أنفاســـه أحـــدث جروحًـــا جديـــدة بالقلـــب
حـــــتى إن دورة دى واســـــفند صـــــارت قديمـــــة
ســـــلّم علـــــى حالـــــه بـــــشفاه مبتـــــسمة
وودّع روحـــــه بقلـــــب ســـــعيد
التـــــراب فى عينيـــــه هـــــو الـــــذهب والجـــــواهر
والـــــسم فى فمـــــه هـــــو العـــــسل والـــــسكر
إنـــــه يبكـــــى ويـــــئن علـــــى وطنـــــه
مثـــــل بكـــــاء يعقـــــوب لفقـــــدان ولـــــده
والآن يـــــا أخـــــى ضـــــح أنـــــت أيـــــضًا مثـــــل "كروجـــــر"
فى ســـــبيل الـــــوطن وتعلـــــق بحـــــب الـــــوطن
تقـــــدم وضـــــع متاعـــــك تحـــــت قـــــدم العنقـــــاء
حـــــتى لا تغـــــرى الغـــــراب الأســـــود بهـــــذه الوليمـــــة
إن وطننـــــا هـــــو شـــــعاع النـــــور الإلهـــــى
وقـــد قـــرأت هـــذا الحـــديث عـــن الـــنبى ومـــن كتـــاب الزنـــد[1] أيـــضًا
إن قلـــــب المـــــؤمن يـــــشتعل بحـــــب الـــــوطن
كاشـــــتعال النـــــار فى المبخـــــرة
وقلـــــب الونـــــد يخـــــرج منـــــه الـــــدخان الأســـــود
إذا مـــــا احتـــــرق الـــــوطن أســـــفل منـــــه

(١) الزند : تفسير للكتاب الزرادشتي المقدس وهو الأفستا .

ولو قرأت هذا الحديث على جبل دماوند
فإن عظام هذا الجبل ستصبح ماءً
إن الباغية لا تنسى بيتها قط
إذن فاعلم أن الشخص الذى لا يهتم بوطنه أحقر منها

الملك والوزير

سمعت أن ملكًا كان يقول لوزيره
إن العلم والفضل هما مفتاح خزانة الفن
والشجرة المرّة من الممكن أن تثمر إذا وجدت الرعاية
مثلها مثل أشجار الفواكه المسكرة فى البستان
فقال الوزير إن الطبع هو الذى يجب مدحه لأن
إعطاء المرآة للأعمى جهد بلا نتيجة
وقطعًا لا يوجد حرفى يستطيع
أن يصنع خنجرًا حادًا من الحديد المغشوش
وعندما سمع الملك ذلك قال للحاجب فى السر
سأكلفك بمهمة غريبة
ولإعداد تلك المهمة يجب أن
تتعلق بك قطة من نوع خاص
فذهب الحاجب وأحضر قطة على الفور
والتى إذا نظرت إليها ظننت أنها سبعًا وليست قطة

فقال الملك للعاملين تعلموا منها

الخصال المدفونة فى طبائع البشر

وظل الأمر هكذا أسبوعًا أو أسبوعين حتى قال الحاضرون

إنما أحد البشر فى ثوب حيوان

فطلب الملك الوزير وقال له

انظر إلى الحيوان الذى هو أكثر انتباهًا من الإنسان

انظر إلى القطة التى تقف ثابتة أمام عرشى

والشمع فى يدها من الغروب إلى الفجر

لقد تركت عنان الطبيعة بفضل التعليم

وتحررت من قيد التشبه بالأب والأم

فقال الوزير: كلام الملك هو ملك الكلام

وقلوب الملوك تسير بأمر الحى العادل

ولكن لا يمكن أن ننخدع بتربية القطة

لأنه إذا لم يكن الطبع مساعدًا فإن التربية تذهب هباءً

فإذا كانت الشجرة طبعها مُر فإن ورقتها

ستكون سوداء وثمرتها مُرة حتى لو رويتها بماء الخلد

فأجابه الملك قائلاً : هناك نظرية المعقولات

فأى شىء تراه مخالفًا للنظر والإحساس اعتبره قبيحًا

ودليل العقل إذا طار فى الجو

سيكون مكسور الجناح إذا خالف النظر والإحساس

انظر إلى القطة وائت بالدليل فإن إنكارك
فى هذه القضية كإنكار الضوء فى القمر ...
وفى هذه الأثناء قفز فأر من ثقب المنزل
وكأنه كان مترقبًا لهذا الكلام
ولَمَّا رأته القطة ألقت الشمع وقفزت
إذ إن القطة يذهب عقلها عندما ترى الفأر
فسقطت شعلة النار من الشمع على الإيوان
وأصبح الإيوان وكأنه تنورًا مشتعلاً
ففر الملك وخاصته وهم حُفاة القدم
فمنهم من سقط فى الإيوان ومنهم من فر هاربًا من الباب
فأسرع الوزير خلفه وقال له أيها الملك
انظر فإن التربية السيئة لا فائدة منها
فالقطة لا تربى تربية الإنسان لأن
طبع القطة شىء وطبع الإنسان شىء آخر
لا الذهب يمكن استخراجه من منجم الحديد والفولاذ
ولا الحديد يأتى من منجم الذهب
لا أحد يطمع فى السكر من البوص
برغم أن البوص مثل قصب السكر فى الشكل
نعوذ بالله أن يصل سافل إلى الجاه
ويسعى من أجل هلاك علية القوم

لأنــــه أمـــسك بزمـــام الحــــظ بـــالتفكير والتـــدبير

فهـــو عـــدو المـــدنى والقـــروى وبـــلاء للأخـــضر واليـــابس

إن التربيـــة اعتمـــاذًا علـــى أصـــل القـــوم نقـــش علـــى المـــاء

ولكنـــها مـــع اللـــوح المـــصفى كـــالنقش علـــى الحجـــر

المحكمة الجزئية[1]

مـــن شـــدة ظلـــم الخـــصم تقـــدمت ليلـــة أمـــس

بمظلمـــة لقاضـــى محكمـــة الجـــزاء بالبلـــدة

فرأيـــت بيتًـــا مظلمًـــا وضـــيقًا كـــالقبر

وفى قـــاع ذلـــك البيـــت يوجـــد تخـــت كاللحـــد

وعلـــى الجانـــب منـــضدة قـــذرة وكرســـى قـــديم

وقـــد جلـــس علـــى الكرســـى شـــخص أســـود طويـــل القامـــة

تكـــسو الثقـــوب وجهـــه مـــن الجـــدرى وذقنـــه مـــن الجـــذام

مُتعـــب الـــرأس مـــن النزلـــة والعـــين مـــن الرمـــد

يـــشبه بـــشاربه المتـــدلى الـــذنب العجـــوز كثيـــف الـــشعر

وتـــبرز الغـــدد مـــن عنقـــه كحجـــر القـــدم

يـــضع أمامـــه التقـــويم وعينـــه علـــى خـــط الـــبروج

كـــالمُنجّم الـــذى يرصـــد حركـــة النجـــوم

وكـــان يوجـــد فـــوق المنـــضدة دفتـــر صـــغير مخطـــوط

---

(١) نظم هذه القصيدة فى عام ١٣٢٩ هـ ق .

يشبه الجيفة التى تظهر منها العظام

وبجانبه محبرة وبجانب تلك المحبرة

ثلاثة أو أربعة مظاريف صغيرة وختم واحد

وفى الناحية الأخرى من البيت حصيرة وعدة أطفال

مقوسو الظهر ومصابون بالأنيميا من النفّاثات فى العقد[1]

طفل رضيع فى مهده وتحته كنيف

مثبت بمسمار فى المهد

قدر ومغرفة وإناء فخارى وطاس

ملوثة من الأزل وقذرة إلى الأبد

والقاضى ملتصق فى الكرسى كالقرادة فى شعر الجمل

وفى خدمته شرطى كالقرد

ألقيت السلام فقال وعليك من باب الكبر

لأنه كان ممتلئًا بالغرور والحقد

سلمته العريضة وأعطيته ثمن التمغة

فقال : تعال إلى المحكمة فى صباح الغد

وكلما شددت الرحال وذهبت إلى حضرته

قلت فى نفسى يا إلهى هيىء لنا رشدا[2]

وفى أحد الأيام قال لى : نحن بصدد إرسال

---

(١) النفاثات فى العقد كناية عن الساحرات ، القرآن الكريم ، سورة الفلق من الآية ٤ .

(٢) إشارة إلى الجزء الأخير من الآية ١٠، من سورة الكهف ، القرآن الكريم (وهيئ لنا من أمرنا رشدا).

الإخطار إلى خصمك

وقد أرسلنا الأخضر والأبيض والأحمر

ولم يعد هناك بعد ذلك مهرب وملجأ وملتحد

وإذا لم يأت فى الغد سيصدر ضده

حكم غيابى ولا مجال بعد ذلك للنقض

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المحكمة بقصد

التظلم من الخصم وطلب المدد من الله

فقال القاضى بنوع من الكبر إن خصمك حاضر

هات الدعوى والحجة والبرهان والمستند

فقلت انظر إلى عقد هذا المُلك الذى

أنا مالكه بالحجة وأنا صاحبه أيضًا باليد

فقال وأين أصل ومستند هذا العقد

أرنى إياه بدون جدال وعناد

فقلت إن هذه الأملاك تابعة للسادات الهاشمية

وهى أملاك مضر ومعد[1] تورث جيلاً بعد جيل

فهذا أثر أبوذر[2] وسلمان وصعصعة[3]

وأيضًا أصبغ بن نباته[4] وسليمان بن صرد[1]

---

(١) مضر ومعد : أجداد الرسول الكريم .
(٢) أبو ذر المقصود أبو ذر الغفارى من صحابة الرسول ومن أصحاب علىّ الأبرار .
(٣) صعصعة الشاعر والخطيب العربى الذى شارك فى معركة صفين ونفى من الكوفة بأمر معاوية .
(٤) أصبغ بن نباته تابع ومن أصحاب علىّ .

فقال دعك من حديث الخرافات وائت
بالدليل حتى لا يتم رفض الدعوى
فهؤلاء الذين ذكرتهم لم يكونوا منهم
فليس لهم عندنا أى اعتماد أو تصديق
والحكمة يحكمها القانون،والقول لابد أن يستند لبرهان
فقل قولاً منطقيًا ولا تخرج عن الحد
فقلت انظر إلى حكم ملك الولاية علىّ
الذى أصبح خليفة للنبى وهوجد لىّ
فقال إن عليًّا قد حُكم عليه أساسًا
بحكم غيابى لقتله عمرو بن عبدود
فقلت اقرأ على لسان أحمد المُرسل الحديث
الذى وصل من الرواة إلى أهله يدًا بيد.
فقال أى قيمة لذلك الشخص الذى ربط
حبل من مسد[٢] حول عنق المرأة المسكينة
فقلت انظر إلى نص القرآن الذى أتى به جبريل
من حضرة الأحد من أجل أحمد
فقال إن إسم جبريل لم يكن ضمن أسماء العاملين

(٥) سليمان بن صرد من صحابة الرسول والذى كان مع علىّ فى معركتى الجمل وصفين. وبعد استشهاد الحسين هبّ للثأر وكان على رأس التوابين واستشهد .
(١) مأخوذة من آية "فى جيدها حبل من مسد" ، القرآن الكريم ، سورة المسد ، آية ٥ .

والقرآن لا يعرف التمغة ولن يكون مستندًا

دعك من كلام المرجعين هذا

فقد تجدد الأساس ولابد من الكلام الجديد يا ولدى

فإذا لم تقبل الحجة المسموعة

فدع المسألة للخصم

عندما ردد هذا الكلام تأكدت أنه

إنسان جاهل وغبى وقذر ولا دين له

لا يتورع أبدًا عن السلب والنهب وأخذ الرشوة

والنصب والاحتيال والطمع

لا يفتح عينيه نحو الحق من طريق الأمل

ولا يسحق جبينه على الأرض فى الصلاة من باب التضرع

فرأيت أنه لا يمكن سد طريق فتنته

بأى حيلة وتدبير ومكر وخدعة

فتركت للخصم المذهب والمال والبيت والمتاع

وأصبحت كالوردة الزابلة وتجمدت كالثلج

وقارنت بين المحكمة وتميز (اسم الخصم)

فوجدت أن كليهما واحد ومتطابق

والحكم الذى صدر من المحكمة ضد تميز

هـــــــو قـــــــول لا يخــــــــالف وأمـــــــــر لا يـــــــــرد

المؤمنـــــــون إخـــــــوة[1] تـــــصدق علــــــى هـــــــؤلاء القـــــوم

الـــــذين إيمـــــانهم فى القلـــــب كـــــالرغوة علـــــى مـــساء الـــــشعير

لعـــــــن اللـــــــــــه هـــــــؤلاء القـــــــضاة الـــــــــسفلة

أشـــــــد اللعنـــــــات وصـــــــب علـــــيهم العـــــذاب صـــــبًا

وليقتلـــــع قبـــــة محكمـــــة العـــــدل ورواقهـــــا مـــــن جـــــذورهما

ذلـــــك الـــــذى رفـــــع ســـــقف الـــــسماء بـــــلا عمـــــد

ويعتبر هذا المسمط أيضًا من أسهل وأفصح أشعاره والذى وضع له اللحن العسكرى الكولونيل على نقى خان وزيرى[2] :

رسالة إلى سيروس (النشيد الوطنى)

تكرّم علينا يا نسيم السحر

وامض صوب فارس واعبر هذا الطريق

وقل لكورش على لساننا : يا ملك الملوك

لم أنت غافل عن هذه المملكة ؟

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحجرات من الآية ١٠ .
(٢) هذه الأبيات الترجيعية : ماذا حدث الآن حتى تكون غافلا بهذا الشكل ولا تنظر نحونا ؟
اشـــــرب الخمـــــر من ســـاقى العلـــم واسع بكل جهد فى طلب العلم
وارفع على كتفك لواء الفضل .

عندما كنت موجودًا اجتحت بجيوشك القوقاز

واندفعت من أرمينية حتى الأهواز

كما تقدمت من شط العرب إلى شيراز

وأوصلت خراسان والرى ببابل

واحسرتاه لقد أصبح وطن كورش ودارا

غريقًا فى بحار الغم جهارًا

استحلفك بالله أيها الربان أن تكون ذا همة

فلعلك تصل بسفينتنا إلى الساحل

إذا كان الخراب قد عم مملكة الكيانيين ودولة جمشيد

فالواجب أن ترفع راية العلم والفضل

ولتجعل الهمة إزارك والعدل خاتمك

والتقوى قلنسوتك والعلم حمائلك

٣ – عارف

ولد مؤلف الأغانى والموسيقى والشاعر الثورى أبو القاسم عارف بقزوين عام ١٣٠٠هـ.ق أو قبله بقليل[١]، وكان والده ملا هادى محاميًا، وطبقًا للسيرة الذاتية التى كتبها بنفسه فقد كان والداه فى نزاع دائم فيما بينهما وبالتالى فقد عاش عارف فترة طفولته بائسًا مضطربًا.

تعلم عارف القراءة والكتابة باللغة الفارسية ومقدمات العربية مثل الصرف والنحو فى المدرسة، وحسن الخط عند ثلاثة من أشهر الخطاطين فى قزوين، والموسيقى عند حاجى صادق الخرازى، وبما أنه كان يمتلك صوتًا حسنًا فقد فكر والده فى أن يجعله قارئًا للروضة، فأقام مجلسًا ذات يوم ووضعوا العمامة على رأسه وسلموه لميرزا حسن الواعظ فانشغل عارف بالنواح أسفل منبره لمدة عامين أو ثلاثة.

وحضر عارف إلى طهران ربما كان هذا فى عام ١٣١٦هـ ق، ومنذ ذلك التاريخ أصبح فى الواقع طهرانيًا، " فى ليلة الثالث عشر أو الرابع عشر من آخر شهور الربيع أو أول الصيف كنت قد جلست فى حديقة صدر الإسلام بقرية حسن أباد وكان ثالثنا أمجد الوزارة، وكنت مشغولاً بالخيالات المضطربة فضاق الرفاق باضطرابى وقالوا استرح قليلاً من التفكير وسلّينا بغنائك، وانشغل أمجد بضبط الكمانجة، وبرغم أننى كنت ضائقًا وغاضبًا من ألف مشكلة عندى فقد بدأت فى الغناء والصياح وقدمت عرضًا رائعًا لدرجة أنه لو كان داود موجودًا لشق صدره، ولو كان باربد جاهزًا لحطم آلته الموسيقية، وبالمصادفة خطر على بالى هذا الغزل لفروغى :

---

(١) يرى تشايكين المستشرق الروسى أن ميلاد عارف فى عام ١٢٩٥هـ ق، أما محمد هزار صديق عارف وكاتب "عارفنامه هزار" فيرى أنه ولد حوالى عام ١٢٩٧هـ ق .

لقـــــد احتــــــضنت ليلــــــة أمــــس تلــــــك الحــــــسناء النخــــشبية

ليـــــــت الفجـــــــر لم يطلـــــــع أبـــــــدًا فى تلـــــــك الليلـــــــة !

حتى وصل الغزل إلى هذا البيت:

مــــــن البدايـــــــة حـــــــتى قبلـــــــة الكعبـــــــة المقـــــــصودة

مـــــا أجمـــــل ســـــعى الراكـــــب وحركـــــة الركـــــب

وفى الحقيقة فقد كانت أحوالنا نحن الثلاثة غريبة، وقد غيّر هذا الغزل أحوالنا تمامًا بحسن أدائى الصوتى له فى تلك الليلة، وربما كانت لصدر الإسلام معاملات مع أحد الأشخاص فى طهران حيث إنه قال : لولا خاطركما لكنت ركبت الآن ووصلت إلى طهران فى الغد، فقلنا له : ونحن جاهزون أيضًا ومستعدون لمشاركتك فى هذا الأمر، ومع أنهما كانا مشغولين بشئونهما الزراعية فى ذلك الوقت إلا أنهما صرفا النظر عن كل هذا فى تلك الليلة، وكانت المائدة الممتدة جاهزة، والوقت هو وقت تناول العشاء فصدر الأمر للخدم بتسريج الجياد فانشغلوا بهذا العمل، وتناولنا نحن أيضًا عشاءً خفيفًا، وتحركنا بعد مرور ساعة على منتصف الليل، ولكننا ضللنا الطريق من شدة السُكر، المهم أننا وصلنا طهران فى اليوم التالى ... وهذا هو تاريخ وصولى إلى طهران، ولم أكن قد رأيت طهران حتى ذلك الوقت ويا ليتنى لم أرها قط[1] ".

وقد تعرّف عارف فى طهران بعد فترة إلى موثق الدولة وسائر رؤساء البلاط، ورغب الأمراء فى مصاحبته، وعلا شأنه لدرجة أنه كان يجلس على مائدة ميرزا على أصغر خان الأتابك، والأتابك (كان يعطيه بيده المباركة "فخذ" الدجاجة وكان يُعد أعلى الجالسين على المائدة والضيوف مكانة وأكثرهم فخرًا[2]).

---

(١) شرح حال عارف به قلم خودش ، ديوان ، ص (٩٥ ، ٩٦) .

(٢) شرح حال عارف به قلم خود او ، ديوان ، ص ١٠٣.

وشيئًا فشيئًا وصل صيت عارف إلى مسامع مظفر الدين شاه فصدر الفرمان الملكي باستدعائه، وبعد حضوره وغنائه غزلاً أو اثنين أعجب به الشاه وأمر بأن يعطوه خمسمائة تومان، وأن يرفعوا عن رأسه العمامة ويسجلوه فى قائمة الخدم الخصوصيين " لم يكن سماعى لهذا الكلام أقل من الصاعقة السماوية فأى عمامة مخجلة ومشيخة مخزية أشرف وأكرم عندى ألف مرة من القلنسوة التى يريد أن توضع على رأسى[1] ".

ومضت عدة سنوات على هذا المنوال حتى تغيرت الأوضاع تدريجيًا وعلت نغمة الدستور من هنا وهناك، وانضم عارف الذى كان قد رأى بعينه آلاف الفصول المخجلة والمخزية لعصر الاستبداد، انضم للدستوريين منذ بداية الحركة المنادية بالحرية، وأوقف قريحته وموهبته النادرة على الثورة والحرية.

وقد أنشد هذا الغزل بعد عشرين يومًا من شنق الشيخ فضل الله نورى (١٣٢٧هـ ق) فى العرض الذى أقيم بمنزل ظهير الدولة لصالح متضررى حريق السوق، ولاقى استحسانًا شديدًا :

إن القلب الذى سقط فى حبائل تلك الخصلة الملتوية
إنما هو كالعصفور الذى سقط فى فم الأفعى
بشر صوفية الخرابات اليوم وقل لهم
إن شيخ المدينة قد سقط من الاعتبار أيها الندماء
كثيرًا ما أصيب الخاطر بالهم والغم بسبب ضيق القفص
ولم يعد القلب مهووسًا بالخضرة والربيع
اذهب ولا تعد يا ليل الهجران

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٦.

فـــإن عـــينىّ قـــد وقعتـــا علـــى وجـــه الحبيـــب فى نهـــار الوصـــال

إن القلـــب الـــذى لم يهـــدأ حزنًـــا علـــى فـــراق وجهـــك

عنـــدما رأى طـــرة خـــصلتك ازداد اضـــطرابًا

أى فوضـــى هـــذه فى الـــديار إنهـــا مدينـــة عـــشق عـــارف

فقـــد ســـقط الحـــاكم فى تلـــك الـــديار وفى تلـــك المدينـــة

ومن أهم وأشهر مؤلفات عارف فى هذا العصر غزل " رسالة الحرية " والذى أثنى فيه على انتصار الأحرار على القوى الرجعية، وقد بعث عارف بهذه الرسالة الحماسية للشعب الإيرانى مصحوبة باللحن الموسيقى فى الحفل الذى كانت قد أقامته لجنة النشاط الأدبى بالحزب الديمقراطى فى ذكرى انتصار الدستوريين وهزيمة محمد على ميرزا :

رسالة الحرية

وصـــلتنى ليلـــة أمـــس رســـالة مـــن بـــائع الخمـــر المُـــسن قـــال فيهـــا

اشـــرب الخمـــر فهنـــاك أمـــة قـــد أفاقـــت وانتبـــهت

فقـــد فـــضح الاســـتبداد كـــل أســـرار إيـــران

والحمـــد للـــه فقـــد جـــاءت الحركـــة الدســـتورية متخفيـــة

فطريـــق الحريـــة يتجـــه مـــن أرض الـــشهداء الطـــاهرة

انظـــر كيـــف وصـــل دم ســـياوش إلى درجـــة الغليـــان

....

كـــأس مـــن أجـــل انتـــصار الـــشبان المحـــاربين

شـــربنا الخمـــر وانطلقـــت صـــيحة التمنيـــات الطيبـــة بـــشرب هـــنىء

الشخص الذى اتجه إلى السفارة بحثا عن بصيص من الأمل
بشروه بأن الأخرس والأصم والصامت قد جاءوا
وأن صوت أنين عارف قد وصل لأذن كل شخص
ودق كالدف وصرخ كالقيثارة

أمّا غزل " ليحيا " فقد نظم لتهنئة زعماء طريق الحرية :

ليحيا !

لتحيا تلك الرياح التى قد حملت إلىّ عبير خصلتك
وأسعدتنى من بعد التشتت، لتحيا !
برغم أن خسرو استرد حياته فى وصالك
برغم أن فرهاد مات بسبب فراقك، ليحيا !
لا يموت أبدًا ذلك الأب الذى ربّاك
لتحيا تلك الأم التى أنجبت ابنًا مثلك
أنا لست سعيدًا من الخضر الذى شرب ماء الحياة
ليحيا ذلك الذى منح الخضر ماء البقاء
ليفنى الظلم كما فنى الضحّاك حامل الثعبان على كتفه
وإذا بقى فليحيا كاوه الحداد
لو يعمر "عارف" على أرض عشاق الوطن
فليحيا كل من يذكره

وقد نظم الغزل التالى ربما كرد فعل على تدخلات الأجانب المُضيّعة للحقوق، وتشرذم وانقسام المواطنين، وفى هذا الشعر يتحدث عارف بحسرة وحزن عن أن الأمور لم تجر وفقًا لرسالة " بائع الخمر المُسن " :

أنين الطائر الأسير

إن كـل هــذا البكـاء والأنـين مـن الطـائر الأسـير هـو مـن أجـل الـوطن

فقـصة الطـائر الأسـير فى القفـص مثـل قـصتى

وأنـا أطلـب الهمـة مـن نـسيم الـسحر، ليتـه يحمـل

خـبرى ويوصـله إلى الرفيـق الـذى فى ناحيـة الروضـة

فكـروا يـا أبنـاء الـوطن فى طريـق حـريتكم

فـإن كـل شـخص لا يفعـل سـيكون مـصيره مثلـى

البيـت الـذى يعمـر بيـد الأجانـب

خربـوه بالـدموع لأنـه هـو بيـت الحـزن

والثـوب الـذى لا يغـرق فى الـدم فى سـبيل الـوطن

مزقـوه فهـو عـار علـى الجـسد والكفـن أفـضل منـه

وثـوب المـرأة علـى الجـسد أفـضل لـو هنـاك ذرّة غـيرة

لأن اليـائس فى هـذه المملكـة اليـوم هـى المـرأة

وذلـك الـشخص الـذى صـنعنا منـه سـليمان فى هـذه المملكـة

تأكـدت الأمـة أنـه هـو إلـه الـشر

كـل الأشـراف سـعداء بوصـالك مثـل خـسرو

والكـادح حـزين لهجـرك كالـذى يقطـع الحجـارة فى الجبـل

عدة غزليات أخرى لعارف

بدل الدموع[١]

إن الندم يتقطر من الأهداب بدل الدموع
انتبه فإن القلب يخرج من العين
لا تكن أيها القلب مهووسًا هكذا بضفائر الحسان
فمن هذه الضفائر تظهر علامات الجنون
لقد اضطرب القلب أيها الندماء لا شك
إن الذى اصطاد قلوبنا سيأتى الآن
لماذا نظمت صفوف الأهداب هكذا لقتلى؟
لماذا تتقدم كل هذه الأفواج العسكرية من أجل شخص واحد؟

....

إن عارف بسببك يحارب الفلك والسماء
لأن الخلاف يأتى من الفلك المتقلب

التشبث[٢]

لو تصل يدى إلى طرف ثوبه
فإننى سأشقه حتى الياقة
إن عمرى قد انتهى حزنًا عليك

---

(١) نظم فى عام ١٣٢٤هـ ق تتبعًا لغزل دهقان السامانى والذى يقول مطلعه :

إن الحبيب قادم بالضفيرة التى تشبه المسك — فاحذر فإن الجنون يأتى من الضفيرة المتحركة

(٢) نظمها فى شتاء عام ١٣٢٩هـ ق، تتبعًا لغزل سعدى الذى يقول مطلعه " رحمة الله على روحه " .

وليـــــــــل هجـــــــــرك لـــــــــيس لــــــــه نهايـــــــة
اجعـــــــــل لى نـــــــصيبًا مـــــــن ألم العـــــــشق بالقـــــــدر
الــــــــــذى تــــــــستطيع أن تـــــــصل إلى علاجـــــــــه
إن مـــــــا فعلــــــــه معـــــــــى فى حيـــــــــاتى
ســـــــــيندم عليـــــــــــه فى ممـــــــــــاتى
اســـــــــتعد وترقـــــــب فإنــــــــه ســـــــــيمر
علـــــــــــى رأس قـــــــــــتلاه الـــــــــــشهداء

....

وبمـــــــا أنــــــه بنـــــــاء غـــــــير مفيـــــــد فى العـــــــالم
فاقتلعــــــه مـــــــن الأســـــــاس يـــــــا ســـــــيل الـــــــدموع

أمّا شهرة عارف ونجاحه غير العادى فإنه يرجع إلى أغانيه التى سنقوم ببحثها بعد ذكر لمحة تاريخية حول هذا النوع الأدبى .

الأغنية ولمحة تاريخية موجزة عنها

مصطلح الأغنية الذى شاع منذ القرن العاشر الهجرى وربما ظهر منذ القرنين الثامن والتاسع[1] حل محل مصطلحى "القول" و "الغزل" فى صدر الإسلام، وكان فى اصطلاح الشعراء والملحنين القدامى عبارة عن نوع من الشعر الملحن الذى له وزن

(١) يقول دولتشاد: إن ابن حسام الهروى (المتوفى عام ٧٣٧ هـ ق) قد كتب المستزاد التالى ولحنه عبد القادر عودى :

من ذلك الذى يشرح حال المتسول ... فى الحضرة الملكية ؟
بماذا تخبر رياح الصبا عن صياح البلبل ... سوى الأنين والآه ؟

عروضى وإيقاعى، أى أنه لا يختلف فى الظاهر مع سائر الأشعار العادية، ولكنه من ناحية اختيار الوزن وتركيب الألفاظ يتميز بأنه يتفق ويتطابق مع الألحان والمقامات الموسيقية والنغمات الصوتية العالية والمنخفضة .

والأغانى التى راجت وانتشرت فى العهد الصفوى لم تكن مثل الأغانى الهجائية الحالية وكانت تتوافق مع الشعر العروضى .

وللأسف فإن هذا النوع من الأغانى أو الأشعار المصاحبة للنغمات والموسيقى الإيرانية لم يعدها أحد من الأدب ولم تسجل فى الدواوين والتذاكر، وهوية شعرائها مجهولة فى الغالب بالنسبة لنا، وبرغم ذلك فقد نقلت نماذج من هذه الأغانى فى كتب ذلك العصر مثل "تذكرة نصر آبادى" و "گلستان هنر" تأليف القاضى أحمد بن مير منشى والتى من بينها أغنية "نيشابورك" من تأليف هادى الديلمى :

قلـــــــــت لى لـــــــــيس لـــــــــك حبيـــــــــب مثلـــــــــى

وأنـــــــــت أيـــــــــضًا لـــــــــيس لـــــــــك أســـــــــير مثلـــــــــى

مـــــــاذا تعـــــــرف أنـــــــت عـــــــن حـــــــال العـــــــشاق وآلامهـــــــم

فـــــــإن قلبـــــــك لم يحتـــــــرق بالعـــــــشق !

ولـــــــيس لـــــــك عمـــــــل غـــــــير إيـــــــذائى

فأنـــــــت لا شـــــــأن لـــــــك ســـــــوى إيـــــــذائى .

ويقول نادر ميرزا صاحب "تاريخ تبريز" فى ترجمة صائب التبريزى على لسان آذر بيكدلى: إن هذا البيت المشهور الذى يُنشد مع الموسيقى فى الغالب، هو من تأليفه :

جلـــــــس حـــــــشم الـــــــبلاء حـــــــول عينيـــــــه

مثلمـــــــا التفـــــــت القبيلـــــــة حـــــــول ليلـــــــى علـــــــى الفـــــــور

وكان شاهمراد الخوانسارى (المتوفى عام ١٠٣٨هـ ق) أحد الشعراء المؤلفين للأغانى فى عهد الشاه عباس الكبير، وقد ألف الأغنية التالية فى مقام دوگاه ونوروز وصبا، وكما قال نصر آبادى فقد شجعه شاه عباس وأنعم عليه بالحُلة والهبات :

مانـــــة جـــــرح فى قلـــــبى مـــــن تلـــــك المعـــــشوقة الفاتنـــــة

لى قلـــــب مجـــــروح، أنـــــا أعلـــــم ولكنـــــك مُفتـــــضح

ويقول صاحب التذكرة بعد ذكر السيرة الذاتية للخوانسارى "ومعظم مؤلفاته أشعار"، ويتضح من هذا القول أن الأغانى غير العروضية كانت رائجة ومتداولة أيضًا فى العصر الصفوى مثل الأغانى الحالية.

والأغانى التى تم تأليفها بعد العصر الصفوى متحررة إلى حد كبير من وزن الأشعار العروضية، وبرغم أنه توجد فى بعضها أبيات أو مصاريع تتطابق مع البحور العروضية فإن الوزن العروضى فى الغالب وبوجه عام ليس ضروريًا لها، وإنما هى تقوم أساسًا على عدد المقاطع اللفظية، مثلما عبّر عنها المستشرق الروسى چوكوفسكى بمصطلح "النثر الغنائى البسيط"[١].

وعلاوة على هذا فإن الأغنية تتعلق بالطبقات العامة بعكس الشعر الأدبى الذى يتعلق بالخواص وعلى هذا الأساس فإن القواعد والقوانين التى لا يمكن العدول عنها فى الشعر الأدبى لا تراعى كثيرًا فى الأغانى، وأخيرًا بما أن الموسيقى جزء أساسى منها ولا تفارقها فإن شكل الأغنية يتبع فى الغالب للنغمة (melody)[٢].

---

(١) چوكوفسكى ، نمونه هاى أدبيات فارسى .

(٢) نحن لا نبحث هنا تاريخ ظهور الأغانى الإيرانية ووضعها ونقول: فقط إن الأغنية كانت موجودة فى إيران منذ العصور القديمة وكان المغنيون والعازفون المتجولون يسلون الناس بغنائها ، ويقول المؤرخ الأرمنى موسى خورنى الذى كان يعيش فى القرن الخامس الميلادى عن الأغانى: إن أبناء وطنه كانوا يرددون الأغانى فى الخوارى والأحياء على أنغام الرباب وكما يقول نفس هذا المؤرخ فإن قصص بيورسب (الضحاك)=

وموضوع الأغنية تارة يكون هو العشق والغرام ووصف غدر المعشوق وشرح حال العاشق المهموم ومدح الزهور والخمر والجمال، وهذه الخصائص تقرّب الأغنية من الغزليات العرفانية، وتمنحها نوعًا من اللطف والأصالة، وتارة يكون هو المزاح والفكاهة أو مدح وذم الأشخاص والأوضاع، ومثل هذه الأغانى لها دائمًا هدف ومهمة خاصة وتقريبًا يتم تأليفها بصفة دائمة بلغة الحوار العامى، ومع هذا فإنها تتمتع بفن شعرى خاص وأحيانًا تتخللها أفكار سامية يتم التعبير عنها بأسلوب بسيط بعيدًا عن القوانين الشعرية.

والأغانى ليست وليدة قريحة الفنانين والأساتذة الكبار ولا يتم نظمها لفئة معينة كما فى الأشعار الأدبية، ومؤلفوها غير معروفين فى الغالب، وبما أنهم لا يتركون لأنفسهم اسمًا أو صفة أو تخلص فإن هويتهم تظل مجهولة للأبد، فالأغانى تخرج من لسان غالبية الشعب من أجل الشعب نفسه، وفيها يغلب الإحساس على الفكر.

والأغنية بصورتها الحالية تعد ظاهرة جديدة فى الأدب الإيرانى، ويمكن القول بأنه عندما خرج الشعر الفارسى من بلاط السلاطين وسقط فى يد أهل الحارة والسوق اختار لنفسه شكل الأغنية، وقد وجه الشعراء اهتمامًا أكبر للأغنية بعد العصر الدستورى وأعطوها الطابع الأدبى والفنى.

=وفريدون ورستم السجزى (الذى كان بقوة مائة وعشرين فيلاً) كانت تتناقلها الأفواه فى عصره بين أفراد الشعب الأرمينى ، وكما يقول هنرى ماسى (Croyances et Coutumes Persanes) فإن وزن الأشعار الإيرانية القديمة كان قد وضع على عدد المقاطع اللفظية وليس على البحور العروضية، وبناء على هذا فإنه كان يوجد تشابه تام بين الشعر الإيرانى القديم والأغانى الجديدة وربما كانت أشعار إيران القديمة كلها فى شكل الأغنية .

وأقدم أغنية توجد لدينا من العصور القريبة نسبيًا هي الأغنية التي تشرح عجز وبؤس لطفعلي خان آخر أفراد الأسرة الزندية، وكانت فضائل هذا الأمير الشاب قد جعلته محبوبًا بين أفراد الشعب الإيراني وكانت الشجاعة والشهامة والاستقامة التي أبداها في مرحلة البؤس، هي موضوع الأغنية التالية :

أطلـــــــق الـــــــنفير   فقـــد حـــضر الجـــيش إلى مازنـــدران

وصـــوت النـــاي يعلـــو أيـــضًا   والـــصوت يـــأتي تباعًـــا

خـــضنا معركـــة شـــبه كاملـــة   لطفـــي أميرمدينـــة كرمـــان

وصـــوت النـــاي يعلـــو أيـــضًا   والـــصوت يـــأتي تباعًـــا

يـــا حـــاجي[1] كنـــت أدعـــوك بكلمـــة أبي

فـــشردتنا ووضـــعت يـــدك في يـــد ملـــك القاجـــاريين

وصـــوت النـــاي يعلـــو أيـــضًا   والـــصوت يـــأتي تباعًـــا

لطفعلـــي خـــان المتقلـــب لقـــد أخـــذوا زوجتـــك في طـــبس أيـــن طـــبس، أيـــن طهـــران

وصـــوت النـــاي يعلـــو أيـــضًا   والـــصوت يـــأتي تباعًـــا

لطفعلـــي خـــان الرجـــل النجيـــب   كـــل مـــن وصـــل حـــزن وتـــأوه

والأم والأخـــت مزقتـــا الثيـــاب   فقـــد تخلـــى الحـــظ عـــن لطفعلـــي خـــان

وصـــوت النـــاي يعلـــو أيـــضًا   والـــصوت يـــأتي تباعًـــا

ارفـــع صـــوت الـــنفير إن الملـــك لـــيس لـــه يـــد قويـــة،

الـــصبر مـــني والعـــدل مـــن اللـــه

---

(١) المقصود اليهودي حديث الإسلام حاجي محمد إبراهيم حاكم شيراز الذي أوصل لطفعلـي خـان إلى الملك، ولما وصل أمره معه إلى العداء اتفق مع آغا محمد خان القاجاري وأدخله شيراز وصار ذلك الأمـير الشاب ضحية لؤم وتآمر ذلك الرجل المنافق الشرير .

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

لقـد كان لطفعلـى متوجهًـا إلى الميـدان وكانـت الأم

تقـول سأصـبح ضـحية فقلبـها شـديد الحـزن، ووجهها بـاكى

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

كـان لطفعلـى خـان يـسوق الجـواد ويـشرب مـاء

الـورد وسـكر النبات مـع الخمـر ولكـن تخلـى عنـه الحـظ

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

إنـه جـواد أزرق جديـد الـسرج وقلـب لطفـى مملـوء بـالحزن

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

إن الوكيل[1] يُخـرج رأسـه مـن القـبر وينظـر إلى الفلـك الأخـضر مـن حولـه

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

لطفعلـى خـان المقهـور سـقط فى النهايـة فى قبـضة القاجـارى[2]

وصـوت النـاى يعلـو أيـضًا والـصوت يـأتى تباغـا

ولو تركنا الأغانى الأقدم التى لا توجد لها نماذج كثيرة، سنصل إلى الأغانى الأقرب إلى عصرنا، وهذه الأغانى سواء العشقية أو الهجائية أو الجدلية قد تم تأليفها فى مواضع معينة ومناسبات تتعلق بوقائع وأحداث العصر، حيث كان المطربون يؤدونها على نغمات الموسيقى، ويعتبر لحنها رتيبًا ومتشابهًا ومكررًا وبالتالى فهو ممل، ومع هذا فإنها مقبولة ومحبوبة لدى السامع الإيرانى[3].

---

(١) كريم خان الزندى ، عم لطفعلى خان .

(٢) المقصود أغا محمد خان القاجارى .

(٣) جمع جورج جراهام الذى كان القنصل الإنجليزى فى شيراز سنة ١٩١٠ م ، مجموعة من الأغانى الإيرانية القديمة من أجل إدوارد براون وجمع چوكوفسكى المستشرق الروسى مجموعة هو الآخر وترجمها إلى الروسية وطبعها فى سان بطرسبورج عام ١٩٠٢ م ، ونشر برزين أيضًا بعض الأغانى مع الترجمة الإنجليزية (براون ، تاريخ أدبيات أيران أز آغاز عهد صفويه تا زمان حاضر ترجمة رشيد ياسمى) .

ومن هذه الأغاني أغنية "ليلى" التي تم تأليفها حول الكونت دى مونت فورت[١] من أجل الاستهزاء به والسخرية منه، فعقب عودة ناصرالدين شاه من رحلة أوربا، عيّن هذا الشخص في عام ١٢٩٦هـ ق، رئيسًا لشرطة طهران ولكى يتشبّه الكونت بالإيرانيين في كل شيء ألبس أولاده الملابس الإيرانية وسمّى ابنته أيضًا ليلى، وقد أغلق الأماكن العامة كما تقتضى ظروف عمله، وجعل نساء كل مكان يتمركزن في أحد أحياء المدينة، وقد تسبب هذا الأمر في أن يؤلفوا له هذه الأغنية :

ليلى أخذوا من أجلها سيلاً من لبن الإبل وأحضروا لها الخبز والحساء

ليلى زهرة، ليلى جميلة جدًا، ليلى

ليلى أحضروا من أجلها دولابًا واشتروا لها الحذاء والجوارب

ليلى أخذوا من أجلها حمام الروضة وأنت سعيد أيها الكونت عديم الغيرة!

أنا ليلى الفلفل الحريف أنا ليلى بنت الكونت

ليلى الجميلة أمها العروس وأبوها الديوث

وفي الدورة الثانية من حكومة فرهاد ميرزا معتمد الدولة في فارس والتي استمرت خمس سنوات بداية من سنة ١٢٩٢هـ ق، عاني أهالي فارس كثيرًا بسبب تشدده وقيوده[٢]، ولمّا تم استدعاؤه إلى طهران ألفوا له أغنية :

شيراز بهذه النضارة والجو بهذه الطراوة فلماذا أنت مضطرب أيها الأمير؟

من فعل ابنتى الويل لى ...

---

(١) Conte Monte Forte .

(٢) يكتب إدوارد براون : " تراءت أمام عيني خارج مدينة شيراز أعمدة من الجص على شكل عفاريت والتي ظهرت من خلالها العظام البشرية، وكانت تشهد على فترة حكم فرهاد ميرزا العصيب ، ولكنني وجدت الأمير نفسه رجلا مؤدبًا وظريفًا وعالمًا ومغرمًا بالكتب (تاريخ أدبيات إيران ، ج ٤ ، ترجمة رشيد ياسمى) .

عندما سار القطار فى سكة حديد طهران- الرى أثناء عهد ناصر الدين شاه وأحدث ضجة وثورة عظيمتين بين النساء والرجال ألف الأهالى أغنية ترددت على الألسنة، وكان المطربون يحيون بها الحفلات، وفيما يلى هذه الأغنية التى حافظ على صورتها أحد المستشرقين الروس فى نفس هذه الأيام :

ملـــــك ملـــــوك إيــــــران أحـــــضر القطـــــار إلى طهـــــران

مــــــــاذا فعلـــــــــت أيهـــــــــا الملـــــــــك ؟

لقــــــد خرّبــــــت طهــــــران وأصــــــبت النــــــساء بــــــالجنون

فــــإن النــــساء كــــثيرًا مــــا جلــــسن وحطمــــن خطــــوط القطــــار

القطــــار ذهــــب دخانــــه فى الهــــواء والمـــــرأة دخلـــــت الـــــشركة ...

لسان حال النساء مخاطبًا الأزواج

لا أريـــــد جـــــوادًا مُجهّـــــزًا لا أريـــــد حـــــذاء غـــــالى الـــــثمن

لا أريـــــد طرحـــــة حريريـــــة لا أريـــــد حزامًـــــا للبنطـــــال

أريـــــــد القطـــــــار، أريـــــــد القطـــــــار

لقـــــــد وصـــــــل القطـــــــار إلى "دولـــــــت آبـــــــاد"

وأعطيـــــــت "القـــــــران" بـــــــدلاً مـــــــن "اليِنابـــــــاد"[1]

مهـــــــرى حـــــــلال روحـــــــى حـــــــرة

أريـــــــد القطـــــــار، أريـــــــد القطـــــــار .

---

(١) عملة فضية تعادل نصف قران (عشرة شاهات) .

آخر إنذار من النساء للأزواج

لـــــو تريـــــد أن تكـــــون زوجـــــى تعـــال أعطـــنى مـــالاً وأحـــضر لىّ القطـــار
لـــو النقـــود ممزقـــة مثـــل حـــذائك فخـــذ بيـــت خالتـــك بالقـــانون[1]

وقد تم تأليف أغنية أخرى حول عزل وإقصاء السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان الشقيق الأكبر لمظفر الدين شاه، فقد كره الشعب الإيرانى وخاصة الأصفهانيين هذا الأمير بسبب قسوته وسوء خلقه، وكان قد علا شأنه بشكل غير عادى وحكم أغلب الأقاليم الإيرانية الجنوبية فخاف منه ناصر الدين شاه وسحب منه جميع الصلاحيات فى عام ١٣٠٦هـ ق فيما عدا حكومة أصفهان، ففرح الشعب بشدة بهذا القرار وأنشد أبناء طهران أغانى كثيرة فى هذا الأمر[2] والتى كانوا يغنونها فى الحوارى والأسواق :

أيـــــــن عربـــــــــة الأمـــــــــير؟
أيـــــــن الكـــــــأس المملـــــــوءة بـــــــالخمر؟
أيـــــــن أولئـــــــك الأولاد البـــــــسطاء ؟
أيهـــا الأمـــير العزيـــز فعلـــت خـــيرًا أنـــك رحلـــت
أمـــــسك بمقدمـــــة الـــــسرج ولا تفلتـــــه
أيـــــــن عاصـــــــمتى أصـــــــفهان ؟
أيـــــن المـــــدفعى وأيـــــن عرشـــــى ؟
أيـــــــن أحكـــــــامى الـــــــشديدة ؟
اشـــــهد يـــــا رب هـــــذا هـــــو حظـــــى !

---

(١) مجلة إطلاعات الأسبوعية ، العدد ١٠٠٨ ، ص ١٤ (افتتاح القطار ، بقلم حمزة سردادور) .
(٢) شرح حال عباس ميرزا ملك آرا ، ص ١٠٦ .

ما هو ذنبي يا أبي الملك ؟

ما هذا اليوم الأسود الذى حل بي ؟

أين أصفهان، أين شيراز؟

أين صارم الدولة كثير الدلال؟

أين المدفعي وأين الجندى؟

ما هو ذنبي يا أبي الملك ؟

ما هذا اليوم الأسود الذى حل بي ؟

بالله عليك أيها الصدر الأعظم

اعرض مسألتي على أبي الملك

أعطه حديقتي هدية له

ما هو ذنبي يا أبي الملك ؟

ما هذا اليوم الأسود الذى حل بي ؟

إن أبي الملك يقول ما هو ذنبك

يقول ما هذا اليوم الأسود الذى حل بك

لقد كان جلال الدولة طفلاً

وكانت شيراز مفوضة له

والله لم يأخذ شيئًا بدون وجه حق

ما هو ذنبي يا أبي الملك ؟

ما هذا اليوم الأسود الذى حل بي ؟

إن الصدر الأعظم المهووس

قد أخذ منى شيراز وكفى
وطائر قلبى فى القفص
ما هو ذنبى يا أبي الملك ؟
ما هذا اليوم الأسود الذى حل بى ؟

وهذا الشعر عن نفس هذه الفترة أيضًا

إن الكوكب المظلم لا يصير قمرًا
والأمير الأحول لا يصير ملكًا
هل كنت أنت من كان يبنى الحديقة العامة ؟
ويصنع سجاف الباب ويضع الدهان ؟
اتكأت على المسند
وقتلت صارم الدولة[1]
جعلت الحذاء خُفًا
وحوّلت أختك إلى أرملة .

يقول الكونت دو جوبينو الذى حضر إلى إيران فى عهد سلطنة ناصر الدين شاه : "الأغانى التى يغنيها أفراد الشعب فى حق وزراء ناصر الدين شاه، يأمر الشاه بأن تغنى لهم فى المجلس الملكى، ومضمون هذه الأغانى قبيح جدًا لدرجة أن الشرطة فى بلادنا لا تسمح أبدًا بأن يغنى الشعب مثل هذه الأغانى[2] " .

---

(١) كان معروفًا أن ظل السلطان دس السم فى القهوة لصارم الدولة أى زوج أخته "بانو عظمى" وأخذ لقبه بعد ذلك لانه أكبر ميرزا .

(٢) من رسالة الكونت دو جوبينو بتاريخ يونيه ١٨٦٣ م (نقلا عن مجلة يغما ، السنة الثالثة عشر ، العدد العاشر ، شهر دى ١٣٣٩ ش) .

وبعد جلوس مظفر الدين شاه بعدة سنوات، ألف أشخاص بعض الأغانى فى هجائه وأعطوها لعجوز سوداء تدعى "حاجى قدم شاد" والتى كانت فى السابق كبيرة مطربات وعازفات ناصر الدين شاه، وكانت تمتلك فى ذلك الوقت فرقة غنائية، وذلك كى تغنيها فى مجالس اللهو والمرح، فأخذت هذه الجارية السوداء تغنى تلك الأغنية بنفسها وترددها خلفها المطربات.

وكلمات الأغنية على النحو التالى :

جـــــــــــــــاء ورق البنجـــــــــــــــــر

جـــــــــــاءت أخـــــــــــت مظفـــــــــــر

انظـــــــــر فى محـــــــيط الـــــــشاه وفيمـــــــا حولـــــــه

انظـــــــر إلى الأمـــــــير الـــــــشجاع وإلى الـــــــشاه !

ألبـــــــسوه الـــــــشادور والـــــــسروال

واطـــــــردوه مـــــــن المدينـــــــة[1]

وعلى هذا النحو وصل تأليف الأغانى تدريجيًا إلى حد الابتذال، حتى إنه كانت تؤلف أغان من هذا القبيل :

أيتـــــها الـــــسيدة الفرنـــــسية يـــــا ضـــــياء الـــــدين المـــــسيحى

يـــــا مـــــن ســـــروالك الـــــداخلى داخـــــل خـــــزان مياهـــــك

لـــــك نافـــــذة مفتوحـــــة كـــــم أنـــــت تتمـــــتعين بالـــــدلال !

(١) وصلت الحكاية إلى مسامع الشاه فأحضر هذه المرأة وأجبرها على أن تغنى نفس هذه الأغنية، ولمّا غنت، ركّبوا لها السنبك فى قدميها بأمر الشاه وأجبروها على الجرى فى القصر (على جواهر الكلام ، إطلاعات الأسبوعية ، العدد ٨٤٧) .

الفـــــرخ ملكـــــى وأنـــا ملـــــك الفـــــرخ

عنـــدما ينتـــصف الليـــل أدخـــل الحـــارة

الـــسماء الملـــوءة بـــالنجوم تقاتـــل بـــالرمح

ابـــن العـــم يخطـــب بنـــت العـــم

القافلـــة حمولتـــها مـــن اللـــبن والـــسكر

وأمامهـــا الـــسيدة بـــاهرة الـــضياء

أنـــت الـــنفير، أنـــت مُطيّـــر الحمـــام

بـــارك اللـــه فى زنـــارك، فأنـــت تجيـــد التطـــير

شيدا

فى هذه الأثناء ظهر على الساحة ميرزا على أكبر خان شيدا، وأعطى للأغنية شكلاً خاصًا، وكان شيدا زاهدًا وورعًا، ورجلاً حرًا شكلاً وموضوعًا، ويعزف بعض الشيء على العود ويؤلف أغانيه فى خلوته منتصف الليالى، وقد عشق بعد ذلك راقصة يهودية ووصل به الأمر إلى الجنون.

ومن غزلياته شديدة الشجن

لقـــد صـــار قلـــبى فى ثنيـــة خـــصلتك مـــن أهـــل الجنـــون

لقـــد أدمـــى قلـــبى عمـــرًا مـــن جـــرّاء تلـــك الـــضفيرة

أى علاقـــة كانـــت تربطـــه بطـــرف خـــصلتك فى الأزل

فـــإن قلـــبى قـــد اضـــطرب وتـــاه عـــن نفـــسه

تـــرى هـــل كانـــت كـــل هـــذه الفتنـــة بـــسبب طـــرف خـــصلتك

فقـــــد أصـــــبح قلـــــبى أســـــيرًا لهـــــذا الـــــسحر والطلـــــسم

إن الهـــوس بـــك قـــد أحـــرق أســـاس عمـــرى أيهـــا الحبيـــب

فـــلا تـــسأل كيـــف صـــار قلـــبى فى هـــذه الواقعـــة

أصـــبحت بـــلا علامـــة وعنـــدما بحثـــت عـــن علامـــة مـــن فمـــه

صـــار قلـــبى دلـــيلاً علـــى ســـاحل نهـــر البقـــاء

....

أيهـــا الـــصفاء امـــنح قلـــب "شـــيدا" نـــور الـــصفاء

فقـــد أظلـــم قلـــبى بـــسبب عنـــاد الـــنفس المتمـــردة

يقول عارف عن شيدا وأغانيه: " حتى عصرى كانت الأغانى فى إيران تؤلف لداعرات البلاط أو لبيرى خان، قطة الشاه الشهيد، أو على لسان مجرم لمجرم آخر، ومنذ عشرين عامًا أحدث المرحوم ميرزا على أكبر شيدا تغييرات فى الأغنية وكانت أغلب أغانيه ذات نغمات ساحرة[1] ".

ونعرض هاتين الأغنيتين لشيدا حتى يقيس القرّاء مدى اختلافها عن أغانى العصر القاجارى الشائعة وعن الأغانى التى ألفها عارف فيما بعد ودعا من خلالها إلى الرجولة والحرية فى العالم :

أغنية فى مقام أبى عطاء

ألا أيها الساقى خفـف الظلـم عـن عاشـقك المجـذوب مـن بـاب الوفـاء

فـإن الـسلطان مـن بـاب اللطـف يرفـق بحـال المتـسول

(١) شرح حال عارف بقلم خود او ، ديوان ، ص (٣٣٥ ، ٣٣٦) .

عندما يعـود أرديبهشت إلى الـدنيا تبختـر إلى الروضـة يـا مـدلل القلـب

فقد أصـبح ظهـورك زينـة للروضـة، أصـبح ظهـورك زينـة للروضـة[1]

يا مـن خجـل سـرو الروضـة أمـام قامتـه (يـا حبـيبى، يـا عزيـزى)

إن سـرو الروضـة أمامـك قـصير وعـاجز (يـا حبـيبى، يـا عزيـزى)

إلى مـتى أذوب وأحتـرق بهمّـك أيهـا المعـشوق

ماذا أفعل، ماذا أفعل يـا حبـيبى ويـا طبـيبى، مـاذا أصـنع مـع عـشقك ؟

أغنية فى مقام الأفشارى

ليلة أمس ويا لهـا مـن ليلـة فـإن تلـك الحـسناء الفاتنـة الوفيـة الـصافية قمريـة الطلعـة

قـد دخلـت مـن بـابى وجلـست وسـلبت مـنى القلـب والـدين

وأشـعلت النـار فى قلـبى، فـاحترق الإيمـان واحتـرق الحبيـب

وأحرقت كـل بيـدرى وروحـى وجـسدى فأنـا قتيـل عـشقك أيتـها الحـسناء

كفـاك ظلمًـا وجفـاءً

يـا معـشوقتى، يـا محبـوبتى !

أغانى عارف

ولكن مع الاعتراف بفضل شيدا فى تقدم الأغنية، فإنه يجب اعتبار هذا النوع من الأغانى بحق من ابتكار عارف.

---

(١) فى النسخة الأخرى : أيها السرو الجميل ، المملوء بالعز والدلال ، تبختر إلى البستان فقد أصبح وجهك زينة للروضة .

فقد أعطى عارف للأغنية الصورة الشعرية و " قدّم خدمة عظيمة للموسيقى الإيرانية - من حيث الوزن والقالب الغنائى- أى أنه أخرج الأغنية من حالة الضعف التى كانت عليها. وللأغنية أهمية غير عادية فى مجال التربية الأخلاقية وإيجاد الحس الوطنى ونشر اللغة وترويج أى عقيدة فى أى مجتمع مفترض، وقد انتبه عارف إلى هذا المعنى قبل الآخرين[1]".

وأهم ما يميز أغانى عارف أن عارف نفسه كان هو الشاعر والموسيقى والمُغنى فى ذات الوقت، وكان يستخدم قالب الأغنية بمهارة وبراعة كبيرة لبيان الأهداف والمضامين الوطنية، أو بعبارة أخرى كان يستعير الإطار الضيق والمحدود للأغانى العامية ثم يعطيه المعنى والمفهوم الوطنيين[2].

وأغانى عارف سهلة جدًا بل وأسهل أيضًا من غزلياته، وقد نظمت هذه الأغانى كل منها فى تاريخ معين وموقف خاص مثل غزلياته وأشعاره الأخرى، وكان للشاعر هدف سياسى واجتماعى معين من كل منها، ويقول عارف نفسه " إن لم أقدم خدمة أخرى للموسيقى والأدب الإيرانى فإننى قد ألفت الأغانى الوطنية عندما كان يعرف معنى الوطن شخص إيرانى واحد من كل عشرة آلاف شخص ".

وللأسف فإن كثيرًا من هذه الأغانى الحماسية التى ألفت باسم الوطن ولتمجيد الحرية والاستقلال ووصلت إلى مسامع الشعب الإيرانى فى المجامع والمحافل والعروض الموسيقية قد ضاعت اليوم ونسيت ألحان أغلبها بسبب عدم وجود النوتة الموسيقية،

---

(١) سلسلة مقالات " ليس لدينا موسيقى علمية أصيلة " بالتوقيع المستعار فاضل موجومبارى (دكتور على فلاتى)، تبريز ، صحيفة شاهين العدد٢٢ .

(٢) كما سنرى فإن الشعراء والملحنين الإيرانيين الآخرين قد ألفوا أيضًا فى نفس عصر عارف أو بعده بعض الأغانى الوطنية ، ولكن لا تصل أى منها إلى مرتبة أغانى عارف الذى كان شاعرًا وملحنًا فى نفس الوقت .

فمثلاً عندما ألف عارف أغنية "عندما أقبل وقت الخمر وفصل الخضرة والزهور على الروضة "، ألف العقيد ركن الدين خان أيضًا ردًا شعريًا وكان يضيفه لهذه الأغنية، وبمجرد أن سمعه عارف ضرب رأسه فى الحائط وسالت منها الدماء وقال : " سأصبح ضحية لغنتك المبتورة!" فماذا كانت تلك الأغنية وذلك الرد وماذا حدث لهما ؟ لا شيء، فقد ضاعا!- لماذا؟ لأن كلا المؤلفين لم يكن يعرف النوتة الموسيقية[1].

ويقول عارف نفسه فى هذا الصدد : " يعتبر عدم وجود علامات النوتة أعظم مصائب الموسيقى الإيرانية، فمن أسباب حزنى وأسفى أن ما يُغنى باسمى فى فترة حياتى خطأ، فبعض الأشخاص فقط استطاعوا أن يفعلوا ذلك لأنهم كانوا غالبًا معى أثناء تأليف الأغانى، وبعد أن سافرت إلى اسطنبول ورأيت دار الألحان التركية وسمعت أغنياتهم التى يمكن القول بأنها مكوّنة من الموسيقى الإيرانية والعربية، تمنيت أن أقوم بتأسيس مدرسة للموسيقى عند عودتى إلى إيران ولكن للأسف لم أبدأ المشروع وانتهت المسألة.

(حتى كنت أتخيل فى نفسى أن أقوم بإعداد " أوبرا " أو " اوبريت " وأعرضه على المسرح بالاستعانة بتلاميذ هذه المدرسة الموسيقية والذى أعتقد أنه لو تم تنفيذه فإنه لن يكون أسوأ من " آرشين مال آلان " " بائع القماش المتجول ")[2].

واطلاع عارف على الموسيقى بأسلوب علمى ضئيل ومحدود للغاية، فهو مثلاً يعتبر تأليف الأوبريت والأوبرا بتلك الموسيقى الإيرانية التى تفتقد الخط والشكل

---

(١) مقالة " ليس لدينا موسيقى علمية أصيلة " بالتوقيع المستعار موحومبارى (دكتور على فلاتى) ، تبريز ، صحيفة شاهين ، العدد ٢٢ .

(٢) شرح حال عارف بقلم خود او ، ديوان ، ص ٣٣٨ .

أمرًا سهلاً وبسيطًا، وغاية أمله أن يؤلف شيئًا ليس أسوأ من الأوبريت القوقازى " آرشين مال آلان " ويتضح مما قاله هو نفسه أن هذه الرؤية والإدراك المحدود قد ظهرا عنده أيضًا بعد السفر إلى تركيا ومشاهدة دار الألحان (الكونسرفتوار) التركية.

وبرغم ذلك " يمتلك عارف أذنًا موسيقية حساسة بشكل غير عادى، وكأن كل أعضائه وجوارحه قد مُزجت بالموسيقى، وهى أيضًا الموسيقى الموزونة (الموزونة بالشعر)، فهو خبير بالموسيقى أى أنه ناقد، وهو مبتكر فى الموسيقى أى ملحن، والأهم من ذلك أن عارف شاعر وشعره يتطابق دائمًا مع موسيقاه ولهذا فإن أشعاره وموسيقاه كانا مؤثرين، فأى نموذج أفضل من أغنية " لا نقوى على الجلوس معه " التى شرحت بالتفصيل فى مقالة "الشعر والموسيقى" بمجلة آينده، ونحن سنصرف النظر عن تكرارها للإيجاز ونوصى القرّاء المحترمين بقراءة تلك المقالة[١] ".

وفيما يلى الأغنية التى ألفها عارف فى عام ١٣٢٧، فى تلك الأثناء كان يعيش فى أوربا ناصر الملك الذى كان قد أصبح نائبًا للسلطنة فى إيران بعد وفاة عضد الملك، ولّما عاد إلى إيران فى آخر ذلك العام، أعطوه كلمات الأغنية مع بعض التقارير الخاطئة ففر عارف إلى ضريح "الشاه عبد العظيم" خوفًا من أن تصدر الأوامر باعتقاله :

إننى قد جعلت البكاء حجة للثمالة

وشكوت كثيرًا من فعل الزمان

وعندما رفعت الكم عن العين

---

(١) سلسلة مقالات " ليس عندنا موسيقى علمية أصيلة " بالتوقيع المستعار فاضل موجومبارى (دكتور على فلاتى)، تبريز، صحيفة شاهين ، العدد٢٢ .

الخمر سيل من الدماء على طرف الثوب

لماذا أنا لا أئن كالمزمار ؟

لماذا أنا لا أئن من ظلمك أيها الفلك الحقير ؟

كيف لا أبكي من الألم وكيف لا أئن ،

كيف جعلت اللص محرمًا في البيت ؟!

لماذا أنت صامت أيها القلب؟ لماذا أنت معوج مثل القنينة؟

لقد أزيح الستار وانكشف السر فلماذا تخفيه أنت ؟

إن العالم خرب مثل عينك الناعسة

فلماذا وجهك مختبئ خلف الحجاب؟

لا تخفــ الوجه فهذا العصر هو عصر الاختيار

وأنا أعرفك جيدًا

لماذا أنت صامت أيها القلب ؟

عندما أصبح ناصر الملك هو صاحب المملكة

بقي الدار ولا نفس في الدار إلا للأغيار

ليحفظ اللــه الخصوم من بعد الآن

وأنا منذ الآن جعلت بيتي في الحانة

لماذا أنت صامت أيها القلب ؟

إن الأنين الكاذب ليس له أثر

فلماذا لا يقتفى ليلنا أثر الصبح

إن الميت أفضل من ذلك الشخص عديم الفضل

لقد بكيت بكاء العاشق حتى الفجر

لماذا أنت صامت أيها القلب ؟

....

ماذا أقول فما أكثر ما فعله بنا البستانى !

فقد كشف عن أحقاده القديمة

وأبعد أيدينا عن طرف الزهرة

حتى جعلت عشى فى غصن الزهرة

لماذا أنت صامت أيها القلب ؟

وبعد فتح طهران على يد الوطنيين وافتتاح الدورة البرلمانية الثانية ألف أغنية أيضًا فى ذكرى أول ضحايا طريق الحرية، وبسبب عشق "حيدر خان عمو أوغلى" لهذه الأغنية نشرها فى ديوانه تذكارًا لعارف، وقد أحدثت هذه الأغنية جلبة وضجة كبيرتين وظلت تتردد على ألسنة الشعب لفترة :

أغنية فى مقام الدشتى

لقد أقبل وقت الخمر وفصل الزهور والتزه (وحياتى التزه، باللــه التزه) فى الروضة

وخلت ساحة الربيع من الغراب (وحياتى الغراب، باللــه الغراب) والحدأة

ومن سحابة الكرم صارت بلاد الرى محسودة من الختن[1]

إن الطائر أسير القفص قد اكتئب مثلى حزنًا على الوطن

أى سلوك معوج هذا أيها الفلك، أى فعل سيىء هذا وما كل هذا العداء

أنت بلا دين وبلا عقيدة أيها الفلك !

إن زهرة الشقائق تنبت من دم شباب الوطن

لقد أصبحت رؤوسهم وأجسامهم كشجرة السرو المقوسة من كثرة المآتم

والبلبل منزو فى ظل الزهرة من شدة الحزن

وكذلك الزهرة صارت ممزقة الأوراق مثلى حزنًا على هؤلاء

أى سلوك معوج هذا أيها الفلك

النوّاب نائمون والوزراء فاسدون

سرقوا كل ممتلكات إيران من الذهب والفضة

لم يتركوا لنا بيتًا خربًا واحدًا

---

(١) الختن عاصمة منغوليا ، منطقة مشهورة بحسانها (المترجم) .

يا رب خذ حق الفقراء من الأمراء

أى سلوك معوج هذا أيها الفلك

اقلب كل الكرة الأرضية رأسًا على عقب بحق هذه الدموع

لو عندك حفنة من تراب الوطن فضعها على رأسك

حرّك عروق الغيرة وفكر جيدًا فى عواقب الأمور

اجعل صدرك ترسًا أمام سهم العدو

أى سلوك معوج هذا أيها الفلك

إن أنينى من شدة الألم الذى تسبب فيه العدو

إن ما يخيف كل هؤلاء الأشخاص هو الموت وليس الميت

إن تضحية العشاق ليس كلعبة النرد

فلو عندك رجولة فهذا هو وقت المعركة

أى سلوك معوج هذا أيها الفلك !

وفى عام ١٣٢٩، وعندما نزل الشاه المخلوع فى جمش تبه (جوميشان) بتحريض الروس وظل يحاول استعادة التاج والعرش المفقودين، وكانت الدولة قد سقطت فى قبضة السياسيين المرائين والأنانيين غير الجديرين، شجع عارف الأحرار الحقيقيين على الصمود والفداء بنظم هذه الأغنية، و لم يدع الخونة والمرائين يسلمون من لدغة قلمه :

أغنية فى مقام سارنج- أبوعطا

١

إن القلـــب لـــيس لديـــه اشـــتياق للخـــضرة والـــوادى (لـــيس لديـــه)

ولـــيس لديـــه رغبـــة فى الـــسير والـــتتره فى الحديقـــة (لـــيس لديـــه)

ولـــيس لديـــه رغبـــة فى الـــصحبة معنـــا (لـــيس لديـــه)

ســـيدمى هـــذا القلـــب الـــذى لـــيس لديـــه صـــبر (لـــيس لديـــه)

أيهـــا القلـــب الغافـــل إن عملـــك بـــلا جـــدوى، ســـتدمى أيهـــا القلـــب،

ســـتدمى أيهـــا القلـــب

لنـــا قلـــب مجنـــون،فنحن غربـــاء عـــن أنفـــسنا،ليس لـــدينا خـــوف

مـــن أحـــد (وحيـــاتى خـــوف، باللـــه خـــوف)!

أى ظلـــم لم نـــره مـــن دورة الأفـــلاك

نحـــن لم نـــر بـــصحبة القافلـــة إلا حفنـــة مـــن اللـــصوص

لم نـــر أســـفل الزهـــرة ســـوى عنـــاء البـــستانى

لم نـــر فى حـــى الحبيـــب ســـوى الحاجـــب والحـــارس !

٢

إن البيـــت لـــيس فى أمـــان مـــن الجـــار الـــشرير

حـــب الـــوطن لـــيس فى قلـــب ذوى الطبـــاع الـــسيئة

فالكلـــب لا يكـــون رحيمًـــا مـــع أحـــد بـــلا ســـبب

ففـــر مـــن ذلـــك الفـــخ الـــذى بـــه ذلـــك الطعـــم

أيهـــا القلـــب الغافـــل ...

٣

لمـــــاذا رفعنـــــا رايـــــة الدســـــتور يـــــا يوســـــف

واحـــــسرتاه فقـــــد افترســـــناه هـــــو نفـــــسه كالـــــذئب

ورأينـــــا قميـــــصًا فى حـــــضن يعقـــــوب

ولا أحـــــد ينكـــــر مـــــن الإخـــــوة

أيهـــــا القلـــــب الغافـــــل ...

٤

إلى مـــــتى ســـــتظل نائمًـــــا بفعـــــل سياســـــة الأجانـــــب؟

إلى مـــــتى تتجـــــرع كـــــأس العـــــذاب مـــــن يـــــد العـــــدو؟

ارفـــــع يـــــدك فأنـــــت مالـــــك الرقـــــاب !

إن الرجـــــل لا يـــــتمنى إلا المـــــوت

أيهـــــا القلـــــب الغافـــــل

٥

أيـــــن الهمّـــــة أيهـــــا الـــــشعب، لـــــو أنكـــــم عاشـــــقون لإيـــــران

فلمـــــاذا تجلـــــسون مطمئـــــنين هكـــــذا فى هـــــذا الوقـــــت؟

هـــــل تنتظـــــرون يومًـــــا أســـــوأ مـــــن هـــــذا ؟

لم يعـــــد هنـــــاك مجـــــال للـــــصبر أكثـــــر مـــــن هـــــذا

أيهـــــا القلـــــب الغافـــــل

٦

إن لم تتحمـــــل العنـــــاء فلــــن تــــصبح قـــــادرًا

فهــــذا هــــو طريــــق العــــشق أيهـــا القلـــب فـــلا تعـــد

احتــــــرق كالـــــشمع كــــــى تــــصبح قتـــــيلاً

إن عـــــارف العاشــــق لــــيس لديــــه أى خـــــوف

أيهـــــــا القلـــــــــــب الغافــــــــــــل

ومن أغانى العشق الطويلة الأخرى لعارف والتى لقيت شهرة كبيرة فى وقتها، الأغنية التى ألفها فى خريف عام ١٣٢٩، عندما هُزم محمد على ميرزا وفرّ مرة ثانية إلى روسيا، ومقطعها الأول على النحو التالى :

أغنية فى مقام الأفشارى

لا لى قــــــدرة كــــــــى أجلـــــــس معـــــــه

ولا طاقــــــــة لى كـــــــــى أرى غـــــــيره

فقـــــد أصــــــبح آفــــــة عقلــــــى وديــــــنى

فيـــــا مـــــزين القلـــــب يـــــا ســـــروى القـــــوام

لقــــــد عـــــلا بـــــشدة أمــــــر عـــــشقى

ومــــــــــلأ الجنـــــــــــون رأســــــــــــى

واحتـــــل العــــشق مكـــــان العقـــــل فجـــــأة (مرتـــــان)

آفـــــــة الجـــــــــسد، فتنـــــــــة الـــــــــروح

لـــــــص الــــــدين، ســـــــارق الإيمـــــــان

إن عينــــــــك التركيـــــــــة ليــــــــست مختبئـــــــــة

إنهـــــا واضـــــحة أيهـــــا المعــــشوق

لقـــد أغـــار علـــى بيـــت القلـــب (مرتـــان)
حـــرقتى مـــن حرقـــة قلـــبى الجـــريح
وضـــحكى مـــن حظـــى الـــسيئ
أبكـــى مـــن فعـــل اليـــد الـــشريرة
إنـــنى أريـــد أن أراه بـــأى شـــكل
لقـــد أغلـــق البكـــاء طريـــق العـــيش والمـــرح (مرتـــان)
كـــان وجهـــه فى الـــصباح كالليـــل المظلـــم
فقـــد كـــان المـــسك التـــارى يـــسيل مـــن شـــعره
فأنـــت طويـــل ومظلـــم أيهـــا المحبـــوب
يـــا ملائكـــى الوجـــه، عنـــبرى الـــشعر
لقـــد أخـــذت خـــصلتك صـــفتى الطـــول والظلمـــة مـــن الليـــل
فتـــسبب هـــذا فى اضـــطراب حـــالى
عـــشقك مـــلأ كيـــانى مـــن الـــرأس إلى القـــدم (مرتـــان)
وامـــتلأ البيـــت كلـــه همًّـــا وغمًّـــا عليـــك (مرتـــان)
عينـــك الناعـــسة قاتلـــة وســـافكة للـــدماء
مثـــل جنكيـــز التركـــى الـــسفاح
وقـــد أصـــبحت مرغوبًـــا لـــبعض النـــاس
حـــذار حـــذار أيهـــا المعـــشوق
فقـــد ارتفعـــت نـــيران الفتـــنة (مرتـــان)
لا تـــضرب المـــشرط فى قلـــب الجـــريح

وتـــــــــــذكر آهـــــــــــة المظلـــــــــــومين

احـــــــــــذر مـــــــــــن آهـــــــــــة المـــــــــــسكين

كـــــــــــأن قلبـــــــــــك أيهـــــــــــا القاســـــــــــى

قـــــد أصـــــبح أكثـــــر صـــــلابة مـــــن الحجـــــر الـــــصوّان (مرتـــــان)

وفى عام ١٣٢٩، وعندما قدّم الروس مذكرة للحكومة الإيرانية وطـالبوا فيهـا بطرد مدير عام الخزانة المستر مورجان شوستر، ثار الرأى العـام وانطلقـت صـيحة "الاستقلال أو الموت!" من المجلس والشعب، وفى تلك الأثناء ألف عارف هذه الأغنيـة فى "بهجت آباد" باسم شوستر :

فى مقام الدشتى

أى عار يصيب الدار إذا طُلب من الضيف مغادرة المائدة (حبيبى)

فلتضح بالروح ولا تترك الضيف يذهب (يذهب)

فإن يمضى شوستر عن إيران فقد تفنى إيران نفسها (حبيبى)

فجاهدوا أيها الشباب حتى لا تفنى إيران وتذهب (تذهب)

أنت الروح للجسد الميت، أنت الروح لعالم بأكمله

أنت كنز الكنوز، أنت العمر الخالد

أبقاك اللـــه، أبقاك اللـــه !

لقد قُسّم الإسلام فيما بين الوزراء

وكل واحد قدّم نصيبه للعدو

وهناك جماعة واحدة ثابتة على رأيها فى طلبك

سنكون كفرة لو تركنا الإيمان يذهب

أنت الروح للجسد الميت

لقد فاض بنا الكيل ولم تعد لدينا قدرة على التحمل

فاللص يريد أن يسرق بيتنا بكل وقاحة

أى عار تاريخى عالمى سيلحق ببلادنا العريقة

إذا تركنا شوستر يرحل عن إيران !

أنت الروح للجسد الميت

لقد أصبح كلب الراعى مع الذئب مثل ليلى مع المجنون

إن حارس القطيع الحالى هو راعٍ جبان

لقد مُحيت كعبة القلب هذه على يديك أنت نفسك

فلا تدع الصديق يرحل عن هذا البيت الخرب !

أنت الروح للجسد الميت

لا تذهب أنت حتى لو ذهبت أرواحنا وأجسادنا ووجودنا

فالشرير عميت عيناه بسبب اتفاقنا

ويحاول أن ينسينا فراقك بالسكر فى الخمارة

وأنين عارف يصعد إلى عنان السماء بسبب هذا الألم

أنت الروح للجسد الميت

٤ – اللاهوتى

ولد أبو القاسم اللاهوتى بكرمانشاه عام ١٣٠٥هـ ق، عمل والده "الهامى" إسكافيًّا، وكان الأب والابن كلاهما شاعرين ومن دعاة الحرية، وقد تعرّف لاهوتى فى بيت أبيه على المحيط الأدبى لكرمانشاه، ولمّا كان دخل والده المادى ضئيلاً ولا يكفى لتربيته تربيةً راقيةً فقد حضر إلى طهران لاستكمال دراسته بدعم مادى من أحد أصدقاء الأسرة، وكان آنذاك فى السادسة عشر من عمره، وبعد عامين نشرت له فى صحيفة "حبل المتين" طبعة كلكتا أولى غزلياته والتى تميزت باللهجة الحماسية والتحررية، وأدت إلى شهرة الشاعر الشاب ورفعته إلى حد ما.

وفى عام ١٣٢٣هـ ق، أخذ اللاهوتى ينشر المنشورات السرية والكتابات السياسية فى طهران، وانضم لصفوف الفدائيين الأحرار فى الثورة الدستورية.

ويتضح من أحد أشعاره بعنوان "الوسام" أنه حارب جماعة المستبدين فى الرشت عام ١٣٢٦هـ ق، وأنه حصل على وسام ستارخان :

ركـــــضوا أمامنـــــا ركبانًـــــا ووصـــلوا إلينـــا مـــن وســـط الـــصفوف

وفى يـــد كـــل واحـــد منـــهم وســـام فقالوا لنـــا تقـــديرًا للبطـــولات العديـــدة

التى تعد من عوامـــل الفخـــر فى هـــذا الزمـــان هـــــذا وســـــام ســـــتارخان العـــــالى

إلى أن يقول :

إن ذلك الوســـام فى عـــصر الرجعيـــة هـــذا ذلـــك الوســـام الغـــالى مثـــل الـــروح

قـــد كفنتـــه بالكتابـــات الـــسياسية ودفنتـــه تحـــت إحـــدى الأشـــجار

وفى عام ١٣٣٠هـ ق، وعندما نفى "ناصر الملك" الديمقراطيين ومجموعة من المعتدلين الأحرار إلى قم، ظهر استياء وسخط شديدان بين الأحرار خاصة أفراد الدرك من سياسة الحكومة، وحدثت فوضى فكرية خطيرة بين الشباب خاصة الديمقراطيين بسبب اليأس من سياسة الحكومة ونائب السلطنة، فمثلاً هبّ على أصغر خان قربان زاده التبريزى والذى كان من رؤساء الدرك الغيورين والمتحمسين وقائد نقاط الحراسة فى قم والعراق، وثار ضد الحكومة المركزية ونزع سلاح نقاط الحراسة على طريق طهران- قم، وانضم لسالار الدولة، إلا أنه لم يستطع أن يفعل شيئًا وتم اعتقاله وإعدامه رميًا بالرصاص.

وكان اللاهوتى آنذاك رئيس قطاع قم، وتوترت العلاقة بينه وبين السويديين، فحكم عليه غيابيًا بالإعدام بتهمة القيام بأعمال تخريبية فى الدرك، ولكنه فرّ إلى الأراضى العثمانية ومكث هناك لفترة فى المدرسة الابتدائية الإيرانية لتعليم اللغة الفارسية وعاش حياته مضطربًا مشتتًا .

وقد نشرت أول أشعار اللاهوتى من القصيدة والغزل والأغنية فى صحف ذلك العصر مثل "حبل المتين" و "إيران نو".

وفى هذه الفترة يظهر فى أشعار اللاهوتى تأثير صابر الشاعر القوقازى المشهور، وكذلك الشعراء الأتراك، ويعترف اللاهوتى نفسه بأنه قد تعلم من صابر الأسلوب الواقعى وطريقة استخدام أشعار السخرية كسلاح فى النضال الاجتماعى[1]، كما يعترف أيضًا بأنه عرف صابر فى البداية من خلال ترجمات سيد أشرف الدين الحسينى مدير صحيفة "نسيم شمال".

والقطعة الشعرية التى نظمها اللاهوتى فى عام ١٣٢٧هـ ق، أثناء حصار مدينة تبريز على يد جنود الملك المستبد وهزيمتهم، ونقلها إدوارد براون فى كتابه[2]، تعد نموذجًا مهمًّا جدًا للأسلوب الواقعى فى التعبير :

الوفاء بالعهد

لقــــد ألمّ العجــــز والــــوهن بجـــيش الظلـــم وعـــاد أدراجـــه

عــاد لا رغبــة منــه فى العــودة، ولكــن مــن شــجاعة الأحــرار

لقــــد فــــتح الطريــــق وتتابعــــت أحمــــال القمــــح والمــؤن

علــى تبريــز مــن كــل حــدب، ومــن كــل صــوب

لقــــد توقفــــت تلــــك الأمــــة صــــاحبة العزيمــــة والإرادة

---

(١) يقول فى الرسالة التى كتبها بتاريخ ١٧ يونيه ١٩٥٤ م، باللغة الفارسية من موسكو لمير أحمداوف (مؤلف شرح حال صابر، باكو ١٩٥٨م) : "أشعار صابر مبتكرة وتفيض بروح الشهامة وتتميز بالحكمة وشدة البساطة والسلاسة لدرجة أنها تخترق قلب أى إنسان يعشق الحرية ، وقد كان صابر دليلى وقدوتى فى كتابة مثل هذه الأشعار المستقلة ، وأنا وسائر كتّاب الفكاهة الإيرانيين أيضًا ندين بالفضل لأستاذيته فى هذا المجال ... والظاهر أن الأعمال الفكاهية كانت توجد قبل صابر أيضًا ولكن مؤسس ذلك الأسلوب الفكاهى الذى يهبّ لنجدة الشعب ويحارب الاستبداد والاستغلال ويظهر باسم حرية وسعادة الكادحين ، ليس هو إلا على أكبر صابر" .

(٢) Brown , E.G , Press and Poetry of Modern Persia , Camb. 1914 .

عن أكل الخيل والعلف وأوراق الشجر
ووقفت امرأة حرة على شاهد أحد القبور
وقفت وعيناها منهمرة بالدموع وفى طرف ثوبها بعض الخبز
وقفت عارية من الرأس إلى القدم وعيناها على القبر
وقفت دون حراك أو كلام وكأنها تمثال من فولاذ
ثم وضعت المرأة الحرة ما كان بطرف ثوبها
من خبز على شاهد القبر وقالت وهى غاضبة غضبة الأسد
منذ أن كان جسدك مضرجًا فى الدماء فى الخندق نفسه
وأنا يا ولدى أبذل كل ما فى وسعى بروحك الغالية
حتى لا تظن أننى لم أكن وفية معك
وروحك تشهد على أنه لم تكن هناك أى رائحة للخبز
فقد ودعت الدنيا مثخنًا بالجراح، مستبدًا بك الجوع
إننى أعاهدك على أن كل خبز يأتينى
سأحضره على الفور إلى قبرك الغالى
فانهض حتى أعطيك الخبز وأسلم الروح

....

لتهدأ نفسك فقد انتصرنا يا إبنى الحبيب
وإننى جئت الآن لأزف إليك بشرى الحرية وإحضار الخبز
إن اللبن الحلال الذى أرضعتك إياه من ثديى
كنت تستحقه لأنك ضحيت بروحك ولم تنقض العهد

طهران، ديسمبر ١٩٠٩م

والقطعة الأخرى التى تعد من أقوى أشعار اللاهوتى فى هذا العصر، هى قطعة "هدهدة الأم" التى نشرت فى صحيفة "إيران نو" فى أواخر محرم عام ١٣٢٨هـ ق، ففى هذا الشعر الذى نظم بأسلوب صابر[١]، يدعو الشاعر جيل الشباب بغيرة وحماس وطنى شديد لأن يجهزوا أنفسهم ويستجمعوا قوتهم من أجل حماية الوطن من المعتدين الأجانب، وأن يطردوا المستعمرين من الدولة ويصيروا هم أصحاب الوطن وأصحاب البلد، والملفت للنظر أن السمة الأساسية لأشعاره فى المرحلة التالية من حياته، أى الشىء الذى كان يميزه بعد مرحلة الهجرة إلى الأراضى السوفييتية، أنه أول شاعر فارسى يعبر عن طبقة العمال، كانت هذه السمة تلاحظ أيضًا إلى حد ما فى أشعاره الأولى :

لقد أقبل الفجر وموسم العمل، نم يا حبيبى نام

ونومك أصبح يجلب العار، نم يا حبيبى نام

نام نام، نام يا حبيبى نام

نام نام، نام يا حبيبى نام

من العار أن يكون الناس كلهم فى عمل ونشاط وأنت نائم

فإن تقدم الوطن مرتبط بالعمل، نام يا حبيبى نام

انهض وأسرع إلى المدرسة

إن تراب أجدادك مخضب بدماء الشهداء

وحولك سور عالى من ذلك التراب، نام يا حبيبى نام

لقد أصيبت إيران الأم بالحزن والغم

---

(١) يقول مطلع شعر صابر :الأمان على العلو (الارتفاع) ، لا تفق من الغفلة إنه أمر ثقيل. الرفعة والسمو أمر ثقيل . لا تفتح العين ، لا تفق من نوم الجهل إنه أمر ثقيل ، الرفعة والسمو إنه أمر ثقيل ثقيل .

أنت الطفل الإيرانى وإيران هى وطنك !
إن الروح لها جسد لائق بلا عيوب، نم يا حبيبى نام
أنت الروح وإيران لك كالجسد

انهض أيها المسلح وابذل الجهد فى حماية الوطن
أيتها الزهرة الجديدة، لماذا إيران ذليلة؟ نام يا حبيبى نام
إذن ألبس الجسد ثوب العزة

إن مكانك ليس هو المهد، مكانك هو السرج
إنه وقت الصيد يا ابن الأسد، نام يا حبيبى نام
انهض فإن العدو متربص فى الكمين

لا تدع الوطن يصير ملكًا للآخرين
والوطن له مُحب مثلك، نام يا حبيبى نام
فإن كرامة الوطن تنتهك !

المراجع والمصادر

مأخذ تاريخى

- آكادمى علوم شوروى : إيران كنونى، مسكو، ١٩٥٧م (روسى)
- امين الدولة، ميرزاعلى خان : خاطرات سياسى - به كوشش حافظ فرمانفرمانيان تهران، ١٣٤١ش.
- ايوانف، م. س:
  ١. انقلاب إيران در سالهاى ١٩٠٥ ـ ١٩١١م، مسكو، ١٩٥٧م (روسى)
  ٢. جديد ترين تاريخ ايران، مسكو، ١٩٦٥م (روسى)

-Back de Surany (A.-) Essai sur La Conslitution Perane, Paris, 1914

- براندس، ژرژ : جنايت روس وانگليس نسبت به ايران، برلين، ١٣٣٦
- براون، ادوارد: انقلاب ايران، ترجمه وحواشى به قلم احمد پژوه، تهران، ١٣٣٨ش.

Berard (V.-) Revolution de la Perse. Paris, 1910

- پاوليچ، (م. -) وتريا (و. -) وايرنسكى (س. -): انقلاب مشروطيت إيران وريشه هاى اجتماعى واقتصادى آن، ترجمة هوشيار، تهران . ١٣٣٠ش
- تقى زاده، سيد حسن: خطابه مشتمل برشمه اى از تاريخ اوايل انقلاب ومشروطيت ايران، تهران، ١٣٣٨ش
- سايكس، سرپرسى: تاريخ إيران، ترجمة سيد محمد تقى فخرداعى گيلانى، تهران١٣٣٥ش
- شميم، على أصغر: إيران در دورة سلطنت قاجار، تهران، ١٣٤٢ش.

-Shuster (W. Morgan-) The Strangling of Persia, London, 1912.

-Gordon (T. E. -), The Reform Movement in Persia, London, 1917.

- کسروی، احمد : تاریخ مشروطهٔ ایران، چاپ چهارم، تهران؟
- ناظم الاسلام کرمانی، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان در ۳ جلد، تهران، ۱۳۳۲ش
- نوانی، عبد الحسین: ورقی از تاریخ مشروطه- انقلاب گیلان چگونه آغاز شد ؟ مجلهٔ یادگار، سال ٤، شمارهٔ ۳۰
- نیکیتین، بازیل: سوسیال دموکراتهای قفقازی در انقلاب ایران، مجلهٔ Lèlsie Francais ۱۹۳۵م (فرانسه)
- وحید مازندرانی، ع: قرارداد۱۹۰۷روس وانگلیس راجع به ایران، تهران، ۱۳۲۸ش٠
- ویجویه. حاجی محمد باقر قدکچی: تاریخ انقلاب آذربیجان وبلوای تبریز،تبریز، ۱۳۲۹ش
- هدایت، مهدیقلی : خاطرات وخطرات . تهران، ۱۳۲۹ش٠

صفا

- اشراق خاوری، عبدالحمید: صفای اصفهانی، مجلهٔ ارمغان، سال۷، صفحات۴۰۳- ٤۱۷.
- مجلهٔ اطلاعات هفتگی، شمارهٔ ۸٦۷
- سهیلی خوانساری، احمد: مقدمه بر دیوان صفا، تهران ۱۳۳۷ش
- صفا، حکیم: دیوان اشعار، با اهتمام وتصحیح احمد سهیلی خوانساری، تهران ۱۳۳۷ش
- مجدالعلی، بوستان: سطری چند راجع به شرح حال صفای اصفهانی، مجلهٔ ارمغان، سال ۷، صفحات ٤۷۸- ٤۸۰.

شوریده

- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران ۱۳۲۹ش٠
- حکمت، علی اصغر: شوریدهٔ شیرازی، مجلهٔ ارمغان، سال۷، صفحات ۳۵۵- ۳٦٥.

- شوریده،حاج محمد تقی فصیح الملك:غزلیات ... به اهتمام حسن فصیحی، تهران، ۱۳۲۵ش

- فصیحی، حسن: شوریدهٔ شیرازی، مجلهٔ ارمغان، سال۹، صفحات۷۷ـ ۹۲ ومابعد.

- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین – شوریدهٔ شیرازی، مجلهٔ یادگار، سال۵، شمارهٔ۳، صفحات ٦٤ـ ٦٦.

أديب نيشابوري

- اشراق خاوری، عبدالحمید: ادیب نیشابوری، مجلهٔ ارمغان، سال۷، صفحات۲۳٤ـ ۲٤٥.

- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران ۱۳۲۹ش.

- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه، ذیل ادیب نیشابوری.

- رشید یاسمی، غلامرضا: ادبیات معاصر ایران، تهران ۱۳۱٦ش.

- قزوینی، محمد: میرزا عبدالجواد معروف به ادیب نیشابوری، مجلهٔ یادگار، سال۵، شمارهٔ ٦ـ ۷، صفحات ۱۳۳ـ ۱۳۵.

- مجتهدزاده، علیرضا: ادیب نیشابوری، نامهٔ فرهنگ، سال۲، صفحات ۲٦۷ـ ۲٦۹.

جرايد ومطبوعات

- براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی، ج۲، تهران، ۱۳۳۷ش.

- صدرهاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران درچهارجلد،اصفهان،۱۳۲۷ـ ۱۳۳۲ش.

- کسروی، أحمد: تاریخ مشروطهٔ ایران، چاپ چهارم، تهران،؟

أشعار مطبوعاتی

اخوان ثالث، مهدی: نوعی وزن درشعرامروزفارسی، مجلهٔ پیام نوین، سال۵، شمارهٔ۱۲.

اشرف، اشرف الدین حسینی: باغ بهشت، تهران، ۱۳۳۸.

براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران، ج۱، ۱۳۳۵ش

برتلس،ای. ا.: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی)۰

یك قرن انقلاب در روسیه

- آکادمی علوم أذربیجان شوروی: تاریخ مختصرادبیات أذربایجان، ج۲، باکو،۱۹٤٤م.

-Outline History of The U.s.s.R. , Foreign Languages Publishing House, Moscow.

- والتر، کلنل (وابستهٔ نظامی فرانسه در روسیه): تاریخ روسیه، ترجمهٔ نجفقلی معزی، حسام الدوله، تهران، ۱۳۳۸ش۰

- وودنسکی، ب.أ. : آنسیکلوپدی روس، در۳جلد، مسکو، ۱۹۵۳- ۱۹۵۵م۰

ملا نصر الدین - صابر

- آکادمی علوم أذربیجان شوروی: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، به قلم ف. قاسم زاده، میرجلال و م. عارف، ج۲، باکو، ۱۹٤٤م (آذربایجانی)۰

- ترکه کول، مصطفی حقی: نظری به ادبیات فکاهی آذربایجان، مجلهٔ فرهنگ ترك (ترك کولتورو)، آنکارا، شمارهٔ ۹، ۱۹٦۳م (ترکی)۰

- توفیق، عبد الرحمن: صابر، مجلهٔ مکتب، بکو، شمارهٔ ۱۱، ۱۹۱۳م (آذربایجانی)

- چمن زمین لی، یو . و. : نظری به ادبیات آذربایجان، استانبول، ۱۳۳۷ (ترکی)۰

- حسین، سید: مقدمه بر کلیات صابر، باکو، ۱۹۳٤م (آذربایجانی)

- خندان، جعفر:

۱. رئالیست بزرگ وفکاهینویس انقلابی (صابر)، مجلهٔ آذربایجان، باکو، شمارهٔ٦، ١٩٥٢م .
٢. صابر، باکو، ١٩٤٠.
٣. صابر ومسئلهٔ رئالیسم سوسیالیستی در ادبیات قرن بیستم آذربایجان،مجلهٔ ادبیات و هنرهای زیبا، باکو، شمارهٔ ٢٧، ١٩٥٦م.
٤. صابر وشرق، مجلهٔ انقلاب وتمدن، باکو، شمارهٔ ٧، ١٩٤٦م.
٥. زندگانی صابر، مجلهٔ انقلاب وتمدن، باکو، شمارهٔ ١٠، ١٩٤٧م.
- دهخدا، علی اکبر : لغتنامه ط – طاهرزاده، طاهرزاده – طرب، صفحات ٩٩ – ١٠٤
- روزنامهٔ ملانصرالدین، مجموعهٔ ١٩٠٦ـ ١٩١٤م.
- زمانف، عباس:
١. شاعرآزادی ودموکراسی (به مناسبت چهل وپنجمین سالگرد درگذشت صابر)، روزنامهٔ کارگر، باکو، شمارهٔ ١٧٢، ١٩٥٦م.
٢. مقدمه بر دیوان صابر (هوپ هوپ نامه)، باکو ١٩٦٢م.
- شریف، ع، :
١. زندگی واشعارصابر، مسکو، ١٩٥١م (روسی).
٢. خطابه به مناسبت پنجاهمین سال تأسیس روزنامهٔ ملانصرالدین، مجلهٔ
٣. خلاصهٔ اخبار دانشکدهٔ خلورشناسی آکادمی علوم شوروی، مسکو، شمارهٔ ٢٧، ١٩٥٨م (روسی).
- صابر، میرزا علی اکبرطاهرزاده: هوپ هوپ نامه، باکو، ١٩١٢م، ١٩١٤م، ١٩٢٢م،

١٩٤٨م، ١٩٥٤م، تبریز، ١٣٢٠ش. کلیات، باکو، ١٩٣٤م، منخبات، باکو، ١٩٤٥م، اشعار برگزیده، باکو، ١٩٥٥م، فکاهیات وغزلیات، لنینگراد، ١٩٥٠م (روسی).

- صحت، عباس: ترجمۀ حال صابر (مقدمه بر آثار برگزیدۀ شاعر)، باکو، ۱۹۵۰م .
- صفر اوغلی، پرفسور دکتر احمد: به مناسبت صدمین سال تولد صابر، شاعر فکاهینویس
آذربایجان، مجلۀ فرهنگ ترك، أنکارا، شمارۀ ۳، ۱۹۶۳م (ترکی) .
- طاهرلی، م. س. : اطلاعاتی دربارۀ زندگانی میرزا علی اکبر صابر، مقدمه بر آثار برگزیدۀ شاعر، ۱۹۵۵م.
- عارف م. ا . : کتاب ادبیات، باکو، ۱۹۳۹م.
- علی اکبر،(ح.-) وشمیلوف (س.-): علی اکبرطاهرزاده، باکو، ۱۹۳٦م.
- کسروی، احمد: تاریخ مشروطۀ ایران، چاپ چهارم، تهران،؟
- کلیاشتورینا، و.:
۱. روزنامۀ ملانصرالدین وفکاهیات سیاسی إیران در عهد انقلاب۱۹۰۵-۱۹۱۱م، مجلۀ خلاصۀ اخبار دانشکدۀ خاورشناسی آکادمی علوم شوروی مسکو، شمارۀ ۲۷، ۱۹۵۸م (روسی)
۲. انواع فرهنگ عامیانه در شعر دموکراتیك إیران در عهد انقلاب سالهای ۱۹۰۵- ۱۹۱۱، مجلۀ خلاصه اخبار دانشکدۀ خاورشناسی آکادمی علوم شوروی، مسکو، شمارۀ ۲۲، ۱۹۵۷م (روسی).
- لوکیانف، آ. : جهات اصلی خلاقیت صابر، باکو، ۱۹۲۳م.
- محمد قلی زاده، جلیل :
۱. منتخبات، باکو، ۱۹۵۱م.
۲. کلیات، باکو، ۱۹۵۱م.
۳. نشریۀ انجمن إیران وشوروی، تبریز، ۱۳۲۳ش.

- میراحمدوف، عزیز:
۱. مقدمه بر کتاب هوپ هوپ نامه، باکو، ۱۹۵٤م
۲. میرزا علی اکبرصابر، باکو، ۱۹۵۵م (روسی).
۳. صابر، باکو، ۱۹۵۸م (آذربایجانی)
٤. (مقاله درچاپ دوم انسیکلوپدی بزرگ شوروی، ج۳۷)(روسی).
- میرجلال صابر: تاریخ ادبیات آذربایجان، ج۲، باکو، ۱۹٤۳م.
- ولی یف، م. : دوهمفکر(صابرومعجز)، باکو، مجلهٔ آذربایجان، شمارهٔ۹، ۱۹۵۰م.

ستارخان سردارملی

-اردوبادی، محمد سعید: ستارخان،روزنامهٔ وطن او غروندا، شمارهٔ۲، ۱۹٤۲م (آذربایجانی)
- امیرخیزی، اسماعیل: قیام أذربیجان وستارخان، تبریز، ۱۳۳۹ش
- براون، ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهٔ احمد پژوه، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۸ش .
- جاوید، دکتر س. : دوقهرمان آزادی، تهران، ۱۳٤۲ش.
- شفق، دکتررضازاده:ستارخان سردارملی (درمردان خودساخته)،تهران، ۱۳۳۵ش.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، ستارخان سردارملی، مجلهٔ یادگار، سال۵، شمارهٔ۱-۲
- نوائی، عبدالحسین:
۱. ستارخان سردارملی قهرمان انقلاب آذربایجان، اطلاعات ماهانه سال۱، شمارهٔ ۹
۲. ستارخان قهرمان نامی مشروطیت، سالنامهٔ دنیا، صفحات ۳۳۸-۳٤۱.

أشرف الدين - حسینی نسیم شمال

- براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران دردورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی، ج۱، تهران، ۱۳۳۵ش.
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۲، تهران.
- جمال زاده، سید محمد علی: پنجاهمین سال تأسیس روزنامهٔ نسیم شمال، مجلهٔ یغما، سال ۱۳، شمارهٔ ۳.
- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه. ذیل اشرف الدین.
- صابر، میرزا علی اکبرطاهرزاده : هوپ هوپ نامه، باکو، ۱۹۶۲م.
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۴، تهران، ۱۳۳۲ش.
- قزوینی، محمد : وفیات معاصرین – سید اشرف الدین، مجلهٔ یادگار، سال ۳، شمارهٔ ۳
- کلیاشتورینا، و. : روزنامهٔ ملانصرالدین وفکاهیات سیاسی ایران در عهد انقلاب ۱۹۰۵- ۱۹۱۱م، اخبارمختصردانشکدهٔ خاورشناسی، ج۲۷، مسکو، ۱۹۵۸
- میراحمدوف، عزیز: صابر (اشعاراو دربارهٔ انقلاب ایران وترکیه)، باکو، ۱۹۵۸م.
- نفیسی، سعید: مجلهٔ سپید وسیاه، شهریور ۱۳۳٤ .

دهخدا - صور إسرافیل

- افشار، ایرج: علی اکبردهخدا، فرهنگ ایران زمین، دفتر ٤، ج۳، ۱۳۳٤ش.
- براون، ادوارد:
۱. تاریخ ادبیات ایران از آغاز عهد صفویه تا زمان حاضر، ترجمهٔ رشید یاسمی، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ش.

۲. تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمدعباسی، ج۱، ۱۳۳۵ش.
- برتلس، ی. ا. : تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی).
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران، ۱۳۲۹ش.
- چایکین،ك: تاریخ مختصر ادبیات ایران، مسکو، ۱۹۲۸م (روسی).
- خلخالی، سید عبدالحمید: تذکرهٔ شعرای معاصر ایران، ج۱، تهران، ۱۳۳۳ش.
- دستغیب، عبدالعلی: علی اکبر دهخدا، مجلهٔ پیام نوین، سال ۴، شمارهٔ۱، ص۳.
- دهخدا، علی اکبر:
۱. مجموعهٔ اشعار به اهتمام دکتر محمد معین، تهران.
۲. شماره های روزنامهٔ صوراسرافیل دورهٔ اول ۱-۳۲، دورهٔ دوم۱.
- کسروی، سید احمد: تاریخ مشروطهٔ ایران، چاپ چهارم، تهران؟
- هشترودی، محمد ضیاء: منتخبات آثار، تهران، ۱۳٤۲ .

رسول زاده

- تقی زاده، سید حسن: پایان یك زندگی پرحادثه (محمد امین رسول زاده)، مجلهٔ سخن، سال ٦، صفحات ۳٤۲-۳٤٤ .
- صدرهاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۱، تهران ۱۳۲۷ش.
- نوانی، عبدالحسین: محمد امین رسول زاده، مجلهٔ یادگار، سال ٥، شمارهٔ۱-۲،صفحات

اعتصام الملك مجلهٔ بهار

- اعتصام الملك، میرزا یوسف خان:
۱. تیره بختان، ترجمه از ویکتور هوگو،ج۱،تهران، ۱۳۰۳ش.
۲. خدعه وعشق ترجمه از شیللر، تهران، ۱۳۲٥هـ ق

۳. تربیت نسوان (ترجمهٔ تحریر المرأة)، تبریز،۱۳۱۸هـ ق
٤. ثورة الهند (به عربی) ترجمه از هورتستت انگلیسی،مصر، ۱۳۱۸هـ ق.
٥. سفینهٔ غواصه یا سیاحت تحت البحر. ترجمه از ژول ورن، تهران ؟
٦. مجلهٔ بهار،: سال یکم، چاپ دوم، مرداد ۱۳۲۱ش.وسال دوم، چاپ دوم، اسفند ۱۳۲۱ ش.

- براون، ادوارد: تاریخ ادبیات ایران از آغاز عهد صفویه تا زمان حاضر، ترجمهٔ رشید یاسمی تهران، ۱۳۱٦ش.
- برتلس، (ی. ا. -): تاریخ مختصرادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).
- دهخدا، علی اکبر: تاریخچهٔ زندگانی یوسف اعتصامی (دیباچهٔ چاپ دوم مجلهٔ بهار)، تهران، دیماه ۱۳۱٦ش.
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۲، اصفهان، ۱۳۲۸ش.
- قزوینی، محمد : وفیات معاصرین – اعتصامی، مجلهٔ یادگار، سال ۳، شمارهٔ ۳.

تاریخنویسی

- براون، ادوارد:
۱. تاریخ ادبیات از آغاز عهد صفویه تا زمان حاضر، ترجمهٔ رشید یاسمی، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ش.
۲. تاریخ مطبوعات وادبیات ایران، ج۳، ترجمهٔ رضا صالح زاده، تهران، ۱۳٤۱ش

- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج٤، تهران، ۱۳۳۲ش.
- کسروی، احمد: مقدمه بر تاریخ مشروطهٔ ایران، بهمن ۱۳۱۹ش.
- ناظم الاسلام، محمد : تاریخ بیداری ایرانیان، در ۳جلد، تهران، ۱۳۳۲ش.

بهار

- آکادمی علوم شوروی: ایران کنونی، مسکو، ۱۹۵۷

- اسلامی، دکترمحمد علی ... ندوشن:

۱. دهمین سال مرگ بهار، مجلهٔ یغما، سال ۱٤،شمارهٔ ۳، تیرماه ۱۳٤۰ش.

۲. دهمین سال مرگ بهار، مجلهٔ پیام نوین، سال۳، شمارهٔ۱۰، تیرماه ۱۳۴۰ش.

- براون، ادوارد : تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی ج۱، تهران، ۱۳۳۵ش.

- برتلس، (ی .ا. -): تاریخ مختصرادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران، ۱۳۲۹ش.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء:

۱. تاریخ احزاب سیاسی، ج۱، تهران، ۱۳۲۳ش . (دیباچه)

۲. دیوان اشعار ،ج ۱، تهران، ۱۳۳۵؛ ج۲، تهران، ۱۳۳٦ش۰

- خلخالی، سید عبدالحمید: تذکرهٔ شعرای معاصر ایران، ج۱، تهران، ۱۳۲۳ش.

- دستغیب، عبدالعلی : ملك الشعراء بهار، مجلهٔ پیام نوین، سال۳، شمارهٔ ۸، اردیبهشت

۱۳٤۰ش.

- زرین کوب، عبدالحسین: شعربهار، مجلهٔ سخن، دورهٔ ۸، شمارهٔ ۹- ۱۰

- منیب الرحمن: ادبیات بعد از انقلاب ایران، علیگره، ۱۹۵۵م (انگلیسی).

- هشترودی، محمد ضیاء: منخبات آثار، تهران، ۱۳٤۲هـ ق.

- یغمائی، حبیب:

۱. دراحوال استاد بهار ،مجلهٔ پیام نو ،دورهٔ۶ ،شمارهٔ۳ ،اسفند۱۳۳۱ش.

۲. پنجمین سال درگذشت بهار، مجلهٔ سخن، سال ٦، شمارهٔ ٤.

أديب الممالك

- أكادمی علوم شوروی : إیران کنونی، مسکو، ۱۹۵۷م.

- ادیب الممالك، میرزا محمد صادق أمیری: دیوان، به اهتمام وحید دستگردی، تهران، ۱۳۱۲ش .

- براون، ادوارد :

۱. تاریخ ادبیات إیران از آغاز عهد صفویه تا زمان حاضر، ترجمهء رشید یاسمی، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ ش

۲. تاریخ مطبوعات وادبیات إیران در دوره مشروطیت، ترجمهء محمد عباسی، ج۱، ۱۳۲۵ش .

- برتلس (ی. ا. -): تاریخ مختصرادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی) .

- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران، ۱۳۲۹ش .

- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه (اختیار- اژدها)، ذیل ادیب الممالك.

- صدر هاشمی، محمد : تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۱، ۱۳۲۷ش.

- قزوینی، محمد : وفیات معاصرین- ادیب الممالك، مجلة یادگار، سال۳، شمارهٔ۳

- وحید دستگردی، حسن: مقدمه بردیوان شاعر، تهران، ۱۳۱۲ش.

- هشترودی، محمد ضیاء: منتخبات آثار، تهران، ۱۳٤۲.

عارف – تصنیف – تصانیف عارف

- آذری، سید علی : قیام کلنل محمد تقی خان پسیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ش.

- أكادمی علوم شوروی: إیران کنونی، مسکو، ۱۹۵۷م (روسی).

- احتشامی، ابوالحسن: یادی از عارف قزوینی، اطلاعات ماهانه، سال۳، شمارهٔ۹، صفحات ۳٤- ۳۸ .

- براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی ج۱، تهران، ۱۳۳۵ش.
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران، ۱۳۲۹ش.
- سردادور، حمزه: افتتاح ماشین دودی، اطلاعات هفتگی، شمارهٔ ۱۰۰۸ .
- عارف، ابوالقاسم:
  ۱. دیوان با مقدمهٔ دکتررضازادهٔ شفق، برلین، ۱۳۰۳ش.
  ۲. کلیات دیوان، چاپ سوم، تهران ۱۳۳۷ش.
- فتحی، نصرت اله: عارف وایرج، تهران، ۱۳۳۳ش.
- فلاتی، دکترعلی: سلسله مقالات "ما موسیقی علمی نجیب نداریم" به امضای مستعار
فاضل موجومباری، تبریز، روزنامهٔ شاهین، شماره ۱۸- ۲۲ .
- قانم پناه، حسن غلامرضا: عارف قزوینی شاعرملی ایران، مسکو، ۱۹۷۱م (روسی) .
- کسروی، احمد: مجلهٔ پیمان، سال یکم، شمارهٔ ٦ .
- مستوفی، عبدالله : شرح زندگانی من یا تاریخ اجتماعی واداری دورهٔ قاجاریه، ج۱، ص ٥٠٦ .
- مکی، حسین: تاریخ بیست سالهٔ ایران، ج۲، تهران ۱۳۲٤ش.
- ملك آرا، عباس میرزا: شرح حال به قلم مؤلف به اهتمام عبد الحسین نوائی، تهران،۱۳۲٥ش.
- ملاح، حسینعلی: تصنیف، کهنترین پیوند شعروموسیقی، ماهنامهٔ فرهنگ، شماره های ۱- ۶ (دیماه ۱۳۴۰- خرداد ۱۳۴۱).
- منیب الرحمن: اشعاربعد از انقلاب ایران، علیگره، ۱۹۵۵ (انگلیسی) .
- میزبان، جلال: یاد مرضیه زجان ودل "شیدا" به ملامت نرود، اطلاعات ماهانه، دورهٔ جدید، شمارهٔ ۹، بهمن ۱۳۳۷ش.

- هزار، محمد : عارفنامهٔ هزار، شیراز، ۱۳۱٤ش.
- همانی،جلال الدین:غزل وتحول اصطلاحی آن درقدیم وجدید، مجلهٔ یغما، سال ۱۳شمارهٔ۲.

-Bombaci (A.-):Il Poetra Nazionalista Persiano A'ref de Qazvin. Oriente Moderno XXV- 1945.

لاهوتی

- آکادمی علوم شوروی : ایران کنونی، مسکو، ۱۹۵۷م (روسی).
- براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی ج۱، ۱۳۳۵ش.
- برتلس، (ی. ا. -) تاریخ مختصرادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی).
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، ج۱، تهران، ۱۳۲۹ش.
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء : تاریخ مختصراحزاب سیاسی، ج۱، تهران، ۱۳۲۳ش.
- چایکین: تاریخچهٔ جدیدترین ادبیات ایران، مسکو، ۱۹۲۸م (روسی).
- ریپکا، پرفسوریان: تاریخ ادبیات ایران وتاجیك، پراگ، ۱۹٥٦م، ص۳۱۰ (به زبان چك).
- لاهوتی، ابوالقاسم:
۱. لآلی لاهوتی، استانبول،؟
۲. چکامه، استانبول، ۱۳۲۷ .
۳. ایران نامه، استانبول، ۱۳۲۸ .
٤. شرح زندگانی من، پاکستان، ۱۹٥۳م- تهران، ۱۳۳۲ش (این کتاب مجعول است)
- منیب الرحمن: شعربعد از انقلاب ایران، علیگره، ۱۹٥٥م (انگلیسی).
- نفیسی، سعید: لاهوتی، پیام نو، سال۲، شمارهٔ ۱۲، صفحات ٤٦- ٥۰ .

تـواريخ وأحـداث

٢٤ذى الحجة ١٣١٣	جلوس مظفر الدين شاه.
ـ جمادى الأخرة ١٣١٤	عزل ميرزا على أصغر خان أمين السلطان وذهابه إلى قم.
ـ محرم ١٣١٥	رئاسة وزراء ميرزا على أصغر خان أمين الدولة.
١٣١٥	انتشار صحيفة "الحديد" فى تبريز بإدارة سيد حسن خان عدالت.
٢٢ربيع الأول ١٣١٦	رئاسة وزراء ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
١٣١٦	انتشار صحيفة "أدب" فى تبريز بإدارة أديب الممالك الفراهانى.
١٤ جمادى الآخرة ١٣١٦	انتشار صحيفة "ثريا" فى القاهرة بإدارة ميرزا على محمد خان الكاشانى.
ـ ذو القعدة ١٣١٦	بدء عمل المستشارين البلجيكيين فى الجمارك الإيرانية.
٢٨ شعبان ١٣١٧ الفاتح من يناير ١٩٠٠م	اقتراض إيران مبلغ ٢٢ مليون ونصف المليون منات من الروس ولمدة ٧٥ سنة مع رهن المكوث الجمركية الشمالية الإيرانية.
١٢ ذو الحجة ١٣١٧	أولى رحلات مظفر الدين شاه إلى أوربا لمشاهدة معرض باريس.
١٠ صفر ١٣١٨	انتشار صحيفة "پرورش" فى القاهرة بإدارة ميرزا على محمد خان الكاشانى.

٩ صفر	١٣١٩	منح شركة دارسى امتياز نفط الجنوب .
٥ مايو	١٩٠١	
	١٣١٩	القرض الإيرانى الثانى من الروس .
٢٦ رجب ٩ نوفمبر	١٣١٩ ١٩٠١م	عقد الاتفاقية التجارية الإيرانية الروسية (تم تبادل هذه الاتفاقية فى ١٣٢٠هـ ق وتم تنفيذها فى ١٣٢١هـ ق) .
ذو الحجة أبريل	١٣١٩ ١٩٠٢م	عقد اتفاق الحصول على قرض من روسيا بمبلغ ١٠ ملايين منات .
٣ محرم	١٣٢٠	رحلة مظفر الدين شاه الثانية إلى أوربا .
٢١ رجب	١٣٢٠	عودة مظفر الدين شاه من رحلة أوربا .
٦ محرم	١٣٢١	الحصول على قرض من إنجلترا قدره مائتى ألف ليرة .
٤ أبريل	١٩٠٣	
ربيع الآخر	١٣٢١	ثورة الطلبة فى تبريز والمطالبة برحيل المسيو بريم وانغلاق الحانات ودور الضيافة والمدارس وفرار مدير مدرسة كمال الابتدائية .
جمادى الأخرة	١٣٢١	صدور فتوى بردة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان .
الثلث الأخير من جمادى الأخرة	١٣٢١	عزل الأتابك أمين السلطان وتعيين عبد الحميد ميرزا عين الدولة لرئاسة الوزراء .
٢٦ صفر	١٣٢٢	وفاة ميرزا على خان أمين الدولة .
٢٥ شوال	١٣٢٢	هزيمة روسيا من اليابان فى منشوريا وسقوط بورت آرثر .
- -	١٣٢٢	وفاة صفاى الأصفهانى .
- محرم	١٣٢٣	التجمع فى المساجد وسب ولعن المسيو نوز البلجيكى .

صفر ١٣٢٣	رحلة مظفر الدين شاه الثالثة إلى أوربا بقصد العلاج .
١٣٢٣	القرض الإيرانى الثالث من الروس .
١٤ شوال ١٣٢٣	قيام علاء الملك حاكم طهران بمعاقبة بعض التجار بالضرب .
	بالعصا، المظاهرات والثورة العامة، غلق الأسواق فى تبريز .
	وطهران وشيراز .
١٦ شوال ١٣٢٣	تحصن العلماء والتجار والحرفيين فى "الشاه عبد العظيم" والمطالبة بعزل عين الدولة وعلاء الملك (الهجرة الصغرى) .
- ذى القعدة ١٣٢٣	صدور مرسوم خطى من الشاه الخاص بتأسيس دار العدالة
١٦ ذى القعدة ١٣٢٣	عودة المناضلين من "شاه عبدالعظيم" إلى طهران بصحبة
	أمير بهادر وزير البلاط .
١٢ صفر ١٣٢٤	صدور صحيفة "ملا نصر الدين" فى القوقاز .
٧ أبريل ١٩٠٦	
٢٤ ربيع الآخر ١٣٢٤	نفى حاجى ميرزا حسن رشديه ومجد الإسلام الكرمانى وميرزا آقا أصفهانى من طهران .
١٨ جمادى الأولى ١٣٢٤	اعتقال حاجى شيخ محمد الواعظ بسبب ذم أعمال عين الدولة، ثورة الشعب وإطلاق الرصاص على سيد عبد الحميد وقتله .

٢٠جمادى الأولى ١٣٢٤	تجمع الشعب وتظاهره وقيام الجنود بإطلاق الرصاص ومقتل بعض أفراد الشعب .
٢٣جمادى الأولى ١٣٢٤	هجرة العلماء إلى قم إعتراضًا على ممارسات الحكومة (الهجرة الكبرى) .
٢٦جمادى الأولى ١٣٢٤	لجوء التجار والحرفيين ورجال الدين إلى حديقة السفارة الإنجليزية والمطالبة بإعلان الحكم الدستورى وتشكيل المجلس .
٧جمادى الآخرة ١٣٢٤	استقالة عين الدولة من رئاسة الوزراء نتيجة الثورة والانتفاضة الشعبية .
١٤جمادى الآخرة ١٣٢٤	صدور مرسوم الحكومة الدستورية من طرف مظفرالدين شاه .
١٧جمادى الآخرة ١٣٢٤	صدور مرسوم مظفر الدين شاه الثانى متممًا للمرسوم الأول، خروج الشعب من السفارة الإنجليزية وعودة العلماء من قم .
٢٧جمادى الآخرة ١٣٢٤	عقد أولى الجلسات برئاسة عضد الملك من أجل إعداد مقدمات افتتاح البرلمان وتنظيم لائحة الانتخابات .
١٩ رجب ١٣٢٤	توشيح اللائحة بتوقيع الشاه وإعلان قانون الانتخابات .
١٨ شعبان ١٣٢٤	افتتاح الدورة البرلمانية الأولى لمجلس الشورى الوطنى فى قصر الجلستان برئاسة صنيع الدولة .

١ رمضان ١٣٢٤	انتشار العدد الأول من صحيفة "أنجمن" فى تبريز .
١٧ رمضان ١٣٢٤	قرار محمد على ميرزا ولى العهد بغلق المجلس المحلى بتبريز وثورة شعبية لا مثيل لها واستسلام محمد على ميرزا .
٨ شوال ١٣٢٤	انتشار العدد الأول من صحيفة "مجلس" .
١٧ شوال ١٣٢٤	تحرك محمد على ميرزا ولى العهد من تبريز (وصل طهران أول ذى القعدة) .
٧ ذو القعدة ١٣٢٤	تعليق لوحة " العدل المظفر" على باب مجلس الشورى الوطنى .
١١ ذو القعدة ١٣٢٤	صدور العدد الأول من صحيفة "نداى وطن" .
١٤ ذو القعدة ١٣٢٤	توقيع وإعلان ٥١ بندًا من بنود الدستور .
٢٤ ذو القعدة ١٣٢٤	وفاة مظفر الدين شاه .
٤ ذو الحجة ١٣٢٤	تتويج محمد على شاه بدون دعوة أعضاء المجلس .
٦ ذو الحجة ١٣٢٤	حضور الوزراء لأول مرة فى المجلس (فى ١٩ ذى الحجة تم تعريف الوزراء رسميًا للمجلس) .
٢١-٢٧ذو الحجة١٣٢٤	ثورة الشعب وغلق البازار فى تبريز، التجمع فى المجلس المحلى وإرسال التلغرافات والمطالبة بالتنفيذ الحقيقى للحكم الدستورى والقانون وعزل نوز وبريم .
٢٣ذو الحجة ١٣٢٤	وصول نوّاب تبريز إلى طهران واستقبالهم بشكل عظيم من جانب الشعب .
٢٧ذو الحجة ١٣٢٤	خضوع الشاه لمطالب التبريزيين وعزل نوز وبريم .

٦ محرم	١٣٢٥	صدور صحيفة " أذربيجان " فى تبريز .
٢ صفر	١٣٢٥	استقالة مشير الدولة من رئاسة الوزراء .
٦ صفر	١٣٢٥	تعريف أول حكومة قانونية لمجلس الشورى الوطنى (فى هذه الحكومة كان الوزير الأفخم هو رئيس الوزراء ووزير الداخلية) .
٦ ربيع الأخر	١٣٢٥	وصول ميرزا على أصغر خان أمين السلطان (الأتابك الأعظم) من أوربا إلى إيران .
١٥ربيع الأول	١٣٢٥	صدور صحيفة "حبل المتين" فى طهران .
١٤ربيع الأول-١٤ربيع الأخر	١٣٢٥	ثورة وتزاحم فى تبريز ثم فى طهران والمطالبة بالتصديق على متمم الدستور وتنفيذه .
٢٠ربيع الأول	١٣٢٥	تعيين الأتابك ميرزا على أصغر خان لرئاسة الوزراء وتعريف حكومته (الحكومة الدستورية الثانية) .
- ربيع الأخر	١٣٢٥	بداية فتنة رحيم خان چلبيانلو وابنه بأمر الشاه من أجل إثارة الفوضى والاضطرابات فى أذربايجان .
١٤ربيع الأخر	١٣٢٥	قبول محمد على شاه مطالب الشعب وحدوث هدوء نسبى
١٧ربيع الأخر	١٣٢٥	صدور صحيفة " صور إسرافيل " .
٢٦ربيع الأخر	١٣٢٥	ثورة سالار الدولة الأخ الأصغر للشاه فى همدان ومحاربته للمعسكر الحكومى وهزيمته فى نهاوند ولجوئه للقنصلية الإنجليزية فى كرمانشاه .
١٤جمادى الأخرة	١٣٢٥	الاحتفال بالذكرى الأولى للثورة الدستورية .

٢١ رجب	١٣٢٥	مقتل الأتابك على يد عباس آقا الشاب التبريزى، توقيع اتفاقية التعاون الروسى الإنجليزى بشأن تقسيم إيران إلى مناطق نفوذ .
٣١أغسطس	١٩٠٧	
٢ شعبان	١٣٢٥	صدور الصحيفة الفكاهية " نسيم شمال " فى الرشت .
٧ شعبان	١٣٢٥	تعريف حكومة مشير السلطنة .
٢٤ شعبان	١٣٢٥	اعتراض المجلس على الإتفاقية الروسية الإنجليزية .
٢٩ شعبان	١٣٢٥	التصديق والتوقيع على القانون المتمم للدستور .
١٨ رمضان	١٣٢٥	عزل مشير السلطنة وتعريف حكومة ناصر الملك .
٢٩رمضان	١٣٢٥	نشر مقالة فى سب الشاه وكشف فضائحه فى العدد ١٣ من صحيفة " روح القدس " وإيقاف الصحيفة بواسطة المجلس .
٢ شوال	١٣٢٥	مجيء محمد على شاه إلى المجلس وقسمه بالولاء للمجلس والحكم الدستورى .
- شوال	١٣٢٥	قيام الجمعية الإسلامية فى تبريز بزعامة مير هاشم لمناصرة الدين ومخالفة الحكومة الدستورية .
٣٠ شوال	١٣٢٥	انتخاب أعضاء المجلس المحلى لمدينة تبريز .
٨ ذو القعدة	١٣٢٥	استقالة حكومة ناصر الملك .
٩ذو القعدة	١٣٢٥	هجوم الأدانى على مسجد سپهسالار ومجلس الشورى الوطنى (فتنة المدفعية أو انقلاب الشاه العقيم) .
١١ذو القعدة	١٣٢٥	تشكيل حكومة نظام السلطنة مافى .
١٦ذو القعدة	١٣٢٥	استسلام الشاه مرة أخرى للنظام الدستوري وذكر قسم الولاء، تعريف مجلس الوزراء للبرلمان .

١٢ذو الحجة ١٣٢٥	أول صدام مسلح بين الجماعات الرجعية ومجاهدى تبريز .
٥ محرم ١٣٢٦	التصديق على قانون الصحافة المناوىء للديمقراطية فى المجلس .
٢٥ محرم ١٣٢٦	إلقاء قنبلة على عربة الشاه فى شارع باغ وحش (حديقة الحيوان) .
٥- ٨ربيع الأخر ١٣٢٦	فرار رحيم خان چلبيانلو من طهران وذهابه إلى تبريز وتظاهره بالولاء للجمعية .
٨ربيع الأخر ١٣٢٦	وصول مهديقلى خان هدايت حاكم أذربيجان إلى تبريز .
٢٨ربيع الأخر ١٣٢٦	تحرك معسكر رحيم خان بأمر المجلس المحلى من أجل قمع الأشرار .
- ربيع الأخر ١٣٢٦	استقالة حكومة نظام السلطنة مافى ووصول مشير السلطنة لرئاسة الوزراء .
٣جمادى الأولى ١٣٢٦	ذهاب الشاه بصحبة القوزاق تحت قيادة لياخوف إلى "باغشاه" وانضمام الأمير بهادر إليه .
٥جمادى الأولى ١٣٢٦	اعتقال بعض الرجال الذين كان قد تم استدعاؤهم إلى باغشاه .
٨جمادى الأولى ١٣٢٦	صدور بيان الشاه بعنوان "طريق نجاة وأمل الأمة" والذى كان فى الحقيقة إنذارًا للأمة .
٩ جمادى الأولى ١٣٢٦	ثورة تبريز وإرسال تلغرافات الاستياء من الشاه والمطالبة بتنحيه .
١١جمادى الأولى ١٣٢٦	إعلان الحكم العسكري فى طهران وتهديد المجتمعين فى مسجد سپهسالار بقصف المكان .

١٢جمادى الثانية ١٣٢٦	طلب الشاه نفى ثمانية من زعماء الشعب ونزع سلاح قوة المجاهدين .
١٥جمادى الأولى ١٣٢٦	إرسال لائحة المجلس إلى الشاه على يد ستة من الأعضاء .
٢٣جمادى الأولى ١٣٢٦	انقلاب الشاه وقصف المجلس على يد جنود لياخوف القوزاق، اعتقال جماعة من زعماء الدستور فى باغشاه ومقتل حاجى ميرزا إبراهيم أقا نائب تبريز .
٢٤جمادى الأولى ١٣٢٦	إعلان الحكم العسكرى، إغلاق المجلس وإغلاق المجالس المحلية، مقتل ميرزا جهانگيرخان صور إسرافيل وملك المتكلمين فى باغشاه، لجوء جماعة من النواب والأحرار إلى السفارة الإنجليزية .
٢٨جمادى الأولى ١٣٢٦	بداية الحركة المسلحة فى تبريز بقيادة ستارخان وباقرخان من أجل بدأ الحكم الدستورى وطرد الأجانب .
١ ـ ٩جمادى الأخرة ١٣٢٦	مجىء بيوك خان، ابن رحيم خان چلبيانلو، وتوجهه بعد ذلك على تبريز مع الجنود القراداغيين .
١٢جمادى الأخرة ١٣٢٦	استقالة مخبر السلطنة هدايت والى أذربيجان وتحركه إلى أوربا .
أواخرجمادى الأخرة ١٣٢٦	تشكيل مجلس تبريز المحلى .
٢٠ رجب ١٣٢٦	دخول عين الدولة وسپهدار تنكابنى باسمنج على بعد فرسخين من تبريز (فى اليوم التالى حضر عين الدولة إلى تبريز واستقر فى حديقة صاحب ديوان)، وصدور صحيفة "نالة ملت" لشرح وإعلان مظالم الشاه ورجال الحكومة .

٢٦ رجب	١٣٢٦	ثورة شعب تبريز وتجمعهم فى مسجد صمصام خان .
صيف	١٣٢٦	وفاة ميرزا ملكم خان فى سويسرا .
٣ شعبان	١٣٢٦	يأس أحرار تبريز من عين الدولة وتعيين اجلال الملك نائبًا للولاية من طرف المجلس المحلى .
١٢ - ١٤ شعبان	١٣٢٦	قدوم جيش ماكو لمساعدة الجيش الحكومى وحروب أحرار تبريز الشديدة معهم .
٢٤ شعبان	١٣٢٦	إنذار عين الدولة لأحرار تبريز .
- رمضان	١٣٢٦	بداية الحركات الوطنية فى مشهد، واستر آباد، وأصفهان، وجيلان، ولرستان، وكرمان وبوشهر نتيجة وصول أخبار بطولات التبريزيين وتأسيس الجمعيات والمجالس المحلية فى تلك المناطق .
١٣ رمضان	١٣٢٦	أخر هزيمة لجيش ماكو وخروجهم من تبريز .
١٦ رمضان	١٣٢٦	تحرك أربعمائة قوزاقى إيرانى من طهران بقيادة الكابتن أوشاكوف الروسى للمساعدة فى حرب تبريز وحصارها .
١٧ رمضان	١٣٢٦	انتصار وطنيى تبريز ، حل الجمعية الإسلامية، هزيمة جيش عين الدولة وانسحابه إلى باسمنج .
٢٢ رمضان	١٣٢٦	تهديد روسيا القيصرية بالتدخل فى شئون تبريز .
١٨ شوال	١٣٢٦	وصول وسام الشرف من اسطنبول للزعيم الوطنى ستارخان .
١٩ شوال	١٣٢٦	فتح سلماس على يد الأحرار وقيام المجلس المحلى فى تلك المدينة .

٢٧ شوال ١٣٢٦	فتح مرند على يد الأحرار وفتح طريق جلفا .
١٣ذو القعدة ١٣٢٦	فتح خوى على يد الأحرار .
١٤ذو القعدة ١٣٢٦	انضمام سپهدار (القائد) لجماعة الدستوريين بعد العودة من تبريز وقيام المجلس المحلى فى تنكابن .
٤ذو الحجة ١٣٢٦	ثورة شعب أصفهان تأييدا للحكم الدستورى .
١٢ذو الحجة ١٣٢٦	احتلال أصفهان على يد صمصام السلطنة بختيارى وطرد نائب الشاه وإعلان التمسك بالحركة الدستورية .
١٤ذو الحجة ١٣٢٦	قدوم حاجى صمد خان شجاع الدولة لمساعدة الجيش الحكومى وحروبه مع التبريزيين – وصول تقى زاده إلى تبريز .
- ذو الحجة ١٣٢٦	سعى أحرار جيلان وتشكيل لجنة " ستار " فى الرشت (تضامن أعضاء الحزب الاشتراكى الديمقراطى القوقازى مع أحرار إيران فى هذه المساعى) .
غرة محرم ١٣٢٧	صدور العدد الأول من صحيفة " مساوات " فى تبريز (صدرت هذه الصحيفة فى طهران قبل قصف المجلس) .
١٠ محرم ١٣٢٧	احتلال الرشت على يد الوطنيين ومقتل حاكمها وإعلان الحكم الدستورى .
١٧ محرم ١٣٢٧	وصول سپهدار من تنكابن إلى الرشت، تفويض الأمور له وتأسيس المجلس المحلى فى الرشت .
١٩ محرم ١٣٢٧	غلق طريق جلفا، آخر طرق تبريز المفتوحة، على يد أنصار الشاه واستكمال حصار تبريز .

١٢ صفر ١٣٢٧	هزيمة وفرار صمد خان شجاع الدولة
٢٦ صفر ١٣٢٧	تلغراف ثقة الإسلام للشاه والإعراب عن القلق من تدخل الأجانب .
٢٨ربيع الأول ١٣٢٧	قرار بإرسال الجيش الروسى إلى الأراضى الإيرانية بموافقة السير إدوارد جارى بحجة فتح الطريق وتجهيز المؤن لأهالى تبريز .
٢٩ربيع الأول ١٣٢٧	أخر مساعى محاصرى تبريز لكسر الحصار ، مقتل مستر باسكرويل المعلم الأمريكى الشاب .
١ربيع الآخر ١٣٢٧	تسليم المذكرة الإنجليزية الروسية المشتركة للشاه بشأن قيام الدستور .
٣ربيع الآخر ١٣٢٧	مرور الجنود الروس من جلفا بقيادة الجنرال سنارسكى .
٤ربيع الآخر ١٣٢٧	تلغراف وطنيى تبريز للشاه الخاص بالتغاضى عن جميع مطالب الأمة حتى لا يتدخل الأجانب .
٦ربيع الآخر ١٣٢٧	رضوخ محمد على شاه لمطالب الأمة وصدور فرمان قيام الدستورية .
٨ربيع الآخر ١٣٢٧	دخول القوات الروسية تبريز .
١٤ربيع الآخر ١٣٢٧	احتلال قزوين على يد الدستوريين الجيلانيين، تمركز الثوار ولجنة ستار فى قزوين .
٢١ربيع الآخر ١٣٢٧	استقالة حكومة مشير السلطنة وتعريف حكومة ناصر الملك تحت إشراف سعد الدولة (ناصر الملك كان فى أوربا) .

٢٢ربيع الأخر ١٣٢٧	إنذار القنصل الروسى لمجاهدي تبريز بأن يتركوا السلاح على الأرض .
٢٣ربيع الأخر ١٣٢٧	إعطاء الأمان وخروج اللاجئين إلى السفارة العثمانية و"شاه عبد العظيم"، تعليمات مجلس تبريز المحلى للمجاهدين بتسليم الأسلحة لتجنب حجة الروس .
٢٧ربيع الأخر ١٣٢٧	المرسوم الخطى من محمد على شاه الخاص بإقرار وتنفيذ بنود الدستور وهم ١٥٨بندًا .
أوائل جمادى الأولى ١٣٢٧	لجوء ستارخان وسائر زعماء الدستور إلى القنصلية العثمانية فى تبريز إحتجاجًا على ممارسات الروس القياصرة .
٢٨جمادى الأولى ١٣٢٧	تحرك جيش بختيارى برئاسة سردار أسعد من أصفهان بقصد الاستيلاء على طهران .
٦جمادى الأخرة ١٣٢٧	استقالة الوزراء وبقاء محمد على ميرزا بمفرده
٨جمادى الأخرة ١٣٢٧	مساعى الوزير الإنجليزى المفوض وشارج دافر الروسى مرة أخرى من أجل منع تقدم البختياريين .
١٩جمادى الأخرة ١٣٢٧	نزول ألفان أو ثلاثة آلاف جندى روسى فى ميناء انزلى .
٢٤جمادى الأخرة ١٣٢٧	وصول مجاهدى جيلان وبختيارى إلى طهران وحربهم مع قوات الشاه وفتح طهران .
٢٧جمادى الأخرة ١٣٢٧	لجوء محمد على شاه للسفارة الروسية وتنحيه عن التاج والعرش، استسلام الكولونيل لياخوف ولجوؤه إلى بهارستان وخروجه من إيران (نهاية الاستبداد الصغير) . تعيين الوزراء من طرف اللجنة العليا، تعيين " يفرم " لرئاسة مديرية أمن طهران .

٢٩جمادى الأخرة ٢رجب ١٣٢٧	إعلان سلطنة إحمد شاه واعتراف روسيا وإنجلترا رسميا بسلطنته .
١٠ رجب ١٣٢٧	إعدام مفاخر الملك وصنيع حضرت بحكم المحكمة .
١٢ رجب ١٣٢٧	إعدام الشيخ فضل الله نورى وأجودانباشى المسئول عن قصف المجلس .
١٧ رجب ١٣٢٧	تخصيص ١٥ ألف ليرة كراتب للشاه المخلوع .
٧ شعبان ١٣٢٧	صدور صحيفة "إيران نو" الناطقة باسم الحزب الديمقراطى .
٢٤ شعبان ١٣٢٧	خروج الشاه المخلوع من طهران قاصدًا اوديسا، رئاسة وزراء سپهسالار .
١٤ رمضان ١٣٢٧	صدور صحيفة " شرق " .
٢ذو القعدة ١٣٢٧	افتتاح الدورة البرلمانية الثانية لمجلس الشورى الوطنى برئاسة مستشار الدولة .
أواخر عام ١٣٢٧	تأسيس الحزب الديمقراطى الإيرانى
٨ ربيع الأول ١٣٢٨	تحرك ستارخان وباقرخان إلى طهران نتيجة ضغوط الروس
١٠ربيع الأول ١٣٢٨	إقامة مراسم عيد النيروز وإعلان يوم الحداد بسبب إقامة القوات الأجنبية فى الدولة (النيروز عام ١٢٨٨)
٥ ربيع الأخر ١٣٢٨	دخول ستارخان وباقرخان الزعيمين الوطنيين طهران بمنتهى العظمة والهيبة .

١٠ربيع الأخر ١٣٢٨	صدور مجلة " بهار" بإدارة اعتصام الملك .
١٩جمادى الأولى ١٣٢٨	قرار الحكومة بالحصول على القرض الداخلى، تقديم النساء الإيرانيات مجوهراتهن وحليهن للحكومة من أجل جمع المال .
٢٥جمادى الأولى ١٣٢٨	الإستيلاء على كاشان على يد النائب حسين الكاشانى .
منتصف جمادى الأخرة ١٣٢٨	الاعتداء الروسى لى تبريز ومنعهم من تنفيذ مهام رجال الأمن ، و الإغارة على منزل ثقة الاسلام .
٢٤جمادى الأخرة ١٣٢٨	نزاع تقى زاده والديمقراطيين مع رجال الدين وموافقة المجلس على خروج تقى زاده .
٩ رجب ١٣٢٨	مقتل سيد عبدالله بهبهانى على يد رجال حيدرعمو أوغلى
١٩ رجب ١٣٢٨	تشكيل حكومة مستوفى الممالك .
٢٣ رجب ١٣٢٨	تحرك تقى زاده إلى أوربا، التصديق على قانون نزع سلاح المدنيين .
٢٨ رجب ١٣٢٨	صدور قرار نزع سلاح الفدائيين والمجاهدين .
٢٩ رجب ١٣٢٨	البيان المشترك لكل من سپهدار وسردار أسعد وصمصام السلطنة وستارخان وباقرخان بخصوص التغاضى عن الأهداف وتسليم الأسلحة مقابل أخذ الثمن .
٣٠ رجب ١٣٢٨	الهجوم على حديقة الأتابك محل إقامة الزعماء الوطنيين، اشتباك الفدائيين والوحدات الحكومية وإصابة ستارخان بالرصاص .
٤ شعبان ١٣٢٨	نزع سلاح ضرغام السلطنة بختيارى وأتباعه فى "شاه عبد العظيم" .

١٢ شعبان ١٣٢٨	تخصيص راتب ثابت لستارخان وباقرخان .
١٩ شعبان ١٣٢٨	طلب بعض الامتيازات من إيران مقابل استدعاء القوات الروسية من إيران .
١٨ رمضان ١٣٢٨	انتخاب ميرزا أبو القاسم خان ناصر الملك نائبا لسلطنة إيران بأربعين صوتا .
٥ شوال ١٣٢٨	اضطرابات في جنوب إيران، هجوم عشائر كوهكيلويه على يزد خواست .
١٢ شوال ١٣٢٨	تسليم مذكرة الحكومة الإنجليزية بشأن اضطرابات الجنوب والتهديد بأنها في حالة استمرار القلاقل الأمنية ستؤسس إنجلترا فرقة أمن من الإيرانيين تحت قيادة الضباط الإنجليز بهدف إيجاد قوة في مقابل قوة الحرس القازاقي.
١٣ شوال ١٣٢٨	انتشار التهديد الإنجليزي في طهران .
١٨ شوال ١٣٢٨	تسليم الرد الإيراني على المذكرة الإنجليزية ومفاد، أن السبب في هذه الاضطرابات هي نفسها الحكومات الأجنبية .
٢١ شوال ١٣٢٨	استعداد الحكومة الإيرانية لمنح الامتيازات التي طلبتها روسيا بشرط خروج الجنود الروس بشكل فوري من الدولة .
١٤ذو القعدة ١٣٢٨	الرد الإنجليزي على مذكرة الحكومة الإيرانية في ١٨ شوال، وصول خمسمائة جندي روسي آخرين إلى جلفا بقصد التوجه إلى سلماس، تظاهر أهالي طهران واعتراضهم على وجود القوات الأجنبية في الدولة .

١٩ذو القعدة ١٣٢٨	بيان مجتهدى النجف احتجاجا على التهديد الإنجليزى، اعتراض الإيرانيين المقيمين فى كلكتا على المذكرة الإنجليزية .
٢٣ذو القعدة ١٣٢٨	التصديق على حقوق الزعيم والقائد الوطنى فى المجلس .
٢٥ ذو الحجة ١٣٢٨	الرد الإيرانى على مذكرة ١٤ ذى القعدة الإنجليزية .
-- ١٣٢٨	وفاة حاجى زين العابدين مراغى مؤلف سياحتنامة ابراهيم بيك
٦ صفر ١٣٢٩	مقتل صنيع الدولة وزير المالية الإيرانى على يد إيوان الكرجى، زيادة المشاعر المعادية للروس .
٦ربيع الأول ١٣٢٩	تشكيل حكومة سپهدار .
- ربيع الأخر ١٣٢٩	وفاة ميرزا عبد الرحيم طالبوف فى تيمورخان شوره .
١٢جمادى الأولى ١٣٢٩	وصول المستشارين الماليين الأمريكيين برئاسة مستر مورجان شوستر .
١٥جمادى الأخرة ١٣٢٩	التصديق على صلاحيات شوستر المستشار المالى لإيران .
٢٠ رجب ١٣٢٩	نزول محمد على ميرزا فى گمش تپه مع أخيه ملك منصور ميرزا شعاع السلطنة والرفاق .
٢٨ رجب ١٣٢٩	استقالة سپهدار وتشكيل حكومة نجفقلى خان صمصام السلطنة .
١ شعبان ١٣٢٩	الإغارة على شاهرود على يد التركمان المتحالفين مع الشاه المخلوع .
١٥ شوال ١٣٢٩	قرار الحكومة بمصادرة أملاك شجاع السلطنة، وقيام الروس بمنع إجراءات شوستر بحجة أن أملاكه مرهونة لدى البنك الروسى .

٤ذو القعدة ١٣٢٩	نزول أول فرقة من الجنود الهنود في ميناء بوشهر ، وصول الجنود الروس انزلي .
٦ذو القعدة ١٣٢٩	عودة الشاه السابق من عشق أباد إلى گمش تپه، إرسال القائد محيى لمحاربته وفراره من گمش تپه .
٢١ذو القعدة ١٣٢٩	وصول فرقتين من الجنود الهنود إلى شيراز ، تمديد مدة المجلس الثاني ثلاثة أشهر .
٢٤ذو القعدة ١٣٢٩	الإنذار الروسي بشأن عزل شوستر ، تجمعات وتظاهرات شعب طهران والمحافظات .
٢٧ذو القعدة ١٣٢٩	هزيمة سالار الدولة في بروجرد، قطع العلاقات الروسية الإيرانية، تحرك الجنود الروس من القوقاز صوب إيران .
٢٨ذو القعدة ١٣٢٩	إعلان الوزير الانجليزي المفوض أن القوات الروسية لن تتقدم إذا رضخت الحكومة الإيرانية للإنذار .
٢ذو الحجة ١٣٢٩	ذهاب وزير الخارجية إلى السفارة الروسية من أجل الاعتذار .
٧ذو الحجة ١٣٢٩	الإنذار الروسي الثاني لإيران بخصوص طلب عزل شوستر ومنع استقدام خبراء أجانب قبل التشاور مع الحكومتين وتحمل نفقات تحرك الجيش الروسي إلى الرشت .
٩ذو الحجة ١٣٢٩	رفض المجلس الإنذار الروسي بأغلبية الأصوات، ثورة الشعب وغلق الأسواق في طهران والمحافظات، تقدم الجنود الروس من الرشت إلى قزوين، كشف مؤامرة محاولة اغتيال شوستر ، مقتل علاء الدولة بأمر يفرم خان، إطلاق المجاهدين النار على مشير السلطنة رئيس الوزراء، استقالة وثوق الدولة من وزارة الخارجية .

١١ذو الحجة ١٣٢٩	تقدم الجنود الروس صوب طهران، تظاهر الشعب وثورته بشكل غير عادى .
١٢-١٤ذو الحجة ١٣٢٩	تجمع الشعب واعتراضه على سلوك روسيا القيصرية والتعبير عن كراهيته لإنجلترا .
٢٤ذو الحجة ١٣٢٩	إنذار السفارة الروسية بأنه إذا لم تقبل جميع طلباتهم خلال ستة أيام سيتحرك الجيش الروسى من قزوين إلى طهران .
٢٨ذو الحجة ١٣٢٩	طرح قضية الإنذار فى المجلس ورفض الأعضاء .
٢٩ذو الحجة ١٣٢٩	محاربة الروس للمجاهدين والفتك بهم فى تبريز والرشت وانزلى، اختيار لجنة مكونة من خمسة من أعضاء المجلس لمناقشة قضية الإنذار وحلها، قبول الحكومة للإنذار الروسى، نهاية الدورة البرلمانية الثانية .
٢٩ذو الحجة ١٣٢٩ -	قتال الروس والمجاهدين العنيف فى تبريز،
٢ محرم ١٣٣٠	قصف المدينة على يد الروس واحتلال بلدية المدينة و "عالى قابو" و"ارگ" والإدارات الحكومية .
٢ محرم ١٣٣٠	غلق باب المجلس بأمر ناصر الملك وإخراج الأعضاء من بهارستان، منع التجمعات وإيقاف الصحف، حل المجلس المحلى لمدينة تبريز .
٣ محرم ١٣٣٠	إعلان عزل شوستر، اجتماع الديمقراطيين فى سوق طهران وإلقاؤهم الخطب .
٥ محرم ١٣٣٠	مذابح الروس فى تبريز، هجرة المجاهدين وخروجهم من تبريز .

١٠ محرم ١٣٣٠	إعدام ثقة الاسلام مع سبعة أخرين على يد الروس .
١١ محرم ١٣٣٠	وصول صمد خان شجاع الدولة تبريز .
١١ محرم- ٨ رمضان ١٣٣٠	المذابح الجماعية فى تبريز على يد الروس وشجاع الدولة
٢٠ محرم ١٣٣٠	خروج شوستر من إيران
-- صفر ١٣٣٠	موافقة الحكومة الإيرانية على اتفاقية ١٩٠٧ الروسية الإنجليزية بشأن تقسيم الدولة إلى مناطق نفوذ، بداية ثورة الجنكليين الوطنية ضد روسيا برئاسة ميرزا كوچك خان .
١٩ صفر ١٣٣٠	سفر محمد على ميرزا مرة أخرى إلى الأراضى الروسية .
٢٩ صفر ١٣٣٠	اقتراح القرض الروسى والإنجليزى لإيران بشرط أن تطبق إيران سياستها وفقا اتفاقية ١٩٠٧
٢٩ربيع الأول ١٣٣٠	موافقة الحكومة الإيرانية على الاقتراض من روسيا وإنجلترا .
أوائل صفر ١٣٣١	سقوط حكومة حاجى نجفقلى خان صمصام السلطنة وتشكيل حكومة علاء السلطنة .
٩ربيع الأول ١٣٣١	منح الروس امتياز طريق سكة حديد جلفا - تبريز فى غياب المجلس .
أوائل رمضان ١٣٣١	نشر إعلان الانتخابات بتوقيع عين الدولة .
٢ صفر ١٣٣٢	توزيع ورقة تعريف الانتخابات فى طهران (لم تجر انتخابات المحافظات ولم يفتح المجلس حتى بعد الحرب العالمية بفترة) .
٢٧ شعبان ١٣٣٢	تتويج السلطان احمد شاه .
٨ رمضان ١٣٣٢ - أغسطس ١٩١٤	بداية الحرب العالمية الأولى .

القسم الرابع

التجديد

نظرة على الأحداث التاريخية لهذه الفترة

إيران على أعتاب الحرب العالمية الأولى : أُغلقت الصحف الحرة عقب حل المجلس، وظلت القوات الروسية والبريطانية كما هى فى إيران ، وقُمعت فى المهد كل محاولات الاحتجاج الشعبى على تصرفات الحكومة وقراراتها الفردية وسيطرة الإمبرياليين الأجانب. وبرغم الاحتجاجات الشعبية اعترفت الحكومة الإيرانية رسميًا بالاتفاقية البريطانية الروسية لسنة ١٩٠٧م الخاصة بتقسيم الدولة إلى مناطق نفوذ .

وازدادت يومًا بعد يوم تبعية إيران من الناحية المالية لحكومتى بريطانيا وروسيا القيصرية، فقد حصلت الحكومة على خمسة قروض جديدة فى الفترة من عام ١٣٢٩ إلى عام ١٣٣٢هـ.ق، حيث بلغت ديون إيران لروسيا وبريطانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى ٦٨٠٤ آلاف ليرة .

وكانت لشركة النفط الإيرانية أهمية كبيرة فى بداية الحرب ، وبلغ رأسمالها فى ذلك الوقت أربعة ملايين ليرة كان أكثر من نصفهم فى يد الإنجليز، وتولى رئاسة الشرطة أيضًا مديران إنجليزيان يمتلكان حق «الفيتو» فى جميع الأمور. وبناءً على اتفاقية بوتسدام التى عُقدت فى عام ١٩١١م (١٣٢٩ هـ.ق) بين روسيا وألمانيا فقد تهيأ مجال ملائم جدًا لتصدير السلع الألمانية إلى إيران وبالتالى النفوذ السياسى والعسكرى .

ومع هذا فقد سيطر الإنجليز على الأوضاع فى إيران قبيل اندلاع الحرب، وكانوا قد طردوا الروس ليس من المنطقة المحايدة فحسب بل من منطقة نفوذهم أيضًا نتيجة ضعف الحكومة القيصرية واحتياجها المالى المتزايد للبنوك البريطانية والفرنسية، وعلى هذا

النحو عندما اشتعلت الحرب كان تنافس الحكومات الإمبريالية العظمى فى دولة إيران أقوى وأشد من القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجريين .

ولم تشارك إيران فى الحرب العالمية الأولى ، فحكومة مستوفى الممالك التى كانت قد تولت الأمور بعد اندلاع الحرب بثمانية عشر يومًا أعلنت حياد الحكومة الإيرانية بموجب قرار ١٢ ذى الحجة ١٣٣٢ هـ.ق.

لقد حزن الإيرانيون بشدة بسبب اتفاقية ١٩٠٧م، بين روسيا وإنجلترا والتى كانت قد عُقدت من أجل تقسيم إيران ، واعتقدوا أيضًا أن روسيا ستهزم فى الحرب مع ألمانيا، وربما أن البعض كان يتصور أنه قد آن الأوان لأن يحرروا أنفسهم من قيد العبودية للجارتين بضربة واحدة، ومع هذا فإن الحكومة الإيرانية لم تفعل شيئًا سوى الحياد، بل إن هذه الحكومات الإمبريالية هى التى انتهكت الحياد الإيرانى منذ بداية الحرب وجعلت هذه الدولة ساحة للصراعات والمؤامرات السياسية .

الوحدة الإسلامية : تحدثنا سابقًا عن «الوحدة الإسلامية» وجهود السيد جمال الدين الأفغانى ورفاقه .

وعندما اشتعلت الحرب العالمية ظهر من جديد شعار الوحدة الإسلامية، والذى كان قد انتشر ووصل لمسامع الإيرانيين منذ سنين طويلة، وقد واكبت هذه النغمة المحببة فتوى علماء الشيعة المقيمين بالعتبات المقدسة ومشاركة بعضهم فى جبهة القتال، فأشعلت حماسة الشعب الإيرانى الذى ضاق بنظام الروس والإنجليز، وجعلته يتحالف مع العثمانيين .

عودة المناضلين فى سبيل الحرية : عاد المناضلون فى سبيل الحرية، الذين كانوا قد هاجروا إلى اسطنبول، وعادت مجموعة من المناضلين الأذربيجانيين الذين كانوا يعيشون فى طهران إلى موطنهم، وتحالف العائدون من اسطنبول والأكراد – الذين كانوا قد ثاروا

باسم الجهاد أو بقصد السلب والنهب – مع الجيش العثمانى الذى كان قد قدم من عدة أماكن إلى الأراضى الإيرانية، واشتبك المجاهدون الإيرانيون الذين كانوا طليعة الجيش العثمانى على حدود أذربيجان وكردستان مع الروس والأقليات المسيحية والتى كانت تتعاون مع الروس .

وهجمت القوات التركية والألمانية على أذربيجان فى ذى الحجة سنة ١٣٣٢ هـ.ق، ووضعت يدها على المناطق الغربية دون أى مقاومة تقريبًا، ووصلوا إلى تبريز فى أواخر شهر صفر ١٣٣٣ هـ.ق، ولم تتخذ حكومة مستوفى الممالك أى قرار حاسم ضد العدوان الأجنبى، واكتفت فقط بتقديم مذكرة رسمية، إلا أن تقدم الروس فى سارى قميش قد أضعف فجأة موقف الأتراك فى أذربيجان حيث شن الجنود الروس هجومًا فى جبهة القوقاز وهزموا القوات العثمانية ودخلوا تبريز فى منتصف ربيع الأول ١٣٣٣ هـ.ق، وكان العثمانيون قد تقدموا ليس فقط عن طريق أذربيجان وكردستان وخوزستان بل عن طريق خانقين وقصر شيرين أيضًا، وأخذت قبيلتا كلهر وسنجابى تسفك دماء بعضها بعضًا سواء بسبب مناصرتهم للعثمانيين أو لعدائهم معهم. وسيطر الألمان بالفعل على جميع المناطق الجنوبية والوسطى فى إيران، وكانوا يحاولون إثارة القبائل لصالحهم فى فارس وإصفهان وكرمانشاه، أما الحكومات الإيرانية التى كانت تتغير بشكل متعاقب فإنها لم تكن قادرة على اتخاذ قرار مؤثر للمحافظة على الحياد الإيرانى، ليس هذا فحسب بل إنها لم تقدر حتى على إبلاغ تعليماتها للمحافظات الوسطى والجنوبية، وكانت ألمانيا وتركيا من ناحية وإنجلترا وروسيا من ناحية أخرى تتصارع داخل الأراضى الإيرانية دون إذن أو موافقة الحكومة، وكانت تحاول أن تثبِّت أقدامها فى هذه الدولة بتقديم الرشوة والهدايا وتدبير المؤامرات السياسية وإثارة القلاقل الأمنية. وفى وسط كل هذه الإجراءات كانت إيران المحايدة هى المتضررة من الحرب وكانت دماء الشعب البرىء تسفك. وفى غرب إيران أيضًا كان الألمان الذين تعاونوا مع الأتراك قد احتلوا همدان وأقاموا علاقات مع تركيا .

وفى منتصف عام ١٣٣٣ هــ.ق قويت أيضًا شوكة الألمان والأتراك فى طهران، فأرادوا حث الملك الإيرانى الشاب على محاربة الروس والإنجليز لصالحهم. إن ازدياد شعبية الألمان بين الإيرانيين وحملات الجنود الأتراك والألمان فى الجنوب والحركات المعادية للإنجليز فى خوزستان دفعت انجلترا لتغيير سياستها فى إيران والتقرب إلى روسيا، فاحتل الإنجليز كل المنطقة المحايدة تقريبًا بموافقة الروس. ونتيجة لخوف الحكومتين من تأثير النشاط الألمانى فى سيستان وبلوشستان وولايات شمال شرقى إيران وإمكانية دخول أفغانستان فى الحرب، قررتا دعم قواتهما فى شمال شرق إيران وبناء خط دفاعى تحت اسم «الحزام الشرقى» والذى كان الهدف منه منع تقدم الجيش الألمانى ونقل الأسلحة إلى الحدود الشمالية الشرقية لإيران.

دخول الجنود الروس والإنجليز إيران : فى أواخر رمضان عام ١٣٣٣ هــ.ق، نزلت قوات سلاح المركبات الروسية فى انزلى بقيادة الجنرال باراتوف، وفى نفس هذه الأيام دخلت القوات الإنجليزية بوشهر هى الأخرى، ونزعت سلاح الدرك وتدخلت فى شئون الإدارات الحكومية .

وفى هذه الأثناء كانت تجرى مفاوضات سرية بين مستوفى الممالك والوزير الألمانى المفوض حول إمكانية عقد اتفاقية سرية، وكان رجال إيران فى انتظار وصول المساعدات العسكرية الألمانية إلى الحدود. وقام الروس بإعداد أحد المعسكرات فى قزوين، وأدخلوا هناك جماعات جديدة من القوقاز، وفى بداية المحرم ١٣٣٤ هــ.ق توجهت جماعات القوزاق إلى ناحية طهران، وازدادت التحركات فى العاصمة مع اقتراب القوات الروسية، وكان الشعب يزداد ميلاً كل يوم إلى الألمان بسبب يأسه وكراهيته لكلتا الجارتين وتحت تأثير كلمة الوحدة الإسلامية، وظنًا منهم بأن الألمان يحرزون تقدمًا .

أما الألمان فقد جعلوا قواتهم ترابط فى قم وانتظروا وصول الشاه، وكان الديمقراطيون قد شكلوا لجنة فى قم باسم «لجنة الدفاع الوطنى» ، وأخذ يدور الحديث عن عقد معاهدة مع ألمانيا ونقل العاصمة إلى أصفهان والحرب مع روسيا .

الهجرة : فى السابع من محرم غادر طهران معظم نواب البرلمان لدورته الثالثة ومحررو الصحف والعاملون بالسفارات والرعايا الأجانب التى كانت بلادهم فى حالة حرب مع روسيا، وهرب رؤساء وزعماء المناضلين الأحرار إلى المحافظات الإيرانية الوسطى، واتفق رعايا الدول المتحاربة على أن يصلوا إلى الحدود العثمانية، وعزم الشاه أيضًا ورجال الدولة مغادرة طهران والذهاب إلى أصفهان ولكن طمأنهم سفيرا روسيا وإنجلترا فانصرفوا عن هذا الأمر فى آخر لحظة ، وعلى هذا النحو لم يدخل الجنود الروس طهران رسميًا.

ولكن ظلت الفرق الروسية تنزل من ميناء أنزلى إلى البر بشكل متواصل وتتمركز فى قزوين ، وأخذت لجنة الدفاع الوطنى تعد الجيش فى قم وما حولها بمساعدة المسئولين السياسيين الألمان وترسل الوفود المختلفة إلى الأقاليم من أجل تجهيز العشائر والقبائل .

وفى صفر ١٣٣٤ هـ.ق احتل الجيش الروسى قم وهمدان ورابطت القوات الألمانية والتركية عند حدود كرمانشاه، وأعلن الإيرانيون المهاجرون «حكومة مؤقتة» هناك برئاسة «نظام السلطنة مافى»، ولكن استولى الروس على كرمانشاه أيضًا فى ربيع الآخر من ذلك العام وتوجهت حكومة المهجر إلى اسطنبول مع العثمانيين وانتهت قضية الهجرة .

وقد تقلص النفوذ الألمانى فى إيران منذ مطلع عام ١٣٣٤ هـ.ق، وأصبحت سياسة الدولة تابعة لوجهة النظر الروسية والإنجليزية بقدوم حكومة فرمانفرما ومن بعدها حكومة سپهدار أعظم (القائد الأعظم) .

شرطة الجنوب : فى منتصف جمادى الأولى احتل الجيش الروسى أصفهان التى كانت قد أصبحت مركزًا للأنشطة العسكرية والسياسية الألمانية والتركية، ولكن نظرًا لأن الألمان كانوا لا يزالون يسيطرون على السلطة فى الجنوب فقد بعثت إنجلترا وفدًا عسكريًا رفيع المستوى بقيادة الجنرال سربرسى سايكس إلى جنوب إيران من أجل حماية صناعاتها النفطية، وقمع الثوار المناهضين لها، فقام سربرسى بتشكيل فرقة «حملة بنادق جنوب إيران » بدون أخذ موافقة الحكومة الإيرانية، واستولى على كرمان وشيراز ويزد، وقضى على كل عشائر الجنوب الثائرة تقريبًا فى أحداث عامى ٣٤ — ١٣٣٥ هـ.ق.

وفى رمضان ١٣٣٤ هـــ.ق، تولت زمام الأمور حكومة وثوق الدولة العميلة لإنجلترا، وبقدومها زاد النفوذ الإنجليزى فى إيران بشكل واضح، وبعد عدة شهور وفى أواخر جمادى الأولى ١٣٣٥ هـــ.ق، وافقت حكومة وثوق الدولة على تشكيل فرقة حملة بنادق الجنوب .

وفى تلك الأثناء اختتمت الدورة البرلمانية الثالثة وأصدر الملك قرارًا بإجراء الانتخابات فى شهر رجب سنة ١٣٣٥ هـــ.ق، ولكن لم يفتتح المجلس(١)، وفى أوائل شعبان سقطت حكومة وثوق الدولة وامتنعت حكومة علاء السلطنة التى تولت زمام الأمور حتى منتصف صفر ١٣٣٦ هـــ.ق عن الاعتراف بشرطة الجنوب .

الخسائر التى لحقت بإيران من جراء الحرب

إن الحرب العالمية التى كانت قد اشتعلت بين مجموعتى الدول العظمى من أجل التنازع على المستعمرات والحصول على الامتيازات فى السوق العالمى تسببت فى تعرض إيران لصدمات وخسائر مادية ومعنوية كثيرة. فقد تسببت الحرب فى خراب ودمار المدن والقرى وفقر أهالى الدولة وتشردهم .

وطوال فترة الحرب كان الكل مشغولاً باستعراض القوة : الجيش الروسى فى الشمال والأتراك فى الغرب والقوات الإنجليزية فى الجنوب تحت اسم شرطة الجنوب، وفى جميع المناطق الفرق المتناثرة التابعة للمهاجرين الإيرانيين ومجموعة المارقين والمتمردين، وكان وضع العاصمة مضطربًا، والملك الشاب يفتقد القدرة والإرادة، وكانت الحكومة المركزية فى غفلة والحكومات غارقة فى الأزمات، ولم يكن المجلس الثالث يُظهِر غير العجز. فقد استشرى الفساد الأخلاقى فى كل أنحاء البلاد وباع رجال المملكة أنفسهم فى مقابل المناصب والمال وافتقد الساسة الانسجام والتنسيق، وكانت الخلافات قد أغلقت الطريق أمام أى إصلاحات أو حلول .

---

(١) افتتحت الدورة البرلمانية الرابعة بعد أربع سنوات فى ١٥ شوال ١٣٣٩ هـــ.ق.

وبرغم كل هذا فسياسة الحكومات الأجنبية والتى كان هدفها القضاء على استقلال الدولة وتحويلها إلى قاعدة حربية وتسببت فى الفقر والخراب والجوع، لم تستطع أن تمنع العصيان المدنى ، وأخذ الشعب يطالب بأن تغادر القوات الأجنبية إيران فى أسرع وقت. أما الحزب الديمقراطى الذى تأسس فى صدر الحركة النيابية، فقد انقسم فى نهاية الحرب إلى تيارين يمينى ويسارى، وكان عدد كبير من أعضاء اليمين بهذا الحزب قد سافروا إلى ألمانيا وكانوا يتعاونون بالفعل مع الألمان، وكان أعضاء اليسار وغالبيتهم من الحرفيين والعمال وصغار التجار قد هبوا فى جميع المناطق معترضين على الحكومات الاستعمارية وبدأوا الانتفاضة والثورة .

انتفاضة جنگل (انتفاضة الغابات): وكانت أكبر وأقوى هذه الحركات "انتفاضة جنگل: انتفاضة الغابات" حيث كانت الجماعات الفدائية فى الغابات قد تألفت من الدهاقين وصغار البرجوازيين المدنيين والقرويين والعمال والأجراء، وقد تولى زعامة الانتفاضة التى عرفت باسم «لجنة الوحدة الإسلامية» ميرزا كوچك خان(*) أحد أهالى الرشت والذى كان عالم دين مستنيرًا و «رجلاً مثاليًا شريفًا وعادلاً»[1].

من يكون ميرزا كوچك خان ؟ ولد يونس المعروف بميرزا كوچك بن ميرزا برزگ، أحد أهالى الرشت فى أسرة متوسطة سنة ١٢٩٨ هـــ.ق، وتلقى تعليمه فى صالح آباد التابعة لها، وأثناء قصف المجلس كان فى القوقاز، واطلع على أوضاع العالم إلى حد ما أثناء إقامته فى تفليس وباكو.

وأثناء تحصن العلماء بالسفارة العثمانية تحصن هو أيضًا بإدارة جمارك الرشت، وانضم للمجاهدين عقب مقتل السيد بالاخان سردار أفخم، وخلال أحداث عام ١٣٢٧هـــ.ق، وفتح قزوين وطهران تعاون مع جماعة الأحرار ودخل العاصمة مع المجاهدين الجيلانيين .

(*) يعرف بميرزا كوچك خان جنگلى نسبة إلى "جنگل" أى الغابة التى كانت مركزًا لقواته (المترجم) .

(١) دنسترفيل، امپرياليزم انگليس در إيران وقفقاز، ص (٤١، ١٦٦) .

وعندما أغلق ناصر الملك باب المجلس بحجة إعادة الانتخابات، نفى ميرزا كوچك خان مع سردار محيي وناصر الإسلام إلى يزد إلا أنهم احتجزوهم فى قم، ثم أحضروهم بعد ذلك إلى طهران ، وقد ظلوا محتجزين لفترة فى باغشاه حتى أُطلق سراحهم .

وفى عام ١٣٢٩ هــ.ق، عندما أتى الروس بالملك المخلوع إلى إيران وثار التركمان بناءً على تحريضه ، ذهب بإرادته إلى جرجان، وهناك أصيب بطلق نارى فنقل إلى باكو للعلاج. ثم عاد إلى جيلان مع انتهاء قضية محمد على ميرزا ، وسرعان ما حُكم عليه بالنفى لمدة خمس سنوات مع عدد من أحرار الرشت وأنزلى بناءً على أوامر القنصل الروسى ، فاضطر للإقامة فى طهران لفترة من الوقت، وقد حدث فى هذه الفترة أن حضر إلى طهران اثنان من الأتراك العثمانيين هما بهاء بيگ وروشنى بيگ، وقاما بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وانضم ميرزا كوچك خان إلى تلك الجمعية فى مطلع عام ١٣٣٠هــ .ق، وبعد اشتعال الحرب العالمية الأولى لجأ إلى الغابات .

وبينما كان الجميع غير راضين عن الأوضاع، كان الروس ينهون ويأمرون فى الشمال، وسيطرت على الحكومة مجموعة من أصحاب النفوذ المحليين الذين كانوا على علاقة بالروس، وكان القرويون والمزارعون والحرفيون يسلمون ثمرة عرقهم ومجهودهم للملاك تحت مسمى الأرباح وللحكومة تحت مسمى الضرائب، وكان الأشرار والبلطجية يأخذون الإتاوات من الضعفاء باستخدام أسلوب البلطجة .

كان ميرزا كوچك خان يدرك ما يعتمل بقلوب الشعب، فاستغل هذه المفاسد وتلك الفوضى وذهب بمفرده إلى الغابات. وسرعان ما تجمعت حوله العناصر المظلومة والمحرومة من المزارعين والحرفيين والقرويين والعمال والذين كانوا فى الغالب من الناس البسطاء البعيدين عن السياسة، وكان أملهم الوحيد هو الخلاص من ظلم الحكومة وجور الضيوف المفروضين عليهم، فحملوا العصى والهراوات والمناجل والحراب والأسلحة القديمة بقصد التضحية والفداء ، وانضم إليه بعد ذلك جماعة من المستنيرين. وسرعان ما جرى على الألسنة اسم جنگلى والجنگليين (نسبة إلى جنگل أى الغابة)، وهبَّ لتأييدهم جماعة من الأحرار والوطنيين من جميع أركان البلاد .

وظل أتباع جنگلى لفترة طويلة يرفعون شعار «الوحدة الإسلامية» وقد كان هدفهم كما ذكرنا إخراج القوات الأجنبية ورفع الظلم وإقامة حكومة دستورية ومحاربة الغطرسة والاستبداد : «نحن قبل أى شيء نؤيد استقلال المملكة الإيرانية استقلالاً بمعنى الكلمة أى بدون أى تدخل أجنبى، والإصلاحات الجذرية فى البلاد والقضاء على فساد الإدارات الحكومية حيث أن كل مصائب إيران سببها فساد الإدارات، ونحن نؤيد وحدة جميع المسلمين، والآن ندعو جميع الإيرانيين لوحدة الرأى ونطلب منهم المؤازرة »[1]. وبناءً على هذا الهدف ظل مجاهدو الغابات فى مناوشات دائمة مع القوات الروسية والإنجليزية أثناء الحرب العالمية الأولى .

تأسيس الحزب : فى فبراير عام ١٩١٧م (جمادى الأولى ١٣٣٥هـــ.ق) أسقط الثوار الروس النظام الاستبدادى لأسرة آل رومانوف، فأحس الإيرانيون بأنه قد حان الوقت لحصولهم على الحرية .

إن الحزب الديمقراطى الأذربيجانى الذى كان قد تأسس بعد الثورة الروسية مباشرة فى ١٤ جمادى الآخر ١٣٣٥ هـــ.ق، بدأ فى معارضة حكومة وثوق الدولة الرجعية والإمبرياليين الإنجليز بزعامة ميرزا إسماعيل نوبرى والشيخ محمد الخيابانى، وضمن طرح مطالب الشعب الأذربيجانى والتى كانت عبارة عن تشكيل الحكومة الدستورية والتنفيذ الكامل لأسس الحركة النيابية وطرد الأجانب ورفع أيديهم عن أموال الدولة، أعلن خلال اجتماعه فى الثامن عشر من صفر ١٣٣٦ هـــ.ق[2]، مشيرًا إلى مقولة "شخص خسيس" كان قد وصف أذربيجان بأنها عضو فاسد فى إيران ويجب بتره[3]: « إن أذربيجان جزء لا يتجزأ من إيران». وبعد يومين كتبت صحيفة " تجدد "

(١) روزنامهء جنگل:صحيفة الغابة، السنة الأولى، العدد ٢٨ .

(٢) فى هذا الوقت سقطت حكومة وثوق الدولة، وخرج مع أخيه قوام السلطنة من حكومة عين الدولة .

(٣) هذا القول قد نسب لوثوق الدولة سواء صدقًا أو كذبًا، وقد ذكرته صحف المعارضة، فمثلاً كتبت صحيفة نسيم شمال الفكاهية :

قلتُ إن المفاسد قد ظهرت من تبريز ... وبما أن تبريز هـــذه عضو فاســـد

ردًا على الأشرار والمفسدين الذين كانوا قد قالوا إنه قد تشكلت إدارة فى أذربيجان لإدارة الأمور : « النار هى النار ، والأرض هى الأرض، والرجل هو الرجل ، والدم هو الدم كما كانوا » .

ثورة أكتوبر : لم تمض عدة شهور على الثورة الروسية والإطاحة بإمبراطورية نيقولا الثانى حتى اشتعلت ثورة أكتوبر – نوفمبر ١٩١٧م (محرم ١٣٣٦ هـــ.ق) .

إن الثورة الروسية الاشتراكية الكبرى التى فتحت فصلاً جديدًا فى تاريخ البشرية قد أثرت بشكل كبير فى مصير الدولة الإيرانية وأوضاعها السياسية والاقتصادية، وكانت من أهم العوامل المؤثرة فى الحرية السياسية على الصعيدين الداخلى والخارجى وكذلك استمرار استقلال إيران، وكانت تُعد فى حد ذاتها نعمة عظمى ومنحة إلهية لإيران، ولولا حدوث الثورة الروسية لما عرف أحد حجم الصدمات التى كانت ستتلقاها دولة إيران من جيرانها و "ربما ما بقى اليوم أثر لإيران وتركيا "[1].

أما الحكومة السوفيتية وليدة الثورة فإنها قد ألغت تمامًا معاهدة ١٩٠٧، السرية الخاصة بتقسيم إيران وفقًا لمبادئ السياسة الدولية التى أُقرت فى ٢٦ أكتوبر بـــ" المؤتمر الثانى لسوفيتات عموم روسيا "، واعتبرت جميع المعاهدات السابقة واللاحقة التى تقيد بأى شكل من الأشكال جوانب الحياة الوطنية وحرية واستقلال إيران، اعتبرتها لاغية[2]. فغادر الجيش الروسى الأراضى الإيرانية وأسقطت الديون الإيرانية لروسيا وكذلك حق الامتيازات، وقد تم حل بنك القروض الإيرانى وتسليم المعدات والمهمات التابعة للموانئ

- فهيا اقطعوها من أجل تحقيق المصالح إن ثقل الأعضاء قد قسم ظهرى

وأنشد عارف فى أحد أشعاره أيضًا :

- كل خسيس يعتبرك عضوًا فاسدًا فليصب عضوه بالشلل ولسانه بالخرس

(١) خطبة تقى زاده فى نادى المهرجان، ١٣ بهمن ١٣٣٧ ش / فبراير ١٩٥٩ .

(٢) بيانا ٢٠ نوفمبر و ١٦ ديسمبر ١٩١٧ وخطاب ١٤ يناير ١٩١٨ الموجهين للحكومة الإيرانية (إسناد سياسى خارجى شوروى، جـــ١، موسكو ١٩٥٧) .

والسكك الحديدية والطرق المعبدة وهيئات البريد والتلغراف إلى الحكومة الإيرانية ، وكان « نقض معاهدة تركمنچاى وحده يعتبر تعويضًا عن كل هذه الخسائر التى تحملتها إيران فى الحرب »[1].

الإنجليز بدلاً من الروس : عقدت روسيا الثورية صلحًا مع ألمانيا وتركيا كلاً على حدة، وخرجت من الحرب، وبدأ انسحاب الجنود الروس المتفرقين من الأراضى الإيرانية منذ الشهور الأولى لعام ١٣٣٦ هـ.ق، وقد وضع ميرزا كوچك خان التسهيلات اللازمة من أجل خروجهم. أما الإنجليز الذين كانوا قد استولوا فى هذه الأثناء على بين النهرين وكانوا يرون أنفسهم منتصرين فى الحرب، فقد قرروا ملء الفراغ الذى سيحدث برحيل الروس وتحويل إيران إلى مستعمرة خاصة بهم، فتم تكليف الجنرال دنسترڤيل[2] بأن يجمع جيشًا من بقايا الجنود التابعين لقيادة باراتوف والذين كانوا جائعين وعاطلين ومشردين فى إيران، وأن يحرض الجورجيين والأرمن فى القوقاز على الثورة ضد البلاشفة ويستولى على مناجم البترول فى باكو. فخرج من بغداد فى ١٣ ربيع الأول ١٣٣٦ هـ.ق، ووصل فى أقل من شهر إلى أنزلى بدون أى عائق، إلا أن الروس البلاشفة المتواجدين فى أنزلى والذين كانوا يتعاونون مع ميرزا كوچك خان قطعوا عليه الطريق فتوجه دنسترڤيل إلى همدان.

وفى هذا الوقت قويت شوكة ميرزا كوچك خان، وكان الناس ينظرون إليه كبطل قومى، وكان تراجع الإنجليز قد دعم آماله و" لو كان قد تحرك فى تلك الأثناء صوب طهران لسقطت المدينة فى يده كالتفاحة الناضجة ولكنه تحرك عندما فات أوان التزال "[3].

وفى همدان تقرَّب دنسترڤيل من بيتشراخوف[4] القائد الروسى الذى كان تحت إمرته حتى ذلك الوقت عدد من الجنود الروس، وشجعه على التعاون معه بتقديم المساعدات المالية الإنجليزية، فأصبح تابعًا للجيش الإنجليزى.

---

(١) مهديقلى هدايت، خاطرات وخطرات .

(٢) Dunsterville .

(٣) سايكس، تاريخ إيران، ترجمة سيد محمد تقى فخرداعى، ص ٧٥١.

(٤) Bitcherakhov .

استولى كوچك خان على الرشت عقب انسحاب الإنجليز وقصد فتح قزوين في ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦ هـــ.ق، لكن بيتشراخوف سد عليه الطريق.

وقد استقر القائد دنسترڤيل في قزوين يوم ٢١ شعبان أي بعد أربعة أشهر من تحركه من بغداد ، ولمّا كان من الضروري أن يمر من الرشت وأنزلي فقد قرر فتح باب الصداقة مع أحرار الغابات وضمهم إلى صفه، فذهب العقيد ستوكس[١] يرافقه نيكيتين[٢] إلى الغابات من أجل التفاوض. وأعطى لميرزا كوچك خان وعودًا وآمالاً، إلا أن ميرزا تمسك برأيه فعاد ستوكس ورفاقه إلى قزوين خالين الوفاض.

وفي اليوم الثاني من رمضان عام ١٣٣٦ هـــ.ق، عبر بيتشراخوف جسر منجيل مع آخر بقايا أفراد جيشه تحت حماية المدفعية والمدرعات الإنجليزية، واستولى على الرشت وأنزلي، أما الإنجليز الذين كانوا يتحركون خلف الروس خطوة بخطوة فقد أطاحوا بالمجالس المحلية ونفوا رؤساءها إلى الهند، وفي الحادي عشر من شوال استولى ميرزا كوچك خان ورفاقه الذين كانوا قد فروا إلى الغابات على الرشت مرة أخرى ولكنهم هزموا مرة ثانية فعرضوا الصلح، ونظرًا لأن الإنجليز لم يستفدوا من هذه الحروب المتواصلة فقد تحالفوا مع ممثلي لجنة " الوحدة الإسلامية" ووقعوا معهم اتفاقية في السادس من ذي القعدة لعام ١٣٣٦ هـــ.ق، والتي ترك الجنگليون أي قوات الغابات بمقتضاها الطريق صوب باكو مفتوحًا أمام الإنجليز، واعترف الإنجليز رسميًا بمنظمة جنگل أي الغابة[٣]، وعلى هذا النحو استقر الصلح والسلام لفترة بين قوات الغابات والجيش الإنجليزي، وأخذ الإنجليز يتنقلون من الرشت إلى باكو دون أي مضايقات[٤].

---

(١) C. B. Stokes هو نفسه الميجور ستوكس العميل العسكري البريطاني الذي كان يحرض الإيرانيين أثناء تحصنهم بالسفارة الإنجليزية على أن يطلبوا من الملك الحكومة النيابية.

(٢) بازيل نيكيتين (B. Nikitine) ١٨٨٥ – ١٩٦٠م، القنصل الروسي في الرشت وتبريز وأرومية ومهاباد ومن المستشرقين المعروفين ، وقد غادر إيران في صيف عام ١٩١٩م، وذهب إلى باريس وعاش فيها حتى أخريات حياته ، ومن مؤلفاته كتاب "إيراني كه من شناخته إم : إيران التي عرفتها".

(٣) صحيفة جنگل، العدد ٢٨، ١٣٣٦ هـــ.ق.

(٤) في أغسطس ١٩١٨م (ذي القعدة ١٣٣٦ هـــ.ق) استولى الإنجليز على باكو بمساعدة الاشتراكيين والمناشفة وأطاحوا بحكومة إستپان شوئوميان وأخذوا رؤساء الحكومة إلى كراسنا فدسك وأطلقوا عليهم النار، ولكن في ١٤ سبتمبر (ذي الحجة ١٣٣٦ هـــ.ق) قبل يوم واحد من دخول القوات التركية باكو، عادوا سريعًا إلى أنزلي وتقدم العثمانيون حتى مدينة باكو وشكلوا حكومة أذربيجان القوقاز المستقلة.

هزيمة قوات الغابات : كان ثوار الغابات قد استولوا على كل منطقة جيلان وجزء من مازندران تدريجيًا أثناء أحداث عامى ٣٥ – ١٣٣٦ هـ.ق، وبعد أن تولت حكومة وثوق الدولة الثانية زمام الأمور قرر الإنجليز الذين كانوا يريدون دعم الحكومة المركزية الإطاحة بميرزا كوچك خان. فطلبوا منه التضامن مع الحكومة المركزية أو أن يحمل متاعه ويهاجر إلى العراق تحت حمايتهم على اعتبار أن الاتفاقية التى عقدوها معه سابقًا لا يمكن تنفيذها لأن الظروف تغيرت .

وكان إنذار الإنجليز حجة للهجوم من جديد على الغابات وبدء العمليات العسكرية، فلم يصغ ميرزا كوچك لهم وانتهى الأمر بالحرب. تحركت جماعات القوزاق من طهران واشتبكوا هم والجنود الإنجليز مع الجنگليين. وكانت قوات الغابات تحارب بمهارة ولكن وقعت بينهم الفرقة، وفتحت الرشت ولاهيجان، وقلص ميرزا كوچك خان عدد قواته ودخل منطقة الغابات (فى رمضان ١٣٣٧ هـ.ق) وبرفقته إحسان اللـه خان وآخرون (١).

– **اتفاقية ١٩١٩** : بعد أن سقطت الحكومة الاستبدادية الروسية، كان الأمل يحدو الجميع أن يحترم الإنجليز أيضًا استقلال إيران ووحدتها، إلا أن هذا الأمل لم يكن فى محله .

فإنجلترا التى انتصرت فى الحرب كان يراودها الخوف والقلق من جراء الأحداث التاريخية التى تمر على روسيا، وحلت محل الجنود الروس بهدوء ودون أى ضجة بمجرد أن غادر هؤلاء الجنود الأراضى الإيرانية، واقتربت من حدود القوقاز وآسيا الوسطى، ولكى تحافظ على إمبراطوريتها تقربت من حكومة وثوق الدولة وفرضت على إيران اتفاقية ٩ أغسطس ١٩١٩م (ذى الحجة ١٣٣٧ هـ.ق) .

---

(١) استسلم الحاج أحمد كسمائى، الذى كان قد اختلف قبل ذلك مع ميرزا كوچك خان، واعتقل ميرزا إبراهيم خان الطالقانى المعروف بالدكتور حشمت وشنق بعكس ما وعدوه .

وكانت هذه الاتفاقية المكونة من ستة بنود وتضمن جميع المصالح الإنجليزية وبموجبها كان لابد أن يكون الركنان الأساسيان للدولة وهما الجيش والمالية تحت إشراف الخبراء الإنجليز وبهذا يتحقق سيطرة إنجلترا الكاملة والمطلقة على إيران .

وفى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ١٣٣٧ هـ.ق - قبل يوم واحد من تحرك أحمد شاه إلى أوربا - نُشر بيان وثوق الدولة المطول يضم نص الاتفاقية، لم ينتظر الإنجليز تصديق المجلس وبدأوا فى تنفيذ الاتفاقية. وأخذ وثوق الدولة يهيئ المجال لانتخابات المجلس الجديد، ويحاول اختيار الأشخاص الذين سيصدقون على الاتفاقية بدون أى جدل بتقديم الرشاوى والترويع. ولكن أحدثت الاتفاقية موجة من الغضب والاحتجاج، فاعترض عليها الزعماء السياسيون والدينيون الإيرانيون والشخصيات المعروفة والمستنيرون والتجار فى المحافل والصحف، ونظمت اللقاءات والمظاهرات فى أغلب المدن وصدرت البيانات التى تحمل شعار « الموت لإنجلترا، الموت لحكومة وثوق الدولة المولية لإنجلترا !» .

ولكى يضع وثوق الدولة حدًا لهذه المشاعر اعتقل عددًا من مشاهير الأحرار وسجنهم ونفى مجموعة من الرؤساء وأصحاب النفوذ .

عند عودة أحمد شاه إلى إيران بعد سفر دام عشرة شهور كان لايزال وثوق الدولة على رأس الحكومة، وقام الخبراء الماليون والعسكريون الإنجليز بتنفيذ الاتفاقية، إلا أن استقرار الأوضاع فى روسيا وبدء المفاوضات الإيرانية السوفيتية مع ضغط الرأى العام من ناحية وقيام الحركات الوطنية (فى إيران وتركيا وأفغانستان) من ناحية أخرى قد تضافرت معًا وأضعفت الاتفاقية .

ثورة تبريز (الخيابانى) : بدأت فى تبريز فى السادس عشر من رجب ١٣٣٨ هـ.ق (١٧ فروردين ١٢٩٩ ش) ثورة مسلحة ضد حكومة وثوق الدولة الرجعية والإمبرياليين الإنجليز، وانتشرت فى سائر مدن أذربيجان، واستولى الثوار بزعامة الشيخ

محمد الخيابانى على الإدارات الحكومية وأطلقوا على محافظة أذربيجان اسم «آزاديستان» (أرض الحرية) .

وقد ولد الشيخ محمد بن الحاج عبد الحميد التاجر الخامنئى فى عام ١٢٩٧ هـ.ق، وتعلم مقدمات الفقه والأصول والمنطق فى تبريز، وعلاوة على العلوم الدينية فقد نهل من علم الفلك والنجوم والفلسفة والتاريخ والطبيعيات والأدب. وبفضل هذا الاستعداد العلمى صار من زمرة علماء الدين والأئمة . كان الشيخ مطلعًا على علوم العصر والقضايا الاجتماعية فشارك فى الثورة النيابية الكبرى بشكل فعال، وصار عضوًا بالمجلس المحلى لأذربيجان.

وفى الدورة البرلمانية الثانية (١٣٢٧ هـ.ق) اختير الخيابانى عضوًا بالمجلس عن مدينة تبريز، وعندما طرح الإنذار الروسى فى المجلس، انضم للحزب الديمقراطى الإيرانى واحتج عليه من خلال خطاب بليغ له، وعندما قامت الحكومة الرجعية بإيذاء الأحرار ذهب إلى مشهد ومنها إلى روسيا عبر طريق عشق آباد .

وأمضى الشيخ فترة فى " بطروفسكى " و " ولادى قفقاز " وحضر بعد ذلك إلى تبريز، وفى الفترة التى قبلت فيها الحكومة الإنذار الروسى وكان المجلس مغلقًا، اشتغل بالتجارة وأخذ يتابع المسائل الاجتماعية والسياسية، ويهيئ رفاقه للأنشطة المستقبلية .

وبعد ثورة فبراير وسقوط الحكومة الروسية الاستبدادية، ظهر الأحرار الأذربيجانيون على الساحة وقام الخيابانى من جديد بتشكيل الحزب الديمقراطى الأذربيجانى والذى تعطل خمس سنوات، وأدار صحيفة " تجدد " الناطقة باسم الحزب .

وفى أواخر شعبان ١٣٣٧ هـ.ق، دخل الأتراك العثمانيون أذربيجان بحجة تأديب الثوار وتحرير أرومية وسلماس، واحتلوا المناطق الغربية والشمالية الغربية ودخلوا تبريز بجيش مكون من ألفى جندى .

وضع العثمانيون سياستهم القديمة وهى القومية التورانية فى غلاف " الوحدة الإسلامية " الخادع، ولتنفيذ مقصدهم أحضروا إلى تبريز رجلاً محتالاً ومخادعًا يدعى يوسف ضياء .

وقد التقى يوسف ضياء أكثر من مرة مع الخيابانى والزعماء الديمقراطيين وطلب حل الحزب الديمقراطى وانضمام أعضائه لـــ " الوحدة الإسلامية" فرفض الديمقراطيون هذا الاقتراح رفضًا باتًا، واستعد العثمانيون الذين كانوا قد أدركوا جيدًا أنه من المستحيل هضم الوجبة الدسمة التى تسمى أذربيجان ما دامت توجد فرقة اسمها الديمقراطيون فى تبريز، لذا استعدوا بالطبع للإطاحة بها وضربوا بجميع المفاوضات والاتفاقيات عرض الحائط ونفوا الخيابانى واثنين من رفاقه إلى أرومية فى الثامن من ذى القعدة ١٣٣٧هـــ.ق، ثم إلى قارض بعد ذلك، واستطاع السجناء الوصول إلى تبريز عندما كان عين الدولة قد عُين حاكمًا على أذربيجان، ولم يقبل الخيابانى ولا الحزب الديمقراطى واللذان كان لهما نفوذ غير عادى بين أفراد الشعب، حكومة مثل هذا الشخص الذى كان قد حارب فى الماضى ستارخان ومجاهدى تبريز وعُرف كعنصر رجعى، وهبُّوا للاعتراض، فمكث عين الدولة فترة فى حى باغميشة فى أقسام الشرطة وقام الديمقراطيون بالتنظيم الداخلى للحزب، وفى مثل هذه الأوضاع حان وقت الدورة الانتخابية الرابعة للمجلس .

ولكى يقوم وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى بضم مرشحيه إلى المجلس، لجأ إلى طرق مختلفة فأرسل بعض الأشخاص من الأذربيجانيين أنفسهم ذوى القدرة والنفوذ إلى تبريز، ولكن برغم كل هذه المحاولات استطاع الحزب الديمقراطى الأذربيجانى الحصول على ستة مقاعد من بين مقاعد تبريز التسعة .

وفى هذه الأثناء عقد وثوق الدولة اتفاقيته الشهيرة مع الإنجليز وقام بتنفيذ بعض بنودها، وكتبت صحيفة تجدد الناطقة باسم الحزب الديمقراطى الأذربيجانى حول هذا الأمر " طالما أن الاتفاقية لم يصدق عليها المجلس فإنها ليست أكثر من مجرد ورقة " .

أما وثوق الدولة الذى كان يخشى من الهزيمة فى انتخابات تبريز والتقدم المتزايد للحزب الديمقراطى الأذربيجانى، فقد أدرك تمامًا أنه إذا دخل النواب الديمقراطيون المجلس سيكون من المستحيل التصديق على الاتفاقية، لذا قرر اقتلاع الحزب من جذوره وإطفاء هذه النار المشتعلة. فأرسل إلى أذربيجان اثنين من الضباط السويديين مع فرقة مسلحة وأمرهما بالقضاء نهائيًا على الحزب الديمقراطى وزعمائه بأى وسيلة. فرأى الحزب الديمقراطى الأذربيجانى أنه لا يجوز السكوت بعد ذلك ، فثار كما ذكرنا فى رجب ١٣٣٨ هـ.ق احتجاجًا على تصرفات الحكومة والاتفاقية الإيرانية الإنجليزية .

- ماذا كان يريد الخيابانى ؟ وبم كان يصرح ؟

كان الخيابانى رجلاً حسن السيرة ونقى السريرة ولم يكن يؤمن بلغة القوة فى الوصول إلى هدفه، فكان يعتقد أنه من الممكن عن طريق الأخلاق تطبيق أسس الحكومة الديمقراطية فى إيران، ولم تجر حكومة آزاديستان الوطنية اتصالات بانتفاضة جيلان الثورية، ولم تتخذ أى قرار جدى من أجل تأسيس القوة العسكرية والدفاع عن تبريز .

واستمرت الثورة ستة شهور وكان الخيابانى يشرح خلال هذه الفترة للشعب أهداف الحزب ومطالب أحرار أذربيجان يوميًا بلغة بسيطة، وكانت خلاصة أقواله تنشر فى صحيفة تجدد .

وكانت خطب الخيابانى عميقة ومفيدة وسوف أكون حزينًا لو مررت دون أن أنقل أجزاء من تصريحاته وبياناته، فقد كان يقول :

" إن هدفنا الوحيد هو إقامة حكومة ديمقراطية والعمل على إرساء الحرية فى هذه المملكة. والذين يعارضون هذا الهدف هم أعداؤنا، وخطتنا الوحيدة هى كف أيدى هؤلاء الأعداء عن الأمور التى تتعلق بالنظام والحرية، ونحن نقول بصوت مسموع : أيها المستبد وأنت أيها الرجعى اعلموا جميعًا أن عرضكم ومالكم وأرواحكم فى أمان، ولكنكم لن تعبثوا بعد الآن بأيديكم الملوثة بمقدرات الديمقراطية[1]".

---

(١) صحيفة " تجدد " من خطبة يوم الجمعة ٤ شعبان ١٣٣٨ هـ.ق .

نحن نريد أن تكون الجماعة فى إيران قوة معلومة ومعروفة وعلنية ومسئولة، وأن تكون الفرق والأفراد الذين يتحركون باسم الجماعة ويتدخلون فى الأمور معلومين للجماعة ومسئولين أمامها ومساندين لها[1]. ونحن التحرريون عندنا جميعًا أمنية واحدة وعقيدة واحدة، وندعو جميعًا لأن تحكم المملكة حكومة نيابية حقيقية، وأن تلغى وتمحى السلطات الشخصية والامتيازات وأن يكون حكم الشعب حقيقيًا، وأن تقوم المؤسسات والهيئات الوطنية على أساس السيادة الشعبية، وندعو لأن يسود العدل والمساواة والحرية. وفى كلمة قصيرة ومفيدة نحن نريد أن نكون أولاد عصرنا[2].

عندما أعلن بالنيابة عن نفسى وعن رفاقى أننا مستعدون للموت فى سبيل الحرية والاستقلال، فإننا ندرك جيدًا معنى " الاستعداد " ومعنى " الموت " وأيضًا معنى " الحرية والاستقلال "، نحن الديمقراطيين مصممون على ألا نسمح بعد ذلك بأن يتحكم فى الديمقراطية الدجالون المتحدثون باسم الحكومة والأمة، وسوف نبذل كل جهدنا للوصول إلى هذا الهدف العظيم، وسنضرب بقوة على يد المفسدين [3].

إن تبريز تريد أن تكون السيادة للشعب، ولسان حال الشعب الإيرانى كله يطالب بهذا الأمر، وإذا امتنعت طهران عن قبول هذا الرأى فإننا سنجدد إيران بالمبادئ الراديكالية، ونحن ندعو لأن يشيع الحكم الديمقراطى فى كل أنحاء إيران وأن يعبر أهالى الأقاليم عن رأيهم بحرية، والموت هو آخر مرحلة للدفاع عن هذا الحق، فنحن نفضل الموت فى هذه السبيل على الحياة بلا شرف [4].

---

(١) صحيفة " تجدد " من خطبة يوم الخميس ١٠ شعبان ١٣٣٨هـ.ق.

(٢) صحيفة " تجدد "، من خطبة ١٨ شعبان ١٣٣٨ هـ.ق .

(٣) من خطبة مساء الجمعة ٩ رمضان ١٣٣٨ هـ.ق.

(٤) آخر خطب الخيابانى، ٨ ذو الحجة ١٣٣٨ هـ.ق .

جمهورية جيلان : بعد أن هُزمت قوات الغابات غادر ميرزا كوچك خان منطقة فومنات، وبعد تسليم الدكتور حشمت وإعدامه، تنقل بين مناطق لم يكن هو نفسه يعرف أين تقع .

وأخذ يغير مكانه حتى التقى مرة أخرى مع إحسان اللـــه خان وخالو قربان فى غابات فومنات، واشتعلت نار المعارك الدامية مرة أخرى، ولمَّا رأت القوات الحكومية أنها لن تستفيد من مطاردة الجنگليين استخدمت الخدعة، فكتبوا الرسائل لميرزا كوچك ومدحوا وطنيته وحبه لإيران، وطلبوا منه أن يلجأ إلى المعسكر الإيرانى ويعيش بقية عمره مستريحًا وينعم بالاحترام فى ظل المناصب العليا، ولكنه لم يقبل هذا الكلام وقال : " قبل هذا الأمر حصل ممثلو الحكومة الإنجليزية بالوعود التى أعطوها للآخرين على عقد ملكية إيران دفعة واحدة، وطلبوا منى هذا ولكنى رفضت. فإن ضميرى يحتم علىَّ أن أسعى من أجل إنقاذ مسقط رأسى وموطنى الذى سقط فى قبضة المستعمر الأجنبى"[1].

ولم تسفر هذه الإجراءات والمخططات عن شىء هى الأخرى، وتوقفت اشتباكات القوات الحكومية مع ثوار الغابات من تلقاء نفسها، وقررت الحكومة التصالح مع الجنگليين، وانتهى الأمر بأنه مادام مجلس الشورى الوطنى لم يفتتح بعد ولم يتحدد مصير الاتفاقية فلابد من تجميد العمليات العدائية من كلا الطرفين .واستمر سكون الطرفين واتباع سياسة الصبر والترقب حتى هزت أصوات المدافع الحربية الروسية الثقيلة ميناء أنزلى .

وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٩ شعبان ١٣٣٨ هـــ.ق، نزل الجيش الأحمر - الذى كان قد أطاح بحكومة أذربيجان القوقاز وطرد المحتلين الإنجليز من باكو - فى ميناء أنزلى من أجل مطاردة فلول قوات دنيكين البحرية، وقام بتطهير ذلك المكان من الروس البيض والإنجليز، وحاصر القوزاق الإيرانيين ونزع سلاحهم .

---

(١) من رسالته إلى تيكانشينكوف بتاريخ ٢٢ ذى الحجة ١٣٣٧ هـــ.ق

وبوصول الجيش الأحمر تغيرت الأوضاع، فحضر ميرزا كوچك خان إلى أنزلى والتقى على متن سفينة كورسك بـــ "راسكو لينكوف" قائد القوات البحرية ببحر قزوين و"سيرجى أرجنيكدزه" المندوب السامى للقوقاز وأعضاء لجنة العدل بباكو، وعاد إلى الغابات بعد أن حصل على موافقتهم بعدم تطبيق مبادئ الشيوعية فى إيران .

وفى يوم الجمعة ١٦ رمضان وصل إلى الرشت ميرزا كوچك خان وإحسان اللـــه خان ورفاق جنگلى. وتشكلت اللجنة المركزية للثورة الإيرانية الحمراء فى الثامن عشر من رمضان، وفى التاسع عشر من ذلك الشهر (١٧ خرداد ١٢٩٩ش) أُعلن مجلس وزراء الحكومة الجمهورية الثورية فى الرشت، وقد عُين ميرزا كوچك خان فى هذه الحكومة وزيرًا للحربية، وكان برنامج حكومته عبارة عن محاربة الإمبريالية الإنجليزية والمحافظة على استقلال إيران وسيادتها وتطبيق النظام الجمهورى فى الدولة وإلغاء وفسخ جميع الاتفاقيات والمعاهدات المفروضة وتساوى حقوق جميع أفراد الشعب وتحجيم قدرات الملاك والأمراء، والمحافظة على حقوق وأرواح وأموال كل أفراد الشعب الإيرانى. ومنذ ذلك الحين خرج ثوار جيلان من غابات فومن واستولوا على الرشت وأنزلى. فاستسلم درك الرشت وأجبروا معسكر القوزاق على الاستسلام بالنزال والقتال (٢٧ رمضان ١٣٣٨ هـــ.ق) .

وفى أولى مراحل عملها وسعيها قامت جبهة جيلان الثورية بالحرب فى جهة واحدة، فطهرت كل منطقة جيلان من الجنود الحكوميين والقوات الإنجليزية، وهرب كبار الملاك إلى طهران وصُودرت أملاكهم باسم الحكومة الجمهورية. إلا أن عمر الجبهة الوطنية المتحدة كان قصيرًا جدًا، ففى نفس توقيت نزول الجيش الأحمر وصل إلى جيلان عدد من أعضاء حزب "العدالة - باكو" على دفعات، وشكلوا تنظيمًا فى الرشت، ونتيجة لخلاف ميرزا كوچك خان مع بعض زملائه اليساريين مثل إحسان اللـــه خان وآخرين وكذلك بسبب تحريض العملاء الأجانب الذين كانوا موجودين فى كلتا الجماعتين، غادر ميرزا كوچك خان الرشت يوم الجمعة ٢ شوال معترضًا وساخطًا، أما

معارضوه فقد حكموا فى جيلان سبعة أشهر بصحبة مجموعة من الإيرانيين الذين كانوا قد شكلوا حزب " العدالة " فى باكو ولكنهم كانوا يجهلون تمامًا حقيقة الأوضاع بإيران والأحوال المعيشية بها، وفى آخر الأمر ونتيجة لهذه الخلافات سقط الطرفان وفشلت ثورة جيلان فشلاً ذريعًا فى شتاء عام ١٢٩٩ ش (١٩٢١م)، وضحى ميرزا كوچك خان هو الآخر بروحه فى سبيل ذلك (١).

الاتفاقية وحكومة مشير الدولة : سقطت حكومة وثوق الدولة كما ذكرنا فى شوال ١٣٣٨ هـ.ق وحلت محلها حكومة مشير الدولة. ونتيجة السخط والتذمر العام صرح مشير الدولة الذى كان يحظى هو الآخر بمساندة الإنجليز الفعلية للإطاحة بالحركات التحررية بأن الاتفاقية التى لم يصدق عليها مجلس الشورى الوطنى غير قابلة للتنفيذ، فتوقفت إجراءات تنفيذ الاتفاقية وغادر الخبراء الإنجليز الوزارات، وأوفد عليقلى خان الأنصارى مستشار الممالك إلى السفارة الإيرانية فى موسكو للتباحث مع الحكومة السوفيتية .

حكومة إحسان الله خان : بدأ الانقلاب الأحمر فى جيلان فى ١٤ ذى القعدة ١٣٣٨ هـ.ق، وقام اليساريون المتطرفون بالحزب الشيوعى بتشكيل لجنة تسمى « اللجنة الوطنية لإنقاذ إيران» واعتقلوا كل أنصار ميرزا كوچك خان، وقامت حكومة جديدة فى الرشت، وفى مجلس وزراء الحكومة الثورية الجديدة تم تقديم إحسان الله خان رئيسًا للوزراء ووزيرًا للخارجية وسيد جعفر جواد زاده (پيشه ورى) وزيرًا للداخلية .

قدمت حكومة إحسان الله خان وعودًا كثيرة للشعب، ولكنها لم تتمكن من تنفيذ بنود برنامجها الذى تضمن إصلاح أحوال الكادحين وتقسيم الأراضى بين المزارعين، ليس هذا فحسب بل إنها اتخذت قرارات تحمَّل عبئها الثقيل القرويون والعمال والحرفيون .

---

(١) كريم كشاورز، گيلان، ص ٦٣ .

وأرسل مشير الدولة قوات القوزاق المدعومة بالقوات الإنجليزية لمحاربة الشيوعيين الإيرانيين، واستولى الجيش الحكومى على الرشت فى ١٦ ذى الحجة بعد عدة حروب ذاق خلالها الهزيمة والنصر مرتين، وأجبر الشيوعيين على التراجع حتى مشارف أنزلى. وقد تسببت أعمال إحسان اللـــه خان المتطرفة وتصرفاته الطائشة فى إضعاف حكومته، فقام أعضاء الحزب الشيوعى الإيرانى بمحاربته ومحاربة المتطرفين من الحزب، وأدان مجلس نواب الأمم الشرقية الذى كان قد تشكل فى باكو سياسة إحسان اللـــه خان .

وفى المحرم عام ١٣٣٩، تجددت انتخابات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيرانى وعين حيدر عمو أوغلو رئيسًا للحزب، وقد منعت اللجنة الجديدة الإعلام المناهض للدين والقيام بأى أعمال طائشة ودخلت فى مفاوضات مع ميرزا كوچك خان من أجل التحالف وتشكيل جبهة متحدة .

وكانت القوات الحكومية قد تقدمت حتى خمام وپيربازار بعد الاستيلاء على الرشت ولكن فى آخر معركة دارت فى المنطقة الواقعة بين الرشت وأنزلى قامت سفينة حربية روسية بإنزال مجموعة من الجنود فى الأراضى الإيرانية وهزمت الجيش الحكومى، وأصدر استارفسلسكى أوامره لبقية قواته بالتراجع، وتقهقر الجيش الإيرانى من الرشت إلى منجيل، واحتمى بالجيش الإنجليزى فى حالة نفسية محطمة .

نهاية ثورة تبريز : أجرت حكومة مشير الدولة مباحثات دبلوماسية مع الخيابانى وأوضح الأخير أهداف الثورة، إلا أن مشير الدولة لم يقبل مقترحات الخيابانى. وفى شهر ذى الحجة ١٣٣٨ هـــ.ق، أرسل مجموعة من القوزاق إلى تبريز لإخماد الثورة، وعين حاجى مخبر السلطنة هدايت الذى كان قد تظاهر بالديمقراطية والتحررية، عينه محافظًا لأذربيجان، وقد وافق الخيابانى على اختياره .

ولم يكن الخيابانى يتصور أن يقوم مخبر السلطنة بإيذائه هو وأحرار أذربيجان، لذا لم يمد يده على السلاح، وتفاوض معه مخبر السلطنة هذا الرجل النصاب المنافق والذى

كان قد أخفى وجهه الحقيقى تحت ستار التحررية، وأعلن استعداده لتقديم المساعدة من أجل تحقيق الأهداف الوطنية. وفى نفس الوقت تحالف فى السر مع الأفراد المعارضين والقوى الرجعية، وخرجت قوات الدرك من المدينة فى منتصف الليل بناءً على المؤامرة، وهجمت قوات القوزاق فجأة على المراكز الحزبية والمنازل صباح يوم ٢٣ ذى الحجة، واشتعلت الحرب فى شوارع تبريز، وتم الاستيلاء على " عالى قاپو "، وفى آخر الأمر قُتل زعيم الثورة فى ٢٩ ذى الحجة ١٣٣٨ (٢٢ شهر يور ١٢٩٩ش) بيد الشخص الذى كان منذ بداية شبابه " يعتبر الثورة الفرنسية بلا قيمة " [١]، والجمهورية فى نظره كانت " مدرسة بلا مدير " [٢]. وتم حل تنظيمات الحزب الديمقراطى الأذربيجانى، وتوجه مجهض الثورة إلى عالى قاپو تصحبه ضجة كبيرة وجلس على كرسى السلطة، ومكافأة له على هذا العمل البطولى التاريخى تلقى من مشير الدولة تلغرافًا يعبر عن سعادته والوعد بمنحه شعار القدس مع الأوسمة الخاصة .

حل فرق القوزاق : خاف الإنجليز من أن تصبح فرق القوزاق فى يوم من الأيام أداة فى يد الحكومة الاشتراكية الروسية. توجه رضا خان قائد القوزاق الإيرانية والذى كان قد خرج من أسرة عسكرية من صغار الملاك من " سوادكوه "، توجه إلى جبهة الشمال وأعاد فرق القوزاق الإيرانية إلى قزوين، وتم القبض على استارفسلسكى وجميع الضباط الموجودين تحت إمرته ونزع سلاحهم بتهمة الخيانة فى حرب جيلان، وتم حل فرق القوزاق التى كانت قد عملت تحت قيادة الضباط الروس ما يقرب من أربعين عامًا .

الاتفاقية وحكومة سپهدار : اضطرت حكومة مشير الدولة – التى كانت قد امتنعت عن تنفيذ الاتفاقية وحل فرق القوزاق الإيرانية – لتقديم استقالتها تحت ضغط الإنجليز فى ١٤ صفر ١٣٣٩ هـــ.ق، وبعد عدة أيام (١٨ صفر) أصبح سپهدار الرشتى رئيس وزراء إيران. وأعلن فى الأيام الأولى من حكومته أنه نظرًا لانسحاب فرق

---

(١) خاطرات وخطرات، ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

جيلان نتيجة لتقصير بعض الضباط الروس فقد تم إقالة استارفسلسكى وتسليم معسكر القوزاق للقائد الإيرانى الجديد وذلك لإنهاء هذه المسألة .

ولم تستطع حكومة سپهدار ضبط الأمور، وواجهت أسوأ الظروف فى ظل مؤامرات الخصمين وتنافسهما. وظل الإنجليز يضغطون ويطالبون بالتصديق على الاتفاقية مهددين بقطع معونتهم المالية، فتقرر أن يطرح هذا الموضوع فى المجلس الأعلى الذى كان قد تشكل من أمراء وساسة وأشراف الدولة، وعُقدت جلسة فى ١٦ ربيع الأول ١٣٣٩ هـ.ق، برئاسة الشاه نفسه، ولكن برغم أن الرجعيين كانوا يشكلون غالبيته فقد قام بإرجاء تنفيذ الاتفاقية لحين افتتاح مجلس الشورى الوطنى نظرًا للحركات الثورية ومراعاةً للأوضاع الدولية، وظل المجلس هكذا مغلقًا والاتفاقية تنتظر التصديق. وأدرك الإنجليز أن أى مساعى أخرى لتنفيذ الاتفاقية لن يأتى من ورائها سوى احتدام الاحتجاجات الوطنية، لذا قاموا بتغيير خطتهم ، وقرروا تغيير سياستهم فى إيران قبل استحكام وضع الروس وإقامة علاقات مع الأمم الشرقية، أى إحداث تحول عظيم فى التاريخ واستخدام القوة الجبرية لإرغام الدولة التى رفضت مسايرتهم .

انقلاب الثالث من أسفند: ظهر تنظيم سرى باسم " التنظيم الحديدى " بزعامة سيد ضياء الدين الطباطبائى المحرر الصحفى والسياسى المخضرم والأمير فيروز ميرزا نصرت الدولة .

تقهقرت فرق القوزاق وظلت شاردة وبلا عمل فى المنطقة الواقعة بين قزوين ومنجيل. وامتنع الجيش الإنجليزى الذى رابط فى قزوين عن دعمهم ماليًا، وتحرك رضا خان من قزوين صوب طهران بغرض تدعيم الحرس الملكى، وفى شاه آباد انضم له ولرفاقه سيد ضياء الدين الذى كان قد خرج سرًا من المدينة، واتفق الجميع على " وجوب إنقاذ الدولة من الخطر ". وفى صباح يوم ١٢ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ.ق (الثالث من أسفند ١٢٩٩ ش) وصل الجيش إلى طهران، وامتنعت قوات المدينة عن المقاومة وكانت مكونة من جنود الجيش المركزى و قوات درك باغشاه، وتم الاستيلاء على المدينة. وتم تنفيذ الانقلاب .

حكومة سيد ضياء الدين التى استمرت تسعين يوما : وفى صباح الثالث من أسفند أُلصِق على جدران العاصمة بيان بتوقيع " القائد رضا رئيس فرق القوزاق " والذى كان قد ورد به:

" نحن تأهبنا لوضع حد لهذه الأوضاع المتردية وجئنا لإعطاء الخائنين جزاءهم ومساندة حكومة قوية تليق بقوة وعظمة الدولة الشاهنشاهية، وأنا أؤكد أن الشعب وحده هو الذى يهتم بصلاح الدولة والوطن ، وأنه يعد نفسه للخدمة والعمل ".

و أُعلن الحكم العسكرى فى العاصمة والمدن أيضًا، وتم نفى وتحديد إقامة بعض علماء الدين والنواب والمشاهير وأصحاب الألقاب، وتعطل مجلس الشورى الوطنى الذى كان قد أوشك عل الافتتاح، ووقعت حكومة الانقلاب بعد خمسة أيام على معاهدة الصداقة الإيرانية الروسية والتى ظلت لفترة طويلة فى حيز الإعداد، وأُلغيت رسميًا اتفاقية ١٩١٩، الإيرانية الإنجليزية التى لم يوافق عليها الشعب الإيرانى مطلقًا، وبشرت الشعب باتخاذ سياسة وطنية مستقلة وتقسيم الأراضى الملكية وإصلاح النظام المالى والقضائى ونشر الثقافة العامة والتصدى للأشراف والأعيان، ولكن سرعان ما أدرك الشعب أهداف سيد ضياء الدين وحقيقة بياناته الرنانة الخادعة، ونتيجة استياء الشاه واعتراض الأمة سقطت حكومة التسعين يومًا والتى كانت قد سميت بين العامة بـــ" الحكومة السوداء "، وهرب سيد نفسه ليلاً من إيران فى ١٧ رمضان ١٣٣٩هـــ.ق، خوفًا من العقاب وذهب إلى بغداد .

حكومة قوام السلطنة : بعد عشرة أيام من سقوط حكومة سيد ضياء الدين تولى رئاسة الوزراء قوام السلطنة محافظ خراسان السابق وشقيق وثوق الدولة مبرم الاتفاقية والذى كان قد دخل السجن فى عهد حكومة سيد ضياء الدين، وكرس كل جهوده لقمع الحركات الثورية ولا سيما ثورة جيلان وانتفاضة خراسان .

نهاية ثورة جيلان: كما رأينا كانت لجنة الحزب الشيوعى الجديدة قد أمسكت بزمام أمور الحزب بزعامة حيدر خان فى المحرم عام ١٣٣٩ هـ.ق، وقد شكلت هذه اللجنة تنظيمًا جديدًا باسم حزب " العدالة " فى ١٦ جمادى الأولى، وقامت بتحديد سياسة الحزب الجديدة والتصديق عليها وفقًا لبيان رمضان ١٣٣٨ هـ.ق والتى كانت عبارة عن ائتلاف جميع قوات جيلان الثورية وتشكيل جبهة متحدة لمحاربة قوات الحكومة المركزية والإمبريالية الإنجليزية، ودخلت فى مفاوضات مع ميرزا كوچك خان لهذا الهدف .

وبإعلان تشكيل حكومة الجمهورية السوفيتية قامت لجنة الثورة فى العشر الأوائل من ذى الحجة ١٣٣٩ هـ.ق، بتعيين ميرزا كوچك خان رئيسًا للوزراء ووزيرًا للمالية وحيدر خان عمو أوغلى وزيرًا للخارجية، وبإئتلاف القوات الثورية وتشكيل الحكومة الجديدة انتهت المرحلة الثانية من أحداث ثورة جيلان .

وعندما أمسكت حكومة قوام السلطنة بزمام الأمور سيطر الثوار على تنكابن والرشت حتى حدود خلخال وطارم، وقد رابط ميرزا كوچك فى الغابات قرب رودبار، وخالو قربان فى مدينة الرشت، وإحسان اللــه خان فى لاهيجان ولنگرود ورودسر، وكان الأمل لا يزال يراود الثلاثة فى مساعدة الحكومة السوفيتية، ولكن غيرت السياسة السوفيتية توجهاتها فى إيران بعد عقد الاتفاقية الإيرانية السوفيتية بناء على الاتفاق الذى كان قد تم بين الروس والإنجليز، وأخذ دعم تلك الدولة للجنگليين يتناقص تدريجيًا، وفى ذى القعدة ١٣٣٩ هـ.ق، خرجت من إيران بقية قوات الجيش الأحمر التى كانت فى الرشت وضعفت جبهة جيلان المتحدة شيئًا فشيئًا، وظهرت جماعتان من بين زعماء اللجنة لتولى زعامة الثورة. وذهب إحسان اللــه خان الذى طالب بالقيادة العامة إلى طهران بدون موافقة اللجنة، وهُزم من قوات القوزاق والمرتزقة فى المعركة التى دارت فى تنكابن، وهرب إلى لاهيجان، واستبعد من لجنة الثورة (١٧ – ٢٠ ذى القعدة ١٣٣٩هـ.ق).

وظلت المفاوضات تجرى بين الحكومة والثوار، واستاء ميرزا كوچك خان وخالو قربان من إحسان اللـــه خان الذى كان يعمل من تلقاء نفسه، وكان ميرزا كوچك خان يخشى عواقب الأمور،فقام بانقلاب فى ٢٦ محرم ١٣٤٠ هـــ.ق، وأطاح بالحزب الشيوعى فى الرشت وأنزلى، وهرب إحسان اللـــه خان إلى باكو، وأعلن خالو قربان استسلامه عقب وصول الجيش الحكومى، وأخذ ميرزا كوچك خان محاربيه إلى الجبل، وهلك فى الممر الجبلى بين طالش وخلخال من شدة البرودة (صفر ١٣٤٠ هـــ.ق)، وعلى هذا النحو انتهت قصة الغابات التى كانت قد استغرقت من البداية إلى النهاية سبع سنوات، وذلك فى الأيام الأخيرة لحكومة قوام السلطنة (الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٣٤٠ هـــ.ق) .

ثورة الكولونيل محمد تقى خان فى خراسان : وقد تزامن مع هذه الأحداث أيضًا قمع ثورة الكولونيل محمد تقى خان پسيان فى خراسان .

كان محمد تقى خان من الشباب الإيرانى الوطنى المتحمس، وكان أجداده قد ألقوا بأنفسهم فى حضن وطن الأجداد عقب انفصال القوقاز عن دولة إيران، أما هو فقد ولد فى تبريز سنة ١٣٠٩ هـــ.ق، وحضر إلى طهران سنة ١٣٢٤ هـــ.ق، وبعد خمس سنوات من الدراسة والتعليم فى المدرسة العسكرية نال رتبة ملازم ثان، ولمّا تصدعت أركان الجيش الجديد تم تقديمه للجنرال السويدى يالمارسن، ونال منصب الياور والمترجم ورئيس السرية المكلفة بطريق همدان وذلك بنفس الرتبة التى كان عليها فى الجيش، وفى عام ١٣٣١ هـــ.ق التحق بمدرسة ضباط الدرك، وفى العام التالى أرسل مع فرقة من الجيش إلى بروجرد، وشارك فى أغلب المعارك التى دارت هناك، ونال فى نفس هذا العام رتبة الياور، وكلف بهمدان، وقد ظل هناك حتى المحرم من عام ١٣٣٤ هـــ.ق، وقد أبدى الياور محمد تقى خان بطولات عديدة فى الحرب العالمية خاصة فى المعركة التى تعرف بمعركة المصلى، وهزم الروس هزيمة ساحقة وبعد هذه المعركة والانتصار الذى كان عملاً عظيمًا من الناحية العسكرية تعدى صيت شهرته وكفاءته حدود إيران،

ودوى فى ألمانيا والنمسا، ولكن بعد سقوط بغداد اضطر للانسحاب. وفى عام ١٣٣٥ هـــ.ق، ذهب إلى ألمانيا للعلاج وبعد واقعة دياله.. المحزنة أسرع إلى حلب والموصل لمساعدة مواطنيه، ولمّا كان الأمر قد انتهى عاد يائسًا إلى برلين فى المحرم سنة ١٣٣٦ هـــ.ق. وفى ألمانيا خدم أول الأمر فى الطيران ثم فى فرقة المشاة بعد ذلك ، درس أيضًا أثناء خدمته الرياضيات وفن الموسيقى، وعاد إلى إيران سنة ١٣٣٨ هـــ.ق، وبعد فترة من الشتات عين قائدًا لدرك خراسان فى حكومة مشير الدولة.

أما قوام السلطنة الذى كان محافظًا لخراسان قبل ثلاث سنوات فقد تم القبض عليه على يد الكولونيل محمد تقى خان بعد الانقلاب بناءً على أوامر سيد ضياء الدين فى ٢٣ رجب ١٣٣٩ هـــ.ق (١٣ فروردين ١٣٠٠ش)، وأُرسل تحت الحراسة إلى طهران، وعُهد إلى الكولونيل بمنصب محافظ خراسان، ولكن عندما انقلبت الأوراق ووصل قوام السلطنة إلى رئاسة الوزراء تأهب لقتله والانتقام منه بما كان يحمله له من كراهية وعداوة، فاضطر أحرار خراسان للثورة فى ذى الحجة ١٣٣٩ هـــ.ق، بزعامة الكولونيل محمد تقى خان. وكانت ثورة خراسان ضد الإمبرياليين الأجانب ومن أجل تحقيق استقلال إيران، وكان زعيم الثورة قد جعل هدفه المحافظة على الحكم الملكى الدستورى .

ولم يكن الكولونيل محمد تقى خان عضوًا بأى حزب سياسى ولم يكن قد انضم لأى فرقة أو جماعة، فكانت لديه عقيدة ثابتة وإيمان راسخ بتمركز قوى الدولة، ولم يكن يرغب إلا فى أن تكون للدولة الإيرانية حكومة وطنية قوية.

ووقف رؤساء العشائر فى وجه الثورة بتحريض من قوام السلطنة، وانضم إليهم الجنود الحكوميون، ولكن لم تشتعل حرب كبيرة، وفى اشتباك مع أكراد بجنورد فى جعفر آباد الواقعة فى شرق قوچان قُتل الكولونيل محمد تقى خان غدرًا فى الأول من صفر

١٣٤٠ هـ.ق " ذلك الشاب الشجاع والمكافح والذى يجب أن يصنف من زمرة جلال الدين خوارزمشاه ولطفعلى خان الزندى "(١).

ثورة اللاهوتى فى تبريز: وعلى هذا استمرت ثورة الغضب الشعبى وكانت السجون قد امتلأت بالسجناء السياسيين، وفى اليوم الأول من جمادى الآخرة ١٣٤٠ هـ.ق ثار أحرار أذربيجان الذين كانوا قد تجمعوا فى الغالب حول رفاق الخيابانى، ثاروا فى تبريز تحت قيادة أبى القاسم اللاهوتى، وقام جنود الدرك الذين كانوا قد حضروا إلى تبريز بقيادة لندبرج السويدى وكُلفوا بشرفخانه، قاموا باحتجاز الميجور محمود خان پولادين، والحاكم المحلى ورئيس هيئة التلغراف، وقطعوا أسلاك التلغراف والهاتف، وقطعوا فى ليلة واحدة مسافة أربعة عشر فرسخًا من شرفخانه إلى تبريز برغم سقوط الثلوج الكثيفة، ووصلوا إلى تبريز، وانضم إليهم أيضًا مجموعة خالو قربان الذين كانوا يدافعون وحدهم عن المدينة، ووصل اللاهوتى تبريز فى الثالث من جمادى الآخر، واحتجز مخبر السلطنة هدايت محافظ أذربيجان فى الدرك، واستدعى بدلاً منه إجلال الملك الذى كان فى أرومية، ولكن وصلت قوات مياندواب فى العاشر من جمادى الآخرة بقيادة العميد ظفر الدولة إلى تبريز، ودارت الحرب فى اليوم الحادى عشر، وقرب الغروب هُزم جنود الدرك وهرب اللاهوتى إلى روسيا مع عدة أفراد.

رضا خان قائد الجيش: فى الحقيقة إن الحركات الثورية الوطنية لم تستطع أن تمنع نفوذ الإمبريالية الروسية والإنجليزية ثم الإنجليزية بعد ذلك فى الدولة، فقد قمعت كل هذه الحركات والثورات على يد الأشراف الرجعيين وبمساعدة الأجانب، وظلت الجراح الوطنية والاجتماعية هكذا كامنة تحت السطح البراق للحركة النيابية، وخلال الأحد عشر عامًا التى كانت قد مضت منذ خلع محمد شاه وافتتاح المجلس الثانى (٢ ذى القعدة ١٣٢٧ هـ.ق) عُينت عشرون حكومة، ولكن لم ترد أو لم تستطع أى منها أن تخطو خطوة مؤثرة فى سبيل الإصلاح وتلبية مطالب الشعب. وكان الكل قد يئس من

(١) سيد أحمد كسروى، زندگانى من، الطبعة الثانية، ٢٦٠.

الأوضاع، وشعر الجميع بأن الدولة لكى تنجو من هذه الفوضى والاضطرابات فإنها تحتاج لسلطة مركزية تعتمد على جيش قوى، وهو ما تم بالفعل على يد جندى من أهالى سوادكوه بمازندران .

بقيام الحرب العالمية ونجاح ثورة أكتوبر انتفى التهديد تقريبًا من ناحية الحدود الشمالية وأصبحت الفرصة مهيأة من النواحى كافة فلم يضيِّع رضا خان هذه الفرصة .

كان رضا خان قد عُين وزيرًا للحربية فى حكومة قوام السلطنة (رمضان ١٣٣٩ هـ.ق)، وتولى نفس المنصب أيضًا فى الحكومات التالية. وكان فى الواقع الرجل الوحيد صاحب النفوذ فى تلك الحكومات، وقد حصل تدريجيًا على صلاحيات لا حدود لها ، فاستغل هذه الصلاحيات وحل فرقة حملة البنادق بالجنوب وكتائب خراسان وسيستان التى كان الإنجليز قد أسسوها، وحل تنظيمات الدرك والقوزاق والمشاه، وقام بتشكيل قوة موحدة باسم الجيش، وبقوة هذا الجيش وحد أجزاء الدولة المتفرقة والمتفسخة، وقسم الدولة إلى ست مناطق عسكرية ووضع على كل منها أحد الضباط الأوفياء المؤتمنين، وتولوا القيادة العسكرية وكذلك منصب المحافظ، وخص هؤلاء الضباط بالامتيازات والصلاحيات. وخلال الأحداث التى وقعت ما بين عامى (١٣٤٠ – ١٣٤٢) هـ.ق قضى على عشائر الشمال وبعض الأمراء والزعماء أصحاب النفوذ والسلطة.

واختتمت الدورة البرلمانية الرابعة التى كانت الأقلية فيها تعارض رضا خان، وفى انتخابات الدورة الخامسة التى بدأت فى شعبان ١٣٤١ هـ.ق، تدخل رضا خان بشكل مباشر ومنع انتخاب عناصر المعارضة، وخلال فترة الضعف القصيرة وأثناء انتخابات المجلس سقطت لرستان وخرم آباد فى يد القوى الحكومية، وتقدم الجيش الإيرانى إلى الساحل الجنوبى واحتل أيضًا بلوشستان الإيرانية .

وتولى قائد الجيش رئاسة الوزراء فى ربيع الأول ١٣٤٢ هـ.ق، وسافر الشاه الإيرانى الشاب إلى أوربا فى أواخر ذلك الشهر للعلاج .

وافتتح المجلس الخامس فى شهر رجب ١٤٤٢ هـــ.ق، وصدَّق على اللوائح التى كان رضا خان قد طرحها عليه .

الحركة الجمهورية: تغيرت الأوضاع الدولية فى هذه الأثناء وظهر الاتحاد السوفيتى بدلاً من روسيا القيصرية والجمهورية التركية الفتية بدلاً من الخلافة العثمانية، وكان دور الشاه القاجارى قد انتهى فى الحقيقة منذ فترة طويلة. وجرت نغمة الجمهورية على الألسن فى شعبان ١٣٤٢ هـــ.ق، ولكن المظاهرات لم تحقق نجاحًا، وقام المجلس الذى لم تكن لديه الجرأة على تغيير الدستور بإرجاء إعلان رأيه فى النظام الملكى لحين تشكيل مجلس المؤسسين .

سقوط الدولة القاجارية

أوصى قائد الجيش رضا خان الشعب ضمن بيان له بمنع شعار الجمهورية، ومنح المجلس رضا خان الثقة، وظلت مسألة تغيير النظام متوقفة من الناحية الرسمية، ولكن الدعاية لصالح رئيس الوزراء ومناهضة الدولة القاجارية استمرت، وظلت الصحف المؤيدة لرضا خان تهاجم المعارضة خاصة الأقلية بالمجلس. وانتقلت هذه الدعاية والمظاهرات والشعارات المعارضة للقاجاريين تدريجيًا من دائرة الصحف إلى المجلس، فقدم "مدرس"[1] فى ٢٦ ذى الحجة ١٣٤٢ هـــ.ق، استجوابًا للحكومة، وحدثت فوضى،

---

(١) المقصود "سيد حسن مدرس". يقال إن الإنجليز سعوا لزوال السلطة القاجارية بسبب عدم التصديق على اتفاقية ١٩١٩م، وعملوا على إيجاد البديل لهم بحيث يكون قادرًا على حفظ مصالحهم والقضاء على المعارضة الداخلية، والتى كان العلماء على رأسها، لذلك هيأوا للمجيء بـــ"رضا خان"، وحركوا عملاءهم لدعمه .وكان سيد حسن مدرس يعتقد فى ذلك ويدرك خطورته جيدًا، لذلك كان من أشد المعارضين لـــ "رضا خان"، وكذلك لأشخاص آخرين عرفوا بعمالتهم للإنجليز. كان مدرس يرى أن وجود شخص قوى فى وزارة الدفاع مهم جدًا، إلا أنه كان يرى أيضًا ألا يتعدى هذا الشخص حدوده، ولا تسلّم له رئاسة الوزراء، ولكن الإنجليز الذين دعموا "رضا خان " وكانوا يريدون له أن يلعب دورًا أكبر، طرحوا فكرة الحكم الجمهوري على غرار ما سعوا إليه في تركيا، لضمان مصالحهم وديمومة نفوذهم، لذلك عارض مدرس خطة الجمهورية، وبسبب موقفه هذا، واجه اعتداءات من خصومه، تلك الاعتداءات التى أوقدت نار الغضب فى الشعب، وجعلته ينتفض ضد الجمهورية، حتى أجبر "رضا خان" على التخلى عنها. لذلك نشأت بين مدرس ورضا خان خصومة شديدة، وكان رضا خان يتحيّن الفرص للقضاء على السيد نهائيًا. (المترجم) .

ولكن لم يتم الاستجواب واستقالت حكومة رضا خان فى آخر الأمر، وشكل رضا خان حكومته الجديدة فى محرم عام ١٣٤٣ هـ.ق .

وفى هذه الأثناء حدثت فى البلاد فتن وثورات، ودخل الشيخ خزعل فى مفاوضات مع زعماء القبائل البختيارية، وأعلن لنواب المجلس والسفراء الأجانب معارضته لقائد الجيش. وقام المجلس بتأييد رضا خان وتقدم الجيش الحكومي، وفتحت خوزستان، وعاد قائد الجيش إلى طهران فى الخامس من جمادى الآخرة ١٣٤٣ هـ.ق، وقام المجلس فى ١٨ رجب ١٣٤٣ هـ.ق، بتعيين قائد الجيش رضا خان قائدًا عامًا للقوات. وبعد ثمانية أشهر ونصف الشهر — فى ١٣ ربيع الثانى ١٣٤٤ هـ.ق — كُلف رضا خان بتشكيل حكومة مؤقتة، وأعلن مجلس المؤسسين بعد شهر وبضعة أيام (٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ.ق) سقوط الدولة القاجارية وتأسيس الأسرة البهلوية .

الباب الأول

النثـــر

الفصل الأول

الصحف والمجلات

قدمنا فيما سبق دراسة عن أوضاع الصحف الإيرانية خلال المرحلة الثانية للثورة الدستورية منذ فتح طهران حتى هجوم روسيا على إيران .

بعد الاختناق الذى أصاب الثورة والإطاحة بالمجلس التشريعى الثانى (محرم ١٣٣٠هـ.ق) بدأ عهد من الاستبداد المطلق استمر حتى افتتاح الدورة البرلمانية الثالثة. اختنقت الصحافة الحرة، أما بعض الصحف عديمة القيمة التى كانت تصدر آنذاك فقد تبنت وجهات نظر رجعية [١].

ولكن بعد افتتاح الدورة الثالثة للمجلس وعودة الحكومة الدستورية ازداد عدد الصحف. وصدرت صحيفة (نوبهار) برئاسة ملك الشعراء بهار فى طهران، وحلت محل صحيفة (ايران نو). كما صدرت صحيفة (شورى) برئاسة سيد يحيى ناصر الإسلام الرشتى بدعم من حزب الاعتدال. وحلت صحيفة (رعـد) غير الحزبية محل صحيفة (برق) وتولى رئاستها سيد ضياء الدين الطبطبائى. وأصدر عبد الحمد خان متين السلطنة صحيفة (عصر جديد) الأسبوعية، كما ظهرت صحف أخرى منها (ستاره‌ء إيران) برئاسة ميرزا حسين خان صبا كمـال السلطان المؤيد للديمقراطيين، وصحيفـة (بامداد روشن) برئاسة ميرزا محمد على خان الخراسانى الذى كان مؤيدًا للوحدة الإسلامية [٢].

---

(١) كان من بينها صحيفة (آفتاب) تولى إدارتها أديب الممالك الفراهانى ورئاسة تحريرها حبيب اللـه آموزگار منذ ٢٩ محرم عام ١٣٣٠، فكانت الحكومة تمولها وتدعمها، واعتبرت مؤسـة حكومية غير رسمية، وعملت على كسب ود السفارتين الروسية والبريطانية. ويبدو أن وزير الخارجية وثوق الدولة كان يكتب المقالة الافتتاحية لها .

(٢) صدرت هذه الصحف الست عام ١٣٣٣ هـ.ق، وكانت صحيفة (نوبهار) تصدر بالطبع منذ عام ١٣٢٨هـ.ق، فى مشهد، كما صدرت صحيفة (شورى) قبل ذلك التاريخ (منذ عام ١٣٢٧) وظلت حتى إغلاق المجلس فى دورته البرلمانية الثانية .

ومن بين هذه الصحف كانت صحيفة (رعد) تنشر مقالات تعبر عن ولائها صراحة لإنجلترا، وكذلك (عصر جديد) تعبر عن ولائها لروسيا. أما الصحف الأخرى عامة فكانت تعبر عن استيائها الشديد من سياسة روسيا القيصرية وصمت إنجلترا المطبق تجاه المظالم التي ترتكبها روسيا. وأيدت أغلب هذه الصحف ألمانيا وتركيا منذ اليوم الأول لبداية الحرب بسبب استيائهم من روسيا وإنجلترا، وفجأة سرت هذه المشاعر بشكل عام، وأدت تدابير الموظفين الأتراك والألمان وحملاتهم الدعائية إلى قيام ثورة فكرية وإعلامية، وأخيرًا إلى تأسيس حزب «مهاجرت».

ولا نستطيع أن نقدم بحثًا مفصلاً عن الصحف الكثيرة التي صدرت في إيران منذ محرم سنة ١٣١٣ هـ.ق، حتى انقلاب سيد ضياء الدين، وسوف نذكر منها فقط مجموعة من الصحف المهمة إلى حد ما، وسنراعي في ذلك الترتيب الزمني [1]:

في طهران : عصر انقلاب (ميرزا آقاخان الهمداني، ربيع الأول ١٣٣٣ هـ.ق) عهد انقلاب (ميرزا آقاخان الهمداني، ذو القعدة ١٣٣٣ هـ.ق)، إيران (سيد حسين الأردبيلي، محرم ١٣٣٥ هـ.ق) وطن (ميرزا هاشم محيط، ١٣٣٥ هـ.ق) زبان آزاد (معاون السلطنة، المرة الأولى في شوال ١٣٣٥ هـ.ق، المرة الثانية بدلاً من " نوبهار " في ربيع الأول ١٣٣٦ هـ.ق)، كوكب إيران (ركن الإسلام الخلخالي، ذو الحجة ١٣٣٥ هـ.ق)، حيات جاويد (سيد ميرزا آقا فلسفي الأصفهاني، ربيع الآخر ١٣٣٧ هـ.ق)، رهنما (شيخ العراقين زاده، أواخر عام ١٣٣٧ هـ.ق)، صداى تهران (سيد محمد تدين، ربيع الأول ١٣٣٨ هـ.ق) حلاج (حسن الحلاج ١٣٣٨ هـ.ق)، تمدن (ميرزا رضا خان مدبر الممالك، شوال ١٣٣٨ هـ.ق) .

---

(١) نظرًا لأننا سنتناول في هذا المجلد تاريخ الأدب في إيران حتى تأسيس الأسرة البهلوية، فكان من المناسب أن نتحدث في هذا المجلد أيضًا عن الصحف التي صدرت خلال الخمس سنوات الواقعة بين انقلاب سيد ضياء الدين وبداية تأسيس الأسرة البهلوية، ولكن نظرًا لأن صحف تلك الفترة تتمتع بمكانة خاصة بسبب الصراع السياسي الحاد الذي شهده تاريخ إيران آنذاك، ولكون هذا الصراع لا ينفصل عن أحداث تغيير السلطة ؛ لذا فمن الضروري تناولها بمزيد من التفصيل، والمجال هنا لا يتسع لذلك .

وفى الأقاليم : فى تبريز صحيفة «تجدد» وهى صحيفة معتدلة تميل إلى التجـــديد (أبو القاسم فيوضات، تقى رفعت، الشيخ محمد الخيابانى، جمادى الآخرة ١٣٣٥ هــ.ق) وكانت تنشر بعد ذلك خطب الخيابانى. فى الرشت صحيفة «جنگل:الغابة» (حسين كسمائى ١٣٣٥ هــ.ق)، گيلان (سعيد آصفى، مطلع ١٣٣٨ هــ.ق) «انقلاب سرخ: الثورة الحمراء» (أبو القاسم ذرّه ١٣٣٨ هــ.ق) فى شيراز، «استخر : اصطخر» (محمد حسين الأصطخرى ١٣٣٦ هــ.ق) گلستان (سيد محمد تقى الجلستانى ١٣٣٦ هــ.ق) " بهارستان : أوان الربيع " (نوبخت، جمادى الآخر ١٣٣٧ هــ.ق)، " عصر آزادى : عصر الحرية " (ميرزا جوادخان آزادى مدير زاده، ١٣٣٩ هــ.ق)، وفى مشهد "چمن : الروضة " (شمس المعالى دادستان، ١٣٣٣ هــ.ق)، " بهار : الربيع " (شيخ أحمد بهار، ١٣٣٥ هــ.ق)، " تازه بهار : الربيع الجديد " (ميرزا محمد خان ملك زاده ١٣٣٨ هــ.ق)، " مهر منير : الشمس المشرقة " (محمد إسماعيل منير المازندرانى، ١٣٣٩ هــ.ق). وفى إصفهان " راه نجات : سبيل النجاة " (إبراهيم راه نجات، ١٣٣٣ هــ.ق) و " اخگر : الشرارة " (ميرزا فتح اللـــه وزير زاده، ١٣٣٩ هــ.ق) وغير ذلك .

وفى تلك الفترة أُغلقت بعض الصحف عدة مرات بناء على قرارات الحكومة، وفى بعض الأحيان أُغلقت جميع الصحف. ومن ذلك أُغلقت جميع الصحف السياسية بشكل جماعى فى جمادى الأولى عام ١٣٣٦ هــ.ق[1]، أثناء الحكومة التى رأسها مستوفى المالك، وظلت تصدر فقط الصحيفة شبه الرسمية «إيران » برئاسة سيد حسين الأردبيلى ثم ميرزا محمد خان ملك زاده، إلى أن صدرت مجددًا صحيفة « رعد » فى يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الآخر ١٣٣٧ هــ.ق برئاسة سيد ضياء الدين الطباطبائى، ثم بدأت صحف أخرى فى الصدور .

---

(١) للمزيد من الاطلاع على أوضاع الصحف فى هذا العهد، انظر "تاريخ جرايد ومجلات إيران"، تأليف محمد صدر هاشمى .

مرت حوالى سبع سنوات منذ افتتاح الدورة البرلمانية الثالثة حتى انقلاب سيد ضياء الدين وافتتاح الدورة البرلمانية الرابعة (١٣٣٣ – ١٣٤٠هـ.ق) وحدث تطور كبير فى الصحافة سواء داخل الحدود الإيرانية أو خارجها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فصدرت صحف (ومجلات أيضًا) رصينة وذات ثقل تدخلت فى الشئون العامة للدولة وسياسة المملكة، وأخذت على عاتقها دور الإرشاد فى الموضوعات الرئيسية. واضطلعت الصحف بمهام جليلة وخطيرة تجاه الحكومة والشعب وذلك بالنظر إلى أن السلطة التشريعية كانت معطلة فى تلك الفترة. فالحرب العالمية ونشر أخبارها والأحداث الجسام الناجمة عن الحرب أفرزت موضوعات مثيرة، وأخذت الصحف تنشرها وتتابعها، فخصصت أجزاء من صحفاتها لأخبار الحرب العالمية وأحداثها وآثارها على إيران. وبرغم ما اتسمت به تلك الصحف من افتقار للنضج والمهنية وكذلك غفلتها عن حقائق الأمور والألاعيب التى تجرى خلف الستار وخسة بعضها، فإنها تميزت على الأقل بتوجيه النثر الفارسى نحو البساطة والسهولة، وجعلت أسلوب الكتابة يقترب من فهم العامة وإدراكهم، وأخيرًا برزت فى هذه الصحف والمجلات – كما سنرى – ولأول مرة مناقشات واسعة حول الشعر والأدب فى إيران، وظهرت فى الكتابات حركة نقدية وصراع بين القديم والحديث فى هذا الإطار، مما هيأ أذهان الناس وأفكارهم لقبول الأساليب الحديثة فى الكتابة .

ولا يمكننا بسهولة التغاضى عن المجلات التى صدرت فى تلك الفترة سواء داخل إيران أو خارج حدود الدولة، والتى كان لها تأثير يُذكر فى الأحداث على الساحتين العلمية والأدبية بالدولة، والآن سنسعى لتقديم أهمها للقراء .

" **دانشكده** : **دار العلم** " : سوف نتحدث بشكل منفصل ومفصل عن مجلة دانشكده ومناظراتها مع محررى " تجدد " الصادرة فى تبريز .

كان يدير هذه المجلة جمعية تحمل نفس الاسم تحت إشراف ملك الشعراء بهار. صدرت مجلة دانشكده فى شهر رجب ١٣٣٦ هـ.ق (الفاتح من أرديبهشت ١٢٩٧ ش)،

ثم أُغلقت فى الفاتح من شهر أسفند من نفس العام بعد صدور عشرة أعداد على مدى عام واحد. وفضلا عن مقالات بهار وأشعاره كانت تنشر فى هذه المجلة موضوعات مفيدة جدًا لأبرز كتاب تلك المرحلة، من بينها سلسلة مقالات " تاريخ أدبى إيران : تاريخ الأدب فى إيران " لعباس إقبال الآشتيانى، و" انقلاب أدبى : الثورة الأدبية " لرشيد الكرمانشاهى، و "ما درنظر ديگران : نحن فى عيون الآخرين " لسردار معظم الخراسانى، وكذلك دراسات نقدية وإبداعات وتراجم للمشاهير ونماذج من النثر الأدبى وأشعار الشعراء القدامى والمعاصرين، وترجمات لطيفة نظمًا ونثرًا، كما كانت تنشر فى كل عدد مقتطفات من رواية "سلطنت" لألكساندر دوما ؛ وعلى هذا سيظل لمجلة دانشكده مكانة مميزة فى الأدب الإيرانى المعاصر .

گل زرد : **الوردة الصفراء** :- هى صحيفة أو مجلة صغيرة الحجم أدبية وفكاهية، أصدرها ميرزا يحيى خان ريحان[(١)] أحد أعضاء جمعية دانشكده بالتعاون مع سيد عبد الحسين حسابى وأبى القسم ذرّه[(٢)] وذلك فى شعبان ١٣٣٦ هـــ.ق.

---

(١) ولد يحيى سميعيان المتخلص بـــ " ريحان "، ابن محمد الباقر عام ١٣١٣ هـــ.ق فى طهران، والتحق بالعمل الحكومى بعد الانتهاء من الدراسة. وفى عام ١٣٣٩ هـــ.ق (فروردين ١٣٠٠ش) أصدر الصحيفة السياسية "نوروز". ونظرًا لأنه كتب مقالة بعنوان " غارتگران مفتخر : الغزاة العظماء" فى هجاء وزارة سيد ضياء الدين والتى أعتبرت مهينة للمفاخر الوطنية الإيرانية فقد أمر سيد ضياء بإيداعه مستشفى المجانين، ثم أطلق سراحه بعد ساعات. (كتب ريحان شرحًا لهذه الواقعة فى مجلة «نوبهار» الأسبوعية تحت عنوان " ليلة فى دار المجانين "). وبعد ذلك امتنع ريحان عن الكتابة بالصحف، واستمر فى العمل بوزارة المالية، ثم هاجر من إيران، فذهب إلى الهند ومنها إلى الأرجنتين وأوروجواى ثم استقر فى نيويورك. فى عام ١٣٣٨ هـــ.ق، صدرت له مجموعة شعرية بعنوان " باغچهء ريحان : روضة الريحان " ومن أشعاره اللطيفة قصيدة مطلعها :

فى تلـــك المملكـــة الـــتى تتـــهاوى بالـــضرورة تتـــدهور الأمـــور

وقد أضاف لها وثوق الدولة عدة أبيات أثناء رئاسته للحكومة :

المجـــد لريحـــان الـــذى برجاحـــة عقلـــه أدرك جيـــدًا كـــل الأســـرار

إن مفتـــاح الإصـــلاح الإدارى محفـــوظ فى الكـــنز ولكـــن الكـــثير مـــن الأفـــاعى تحـــرس هـــذا

الأفـــاعى المتطفلـــة، فى كـــل خطـــة تتـــدخل فى كـــل الأمـــور بالتـــآمر والحيـــل

يجـــب علـــى القائـــد أن يكـــون حكيمًـــا ولبيبًـــا ليـــدق علـــى رؤوس الأفـــاعى المخربـــة

(٢) انضم كلاهما لثوار جيلان وبعد انقلاب ميرزا كوچك خان ذهبا إلى روسيا برفقة إحسان اللـــه خان وأقاموا هناك.

وظل هذا الإصدار اللطيف جدًا والممتع يصدر مرتين شهريًا حتى نهاية عام ١٣٤١هـ.ق، على ما يبدو، و" كان نموذجًا لنمط الأدب الحديث الذى كانت جمعية دانشكده قد عملت على ابتكاره، بحيث يقترب من اللهجة الدارجة ويكون مفهومًا للعامة كما يجذب اهتمام الخاصة "(١). وكانت تنشر هذه الصحيفة أشعارًا تتميز بالبساطة والسلاسة على غرار منظومات نسيم شمال، وحملت توقيعات جوجى، ذرّه، لختى، وريحان نفسه. ومن بينها القطعة التالية لـ "ذرّه" عن عصبة الأمم التى كانت قد تأسست بعد الحرب العالمية الأولى و لم يسمح لإيران بالانضمام إليها .

سُمِعَ أن الأوربيين فى عصبة السلام
لم يوافقوا على استضافتنا
لقد استضفنا هؤلاء القوم لأربعة أعوام
ولم يستضفونا لأربعة أيام

من أشعار " لختى " :

عجبًا إن هذا العام عام غريب، سيدى المرشد
ففى المدينة صخب عجيب، سيدى المرشد
فللجميع قسمة ونصيب من الحزن، سيدى المرشد
يا من أطلق قاذف الشرر من هذه المدينة، سيدى المرشد!
لقد سمعنا القصة فى كل مكان، ابنى العزيز
وهرعنا من هذه المدينة لتلك المدينة، ابنى العزيز
وطرنا كالطائر فى كل صوب، ابنى العزيز
ولم يسمع أحد عن هذه القصة، سيدى المرشد

(١) مجله، دانشكده، العدد ٣، أول السرطان ١٢٩٧ ش (غلاف الكتاب) .

ومن شعر جوجى

يـــا شــــباب، هلمـــوا حــــان وقــــت جــــنى الــــسنابل
يجـــب أن نعــــدو وســــط المحــــصول فى كــــل صــــوب
ونجتــــث الــــسنابل بالمنجــــل دفعــــة واحــــدة
إلى مــــتى نقاســــى الجــــور والظلــــم مــــن الأفــــلاك
لقــــد ولى زمــــن اللــــهو والــــسرور، وحــــان يــــوم العمــــل
حــــان فــــصل جــــنى الــــسنابل وهــــو أيــــضًا وقــــت الحــــصاد

* * *

بــــالأمس ذهبــــت إلى المــــرج للنزهــــة
كــــى أتطلــــع للحظــــة فى المــــزارع الخــــضراء
وفجــــأة رأيــــت رجــــلاً مــــسنًا هنــــاك
يقــــول لطفلــــه " يــــا حبيــــب أبيــــك، طالمــــا
ولّــــى زمــــن اللــــهو والــــسرور، فقــــد حــــان يــــوم العمــــل الــــدؤوب
حــــان فــــصل جمــــع الــــسنابل، وهــــو أيــــضًا وقــــت الحــــصاد ".

"**أرمغان** : **الهدية**":- وهى إحدى المطبوعات الأدبية القيمة، صدرت فى طهران عام ١٣٣٨ هـ.ق (شهر بهمن ١٢٩٨ ش). وكانت تصدر من هذه المجلة عشرة أعداد سنويًا باستثناء البضع سنوات الأولى، حيث لم يكن صدورها منتظمًا، وعوضًا عن العددين الحادى عشر والثانى عشر كانت تقدم سنويًا كتابًا نفيسًا فى الشعر والأدب للمشتركين فيها.

كما كانت " أرمغان " تنشر فى أعدادها تقارير جمعية " الحكيم نظامى " الأدبية وأعمال وحيد الدستجردى وسائر أعضاء الجمعية، والتى كانت فى الأعم عبارة عن قصائد وغزليات تحاكى أسلوب القدماء، هذا فضلاً عن نشر أعمال كبار الأدباء والكثير من المقالات النقدية. وكانت صفحات هذه المجلة فى الواقع أفضل شاهد على أوضاع

الأدب المنظوم فى إيران[1] وذلك عن طريق جمع الأشعار من جميع أرجاء الدولة ونشرها .

لقد أهدت مجلة أرمغان للمشتركين العديد من الكتب القيمة على مدى الفترة الطويلة من عملها بالمجال الأدبى، كما طبعت كتبًا قيمة فى مطبعتها الخاصة التى بدأت عملها فى العام الحادى عشر من إصدار المجلة (١٣١٠ ش) .

كانت مجلة أرمغان المحافظة تعتبر نفسها " حارس ساحة الأدب "[2] و " العَالِم الحارس لحماية الفارسية الفصحى " [3]، وآمنت بأن أى محاولة للتجديد تعتبر نوعًا من التجاوز لأطر الأدب القديم. وبالرغم من ذلك فإن إصدارات هذه المجلة تعتبر قيِّمة إلى حد كبير وتعد بمثابة " مكتبة أدبية ثرية "[4]، وذلك من منطلق استعراضها للأدب الإيرانى، وعرضها لسير الشعراء القدامى والمحدثين وأشعارهم، وتقديمها أبحاثًا لغوية وتاريخية وأعمال أخرى متنوعة.

نوبهار : فصل الربيع، الربيع الجديد: كانت صحيفة نوبهار التى أسسها ملك الشعراء بهار صحيفة سياسية سواء أثناء صدورها فى خراسان أو خلال الفترة التى صدرت فيها بطهران والتى تقرب من عامين. ولكنها صدرت مرة أخرى بداية من محرم ١٣٤١

(١) فى البداية شارك بالعمل فى المجلة رشيد ياسمى وروحانى وعلى أصغر حكمت وآخرون، ولكن انضم إليهم تدريجيًا الكثير من الكتاب والشعراء والمترجمين مثل حبيب يغمائى ومحمد تقى بينش وعباس فرات وملك الشعراء بهار وسعيد نفيسى وپژمان (بجمان) البختيارى وعبد الرحمن الفرامرزى وعبد الحميد إشراق خاورى ومحمد على ناصح وحسين شيفته وحسن أحسن فصيحى وصادق سرمد ومحمد حسين شهريار وحسين مسرور وخان ملك الساسانى وجلال همائى ومحسن شمس ملك آرا ومحمد على تربيت وأحمد اخگر وإسماعيل أمير خيزى وحسن بديع وپارسا تويسركانى واميرى الفيروزكوهى وسهيلى الخوانسارى وأحمد گلچين (جلجين) معانى وناظر زاده الكرمانى ورهى معيرى وآخرون .

(٢) أرمغان، العام التاسع، العدد الأول .

(٣) (هذا هو الحارس لحماية الفارسية العظمى)، من نظم وحيد، أرمغان، العام الرابع، العدد الأول .

(٤) صدرت مجلة أرمغان فى حياة وحيد لاثنين وعشرين عامًا حتى شهر دى ١٣٢٠ هـ.ش، وبعد وفاة مديرها صدرت تحت رعاية ابنه الأكبر محمود وحيد زاده نسيم وهى لا تزال تصدر حتى الآن .

هـ.ق (شهر مهر ١٣٠١ ش) فتغير حجمها وأسلوبها وعدد صفحاتها، واهتمت بالموضوعات الأدبية والاجتماعية أكثر، وظهرت فى الواقع فى ثوب مجلة أدبية .

ظلت صحيفة أو مجلة " نوبهار " تصدر فى تلك الفترة أسبوعيًا فى ١٦ صفحة من الحجم الكبير، واحتوت على مقالات جذابة ومفيدة لكل من إقبال الآشتيانى وسيد أحمد كسروى وعدد آخر من العلماء المشهورين، هذا فضلاً عن مقالات بهار الأدبية والاجتماعية وأشعاره والأحداث الجارية والموضوعات المتنوعة. وكانت تنشر من حين لآخر فى ملحق الجريدة ترجمات جيدة لبعض أعمال الأدباء والأجانب، منها القصة المنظومة "أهريمن : الشيطان" للشاعر الروسى لرمونتوف وقام بترجمتها سردار معظم الخراسانى، و "Dieciple : شاگرد: المريد " تأليف الكاتب الفرنسى (پول بورچيه) [١]، وترجمها سيد ياسمى .

صدر العدد الثالث والأربعين من " نوبهار " فى يوم السبت الرابع من شهر آبان ١٣٠٢ هـ.ش، وهو العدد الأخير منها ثم توقفت بعد ذلك تمامًا .

وفا : تولى تحـرير هذه المجلة الشاعر والكاتب الشهير والمعاصر " نظام وفا "، وتقلد إدارتها عبد الحسين ميكده، وكانا يحرران أغلب مقالات هذه المجلة وينظمان الأشعار المنشورة بها. صدرت مجلة " وفا " لمدة عامين منذ شهر فروردين ١٣٠٢ حتى أسفند ١٣٠٤ هـ.ش، فى أربعة وعشرين عددًا ثم توقفت بعد ذلك .

وسوف نتحدث عن " نظام وفا " وأعماله فى مكان آخر .

وخلال السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى صدر عدد من المجلات القوية إلى حد ما فى الأقاليم، كان أهمها مجلة " فرهنگ : الثقافة " فى الرشت ومجلة " أدب وآزاديستان: الأدب وموطن الحرية " فى تبريز .

---

(١) پول بورچيه: Paul Bourget (١٨٥٢ – ١٩٣٥م) روائى فرنسى، اتسم عمله للتجديد فى تقنية الرواية، ومن أشهر رواياته " جريمة حب، أكاذيب، المريد، والمرحلة " (المترجم).

فرهنگ : وهى مجلة من إصدارات " جمعيت فرهنگ : جمعية الثقافة " بالرشت التى أسسها شباب الرشت وخريجو مدارسها عام ١٢٩٦ هـــ.ش، ولم تكن للجمعية أى توجهات أو أنشطة سياسية، حيث انحصر هدفها فى نشر المعارف والنهضة الثقافية. ومع ذلك واجهت مشاكل كثيرة، وصارت فريسة لإلصاق كل أنواع التهم بها مثل سائر الجمعيات فى ذلك الوقت. وتحلى أعضاؤها بالحماسة فأخذوا ينظمون لقاءات شعرية ويعرضون مسرحيات أخلاقية وتربوية. وافتتحوا عددًا من الفصول المجانية للكبار، وفى عام ١٢٩٨ هـــ.ش، أسسوا مجلة " فرهنگ" الأدبية وتولى إدارتها تقى رائقى المعلم بمدارس الرشت .

وفى إثر ثورة جيلان توقفت مجلة فرهنگ بعد صدور سبعة أعداد شهرية منها، ثم صدرت مرة أخرى فى فروردين ١٣٠٤ هـــ.ش، وفى هذه المرة صدر منها أربعة أعداد حتى شهر مهر ١٣٠٧ هـــ.ش. وتعد فرهنگ واحدة من مجلات الأقاليم المتميزة وحوت موضوعات أدبية وعلمية مفيدة .

ادب : كان يصدر مجلة " أدب " الدارسون بمدرسة تبريز المتوسطة، أما مديرها وصاحب الامتياز فى إصدارها فهو عبد اللـــه زاده فريور، وخلفه إسماعيل خيزى. ورئيس تحريرها يحيى دانش (مؤلف نفس هذا الكتاب). صدر العدد الأول منها فى ١٥ آبان ١٢٩٨ هـــ.ش الموافق ١٤ صفر ١٣٣٨ هـــ.ق، وصدر منها حتى مطلع شهر خرداد من عام ١٣٠٠ هـــ.ش، اثنا عشر عددًا .

وضمت مجلة الأدب مقالات فى التاريخ والعلوم والتربية والصحة، وكذلك نماذج من الأدب وتراجم للمشاهير وأشعارًا للدارسين أنفسهم وأخرى مترجمة عن اللغات الأجنبية، منها ما تُرجم نظمًا ومنها ما تُرجم نثرًا وموضوعات أخرى متنوعة. وكان شعار شباب مجلة ادب : " نحن أبناء اليوم لكننا لم ننس الغد ولن ننساه ".

" **آزاديستان** : **موطن الحرية** " : فى السنوات التالية لثورة أكتوبر، تأسست حكومة فى شمال أذربيجان أطلقت على نفسها اسم "جمهورية أذربيجان". وكان موضوع أذربيجان فى ذلك الوقت من موضوعات الساعة لذلك فإن أحرار أذربيجان — الذين

قاموا بالثورة فى ١٦ رجب عام ١٣٣٨ هـ.ق (١٦ فروردين ١٢٩٩ ش) تحت قيادة الشيخ محمد الخيابانى – أطلقوا على ولاية أذربيجان اسم « آزاديستان : موطن الحرية » تجنبًا للخلط، وبعد ذلك بفترة وجيزة (فى الخامس عشر من شهر خرداد من نفس العام) أسست مجلة بنفس الاسم وتولى تحريرها تقى رفعت رئيس تحرير صحيفة " تجدد " وعضو لجنة الحزب الوطنى بأذربيجان .

صدر من تلك المجلة ثلاثة أعداد فقط، وبينما كان العدد الرابع منها تحت الطبع بتاريخ ٢١ شهر يور أحبط مهديقلى هدايت مخبر السلطنة ثورة أحرار أذربيجان فلم يصدر هذا العدد .وكان شعار مجلة " آزاديستان " تأييد " التجديد الأدبى " .

وتميزت مجلة " آزاديستان " عن سائر مجلات تلك الفترة بمقالات وأشعار عن " عالم المرأة" وأبحاث جادة حول التجديد الأدبى ونشر أشعار نظمت بأسلوب جديد، منها على سبيل المثال نماذج لتقي رفعت والسيدة شمس كسمائى وشعراء من شباب آزاديستان .وسوف نتحدث لاحقًا عن هذه المجلة ومناظراتها الكتابية مع مجلة " كاوه " الصادرة فى برلين .

بضع مجلات أخرى : صدر فى تلك الفترة عدد من المجلات الأخرى أيضًا فى طهران والمحافظات واستمرت لفترة من الزمن وسنكتفى بذكر أسمائها .

فى طهران : مجلة " عهد ترقى : عصر النهضة " (١٣٣٠ هـ.ق)، پروين (سيد عبد الرحيم الخلخالى، ذو الحجة ١٣٣٣ هـ.ق)، مجلة الأدب (ميرزا محمد خان وفادار ناظر المدرسة الأمريكية ١٣٣٦هـ.ق)، إقبال (محمد باقر إقبال ١٣٣٧ هـ.ق) الفردوسى (ميرزا محمد خان وفادار، جمادى الأولى ١٣٤٠هـ.ق)، " دنياى امروز : عالم اليوم " (هـ. بازيل، رمضان ١٣٤٠ هـ.ق). فى كرمان : مجلة " ادب " (أحمد خان روحى، ذو الحجة ١٣٣٧ هـ.ق). فى شيراز : " دنياى إيران : عالم إيران " (نوبخت ١٣٣٨ هـ.ق) " خاور : الشرق " (محمود عرفان، ذو القعدة ١٣٣٨ هـ.ق). فى إصفهان : "دانشكدهء إصفهان : دار العلم إصفهان" (ميرزا عباس خان شيدا، رجب ١٣٤٣ هـ.ق). فى مشهد:" دبستان : المدرسة الابتدائية " (سيد حسن الطبسى، ربيع الآخر ١٣٤١ هـ.ق).

مطبعة كاويانى ببرلين : والآن يجب أن نذكر عددًا من الإصدارات الفارسية المهمة التى صدرت خارج إيران خلال السنوات التالية للحرب العالمية الأولى وحتى تأسيس الأسرة البهلوية .

ذكرنا سابقًا أنه بعد واقعة الهجرة، ذهبت جماعة من أعضاء اليمين الديمقراطى إلى ألمانيا وقاموا بالدعاية لصالح الألمان[1]. وأسس ميرزا عبد الشكور وعدد آخر من الإيرانيين المقيمين فى برلين مطبعة «كاويانى ». وطبع مدراء تلك الشركة مسرحيات حديثة ورسائل فى الموسيقى والزراعة وغير ذلك، وبعض الكتب القديمة مثل جلستان سعدى و " موش وگربه : الفأر والقط " لعبيد زاكانى وكذلك نسخًا نادرة من أعمال مشاهير الكتاب القدامى مثل "زاد المسافرين" لناصر خسرو العلوى (ولم يكن من ذلك الكتاب سوى مخطوطين فى باريس وكمبردج)، كما كانت تطبع فى تلك المطبعة صحيفة " كاوه " التى نحن بصدد الحديث عنها .

صحيفة " كاوه " (**الإصدار القديم**) : كان بين الإيرانيين المقيمين فى برلين رغم قلة عددهم عدد من العلماء والمفكرين المتحمسين والوطنيين، وبفضل همتهم وجهودهم أسست صحيفة كاوه .

صدر الإصدار الأول من هذه الصحيفة بتاريخ الثامن عشر من ربيع الأول ١٣٣٤ هـــ.ق، فى برلين باللغة الفارسية ومنذ الأيام الأولى أعلنت ولاءها لألمانيا .

---

(١) من بينهم سيد حسن تقى زاده، ميرزا محمد خان القزوينى، حسين كاظم زاده إيرانشهر، ميرزا محمد غنى زاده، سيد محمد على جمال زاده، الحاج سيد أبو الحسن العلوى، المهندس كريم طاهر زاده بهزاد، ميرزا رضا خان تربيت، عزت اللــه هدايت بن صنيع الدولة وإبراهيم على زاده، وكان بعضهم قد هاجر من إيران ولحق البعض الآخر بهم فى أوربا، كما انضم لهذه الجماعة حسينقلى خان سفير إيران فى ألمانيا فى ذلك الوقت.

" كانت صحيفة كاوه وليدة الحرب، وأُسست على اعتبار أنها صحيفة سياسية، وقد صدرت فى البداية بغرض دعم الروح المعنوية على يد لفيف من الوطنيين الإيرانيين الذين كانوا يؤمنون بأن مصلحة إيران فى الحرب العالمية تتحقق بالتحالف مع الطرف الذى يحارب روسيا عدو إيران الغادر، وأنه من المحال مسايرة حكومة روسيا القيصرية والتحالف معها"[١].

وظلت كتابات كاوه ذات صبغة سياسية فى الغالب طوال الفترة التى اصطبغت فيها بالطابع الدعائى، وقلما تناولت موضوعات أدبية طوال فترة الهدنة. وبالرغم من ذلك نُشرت بها مقالات عن الأحداث الجارية فى إيران ونشاط (لجنة الدفاع الوطنى) وبعض المسائل العلمية والأدبية ؛ ومن ذلك نرى فى العدد الرابع قصيدة كردية نقلاً عن صحيفة " رستاخيز: البعث "، وفى العدد العشرين سيرة سيد محمد صادق أديب الممالك، وفى العدد الحادى والعشرين موضوعات عن النتائج العلمية لمأمورية الكابتن " نيدر ماير " إلى أفغانستان نقلاً وترجمةً عن صحيفة "Die Islamische Welt" العالم الإسلامى"، وفى العدد الثالث والعشرين مقالة البروفسور "ميتوخ" عن رضا عباسى، وفى العدد السادس والعشرين حديثًا عن أوضاع الدارسين الإيرانيين والألمان، وفى العدد الثالث والثلاثين شرحًا للإجراءات التى أُتخذت بغرض إصلاح الأبجدية الفارسية أو تغييرها، وفى العدد الرابع والثلاثين موجزًا عن تأسيس الجمعية الأدبية للإيرانيين المقيمين فى برلين ورسالة لميرزا محمد خان القزوينى عن الإملاء الفارسى، وفى العدد الخامس والثلاثين مقالة لميرزا محمد خان عن أقدم الأشعار الفارسية منذ سيطرة العرب .

كانت تصدر كاوه فى تلك الفترة فى عدد نصف شهرى، إلا أن أعدادها لم تكن منتظمة، واستمرت على هذه الحال حتى الخامس عشر من ذى القعدة عام ١٣٣٧ هـ.ق .

---

(١) من المقالة الافتتاحية للإصدار الجديد من " كاوه " بقلم سيد حسن تقى زاده .

مجلة كاوه (الإصدار الجديد) : صدر يوم الفاتح من جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ.ق العدد الأول من الإصدار الجديد لكاوه. وكانت الحرب فى تلك الفترة قد انتهت. وصرحت " كاوه " بأنها قد طوت المرحلة المتعلقة بالحرب. وفى هذا الإصدار صرفت نظرها كلية عن السياسة وانتهجت نهجًا جديدًا يختلف عن نهج كاوه فى الماضى، وظهرت فى الواقع فى ثوب مجلة علمية وأدبية، تهدف من خلال " مسلكها ومقصدها فى الأعم إلى نشر الحضارة الأوربية فى إيران، ومكافحة التعصب، والعمل على حفظ الهوية الإيرانية والوحدة الوطنية، والسعى لتخليص اللغة الفارسية وآدابها من الآفات المسيطرة عليها والأخطار المحدقة بها، والسعى فى سبيل حمايتها، والعمل قدر الإمكان لدعم الحرية على المستويين الداخلى والخارجى "[١].

وأخذ محررو كاوه يدعون إلى " قبول الحضارة الأوروبية غير المشروط، والعمل على نشرها، والانصياع المطلق لأوربا، والأخذ بالعادات والتقاليد والأخلاق والعلوم والفنون والحياة الأوروبية بكل تفاصيلها دون استثناء (عدا اللغة)، وترك الأنانية والغرور الناتج عن الفهم الخاطئ لمعنى الوطنية والتى من الممكن تسميتها "وطنية كاذبة "، كما دعوا إلى السعى الدؤوب للمحافظة على اللغة الفارسية وآدابها والعمل على رفعتها وانتشارها، ونشر العلوم الأوروبية والإقبال على تأسيس المدارس وتعميم التعليم وبذل كافة الجهود المادية والمعنوية فى سبيل ذلك من أموال الأوقاف والثلث والوصية ومخصصات الأئمة والصدقات هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشجيع الوعاظ والعلماء والسياسيين والصحف والجمعيات وغيرهم لانتهاج هذه السياسة، لدرجة أنهم دعوا البرلمان لإقامة دورة تعليمية ليلية للكبار لمدة شهر سنويًا بدلاً من مراسم قراءة الروضة فى قصر بهارستان لمدة عشرة أيام كل عام "[٢].

---

(١) المقالة الافتتاحية للإصدار الجديد من كاوه بقلم سيد حسن تقى زاده .

(٢) نفس المصدر السابق .

وكان شعارهم باختصار " يجب أن تصبح إيران ظاهرًا وباطنًا، جسدًا وروحًا أوربية، لا غير !"[1].

استمر هذا الإصدار منذ أوائل جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ.ق، حتى أوائل ربيع الآخر ١٣٤٠ هـ.ق. وأهم ما نُشر بكاوه مجموعة مقالات بتوقيع «محصل» عن مشاهير شعراء إيران القدامى، ومقالة بقلم الأستاذ آرتور كريستنسن المستشرق الدنماركى عن الشعر البهلوى والشعر الفارسى القديم، وبحث عن تطور اللغة الفارسية فى القرن الأخير، ومقالات عن مزدك، مناظرة الليل والنهار، مقارنة منهج البحث عند المشرقيين والغربيين، علم اللغة الغربى والشرقى، أربعه مراحل للغة الفارسية بعد الفتح العربى، تذوق لطائف الأشعار الفارسية الحديثة، أشعار أطلق عليها المحرر " شعر كربلاء"، المصادر البهلوية والعربية والفارسية للشاهنامة، مقارنة بين الفارسية الفصحى والفارسية العامية فضلاً عن مقالات مهمة ووثائق تاريخية نُشرت كملاحق لأعداد " كاوه " تحت عنوان «تاريخ العلاقات الروسية الإيرانية » بقلم سيد محمد جمال زاده .

---

(١)كان تقى زاده مالك جريدة " كاوه " وكتب بنفسه هذا المقال وعبر خلاله عن رأيه الشخصى، ولكنه غيره بعد ذلك، ومن ذلك صرح خلال كلمته فى نادى «مهرجان» فى ليلة الخميس ١٧ آذار ١٣٣٩ هـ.ش :" لقد بادرت بالحث على الأخذ بالحضارة الغربية فى إيران (بنحو يشوبه الخطأ والإفراط)، بحيث أن الغالبية تعتبرنى أشعلت بكل جرأة الفتيل الأول فى سبيل الاستسلام للحضارة الأوربية على مدى الأربعين عامًا الماضية، ولعل هذا الأمر كان عملاً متهورًا نظرًا لأوضاع ذلك الزمان ومقتضياته، وظننت أنه من الواجب التفرنج المطلق ظاهريًا وباطنيًا، ماديًا وروحيًا بكل وضوح بدلاً من " الأخذ بالحضارة الغربية " ؛ ونظرًا لأن هذا الرأى كان يعتبر متطرفًا إلى حد ما وطالما قد بقى فى عمرى بقية للتفسير والتصحيح فمن الأفضل بالطبع أن أقدمه بنفسى قبل خاتمة حياتى وأوضح نتيجة آرائى وتجربتى بعد انقضاء هذه المدة ... يجب أن أعترف بأن رأيى المتطرف والثورى فى هذا الأمر الذى عبرت عنه منذ أربعين عامًا فى صحيفة "كاوه" وبعض المقالات اللاحقة كان قائمًا على الدعوة للتغيير الكلى والثورى وتضمن أيضًا قدرًا من التطرف، خاصة أن التجربة أثبتت أن تغيير بعض العادات القومية يؤدى أحيانًا إلى بعض المتواليات غير المحمودة، بل إنه ينتهى إلى خلل فى اللغة أيضًا، الأمر الذى من الممكن أن يسفر عنه تصدع الثوابت القومية. وهذا الرأى يجب أن يصبح سدًا فى مواجهة الضعف والتفريط فى الحفاظ على الهوية بل والتطرف نحو ترك العادات القومية الأخرى ويصبح دافعًا لنوع من الاعتدال ".

إيرانشهر :- فى شهر ذى القعدة من عام ١٣٤٠ هـــ.ق، صدرت فى برلين مجلة فارسية أخرى تهتم بالشئون العلمية والأدبية تسمى «إيرانشهر» تولى إدارتها حسين كاظم زاده [(١)]، وكانت تصدر شهريًا بالرغم من كونها نصف شهرية وظلت تصدر حتى رمضان ١٣٤٥ هــ.ق بمجموع ٤٨ عددًا .

تعد "إيرانشهر" واحدة من أفضل وأقوى المجلات الفارسية، واستطاعت خلال إصدارها الذى استمر أربع سنوات أن تدعم بشدة الأفكار الإيرانية القومية عن طريق المقالات العلمية والأدبية والتاريخية والفلسفية والأخلاقية التى كتبها مشاهير الفضلاء

---

(١) حسين كاظم زاده ايرانشهر بن الحاج ميرزا كاظم الطبيب، من أهالى أذربيجان المستنيرين، ولد يوم الحادى عشر من ربيع الأول ١٣٠١ هـــ.ق، فى تبريز، وبعد أن أنهى دراسته الأساسية وتعلم اللغة الفرنسية سافر عام ١٣٢٢ هــ.ق إلى الدولة العثمانية وعاش فى اسطنبول لست سنوات، وانتقل منها إلى بلجيكا وباريس وإنجلترا ثم ذهب إلى برلين بعد الحرب العالمية الأولى تلبية لدعوة " لجنة الإنقاذ الوطنى الإيرانية "، وبناء على قرار من اللجنة توجه إلى طهران للدعاية لألمانيا. وبعد احتلال إيران على يد الجنود الروس انتقل إلى بغداد ثم اسطنبول مع المهاجرين الإيرانيين. وعاد إلى ألمانيا فى شهر صفر ١٣٣٨ هـــ.ق بينما كانت الحرب لا تزال على أشدها، وأصدر فى برلين مجلة (إيرانشهر). وفى عام ١٣٥٥ هـــ.ق، سافر كاظم زاده إلى سويسرا وأقام فى قرية داجرس هايم فى ولاية كانتون، وتعمق فى الثيوصوفية Théosophie، التى باتت تعنى فى العصر الحالى معرفة اللـــه عن طريق الكشف والعرفان، وانقطع عن كل الأمور الدنيوية وجعل لنفسه فلسفة خاصة، وجمع حوله المريدين وظل حتى أخريات حياته يمارس دور الإرشاد والدعوة حتى مات فى نفس القرية عام١٣٤٠ هـــ.ش. لم يكن كاظم زاده يتناول اللحوم ووهب كل ما يملك للمساكين وعاش على الكفاف. رهن كاظم زاده قبول الحضارة الأوربية باتفاقها مع السنن القديمة وخاصة الجوانب الروحية العرفانية الإيرانية والقومية الحقيقية. ورأى ضرورة قيام ثورة روحية عميقة فى إيران وإعداد الشباب الإيرانى على نحو يؤهلهم لتحقيق الرفعة القومية وبث مشاعر متوقدة بالوطنية. وأكد على حتمية القيام بحملة دعائية كبيرة فى أذربيجان عن القومية واالوحدة الوطنية الإيرانية، وضرورة نشر اللغة الفارسية بها على نحو أكبر وكذلك الثقافة الفارسية. وفضلاً عن مجلة (إيرانشهر) التى صدرت خلال أربع سنوات قدم ناظم زاده عددًا من المؤلفات مثل " راه نو : الطريق الجديد " فى أربعة مجلدات " رهبر نژاد نو : رائد الحداثة "، " معارف عثمانى : المعارف العثمانية "، "تجليات روح إيرانى: تجليات الروح الإيرانية"، المسرحية الشعرية " رستم وسهراب " و " تداوى روحى باطريقه، تلقين به نفس : العلاج النفسى أو أسلوب تلقين النفس". كما نشر كتبًا طُبع أغلبها فى مطبعة ايرانشهر ببرلين مثل " سيرة الشيخ محمد الخيابانى " و " سيرة السيد جمال الدين الأفغانى " وغير ذلك .

– لمزيد من المعلومات عن تفاصيل حياته انظر سيرته الذاتية كتب لها المقدمة أبو الفضل الحاذقى وقد طُبعت عام ١٣٣٩ هـــ.ش فى طهران .

والعلماء مثل ميرزا محمد خان القزويني، الدكتور رضا زاده شفق، رشيد ياسمى، ع. ميكده، محمد غنى زاده وكاظم زاده نفسه وآخرون .

«وكانت " إيرانشهر" مقارنة بـــ "كاوه" مجلة خفيفة أقرب إلى فهم العوام، وهدفها فى الغالب البحث فى أحداث إيران قبل الإسلام التى حظت باهتمام جيل الشباب من الإيرانيين»[1].

" **فرنگستان** : **بلاد الفرنجة** " : أسس هذه المجلة الشباب الإيرانى المقيم فى برلين. وصدر العدد الأول منها فى الفاتح من مايو ١٩٢٤م (أواخر رمضان ١٣٤٢ هـــ.ق) .

أما هدف محررى هذه المجلة فهو على حد تصريحهم " شق ستار الجهل والخرافات واستيقاظ إيران من نوم الغفلة ". شارك فى هذه المجلة شباب حقق أغلبهم فيما بعد شهرة واسعة واحتلوا مناصب مهمة فى إيران مثل : أحمد فرهاد، غلام حسين فروهر، جمال زاده، إبراهيم مهدوى، على أردلان، مشفق كاظمى، على نوروز، رضى إسلامى، پرويز كاظمى، الدكتور تقى الأرانى، حسن نفيسى (مشرف الدولة) ومرتضى يزدى زاده .

لم تستمر مجلة فرهنگستان المصورة أكثر من عام واحد ثم أُغلقت فى أبريل ١٩٢٥م (رمضان ١٣٤٣ هـــ.ق). وتعبر المقالة الافتتاحية بوضوح عن مدى ولع محررى المجلة بالحضارة الأوربية، وانبهار شبابهم الطموح بالتقدم الكبير الذى حققه الغرب، وننقل فيما يلى بعض الجمل من تلك المقالة :

لحسن الحظ أو قد يكون لسوء الحظ أننا نعيش اليوم فى بيئة تعمها الحرية. لا وجود فيها للخرافات، ولا لزعماء أو قادة من الجهلاء. الكل لديه الحرية لإبداء رأيه، لا أحد يحطم الأقلام، لا أحد يكمم الأفواه، ولا أحد يهدد الآخرين بالحبس. أيها الإخوة وأيتها الإخوات نحن نريد أن نتقاسم معكم هذه السعادة التى جعلها القضاء والقدر من

---

(١) براون، تاريخ أدبيات إيران، ج٤، ص ٣٤٢ .

نصيبنا، وأن نتيح الفرصة لعقولكم الوقادة بالأفكار أن تُشْحَّذ، وقلوبكم المفعمة بالمشاعر أن تنبض من أجل سعادة إيران، ذلك بعد أن حكمت عليهم بيئة إيران بالاختناق. هلموا نسعى لتخليص إيران من الجهل والتعاسة هلموا نهيئ إيران لثورة أخلاقية تحولنا من أهالى العصور الوسطى لأهالى القرن العشرين. إن عقولنا كلها مكتظة بأفكار متشابهة، وقلوبنا الطاهرة جميعها مأمن لمشاعر واحدة لأننا لا نملك هدفًا سوى سعادة إيران. نحن نرغب فقط فى أن نحيا، ولكن حياة تليق بالقرن العشرين .

نحن جميعنا شباب، نحن جميعنا نأمل فى الحياة. نحن نريد العيش لسنوات مديدة فى رفعة وفخار. كلنا يحدونا أمل واحد ونسير صوب هدف واحد ؛ هيمنة الأفكار الشابة والإطاحة بالأفكار العتيقة ... نحن لا نخاف، نحن على يقين من فوزنا لأن الحق معنا. يجب أن تُبعث الروح فى إيران، يجب تحديث كل شيء. نحن نأمل فى إيران جديدة ورجال جدد. نحن نرغب فى تحويل إيران إلى النمط الأوربى. نحن نريد شق قنوات المدنية الحديثة صوب إيران. نحن نرغب فى تحقيق هذه المقولة العظيمة مع الحفاظ على الخصائص الأخلاقية الإيرانية : "يجب أن تصبح إيران أوربية قلبًا وقالبًا ظاهرًا وباطنًا "(١).

پارس : مجلة أدبية صدرت فى اسطنبول فى شعبان ١٣٣٩ هـ.ق (آرديبشهت ١٣٠٠ هـ.ش) لصاحبها ومديرها أبى القاسم اللاهوتى الكرمانى. وقُسِّمت المجلة إلى قسمين قسم بالفارسية والآخر بالفرنسية وكانت تنشر بها أشعار ومقالات باللغة الفارسية للاهوتى وأديب الممالك وكمالى وشوريده والفيلسوف رضا توفيق وآخرين وكذلك مقالات باللغة الفرنسية لحسن مقدم تحمل اسمين مستعارين « ميرزا حسن » و «على نوروز» .

(١) إشارة لتصريح تقى زاده فى المقالة الافتتاحية من الإصدار الجديد لصحيفة كاوه، وكما نعلم فإنه أعرب عن عدوله عن رأيه وأفصح عن ندمه .

الفصل الثانى

الـــروايـــة

لقد ارتكب مقلدو سعدى جريمة عظمى فى حق النثر الفارسى، فحولوا عبارات النثر البسيطة غير المسجعة المنسوبة للقرنين الثالث والرابع الهجريين والتى تجلت فى كتابات البيهقى وقابوس ونظامى العروضى ونظام الملك ومن هم على دربهم إلى عبارات مسجعة ومقفاة، وصارت نموذجًا للصنعة على غرار اللغة العربية، منذ القرن السابع وحتى الثالث عشر من الهجرة. ونحن مرة أخرى سنتخلى عن تلك القيود التى لا طائل منها، وسنتجاوزها إلى نوع من التحرر يفوق تحرر سعدى وحافظ وأمثالهما .

م. بهار، دانشكده، العدد ٣

مقدمة

كما نعلم أن النثر الفارسى القديم لم يحقق المكانة الشامخة التى حققها الشعر، وعلى هذا لم يواجه النثر عوائق فى تطوره، وبالرغم من ذلك كله لم يتحقق إنجاز ذو قيمة فى هذا المجال خلال مرحلة العودة. فبعض أدباء مرحلة العودة والسنوات اللاحقة عليها استطاعوا إدخال بعض الإصلاحات فى كتاباتهم الفارسية من حيث الشكل والأسلوب ؛ إلا أن الثورة الدستورية والنفوذ المتنامى للحضارة والثقافة الحديثة وحدهما كان بإمكانهما تحرير النثر الفارسى بشكل نهائى من هيمنة أسلوب كتاب الديوان .

قبيل قيام الثورة الدستورية استخدم طالبوف فى مؤلفاته أسلوبًا بسيطًا وسلسًا إلى حد كبير، يلائم من حيث المضمون متطلبات العصر. أما ملكم من خلال رسائله ودهخدا من خلال مقالاته «چرند وپرند : ثرثرة » فقد مهدا الطريق لأسلوب نثرى

بسيط يتيح عرض الموضوعات بلغة يفهمها الناس، كما ساهمت الترجمات الكثيرة لأعمال الأدباء الغربيين فى تطور هذا الأسلوب النثرى تطورًا كبيرًا. فكان المترجمون عند نقلهم المؤلفات الغربية لأبناء وطنهم مضطرين لعرض الموضوعات بنفس السلاسة التى تتميز بها النصوص الأصلية، وهجروا العبارات المعقدة والمتكلفة المكتظة بالاستعارات القديمة والمترادفات الفارسية والعربية.

حقًا إن إنشاء هذه الترجمات لا يخلو من العيوب والأخطاء إلا أن خصائص النصوص الأصلية غالبًا ما تبدو جلية فى الترجمات حيث إنها لم تكن ملائمة لنمط الكتابة الفارسية. ولكن هذا الموضوع لا يحتل أهمية كبيرة إذا ما قورن بالتطور الذى طرأ على مسار النثر الفارسى نحو الطريق السليم والاتجاه الصحيح خلال فترة وجيزة. واستطاع الكتّاب الإيرانيون عن طريق التعرف على أسلوب الكتابة السائد فى الغرب أن يقلدونه ويطورون كتاباتهم .

القصص الفارسية القديمة : لقد كُتبت القصص الإيرانية القديمة فى الغالب نظمًا. وهذه المنظومات إما منظومات حماسية أو عاطفية، وتعد قصص شاهنامة الفردوسى وويس ورامين لفخر الدين أسعد الجرجانى وروائع نظامى أفضل النماذج لهذه المنظومات، ولقد قلدها شعراء الفارسية فى إيران والهند مرارًا، وكانوا دائمًا يختارون موضوعاتهم من التاريخ القديم إلى حد ما، حيث يمتزج التاريخ بالأسطورة، فلا أعرف قصة فى الأدب الإيرانى المنظوم تتناول وقائع حياة الشاعر نفسه أو أشخاص آخرين كانوا يعيشون فى عصره أو فى فترة قريبة منه .

وفضلاً عن القصص المنظومة التى يصعب حصر عددها. توجد قصص وحكايات نثرية أيضًا فى اللغة الفارسية مثل " إسكندرنامه" التى تتناول حياة الفاتح المقدونى وأسفاره وعددًا من الموضوعات التاريخية، و " بختيار نامه " و " نه منظر : فلك الأفلاك " و " ابو مسلم نامه" و " دارابنامه" و " سَمَك عيّار ". وبعد ذلك كتبت فى العصر الصفوى نسخ جديدة من " إسكندر نامه " و " طوطى نامه : مسامرات الببغاء " و " رزمنامه " وكذلك

قصة "رامايان ومهابها راتا " والقصص الحماسية الهندية الشهيرة، وقصة "چهار درويش : الدراويش الأربعة" و " نوش آفرين نامه " والعديد من القصص الأخرى التي ترجم بعضها من اللغة السنسكريتية بمهارة فائقة وأسلوب نثرى لطيف وبسيط وسلس وخاصة " اسكندرنامهء قديم: كتاب الإسكندر القديم " ومسامرات البغاء ترجمة ضياء الدين النخشبي، و " رامايان" ترجمة نقيب خان وعبد القادر البدوانى .

الرواية

لم تكن للرواية وكتابة الروايات على النمط الأوربى وبالمفهوم المعاصر وجود فى الأدب الفارسى منذ ستين أو سبعين عامًا عندما انفتحت إيران على الثقافة الغربية. فالروايات التي وصلت إلى إيران فى البداية كان أغلبها باللغتين الفرنسية والإنجليزية والقليل منها باللغة الروسية أو الألمانية أو العربية أو التركية. وكان يقرأها أولئك الذين يعرفون تلك اللغات، ثم ترجمت روايات عن الفرنسية إلى اللغة الفارسية وبعدها ترجمت عن الإنجليزية والعربية والتركية العثمانية. ومن ذلك ترجم على خان ناظم العلوم " تلماك "[(١)] لـــ " فنلن "[(٢)] عن الفرنسية وطبعت عام ١٣٠٤ هـــ.ق، ثم ترجم محمد طاهر ميرزا إسكندرى عددًا من المؤلفات الفرنسية الشيقة إلى اللغة الفارسية وبأسلوب سلس مثل " الكونت دى مونت كريستو " (تبريز ١٣٠٩ هـــ.ق) و " الفرسان الثلاثة " فى ثلاثة مجلدات (طهران ١٣١٦ هـــ.ق) و " لويس الرابع عشر " (تبريز ١٣٢٢ هـــ.ق) لألكساندر دوما وكذلك رواية " أسرار باريس " لأوجين سو[(٣)] (طهران ١٣٢٥ هـــ.ق)، كما ترجم إبراهيم نشاط "بول وفرجينيا" لبرنارد دى سان بيير، ونشرها عليقلى خان سردار أسعد عام (١٣٢٤هـــ.ق)[(٤)].

---

(١) Les Aventures de Telémaque.

(٢) Francois fénelon (١٦٥١ – ١٧١٥م) أديب فرنسي ومعلم الدوق دو بورجنى الذى ألف له هذا الكتاب .

(٣) Eugéne Sue (١٨٠٤ – ١٨٥٧م) مؤلف " أسرار باريس " و " اليهودى الشريد " .

(٤) من هذه الترجمات ترجمة ميرزا سعيد خان صدر المعالى الشيرازى لرواية "التمثال النحاسى" أو " قبلة عذراء " لرينولدس، وأسلوبه غامض ومكتظ بالمصطلحات العربية والأشعار الفارسية .

كانت هذه الترجمات عظيمة الفائدة ومثمرة لأن المترجمين اضطروا لتقليد نفس الأسلوب السلس للمتون الأصلية الأجنبية عند نقلها للغة الفارسية، ومن خلال هذه الترجمات أيضًا جنحت اللغة فى الواقع نحو البساطة، وصار الأسلوب أكثر دفئًا وعذوبة، وتخلّص إلى حد كبير من الصنعة اللفظية والتشبيهات الشعرية التى كانت تستخدم للتعبير عن الفصاحة والبلاغة .

ولكن الروائيين الإيرانيين الذين أصيبوا بهوس تأليف الروايات عن طريق قراءة الروايات الأجنبية والاستمتاع بها لم يكن لديهم اطلاع كافٍ عن أصول وأسس كتابة الرواية فكانت أغلب الروايات التى ألفوها اقتباسًا ومحاكاة للروايات الأجنبية، وجاءت ضعيفة وعديمة الفائدة لا تستحق عناء قراءتها .

بعد هذه المقدمة المختصرة سنتطرق إلى الروايات الإيرانية التى ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وفى البداية نقسمها إلى مجموعتين : الروايات التعليمية والتاريخية، والروايات الاجتماعية .

أولاً : الروايات التعليمية والتاريخية

يجب أن نعتبر الروايات التاريخية نتيجة مباشرة للمساعى التى بذلتها دار الفنون والمنتميون إليها. ويبدو أن هدف مؤلفى مثل هذه الروايات ارتكز على تقديم معلومات تاريخية من خلال قصص جميلة مشوقة. ولقد كانت لهذا الأمر سابقة فى الأدب الإيرانى منذ وقت بعيد إلا أن المتقدمين استخدموها فقط لأهداف أخلاقية وعرفانية .

ألف طالبوف بالفارسية أعمالاً ذات طابع تعليمى، ولكنه لم يستطع أن يصيغها فى قوالب سليمة. ثم استكمل محاولاته فى السنوات التالية وقدم أعمالاً تشبه القصص التى تُكتب فى الغرب " من أجل الشباب "، الهادفة إلى تعريف القراء من الشباب بأحداث فترة زمنية معينة من خلال قصة مسلية .

وجدير بالذكر أن أغلب مؤلفى هذه الروايات كانوا يتخذون من الأحداث التاريخية القديمة السابقة على ظهور الإسلام نسيجًا لقصصهم. وربما يمكن البحث عن أسباب هذا الأمر فى تأجج روح القومية والاهتمام المفرط بالعادات والأمجاد الغابرة. بمعنى أن الأدباء كانوا يسعون للتذكير بعظمة إيران القديمة وأمجادها التاريخية عن طريق الحديث عن تلك الأحداث آملين أن يخلقوا فى قلوب القراء إيران عظيمة مقتدرة تأمن سلطة الأجانب ونفوذهم، وتتمتع بنوع جديد من الصمود والدفاع عن وجودها ومصيرها فى مواجهة الغزاة والفاتحين .

للأسف لم تتسم مثل هذه الروايات التاريخية بالنضج مطلقًا، وحوت بلا استثناء عيوبًا فنية وأخطاءً تاريخية كثيرة، لذلك لايمكن اعتبارها أعمالاً فنية فارسية مكتملة، ولكننا نؤكد أن نشرها كان بمثابة حادثة أدبية مهمة ومقدمة لوجود ظاهرة جديدة فى النثر الفارسى بإيران .

عقبات

إن الرواية التاريخية مرآة أوضاع الأمم وأحوالها وحياتها، فهذه الروايات لا تصور الأحداث فقط بل الصفات والأخلاق والعادات والتقاليد والتطور الفكرى والأخلاقى وخلاصة تاريخ الأمم، وتبعث من جديد مجتمعات العصور المنقضية وأهلها على نفس النحو الذى كانوا عليه بعد أن صاروا الآن ذكرى بالنسبة للجيل الجديد مع مرور العصور والقرون.

ومن الواضح أن أساس الروايات التاريخية ومصادرها هو نفس التاريخ أو الآثار التاريخية التى تحفظ ذكرى الأيام السالفة وتسلمها للأجيال الجديدة. ولكن للأسف أن تاريخ إيران لم يترك معلومات كافية ومفيدة للأدباء .

إن " الناس " تلك الكلمة التى تعنى مجموعة غفيرة من البشر يعيشون معًا فى عهد وزمن واحد على أن يتجاوز عددهم الفرد الواحد[1] أو مئات أو آلاف الأفراد ؛ قد تم

(١) من المعروف أن ما زاد على واحد فى اللغة الفارسية يعتبر جمعًا. (المترجم) .

نسيانهم تقريبًا فى كتبنا التاريخية. فقد غفل مؤرخونا أنه كان يوجد أناس آخرون أيضًا غير الملوك والوزراء والأمراء وقادة الجيش ورجال الدين، وأنهم كانوا يعيشون فى هذه الدولة ولديهم آلامهم ومباهجهم، وكانوا يقيمون الاحتفالات وليالى العزاء، ويعبرون عن ميولهم الروحية والأخلاقية عن طريق مظاهر اجتماعية متعددة. من هذا المنطلق فنحن لا نستطيع أن نعرف بوضوح كيف كان يعيش غالبية أهالى هذه البلاد من الزراع والتجار والصناع والعمال عبر القرون المنصرمة أو ندرك نمط تفكيرهم ونوع طعامهم وطراز ملابسهم وماهية أحزانهم وأفراحهم ونوعية علاقاتهم بالآخرين أو الأغراب. كما أنه لم يُذكر على مدى تاريخ إيران الطويل سوى بضع أسماء للنساء، ولا نعلم أيضًا معلومات صحيحة عن حياتهن، ولا نعرف ما هو الدور الذى لعبته المرأة الإيرانية على مدى تاريخنا الذى امتد لآلاف السنين، فيما يتعلق بالأمومة والزواج وتولى الشئون الأسرية والمهام الاجتماعية، أو ماذا كانت ترتدى، وكيف كانت تتزين فى الجلسات الخاصة والعامة، ومجالس الضيافة والعزاء والاحتفالات القومية ... لقد ظلت كل هذه الأمور مسكوتًا عنها فى حين أن المرأة والعشق يكسبان المذاق للرواية .

الخلاصة: أن كتبنا التاريخية بالنظر إلى أنها اكتفت فقط بتسجيل الاحداث التاريخية وتاريخ وقوعها فإنها لا تقدم فائدة كبيرة لمؤلفى القصص التاريخية كى يستطيعوا وصف المشاهد الحقيقية للعهود المنصرمة بكل أوصافها، ويخلصوا كتاباتهم من الجمود والملل .

إن ما ذكرناه يوضح بجلاء أن مؤلفى القصص التاريخية قد بذلوا جهدًا عظيمًا وتحملوا مصاعب جمة ومنهم خسروى والشيخ موسى وغيرهما ممن توفرت لهم مصادر محدودة للتحقيق والمطالعة .

١ - خسروى

إن خسروى الكرمانشاهى أحد رواد النثر الأدبى الحديث يعد مؤلف أول رواية تاريخية فى إيران. ولد محمد باقر ميرزا خسروى بن محمد رحيم ميرزا (بن محمد على ميرزا دولتشاه الابن الأكبر لفتحعلى القاجارى) فى ٢٤ ربيع الآخر ١٢٦٦ هـ.ق، فى كرمانشاه، ودرس فى نفس المدينة. اهتم منذ شبابه بالشعر بالرغم من معارضة أبيه،

وكان ينظم بعض الأبيات أحيانًا، إلى أن حثه حسينقلى خان سلطانى كلهر على نظم الشعر، واختار له تخلص "خسروى". وذهب خسروى بعد وفاة والده إلى طهران من أجل إنهاء الأمور المتعلقة بمخصصاته المالية، وعاد إلى كرمانشاد بعد عام، وعمل فى دار البريد هناك لخمس سنوات دون مقابل، ثم اختار العزلة بعد ذلك .

وطلب منه علاء الدولة حاكم كرمانشاه رئاسة " دار الإنشاء " حيث كان معجبًا بأخلاق خسروى وثقافته، ويقال إن علاء الدولة فى أبريل عام ١٣١٩ هـــ.ق انتقل إلى ولاية فارس واصطحب معه خسروى. وفى تلك الفترة " كانت الحكومة فى قمة استبدادها، وتسلط رجالها على أرواح الشعب وأموالهم بشكل مطلق " لذا كان خسروى يعتكف فى أضرحة المشايخ بعد الانتهاء من عمله اليومى، وانضم إلى خدمة "وفاعلى شاه" شيخ طريقة «دراويش شاه نعمت اللهى»، وأخذ يقضى أوقات فراغه فى تزكية النفس أو زيارة الأماكن الاثرية القديمة فى فارس .

ونتيجة لقراءاته وجولاته خلال تلك الرحلة تبلورت فكرة روايته التاريخية الشهيرة "شمس وطغرا " والتى كتبها فيما بعد فى أحد مزارع " ماهيدشت"(*).

عاد كسروى إلى كرمانشاه، وعندما اندلعت الثورة الدستورية أيدها وأسس «جمعية كرمانشاه المدنية» وظل على موقفه طوال مرحلة الثورة وما أعقبها من أحداث، ونتيجة للصراعات والأحداث المحلية اضطر عدة مرات للهروب إلى الصحراء واللجوء إلى القبائل التى تربطه ببعضها صلة قرابة. واضطر لمغادرة إيران وزيارة العتبات المقدسة أثناء العصيان الذى اندلع بعد قدوم سالار الدولة إلى المنطقة الغربية .

وأثناء الحرب العالمية الأولى وبينما كانت المنطقة الغربية من إيران ساحة قتال لجيوش الأجانب، لاذ خسروى لفترة من الوقت بالجبال والصحراء، وعاش فى الكهوف والغابات مع القبائل النازحة، ثم صدر قرار بإحضاره إلى المدينة وألقى القبض عليه ما إن

(*) ماهيدشت أحد توابع ولاية كرمانشاه (المترجم) .

وصلها وحُبس، واستقر الرأى على نفيه إلى سيستان [1]، ولكنه فى همدان تراجع عن موقفه فسُمح له بعد شهرين من الحبس بالذهاب إلى العاصمة بوساطة من الأمير أفخم شريطة ألا يغادر طهران .

أمضى خسروى بقية حياته فى طهران قضاها فى القراءة ومصاحبة العلماء إلى أن توفى يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ١٣٣٨ هـ.ق .

ترك خسروى الكثير من القصائد والغزليات طبعت فى شهر شهريور ١٣٠٤ هـ.ش بطهران .

ألف خسروى كتابًا فى التراجم يسمى «ديباى خسروى : ديباج خسروى » عن أحوال مائتين وعشرين شاعرًا من مشاهير شعراء العرب ونماذج لأشعارهم والأحداث التاريخية ذات الصلة بأحوالهم وأشعارهم. كما ألف رسالة بعنوان «تشريح العلل» فى قواعد علم العروض وبحوره، وله أيضًا رواية عن أحوال حسينقلى خان جهانسوز شاه والأحداث المواكبة لظهور القاجاريين وسيطرة تلك الأسرة على الحكم، كما ترجم للفارسية قصة «عذراء قريش» لجرجى زيدان صاحب مجلة الهلال فى مصر، وكذلك كتاب «الهيئة والإسلام» للشهرستانى. ولكن أهم مؤلفاته رواية «شمس وطغرا» التى تستحق بالفعل القراءة .

شمس وطغرا : إن الرواية التاريخية «شمس وطغرا» قصة ضخمة فى ثلاثة مجلدات، وقد أطلق المؤلف عنوانين مختلفين على المجلدين الثانى والثالث، فالمجلد الثانى بعنوان «مارى ونيسى: ماريا البندقية» والمجلد الثالث «طغرل وهماى» .

ظهر هذا الكتاب خلال سنوات العصيان التى أعقبت الثورة الدستورية، فى حين أن فكرته كانت قد تبلورت قبل ذلك. وانتهى خسروى من كتابة المجلد الأول فى ٢٣

---

(١) عندما قلت إن ملك الكيانيين من الإيرانيين أرســـلونى إلى حاضرة رســـتم .

شوال ١٣٢٧ هـ.ق، والمجلد الثانى فى ربيع الآخر ١٣٢٨ هـ.ق، والمجلد الثالث فى ٢٣ رجب من نفس العام [١].

يدور موضوع الرواية حول العصر المغولى فى إيران المليء بالفتن (العصر الإيلخانى) ويقول المؤلف فى وصفها " هى رواية تحتوى على بعض الأحداث التاريخية والموضوعات الجغرافية والقضايا الأخلاقية، وتتناول الأحداث التى وقعت فى فارس على مدى أربعة وعشرين عامًا وحكم «آبش خاتون»[٢] التى تعد آخر أتابكة الأسرة السلغورية "[٣].

كان أتابكة السلغوريين أسرة شهيرة من حكام فارس وينتمون إلى التراكمة السلغوريين الذين نزحوا مع قبيلتهم بصحبة السلاجقة إلى إيران منذ بداية سطوع نجم السلاجقة.

وكان آخر حكام تلك الأسرة مهد عليا آبش خاتون ابنة الأتابك سعد بن أبى بكر بن سعد بن زنجى التى أرسلها هولاكو لحكم بلاد فارس بناءً على مطالب أهالى تلك الديار. ولكنه كان فى الغالب يرسل إلى شيراز أميرًا من قبل الخان (بلاط الحاكم المغولى) وفرقة من الفرسان المغول وكاتب للحفاظ على النظام وتحصيل المخصصات الديوانية. وبالرغم من ذلك قلما أرسل هولاكو خان رجاله إلى شيراز على مدى عامين احترامًا لابنه وعروسه، وعندما توفى هولاكو جلس ابنه أباقاخان على عرش خانية إيران

---

(١) طبعت المجلدات الثلاثة لأول مرة عام ١٣٢٨ هـ.ق، فى مطبعة "شرافت أحمدى" تحت رعاية معتضد الدولة الكرمانشاهى .

(٢) آبش خاتون بنت سعد الثانى (٦٦٣ – ٦٨٥ هـ/ ١٢٦٤ – ١٢٨٦م) هى آخر حكام أسرة أتابكة فارس أو السلغوريين، وقد حكمت تلك الأسرة نحو قرن ونصف القرن. واعترفت هذه الأتابكية فى بعض مراحلها بسلطة سلاجقة العراق، وفى مراحل أخرى بالدولة الخوارزمية، ثم المغول. وتزوج منكو تيمور الابن الرابع لهولاكو آبش خاتون بنت سعد الثانى، فاضطلع منكو تيمور بإدارة حكم الأتابكية عنها وانتهى بوفاتها حكم الأتابكة السلغوريين (المترجم).

(٣) مقدمة المؤلف لكتاب شمس وطغرا .

وهُزم منكو تيمور فى حروب مصر والشام ثم مات فى همدان، وبالرغم من أن آبش خاتون كانت تتولى حكم فارس رسميًا فإنه تم تكليف أحد كبار أمراء المغول بالبقاء فى شيراز على رأس جيش للحفاظ على النظام وتحصيل الضرائب، ولم يبق للملكة (آبش خاتون) من بلاد فارس سوى ربع بساتين فيروزه ونوروزى وعدد من المحال والغلمان المهندمين ذوى النُطُق الذهبية لا غير. ولما أدرك الطامعون أن السلطة الحقيقية فى أيدى المغول أخذوا يقدمون جوادين أو ثلاثة للبلاط الإيلخانى سعيًا لإفساد الأمور على خصومهم، والتقرب إلى المغول عن طريق تقديم الجياد والدواب والذهب والفضة. وعلى هذا النحو ساد نوع غريب من الاضطرابات وحط من قدر العلماء وعلا شأن الأشرار والسِفلة .

وخلال هذا الوضع سعى الأمراء والقادة الإيرانيون لمسايرة المغول بكل السبل حتى يستطيعوا تحين الفرصة لتحرير بلادهم من سطوتهم " حيث كانوا يدركون أنهم قد جلبوا هذا البلاء لأنفسهم وجعلوا الرعية أسرى فى أيدى المغول "، وبالرغم من ذلك كانوا أحيانًا يواجهونهم ويتصدون لهم كى يرتدعوا عن أعمالهم ويعلموا أنه ليس من السهل التعدى على ممتلكات أهالى شيراز وشرفهم .

و «شمس الدين» بطل قصة خسروى ؛ أحد الأمراء الإيرانيين، قدمه المؤلف فى المجلد الأول من روايته التاريخية خلال قصة عشقه لإحدى بنات كبار الأمراء المغول "طغرا" وزواجه منها .

خلاصة القصة : فى شهر أرديبهشت من عام ٦٦٧، وبينما كانت آبش خاتون – تلك المرأة الشابة الهوجاء والماجنة – تحكم فارس ؛ قدم إلى شيراز خواجه شمس الدين سليل أسرة الديالمة برفقة والده بعد غيبة دامت عدة سنوات من أجل استقبال أمير فارس الجديد. وواكب وصوله اشتعال النار فى سوق شيراز فى إحدى الليالى المقمرة. وأخذت النيران تنتقل للمنازل المجاورة، ومنها منزل "التاجو بهادر" القائد المغولى الذى اعتنق الإسلام خيرًا، وذهب لاستقبال الأمير تاركًا ابنته "طغرا" ومربيتها فى المنزل، ولم يجرؤ

أحد على الدخول أو الخروج من المنزل. فينقذ شمس وخادمه الوفى " خرم" بطلة القصة ومربيتها العجوز من الموت، وبهذه الحادثة تبدأ قصة العشق .

ولكن العقدة تكمن فى أن العاشقين يدركان جيدًا أن " المغول لن يزوجوا الفتاة لتاچيكى، وأن الخروج على الياساق عندهم بمثابة الكفر ". وتدور أحداث المجلد الأول من الرواية حول كيفية تجاوز هذه العقبة الكبيرة وغيرها من العراقيل، ولا يملك العاشقان اللذان جمعهما الحب الطاهر العفيف سوى أمنية الوصال بالزواج الشرعى حفاظًا على شرفهما وسمعتهما، وفى انتظار تحقيق هذه الأمنية يتألم العاشقان ويبذلان ما فى وسعهما، فهما على استعداد للصبر والصمود طوال العمر حتى يأذن اللـــه لهما برحمته .

إن الشاب شمس الدين الذى لم يكن قد عُرِّف بعد فى شيراز، يستعرض مهاراته خلال سباق للخيل ولعب الصولجان أقامته الملكة فى الحديقة الملكية، فيحظى باهتمام الملكة "آبش خاتون" وتسلمه بنفسها الجائزة. وينجو من مهالك وأخطار كثيرة بمساعدة خادمه الوفى والبطل «محمد النجار» ؛ ذلك الرجل ذو الحمية الذى يلتف حوله كافة متمردى شيراز وأشرارها. ويحتمى بمنزل الأمير "التاجو" وهناك يلتقى سرًا بـــ "طغرا"، ثم يتزوجان زواج المتعة على يد الشيخ سعدى[1] نظرًا لأنهما كانا يرغبان ألا تتجاوز علاقتهما حدود العفة .

ويصبح " شمس " من الأثرياء مع اكتشاف كنز كبير يخص جده عضد الدولة الديلمى، ويحصل " شمس " على مرسوم لنفسه بالحجابة والإمارة من البلاط الإيلخانى عن طريق تقديم الهدايا، فيتردد على أعيان المدينة وأركان البلاط المَلكى. ونظرًا لأنه يعتبر المال مبعثًا للرفعة ويحقق (النصر على الخصوم)، ولأنه (لا يطمع فى مقام سوى العيش بشرف وسمعة طيبة) فإنه يتعامل مع الناس بخلق طيب وكرم وتواضع ؛ فيحبه الجميع حبًا جمًا .

---

(١) المقصود الشاعر سعدى الشيرازى (المترجم) .

ويظل شمس الدين فى حيرة من أمره على الرغم من أنه يلتقى ليلاً بمحبوبته سرًا، إلى أن يقرر فى النهاية وباقتراح من " طغرا " أن يرافق أسرة " التاجو بهادر " فى رحلتها إلى المقر الإيلخانى، ويقدم الهدايا للخان وأمير الأمراء فى سبيل الحصول على تصريح بالزواج من حبيبته .

ويقابل " شمس " رئيس الديوان وأمير الأمراء المغولى، ثم يلتقى بـــ " أباقا خان " خلال رحلته للصيد، ويستعرض مهاراته فى الصيد والضرب بالسيف والرماية، فيحظى باهتمام الخان، إلى أن يصل حامل البريد إلى معسكر الخان ويحمل بشرى الفتح فضلاً عن نبأ مقتل "التاجو بهادر" والد "طغرا"، ويكلف الأمير المتوفى من خلال وصيته شمسًا بالولاية على "طغرا" كما يوصيه بتولى شئون أسرته .

فى تلك الفترة ظهر منافس عتيد لشمس ؛ أباقا خان الذى بُهر بجمال " طغرا " ويريد ضمها إلى الحرملك الملكى الخاص به. ولحسن الحظ يتوجه الخان إلى حلب، ويأمر طغرا ووالدتها بالخروج مع الركاب. ويسترد الخان حلب من الأعداء، ويُكلِّف شمسًا بقيادة جيش فارس والعراق لفتح الشام. وبناء على اتفاق مسبق مع قائد جيش مصر وحلب ينضم وجنوده إلى جيش المصريين، وتغادر " طغرا " المدينة بحجة الصيد، وتتنكر فى زى آخر، وتهرب برفقة خادمها الوفى " أميدوار " ليلاً، وتلحق بشمس فى دمشق. ويرسل شمس طغرا إلى مصر، ويذهب إلى القدس، ويتوجه من ميناء "يافا" إلى "الإسكندرية ". ولكن فى اليوم الثانى لخروجه تهاجمهم سفن الفرنجة، وتدور بين الطرفين معركة طاحنة تسفر عن استيلاء الفرنجة على أربع سفن وأسر من بها، وكانت إحداها تحمل شمس ورفاقه، ويحملونهم إلى أثينا. ويعلم السلطان بوقوع شمس فى الأسر من خلال رسالة يحملها الحمام الزاجل فيعد "طغرا" بأن يسعى لتحرير "شمس" من أيدى الفرنجة حيث كان يظنها أخته .

وفى تلك الأثناء يقع فى حب "طغرا" "محمد" ابن السلطان البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا. ونظرًا لأنه يظن أن طغرا شقيقة شمس يرسل تاجرًا مسيحيًا يعمل فى تجارة الرقيق برفقة " خرم " إلى اليونان للعثور على شمس وشرائه بأى ثمن وحمله إلى الإسكندرية، وذلك بغية الوصول إلى حبيبته فى أسرع وقت .

ويضطر بطل القصة لتقديم مكتوب الشيخ سعدى ممهور بتوقيع الشيخ أبى حسن الشاذلى ووثيقة زواجه من " طغرا " ويكشف للسلطان حقيقة الأمر، ويقنع محمدًا بصرف النظر عن زواجه من طغرا، وبناءً على هذا يغادر شمس وطغرا الإسكندرية إلى إيران حاملين هدايا السلطان النفيسة التى من بينها جاريتان إحداهما تسمى " ظريفة " والأخرى تسمى " ماريا " لم ير الزمان امرأة فى حسنها، وبهذه الأحداث ينتهى المجلد الأول .

وفى المجلد الثانى تتشابك الحكاية بتفاصيل عن قصة الغرام وأحداث تاريخية جديدة، وفى النهاية يقام عرس شمس وطغرا فى شيراز، ثم تقام استعدادات لزواج والد شمس من والدة طغرا، وماريا من الأمير " شبانكاره "، ومريم الرومية من " أميدوار " و" ظريفة " من "خرم"، وتقام فى ليلة واحدة مراسم عرسهم. إلا أن " ماريا " تبوح لزوجها الشهم "شبانكاره" بتفاصيل عشقها لشمس، ويمتنع الأمير عن مواقعة ماريا على أن يطلقها إذا ما كان شمس يرغب فى زواجها. والعجيب أن قلب شمس يتعلق بماريا رغم عشقه لطغرا وكل المصاعب الجمة التى اجتازها فى سبيل الزواج منها. ويبوح بحبه لماريا فى فراشه بينما يعانى من مرض عضال، وبكل تفان تُزوج طغرا ماريا لزوجها وتزينها بنفسها وتقيم لها ليلة العرس ! وعلى هذا النحو ينقض شمس العهد الذى قطعه على نفسه أمام طغرا بأن يظل وفيًا لها وألا يواقع غيرها. ومع هذا تربط ماريا وطغرا صداقة حميمة وتعيشان سويًا، لكن القدر يحضر لماريا منافسة أخرى، " آبش خاتون " ملكة فارس التى تبدو فى الخامسة والعشرين رغم تجاوز عمرها الثلاثين عامًا، فهى تحب شمس منذ فترة طويلة، وفى النهاية يضاجعها شمس، وبعد هذه المواقعة تصر على أن يتزوجها للتخفيف من وطأة ذنبها، فيتزوج شمس " آبش خاتون " بموافقة طغرا وماريا، إلا أن مهام الحكم لا تدع لآبش خاتون الفرصة لقضاء أوقاتها مع شمس. وخلال هذه الأحداث تموت طغرا إثر وقوع زلزال عظيم، ويظل شمس فى حداد عليها إلى أن تلد له ماريا ولدًا فيبعث فى حياته أملاً جديدًا .

ويعيش شمس وماريا فى هناء لعدة سنوات ويرزقان بثلاثة أولاد آخرين، ويصبح " طغرل" أكبر أبناء شمس شابًا جميلاً، وبهذا تنتهى الأحداث المتعلقة بشمس وماريا، ويصبح أبناؤهما أبطال الأحداث التالية وخاصة طغرل .

وتدور أحداث المجلد الثالث حول سيرة «طغرل» وغرامه بـ«هما» ابنة حاجب الملكة آبش خاتون ؛ فطغرل و"هما" رفيقا الدراسة واللعب منذ الطفولة، وعندما يبلغ طغرل الحادية عشرة من عمره يلفت الأنظار جماله وفروسيته ومهاراته، وبعد ست سنوات من الاختلاط بين "طغرل وهما" يغرم أحدهما بالآخر .

وفى تلك الأثناء يموت الخان المغولى أباقا خان، ويلتف الأمراء المغول حول أرغون خان فيصدر أمرًا بتعيين " سيد عماد الدين " حاكمًا على بلاد فارس، ويستدعى آبش خاتون إلى معسكره، ولكن ملكة فارس تماطل فى الذهاب، ويعتدى غلمانها على سيد عماد الدين وهو على صهوة جواده ويقتلونه، ونتيجة لهذه الحادثة تُحمل " آبش خاتون " و " شمس " إلى معسكر تبريز جبرًا، وتدفع دية فادحة لمقتل سيد عماد الدين فتموت حزنًا وكمدًا .

وأثناء تلك الأحداث يتحّين " طغرل " الفرصة للقاء " هما " سرًا وعلانية، وكل يوم يزداد لهيب غرامهما عن ذى قبل، ولكن طغرل يصر كوالده ألا يقرب " هما " فى الحرام.

ويثبت والد " هما " أى حاجب الملكة آبش خاتون براءته من حادثة مقتل سيد عماد الدين، ويعود مع شمس إلى شيراز، ويتزوج فى ليلة واحدة " طغرل " من " هما "، و "محمد" شقيق " هما " من " فردوس شقيقة "طغرل". ولسوء الحظ تلدغ أفعى العروسين محمد وفردوس فى ليلة عرسهما، ويقضى محمد نحبه، وتنجو فردوس. وبعد انقضاء أربعين يومًا يترك " شمس " و " ماريا " منزلهما وأملاكهما لـ " طغرل وهما "، ويتوجهان إلى جدة وبرفقتهما " فردوس " و " أميدوار "، وبالصادفة تتعرف فردوس

إلى أمير مصرى فى المدينة ويتزوجان فى النهاية. وينتهى الكتاب بلقاء شمس بالشيخ سعدى الذى يرقد على فراش الموت وينتهى بوفاة الشيخ .

تحليل القصة [1]

يسعى المؤلف لتقديم رواية إيرانية معاصرة على نمط الأدب الغربى، وفى سبيل صياغة القصة على نحو يجمع بين التشويق والطابع التعليمى، استفاد المؤلف من روايات المغامرات والروايات الاجتماعية والعاطفية وكتب الرحلات والجغرافيا .

ويطالع القارئ على مدى الرواية مشاهد مثيرة مثل اندلاع الحريق، نجاة سيدتين على يد بطل القصة، التحرر من قبضة العيارين، اكتشاف كنز فى قبو القصر، اشتباك مع قطاع الطرق، اختطاف سجين على يد مسلحين، قتال مع القراصنة، هطول البَرَد والثلوج والسيول، وقوع زلزال وتدمير المدينة ومصرع عدد من الأهالى، لدغة أفعى فى فراش الزفاف، نجاة سجين بسبب ببغاء، قتال مع قبائل المغول البربرية، اختفاء الأبطال على نحو غامض، صيد الأسود وغير ذلك .

وكلما سنحت للمؤلف الفرصة يقدم كذلك شرحًا مفيدًا ومشوقًا عن تاريخ وجغرافية المدن الإيرانية ودول الشرق الأخرى المرتبطة بموضوع القصة والآثار والأماكن التاريخية التى شاهدها المؤلف بنفسه أو التى قرأ عنها فى مؤلفات علماء التاريخ والجغرافيا المسلمين .

فالقارئ يلتقى بصحبة بطل القصة بالشيخ سعدى ويتعرف عن قرب على أحوال الشيخ وأخلاقه وصفاته وأشعاره، ويذهب إلى مزار «شاهچراغ»، ويزور «باغ تخت: روضة العرش» وقصر أبى نصر، وقلعتى « بهن دژ » و «دختر : الفتاة »، ومضيق «تنگ تنگاب : المضيق الضحل »، ومدينة اصطخر الحاضرة الهخمانشية القديمة،

---

(١) لقد استفدت كثيرًا فى هذا التحليل من المقالة الجامعة والمفيدة للدكتور "فرانسزك ماخالسكى" بعنوان " الرواية التاريخية شمس وطغرا لمحمد باقر ميرزا خسروى " .

وأطلال « تخت جمشيد : عرش جمشيد »، كما يزور خارج إيران مدينة دمشق وأطرافها التى تعد واحدة من جنان الدنيا الأربع، والكثير من الأماكن الأسطورية والتاريخية ويتلقى معلومات عنها .

ويطالع القارئ كذلك مشاهد حية عن أخلاق الإيرانيين وعاداتهم وزيهم، والغزاة المغول ومراسمهم الملكية، ومراسم تلقى الهدايا ومنح الجوائز وهيئة الموكب الملكى، وسباقات الخيول ولعب الصولجان والرماية والصيد، والاحتفالات ومراسم العزاء، والبطولات، والمذابح، والموت، وصفات العيارين وأخلاقهم، وأخيرًا جميع الجوانب الحسنة والقبيحة فى المجتمع، والأفراد الذين كانوا يعيشون فى الفترة التى تناولتها القصة [١]. ولكن الهدف الرئيسى للمؤلف أن يقدم رواية رومانسية جذابة وشيقة .

إن جميع العاشقين فى الرواية يقعون فى العشق على نمط واحد تقريبًا، يخفون عشقهم عن الجميع ويتجرعون الآلام فى الخفاء .

تصف القصة من الناحية الاجتماعية مجتمعًا مغلقًا ومخيفًا، يجلس عند قمته حكام أجانب متسلطون ومستبدون، يلتف حولهم الأعيان والنجباء والأمراء الإيرانيون من الوزراء ورجال البلاط وحكام الولايات، يليهم الفرسان والخدم والحشم وأخيرًا يأتى أهالى المدن والقرويون وقطاع الطرق والعيارون .

ومن الواضح فى مثل هذا الوضع الاجتماعى أن مقوض السلطة فى أيدى الحكام والولاة المعينين من قبلهم، وأن الآخرين جميعهم يلتفون حول ولاة الأمور من أجل الحصول على منصب واقتناص مخصصات مالية، ويريدون التقرب إلى الأمراء ورجال الدولة عن طريق تقديم الرشاوى والهدايا و " يسلخون جلود الناس ". ونتيجة لهذا التنافس على السلطة والمطامع الخسيسة يصبح المجتمع مشحونًا بالحقد والانتهازية، مما

---

(١) لم يطلع المؤلف على الكثير من المصادر والمراجع المهمة الموجودة فى مكتبات إيران والعالم، وتقتصر معلوماته على عدة كتب مثل " حبيب السير " و " فارسنامه" و " آثار العجم " و " جام جم : كأس جمشيد " ورحلات ابن بطوطة وكليات الشيخ سعدى .

يتطلب العيش فيه الذكاء والفطنة واليقظة الدائمة والمستمرة لأن كل مُحْدِّث نعمة يستطيع أن يلقى بعدوه ومنافسه فى التهلكة وصديقه المقرب أيضًا. وفى هذه البيئة الفاسدة يشيع السكر والسرقة وقطع الطريق والاعتداء على أعراض الناس وممتلكاتهم، واللواط، فضلاً عن التملق والتزوير والكذب والتآمر .

يتكون الشعب من الأعيان والأشراف وأنجال النجباء الذين اصابهم الفقر والحاجة، والطبقة المتوسطة. وبالرغم من أنهم لم يفقدوا كلية " روح الوطنية " ويكرهون الأغراب الذين سيطروا على البلاد، فإنهم يتوارون حفاظًا على أرواحهم وأموالهم، ويعيشون على موالاة بعض الأراضى الزراعية التى ورثوها عن آبائهم أو قاموا هم بشرائها، يستخدمون عددًا من الخدم ممن لايزالون ملتفين حولهم .

إن رواية خسروى مرآة لهذا المجتمع. فالمؤلف من ناحية يعجب بتاريخ دولته العريق ومن ناحية أخرى يدينه بلا تهاون. فهو لا يستطيع أن يمتنع عن إبداء نفوره من الجهاز السياسى والوضع الاجتماعى للحكومة الاستبدادية التى يسيطر عليها أمراء أغراب وإقطاعيون موالون للحكومة، وعلى العكس يبدى احترامه لأصحاب الأراضى والنجباء الإيرانيين الذين أصابهم الفقر وانخرطوا إلى حد ما فى طبقة التجار وأهالى المدن؛ ولم يفقدوا مشاعرهم الوطنية .

بطل القصة السيد شمس الدين حسن سلسل أسرة إيرانية من الديالمة (البويهيين)، وبالرغم من تدهور أحواله المادية فإنه يفخر بأصله ونسبه ويرسم آمالاً كبيرة. ويدرك أنه كى يصل إلى هدفه يجب أن يساير الأمور مثل سائر الأثرياء أصحاب الضياع والعقارات، وأن يحنى رأسه للريح ويتملق الأكبر والأقوى حتى يستطيع التفوق على الأصغر، لذا ينضم للمغول ويعظمهم كى يجله الفقراء ويستطيع الحفاظ على أمواله .

إن شمس رجل الواقع والحياة، لا يشغله هدفًا اجتماعيًا أو سياسيًا عظيمًا، فهو وطنى محب للبشر، ولكن هذه ليست الصفات الأساسية لبطل القصة. حقًا إنه يكره

الأغراب الذين سيطروا على بلاده، ويكشف أحيانًا عن كراهيته علنًا بل ويتحالف مع أعدائهم ويقاتلهم، حقًا إنه ينشد المال من أجل الإحسان فقط ولا يتوانى مطلقًا عن مساعدة المحتاجين والمساكين ؛ إلا أنه يفعل كل هذه الأفعال طلبًا للدنيا. فهدفه الاساسى فى الحياة الثراء وتكوين أسرة وتوفير حياة مرفهة كريمة والابتعاد قدر الإمكان عن العمل السياسى والحكومى، والتمتع بمباهج الدنيا. فهو بشكل مجمل مزيج من تعاليم سعدى ونمط تفكير أهالى ذلك الزمان وآراء الدستوريين المعتدلين من الطبقة الوسطى فى إيران .

لم يرغب خسروى فى صنع شخصيات أسطورية من أبطاله، ولكنه كان يهدف إلى أن يجسد أمام القراء ذلك العصر كما كان بكل مزاياه ومميزاته وعيوبه ومفاسده، وكذلك الطبقات المختلفة التى كانت تعيش فيه. كل شخصية من شخصيات القصة على الرغم من أنها تعبر عن نمط معين من الشخصيات، فإنها طبيعية وليست خارقة للعادة. فقد صور شخصيات شمس وطغرا وماريا وآبش خاتون والخادمين خرم وأميدوار وحتى الشخصيات الثانوية فى القصة بطبائعهم وصفاتهم الحقيقية بأسلوب أدبى محكم. فمهارة الكاتب الأساسية تكمن فى رسم الشخصيات وتصوير المجتمع ونمط الحياة والصفات الطبيعية والمعنوية لكل هؤلاء، ولعلنا لأول مرة نرى الأشخاص بخصالهم وأوضاعهم الطبيعية والإنسانية فى رواية إيرانية حديثة .

لم تطرح فى كتاب خسروى أى فلسفة محلية أو عالمية عميقة، فالآراء والموضوعات المطروحة فى القصة؛ كلها ضمنية غير مقصودة، فالهدف الأصلى للمؤلف كما ذكرنا هو تقديم كتاب لطيف وشيِّق كى يُقبل الإيرانيون على قراءة هذا العمل الأدبى .

والمؤلف بالطبع متمسك بالدين الإسلامى، فيمجده باستمرار، ويؤمن بأن بعض المسلمين يتصرفون على خلاف الإسلام ولكن ذلك لجهلهم وليس لقلة إيمانهم. فماريا البندقية ووالدها وخالها يعتنقون بسهولة الدين الإسلامى بعد أن تعرفوا عليه، وبالرغم من ذلك فالكاتب ينتقد بعض العادات السيئة التى صارت راسخة لدى المسلمين، ولا يخفى تأثره بالبدع التى ظهرت بينهم والتى صارت سببًا للفرقة بين الأمة .

ومن ناحية أخرى فبالرغم من هجومه الحاد على رجال الدين المسيحى واتهامه لهم بالفسق والفجور لا يستطيع أن يمنع نفسه من الثناء على صدق المسيحيين واستقامتهم ومحبتهم للأسرى وصفاتهم الطيبة الأخرى، وأن يعرب عن انفعاله عند مقارنة أمانة المسيحيين وتقدم بلادهم بما هو كائن ببلاده ؛ " فثلثا أهلها شحاذون وعاطلون، يعيشون على أموال غيرهم أو يمارسون السرقة وقطع الطريق ".

ومن الناحية السياسية والاجتماعية يعتبر وجود الحكام المستبدين " أداة انتقام وسوط تأديب إلهى ". ويرى أن السلطة لا تعنى الهيمنة على العالم ؛ وإن لم يكن الأمر كذلك فلابد من تحمل نتائجها. وفى نفس الوقت يوضح خلال حوار شمس مع ماريا مزايا الحكومة التى يشارك فيها الشعب والتى تحدد وتحترم حقوق أفراد الشعب وواجباتهم .

وأحيانًا يرسم الكاتب بقلمه أيضًا عبارات تعبر عن روح العصر : " فالعامة محرومون من العلم والمعرفة بحيث لا يفكرون فى عواقب الأمور. فلسبب ما يثيرون الشغب دون الاكتراث بمساءلة السلطان لهم أو الالتفات لما سيسفر عنه ذلك من قتل ونهب. وفى ذلك الوقت لا تفلح معهم مناشدات العقلاء والأعيان ولا نصائح ومواعظ العلماء، ولا يهدأون سوى بحد السيف وقتل الآلاف ".

وفيما يتعلق بالمرأة لا يقدم كتاب خسروى جديدًا. فزواج الرجل المسلم من عدة نساء أمر طبيعى. فنساء " شمس " لا يتملكهن الحقد والحسد تجاه بعضهن بعضا، بل يتعاملن معًا بكل الحب والود، وكل ما تفخر به المرأة هو الشرف والعفاف والوفاء لزوجها .

إن رواية " شمس وطغرا " تقف عند مفترق الطريق ما بين الأدب القديم والأدب الحديث فى إيران. ويسعى المؤلف كى يقدم عملاً جديدًا غير مسبوق سواء من ناحية الموضوع أو من ناحية الأسلوب الفنى. ويبدو فى هذه الرواية التاريخية الإيرانية بكل وضوح تأثير الرواية الفرنسية وعلى وجه الخصوص مغامرات ألكسندر دوما. ولكن رغم

كل المحاولات فطبيعة الشخصيات، وقصة غرام شمس وطغرا والأبطال الآخرين تشبه من جوانب عديدة الأساطير الإيرانية وقصص نظامى المنظومة ومَنْ قلدوه .

فصبر شمس وطغرا وماريا فى العشق وبكاء العشاق وأنينهم ووهنهم، وحالة شمس عند موت طغرا وحداده عند قبرها يذكرنا بحالة " المجنون " عند فراق " ليلى " وموتها، ونلاحظ الكثير من أوجه الشبه عند مقارنة هذه الرواية بمنظومة " خسرو وشيرين " : فالعاشقان فى قصة نظامى كلاهما من أسرة عريقة وكلاهما يتميز بالحسن والجمال مثل بطلى رواية خسروى، ويعشقان أحدهما الآخر، ويجتمعان قبل عقد الزواج .

ولكن فى المنظومة المشاعر عفوية وإنسانية. و "خسرو" لا يلتزم بعهده، وليس له غرض سوى نيل مراده من شيرين التى تلتزم بنصائح والدتها كى لا تفقد عذريتها إلى يوم زواجها، ولا تدع علاقتها بـــ " خسرو " تتجاوز حدود القبلات والملامسة، ولكن هذا التمنع ليس من باب الالتزام بعهد معين ولكن من باب العقل والمنطق وتحسب عواقب الأمور.

و "شيرين " مثل " طغرا " أيضًا ؛ لديها غريمة وهى " مريم " ابنة القيصر، ولكن هاتين الغريمتين لا يجمعهما أى نوع من التسامح والفداء بل حسد وحقد شديدان. فعندما يطلب "خسرو" الإذن من "مريم" لإحضار "شيرين" إلى القصر على أن يسلمها للقائمين على الحرملك ويعدها بألا ترى وجهها مطلقًا، تثور مريم وتهدد خسرو بالانتحار، ولما يفشل خسرو فى الأمر يفكر فى حيلة أخرى ويرسل لشيرين رسالة فى الخفاء:

مـــــن أجـــــل صـــــلاح حالهـــا   لـــن أفـــصح لهـــا بالمزيـــد عـــن رغـــبتى
فأخـــشى علـــى مـــريم مـــن فـــرط حزنهـــا   تـــــعلب نفـــسها مثـــل عيـــسى
فالأفـــضل أيهـــا القمـــر المحبـــوب   أن أحبـــك ســـرًا كالملائكـــة

ولكن شيرين تلومه وتعاتبه بكل غرور وإباء رغم غرامها وولعها به، وعندما تسمع نبأ موت مريم، تفرح لهذه البشرى .

ومرة أخرى يتذكر " خسرو " " شيرين " ويذهب للصيد حول قصرها، وتتمالك شيرين نفسها، وتتمسك بموقفها تمامًا وفى النهاية نرى خسرو :

قـــرر العمـــل وفـــق الـــشريعة وعقـــد النكـــاح علـــى أيـــدى الموابـــذة

بل إن " شكر " الأصفهانية التى لا تنحدر من أسرة عريقة والتى قيل فى وصفها إنما تتهادى كالنسيم وتجالس الجميع للشراب ؛ عندما ثبتت عفتها تدخل قصر " خسرو " لعقد مراسم الزواج .

وبالطبع لا يجب أن نتوقع من خسروى فى هذا العمل الأدبى الذى يعد أولى التجارب لكتابة رواية تاريخية على غرار الأدب الغربى أن يقطع كل صلته بأسلوب كتّاب القصة القديم وأن يُحْدث ثورة على حين غرة فى كتابة الرواية الإيرانية، ويكفى أنه خطى الخطوة الأولى وفتح لأخلافه الطريق للاقتراب من هذا الجنس الأدبى والارتقاء به .

لقد كتبت قصة خسروى مطابقة لما هو سائد لدى القصاصين الإيرانيين من حيث النقل والسرد، فالأحداث تتوالى فى ترتيب زمنى، ولا يسعى المؤلف للخروج عن موضوعه الأصلى من أجل تزيين قصته ووصل الأحداث الفرعية ثانية بأصل القصة. فالقارئ يشعر بالملل إلى حد ما نظرًا للإسهاب فى الموضوعات والتفاصيل الكثيرة والتكرار فى كثير من المواضع، فضلاً عن أن هذه القصة تخلو من التشويق الموجود فى الروايات الأوربية الذى يعطى للقارئ فرصة لمتابعة الأحداث بشغف كبير حتى النهاية .

كتبت الرواية بنفس الأسلوب المتداول لدى الإيرانيين المتعلمين فى ذلك الوقت، ولم يكن الكاتب من دعاة التجديد ولم يسع مطلقًا للتخلص من الكلمات العربية واستخدام الكلمات الأجنبية أو استخدام المفردات والمصطلحات العامية بنبعها الفياض بل إنه أفرط فى استخدام عدد هائل من الكلمات العربية التى تعتبر غير مألوفة لدى العامة

وكذلك التركيبات المأخوذة عن رسائل الفصحاء العرب مما يجعل قراءة الكتاب من الأمور الصعبة بالنسبة لغالبية القراء الإيرانيين ؛ إذ إنه موجه إلى الطبقة المتعلمة والمتوسطة فى إيران. والخلاصة يمكن القول: إن أسلوب رواية " شمس وطغرا " يقترب أكثر من الأسلوب السائد فى العصر الذى كان يعيش فيه أبطالها أى عصر الجلستان، ويبتعد عن ذلك المستخدم فى عصر التجديد والدستور والثورة الداعية إلى الحرية .

وتطالعنا فى صفحات القصة من حين إلى آخر عبارات قديمة وكذلك بعض الأخطاء والتجاوزات الإنشائية، واستخدام بعض الكلمات مثل " زنيت " و " معشوقيت " بدلاً من "زينت " و " عشق " وكذلك نطالع فى طيات الكتاب أشعارًا مثل شطرة " يا رب بأى طالع أتيت إلى الدنيا " لحافظ، وبيت:

احمـــرار الوجـــه ودقـــات القلـــب تفضح العاشـــق المـــسكين فى كـــل مكـــان

الذى يبدو أنه لشاعر من العصر الصفوى، وكليهما على كل حال من عصر متأخر عن زمن وقوع القصة .

يستخدم المؤلف أحيانًا أسلوبًا ساخرًا ويفرط فى استخدامه إلى حد الابتذال، وتجرى على لسان أبطال القصة كلمات لا تناسب رواية تاريخية جادة مما يقلل إلى حد كبير من قيمتها، ويستعرض زيجات شمس الثلاث فى سلسلة من المشاهد المختلفة التى لا تخلو من الإباحية. فعند وصف ليلة زفاف شمس على طغرا يتحدث المؤلف بجرأة شديدة وكأنه يقصد أن يبين كل الأمور المسفة بكل ما فيها من عرى كأنها أمر طبيعى، وخاصة لقاء شمس وآبش خاتون وما حدث فى تلك الليلة وقصة " ألفية وشلفية"(١) المصورة، واستخدام مرهم أهداه ملك الهند لجد الملكة، والأسوأ من ذلك كله أن قص شمس كل هذه الأمور فيما بعد لزوجته طغرا، وهذا دليل على جرأة المؤلف فى سرد مثل هذه الموضوعات .

---

(١) ألفية وشلفية : كتاب للحكيم الأزرقى ألفه لحاكم نيسابور طوغان شاه ابن شقيقه طغرل السلجوقى من أجل تقوية الرغبة الجنسية عنده بعدما أصيب بالوهن، يشمل الكتاب صورًا وأشكالاً عجيبة للجماع. وكلمة ألفيه كناية عن العضو الذكرى للرجل وشلفيه كناية عن فرج المرأة. (المترجم).

وبالرغم من كل هذه التفاصيل ورغم نقاط الضعف فى هذا العمل التاريخى التى ذكرناها تعد رواية خسروى نتاجًا جديدًا مميزًا لقريحة وموهبة إيرانية وأولى القصص المهمة ذات الطابع الاجتماعى والفكرى وهى " فريدة ولا نظير لها مطلقًا فى النثر الفارسي عبر القرون الأخيرة، وهى بلا شك العمل الوحيد الذى يستحق الترجمة للغات الأجنبية باعتبارها نموذجًا للأدب الفارسى الحديث "[(1)].

٢ – الشيخ موسى

ومن أولى الروايات التاريخية الفارسية الأخرى رواية الشيخ موسى كبودر آهنگى مدير مدرسة "نصرت" بهمدان، التى انتهى منها عام ١٣٣٤ هـ.ق، وطُبعت فى همدان على نفقة الأمير نظام [(2)]، وتسمى هذه الرواية " عشق وسلطنت يا فتوحات كورش كبير : العشق والحكم أو فتوحات كورش الكبير " .

أعد المؤلف عمله كى يكون رواية تاريخية تعليمية تبعث أمام القارئ عهد كورش مؤسس الأسرة الهخمانشية بكل عظمته .

وموضوعات الجزء التاريخى تعتمد على روايات المؤرخ اليونانى "هيرودوت" بمعنى أنه اقتبس فصل تأسيس الإمبراطورية الفارسية من تاريخ هيرودوت (الفترة ١٠٧ حتى ١٣٠) وجعله أساسًا لعمله، وأضاف إليه فى بعض الأحيان معلومات من الأفستا أو المؤلفات الفرنسية عن تاريخ الأسرة الهخمانشية .

تبدأ القصة منذ عام ٥٦١، قبل الميلاد العام الرابع والثلاثين من حكم آزيدهاك (أستياج) ومرحلة طفولة كورش. فملك الميديين يرى فى الرؤيا أن ابنته " ماندان " زوجة قمبيز قد ولدت شجرة كرم أظلت آسيا بأسرها، وتنبأ الكهنة بأن " ماندان "

---

(١) سيد محمد على جمال زاده، تقريظ ونقد لكتاب " دليران تنگستانى : أبطال تنگستان " لمؤلفه محمد حسين ركن زاده آدميت، طهران ١٣١٣ هـ.ش.

(٢) طبع الكتاب من جديد فى مجلدين عام ٢ – ١٣٤٣ فى بومباى .

ستلد ذكرًا يسيطر على آسيا كلها ويُدْخِل فى طاعته أسرة الميديين .فيأمر " آزيدهاك " (أستياج) وزيره "هارپاكوس" بقتل الوليد فى مهده، ولكن يشاء القدر ألا يُقتل .

فيدع " هارپاكوس" الطفل لدى أحد الرعاة " ميتراداتس " الذى يسلمه بدوره إلى زوجته، ويترعرع " اگرادات " لعشر سنوات بين الرعاة وأبنائهم دون أن يتعرف أحد على شخصيته. وذات يوم يلعب مع رفاقه فى القرية، ويختاره رفاقه ملكًا، فيأمر بجلد أحد أبناء النبلاء الميديين لعدم امتثاله لأوامره ؛ وذلك بناءً على تفاصيل اللعبة ووفقًا لرسوم بلاط "أكباتان"[1]. فيشكو الطفل لوالده، والده بدوره للملك، ويسفر التحقيق عن إفشاء السر، ولكن الكهنة أخبروا الملك بأنه طالما وُلِد من صلبك وليدًا ذكرًا وتولى الحكم خلال اللعب فهو لن يتولى الحكم مرة ثانية ولا ينبغى الخوف والحذر منه. ويأمر الملك بإرسال "اگرادات" الذى يُعرف فيما بعد باسمه الحقيقى "كورش" إلى مدينة «پازارگاد»[2] (مرغاب)، وبعد فترة يبايعه أبطال فارس فيتمرد على الدولة الميدية ويهزم آزيدهاك (أستياج) فى القتال ويأسره ويؤسس إمبراطورية ضمت فارس وبلاد الميديين .

هذا ملخص للقصة التى أسهب فيها المؤلف وأضاف لها مذاقًا من العشق والقتال .

القصة ليست جذابة أو مشوقة إلى حد كبير، وهى فى الحقيقة مقالة أو رسالة تاريخية زاد من حجمها التواريخ والسنوات والتعليقات المتعلقة بالآثار القديمة والأساطير، والملاحظات التاريخية المفصلة. وفى الفصل الخاص بمدينة " پازارگاد" (مرغاب) والاحتفال الذى أقامه أهالى المدينة لا يتناسب مع أحداث القصة، ولكنه يقطع سياق الحديث ويقدم شرحًا لمعتقدات أهالى فارس والميديين معتمدًا على هذه العبارة ؛ الآن " نقدم للقراء بضعة سطور عن معتقدات الفرس ".

---

(١) أكباتان : عاصمة الميديين، وهى مدينة همدان حاليًا (المترجم) .

(٢) پازارگاد : الاسم القديم لمدينة مرغاب (المترجم) .

يبذل المؤلف جهدًا كبيرًا كى لا يقع فى أخطاء فاحشة عند ذكر الأحداث التاريخية، ويلتزم تمامًا بالدقة الشديدة فى تواريخ الوقائع وأسماء الأشخاص والأماكن ويكتبها بعدة صور. فعلى سبيل المثال بعد ذكر العام الزرادشتى يذكر ما يعادله بتقويم ما قبل ميلاد المسيح وما قبل الهجرة أيضًا، أو يضيف بعد " أكباتان " اسمها المعاصر " همدان "، وكذلك بحر " آبسكون " " بحر قزوين "، و " ميترادات " " مهرداد ". ورغم ذلك فمن دواعى الأسف أنه يذكر الأسماء الإيرانية باستمرار بصورتها الفرنسية ولا يكلف نفسه ذكرها بالصورة التى يألفها القراء الإيرانيون[1]. والعجيب أن المؤلف فى مثل هذا العمل الذى يتناول العصور القديمة لا يبدى أى اهتمام لاستخدام الكلمات الفارسية الأصيلة وتجنب الكلمات العربية التى دخلت اللغة الفارسية بعد عدة قرون، فى حين كان ينبغى أن يكون العمل مشحونًا بالكلمات والمصطلحات الفارسية الأصيلة قدر الإمكان.

وأسلوب تأليف الكتاب هو نفس الأسلوب المعتاد والسائد فى الصحافة، وبه أخطاء نحوية كثيرة .

ويستشهد الكاتب خلال القصة بأشعار لسعدى وغيره من الشعراء الإيرانيين الذين عاشوا بعد زمن الرواية بقرون على غرار القصص الإيرانية القديمة، وتجرى على لسان الأبطال كلمات لم تكن معروفة لدى الإيرانيين فى ذلك الوقت مثل كلمة " أوربا " وغيرها. كما أن الحاجب الشاب " هرمز " عندما كان فى ليبيا مع " سياگزار " [2]، يتعلم بعض الأغانى والمقامات التركية من الأتراك المقيمين بها ويشدو لـ " سياگزار" بأشعار تركية فى حضور كورش على موسيقى قراباغية، ويتأثر سياگزار مع سماعه لها وكأنه يعرف التركية :

(١) الأعجب أنه بدلاً من أن يستخدم المصطلحين المتداولين تمامًا " آسيا الصغرى " و " الخليج الفارسى " يذكر ترجمتهما الفرنسية آزى مينور (Asie mineur) وگلف پرسيك (Golfe persique) .

(٢) " هوخشتره" (حكم من ٦٢٥ حتى ٥٨٥ ق.م) من أقوى الملوك الميديين، واسمه باليونانية "كياكسار" ويكتب فى الفارسية أيضًا " سياگزار " وفقًا لتسميته الفرنسية (Cyaxares) (المترجم) .

هجــــران ســــتمى يمــــانميش يلمزايــــديم   هجــــران ســــتمى يمــــانميش يلمزايــــديم
بيلــــسيديم اگــــر بيلــــه اولــــور درد فــــراق   واللــــهى اولونجــــه ســــندن آيريلمزايــــديم[1].

إن وصف المشاهد والمجالس والأشخاص والمسامرات بجرأة يُعد تقليدًا غير مقبول للنموذج الأوروبى، وبشكل عام لا تتمتع الرواية بقيمة فنية كبيرة إلا أنها جديرة بالاهتمام لكونها واحدة من أوائل الأعمال الفارسية من هذا الجنس الأدبى. ولا نرى ضرورة لتقديم تحليل موجز عن هذه الرواية حيث سأتحدث عن رواية المؤلف المسماة «ستاره‌ء ليدى:نجمة ليديا »

٣ - بديع

إن " داستان باستان يا سرگذست كورش : قصة الماضى أو تاريخ كورش " تعد إحدى الروايات المصنفة ضمن هذه المجموعة. مؤلفها ميرزا حسن خان بديع نصرة الوزارة، ولد عام ١٢٥١ ش، فى كاظمين. ولد والده الشيخ محمد رضا بهبهانى فى شيراز، وفى شبابه أقام فى البصرة بغرض التجارة. وهناك تعلم بديع العلوم الأدبية والعربية، كما تعلم اللغة الفرنسية. وأثناء المرحلة الدستورية أسس رابطة الإيرانيين فى البصرة ونشر أشعارًا ومقالات ثورية فى صحيفة حبل المتين، وبعد خلع "محمد على شاه" واستقرار الدستور أخذ ينشر أيضًا أشعارًا ومقالات عن أوضاع إيران فى الصحف؛ من بينها قصيدة ساخرة عن الألقاب ونشرها فى " حبل المتين " .

قدم بديع عام ١٢٩٩ ش، إلى إيران، وعُين فى القنصلية الإيرانية بكربلاء ثم فى البصرة وبغداد وبيروت إلى أن مات عام ١٣١٦ ش، بالسكتة الدماغية .

ومن أعمال ميرزا حسن خان بديع كتاب فى قواعد اللغة الفارسية، وآخر عن تاريخ البصرة (١٣١٦ش) وديوان (بومباى ١٣٣٢ هـــ.ق) وترجمة عن الفرنسية بعنوان

---

(١) لــــم أدرك أن ظلــــم الهجــــر شــــديــــد   فأنا لم أقــــدم الشكر عن أيام الوصال
لو كنت أعلــــم أن آلامه تؤذى الروح إلى هذا الحد   باللــــه ما ابتعدت عنك إلى لحظة موتى .

(داش مشتى پاريس : فتوة باريس " وله روايتان بعنوان " داستان شمس الدين وقمر : حكاية شمس الدين وقمر "[1] و " داستان باستان : قصة الماضى " .

إن الرواية سالفة الذكر التى نُشرت فى طهران عام ١٢٩٩ ش، تأخذنا إلى عهد كورش الكبير مثل رواية الشيخ موسى. ومؤلف هذه الرواية يستفيد من الروايات التى ذكرها هيرودوت مثل سلفه. ولكن لم ينهج الاثنان نهجًا واحدًا، بمعنى أن بديع تميز بالجرأة وأراد أن يمزج المشاهد التى صورها المؤرخون اليونان بروايات الشاهنامة .

والموضوع الأساسى للرواية يدور حول قصة " بيژن ومنيژه " الرومانسية اللطيفة المأخوذة عن ملحمة الفردوسى الضخمة. ولكن يسعى الكاتب لوصف المجالس — التى رواها الفردوسى بشكل أسطورى — فى إطار النتائج التى توصل إليها الباحثون الغربيون، وهذا فى حد ذاته أمر صعب ومعقد جدًا، حيث يتطلب قدرة علمية فائقة فضلاً عن التمكن من فن الرواية .ولا يخلو عمل بديع من أخطاء أسلافه. فلم يستطع تصوير العصور الإيرانية القديمة بأسلوب فنى، حيث يطغى الجانب التاريخى والتعليمى على بناء الرواية. ولكننا إذا أخذنا فى اعتبارنا حداثة هذا الجنس الأدبى فى الفارسية فيجب أن نقر له بما حققه من توفيق كبير، فبرغم كل المصاعب التى واجهها نجح إلى حد كبير فى هذا العمل وقدم قصة بديعة شيقة .

٤ – صنعتى زاده

من الروايات الأخرى فى هذا المجال " دام گستران يا انتقامخواهان مزدك : ناصبو الشباك أو المنتقمون لمزدك " لصنعتى زاده الكرمانى التى طُبع القسم الأول منها للمرة الأولى عام ١٣٣٩ هـ.ق، فى بومباى، وصدر القسم الثانى منها عام ١٣٤٤ هـ.ق، فى طهران [2].

---

(١) نشرت هذه الرواية فى البداية عام ١٣٢٦ هـ.ق، فى بوشهر، ثم أُعيد طبعها، فى طهران عام ١٢٩٧ هـ.ش. لم أطالع هذه الرواية ولا أعرف موضوعها ولا الفترة الزمنية التى تناولتها .

(٢) ألف هذا الكتاب فى حدود عام ١٣٢٩ هـ.ق، ولكن صدر المجلد الأول منه فى بومباى بعد عشر سنوات .

ولد عبد الحسين صنعتى زاده الكرمانى بن الحاج على أكبر صنعتى فى التاسع عشر من ذى القعدة ١٣١٣ هـــ.ق، فى مدينة كرمان، وسعى منذ الرابعة عشر من عمره لكسب الرزق والعمل بالتجارة، كما بدأ بالتأليف منذ شبابه .

ناصبو الشباك : بدايةً يحملنا المؤلف فى هذا الكتاب إلى عصر كسرى أنوشيروان، ويوضح باختصار نهاية ثورة مزدك المؤلمة، ثم يشرح خلال متن القصة أحداث عصر يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين وغزو المسلمين لإيران بقيادة سعد بن أبى وقاص ومعارك القادسية والمدائن وجلولاء وهزيمة نهاوند وسقوط عرش يزدجرد وتاجه وهروبه هائمًا على وجهه حتى اغتياله على يد " ماهوى سورى " فى مرو ؛ وبشكل عام أحداث عشرين عامًا من حكم يزدجرد منذ ٦٣٢ حتى ٦٥٢م التى واكبت خلافة أبى بكر وعمر وفترة من عهد عثمان.

خلاصة القصة : نتيجة للأحداث سالفة الذكر ومقتل عدد من الأمراء الساسانيين أصيب يزدجرد بالهلع ؛ لذا يبنى لنفسه مخدعًا بأبواب سرية حتى يستريح فيه بلا قلق. ولإنجاز هذه المهمة يكلف أربعة بنائين أبناء رجل سجين منذ عشرين عامًا بتهمة اعتناق الديانة المزدكية، وبعد الانتهاء من المهمة يقدم يزدجرد بيده لكل واحد منهم كأسًا من الشراب الملكى على سبيل التكريم فى مقابل مجهودهم، ويكون الشراب مخلوطًا بالسم، فيموت ثلاثة منهم، وتكتب النجاة للأخ الأكبر " ماهوى" لإدمانه تعاطى الأفيون، فيقسم على الانتقام لإخوانه ولكل أتباع مزدك ومحو سلالة الملك الجبار من على وجه الأرض، ثم تدور كل الأحداث حول خطته ومحاولاته فى هذه السبيل. يؤكد مجتبى مينوى[١] فى مقدمته للطبعة الثانية من الرواية على وجود اختلافات بين موضوعات الكتاب وما جاء فى كتب التاريخ الموثقة فيما يتعلق بالحروب بين العرب والفرس وتاريخ مقتل يزدجرد واغتيال ثانى الخلفاء عمر وغيرها من الموضوعات. ولكنه بالرغم من ذلك يقر بأن التحريف والخلط عند تناول هذه الموضوعات، وكذلك

(١) مجتبى مينوى، مقدمة المجلد الثانى لرواية ناصبو الشباك، طهران ١٣٠٤ ش.

الإضافات غير الموثقة التى من الممكن أن تشوه التاريخ تعد من الأمور التى لم يقع فيها كتاب الرواية وحدهم، بل أيضًا أولئك الذين ألفوا كتبًا باللغة الفارسية خلال القرنين أو الثلاثة قرون الماضية خاصة فى مجال التاريخ .

وفيما يتعلق بهذا الموضوع يجب الانتباه إلى أن التأريخ لم يكن هدفًا لمؤلف القصة، فالتتبع والتدقيق الشديد وتطابق الموضوعات مع الحقيقة والواقع بشكل تام كما هى الحال فى التأريخ ليس من الأمور الواجب توافرها فى الروايات والكتب الأدبية التى تُكتب بهدف إحياء المفاخر التاريخية أو تحريك المشاعر. ونحن ندرك بوضوح أن أولئك الذين يمسكون بالقلم لكتابة الرواية وينقشون رسائل تاريخية على أعمالهم وأبطال قصصهم – ليس فى إيران فقط بل على مستوى العالم – يسعون لخلق مشاهد حية وثرية ومغامرات وعلاقات ومشاعر لإكساب القصة التشويق والإثارة .

وبشكل عام استطاع المؤلف فى هذه القصة أن يحقق هدفه ألا وهو تحليل التدهور الأخلاقى والاجتماعى والمعنوى لدى الإيرانيين خلال مرحلة فتوحات العرب المسلمين، وأن يوضح بجلاء الأسباب التى أدت إلى سيطرة حاملى القرآن على الإمبراطورية الساسانية العظيمة فى فترة وجيزة ؛ وهى الحقيقة التى تحدث عنها العلماء كثيرًا .

النصف الأول من الكتاب مشوش وغير متسق وبه أخطاء لغوية ومطبعية كثيرة. وكان المؤلف نفسه يدرك هذه المسألة فيقول إنه " قد انصرف عن تصويب الأخطاء الإنشائية فى سبيل توضيح أفكاره فى مرحلة الشباب وترك تذكارًا له من تلك المرحلة "، بل إنه لم يرغب فى نشر القسم الثانى من الكتاب، وذلك بعد أن صدر المجلد الرابع من ناريخ الأدب فى إيران لمؤلفه إدوارد براون، والتحليل الذى ورد به لقصة "ناصبو الشباك"، كما أنه أذن بطبع القسم الثانى بتشجيع من مجتبى مينوى وإلحاحه[1] .

---

(١) مقدمة مجتبى مينوى على المجلد الثانى من رواية " ناصبو الشباك "، طهران، خرداد ١٣٠٤ ش.

" إن كتاب «المنتقمون لمزدك» ليس مجرد لوحة تعبر عن التدهور الأخلاقى والسياسى للدولة الساسانية بل تهدف إلى توعية المواطنين (الإيرانيين) بالأخطار المشابهة فى ذاك العصر والتى تهدد إيران مع سقوط الأسرة القاجارية وتوضح أن المخاطر الداخلية والخارجية تهدد إيران فى هذا الزمان كما كانت فى الماضى "[١].

داستان مانى : **قصة مانى** : فى عام ١٣٤٥ هـ.ق صدرت رواية تاريخية أخرى تأليف " صنعتى زاده " عنوانها «قصة مانى الرسام» وهى عن حياة مانى الأسطورية صاحب الديانة الشهيرة، وهى لا تخلو من نفس الأخطاء التى وردت فى قصة مزدك فضلاً عن أنها لا تتميز عليها من ناحية الأسلوب الأدبى والقيمة الفنية .

ويمتدح المستشرق الروسى "بازيل نيكيتين" أعمال صنعتى زاده ويقول عن هذه القصة: " إن قصة مانى تبعث فى النفوس مشاعر الوطنية والفداء فى سبيل الدولة والأمة "[٢].

ويضيف المستشرق المذكور: " يريد الكرمانى أن يؤهل المجتمع ويهيئه ... فيوضح المؤلف للجيل الحالى أن الأمة التى تميز أبطالها فى القرون الماضية بالأخلاق واللياقة البدنية قد صارت ضئيلة جدًا، فهو يريد على وجه الخصوص أن ينبه الغافلين ويحثهم على المشاركة ... كما نلمح فى كتابات الكرمانى نوعًا من المشاعر الإنسانية الشاملة أيضًا، فمانى على سبيل المثال يهب الكنوز التى جمعها إلى الناس كى يخلصوا الأرض من اختلافهم العرقى والقومى والدينى"[٣].

ثانياً : **الروايات الاجتماعية**:

وتعد الروايات الاجتماعية النوع الثانى من الروايات الفارسية الحديثة، وأخذت تعرض جوانب من الحياة المعاصرة. وقد دفعت مطالعة الروايات الأوربية الكُتاب

---

(١) مقدمة نيكيتين على كتاب " نادر فاتح دهلى " .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

الإيرانيين لتقليدها، وتناولت هذه المجموعة من الروايات الأهداف القومية وبيان آلام المجتمع ومشاكله مثلما فعلت الكتابات السياسية الفكاهية والساخرة، وفى الحقيقة أصبحت الروايات الاجتماعية بالنسبة للبرجوازية الإيرانية الحديثة وسيلة أخرى لمساندة النبلاء والتعبير عن ظروفهم المعيشية والآلام والمصائب القومية. ولقد أثرت هذه الروايات "القومية" كما سنرى فى الأدب الإيرانى الحديث.

١. مشفق كاظمى

أولى المحاولات فى هذا المجال رواية " مرتضى مشفق كاظمى " الضخمة بعنوان «تهران مخوف : طهران الرهيبة » والتى حظيت بشهرة واسعة فى عصره .

فالمؤلف الشاب دارس للحقوق وعضو هيئة تحرير مجلتى " إيرانشهر " و " فرنگستان " ببرلين، ثم عاد إلى إيران وتولى لفترة إدارة " إيران جوان " .

تهران مخوف : **طهران الرهيبة**(١) : يصور كاظمى فى هذه الرواية قصة شاب سليل أسرة من النبلاء أصيبت بالفقر وضيق ذات اليد، يقع فى غرام ابنة عمته وكان والدها من نبلاء طهران الأثرياء .

" فرخ " و " مهين " يشبان معًا منذ الطفولة ويشعران معًا بالألفة ويجمعهما الحب. "فرخ" مهتم بالدراسة وقلما تسنح له الفرصة للقاء رفيقة اللعب فى مرحلة الطفولة، ويمر الزمان، وتتوطد علاقة الحب والغرام بين الاثنين. ولكن عندما يذهب " فرخ " بعد انتهاء اختباراته إلى منزل عمته، توضع العراقيل للحيلولة دون لقائهما، ولكنهما لا يعدمان الوسائل للحفاظ على علاقتهما .

---

(١) هذه الرواية تقع فى مجلدين. المجلد الأول يضم أربعة أجزاء، نشر فى البداية عام ١٣٤١ هـ.ق، فى صحيفة "ستاره‌ء إيران " ثم صدر عام ١٣٤٣ هـ.ق، فى كتاب مستقل بطهران. والمجلد الثانى الذى أطلق عليه المؤلف عنوان "يادگار يك شب : تذكار ليلة " يقع فى جزءين، صدر الجزء الأول عام ١٣٤٢ هـ.ق، عن مطبعة "كاويانى" ببرلين، وصدر الجزء الثانى بعد عدة شهور عن مطبعة الملحقية التجارية للاتحاد السوفيتى فى طهران. تُرجمت " طهران الرهيبة " إلى الروسية على يد "ناردوا" عام ١٩٤٣م وطبعت فى موسكو، كما تُرجمت إلى اللغة الآذرية تحت عنوان "قورقولى تهران".

" ف... السلطنة " والد " مهين " كان فى أول شبابه فقيرًا، ولكنه أصبح الآن ثريًا وذا منصب مهم نتيجة لعدد من الأحداث المواتية والأعمال غير المشروعة، وأصبح غير مستعد مطلقًا للتعامل مع أقاربه الفقراء .

زوجته " ملك تاج خانم " امرأة أمية جاهلة تناست الماضى كلية، ولا تذكر عنه شيئًا مطلقًا، حيث كانت تعيش فى مترل أخيها بعد وفاة والدها. الآن وقد دار الزمان دورته، وعلا شأنها، هجرت أخاها تمامًا ولا توافق مطلقًا على زواج " فرخ " الفقير المعدم من ابنتها.

وخلال هذه الأحداث يتقدم الأمير " ك ... " صاحب الأملاك لخطبة " مهين " لابنه "سياوش ميرزا"، ويأمل " ف ... السلطنة " البخيل الذى تدهورت مكانته فى الوزارة فى التقرب للأمير كى يحظى بنيابة المجلس ثم الوزارة عن طريقه .

و " سياوش ميرزا " شاب فاسق وفاسد يرافقه باستمرار خادم محتال وغشاش يسمى "محمد تقى" ويشاركه أعماله .

يحمل الكاتب القارئ لأحد بيوت الدعارة ويطلعه على البؤس الذى يعم المكان من خلال أحاديث النسوة ليلاً. ومن خلال هذه الأحاديث تبدو قصة " عفت " أكثر تشويقًا .

فهى ليست كبقية صديقاتها ابنة بزاز أو قصاب بل هى الإبنة الوحيدة لاحدى الأسر الكبيرة فى طهران، ووالدها من رجال البلاط لدى الشاه الشهيد [1] ومظفر الدين شاه. يتقدم الكثيرون لخطبتها، وتخطب فى النهاية لشاب فى الخامسة والعشرين من عمره يعمل نائب مدير الإدارة الحسابية بالوزارة ، وفى ليلة عرسه يتنازل عن عروسه ويسلمها لـــ "المبجل أشرف " رئيس إدارته، وفى مقابل هذه الخدمة يتولى فى اليوم التالى رئاسة الإدارة الحسابية فى الوزارة .

---

(١) ناصر الدين شاه، والد مظفر الدين شاه (المترجم) .

وتتكرر مقابلات " عفت " بـــ " المبجل أشرف "، ثم يخنها زوجها على لقاء رئيس الوزراء الجديد ؛ وهو من معارفه ومن أصدقاء المبجل أشرف. وفى مقابل هذه الخدمة يتولى أيضًا رئاسة الوزارة فى أصفهان. وفى أصفهان يرسلها زوجها فى حالة مزرية إلى منزل امرأة أصفهانية عجوز إثر مشاجرة بينهما .

وتذهب المسكينة فى عربة إلى طهران بعد بيع ساعتها الذهبية، ولكنها فى الطريق تروى بسذاجة قصتها لسيدة تتعرف إليها أثناء الرحلة، فتستدرجها السيدة بالحيلة والدهاء إلى أحد بيوت الدعارة، ثم تنتقل من هناك إلى أحد البيوت التى لاتزال قائمة حتى الآن .

وصاحب السمو " سياوش ميرزا " المولع بالعاهرات يعلم عن طريق خادمه " محمد تقى " أن " امرأة " جديدة قد قدمت إلى أحد هذه البيوت. فيذهب إلى هناك ويرى «عفت» ويعجب بها. ولكن جنديًا ثملاً من جنود القوزاق يدخل ذلك البيت، ويعتدى على عفت والأمير فيصيبهما بجروح، وبالمصادفة يخرج " فرخ " للتجول عند خندق غارقًا فى أفكاره المشوشة، وفى سكون الليل يسمع صياح صاحبة المنزل وصراخها فيدرك أن أحدًا يتعرض للخطر، فيسرع إلى هناك ويخلص " سياوش " دون أن يعرفه من شر جندى القوزاق الثمل، وينتشل عفت من وكر الفساد، ويحملها إلى منزله، ثم يخبر والديه بالواقعة ويعيد تلك الفتاة البائسة إلى منزلها .

يلتقى " فرخ " و " مهين " فى الليل سرًا. ويفكر والدا " مهين " فى حيلة لقطع علاقتها بفرخ، ويخططان لاصطحاب الفتاة إلى " قم " للزيارة، فلعلها تنساه فى البعد، ليزوجاها بعد عودتها للأمير " سياوش ميرزا ". ولكن عبر طريق السفر يضع " فرخ " خطة عجيبة، ويختطف محبوبته، ويعيدها إلى طهران ويصطحبها إلى قرية " أفين " ويقضى الليل معها.

وعند سماع والد " مهين " الخبر، يلقى القبض على " فرخ " وخادمه بمساعدة رجال الشرطة، ولكن يُفرج عن " فرخ " بشروط، ويُزج بخادمه فى السجن باعتباره مجرمًا ولصًا خطيرًا .

وعندما يطلق سراح " فرخ " يفكر في تحرير خادمه الوفي، وفي البداية يلجأ لزوج " عفت" ولكنه يرفض طلبه .في النهاية يلجأ إلى أحد اللالي المشهورين ذوي النفوذ ويشتري وساطته بالرشوة، ويحرر خادمه الوفي من السجن .

يستجير فرخ بـــ " سياوش ميرزا " آملاً في شهامته بعد أن أنقذه من الموت ؛ ولكنه يستهزئ به. وفي النهاية يقام احتفال لعقد زواج " مهين " من " سياوش ميرزا "، ولكن "مهين" ترفض الزواج منه ويغشى عليها. وتطوى مراسم العقد، ويأتي الطبيب للكشف على المريضة، فيقول لوالد العروس بأن " ابنتك حامل " .

يقرر " ف ... السلطنة " الانتقام، ويعقد مجلسًا للمشورة ضم " سياوش ميرزا " وزوج عفت وأخاه حيث إنهم يجاهرون بكراهيتهم الشديدة لفرخ، ويلقى القبض على فرخ على أيدي الشرطة بعد تنفيذ خطة ذكية، ويُنفى مع عدد من المتمردين إلى "كلات"، وعلى هذا يتم التخلص من فرخ .

وتلد مهين ولدًا من فرخ، وتموت أثناء الولادة، وعلى هذا النحو ينتهي المجلد الأول من الرواية .

ويتناول المجلد الثاني عودة " فرخ " وانتقامه من الأعداء، حيث يفر من الحراس في منفاه بمساعدة القرويين، ويذهب إلى باكو. وفي ذلك الوقت تبدأ الثورة الروسية العظمى، فيأتي "فرخ " إلى إيران مع الثوار، وبعد هزيمتهم في الرشت ينضم لقوات القوزاق، ويدخل العاصمة في ربيع عام ١٣٣٩ هـــ.ق، مع فرق القوزاق .

ويبدأ الانقلاب ويُعْتقل عدد من الشخصيات والخونة في الأجهزة الحكومية، وبناء على الإذن الذي حصل عليه " فرخ " من قائد القوات، يعتقل بنفسه والد "مهين" ثم زوج "عفت". ويودعهما السجن، " ويأمل أن يراهما في المستقبل القريب واقفين أمام منصة العدالة " ولكن ....

تسقط الوزارة فى شهر رمضان، ويصدق الشاه على قرار بإطلاق سراح السجناء، وحملهم فى عربات إلى المجلس .

يفشل الانقلاب و " تقترب إيران ثانية من شفا كارثة الفناء "، " لا توجد حيلة، يجب عقد الأمل على الانتقام الإلهى " .

فرخ الذى رزق بطفل من مهين عليه أن يتولى تنشئته ويحسن تربيته، فلا يجد سبيلاً سوى الارتباط بعفت التى يعيش ابنه فى كنفها كى يحيا هذان البائسان حياة هادئة ويخففا آلام أحدهما الآخر بعد أن تجشما العناء والآلام لسنوات طويلة .ولا يزال يحدوه الأمل أن " المنتقم الحقيقى " سيأتى للقضاء على شر أعداء الحرية والإصلاح.

تحليل القصة

كما يتضح من هذا الاستعراض المجمل أن الهدف الرئيسى للمؤلف بيان الوضع البائس والمزرى للمرأة فى إيران .

حقًا إن طهران كما وصفها، هى طهران الرهيبة على أعتاب انقلاب سيد ضياء الشهير؛ بيئة لا قيمة فيها للفضائل ولا النقاء. فالجهل والاستهزاء والخيانة والخسة واللامبالاة والسلطات غير المشروعة تسد الأبواب أمام الأشخاص الأكفاء، وتفتحها أمام عديمى الكفاءة والحمية. فالشباب يفضلون العبث والإباحية والعزوبة والحرية المطلقة فى تعاملهم مع النساء المشهورات عن الحياة الأسرية. والنساء والفتيات يتعرضن للاعتداء والتحرش. والأحرار والوطنيون يعيشون فى المعتقلات ويتعرضون لألوان العذاب. ويعم اليأس والانتظار والقلق كل مكان، والجميع يتمنى الإصلاح وهى الأمنية التى لا يعرفون بشكل محدد السبيل لتحقيقها .

المجلد الأول من الرواية حتى عودة " فرخ " من المنفى هو القسم الأقوى من الرواية. فهنا يُقَدَّم " فرخ " باعتباره مناضلاً متحمسًا، يشعر بالآلام التى تعانى منها الدولة ويدرك المصاعب التى تواجهها، ويئن هو والمقربون منه من جراء تصرفات كبار رجال الدولة الفاسدين. ويصمم بطل الرواية إعلان الحرب على أولئك الذين لا يملكون سوى الثروة والمناصب، والتصدى لقوة المال التى تحقق على الدوام النصر .

وعلى الرغم من ذلك، فبعد كل الآلام والتعذيب الذى تحمله، والوعود التى قطعها على نفسه وقدمها لأقرانه فى سبيل الانتقام، عندما ينظر القارئ إليه بين فاتحى طهران يتوقع أن يستخدم مهاراته للوصول إلى الطريق القويم وإقرار " النظام الجديد " الذى كان ينشده ؛ ولكن هذا التوقع لا يتحقق مطلقًا. فهو يعتبر الثورة وسيلة للتخريب لا غير ؛ لا سبيلاً للبناء والتأثير. فعندما يُهزم الثوار ينضم إلى فرق القوزاق، ويدخل معهم طهران، ولكنه خلال هذا الدرب الجديد الذى اختاره، يؤمن بضعفه. فهو يعبر عن خسارته ليس فقط فيما يتعلق بمبادئه وأهدافه ولكن أيضًا فيما يرتبط بثأره الشخصى. فذلك الشخص الذى حصل على إذن من القائد العام يدعى أنه ذاهب " الآن فى سبيل الانتقام " ولكنه يرتعد ويخفق قلبه حين يواجه والد " مهين " ؛ ذلك الرجل الذى يعتبره صورة حية للفساد وسببًا لآلامه وبؤسه. وحين يسأله الضابط المرافق له " هل يمكننا الآن تنفيذ الحكم ؟ " يقول بصوت حزين : " وما الفائدة " .

إن حالة فرخ النفسية وشعوره بالاستياء تعبر عن حالة الاستياء التى سيطرت على المستنيرين قبيل الانقلاب. إن مشفق كاظمى برغم نقده اللاذع لمجتمع النبلاء اكتفى بالمطالبة " بإصلاحات عادلة "، ولا يرى فى نفسه أو فى أقرانه القدرة التى تؤهلهم لإصلاح جذرى للوضع القائم فى المجتمع الإيرانى .

ولا يرى أى سبيل للتخلص من الوضع " الرهيب " السائد، وكما نرى تنتهى الرواية على نحو يكسوه التشاؤم.

إن إرادة " مهين " تستحق الإشادة. فهى تعلم أن البيئة الاجتماعية لا تسمح للمرأة بأى تجاوزات، وإلا وُصمت فى شرفها وعفتها. وبالرغم من ذلك تقدم على تضحية كبيرة. إنها لم تستسلم لرغبة فرخ عن سذاجة وعفوية، فهى تطمئن إليه وتعشقه، وهذا شىء يختلف عن العفة، فهى تنظر لسنوات إلى فرخ باعتباره زوجها. " فقرانها من فرخ قد عُقِد بأواصر أقوى، والعلاقة الطبيعية لهذين الكيانين ببعضهما لا تحتاج إلى شهود ".

إن بعض أحداث الرواية وخاصة قصة " عفت " واستسلامها ليلة زفافها بكل سذاجة وسهولة لطلب زوجها غير المشروع واللاإنسانى ومضاجعتها لـــ " المبجل أشرف "، ثم رئيس الوزراء الجديد ؛ تعد من الأمور المفرطة فى المبالغة وتفوق التصور. وكأن المؤلف يتعمد عرض تلك الأمور بشكل يفوق الواقع إباحية وافتضاحًا من أجل إثارة اهتمام القراء .

أما عنوان الرواية فهو ملائم جدًا ومناسب، فطهران التى نراها ونتعرف عليها فى هذه القصة تشبه إلى حد كبير طهران الحقيقية على الرغم من أوصاف القبح المبالغ فيها. وندرك بسهولة أن الأمة الإيرانية بالرغم من المصائب التى حطت عليها فى العصور الماضية فإنها قد صارت على شفا كارثة " رهيبة " أكثر خطورة زمن وقوع تلك الأحداث .

إن رواية " طهران الرهيبة " رغم كل ما بها من عيوب ومثالب قد أثرت بلا شك تأثيرًا كبيرًا على المؤلفات اللاحقة وعلى إيقاظ الأمة الإيرانية .

تعرف المؤلف على تقنية الرواية الأوربية أكثر من أسلافه. فهو يطرح الموضوعات بأسلوب أكثر تشويقًا يجذب القارئ لقراءتها. إن دواعى التشويق فى الرواية بالرغم من أنها مفتعلة جدًا ومعقدة فإنها قوية إلى حد كبير. فقد جعل الكاتب العلاقات المختلفة تتشابك معًا بصعوبة كبيرة، وبالرغم من ذلك كانت لديه القدرة لجعل المشاهد والأحداث تبدو طبيعية إلى حد ما .

إن أسلوب الرواية غير أدبى أو رصين، ولكنه على كل حال بسيط ومفهوم، وتوجد فى الرواية نقاط ضعف من الناحية الإنشائية بل وأخطاء وشواذ نحوية أيضًا .

تعتبر رواية كاظمى وثيقة دعوى واتهام قوية طرحت على الرأى العام للبت فيها، وتحلى الكاتب بالجرأة لكشف أقبح جوانب الحياة الإيرانية التى يسعى المنافقون على الدوام لإخفائها وراء حجب من الشرف. فالمشاهد التى يصورها للقراء على مرمى البصر

تضم جميع الطبقات وكل شئون الحياة وبنية المجتمع الإيرانى، ويفتضح بلا مواربة الصفات القبيحة المستشرية مثل الخيانة والرشوة وفساد الطبقات الحاكمة والأجهزة الحكومية. فيعرض الكاتب مشاهد حية وواضحة عن حالة المحال والمقاهى، وغرز استحلاب الأفيون وبؤر الفساد، والطرق ودور البريد عبر الدولة، والسفر على عربة تجرها الحمر، والحنطور ووسائل النقل فى المدن، والملابس، والأفكار، المؤامرات السياسية، والأمية والجهل والمعتقدات الشعبية وخاصة اعتقاد النساء فى السحر والأعمال، وبشكل عام واقع حياة المجتمع الإيرانى .

لقد وعد المؤلف الشاب فى مقدمة كتابه " تذكار ليلة " بأن يؤلف كتبًا أخرى بعد ذلك، ولكنه لم يف بوعده، ولم يستطع مواصلة الأفكار التى قد طرحها فى رواية طهران الرهيبة من خلال مؤلفات أخرى ومتابعتها بوضوح. ففى قصتى " گل پژمرده : الوردة الذابلة "(١) و "أشك پربها : دموع غالية "(٢) ركز المؤلف جل اهتمامه على موضوعات رومانسية واجتماعية تافهة وبالية، وأهمل تمامًا الموضوعات الاجتماعية المعاصرة الجادة .

٢ – خليلى : ظهرت بعد "طهران الرهيبة" مجموعة من الروايات الاجتماعية تخصصت فى تحليل الأوضاع المزرية التى تعايشها المرأة الإيرانية، أهمها مؤلفات " خليلى" وهى "روزگار سياه : الزمن الأسود " (مهر ١٣٠٣)، " انتقام " (مرداد ١٣٠٤)، "إنسان " (١٣٠٤) و " اسرار شب : أسرار الليل " (فروردين ١٣٠٥).

عباس خليل حفيد الحاج الملا على من كبار علماء القرن الثالث عشر الهجرى. ولد فى النجف ودرس بها. أسس جمعية باسم " نهضت إسلام : الثورة الإسلامية " عندما قامت الثورة ضد الإنجليز فى العراق، وترأس هذه الجمعية وتسبب للإنجليز فى خسائر جمة. وبعد الحرب العالمية الأولى عندما سيطر الإنجليز على العراق، ثار عدد من الشباب واغتالوا القائد البريطانى، فتقدم الإنجليز بجيش إلى

---

(١) طهران ١٣٠٨ ش.
(٢) طهران ١٣٠٩ ش .

النجف وحاصروها، وأسروا كل هؤلاء الشباب، وأعدموهم شنقًا عدا اثنين منهم؛ فقد كُتبت لهم السلامة. كان خليلي واحدًا من هذين الشابين حيث قدم إلى إيران سيرًا على الأقدام شريدًا ، وسمى نفسه الشيخ على فتى الإسلام كى لا يتم التعرف عليه، وعمل مترجمًا للغة العربية فى صحيفة " رعد "، وظل على هذا إلى أن تجاوز الإنجليز عن هذه الواقعة وأعلنوا العفو العام، فأعلن خليلى اسمه الحقيقى، وتحسنت أوضاعه المعيشية بعد ذلك. وبدعم من سيد ضياء الدين تولى إدارة صحيفة " بلديه "، وبعد فشل الانقلاب وفرار سيد ضياء من إيران، أسس خليلى صحيفة " إقدام "، وألف أعماله الأدبية التى نحن بصدد ذكرها.

خليلى رجل مثقف يجيد اللغة العربية، وتعاون لفترة مع مجلة المقتطف الصادرة بمصر، وعلى حد قوله قام بترجمة جزء كبير من كليات سعدى (البستان والطيبات والبدائع والخواتيم) إلى العربية نظمًا أثناء وجوده بالسجن، ونشرها فى المجلة المشار إليها، وأنها حظيت بإعجاب أدباء مصر وسوريا، وبعد ترجمة كليات سعدى وكتابة سيرته ألف " الزمن الأسود "[(١)].

تطرق خليلى فى رواياته إلى الوضع البائس للمرأة، وأمور أخرى مثل الزواج الإجبارى والبغاء وانتشار الفساد بين شباب الطبقة الثرية فى الدولة .

روزگارسياه : الزمن الأسود : نتناول فى البداية من أعمال خليلى أفضل رواياته " الزمن الأسود " وقد ظلت تحظى بإعجاب الناس حتى بعد فترة طويلة من صدورها [(٢)].

موضوع الرواية كما ذكرنا يدور حول قلة حيلة المرأة المسلمة وبؤسها، وهو الأمر الذى تناولته المطبوعات الإسلامية بالبحث والتحقيق منذ فترات سابقة، والآن يطرح فى المطبوعات الإيرانية بشكل أدبى لأول مرة .

---

(١) كلمة المحرر على مقدمة " الزمن الأسود "، طهران، ربيع الأول، ١٣٤٣ هـ.ق.
(٢) إن بقية مؤلفاته لا تستحق اهتمامًا حقيقيًا عدا رواية " الإنسان " التى كتبها بأسلوب مميز .

إن " الزمن الأسود " تشبه كثيرًا رواية " طهران الرهيبة " إلا أن الأحداث فى هذه الرواية أكثر تركيزًا .

لقد اختير موضوع الرواية ببراعة : فالكاتب يهرب إلى كرمانشاه من " الصراعات السياسية والمشاكل الاجتماعية " ويلوذ بأحضان منطقة جبلية، وفى تلك الأثناء تقدمت إلى كرمانشاه امرأة شابة مصابة بمرض السل[1] وهى من أهالى طهران أيضًا. امرأة عاهرة. يذهب إليها الكاتب " لا من أجل الإنسانية ولا من أجل الرحمة والشفقة ولكن نتيجة اضطراب نفسى وثورة وجدانية ". ويتأثر من مشاهدة حالتها المؤسفة. فيستدعى الطبيب إلى فراشها. طبيب تافه وجاهل حتى النخاع. يكشف على المريضة، ويشخِّص حالتها على أنها استسقاء كبدى، ولا تسفر وصفته الطبية سوى عن مضاعفات.

عندئذ يلجأ المؤلف إلى طبيب متفرنج. شاب نسى تقريبًا لغته الأم، شديد التكبر، معتد بمعلوماته ومستاء من أوضاع الدولة، ولكنه بالفعل محتال ولا يفقه شيئًا عن الطبابة مثل ذاك الشيخ المسن، وشَخَّص الطبيب الشاب حالة المريضة بأنها مصابة بالهستيريا. إن حوار هذين الطبيبن الصاخب وجدالهما عند فراش المريضة يرسم مشهدًا شديد السخرية. يشتد الصراع بينهما لدرجة أن الكاتب يفقد صبره فيطردهما.

ويحضر طبيب ثالث للمريضة فيشخص مرضها بالسل، كما يلحظ أعراض خطيرة عليها، ويعالجها من باب الشفقة، وتتحسن حالة المريضة قليلاً، وتشعر تدريجيًا بالثقة حيال الكاتب الذى قام برعايتها وبعد عدة أيام تقص عليه حكايتها وسبب بؤسها .

---

(١) هذه هى المرة الأولى التى تظهر فيها امرأة مصابة بالسل فى الأدب الفارسى بإيران. إن شخصية " المرأة المصابة بالسل " أو على حد قول الأتراك " ورم المرأة " مأخوذة عن ألكساندر دوما. فأربعون بالمائة من الروايات التركية قد تناولت قصة " غادة الكاميليا " المفجعة. وكان من المتوقع حدوث هذه الظاهرة فى الأدب الإيرانى، فرواية خليلى تشبه إلى حد كبير رواية دوما .

هنا تنتهى مقدمة القصة، ويبدأ المؤلف الرواية التى تعبر عن حياة مريضة بائسة أو بشكل عام الزمن الأسود الذى عاشته امرأة إيرانية .

المريضة سليلة أسرة ثرية من تبريز. ولدت فى طهران ودرست بها، تزوجت بعد أن فقدت عذريتها. فكانت فتاة فى السادسة عشر من عمرها عندما وقعت فى غرام أحد المارة ؛ فهو شاب عمره ثمانية عشر عامًا يرتدى الزى العسكرى. فعلى غرار القصص والحكايات الإيرانية القديمة تغطى الفتاة وجهها الملائكى، ولكن النسيم يزيح نقابها وتبدأ قصة الغرام من النظرة الأولى .

الفتاة الثملة من خمر الغرام تنسى كل شىء، وتتعثر فى الدراسة وتتأخر عن زميلاتها فى الدراسة إلى حد أن المعلمين يشكون فى حالتها الصحية .

مشاعر الفتى والفتاة أول الأمر تكون طاهرة وأفلاطونية. فى البداية يخفون غرامهما وشيئًا فشيئًا يلتقيان فى حضور الخدم بتقديم الرشوة لهم، بل إنهما يتخذان الخادم حاملاً لرسائلهما .

وبالتزامن مع هذه القصة، تبدأ قصة غرام أخرى ولكنها عابرة وتنتهى بسرعة. فزميلة هذه الفتاة تتعرف إلى شاب " أذكى " من بطل القصة الرئيسى، فيفقدها عذريتها، ويضيع شرف الأسرة، فتتجرع الفتاة السم ولكن الأطباء ينقذونها. وعندئذ تتقدم ببلاغ للشرطة، ولكن ذلك الشاب " شيطانى السلوك " ينكر الواقعة ويصفها بأنها عاهرة .

ويوافق والدا الفتاة على زواجها من الشاب زواجًا صوريًا دون صداق للمحافظة على شرف العائلة، ويرسلان الفتاة إلى منزل زوجها. ولكنه بعد ثلاثة أشهر يسلب الفتاة كل ما لديها ويرسلها إلى منزل والدها، وتلوك الألسن قصة الفتاة. وتصبح قصتها المملة درسًا وعبرة لعروس الرواية. فتترك حبيبها لفترة وتقاوم نفسها. وتنتظم فى الدراسة والمدرسة، وتؤدى الامتحانات وتحصل على الدبلوم. وذات يوم تصل رسالة من ذلك الشاب توقظ مشاعرها الخامدة .

ويلتقيان من جديد ويبدأ العتاب بينهما وينتهى بالقبلات والعناق. وتفل ثورة العشق والشباب طاقتهما. ويعلم والداها بالأمر ؛ فيحولان دون لقائهما. ولتجنب الفضيحة يزوجان الفتاة جبرًا من رجل دميم، وفى المقابل يزوجان أخت العريس من أخيها. وتذهب كل واحدة منهما إلى بيت زوجها، ولكن تبدأ المشاكل التى تفتعلها الفتاة فى الغالب، ويصل الأمر إلى أن الزوج يعيد الفتاة بنفسه إلى مترل والدها، وتشعر ثانية بالانكسار وتنشد المواساة .

وخلال هذا الوضع يظهر مرة أخرى فى مشاهد الرواية العاشق الأول بعد أن أصبح ضابطًا فى الجيش، فيجدد علاقته بها ويتمتع بها .

فى هذه الآونة تفلس الأسرة. فالأب يقترض منذ فترة ويبيع ممتلكاته. وتقسم ظهره ثورة تبريز وأعمال الشغب، ولا تدر عليه أملاكه فى تبريز دينارًا. وخلال هذا الفقر والبؤس تغوى الفتاة شابًا بهى الطلعة عبر سطح مترلها. وتوقعه فى شباك الغرام، وتقيم لفترة طويلة علاقة معه ومع حبيبها الأول ثم عدد من الشباب الآخرين عن طريق خادمتها. فى البداية كانت تغادر المترل أوقات العصر، وتطور الأمر إلى الصباح والعصر وأول الليل. يوبخها والدها ووالدتها وينتقدها الأصدقاء والجيران. ويومًا بعد يوم تصبح أكثر إباحية وفحشًا. يصل نبأ وفاة أخيها من تبريز ويفقد الأب عقله. وتكلف الأم أحد الأقارب برعاية ابنتها، ولكنه أيضًا يستغلها هو وأصدقاؤه لإطفاء شهواتهم. وتصبح عاهرة !

وذات يوم وبينما هى تلهو وتحتسى الخمر مع جماعة من علية شباب طهران؛ تقابل زميلتها القديمة وتعلم منها أن والدها قد مات، وأن أخاها قد قُتل فى واقعة الرشت أثناء محاربة " ميرزا كوچك خان " وأن والدتها تزوجت من أحد الملالى وأنه قد حرمها من ميراث أبيها مدعيًا تنفيذ وصيته .

باتت لا تستطيع العودة لوالدتها، فتنتقل إلى أحد بيوت الدعارة وتدرك فى فترة وجيزة أن الموت فقط هو الذى يستطيع إنقاذها من هذا البيت وتلك الحياة المخزية .

وتسرد تاريخ بيوت الدعارة فى طهران وقصص سقوط النساء فى الهاوية وبؤسهن عن طريق قصص زميلاتها فى المهنة. وهنا ينتهى كلام بطلة القصة .

ثم يظهر أحد موظفى الحكومة ذو منصب رفيع، ويصطحبها لمغادرة طهران بغرض الذهاب إلى بغداد وزيارة العتبات، ولكنه يتركها فى كرمانشاه، وكما نعلم عن حالتها المرضية ظل مرضها كامنًا لفترة ثم ظهرت أعراضه وهى الآن تنتظر الموت أى الخلاص !

تحليل الرواية

يتضح من هذا المجمل أن بناء الرواية لا بأس به وأن الكاتب قد استخدم بإتقان أسلوب السرد القصصى المعمول به، فى الشرق القائم على سرد قصة داخل قصة. كما استفاد تمامًا من الواقعية فى بناء الموضوع وأسلوب السرد. واستطاع المؤلف تصوير طهران اللعوب الفاسدة الغارقة فى اللهو والملذات من خلال مشاهد مؤلمة ومقززة، بل إن لقاء الطبيبين (العجوز والمتفرنج) وصدامهما الذى ورد فى بداية الرواية بأسلوب ساخر قد غلفهما المؤلف أيضًا بلفافة من الحزن .

فالكاتب أصابه الخوف والقلق من ذكر أوضاع الدولة ؛ فالنساء فيها بلا حامٍ أو راعٍ، والرجل يستغل ضعف المرأة وقلة حيلتها بكل السبل فى سبيل إطفاء شهوته، ويستسلم للوضاعة والإباحية. فالكتاب مهم جدًا للتعرف على أنماط الحياة فى المجتمع، والتفاصيل الدقيقة والصادقة التى قدمها المؤلف توضح للقارئ بكل جلاء البيئة التى تعيش فيها الأسر الإيرانية الساقطة .

لم يتعمد الكاتب تخليص عمله من الكلمات العربية، بل إنه أفرط فى استخدام هذه الكلمات والمفردات عن الآخرين، والتزم بذكرها على هيئتها الأصلية. فعلى سبيل المثال بدلاً من استخدام " شلوار "، " خفه "، " تسبيح "، "متفكرين" استخدم "شروال"، "خبه"، "سبحه "، "مفكرين"، كما أنه عندما يذكر كلمات متعلقة بجنس الفتاة والمرأة يقول " طفلة "، " نقاشة "، " مصورة"

و " متفكرة "، "متميزة "، بل إنه يستخدم أيضًا فى بعض الأحيان كلمات عربية غير مألوفة مثل " حشاشة " " لطم وحزن "، " مبعد "، " متأنق " .

فضلاً عن هذا فأسلوب الكتاب الإنشائى يفتقر إلى التركيز والتنظيم، وفى بعض المواضع نشاهد عبارات متكلفة ومسجعة وتعبيرات قديمة أو مبتذلة، أو أسلوب إنشائى متكلف مكتظ بتشبيهات واستعارات النثر الكلاسيكى؛ فيبدو وكأنه شعر منثور. كما أن نصف الكتاب مشحون بالجمل الخطابية والاستطراد والاستفهام والخطابة والمواعظ الرنانة التى تترك أثرًا سيئًا لدى القارئ. ومن خلال هذه المواعظ والنصائح يتملك الكاتب الغضب، فيصب جام غضبه على الدنيا والبشر والطبيعة الظالمة والحياة غير القويمة، ويترل اللعنات على الكائنات. ومثل قارئ الروضة غير المتمرس فبدلاً من استعراض مهاراته فى البيان والتصوير الصادق للحادثة المفجعة يسعى لحث الجالسين تحت المنبر على البكاء باستخدام كلمات محزنة ومفجعة. وعن طريق اللجوء لكلمات الحسرة والنواح والأنين يريد من القراء " البكاء على حال مملكة بائسة وفئة مسكينة، وعلى حال أمة ذليلة. وأن يذرفوا دموعهم الغالية " فهو يخاطب أهالى إيران وكل البشر، ويناشد القلوب الدامية التى يعتصرها الألم والغم والحزن، والمشاعر الجريحة والأحاسيس الرقيقة والصدور الغاضبة، والعيون التى تذرف اللؤلؤ أن يتوحدوا ويكوّنوا سورًا من الشعب يجسد ويجسم حالة المريضة العزيزة المصابة بالسل التى تعد نموذجًا لبؤس أمة مقموعة .

ثم يستطرد:

" وبعد أيها الشعب، وبعد أيتها المخلوقات، أليس عندكم غيرة وحمية ؟ فإن كان عندكم أين هى ؟ هل لديكم مشاعر ؟ ترون وتشاهدون وتسمعون وتقرأون ؛ ولا تتأثرون أو تنفعلون ! لماذا أحترق أنا وحدى ؟ يا ليت ما هو سواى من العالم يحترق، ويصبح كله رمادًا ".

بالرغم من أن مثل هذه العبارات تحتل عددًا من الصفحات أحيانًا، فإن الجزء الرئيسى من الكتاب كُتب بلغة سهلة واضحة وقريبة من فهم العامة وبمهارة وأسلوب أدبى .

وبالرغم من أن محاولة المؤلف للجمع بين أساليب مختلفة لم تنجح، فإن الرواية فى المجمل شيقة وجديرة بالاهتمام ولا يخفى أن تأثير الأعمال الرومانسية لشباب الكتاب الأتراك واضح بجلاء فى هذا الأسلوب .

وهنا ننقل جزءًا من الرواية :

" هنا يعم سكون تام يقطعه تغريد الطيور وزقزقة العصافير .

مضيق مخيف وصحراء مرعبة، جبل شاق ووادى مترامى الأطراف. إن ما يتجلى أمام ناظرى بل ما تدركه حواسى الخمس ؛هو العشق والجمال .

فى هذا المكان، فى هذا المكان المرعب الجذاب، فى هذا الموضع المخيف الجميل، فى هذا المكان البديع المدهش، فى هذا الركن الذى يجمع فى آن واحد ما بين الرعب والجمال ؛ اتخذت لنفسى عشًا وأنا كسير الجناح .

ثانية تحليت بالشجاعة وفتحت باب الحديث وسكتت آلام المريضة وبدأتُ الكلام .

لم يكن لب الكلام قد خرج من ذلك الفم الشبيه بالفسدق، فإذا بالطبيب المسن يقطع حديثنا فجأة بصوته الخشن، فسكت الفم عن الكلام .

صار العشق يتوهج والشباب يتأجج والنفس عن الدرس تنصرف والمزاج يتبدل .

ما مر بذهني كان يدور حول الطبيعة الجامدة والبيئة الفاجرة والعادات القبيحة والتقاليد الفاسدة والأخلاق الذميمة وضغوط الوالدين .

ضم يده إلى عنقه مثل خرطوم "الفيل" وترجل "الوزير" عن "الحصان" خشية "البيدق"، وأطاحت "الطابية" بـــ "الطابية الأخرى" ومات "الملك"[(١)] .

لمحت وجهًا لامعًا، وعيون رقيقة تحمل بين جفنيها دموعًا ؛ مثل الصدف يحمل بين دفتيه اللؤلؤ. كان الدمع يترقرق فى عين تلك المريضة، فما إن رأتنى أغمضت جفنيها فسال اللؤلؤ منهمرًا من طرف الصدف. فخط رسومًا على وجهها الجميل الشاحب، وكان الحزن أيضًا قابعًا فى حلق تلك المرأة المصابة بالسل .

وفى الفجر رفعت الفتاة كشمس السماء رأسها عن وسادة الأفق الموشاة بالذهب، وأخرجت أصابعها الرقيقة الذهبية من أكمامها كالفجر، وأزاحت جديلتها السوداء كالمسك السَحَر عن عزمًا، ومشطت بالأشعة جديلتها الخلابة، وشعرها الملائكى أحال الظلام ضعيفًا باهتًا. ثم جدلت كل خصلة من تلك الجديلة السوداء بخيوط ذهبية من أشعتها. وشيئًا فشيئًا أزاحت جديلتها الداكنة خلف ظهرها ونظرت إلينا، الخلاصة طلع الصبح وظهرت الشمس ...

ماذا سيحدث غدًا ؟

الغد يوم أسود !

الغد سيكون يومًا يقهرون فيه مشاعر فتاة بائسة منكوبة .

الغد سيكون يومًا يسحبوننى فيه كالشاه إلى مجزر التسلط .

الغد لن يكون هناك حب ولا حبيب، لن يكون لى جليس ولا أنيس سوى رجل عبوس دميم .

---

(١) يستخدم الكاتب مفردات ومصطلحات لعبة الشطرنج (المترجم) .

الغـــد سيصبح من نصيبى ذلك الذى اختاروه منذ الأزل من أجلى أنا المسكينة .

الغد سيكون يوم عقد القران الشرعى، يوم زواجى المشرف .

انظروا السفه !

انظروا الظلم !

يا له من زواج فاشل !

زواج إجبارى !

زواج مقفل للروح !

"أسرار شب : أسرار الليل " : رواية أخرى لخليلى كتبها على هيئة رسالة تتناول سيرة امرأة ومصيرها المرير، حيث سقطت فى الخطيئة نتيجة خيانة زوجها، وترغب فى الانتقام من كل الرجال .

لقد أحسن الكاتب اختيار موضوع القصة، كما أن المضمون يتميز بالثراء. إن مشهد حوار " مهين " مع زوجة رجل وقع فى شباكها يبدو وكأنه مستنسخ كلية عن غادة الكاميليا لألكساندر دوما، مع الأخذ فى الاعتبار أن تضحية " مارجريت جوتيه " كانت أكثر رقيًا وإنسانية. فمارجريت تلتزم بوعدها لوالد حبيبها فتباعده عنها، وتضمر الحزن فى نفسها لدرجة أنها وقعت فى شرك الموت. ولكن " مهين " فمع أنها تأثرت بعجز وإلحاح زوجة الرجل الذى وقع فى شباكها فأبعدته عنها، إلا أنها تظل "مهين" نفسها، وتقيم بعد فترة من الوقت علاقة مع شاب ممن تعرفت عليهم فى فترة وقوعها فى الخطيئة، وتخون بذلك الرجل الرقيق الذى انتشلها من دوامة الفساد. كما يبدو أن " مهين " كانت بالأساس امرأة فاسقة. فقد أقامت علاقة مع شاب قبل وفاة زوجها الأول، "ولم يكن كفن

زوجها قد جف بعد" فإذا بها تدعو هذا الشاب عندها، ولما رفض الشاب مواقعتها، ألقت بنفسها إلى براثن الخطيئة. إن مبرر الانتقام من جنس الرجال لا يشفع لـــ " مهين " مطلقًا .

٣ - الدولت آبادى

الحاج ميرزا يحيى الدولت آبادى بن الحاج ميرزا هادى من أحفاد القاضى نور اللـــه الشوشترى. ولد فى دولت آباد بإصفهان عام ١٢٧٩ هـــ.ق، أخذ فى تعلم الكتابة منذ الخامسة، وفى عام ١٢٩٠ هـــ.ق، بينما كان فى الحادية عشرة من عمره سافر مع أسرته إلى العراق وخراسان وطهران إلى أن عاد إلى أصفهان عام ١٢٩٩ هـــ.ق، والتقى فى نفس العام بميرزا آقاخان الكرمانى والشيخ أحمد روحى حيث كانا قد هربا من كرمان إلى أصفهان. وفى شعبان ١٣٠٣ هـــ.ق وبينما كان قد بلغ الرابعة والعشرين من العمر عاد إلى العراق. وحضر فى العتبات حلقات الدرس لدى ميرزاى الشيرازى وميرزا محمد تقى الشيرازى. وفى أواخر عام ١٣٠٥ هـــ.ق، ذهب إلى أصفهان، ثم عاد إلى طهران عام ١٣٠٧ هـــ.ق، ودرس على يد ميرزا أبى الحسن زواره الأردستانى الشهير بميرزا جلوه. وفى عام ١٣١١ هـــ.ق، تزوج ابنة الحاج ميرزا محسن خان مظفر الملك (ابن الحاج الملا عبد اللطيف الطسوجى) وكان قد تجاوز الثانية والثلاثين .

وبعد فترة من إقرار الدستور عمل الدولت آبادى فى أعمال ثقافية وتأسيس المدارس والجمعيات إلى أن ذهب إلى اسطنبول فى شهر رجب عام ١٣٢٦ هـــ.ق، ومنذ ذلك الحين قضى أغلب أوقاته خارج إيران .

تعرف الدولت آبادى فى اسطنبول إلى ميرزا حسين خان دانش الأصفهانى والحاج زين العابدين المراغى مؤلف سياحت نامه إبراهيم بيك. وكان على صلة بجمعية "سعادت إيرانيان" والمناضلين الأتراك، وأسس بالتعاون مع ميرزا محمد

صادق الطباطبائي جمعية في حيدر باشا. وفي اليوم الذي خلع فيه شباب الأتراك السلطان عبد الحميد ونصبوا السلطان محمد بدلاً منه (ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ.ق) كان شاهدًا على الأحداث، ثم تولى إدارة مجلة (سروش : الملاك) الفارسية بمشاركة دهخدا الذي كان قد قدم إلى اسطنبول .

قدم الدولت آبادي إلى طهران في شوال عام ١٣٢٧ هـ.ق. ثم انتخب بعد فترة نائبًا عن كرمان، ولكنه استقال من المجلس قبيل تقديم أوراق اعتماده. وفي عام ١٣٢٨ هـ.ق، حصل على عضوية شرفية في مؤتمر التفرقة العنصرية بلندن، وفي جمادى الآخر ١٣٢٩ هـ.ق، توجه إلى أوربا وشارك في جلسات مؤتمر (يوليو ١٩١١م)، ثم سافر إلى سويسرا وعدد آخر من الدول الأوربية وعاد في النهاية إلى طهران في شعبان ١٣٣٢هـ.ق .

وفي محرم ١٣٣٤ هـ.ق، ذهب إلى قم مع عدد من الثوار، ومن هناك هاجر إلى تركيا. ووصل إلى اسطنبول في شعبان من نفس العام، وهناك ألف قصة " شهرناز". وفي محرم من عام ١٣٣٧ هـ.ق، عاد إلى إيران، وانتخب نائبًا عن أصفهان في المجلس خلال الدورة البرلمانية الخامسة. وتقاعد في نهاية عام ١٣١٣ ش، وفي النهاية توفي يوم الجمعة ٤ آبان ١٣١٨ ش، في طهران بالسكتة القلبية (١).

ترك الدولت آبادي كتابًا صغيرًا بعنوان " أرديبهشت نامه : كتاب ارديبهشت " جمع فيه أشعاره (٢)؛ فضلاً عن عدد من الكتب التعليمية. وفي هذا الكتاب ترجم بعض أشعار الشعراء الفرنسيين إلى الفارسية نظمًا من أمثال "

(١) للأسف لا يوجد مجال في هذا الكتاب للحديث عن دور دولت آبادي المؤثر في الثورة الدستورية والخدمات الجليلة التي قدمها في المجال الثقافي وتأسيس المدارس الحديثة .

(٢) طهران ١٣٠٤ هـ.ش .

الكونت دى ليزل "[1]. و"سولى پرودوم "[2]، لكنه لم يحقق فى ذلك نجاحًا كبيرًا. فعلى سبيل المثال لا وجه للمقارنة بين ترجمته للقصيدة الرائعة " گلدان شكسته : المزهرية المحطمة " لپرودوم وترجمة رشيد ياسمى لها . ولكننا ها هنا بصدد ذكر روايته " شهرناز" التى ألفها أثناء الحرب العالمية الأولى .

شهرناز : القصة كما يبدو من مقدمتها قد كُتبت عام ١٣٣٥، أثناء ابتعاد المؤلف عن إيران بسبب الحرب العالمية، حيث كتبها فى منطقة "پرا " بالقسطنطينية، وأمضى فى تأليفها سبعين يومًا من الأوقات العصيبة التى مر بها .

يزعم المؤلف أن شهرناز قصة حقيقة كتبت فى شكل أسطورة، بل إن بعض الشخصيات الرئيسية فيها كانت لا تزال على قيد الحياة وقت تأليفها، وأنه سمع الكثير من الحكايات الواردة فى هذه الرواية بأذنيه منهم، كما أنه رأى بطلة الرواية "شهرناز" بنفسه فى سن الخامسة عشرة، وأنه شعر بالحسرة على ما تعانيه من بؤس[3]. ولا نعلم إن كانت هذه القصة حقيقية أم أن المؤلف أراد تشويق القراء مثلما اعتاد مؤلفى الروايات الرومانسية .

ويبدو بوضوح فى هذه الرواية التأثير المباشر للروايات الرومانسية التركية، إلا أن المؤلف لم يحالفه التوفيق بشكل كبير و لم يستطع أن يطرحها بأسلوب يعبر به عن نفسه. فالمشاهد والمجالس فى الغالب مفتعلة وغير طبيعية، كما أن أدوار غالبية الشخصيات غير واضحة. الرواية طويلة جدًا ومعقدة. ويشرد الكاتب عن الموضوع كثيرًا ويقدم تفاصيل مبالغًا فيها، لدرجة أنها تقطع تواصل الأحداث بل يحول عمله أحيانًا إلى مجرد ثرثرة .

---

(١) Lecont de Lisle .

(٢) Sully Prudhomme .

(٣) مقدمة الكتاب.

فخلال سطور الرواية تبدو بعض الأجزاء كالرقاع غير المتناسقة مثل الحديث المطول لـــ " دلارا هانم " عن أسلوب تكوين الأسرة وتحقيق السعادة للزوجين، ولا نعلم أين تعلمت هذه المرأة التقليدية كل هذه المعلومات الدقيقة القيمة بالرغم من كونها تنتمى لأسرة إيرانية من ذلك الزمان المظلم المكسو بالجهل والأمية، وكذلك الحديث المطول لـــ "هوشنك" البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا عن الرقص والفساد الذى ينتج عنه، وانتقاده لأسلوب حياة الأوربيين والحرية غير المقننة لديهم، وأخيرًا المواعظ المطولة والمكررة التى يقدمها المؤلف نفسه بلا مبرر خلال الرواية .

إن أكثر أجزاء الرواية تلقائية ؛ الجزء الأول منها أى الحديث عن زواج " شهرناز " من " هوشنك " والأحداث التى أدت إلى طلاقهما وانفصالهما، وارتباط " هوشنك " ثانية بفتاة قروية .

يتزوج الشاب من فتاة تصغره، ولا يرى العروسان أحدهما الآخر قبيل الزواج ولا يلتقيان. العريس رجل نبيل وشهم، والفتاة مفتونة بجمالها وثروتها. فأسرتها أرقى من أسرته، ويشعر العريس باستمرار بأنه مدين لهم ومقصر معهم نظرًا للشروط المسبقة التى قطعها على نفسه. ويفكر دائمًا فى كيفية التخلص من هذا الحمل الثقيل. ومن الواضح أن هذه الزيجة لا يمكن أن تستمر، ويعطى القارئ لهوشنك الحق فى اختلاق الأسباب للحصول على مأمورية فى إحدى المناطق الحدودية البعيدة وتحرير نفسه بعد فترة من هذا الأسر. إن أحداث الرواية تقليدية وطبيعية حتى هنا. فمثل هذه الأحداث متكررة فى الحياة، ولكن الجزء الثانى من الرواية والمتعلق بحياة " شهرناز " بعد طلاقها من زوجها وحتى نهاية العمل يفتقر تمامًا للحبكة والنضج .

إذ يذهب " دارا " زوج " شهرناز " الثانى لزيارة والدة العروس، ويلتقى فى هذه الزيارة الأولى بشهرناز ويقدم لها خاتم الخطوبة. ويحاول المؤلف جاهدًا فى حاشية الكتاب تبرير هذه الواقعة لإدراكه أن هذا المشهد يخالف العادات والعرف .

و "دارا " زوج " شهرناز " الثانى شاب به كل المميزات ولكنه مقامر.. وتكن له شهرناز مشاعر الحب على خلاف مشاعرها نحو زوجها الأول، وتتحمل نتائج تصرفاته. ولكن يتردد على مترل والد شهرناز رجل عسكرى مسن يتصف بالذكاء والاحتيال اسمه "فيروز"، ونظرًا لأنه كان يطمع فى شهرناز منذ فترة طويلة يُحْدث وقيعة بينها وبين زوجها، وفى النهاية يجد "دارا " نفسه مذنبًا وذليلاً وتافهًا أمامَ "شهرناز"، فيزهد فى زوجته وبيته والحياة وكل شىء، ويُنَفِّر شهرناز منه حتى تطلب الطلاق والانفصال. ومن أجل تحقيق هدفه يفكر فى حيلة عجيبة تبدو غريبة على رجل مثله. أى أنه يعتزم إحضار امرأة إلى مخدع زوجته فى وقت يتأكد فيه من عودة زوجته إلى البيت. ولكنه بعد انفصاله عن " شهرناز " وانتقاله إلى مدينة أخرى، يحاول أن يعيد المياه إلى مجاريها، ويقلع عن القمار ويسعى لوصل ما انقطع ! ويفرض هذا السؤال نفسه على القارئ : لماذا لم يفعل ذلك قبل الانفصال ؟

وفضلاً عن هذا فـــ" شهرناز " سليلة أسرة مرموقة ومعروفة حيث ذهبت فى وقت ما إلى الحرملك الملكى وحظيت بحسن وفادة الملكة، فكيف لا تستطيع الحيلولة دون تردد " فيروز " عليها ؛ وهو رجل غريب عنها ولا تربطه بها أى علاقة أو قرابة. فهذا الرجل يقوم بمحو خط شهرناز ويكتب مكانه أشياءً أخرى، ويزوِّر توكيلاً، ويقوم الموثق الشرعى " خداداد " بعقد القران بكل سذاجة استنادًا على هذا التوكيل، وتستسلم " شهرناز " إلى هذا التزوير دون أن تبدى أى اعتراض، وينصحها " دارا " بمسايرة " فيروز " والعيش معه بدلاً من مساعدتها على فسخ هذا العقد .

ولا تقدم الرواية للقارئ الكثير من المعلومات عن مجريات الأحداث منذ زواج شهرناز رغم أنفها من فيروز وهى فى السادسة والعشرين من عمرها إلى أن تبلغ الخامسة والخمسين. وكل ما نعرفه فقط أن فيروز يعيش على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة كخادم محرم فى مترل شهرناز، ويفقد ثروته الطائلة بسبب القمار

وفى النهاية يصبح فاشلاً سليط اللسان محطمًا قابعًا بالمترل يشاكس نفسه ليل نهار. وبعد مضى ثلاثين عامًا تقريبًا عندما يطل المؤلف ثانية على بيت سليلة الأمراء شهرناز هانم يجدها قد فقدت كل شيء وكل الناس وتجلس وحيدة فى انتظار الموت .

٤ – صنعتى زاده

" **مجمع ديوانگان** : **محفل المجانين** " : لقد تحدثنا عن هذا الكاتب عند الحديث عن الروايات التاريخية، والآن نعرج على روايته الاجتماعية المعروفة بعنوان "محفل المجانين". وإذا نحّينا جانبًا بعض القصص والأساطير الشعبية التى صورت فيها الحياة جميلة مثالية وخيالية بحيث لا يحلم بها الإيرانيون ؛ فإن هذا الكتاب على ما يبدو يعد اليوتوبيا الأولى (المدينة الفاضلة) فى اللغة الفارسية .

صدرت هذه " اليوتوبيا " فى فروردين ١٣٠٣ هـ.ش، فى طهران، وقد استلهم اسمها من مضمون شطرة وردت بإحدى غزليات سعدى تقول " الناس مجانين والمجنون عاقل " .

يحمل الكاتب القارئ إلى محفل المجانين : ففى يوم من أيام آخر العام يتسلق مجنون الجدار ويشترى صحف ذلك اليوم وتقويم العام الجديد من بائع الصحف فى مقابل كأسين من النحاس. فيعلم المجانين بقرب حلول العام الجديد ويقررون أن يصيروا عقلاء مؤقتًا حتى يستطيعوا الاحتفال بحرية بالعام الجديد مثل الآخرين. وفى المساء يقيدون أيدى الحراس وأقدامهم وفقًا للخطة الموضوعة ويخرجون ويتجهون نحو الصحراء. ومن بينهم عجوز بشوش لم ينطق بكلمة واحدة منذ أن قدم إلى دار المجانين؛ لذا يلقبونه بـ " پيرلال : العجوز الأبكم ". ويسعى المجانين لمصاحبة النساء والعربدة، وعلى بعد أربعة أميال ونصف الميل من المدينة تجمعوا حول عين ماء تقع على مقربة من صومعة درويش ترك الدنيا وتفرغ للعبادة ليل نهار. وما إن

لمح الدرويش جماعة المجانين تسلق الشجرة خائفًا وفجأة تكلم " العجوز الأبكم "، واسترسل فى كلام مفاده أن الدنيا كلها دار للمجانين، وأن هذا المجتمع هو سجن ضيق ومظلم تحبس فيه العقول البشرية، ولكن الإنسان لا يشعر بالضيق فى هذا السجن ولا يفكر فى الخلاص منه ! وعلى الرغم من ذلك تهب أحيانًا جماعة من الناس لإحداث طفرة فى حياة البشر ويحملون العالم إلى مشارف مستقبل باهر وباعث للأمل .

وبعد ذلك يقترح العجوز على أصدقائه السفر " إلى المستقبل ". ثم يتحكم فى أفكار وتخيلات رفاقه عن طريق التنويم المغناطيسى، ويحملهم إلى " بلد الحكمة " ويعرض عليهم التقدم الذى تحقق بعد ألفين عام .

وشرط هذه " الرحلة الروحية " ترك الأفكار الحالية والعادات والتقاليد، وزادها تطهير الطبيعة وتزكية النفس وإثراء المشاعر والسمو بالأرواح، ومقابل التذكرة فى "الرحلة الروحية" محبة الخير للجنس البشرى. ومخاطرها سوء الظن، والأخلاق غير الحميدة، والرجعية، والطمع والحرص، والتفاخر بالعلم والحسبَ والنسب، وحب المال .

فهنا " مدينة بلا اسم "، وكل بلاد الدنيا مصنفة فيها وفقًا لدرجات. ولغة أهلها سهلة وسريعة الفهم. هنا تُلقى الحقيقة والحرية والسعادة بظلالها، ولا وجود للخيانة ها هنا ؛ وينعم الجميع بالراحة. زىُّ الرجال والنساء موحد، ولا أحد من البشر ينعم بامتيازات لا ينعم بها الآخرون، الناس جميعهم أصحاء، الهيئة منمقة والوجوه بشوش. لا وجود للحسد كليةً، لذا لا يوجد حزن ولا هم. الجميع نشطاء ومعتادون على الرياضة. مهمة كل فرد محددة، والإدارة تتكفل بكل متطلبات الحياة. فى هذه المدينة لا يوجد خادم أو فقير. فكل مظاهر الطبيعة من رياح ومطر وحرارة الشمس ومد وجزر البحار والطاقة الذرية الخفية جميعها

مسخرة للبشر، وإدارة الصحة تقدم تأمينًا على الحياة لثلاثمائة عام. الحاكم هنا الحب والود لا غير ؛ هنا الجنة الموعودة .

ويقام مؤتمر عام كل سنة يوم عيد النيروز فى جبال لبنان، وتُطرح اكتشافات ومخترعات ذلك العام على الرأى العام، ويشارك فى هذا الاحتفال ملايين البشر من أقطار العالم، ونشيدهم :

نحن البشر

نحن أشرف المخلوقات

نهجُنا الصدق والحب

العلم حارسنا

نسبُنا التآخى مع الجميع

حسبُنا المساواة مع الجميع .

يصدر عن بعض المجانين الذين يحضرون الاحتفال بعض التصرفات غير اللائقة، فيتم إيداعهم دار المجانين. ولكن دار المجانين هنا تختلف عن دور المجانين عندنا. فالأشخاص يرسلون إليها للعلاج لأنهم لم ينجزوا المهام المكلفين بها أو لأنهم قدموا تصريحات كاذبة وغير صحيحة أو لتعلقهم بالأوهام والخرافات. ومن بين المجانين الذين يعالجون فيها سيدة كانت تعمل بالتدريس وأثناء فترة الراحة (الفسحة) قصت على الدارسين مختصرًا عن تاريخ الملوك الغزاة على سبيل المزاح، وأخرى مسنة قامت بتخزين قدر من الطعام. وثالثة لم تحافظ على صحتها فصار وجهها شاحبًا فوضعت على وجهها بعضًا من البودرة والطلاء الأحمر. والرابعة موظفة عمومية نعست أثناء العمل .

وفى " بلد الحكمة " يظهر أيضًا شخص غريب وغير معروف، وهو نفس الدرويش الزاهد المتعبد الذى تسلق الشجرة خائفًا عند تجمع نزلاء " دار المجانين "، فقد تأثر بحديث المسن الحكيم، وصعدت روحه إلى ذلك العالم مع الآخرين. وعندما أراد اختيار العزلة والانزواء هناك أيضًا، قال له الموظفون، امض فعالم اليوم هو عالم الاجتماع والعمل، إن البطالة للموتى فقط " .

فى تلك الأثناء يصل حراس دار المجانين ويوقظون المجانين من عالم النوم والثمالة، فيجدون أنفسهم ثانية فى مجتمع العصر الذهبى على أيدى الجلادين وتحت وطأة أسواط الظلم والجور .

ويبدأ المجلد الثانى يصف متاعب الدرويش النفسية بعد أن ذهب معهم إلى " بلد الحكمة " [1]. فقد أدرك أنه قد ضيع عمره هباءً. وأن عزلته ورياضته الروحية كانتا حماقة، فينبغى عليه العيش بين الناس والعمل على إفادتهم، لذا يغادر الصومعة ويذهب إلى المدينة ويعمل بستانيًا .

ولكن شوقه لرؤية " العجوز الأبكم " يؤلمه ويؤذيه، وفى النهاية يلتقى به فى دار المجانين. ويحل النيروز ثانية، ويهرب المجانين مرة أخرى، ويحملهم " العجوز الأبكم " ثانية إلى تلك الرحلة. ولكن هذه المرة رحلتهم إلى " الدورة الشمسية ". فى هذه الدورة حقق العالم تقدمًا محيرًا للعقول، فالناس لا يحتاجون إلى الكلام للتعبير عما يريدونه، فهم يستخدمون الموسيقى لتوضيح غرضهم. وهنا تتوقف الرواية فجأة .

بقيت الرواية غير مكتملة ويبدو أن الكاتب وجد صعوبة فى إنهائها على النحو الذى ينشده. ولا يوجد شك فى أن المؤلف قد بادر بتأليف هذا الكتاب

---

(١) لم أر هذا المجلد بنفسى، ونقلت هذا المختصر عن المستشرق الروسى برتلس .انظر : خلاصهء تاريخ أدبيات إيران، ليننجراد، ١٩٢٨م.

متأثرًا بالأعمال الأوربية المشابهة. إن تصورات أحلام اليقظة فى القصة ليست قوية إلى حد كبير، ولكن فى المقابل نجد الإطار الذى رسمت داخله الرواية مشوقًا للغاية، ويمكن القول أنه العنصر الاساسى فى القصة. على كل حال " إن ظهور هذه الرواية فى الأدب الإيرانى يعد غنيمة كبيرة، ويبشر بأن الأدب الإيرانى قد تجاوز مرحلة البحث والجدل، وأنه يتقدم نحو خلق أهداف وتحقيقها. حقًا إن أمنية المؤلف بعيدة المنال، ولكن الحادثة نفسها تعد مهمة بالنسبة لنا فى هذا المجال لا القوالب التى وضع فيها المؤلف أفكاره"(١).

(١) ي. أ. برتلس : خلاصه، تاريخ أدبيات إيران، ص ١٥٨ .

الفصل الثالث
القصة القصيرة

مقدمة

لم تحظ كتابة الرواية فى إيران بشهرة واسعة و لم يتمكن الأدباء الإيرانيون من إنتاج أعمال إبداعية فى هذا الجنس الأدبى لفترة طويلة. فما كتب صار فى طى النسيان وما كتب بعده، وسنقوم بعرض نماذج منه ليس له قيمة فنية كبيرة، وكأن الأدباء لم يكن لديهم القدرة على إبداع روايات عظيمة، أو أن القراء لم يقبلوا على قراءة مثل هذه الروايات التى تستغرق قراءتها وقتًا طويلا، وربما تكون ترجمة الروايات الأجنبية قد حظيت باهتمام أكبر. على كل الأحوال اهتم الأدباء بتأليف القصص القصيرة وقدموا فى هذا المجال أعمالاً مهمة إلى حد ما. وكان جمال زاده أول من اقتحم هذا الميدان من الناطقين بالفارسية وأبدع عددًا من الأعمال الجيدة .

١ - جما ل زاده

هو سيد محمد على جمال زاده بن سيد جمال الدين الواعظ الهمدانى المعروف بالأصفهانى، من سادات جبل عامل بلبنان ومن المنادين بالحرية والداعين للثورة الدستورية. ولد فى إصفهان عام ١٣٠٩ هـ.ق،، تلقى تعليمه الابتدائى بطهران، وفى أوائل عام ١٣٢٦ هـ.ق، سافر إلى بيروت والتحق بمدرسة غير دينية، وأنهى المرحلة المتوسطة فى مدرسة كاثوليكية فى جبل لبنان على أيدى القساوسة اللازاريين، وفى عام ١٣٢٨ هـ.ق، سافر إلى باريس عن طريق مصر .

وظل جمال زاده فى لوزان حتى نهاية عام ١٣٢٩ هـــ.ق،، وفى أوائل عام ١٣٣٣ هـــ.ق، تخرج فى كلية الحقوق من جامعة ديجون الفرنسية، وفى نفس العام تزوج من زوجته الأولى «جوزفين» السويسرية الأصل .

وبعد شهرين أو ثلاثة شهور سافر إلى برلين فى أواخر ربيع الأول ١٣٣٣هـــ.ق، بينما كانت الحرب العالمية الأولى على أشدها، وهناك أيد الإيرانيين المنادين بالحرية، وبعد مرور شهر غادر برلين لإنجاز مهمة ما، وفى الأيام الأخيرة من شهر جمادى الآخرة وصل إلى بغداد، وأمضى ببغداد وكرمانشاه عدة شهور. وقام بتأسيس وأصدار صحيفة "رستاخيز : البعث "(١). وتعرف فى بغداد إلى الشاعر المعروف " عارف " و "حيدر خان عمو أوغلى" من مجاهدى إيران، وقام بتشكيل جماعة من شباب الأكراد عُرفت باسم "الجيش النادرى" لمحاربة الجيشين الروسى والإنجليزى. وتولى قيادتها محمد نيسارى القراچه داغى (مشكوة هايون)، ولكن هذه الميليشيا تم حلها دون أن تفعل شيئًا .

وفى جمادى الآخرة عام ١٣٣٤ هـــ.ق، سافر جمال زاده من بغداد إلى برلين، وفى شهر رجب من نفس العام انضم إلى جماعة المهاجرين الإيرانيين دعاة الحرية، وظل ببرلين لفترة حتى سافر إلى استوكهولم عام ١٣٣٥ هـــ.ق،، وعرض رسالة القوميين الإيرانيين على منتدى السلام فى استوكهولم. وبعد عودته إلى برلين بدأ فى كتابة مقالات بحثية عن مزدك والعلاقات القديمة بين إيران وروسيا وموضوعات من هذا القبيل، وقام بنشرها فى جريدة «كاوه».

« يكى بود يكى نبود : كان يا ما كان » : أدرك جمال زاده منذ إقامته فى برلين ولقائه بميرزا محمد خان القزوينى وسيد حسن تقى زاده وآخرين من العلماء الإيرانيين، أنه "يوجد فى مملكتنا الكثير من الموضوعات البكر والبديعة والمهمة لم يتم

---

(١) لم يرد اسم هذه الصحيفة فى "تاريخ جرايد ومجلات إيران " لمحمد صدر هاشمى ولا فى مصادر أخرى.

تناولها بعد؛ كالكثير من مصادر ثرواتنا المادية التى لم تحظ باهتمام، فإذا حظيت باهتمام كاتب بارع فإنه يستطيع تقديم رواية بديعة أو على الأقل قصة جديرة بالقراءة من خلال هذه الموضوعات مما سيدفع الأجانب لقراءتها"(١) وبهذا الأسلوب فى التفكير أخذ يؤلف قصصًا وحكايات ما بين عامى ١٣٣٣ هـ.ق،، ١٣٤٠ هـ.ق، "بشكل متقطع من أجل الترويح عن نفسه وعما يشغله، ومحاكاةً لما هو جديد، ولتقديم نماذج بالفارسية المتداولة والسائدة فى ذلك العصر"(٢) وجمعهم فى مجموعة وكتب لها مقدمة عن " تدهور النثر الفارسى وتراجعه نسبيًا وضرورة العمل على ازدهاره، وقضايا أخرى متعلقة بهذا الموضوع "(٣)، وكانت أولى تلك القصص «فارسى شكراست : الفارسية سكر »، وقد نُشرت هذه المجموعة فى البداية بجريدة " كاوه "، ثم نُشرت كل هذه القصص بعد ذلك فى كتاب مستقل بعنوان « يكى بود يكى نبود : كان ياما كان » عام ١٣٤٥ هـ.ق، فى برلين (٤).

أخذت هذه المجموعة عنوانها من استهلالات الحكائين الإيرانيين، وتعد أول كتاب يكتب بلغة الحوار المتداولة على خلاف العادة، وقد أحدثت لغطًا فى إيران. ففريق اتهم الكاتب بأنه غير موهوب لأنه أخذ فن التأليف وانزلق به كى يحوز إعجاب العامة، كما أنه حقر من شأن المجتمع الإيرانى وعاداته .

إلا أن غالبية القراء قد أدركوا أن هذه القصص تعد تجربة جديدة فى الأدب الإيرانى، حيث إن أسلوب إنشائها يهدف إلى نقل الأوضاع والأحداث والشخصيات

---

(١) ذكر مهرداد مهرين هذا نقلاً عن الشرح المختصر الذى قدمته إذاعة لندن عن آراء جمال زاده فيما يتعلق بالنثر الفارسى والنثر الفارسى الحديث أثناء إذاعة ثلاث قصص من مؤلفاته. (مهرداد مهرين، "جمال زاده وأفكار أو : جمال زاده وأفكاره"، ص ٢٣) .

(٢) مقدمة " الفارسية سكر"، كاوه، غرة جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ.ق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ترجم هذا الكتاب أيضًا إلى عدد من اللغات الأوروبية. ونُشرت الترجمة الروسية من قبل إدارة النشر الحكومية بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٦م، وقام بالترجمة وكتابة الحواشى والملاحظات " زاخودر " B.N.Zakhoder، وكتب المقدمة بولوتنيكوف: A. Bolotnikov .

بواقعية ويصورها كما هى، أما المضمون فهو ينتقد تصرفات حقبة من الانغلاق والجهل[1].

ويستهل المؤلف مقدمة هذه المجموعة التى تعد فى حقيقة الأمر " بيانًا رسميًا " لمدرسة أدبية حديثة ببيت للشاعر العظيم «فرخى السيستانى» :

صار الحديث عن الإسكندر عتيقًا

هات جديدًا فللجديد حلاوة أخرى

ويتحدث فيها عن تخلف وأمية جماعة كبيرة من الشعب، ويعتبر أن ذنب هؤلاء يقع على عاتق الأدباء لأنهم يخاطبون فى كتاباتهم طبقة المثقفين والأدباء ولا يكترثون بالآخرين حتى إنهم لا يعيرون اهتمامًا لفئة كبيرة ممن لديهم القدرة على القراءة والكتابة ويستطيعون بسهولة قراءة وفهم الأعمال البسيطة غير المتكلفة. "والخلاصة أن أرباب العلم فى بلدنا لايزالون بمنأى عن العامة فى كتاباتهم ويستخدمون أساليب غامضة لا يفهمها العامة، فى حين أن الدول المتقدمة التى أدركت سبيل الرقى تفضل الأسلوب البسيط فى الكتابة وغير المتكلف المفهوم لعامة الناس عن الأساليب الأخرى. وبالرغم من أن أهالى هذه الدول متعلمون ويستطيعون فهم الأساليب الإنشائية الصعبة، فإنهم يفضلون الأسلوب البسيط، ويسعى الأدباء دائمًا لاستخدام نفس اللغة المتداولة على ألسنة أهل الأزقة والأسواق ويضفون عليها طابعًا أدبيًا ويزينونها بمذاق فنى، حتى إن كبار العلماء يسعون أيضًا إلى كتابة أعمالهم بأسلوب يتسم بالبساطة قدر الإمكان[2] .

(١) بعد نشر هذا الكتاب كتب ميرزا محمد خان القزوينى من باريس فى ٨ نوفمبر ١٩٢٥م : " حقًا إن السيد جمال زاده باحث فاضل تشبع بالروح الأوروبية، ولم يكن أحد يتصور أن يكون هذا الشاب الضئيل الحجم مفعمًا بهذا القدر من الذكاء والحاسة النقدية على النمط الأوربى".

(٢) مقدمة الكاتب لكتاب (يكى بود يكى نبود) برلين، غرة ذى القعدة ١٣٣٢ .

ويمكننا أن نستنتج مما سبق ومن خلال قراءة القصص نفسها أن الكاتب يهتم بالأسلوب الإنشائى أكثر من موضوع القصة ومضمونها، وأن هدف الكاتب الرئيسى بيان الكلمات والألفاظ المتداولة بين العامة واستخدامها فى محلها. ونظرًا لأنه كان يعتبر الروايات والقصص أفضل القوالب لعرض اللغة وأنها أفضل من المعاجم اللغوية ؛ فقد قام بتأليف هذه القصص، بحيث إن كتاباته " تعد جعبة تحتوى على الاصوات الحبيسة لطبقات الشعب وفئاته المختلفة "[١]. ولحسن الحظ فإنه على الرغم من كثرة الكلمات والألفاظ والمصطلحات العامية فى هذه القصص، فإن أسلوب الكتابة يبدو إلى حد ما بسيطًا وسلسًا بحيث أن مثل هذه الكلمات والألفاظ ترد بشكل سلس متوال دون أن يشعر القارئ بالتصنع فى استخدامها ودون أن تخل بالموضوع أو تترك لدى القارئ أثرًا سيئًا .

إن الأسلوب الإنشائى فى هذه القصص وفى الكتابات اللاحقة لجمال زاده هو نفس الأسلوب الذى كان قد استخدمه من قبله الحاج زين العابدين المراغى فى «سياحتنامه» ودهخدا فى «چرند وپرند: ثرثرة» ، وقد اكتمل الأسلوب فى كتابات جمال زاده بشكل كبير، وخلا تمامًا من الأخطاء اللفظية والمعنوية والكلمات والمصطلحات التركية الخاصة بالكتّاب الآذريين خاصة أولئك الذين عاشوا لفترة فى القوقاز وتركيا. وجدير بالذكر أيضًا أن مؤلفات جمال زاده لا تقل عن مؤلفات أسلافه فى النقد اللاذع ولكن نقده من نوع آخر، بمعنى أنه استطاع بمهارته الخاصة أن يخفى مرارة النقد وراء ستار من السخرية المحببة .

وبعد مرور ستة أعوام على نشر هذه القصص كتب المستشرق الروسى «تشايكين»: "إن مدرسة الواقعية والأسلوب الواقعى بدآ فى إيران فقط مع (كان ياما كان)، وهى المدرسة والأسلوب الذى صار دعامة جديدة للأدب القصصى

(١) لقد جمع الكاتب كذلك بعض هذه الكلمات العامية المستخدمة والرائجة بشدة بين الطبقات الدنيا ووضعها فى آخر الكتاب .

فى إيران، ومنذ ذلك اليوم فقط يمكن الحديث عن ظهور القصة القصيرة والرواية فى الأدب الإيرانى الممتد منذ آلاف السنين . كما ينبغى أن نضيف أن اسم جمال زاده يحتل المرتبة الأولى بين أسماء أفضل الأدباء المعاصرين فى إيران وذلك بفضل كتابه «كان ياما كان»، وهذا ليس فقط بسبب الأسبقية الزمنية ولكن بسبب الوضوح والقيمة والمضمون الذى يميز هذا العمل. وبشكل مجمل يجب القول إن جمال زاده يعد كاتبًا يتساوى مع أفضل كتاب القصة القصيرة فى أوربا، فضلاً عن أنه اضطلع بمهمة صعبة للغاية وهى أنه استحضر روح وثقافة النثر الأوربى وقدرته على التجسيد والوصف فى قالب فارسى عمره ألفي عام "[1].

على كل حال فإن قصص «كان ياما كان» الجميلة التى وصفها المؤلف نفسه بأنها مشوشة ومفلسة وحكايات تشبه الهذيان ؛ تعد أفضل وأروع ما كتب وستظل دائمًا من روائع الأدب الإيرانى المعاصر .

وتشمل مجموعة «كان ياما كان» ست حكايات أو قصص قصيرة: "فارسى شكراست : الفارسية سكر " و " رجل سياسى " و " دوستى خاله خرسى: صداقة الخالة الدبة " و " درد دل ملا قربانعلى : ألم قلب الملا قربانعلى " و " بيله ديگ بيله چقندر : هذا القدر لهذا البنجر " و " ويلان الدولة " .

وقد استطاع الكاتب فى هذه القصص أن يقدم للقراء شخصيات مختلفة من المجتمع الإيرانى ويصف جوانب من أخلاقهم وعاداتهم مثل الحاكم الظالم، رجل الدين المرائى، المتفرنج الفاجر، رجل الديوان اللص المحتال، الرجل السوقى والمرأة السوقية ؛ الذين يعرفهم عن قرب ويعرف عاداتهم ومطالبهم وآلامهم وأفراحهم فيصفهم كما هم وباللغة التى يتحدثون بها .

---

(١) ك. أى، تشايكين، " شرح مختصر أدبيات فارسى "، موسكو، ١٩٢٨. ؛ وكذلك " راهنماى كتاب : فهرس الكتب " العام الأول، العدد ٣، خريف عام ١٣٣٧ ش، ص ٣٢٠ .

وقد وجهت انتقادات بشأن استخدام اللغة الفارسية المعاصرة بأسلوب مكتظ بالمواربة والالتواء والكناية فى " الفارسية سكر " .

يقول المؤلف : " كنت أريد من خلال هذه القصة أن أقول للمواطنين الإيرانيين إن اختلاف التنشئة والبيئة ستفسد اللغة الفارسية وهى لغة جميلة جدًا، وأن استخدام الألفاظ والمصطلحات العربية والأجنبية بكثرة من الممكن أن يؤدى تدريجيًا إلى عدم قدرة الإيرانيين والطبقات المختلفة من المجتمع الإيرانى على فهم بعضهم بعضًا "(١).

وقد صدر فى " الرجل السياسى " بكل وضوح وسيلة الشخصيات العادية للوصول إلى مناصب سياسية، وكذلك ظاهرة الرشوة التى تنتشر بين المسئولين الإيرانيين وذلك فى قالب ساخر لطيف .

أما نهاية " صداقة الخالة الدبة " فهى محزنة، فالكاتب الشاب المتحمس يقع وطنه تحت وطأة الاحتلال العسكرى الأجنبى ويقول لسان حاله " الدنيا، الدنيا، كم هى متلونة، كم هى متقلبة ! أرض كيكاوس يحتلها القوزاق الروس، واحسرتاه، واحسرتاه، ألف حسرة " وكأنه ينتقم من مظالم النظام القيصرى المتجبر عن طريق تصوير خسة أحد جنود القوزاق الروس .

وبطل " ألم قلب الملا قربانعلى " شيخ أمى يتلو روضة سيد الشهداء فى بيت تاجر للأقمشة بغرض شفاء ابنته المريضة، وتقع عيناه مصادفة على ابنته التاجر ذات الجدائل، فيهيم بها، وبعد وفاة الفتاة وأثناء إقامته صلاة الجنازة وقراءة القرآن عليها لا يستطيع أن يتمالك نفسه فيطبع شفتيه على شفتى الفتاة الباهتتين، وفى نفس اللحظة يقبض عليه العسكر ويضربونه ويلقون به فى السجن حليق الذقن .

---

(١) نقلاً عن إذاعة لندن بخصوص آراء جمال زاده فيما يتعلق بالنثر الفارسى والنثر الفارسى الحديث (مهرداد مهرين، جمال زاده وأفكاره، ص ٢٣) .

أما " هذا القدر لهذا البنجر " فهى قصة دلاك قدم من أوربا ضمن وفد من المستشارين بغرض إصلاح النظام الإدارى فى إيران، وعندما يصبح ثريًا يتذكر جملة وردت فى كتاب حاجى بابا الأصفهانى " أيها الأصدقاء لا تتعلقوا بالإيرانيين فهم غير أوفياء. فسلاح الحرب ووسيلة السلام عندهم الكذب والخيانة ... " فلم يتخل عن حذره، وظل يحمل كل ما يملك من عملات ذهبية أثناء تنقلاته، وما إن اقترب من مدينة قم حتى تقاطر عليه جماعة من اللصوص وقطاع الطرق، نهبوا كل ما معه، فعاد إلى أوربا حاملاً آلاف الحكايات .

أورد هذا الدلاك فى مذكراته وصفًا لتخلف المجتمع الإيرانى والفوارق الطبقية به وكذلك الصفات المكتسبة فى مثل هذا المجتمع .

أما " ويلان الدولة " فقد وصفه كالتالى : " إنه من تلك النباتات التى تنمو فى أرض إيران فقط، وتطرح الثمار، والتى يسمونها (حمص كل حساء)[(١)]. " فالأسبوع سبعة أيام، وهو لم يتناول طعامه فى مكان واحد قط، إنه مثل خيل رسل البريد؛ تتناول شعير الصباح فى هذا المكان، وشعير المساء فى مكان آخر ".

الفارسية سكر : هذا متن إحدى قصص كتاب " كان ياما كان " :

لا يحدث فى أى مكان بالعالم أن يعاقب المذنب والبرىء كلاهما إلا فى إيران. بعد خمس سنوات من الغربة وتجرع الألم لم تكن عيناى قد وقعت على تراب إيران الطاهر بعد من فوق سطح السفينة وإذا بصوت حمالى ميناء أنزلى بلهجتهم الجيلانية يصل إلى مسامعى قائلاً " يا ابنى يا حبيبى، يا ابنى " [(٢)]، وأحاطوا السفينة كالنمل الذى التف حول بعوضة ميتة يلقون بلاءهم على المسافرين، ووقع

---

(١) أى رجل لكل العصور، وتستخدم كلمة "حمص" فى هذا المصطلح الشعبى نظرًا لأن الإيرانيين يستخدمون الحمص فى كثير من الأطعمة، كما يصنعون منه العديد من ألوان الحساء وخاصة " آب گوشت : مرق اللحم " وهى أشهر الوجبات الإيرانية. (المترجم) .

(٢) يطلق الصغار والمساكين هذه العبارة على سبيل استدرار العطف (المترجم).

كل مسافر فريسة لعدد من أصحاب المراكب والحمالين. ولكن من بين كل المسافرين كان موقفي أكثر صعوبة. لأن الآخرين كانوا عمومًا من كاسبي الرزق ذوى اللبادة الطويلة والطاقية القصيرة من أهل باكو والرشت الذين لا يفتحون حافظاتهم لا بالتهديد بالعصى ولا بطلوع الروح. فهم يسلمون أرواحهم لعزرائيل في سبيل ألا يلمح أحد نقودهم. ولكن أنا البائس اليتيم لم تسنح لي الفرصة لكي أبدل قبعتي الأوروبية عريضة الحافة التي ظلت على رأسي منذ غادرت أوروبا. فظن " أصحابنا " أنني ثرى وصيد ثمين. فالتفوا حولي صائحين " يا سيدنا، يا سيدنا ". وصارت كل قطعة من متاعي بالقوة على رؤوس عشرة حمالين وخمسة عشر من أصحاب المراكب الظالمين. وعلت أصوات الصياح والصراخ والعراك بلا سبب واضح. وظللت مندهشًا حائرًا واضعًا إصبعي في فمي أفكر في حيلة أخلص بها نفسي من قبضة هؤلاء الغزاة وأهرب من حصارهم. وإذا باثنين من موظفي الجمارك " أزفت وأضل " يشقان الجمع، وبرفقتهما عدد من السعاة يرتدون ملابس حمراء وعلى رؤوسهم قبعات تحمل رمز " الأسد والشمس "[1]، وجوههم عابسة وشواربهم مبرومة إلى أعلى من الطرفين تتجاوز آذانهم وكأنها رايات الجوع يحركها نسيم البحر ؛ ووقفوا أمامي متجهمين. وما إن وقع بصرهم على بطاقة هويتي ارتعدوا وانتفضوا وقلبوا شفاههم وهزوا رؤوسهم وكأنهم تلقوا خبر إطلاق الرصاص على الشاه أو جاءهم عزرائيل بالأمر المطاع. ثم أخذوا يحدقون بي وينظرون إلى قامتي من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى وكأنهم " سيصنعون لي عباءة " على حد قول شباب طهران. وأخيرًا قال أحدهم : " آها ! هل أنت إيراني ؟ ".

---

(١) يطلق مصطلح " الأسد والشمس " للإشارة إلى شعار إيران الرسمي، وهو عبارة عن أسد يمسك بقبضته اليمنى سيفًا في حين تشرق الشمس خلفه. وقد ظل هذا الشعار مستخدمًا حتى قيام الثورة الإسلامية. (المترجم) .

فقلت " ماشاء اللـــه، يا له من سؤال ؛ إذن من أين تريدنى أن أكون، بالطبع أنا إيرانى، إيرانى لسابع جد. فلا يوجد أحد فى حى «سنكلج» كله لا يعرفنى ؛ أشهر من النار على العلم، ولكن لا، لم يستوعب رئيسهم هذا الكلام، وبدا معلومًا أن الموضوع ليس موضوع "شاهى"[١] أو مائة دينار، وأصدر أمرًا إلى هؤلاء السعاة بحراسة " سيدنا " حتى " إجراء التحقيق اللازم ". فإذا بأحد السعاة يحمل عصا صغيرًا من البوص يتدلى من طية شاله الممزق وكأنه نصل سيف، يمد يده ويمسك معصمى قائلاً "تقدم". فشعرت بخطورة الموقف وداهمنى الخوف. فى البداية كنت أريد إحداث جلبة ولكنى وجدت الظروف غير ملائمة فتمالكت نفسى. لا أوقع اللـــه أى كافر فى قبضة هؤلاء السعاة. يعلم اللـــه أن هؤلاء غفر اللـــه لآبائهم !! قد أضاعونا فى شربة ماء. الشيئان الوحيدان اللذان سلما منهما هما قبعتى الأوربية ومعتقداتى، فلم يكن لهم بهما حاجة. وفيما عدا ذلك لم يتركوا شيئًا إلا وأخرجوه، وما إن أدركوا أنهم قد أدوا واجبهم الديوانى كما ينبغى ألقوا بى فى زنزانة مظلمة خلف مبنى جمارك ميناء أنزلى، وهى بظلامها الحالك لا تقارن بالليلة الأولى من نزول القبر، كست جدرانها وبابها خيوط نسجتها أسراب من العناكب. أغلقوا الباب من الخارج ومضوا، وتركونى فى رعاية اللـــه .

وعند الطاقة كان يجلس رجل متفرنج ؛ ياقة قميصه مرتفعة وكأنها ماسورة المدخنة التى ينبعث منها الدخان الناتج عن احتراق النفط بقاطرات السكك الحديدية فى القوقاز، وفى نفس لونها. وكان مستغرقًا فى قراءة رواية فى هذا الظلام، وتحت ضغط هذه الياقة التى تبدو كطوق معلق فى رقبته، أردت التقدم نحوه وألقى عليه عبارة " بون جور مسيو " كى أبدو أمامه مسالمًا ومن نفس مشربه، ولكن سمعت صفيرًا يصدر عن أحد أركان الزنزانة، فنظرت إلى تلك الناحية ولفت انتباهى فى ذلك الركن شيء ظننته فى الوهلة الأولى قطة بيضاء نائمة على جوال

---

(١) الشاهى: عملة تعادل عشرين ريالاً وكانت مستخدمة فى العصر القاجارى وبداية العصر البهلوى (المترجم).

من أجولة الفحم الحجرى، ولكننى أدركت أنه شيخ قد جلس فى وضع القرفصاء متأبطًا ركبتيه كما تعلم فى المدرسة، ولف نفسه بعباءته حتى أذنيه الاثنتين أما القطة البيضاء فهى عمامته، فكانت غير محكمة وتدلى طرفها تحت ذقنه فصار وكأنه ذيل قطة، أما تلك الصافرة فكانت أصوات تسبيحه .

فإننا ثلاثة نزلاء، فاستبشرت بهذا الرقم. وكنت أرغب فى تجاذب أطراف الحديث معهما، فربما لو عرفت قصتيهما نبحث عن مخرج لنا. وفجأة فُتح باب الزنزانة وحدثت جلبة شديدة وأُلقى بشاب بائس يرتدى طاقية من اللباد فى الزنزانة ثم أُغلق الباب ثانية. واتضح أن المأمور القادم من الرشت قد ألقى بهذا الشاب البرىء فى الحبس بتهمة أنه كان يعمل خادمًا لدى رجل من القوقاز منذ عدة سنوات فى بداية الثورة الدستورية ومرحلة الاستبداد، وذلك بهدف بث الرعب فى قلوب أهالى أنزلى .

ولما أدرك النزيل الجديد أن صراخه وبكائه لن يفيد، مسح عينيه بذيل عباءته القذرة. وعندما تيقن كذلك أنه لا يوجد أحد من الحرس وراء الباب وجه لآباء وأجداد هذا وذاك سيلاً من السباب الأصيل مثل الشمام الكركابى[1] والطباق الحكانى[2] الذى لا يوجد مثيل لهما إلا فى إيران. كما سدد للباب والحائط ركلتين أو ثلاثًا بقدمه الحافية. وعندما رأى حالة الزنزانة العفنة بصق على الأرض بشدة وكأنه فى صولة المأمور الحكومى، ثم ألقى نظرة على الزنزانة فأدرك أنه ليس بمفرده. أما أنا فبدوت أوربيًا وأدرك أنه لا شأن له بى، ولم يكترث أيضًا بالمتفرنج. بينما أخذ يتقدم نحو الشيخ على مهل، وبعدما أمعن فيه النظر قال بصوت مرتعد " يا سيدنا الشيخ، قل لى بحق العباس ما هى جريمتى ؟ هل يقتل الإنسان نفسه ليستريح من ظلم الناس ".

---

(١) كركاب : قرية شمال أصفهان تشتهر بالزراعة وخاصة زراعة الغلال والقطن والشمام. (المترجم) .
(٢) حكان : قرية من توابع قزوين يعمل أهلها بزراعة الغلال والطباق. (المترجم) .

ومع سماع هذه الكلمات تحركت عمامة الشيخ وكأنها كتلة من السحاب وظهرت من بين طياتها عينان ألقتا بنظرة شاحبة على صاحب طاقية اللباد. وسمع الحاضرون الكلمات التالية تخرج بهدوء من فمه القابع بالطبع أسفل عينيه دون أن يظهر فمه لهم بوضوح : " يا مؤمن، لا تُسلّم عنان نفسك العاصية المقصرة للقهر والغضب، الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس " .

بُهت صاحب طاقية اللباد من سماع هذا الكلام وعندما التقط كلمة " كاظمي" من بين كلام حضرة الشيخ قال: " لا يا سيدى، اسم خادمك ليس كاظم، بل رمضان. كنت أريد أن أفهم على الأقل لماذا دفنونا أحياء ها هنا " .

فأصيب الشاب رمضان بالدهشة وأخذ يتلفت حوله وينظر للشيخ بخوف ويستعيذ بالله من الشيطان بصوت مهموس ويتلو شيئًا شبيهًا بآية الكرسى على حد علمه، ويأتى بحركة حول رأسه. واتضح أنه خائف وأن الظلام قد ساعده على ذلك ؛ بل يكاد يموت من الخوف. حزنت بشدة لحاله، أما الشيخ فلم يكف وكأن لسانه قد تناول مليّنًا أو أنه أصيب بـ " سلس الكلام " على حد قول الشيوخ، وأخذ يوجه له عبارات متوالية مثل " العلقة المضغة "، " مجهول الهوية "، " فاسد العقيدة "، " شارب الخمر "، " تارك الصلاة "، " ملعون الوالدين "، " ابن الزنا " وغير ذلك بحيث إن كل عبارة منها تكفى لاستباحة الأرواح والأموال وتحريم المرأة على أى مسلم، ولا أذكر واحدًا بالمائة من تلك العبارات .

أما رمضان المسكين كسير القلب كان فى حاجة إلى مواساة ولم ير خيرًا من الشيخ، فوجد ضالته تنحصر فى شخص واحد. فتمالك نفسه وتقدم نحو المتفرنج كالطفل الجائع يتقرب إلى زوجة أبيه طلبًا للطعام. وألقى السلام بصوت رقيق مرتجف قائلاً : "يا سيدى، بالله عليك، أتأذن لى. إننا الكادحون لا نفهم شيئًا، ويبدو أن الشيخ يصاحب الجن، وهو عربى لا يفهم أصلاً لغتنا، بالله هل تستطيع أن تشرح لى السبب وراء إلقائنا فى هذا السجن المميت ؟

وما إن سمع المتفرنج هذه الكلمات حتى قفز عند الطاقة وطوى الكتاب ووضعه فى جيب واسع بمعطفه، وتقدم نحو رمضان مبتسمًا ومد يده كى يصافح رمضان قائلاً: "أخى، أخى". لم يهتم رمضان بالمصافحة ورجع للوراء قليلاً، واضطر المتفرنج أن يرفع يده تلقائيًا ويضعها على شاربه، ثم أخرج يده الأخرى ووضع يديه عند صدره وإصبعى إبهامه فى فتحتى الأكمام بالصديرى الذى يرتديه. وقال بأسلوب لطيف : " يا صديقى العزيز، ورفيقى فى الوطن ! لماذا وضعونا ها هنا ؟ لقد قدحت زناد فكرى لساعات طويلة و لم أفهم شيئًا "آبسلومان"[(١)] لا شيء " بوزيتيف"[(٢)] ولا شيء "نيجاتيف"[(٣)] آبسولومان !. أليس " كوميك "[(٤)] جدًا أن يُلقى القبض علىّ أنا الشاب الحاصل على الدبلوم وسليل أشهر " فاميل "[(٥)] وكأننى " كريمينل "[(٦)] من أجل، ويتصرفون معى وكأننى من العامة ؟ ولكن لا عجب فى هذا فهذه ثمار ألف عام من الـــ "دسبوتيسم"[(٧)] وغياب القانون، والـــ " آربيترير "[(٨)] .

فإن الدولة التى تفخر بكونها دولة " كونستيتيوسيونال"[(٩)] يجب أن يكون لديها "تريبونال "[(١٠)] قانونية حتى لا يُظلم أحد من الرعية. أخى فى البؤس، ألا تتفق معى".

---

(١) Abdoluement : مطلقًا .
(٢) Positif : إيجابى .
(٣) Négatif : سلبى .
(٤) comique : كوميدى .
(٥) Famille : أسرة .
(٦) Criminel : مجرم .
(٧) Despotisme : استبداد .
(٨) Arbitraire : تعسفية .
(٩) Constitutionnel : دستورية .
(١٠) Tribunal : محكمة .

كيف يدرك رمضان المسكين هذه الأفكار المتقدمة أو يفهم الكلمات الأجنبية فى موضعها، فمثلاً كيف يفهم " حفر الرأس " وهى ترجمة لفظية لمصطلح فرنسى بمعنى الإمعان فى التفكير والتى يقابلها فى الفارسية " مهما قتلت نفسى " أو " مهما دققت رأسى فى الحائط .." أو كيف يدرك أن عبارة " رعيت به ظلم : ظلم الرعية "[1] هى ترجمة لمصطلح فرنسى آخر والمقصود به التعرض للظلم. وما إن سمع رمضان كلمتى "رعيت " و " ظلم " تصور بتفكيره الساذج أن المتفرنج يظنه " مزارعًا " وأنه يتعرض لظلم صاحب الأرض، فقال :" لاسيدى، خادمك ليس مزارعًا. فأنا صبى قهوجى فى مقهى بالجمرك على بعد عشرين قدمًا " .

رفع المتفرنج كتفيه وأخذ يضرب بأصابعه الثمانية على صدره وبدأ يمشى مطلقًا صافرة دون أن يبدى أى اهتمام لرمضان متابعًا أفكاره وأخذ يقول : "رفولسيون"[2] بلا "افولسيون"[3] شيء لا يمكن تصوره ! ولكن نحن الشباب يجب أن نلزم أنفسنا بإرشاد الأمة. وفى سبيل ذلك الشخص الذى ينظر إلىّ كتبت فى هذا الـ " سوجيه"[4] "ارتيكل"[5] مطول، وأثبت فيه للأعمى بكل وضوح أن لا أحد يجرؤ أن يأمل (يتعشم) فى الآخرين ... فعلى كل فرد أن يقدم الخدمات بقدر الـ " پوسيبيليته"[6] فهذا هو واجب كل شخص تجاه الوطن وهذه هى السبيل نحو التقدم ! وإلا فإن الـ "دكادانس"[7] سوف يهددنا. ولكن لسوء الحظ أن كلامنا لا يؤثر فى الناس. ويقول لامارتين فى هذا الشأن بكل وضوح ... ". وبدأ السيد الفيلسوف فى إنشاد شعر بالفرنسية كنت قد سمعته مصادفة ذات مرة فى السابق، وكنت أعلم أنه للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو وليس للامارتين .

---

(١) Sujet à L'injustice .

(٢) Révolution : ثورة .

(٣) Evolution : تطور .

(٤) Sujet : موضوع .

(٥) article : مقالة .

(٦) Possibilite : إمكان .

(٧) Decadence : انحطاط، تفسخ .

.... حزنت بشدة لحال رمضان. فتقدمت ووضعت يدى على كتفه قائلاً: " ابنى العزيز، كيف أكون أوربيًا. وقبر والدى مهما تأثرت بهم فأنا إيرانى وأخوك فى الدين. لماذا تشعر بالخوف. ماذا حدث ؟ فأنت لا تزال شابًا لماذا كل هذا التخبط؟ ".

ما أن وجدنى حسين أتحدث الفارسية التى يفهمها أمسك يدى وقبلها وانفرجت أساريره وكأنه ملك الدنيا، وأخذ يقول بلا توقف " جُعلت فداءً لفمك هذا ! واللـــه إنك لملاك ! لقد أرسلك اللـــه لتنقذنى ".

قلت : " يا أخى لا يوجد هنا عفريت ولا مجنون، بل هما إيرانيان أخوان لنا فى الوطن والدين ! " وما إن سمع رمضان هذا الكلام نظر إلىّ وتصور أننى غير طبيعى، وبدأ فى الضحك قائلاً : " أستحلفك بالعباس ألا تستهزئ بى. فلو كان هذان إيرانيين لماذا يتحدثان بتلك الطريقة، فلا توجد كلمة مما نطقا بها تشبه كلام البشر ". قلت: " يا رمضان إن ما يتحدثون به هو اللغة الفارسية بالفعل ... " ولكن كان من الواضح أن رمضان لم يصدق ويعلم اللـــه أنه كان على حق ولن يستطيع أن يصدق حتى بعد ألف عام، كما أننى أدركت أننى أهدر طاقتى. وأردت الحديث فى شأن آخر ولكن على حين غرة فُتح باب الزنزانة ودخل عسكرى وقال: " يا اللـــه، اعطوا لى حق البشارة، اذهبوا فى أمان اللـــه، لقد أُطلق سراحكم جميعًا " .

الفصل الرابع

الكتابات المسرحية

نظرة على الماضى : لقد طالعنا فيما مضى المحاولات السابقة للكتابة المسرحية باللغة الفارسية. فقد ظهرت أولى فرق الهواة للعروض المسرحية فى تبريز والرشت قبل إعلان الدستور بسنوات. وكانت هذه الفرق عبارة عن ممثلين أرمن رجالاً ونساءً قدموا من القوقاز، وكانوا يقدمون المسرحيات التى جلبوها معهم باللغة الأرمينية، وأحيانًا بترجمتها الآذرية بمشاركة أشخاص من أهل المدن المحليين. ومن الواضح أن مثل هذه العروض والمسرحيات لا يمكن أن تصنف ضمن الفن والأدب الإيرانيين .

ولكن فى إيران نفسها ألفت مسرحيات بعد قيام الثورة الدستورية فى قالب فكاهى عامة، تقليدًا للمسرح الفرنسى القديم، وأدخل الأدباء إلى تلك العروض قدرًا من لطائف الممثلين المحليين وعروض الحوض .

على سبيل المثال كتب حسن اعظام القدسى (أعظام الوزارة) فى كتابه «خاطرات: مذكرات»[1]، وكان قد سافر إلى الرشت عقب أحداث انقلاب محمد على شاه وقصف المجلس: "قررت إدارة المدرسة ... أن تقدم مسرحية. وقام بإعداد المسرحية ميرزا حسن خان معلم اللغة الفرنسية بالمدرسة الحكومية وكان رجلاً عالمًا ثم عمل فى وزارة المالية وصار من المسؤولين بها .... وورد فى المسرحية ذكر عدد من المعلمين لرجل بخيل، من بينهم معلم الموسيقى وقد كلفتُ بأداء دوره. ويقول البخيل لمعلم الموسيقى : الآن قم بالغناء لأرى إن كنت عذب الصوت ؛ كى أعينك. وبعد غنائى هذه الرباعية حظيت بإعجاب شديد، وبعد العرض كانوا يطلبون منى إنشادها :

---

(١) " خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صد ساله : مذكراتى أو عرض تاريخ مائة عام "، طهران، ١٣٤٣ .

أيهـــا الملـــك يجـــب أن يـــشعر القلـــب منـــك بالخجـــل
فـــإن لطفـــك يـــسعد آلاف الجنـــود
وتـــدبير الأمـــور وقـــت الـــشدائد
يجعـــل صـــوتك يهـــزم ألـــف ملـــك

وصفق الحضور تصفيقًا حادًا لدرجة أن الستار رفع مرتين وكرر معلم الموسيقى الغناء، وفى المرة الثالثة حظى بإعجاب الرجل "[1].

ويقول أيضًا " بازيل نيكيتين " القنصل الروسى فى الرشت منذ فبراير ١٩١٢م (أوائل عام ١٣٣٠ هـ.ق،) : " لم تكن فى الرشت عروض مسرحية بشكل مستمر، ولكننى كنت أحضرها عندما تعرض. و لم يكن حضورى بغرض الاستماع إلى حوارات الممثلين فقط وإثراء ثقافتى الفارسية ولكن لأن تمثيلهم كان رائعًا يستحق المشاهدة. وكان الرجال يلعبون أدوار النساء أيضًا، وأظن أن هذه المسرحيات قد ترجمت عن الفرنسية، وهذا يوضح أن الإيرانيين يفضلون المسرحيات الفرنسية [2]. وحضرت أيضًا ذات مرة عرضًا مبتكرًا حيث وضح عواقب المسكرات، واشتمل على جانب تعليمى وتربوى، وبيَّن أن البطل مدمن الخمر الطهرانى قد تعرض لعاقبة وخيمة نتيجة معاقرته للخمر. ثم تعرفت بعد ذلك إلى مؤلف هذه المسرحية الرائعة وكان معلمًا، وأهدى لى نسخة من المسرحية فأرسلت ملخصها إلى البروفيسور جوكوفسكى عالم الإيرانيات كى يطلع على نموذج لروائع المسرحيات الإيرانية"[3].

---

(١) يبدو أن هذه المسرحية محاكاة للمسرحية الكوميدية «البورجوازى النبيل » أو مزيج منها ومن مسرحية البخيل "Avare" لموليير .

(٢) يجب أن نضيف إلى قول المستشرق الروسى، أن سبب إعجاب الإيرانيين ومحاكاتهم وترجمتهم للمسرحيات الفرنسية، أن أغلب الشباب الإيرانى درس باللغة الفرنسية سواء فى فرنسا أو فى إيران نفسها، وأنهم أتقنوا الفرنسية أكثر من أى لغة أخرى .

(٣) نيكيتين، " إيرانى كه من شناخته إم : إيران التى عرفتها "، ص (١٢٧، ١٢٨) .

وفى عام ١٣٣٦ هـ.ق، قامت الجمعية الأدبية " فرهنگ : الثقافة " بتأسيس فرقة مسرحية، وكان على برنامج هذه الفرقة مسرحيات موليير، كما كانت تعرض أيضًا مسرحيات أخرى مثل " آرشين مالالان : بائع القماش المتجول " وأمثالها[١].

أما فى أذربيجان فكان لدى الأرمن فى تبريز مسرح يسمى " آراميان "، وكان هو المسرح الوحيد الذى كان يعرض فيه الأرمن مسرحياتهم وأحيانًا مسلمو تبريز ومن بعدهم فنانو القوقاز الذين كانوا يذهبون أحيانًا إلى تبريز .

ومنذ عام ١٣٣٥ هـ.ق، ظهرت فرق عديدة منها " فرقة أذربيجان الخيرية " و " فرقة نشر المعارف " و " فرقة الأمل فى التقدم " و " فرقة فنانى الدراما الآذريين ". وكانت هذه الفرق تعرض مسرحياتها باللغة الآذرية ثم باللغة الفارسية فى بعض الأحيان على مسرح "آراميان " أو المسارح التى كانوا قد شيدوها أنفسهم. ومن هذه العروض المسرحية "نادرشاه الأفشارى " تأليف نريمان نريمانوف و " در راه شرف : فى سبيل الشرف " للأديب الأرمنى شيروانزاده، و " وطن " تأليف نامق كمال، والعروض الأوبرالية " أصلى وكرم " و " عاشق غريب " والأوبريتات " آرشين مالالان : بائع القماش المتجول " و " المشهدى عباد" و " ياشدا جوان : شاب فى الخمسين " تأليف حاجى بيكوف، وفى عام ٥ – ١٣٠٦ ش، أقيم مسرح عظيم فى الحديقة الوطنية يسمى " مسرح الأسد والشمس الحمراء"[٢].

---

(١) أغلق المسرح المذكور بقرار من الحكومة عام ١٣٤٠ هـ.ق، بسبب تدخل الرجعيين .

(٢) يجب أن نذكر عددًا من فنانى أذربيجان الذين تحملوا مصاعب جمة لتطوير فن المسرح وتعريف الإيرانيين به، وقد مروا بظروف عصيبة حتى أيامهم الأخيرة، ونذكر على رأسهم المخرج والفنان الشهير مكرديج طاشجيان والذى قدم من روسيا إلى إيران وقام بعرض مسرحيات شهيرة لعدة سنوات منها رائعة شكسبير " أتللو : عطيل"، " كورادو " لكابريل دانو نزيو، " در راه تاج : فى سبيل التاج " وهى مسرحية من خمسة مشاهد مقتبسة عن رواية فرانسو كوبه، و " كدام يك أز دو " : أيهما ؟ " من تأليف دوخ بانكو وهى تراجيديا عن فرسان نورماند، و" هزار ويك مكر زنان : ألف حيلة وحيلة للنساء " كوميديا من فصل واحد وهى مقتبسة عن قصص ألف ليلة وليلة و " مترجمة للغة الإنجليزية "، و"أفسانه : الأسطورة" من فصل واحد، وعدد من المسرحيات الأخرى. (وكان مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا قد ترجمها جميعها لمكرديج طاشجيان وبمساعدته عن اللغة الروسية). عمل طاشجيان بعد ذلك فى عبدان موظفًا فى شركة البترول. ويقول تفضلى إنه قابله فى عبدان وأعجب بموهبته الفريدة. ومن المؤسف أن الحكومة الإيرانية لم تستطع الاستفادة من فنان مثله فى مجال تخصصه.=

ولم أجد مسرحية أُلفت باللغة الفارسية فى طهران وعُرضت بها فى السنوات الأولى من الثورة الدستورية .

وكانت تنشر موضوعات فى قالب حوارى بصحيفة " تئاتر : المسرح " التى كانت تصدر عام ١٣٢٦ هـ.ق، وقد مر ذكرها فى القسم الثالث (الحرية)، ومن بينها مسرحية " شيخ على خان ميرزا حاكم ملاير وتويسركان وعروسى أوبا دختر شاه پريان : الشيخ على خان ميرزا حاكم ملاير وتويسركان، وزواجه من ابنة ملك الجان". وكتبت هذه الحوارات وأمثالها تقليدًا لمسرحيات ميرزا آقا التبريزى ليس من أجل العرض ولكن بغرض القراءة وتقديم المواعظ. وكان الغرض منها بيان الأهداف السياسية ونقد الأساليب الإدارية والتقاليد الاجتماعية وتنفير الناس من النمط الحكومى العتيق والأساليب المعيشية فى إيران .

ولم يراع فى هذه الكتابات الحرفية الفنية كى تكون صالحة للعرض على خشبة المسرح، ولا يمكن مقارنة أى منها بالمسرحية التركية " الوطن " لنامق كمال بيك (١) على سبيل المثال من حيث تأثيرها.

- أما الثانى فهو رضا قلى زاده شقيق ضابط الشرطة حسن خان، والذى كان يكتب المسرحيات بنفسه فضلاً عن تمثيله فى مسرحيات القوقاز، وكان يقوم بدور البطل الرئيسى. وأذكر من مسرحياته النقدية الرائعة " كربلائى قنبر در جهنم : قمبر الكربلائى فى جهنم "، " پول يا خدا : المال أو اللـه "، و " انتقام حقيقى " .

وثالثهم بيوك خان النخجوانى الذى سافر إلى آذربيجان بعد الثورة الروسية، وعلم مجموعة من الشباب هذا الفن. وأبدع فى أداء بعض الأدوار من بينها دور " كاوه الحداد " والأمير تيمور لنك و الإسكندر المجنون بطل المسرحية الكوميدية " مردگان : الموتى " من تأليف رئيس تحرير صحيفة " ملا نصر الدين ".
ومن بين الفنانين الموهوبين فى أذربيجان فى ذلك الوقت يجب أن نذكر " آقامالوف " الروسى الأصل والذى قام بتمثيل مسرحية " شيخ صنعان " لحسين جاويد، وكذلك على زاده الذى كان يؤدى دور النساء، وحسينقلى كريموف إلى لعب أدوار شخصيات تاريخية مثل نابليون، والقائد الرومانى أنطوان .

(١) ولد الشاعر والأديب التركى نامق كمال عام ١٢٥٦ هـ.ق، وتوفى فى الخمسين من عمره، وكان من أبرز الأدباء الذين خطوا بالأدب العثمانى إلى مرحلة جديدة بالتعاون مع " شناسى ". ويأتى نامق على رأس هؤلاء الأدباء حيث أثر بشكل كبير على معاصريه وعقول الشباب وتفكيرهم. ويقول الأتراك إن نامق بعث الحياة فى قلوب أهالى وطنه البائسة التى توقفت نتيجة الاستبداد ؛ وذلك من خلال الكلمات -

أولاً: الفرق المسرحية

" **جمعيت فرهنگ** : **فرقة الثقافة** " : أثناء المرحلة الثانية من الثورة الدستورية ظهرت فى طهران تدريجيًا فرق مسرحية صغيرة من المستنيرين، وكان أولاها " فرقة الثقافة " [(١)]، وكانت هذه الفرقة قد تشكلت من الأشخاص الذين تمتعوا بشعبية لدى الناس وشغلوا مناصب مهمة فى الإدارات الحكومية [(٢)]. وتضمنت مسرحياتهم موضوعات سياسية ونقدية وكانت تعرض مرة أو مرتين سنويًا فى الحدائق العامة بطهران مثل " متنزه الأتابك " (المقر الحالى للسفارة الروسية)، و " متنزه ظل السلطان " (المقر الحالى لوزارة الثقافة)، و " متنزه أمين الدولة"، وكان العائد من هذه العروض يُنفَق على المدرسة التى أسسوها وحملت نفس الاسم [(٣)].

" **تئاتر ملى** : **المسرح القومى** " : أسس سيد عبد الكريم خان محقق الدولة فرقة أخرى تسمى "المسرح القومى " بالتزامن مع تأسيس فرقة الثقافة تقريبًا أو بعدها (عام

= التى أبدعها. تأثر نامق كمال بالأحداث السياسية فى عصره أكثر من الآخرين، وامتزجت أعماله الشعرية والنثرية بتلميحات وإشارات إلى الأحداث الجارية (لا يخفى أن الأتراك يتهمونه بتقليد العجم واتباع أسلوب الإيرانيين فى التفكير) ولا تعد مسرحية " الوطن " أروع أعمال كمال الأدبية، فقد ابتعدت هذه المسرحية عن التلقائية والبساطة بسبب المشاعر الوطنية المفرطة والكنايات الجريئة فى عباراتها، كما اتسمت بالإسهاب بسبب الخطب الطويلة وسرد الأحداث بلا داعٍ، ولكن على الرغم من هذا فإنها تفوق المسرحيات الإيرانية فى ذلك الوقت مكانة من حيث التكنيك الفنى وحسن البيان .

(١) أعلن سيد على خان نصر فى ندوة لهيئة الكتاب التى عُقدت فى العاشر من شهر أرديبهشت ١٣٤٠ ش، أن هذه الفرقة فكرت فى عرض مسرحيات وطنية إبان الثورة الدستورية، وكانوا يعرضون مسرحيات وطنية فى " متنزه أمين الدولة " عندما قام الدستوريون بالثورة وكانت أصوات المدافع تهز أرجاء المدينة (راهنماى كتاب، العام الرابع، ص ٣١٠) .

(٢) مثل محمد على فروغى، عبد اللــه المستوفى، على أكبر داور، فهيم الملك وسيد على نصر .

(٣) يقول سيد على خان نصر : " ولكن لم تكن مشاكل العمل قليلة، فمثلاً ذات مرة تم إعداد مسرحية بعنوان "تاجر ورشكسته : التاجر المفلس" تتناول التجار الذين كانوا يظهرون فى تلك الأيام كل يوم ثم يفلسون، ولكن تم إضرام النار فى المسرح بكل ما فيه من معداته المستأجرة (راهنماى كتاب، العام الرابع، ص ٣١٠).

١٣٢٩ هـــ.ق)، وشارك فيها عدد من الفنانين والعلماء [١]. وكانت تعرض هذه الفرقة ترجمات غير دقيقة ومحرفة لمسرحيات موليير وجوجول الكوميدية أو المسرحيات القوقازية ذات الفصل الواحد (الفودفيل) [٢] مثل " خور خور : الشخير " وغيرها. ولم تستمر هذه المؤسسة الفنية لفترة طويلة واختفت بموت مؤسسها [٣].

" **كمدى إيران - كمدى إخوان** : **الكوميديا الإيرانية - كوميديا الإخوان** " : فى عام ١٣٣٤ هـــ.ق، وبالتزامن مع عودة سيد على نصر من أوربا تأسست فرقة أخرى تسمى "كوميديا إيران " وقد انضم إلى نصر فيها فنانون وأدباء مشهورون [٤].

وكانت كوميديا إيران فى الواقع أول مؤسسة مسرحية تعمل وفق أسس وقواعد سليمة، وقد خلقت فى الشعب الإيرانى التذوق الحقيقى للمسرح، واستطاعت أن تفتح مجال التمثيل المسرحى أمام عدد من السيدات الأرمن والأتراك واليهود، ولأول مرة أدت النساء أدوارها بعد أن كان يؤديها الرجال .

وقد استمرت هذه الفرقة المسرحية أكثر من عشر سنوات برغم الصعوبات المالية التى واجهتها، وفى هذه الفترة تُرجَمت العديد من المسرحيات المختلفة والتى كان فى

---

(١) مثل ميرزا هشان همنام، رضا آهى، القائد أحمد على الزندى، أعظم السلطان، حاجى ميرزا زكى خان، سيد على خان نصر، محمود همرامى منشى باشى، محمد على خان ملكى المعروف بـــ " مياه "، عنايت اللـــه خان الشيبانى، مشار السلطنة قدس، سيد جلال المرعشى، رضا ملكى، نصر اللـــه همنام، يوسف مشار أعظم، حسن طبيب زاده وآخرين .

(٢) مسرحية هزلية "Vaudeville" .

(٣) يقول باولوفيتش، الأديب الروسى (الثورة الدستورية الإيرانية، ٥٥)، وكذلك المستشرق الروسى نيكيتين (إيران التى عرفتها، ص ١٢٨) : " كانت أول مسرحية عرضتها الفرقة القومية ؛ المسرحية الكوميدية الشهيرة لجوجول «بازرس : المفتش» التى كان قد ترجمها للفارسية نادر ميرزا (نادر آرسته) العضو الشاب بوزارة الخارجية. وقد صورت هذه المسرحية الرشوة والاحتيال والدجل والظلم فى عهد نيقولا الأول، وكانت القضايا الرئيسية المطروحة فيها تنطبق على أوضاع إيران المتردية منذ القدم، لذا لاقت قبولاً لدى الإيرانيين ".

(٤) هم : منشى باشى، عنايت اللـــه خان الشيبانى، محمد على ملكى، أحمد محمودى كمال الوزارة، مهدى نامدار، سيد رضا هنرى، رفيع حالتى، محمود ظهير الدينى، فضل اللـــه بايكان، طبيب زاده، حسين خير خواه، غلام على فكرى، على أصغر كرمسيرى وغيرهم .

مقدمتها أعمال موليير، وعرضتها على خشبة المسرح. وكان البطل الرئيسى للفرقة الفنان المبدع محمود ظهير الديني الذى تولى فى الغالب أداء المشاهد المضحكة .

وقبل أن تغلق هذه الفرقة غادرها ظهير الديني وأسس " فرقة كوميديا الإخوان " وقدم عددًا من العروض فى طهران والرشت .

وكان برنامج هذه الفرقة المسرحية يقوم أيضًا على مسرحيات قصيرة مأخوذة عن مسرحيات موليير بعد اختصارها كالمعتاد [1].

" **إيران جوان** : **إيران الفتاة** " : تأسست فرقة مسرحية أخرى باسم «إيران الفتاة» عام ١٣٤٠ هـــ.ق،، وكان من أعضائها " لرتا " و " فكرى " اللذان صارا فيما بعد من أبرز الشخصيات فى مجال الفن المسرحي بإيران. واحتلت مسرحية « جعفر خان أز فرنگ آمده: جعفر خان عاد من أوربا » مكانة مميزة فى برنامج هذه الفرقة .

" **كمدى موزيكال** : **الكوميديا الموسيقية** " : ظهرت فى طهران مجموعة من الفرق فى حدود عام ١٣٣٨ هـــ.ق، وما بعده، كان من بينها فرقة " الكوميديا الموسيقية " التى ضمت مجموعة من الفنانين برئاسة رضا شهر زاد، وكانت مجموعة من الفتيات الأرمن يلعبن دور راقصات الباليه .

وحظيت " الكوميديا الموسيقية " بإقبال كبير فى إيران، وقد انتشر هذا النوع من الفن المسرحى متأثرًا بشكل مباشر بالمسرحيات الكوميدية الموسيقية فى القوقاز، وحظيت بمكانة رفيعة بين العروض المسرحية فى إيران لسنوات طويلة، ومن بينها أوبريت " آرشين مالالان : بائع القماش المتجول " و " المشهدى عباد " فقد حققا شهرة واسعة .

---

(١) ولد ظهير الديني عام ١٢٧٨ ش، ويعد من أشهر الفنانين وأبرزهم فى تلك الفترة، وكان المسرح الإيرانى يتوقع منه الكثير، ولكن للأسف ابتلى بمرض السل وتنحى عن إدارة " كوميديا الإخوان ". ولكن بالرغم من هذا عمل لفترة من الوقت مع أفلاطون شاهرخ وخير خواه حتى توفى يوم الجمعة ٢٧ من شهر تير ١٣١٤، عن عمر يناهز السادسة والثلاثين .

" **كلوب موزيكال : نادى الموسيقى** " : فى عام ١٣٤١ هـــ.ق، أنشأ علينقى وزيرى فرقة «نادى الموسيقى» بمساعدة مجموعة من الفنانين، حيث كان قد درس فن الموسيقى فى أوربا وتعرف على مشاهير هذا الفن. وقدمت هذه الفرقة نماذج من فن الأوبرا والأوبريت فى طهران والرشت وأنزلى .

ثانياً: الكوميديا الاجتماعية والنقدية

بظهور الفرق المسرحية اتجه الأدباء الإيرانيون إلى كتابة المسرحيات. وفى البداية أُلفت هذه المسرحيات محاكاةً للمسرح الفرنسى القديم، وكانت فى الغالب ترجمات غير مكتملة أو محرفة لمسرحيات موليير الكوميدية أو اقتباسًا لها. بمعنى أن الأدباء كانوا يقتبسون الموضوع عن النص الأصلى ويطوعونه بشكل جزئى أو كلى وفقًا للزمان والمكان والذوق الإيرانى .

وفى هذه المسرحيات قل الاهتمام بمفهوم (العشق) والأحداث الرومانسية التى تميزت بها أعمال موليير، وكان هدف الأدباء الرئيسى تناول القضايا الاجتماعية.

ومن أبرز الأعمال فى هذا المجال مؤلفات ميرزا أحمد خان كمال الوزارة، يليها " جعفر خان أز فرنگ آمده : جعفر خان عاد من أوربا " تأليف حسن مقدم، ومسرحية " حاجى متجدد : الحاج المتطور " تأليف محمد حجازى .

١ - محمودى

ولد أحمد محمودى (كمال الوزارة) بن مشاور الملك كاشف ستاره‌ء محمودى فى ربيع الأول ١٢٩٢ هـــ.ق، فى طهران. بدأ دراسته المتوسطة فى دار الفنون فى سلاح المشاة. وفضلاً عن تخصصه فى العلوم الرياضية والطبيعية ودراسته للأدب العربى تعلم الفرنسية أيضًا على يد ريتشارد خان مؤدب الملك، وبعد التخرج عمل كاتبًا فى وزارة الخارجية. وعند قدوم مسيو نوز البلجيكى إلى إيران لتولى إدارة الجمارك انتقل محمودى إلى تلك الإدارة، وفى عهد مسيو مرنارد انتقل إلى وزارة المالية وظل بها بقية حياته، وأُسندت إليه مناصب مهمة وحساسة فيها.

كان محمودى يكافح الفساد ويحاربه من خلال كل المناصب التى أُسندت إليه، حتى إنه تعرض للأذى كثيرًا على أيدى المفسدين، بل إنه سجن لعدة شهور بتهمة عضويته فى " لجنة العقوبات ". وتوفى محمودى عام ١٣٤٩ هـ.ق، (شهر مرداد ١٣٠٩ هـ.ش) عن عمر يناهز الثامنة والخمسين .

ولقد وصلت إلى أيدينا بعض كتابات ومسرحيات محمودى، ومن بين مسرحياته الجديرة بالذكر " حاجى ريائى خان يا تارتوف شرقى : حاجى المرائى خان أو تارتوف الشرقى " و "اوستاد نوروز پينه دوز : الأسطى نوروز الإسكاف "[(١)].

حاجى المرائى خان : إن مسرحية حاجى المرائى خان هى تقليد لرائعة موليير " تارتوف " كما يبدو من اسمها الآخر الذى أطلقه عليها المؤلف .

وبطل هذه المسرحية رجل من نبلاء إيران يتسم بقدر كبير من الخسة والمكر والتزوير والرياء والاحتيال ويحب الجاه والشهرة. وتبدأ المسرحية بمشهد " حاجى خان " يتلقى الدرس. وفى المشهد الثالث الذى يكون قد تعلم كلمات ومصطلحات طبية، يفحص فى حضور معلمه " باج نازپرى " زوجة " دورو بيك " خادم المنزل والتى لم تتناول الطعام منذ ثلاثة أيام فأصيبت بالوهن بسبب الجوع. وبينما ينشغل بالحديث مع محرر صحيفة "الخيرات" كى تنشر أعماله الخيرية فى تلك الصحيفة ؛ تدخل زوجة حاجى خان " عصمت هانم " وراءها " باج نازپرى " و " دورو بيك " وجوههم شاحبة ومنخرطين فى البكاء ويعلنون وفاة " بينوا خان" ابن حاجى خان. وتنتهى المسرحية بمونولوج لعصمت هانم :

---

(١) مسرحياته الأخرى بالترتيب : " تى تيش ماماں يا فقر عمومى : الملابس الجميلة أو فقر عام "، " مقصر كيست ؟ : مَنْ المذنب ؟ "، " ميرزا برگزيدهء محروم الوكاله : ميرزا المختار محروم الوكالة "، " نوروز شكن يا قهرمان ميرزا دلسوز : مفسد احتفال النيروز أو البطل ميرزا الحنون "، " طبيب إجبارى : طبيب رغم أنفه". وتشتهر من مؤلفاته الأخرى أيضًا قصتا " لوطى حارث يا ناتوان : حارث اللوطى أو العاجز " و " ميرزا ميرم خان ". ويمكننا أن نذكر أدباء آخرين من الأدب العالمى ممن قدموا شخصية " المرائى " على أفضل ما يكون، منهم سالتيكوف شجدرين ونكراسوف من روسيا والشاعر الإيرانى حافظ الشيرازى .

" أنت نفسك شاهد على أنك لم تساعد أى محتاج ! ألا تعلم أن آلاف الأطفال مثل عزيزنا " بينوا " قد هلكوا على نحو مفجع بسبب الفقر والحاجة خلال المجاعة السائدة هذه الأيام بالرغم من الأخبار المتطايرة عن برِّك أنت وأمثالك. بالطبع إن أرواحهم الطاهرة سوف تشكو للعدل الإلهى رياءكم وتصرفاتكم الزائفة. آه يا لها من حماقة أن يرغب الإنسان فى تحسين سيرته وتجميلها عن طريق الزيف والرياء ".

أُلفت مسرحية حاجى المرائى خان أثناء المجاعة التى حدثت عامى ٥ – ١٣٣٦، ومن المعلوم أن المؤلف قد وضع نصب عينيه أثناء تأليف هذه المسرحية أحد الرجال المشهورين فى ذلك الوقت (الذى كان يحول دون نجاح المؤلف فى أداء مهامه الخاصة بتعقب المحتكرين وإصلاح الأمور المتعلقة بالغلال فى طهران، ويخشه على الفساد ؛ ذلك فى ثوب من العفاف والصلاح) ومن المعروف أن المسرحية عندما عُرضت لأول مرة فى قاعة جراند هتيل كان بطل العرض يشبه تمامًا نفس الرجل السياسى الذى قصده المؤلف وأن المشاهدين جميعًا رأوه فى دور حاجى المرائى خان وأدركوا قصد المؤلف .

كُتبت المسرحية فى ثلاثة فصول، وموضوع المسرحية بسيط، ولتفادى هذا العيب اضطر الكاتب إلى إقحام مشاهد وحوارات مكررة غير ضرورية، ولم يدقق كثيرًا فى تصوير هيئة "المرائى". إن " تارتوف الشرقى " مبتدئ وساذج، ولا يملك القدرة والمهارة لإخفاء تصرفاته بشكل كاف لدرجة أن الخادم والخادمة وزوجته والمنادى والسماسرة قد اكتشفوا أمره .

إن أسلوب المسرحية الأدبى لا يستحق الحديث كثيرًا، ولم تراع فيه الدقة الكافية. فعبارات " دورو بيك " وتصرفاته وإنشاده للشعر (سوف تُحْشر بهذا الزى) والعبارة التى تعلمها من " الملا الجاهل " (اللهم احفظ الحمار والفرس والبغل من شر كل عين ناظرة) وكذلك بعض المشاهد الأخرى حولت المسرحية إلى مسرحية هزلية .

إن منافسة كاتب غير متمرس فى الكتابة المسرحية لموليير وخاصة فى إطار واحدة من أفضل روائعه يعد خطوة شديدة التهور، ومع هذا فإن البناء العام للعمل يقترب للأسس الفنية الأوربية كما ذكرنا. ومن الممكن عرضه على المسرح بسهولة.

" **استاد نوروز : الأسطى نوروز** " : إن مسرحية محمودى الثانية المسماة " الأسطى نوروز الإسكافى " والتى ألفها عام ١٣٣٧ هـ.ق، تعد أكثر ثراءً من حيث الموضوع والحبكة .

كُتبت المسرحية فى ستة فصول قصيرة، وتدور أحداثها فى ضيعة (بيعار آباد) فى طهران. وفى يوم من أيام الشتاء شديد البرودة وعلى مقربة من مفترق صغير وإلى جوار حانوت البقالة الخاص بالحاج الشيخ منصف ؛ مدَّ الأسطى نوروز – الذى يكسو وجهه التجهم دائمًا – وبساطه وأدواته الخاصة بإصلاح الأحذية، فى يده المخراز، وعلى ركبته فردة حذاء، وأخذ يواسى نفسه. يشكو من الفقر والحاجة ويتذكر أيام الرخاء الماضية حيث كان ينعم بسعة العيش. ويتنهد أحيانًا إذ " كان يتزوج بدلاً من امرأة واحدة اثنتين، ثلاثًا، خمسًا، ثمانى. وكلما كان يشعر بالملل كان يطلقها ويتزوج غيرها، واحدة أخرى، ثم واحدة أخرى، ثم واحدة أخرى ! ". والآن لم يستطع أن يحضر إلى بيته زوجة جديدة منذ عامين كاملين أو ثلاثة ". وبعد أن يتخلص الأسطى من اثنين من المشترين المزعجين ؛ يرى امرأة فى غاية الدلال تقترب بتمهل من بساطه. «عالم آرا هانم » زوجة المرحوم عبد اللـــه دولدوز الذى توفى منذ عام. أخرجت فردة حذاء من بين عباءتها وأعطتها للإسكافى كى يغير نعلها. دار حديث وانتهى بأن يطلق الأسطى الإسكافى زوجتيه ليتزوجها. ويناقش الأسطى نوروز الموضوع مع صديقه القديم " داش أسمال " ويقرر وفقًا لمشورته أن يخرج زوجتيه من المنزل بحيلة ما، على أن تعودا ثانية للمنزل والمعيشة معه بعد إتمام المراد .

يعود الأسطى نوروز إلى المنزل عابس الوجه حاد المزاج وفى حالة من العصبية، ويستعد فيقطب جبينه. ولا يرد السلام على زوجتيه، ولا يتحدث معهما، ويتعلل بأن الطعام سيئ فيبدأ فى الصراخ والسباب. وتقوم ثورة لا أحد يعلم سرها ويستيقظ الأطفال (غلام وحسين ورقى) من على الأريكة التى ناموا عليها وينهضون باكين. ولا يتورع عن ضربهم وفى النهاية تأخذ الزوجتان الأولاد وتذهبان إلى منزل " فرتوتة هانم ".

وتدرك " فرتوتة هانم " أن الأسطى نوروز يضع عينه على امرأة، فتعدهما بالتنكيل به شريطة أن يتعاون ويكن معًا على الخير والشر .

يرهن الأسطى الإسكاف سدس منزله للحاج الذى يعمل فى الرهن العقارى، ويقترض منه خمسين تومانًا بفائدة قرانين[1] لكل تومان لمدة أسبوعين، ويشترى لباسًا وحذاءً وهديةً للعروس، ويحملها إلى بيت العروس فى حضور " الحاج الشيخ منصف " البقال. وفى ليلة العرس وبينما بساط اللهو والشراب ممدودًا وأطفال الحى مجتمعين كلهم، ويعزف " پيناس " الكمان، ويغنى " على مراد " مع عدد من المغنيين ؛ يُفتح الباب. فإذا بـــ " فرتوته هانم " تحمل عصا فى يدها، وتربط عباءة الصلاة على خصرها وبرفقتها زوجتا الإسكاف .ويدخل خلفهم " زناجى آب منگلى " ورفاقه، فأفسدوا العرس عن طريق الشتائم والسباب والضرب بالعصى .

تعتبر المسرحية إيرانية خالصة وليس بها أى مظاهر وافدة. الأنماط والشخصيات أصلية وطبيعية، وجميع الأفراد فى المسرحية تقريبًا يحملون الصفات المميزة للطبقة التى ينتمون إليها. ولكن من حيث عدد المشاهد فإن ستة فصول يعد عددًا كبيرًا ومملاً لمثل هذه المسرحية، خاصة أن حذف بعض المشاهد أو ضمها لمشاهد أخرى لن يقلل من أهمية المسرحية وقيمتها، مثل مشهد ضارب الودع " ميرزا كاذب ساحراده " ومشهد " بى بى جوجى : جوجى هانم " الساحرة واللذين يعبران عن جهل النسوة. وعلى الرغم من ذلك فإن المسرحية أُعدت بشكل جيد، وتتفوق على مسرحية محمودى سالفة الذكر .

وهناك أمر آخر لابد من ذكره، وهو أن المؤلف سعى لاستخدام اللغة العامية بكل خصائصها فى هذه المسرحية، وقد وفق فى هذا إلى حد بعيد على الرغم من قصور الأبجدية الفارسية. وتعد ظاهرة التحول من اللغة الرسمية الفصحى إلى اللغة العامية الدارجة أمرًا ملفتًا للانتباه بشكل كبير فى الأدب الإيرانى. لقد فتح هذا المجال دهخدا

(١) قران : القران عملة إيرانية كانت مستخدمة فى العصر القاجارى وبداية العصر البهلوى، وهى تعادل الريال حاليًا. (المترجم) .

بمقالاته " چرند وپرند : ثرثرة " فى جريدة " صور إسرافيل "، وقلده محمودى فى مسرحياته، وسار محمد على جمال زاده بعد ذلك على نهجه فى مجموعته القصصية " كان يا ما كان " وكذلك من أتوا بعده. وكان النجاح حليفًا لهذه المحاولات ؛ وبالتدريج انتشرت لغة الحوار فى النثر الفارسى. ولقد كانت اللغة العامية ومصطلحاتها أكثر وأسرع انتشارًا فى الأدب المسرحى عنه فى الأدب الروائى والقصصى، وبالطبع هذا يتعلق بطبيعة هذه الأعمال. وسوف نتحدث عن هذا ثانية فى موضعه .

وهذا مشهد من المسرحية

المشهد الثالث

داش أسمال، الإسكافى، على مراد، زلفى، اليوزباشى شداد، كل مهدى پلنگ "النمر"، نايب عابدين لاسى " البصباص "، حسن سماقى " بائع السماق "، تقى كچل "الأقرع "، پيناس عازف الكمان وفرقته :

الإسكافى : (**ناظرًا إلى پيناس**) اتأخرت قوى، وسيبتنا نستناك .

پيناس : أنا ح اطلع من الملة دلوقتى .

الإسكافى : طب كنت مشغول فين وجاى تدوّر علينا فى الليل كده ؟ يمكن الليلة تكون عاوز تهلب زى أصحابنا إياهم .

پيناس : لا، لا وسيدنا موسى [١]. ماكنتش رايح فى حتة، خدونى بالعافية .

الإسكافى : فين ؟

پيناس : النهارده العصر جه ريس الخدم وخدنى عند سيده من غير معرف، علشان ياخدوا منى الفِردة (الإتاوة) اللى بيسموها ضريبة العُشر. كان الريس مصمم أدفع حاجة مقدم. ومهما قلت لهم إنى ما اشتغلتش (ما عزفتش حاجة)، أدفع منين، ما صدقونيش. فى الآخر خليت "سيدى" موسى يضمنى لغاية ما أروح بكرة وأتنيل وأتزفت وأدفع الفردة دى ولا الإتاوة؛ وأنا اش عرفنى بقى.

---

(١) يتضح من خلال الحوار أن پيناس يهودى الديانة، وسيتضح هذا الأمر لاحقًا من خلال المتن (المترجم) .

داش أسمال : (**ناظرًا إلى اليوزباشي شداد**) : يا أخى هما بياخدوها ليه !

اليوزباشى شداد : إيه السؤال ده، كأنك مش عايش فى البلد دى، بياخدوها لروحهم. الريس وألف زيه، دول يا حبيبى عندهم مصاريف، هو بياخدهم لنفسه وبيصرفهم على نفسه .

كل مهدى بلنگ (النمر) : وإحنا مالنا، إيه دخلنا. طيب بقولك وإحنا مالنا ومالهم! (**ملتفتًا إلى اليوزباشي شداد**) بجد يا أخى، أنا شفت ليلة الجمعة "تقى خرخرى : تقى الأحمق" عند سبيل (سبيل الماء) نوروزخان، وكانت حالته أبهة وعلى ما يرام، وكان بيتسكع حواليه شوية صيع .

اليوزباشى : (**ينظر للحضور متأملاً**) إنت عارف " تقى خرخرى " ده بهيئته دى كان بيشتغل إيه فى الأول. كل ما كان يلاقى حصان أو حمار أو بقرة ميتة، كان بيسلخهم، يا اللــــه، ويطلع له بقران[1] أو قرانين .

تقى عباس كچل (الأقرع) : كنت أعرف البنى آدم ده من سنين، كان باين من الأول إن فيه حاجة فى دماغه. كان بيدى شوية فلوس لواحد صايع والاّ بلطجى علشان يبقى تحت طوعه .

اليوزباشى شداد : مالناش دعوه بيهم .أنا بقول، أنا مش عارف إيه النصب والاحتيال اللى شغال فى البلد دى، عشان دول يعيشوا بالطريقة دى فى الزمن ده ... قسمًا ب "على" أنا شايف الراجل ده لحد دلوقتى لابس أربعة أطقم .

---

(١) القران : عملة إيرانية تعادل الريال حاليًا (المترجم) .

كل مهدى بلنگ : (يقطع كلامه) ده ليلة الجمعة كان عليه طقم من الجوخ أزرق مزين من طرفه بالحرير. وعلى رأى اليوزباشي، البنى آدم ماكانش بيسيب قشة سنبلة قمح تعدى فى مجرى الميه (القناة)، لو يحب يجيب أربع شباب أو أربع بغال علشان يفرفشوا البنى آدم ده .

حسن سماقى : (يقطع الكلام) قول عشرة .

اليوزباشى شداد : أنا مش حسود ربنا يفتح على الكل. بس كلامى كان عشان أفهمك أنهم بيقولوا اليومين دول كلام فارغ، لازم البنى آدم يدرس ويتعلم عشان يبقى حاجة. كل ده يا أخى كدب. أنا بقول : يا مرحب بشوية حظ والمتفرنجين بيقولوا : البنى آدم الكويس بتجيله الفرصة .

تقى عباس كچل : اى واللـــه يا أخى، وقبر علىّ أنت بتتكلم صح أوى .

اليوزباشى شداد : أنا مش بقول إن التعليم وحش، لكن أنا بقول إنه دلوقتى فى بلدنا اللى بيسموها إيران، كل أنواع الألاعيب بتنفع، على الأقل البنى آدم اللى خد حاجتك؛ عارف السقطة واللقطة ولازم يعرف إن تقى خرخرى .

(فى تلك الأثناء يلمح داش أسمال إشارات "نايب عابدين لاسى" لـــ "على مراد زلفى"، فيقطع كلام اليوزباشى فجأة فى حالة من الغضب) .

داش اسمال : كنت عاوز أقول يا أخى، إن إحنا الفتوات فينا كل العيوب إلا قلة الحيا. ما حصلش لغاية دلوقتى، أنت لازم فى القعدة اللى نكون فيها وبيقعد أربعين واحد زى على مراد، لازم تغمض عينيك مش تقل حياك، من أول الليل لحد دلوقتى شفت ألاعيبك القذرة وحركاتك، على مراد شاب عدل، لو ما مشيتش ح يفضحك .

نايب عابدين لاسى " البصباص " : (**ينظر إلى داش أسمال غاضبًا**)
يا أخى دى غلطتك، كل ما تشرب كاس ورا التانى، تعوز تملأ واحدًا بالعافية . أنا بحذرك، دلوقتى لو عايز تلعب علىّ لعبة قذرة فده موضوع تانى !

الإسكافى : (**ملتفتًا إلى نايب عابدين لاسى لمنع تطور الأمور**) يا أخى إحنا ما عندناش شك فى طهارتك. (**ملتفتًا إلى داش أسمال**) أخى بحلّفك بـــ"علىّ" تسكت، أنت مش عارف إن السادة دول ضيوفك .

اليوزباشى شداد : (**ناظرًا إلى داش أسمال**) إحنا ما جيناش هنا علشان نسمع القيل والقال بتاعكم، ماكنتش أعرف إنكم غاويين نكد .... (**ينظر إلى ييناس**) يا صاحبى، وأنت كمان ما شاء اللـــه مربع إيديك، وساينا. مش مفروض تدفع بكره للراجل إياه " العُشر " ولا معرفش اسمه إيه " فرده " ! اعزف لنا شوية علشان ننبسط .

تقى عباس كجل : (**ناظرًا إلى اليوزباشى شداد**) أى واللـــه، أنا كمان نفسى نعمل سهرة زى المتفرنجين نعزف ونغنى. على رأيهم، ننبسط بأى شكل (**ينظر إلى ييناس**) اعزف لنا شوية من الألحان الجديدة. (**فى هذا الوقت يعزف ييناس على الكمان ويغنى على مراد مع عدد آخر من الحضور. وبعد غناء أغنية فى مقام البيات التركى يغنون الأغنية التالية غناءً جماعيًا**) – فى مقام البيات التركى :

لـــــــــــــــــو رأى غريـــــــــــــــــى حبيـــــــــــــــبتى
يثـــــــــــــــور قلـــــــــــــــبى مـــــــــــــــن الغـــــــــــــــيرة
فـــــــــــــــالمكر والحيلـــــــــــــــة جيـــــــــــــــشه (مـــــــــــــــرتين)

وحـب الحريـة جيـشى

قلـبى متـهور فمـا الخـوف مـن العـدو

واللـه سينـصرنى علـى العـدو

فإمـا أن أخـضب بدمـه فراشـه (يـا حبيـبتى)

أو أن يخـضب بـدمى فراشـى

لـن أدع مقـبض السـيف الـذى بيـدى (يـاحبيبتى)

طالمـا لـن يتـركنى غريمـى لحـالى

إلى كـل غـريم فى الـوطن، إلى أيـن، هـذا بيتنـا

ابتعـدوا قلـيلاً، فهـذا لـيس مكـانكم

ابتعـدوا ابتعـدوا فلـن نستـسلم

اذهـب أيهـا الأبلـه فلـن نستـسلم (مـرتين)

موشح

إن وصـلك ينـسينى يـوم القيامـة

ونظـرة منـك تهـدم دار الإيمـان

صـرت أسـير عـشقك أيهـا الحبيـب

مـاذا حـدث، صـار وجهـى كخمـر الرمّـان مـن لـومهم لى

وفقـدت عـين البـصر مـن البكـاء جـراء هجـرك لى

الحقيقـة أريـد أن تبتعـد عـين الحـسود عـن وجهـك

ومـا حـيلتى أيهـا الحبيـب مـع الحاقـدين

إذا كـانوا لا يريـدون أن يتركـونى لحـالى

لم أسمـع كلمـة مـن فمـك اليـاقوتى أيهـا الحبيـب

ولم أقطـف زهـرة مـن روضـة وصـالك أيهـا الحبيـب

صـرت أسـير غرامـك أيهـا الحبيـب

مـاذا حـدث، صـار وجهـى كخمـر الرمـان مـن لـومهم لى

(فى هذا الوقت ثمل أغلب الحاضرين بسبب احتساء الخمر، وكل منهم يتفوه بكلام غير متزن، والجميع يتكلم دون أن يستمع للآخرين، بحيث إنه لا يمكن فهم شيء من كلامهم. ويحاول اليوزباشى شداد الذى يعتبر تقريبًا صاحب المقام الكبير فى هذه الجلسة بتنظيم الأمور حيث كان أقل الحاضرين احتساءً للخمر)

اليوزباشى شداد : إحنا سكرنا وعربدنا بفضل أخى نوروز، وماعملناش حاجة زى اللى بيعملها المتفرنجين، يحيا الغُنا بتاعنا. قسمًا بـــ"علىّ" ح نتبسط. اسمعوا، ح أغنى لكم اسمعوا، ما تبرطموش وحياة علىّ :

استهلال خارج المقام:

أيتها النعامة النـــار جوانحى وأقدامى

أيها البـــلبـــل هذه الروضة روضتى

عظامى من فـــضة وفى كبدى ذهب

كل من يعرف المقصود يصبح أستاذى

نقى عباس كچل: يغنى .

حبيبى قلت لعابد النار، أيها الكافر على أى دين أنت

أجاب يا مســــلم، أنا عابد للشـــــــــــــــمس

حسن سماقى : يغنى محيًا إياهم :

لى ألم فى قلبى لو أفصحت به احترق لسانى

ولو أخفيته أخشى أن يذوب النخاع بعظامى

أيها المنجم أخرج برج حظى من الفـــــلك

فأنا سيئ الحظ وأخشى أن تحترق السماء من آهاتى

- **إنشاد جماعى**

يـــــا عزيـــــزى كـــــف حبـــــيى كـــــالحرير الكاشـــــانى

يـــــا عزيـــــزى لا تـــــسلم عقلـــــك لإنـــــسان ســـــاذج

جـــــاء أول الليـــــل حـــــان وقـــــت الأنـــــس

لم يـــــأت حبـــــيى أنـــــا وردة بـــــلا شـــــوك

(لم ينته إنشاد الأغنية بعد وإذا بالباب يُفتَح وتدخل " فرتوتة هانم " بيدها عصا عاقدة عباءتها على وسطها ومعها زوجتا الإسكافى، ويدخل وراءها " زناجى آب منگلى " ورفاقه).

٢ – حسن مقدم (على نوروز)

ولد حسن مقدم بن محمد تقى احتساب الملك عام ١٣١٦ هـــ.ق، (١٢٧٧ش) فى طهران، بدأ فى تلقى العلم وهو فى السادسة من عمره، فدرس لأربع سنوات فى إيران ولإحدى عشرة سنة فى سويسرا، وأتم دراسته الأدبية فى مدينة لوزان. بعد حصوله على الشهادتين الابتدائية والمتوسطة التحق بالجامعة وحصل على الليسانس فى العلوم الاجتماعية، ثم سافر إلى اسطنبول، وهناك قام بالتدريس فى مدرسة (الأحمدية)(١) الإيرانية لمدة عامين، وفى نفس الوقت أخذ يستكمل دراسته للأدب الفارسى فى إيران.

حصل حسن مقدم وهو فى الحادية والعشرين على منصب الملحقية الشرفية فى السفارة الإيرانية بتركيا وظل يعمل بوزارة الخارجية الإيرانية حتى آخر أيامه .

وفى عام ١٣٣٩ هـــ.ق، عندما كان مقدم فى اسطنبول أصدر لاهوتى الكرمنشاهى مجلة أدبية باسم «پارس : فارس » باللغتين الفارسية والعربية وتولى حسن مقدم رئاسة تحرير القسم الفرنسى وشارك فى الكتابة بها (٢).

---

(١) تأسست هذه المدرسة بجهود مجموعة من الأشخاص الأفاضل وبتشجيع خان ملك ساسانى سفير إيران ومهدى خان مقدم، وتولى إدارتها أبو القاسم اللاهوتى .

(٢) كانت مجلة (پارس) تصدر مرتين شهريًا، ويبدو أن العدد الأول منها صدر فى شعبان ١٣٣٩ هـــ.ق (فروردين ١٣٠٠ ش). وكان صاحبها أبو القاسم اللاهوتى ومديرها المسئول جلال أنسى، ونُشرت فى هذه المجلة أشعار ومقالات لكمالى، ولاهوتى، وأديب الممالك، وشوريدة، وعلى نوروز، والفيلسوف رضا توفيق.

واستغل مقدم العطلات السنوية والرسمية، وزار أوربا كلها تقريبًا وبعض دول آسيا وأفريقيا، ودون مشاهداته خلال تلك الرحلات فى دفتر مذكراته باللغة الفرنسية. ولم يكن يكل أو يمل، فكان كثير الاطلاع ومتفانيًا فى العمل وخاصة فى تأليف القصص القصيرة والمسرحيات والبحث فى الفلكلور الإيرانى وجمع الأمثال والحكم والحكايات .

اشترك مقدم فى سويسرا فى المحفل الأدبى: Belles – Lettres، وتعرف فيه على العديد من العلماء والفنانين المشهورين مثل سترافينسكى[1]، و راموز[2]، وأندريه جيد، وريفير[3] وتعاون معهم .

وعندما سافر الفنانان الروسيان المشهوران جورج پيتوييف وزوجته ليود ميلا[4] من باريس إلى سويسرا لعرض مسرحيات هاملت والبؤساء وقوة الظلام ؛ كانا يذهبان كل ليلة بعد المسرح إلى شقة مقدم الصغيرة ويتناولون معًا العشاء ويتبادلون أطراف الحديث حول الأدب والفن لبعد منتصف الليل .

شغف مقدم بالمسرح منذ فترة دراسته بلوزان وشارك لعدة مرات أثناء وجوده بالمدرسة بالتمثيل فى مسرحيتى " حضرت إبراهيم: سيدنا إبراهيم " و " تاريخ سربازى: تاريخ جندى " .

كان مقدم يكتب أعماله باللغتين الفارسية والفرنسية وكان يوقعها بأسماء مستعارة مثل "هوشنگ"، "حسن"، "ميرزا حسن"، "ميرزا غلام على"، "ميرزا

---

(١) ولد إيجور فيودوروفيش سترافينسكى: I.F. Stravinsky، الملحن الروسى الشهير عام ١٨٨٢م، فى سان بطرسبرج. عاش منذ عام ١٩١٠م، فى باريس ثم انتقل للعيش فى أمريكا عام ١٩٣٩م وكان من أتباع المدرستين الفنيتين الانطباعية والكلاسيكية الجديدة. ومن أهم أعماله " عصفور النار " و " بتروشكا " و "الربيع المقدس " و " الثعلب " وأوركسترا " العرس " .

(٢) شارل فرديناند راموز: Ch. F. Ramuz، الكاتب السويسرى الناطق بالفرنسية (١٨٧٨ – ١٩٤٧م) له رواية " الخوف فى الجبل " وروايات أخرى .

(٣) جاك ريفير: J. Riviere (٥١٨٨ – ١٩٢٥م) كاتب فرنسى ولد فى بردو، كان مدير تحرير " مجلة القصة القصيرة الفرنسية " .

(٤) جورج پيتويف: G. Pitoéff (١٨٨٦ – ١٩٣٩م) وزوجته ليود ميلا (١٨٩٦ – ١٩٥١م) كلاهما من أهالى تفليس، قدما إلى باريس عام ١٩١٩م، وشاركا فى عدد من المسرحيات المهمة .

حسينعلى"، "أبو الحسن"، "ميرزا چغندر"، "م. ح" "Pirrot malade"، وفى الغالب "على نوروز" .

فى نهاية الحرب العالمية الأولى قام الشباب الذين سافروا إلى أوروبا ممن أرقتهم الأوضاع فى بلدهم بتأسيس جمعية عرفت فى البداية باسم " سروش دانش : ملاك العلم " ثم " إيران الفتاة" بعد ذلك، وكانت أفكارهم تقدمية وثورية إلى حد ما [1]. وكان أغلبهم من محررى مجلة «فرهنگستان » الصادرة فى برلين، وعادوا إلى إيران بعد إتمام دراساتهم مثل : د. حسين نفيسى مشرف الدولة، د. على أكبر سياسى، مشفق كاظمى، على سهيلى، إسماعيل مرآت، محسن رئيس، عبد الحسين ميكده. شارك حسن مقدم أيضًا فى هذه الجمعية حيث كان قد قدم أخيرًا إلى إيران، وألقى محاضرات عن " تأثير اللغة الفرنسية فى الأدب الفارسى" فى تلك الجمعية، كما عقد عدة جلسات فى قاعة دار الفنون تحدث خلالها عن "المسرح وتاريخ المسرح "، كما ألف مسرحيته الشهيرة " جعفر خان از فرنگ آمده : جعفر خان عاد من أوربا " وقد مثل فيها بنفسه عندما عرضت فى قاعة جراند هتيل، وفى هذه السنوات (١٣٠١ – ١٣٠٣ش) كتب سلسلة مقالات فى جريدة " إيران " بعنوان "رسالة من طهران إلى القاهرة "، وتحدث فى

---

(١) طبعت لائحة هذه الجمعية فى شهر فروردين ١٣٠٠ فى مجلد أخضر اللون فى إشارة لمستقبل إيران، وكانت أهم بنود تلك اللائحة : إقامة حكومة تعمل على أساس القانون الوضعى فى إيران، وفصل الأمور المدنية عن القضايا الدينية، إلغاء الاحتلال وجميع امتيازات التقاضى الممنوحة للأجانب فى إيران، إلغاء المحاكم الخاصة وعودة جميع القضايا للمحاكم المدنية والعامة، إنشاء سكك حديدية فى جميع أرجاء إيران، إعادة النظر فى المعاهدات التجارية وخاصة المتعلقة بالجمارك، إعادة النظر فى الضرائب وخاصة الضرائب المباشرة التصاعدية على العائدات ورأس المال والإرث، الحد من زراعة الأفيون وحظر استخدامه، الاهتمام بالتعليم، تعميم الدراسة الإلزامية الابتدائية وبالمجان، إنشاء معاهد متوسطة، الاهتمام بالتعليم الفنى والصناعى، إرسال الدارسين والدارسات للخارج، تغيير الأبجدية الفارسية، إنشاء مدارس للكبار، إنشاء متاحف ومكتبات وكتاتيب ومسارح، إزاحة كل ما يعوق التقدم وحرية المرأة، اقتباس وترويج الجانب المشرق من الحضارة الغربية ... أنشأت جمعية " إيران الفتاة " بعد ذلك صحيفة تحمل نفس الاسم، وصدر العدد الأول منها فى الثانى والعشرين من شعبان ١٣٤٥هـ.ق .

تلك المقالات عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى أغلب الدول الأوربية، وقام خلالها بتفسير وتبرير قضايا تهم الشعب الإيرانى فيما يتعلق بالشئون الدولية .

بعد توقف حسن فى إيران كلف بالعمل فى السفارة الإيرانية بمصر، ولكنه أصيب هناك بالسل، وسافر إلى سويسرا للعلاج ولكن العلاج لم يأت بنفع، وتوفى فى شهر آبان ١٣٠٤ش (١٣ نوفمبر ١٩٢٥م) فى مصحة ليزن عن عمر يناهز السابعة والعشرين وثمانية أشهر .

كان حسن مقدم أديبًا ماهرًا ومبدعًا أحرز بمقالاته وكتاباته باللغة الفرنسية شهرة واسعة بعيدًا عن وطنه فى المحافل الأدبية العالمية. ربطت حسن مقدم صداقة بآندريه جيد، ومازاريك [(١)] السياسى التشيكى وأول رئيس للجمهورية التشيكية، ورومن رولان، وهنرى ماسيه، وماسينيون. كما تبادل معهم الرسائل، وكان اسمه يذكر بين عمالقة الأدب فى أغلب الصحف والمطبوعات الأوربية نذكر منها على سبيل المثال " Mercure de Frane" و "Message d' orient"، "Eurorpe" و "Revue Littéraire"[(٢)].

كان حسن واحدًا من أبناء إيران الواعدين حيث تميز برجاحة العقل والنشاط والذكاء، وللأسف أنه لم يقدر حق قدره ولم يدرك أحد اختلافه عن الآخرين. فقد أمضى عمره القصير مغتربًا يعانى البؤس والألم والمحنة ويصارع المرض، ورحل دون تقدير[(٣)] .

وأقامت جمعية (إيران الفتاة) فى شهر آذر ١٣٥٤ ش، حفل تأبين باسمه فى مدرسة دار الفنون، وألقى فيه د.على أكبر سياسى وإسماعيل مرآت وسعيد نفيسى كلمات عن أحواله وخلقه ومكانته الأدبية .

---

(١) توماس مازاريك (١٨٥٠ – ١٩٣٧م) سياسى تشيكى وأول رئيس للجمهورية التشيكية .

(٢) فى المؤتمر الذى أقيم بمناسبة ميلاد رومن رولان الستين ذكر حسن مقدم عبارة ترددت فى أرجاء المحافل الأدبية حيث قال: إن الأديب والفنان لا ينتمى إلى دولة أو قارة بعينها ويجب أن نعتبر رومن رولان مواطنًا عالميًا "Citoyen du monde" .

(٣) ليست لدى معلومات كافية عن حياة وأعمال هذا المؤلف، وهى تقتصر تقريبًا على ما كتبه د.حنق عطائى. ومن المنتظر أن يقدم للقراء الإيرانيين شرحًا وافيًا لبعض أعمال مقدم وسيرته على نحو أكثر تفصيلاً كما وعد .

جعفر خان عاد من أوربا

ترك مقدم عددًا من المسرحيات وبضع غزليات والكثير من المقالات والحكايات. وأشهر مسرحياته مسرحية كوميدية من فصل واحد تسمى جعفر خان عاد من أوربا. انتقد فيها سلوك الشباب العائدين من أوربا، وكذلك الخرافات والتعصب الأعمى لدى الإيرانيين المتشددين. حققت هذه المسرحية فى حينها شهرة واسعة، وصار اسم بطلها يضرب به المثل ويطلق على مَنْ يتباهى بالتشبه بالغرب (المتفرنجين) بحيث أصبح يطلق على هؤلاء الأشخاص " صاحبنا مثل جعفر خان " أو " جعفر خان عاد من أوربا"[(١)].

جعفر خان ذو الاثنين والعشرين ربيعًا وأحد أعيان الطبقة المتوسطة فى طهران سافر منذ ثمانية أو تسعة أعوام إلى أوربا للدراسة، والآن – عام ١٣٤٠ هـ.ق، – تترقب أسرته عودته من أوربا .

وتصمم والدة جعفر خان أن تزوج ابنها بمجرد وصوله من ابنة عمه " زينت" التى اختارتها له منذ زمن وتعيش معها فى نفس المترل. فالعجوز ترغب فى رؤية سبعة أو ثمانية من الأطفال حولها يصرخون ويعدون ويصيحون ويتدافعون ؛ ثم تموت بعد ذلك. وتتهيأ " زينت " لهذا الغرض، حيث إنها تتعلم كل شيء يجب أن تعرفه المرأة لإرضاء زوجها " تستطيع المساعدة فى شئون المترل، تنظف الخضروات، وتصلح الملابس الممزقة، وتقوم بالكى، تقرأ القرآن، تتكحل، تصنع الحلوى، تقرأ الطالع، تمارس السحر .. "

(١) هذه المسرحية الكوميدية التى أهداها المؤلف لمدام ڤارتوتوريان عُرضت لأول مرة فى الليلة الثامنة من شهر فروردين ١٣٠١، فى قاعة جراند هتيل بطهران وذلك بواسطة فرقة " إيران الفتاة "، وقد حازت إعجاب الجمهور ورجال الصحافة. ومن ذلك كتب أحد محررى صحيفة " أقدام " فى عددها الثانى والعشرين " ... أقول بدون مبالغة أو مجاملة إن المسرحية التى تعرضها (إيران الفتاة) أعادت رويدًا رويدًا روح الشباب للجسد الإيرانى المسن وسوف تجدد حياتنا شيئًا فشيئًا. فالمسرحية المذكورة ذات نفع وقيمة كبيرة بحيث يمكننا القول بأنها أفضل روائع الدارسين وأجمل هداياهم لنا. فهذه المسرحية وأمثالها التى توضح الأخطاء القديمة والمفاسد الحالية وتظهر قبحها ؛ نعتبرها أولى خطوات الإصلاح .. ". وكتبت صحيفة ستاردء ايران : نجم إيران " فى نفس اليوم فى عددها الثانى والأربعين بعد المائة أن " فى هذه المسرحية يصارع المجتمعان القديم (التقليدى) والحديث أحدهما الآخر، فمشاهدة هؤلاء الشباب وأولئك العجائز وجهًا لوجه تكشف العيوب والنقائص ".

فجميع أفراد هذه الأسرة من نساء ورجال يؤمنون بالأعمال والسحر والتشاؤم والتفاؤل والحسد والطالع بل يبدو من خلال حديثهم أنهم يعتقدون أن الأوربيين يتناولون لحوم الدببة والقرود ويصنعون نوعًا من شراب العرقى من نعال أحذيتهم !

يصل جعفرخان إلى منزل والده مرتديًا سترة وسروالاً على أحدث طراز باريسى، فيقدم بطاقة هويته ليتأكد أن والدته غير منشغلة، ويمسك بيده سلسلة طوق كلبه "كاروت: جزر"[1]. يتحدث الفارسية بصعوبة ونصف كلامه باللغة الفرنسية. وهذا الفتى الذى خرج من حى "سنگلج" بعد أن أمضى عدة سنوات فى أوربا يعتبر نفسه من " أهالى باريس "، ويظن أن الرقى والحضارة أو على حد قوله " پروجره " و " سيفيليزاسيون " فى المظهر ورباط العنق والمنديل. وجعفر خان لا يتفق أبدًا مع خاله على وجه الخصوص. فخاله على عكس جعفر خان لا يؤمن مطلقًا بالتطوير .

وهو لا يتصور أن يدخل جعفر خان الغرفة بحذائه وينجس المكان كله، ويستاء من ذلك. ويخشى أنه إذا تزوج فى المستقبل " زينت " دون أن يغير أخلاقه، فلن يستطيع أحدهما العيش مع الآخر. وطالما أنه قد وصل بالسلامة إلى الديار فيجب أن يصبح رجلاً على حق قبل فوات الأوان، أى يجب أن يأكل بيده، أن يمضمض فمه بعد الشراب، ينام على الأرض وأن يرتدى الطاقية دائمًا، " لأنه لو لم يرتد الإنسان الطاقية على رأسه فى هذا البلد سيستغله الناس ". يجب أن يعتذر عن الإمساك بطوق كلبه، ويرتدى العباءة كالرجال، ولا يقوم بكى سرواله، ولا يكثر من الاستحمام ولا يهذب شاربه، وأن ينام فى الشتاء أسفل السرير و" ألا يكون له رأي مطلقًا " .

تبدأ المسرحية بداية موفقة جدًا كما أن البناء محكم ويخلو تقريبًا من العيوب، ووصف الشخصيات دقيق وسليم، والكلام يخرج من أفواه الشخصيات صحيحًا وفى

(1) Carotte.

موضعه. ولكن يوجد بعض العيوب فى المسرحية بشكل عام، فأحيانًا لا يتسق حوار الشخصيات مع صورتها العامة، وبالرغم من هذا فالعمل بشكل عام مشوق وجدير بالقراءة ويستحق العرض، وخاصة أنه يتناول قضية أثيرت فى تلك الفترة ولاتزال حتى الآن موضع بحث ولها أهمية كبيرة. وسنقدم فيما يلى أحد مشاهد هذه المسرحية كنموذج :

المشهد الخامس

(مشهدى أكبر – جعفر خان – كاروت)

(ملابس جعفرخان عبارة عن سترة وسروال رمادى على أحدث خطوط الموضة فى باريس، لابد أن يكون السروال حسن الكى وله كسرة من أوله لآخره. الياقة صغيرة، ورباط العنق والمنديل (pochette) والجوارب من لون واحد. وعلى هذا الزى معطف مطر ذو حزام. قفاز لونه ليمونى. يكسو الحذاء والقبعة غبار كثيف. وعندما يدخل يحمل فى يده اليمنى حقيبة سفر صغيرة، وفى يده اليسرى طوق كلبه. يدخل مشهدى أكبر خلف جعفرخان. ويحمل فى يده أيضًا حقيبة سفر وعددًا من المظلات والعصى وبعض متاع السفر، وبينما هو يضعها على الأرض يتحدث جعفر خان الفارسية بقدر من الصعوبة).

جعفر خان : (**يضع حقيبة سفره على الأرض**) أوف! (enfin)[1] وصلنا. يا له من طريق!! لقد حط علينا الغبار وأصبنا " بالميكروبات" ! (ينظف بالمنديل الغبار من على الحذاء والقبعة، ويضع القبعة على المنضدة مخاطبًا كلبه قائلا: (I ci carotte)[2]. **ينظر إلى ساعة يده.** لقد تحركنا فى الساعة السابعة والربع من حى " ينكى إمام " وأمضينا حتى هنا ثمانى ساعات وثلاثًا وعشرين دقيقة .

---

(١) أخيرًا .

(٢) هنا كاروت .

مشهدى أكبر : حسن سيدى العزيز، إن شاء اللـــه تكون هذه السنوات قد مرت على خير.

جعفر خان : نعم، لم تكن سيئة، وأنت كيف حالك مشهدى أكبر. ألم تمت بعد ؟

مشهدى أكبر : بفضل اللـــه مازال بى رمق، الحمد للـــه، لقد عاد سيدى من أوربا أخيرًا. إنشاء اللـــه تأخذلك عروسًا من هنا .

جعفرخان : أنا ؟ لا مشهدى أكبر، أنت مخطئ. الإنسان لا يأخذ لنفسه عروسًا مطلقًا. (**يخاطب كلبه**): "N'est-ce pos carotte"[1]، ثم (**ويخاطب مشهدى أكبر**) أعطنى هذا الڤاليز .

مشهدى أكبر : ماذا سيدى ؟

جعفرخان : هذا الڤاليز ... هذا الشيء ... حقيبة السفر .

مشهدى أكبر : آها، نعم سيدى .

جعفر خان : (**يأخذ حقيبة السفر من مشهدى، يفتحها ويخرج منها بعض الأشياء ويضعها على الطاولة، من بينها فرشاة للملابس الجوخ، كتاب باللغة الفرنسية، زجاجة عطر ومشط**) إذن أين المدام .. الهانم ؟

مشهدى أكبر : ستأتى الآن سيدى .

جعفر خان : (**يعطى سلسلة الكلب لمشهدى أكبر**) أمسكه، مشهدى أكبر .

مشهدى أكبر : سيدى، إنه نجس .

جعفر خان : كاروت نجس ! إنه أنظف منك مائة مرة، أنا أحممه كل صباح بالصابون ! Allons carotte, allons![2] (**يأخذ مشهدى السلسلة ويحاول البقاء بعيدًا عن الكلب**) .

---

(١) أليس كذلك كاروت .

(٢) هيا كاروت هيا .

مشهدى أكبر : (**مهمهمًا**) هل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟ لى ثمانون عامًا مسلمًا وأخيرًا أجد نفسى حارسًا للكلب ؟

جعفر خان : الطقس هنا سيئ جدًا أيضًا (**ينشغل برش العطر**) لابد أن يكون مليئًا "بالميكروبات".

مشهدى أكبر : حقًا سيدى، ما هذا البخل، هل أحضرت لى كلبًا هدية، وأيضًا كلبًا أوربيًا ! بدلاً من أن تحضر لى نظارة مثلاً .

جعفر خان : ولماذا نظارة ؟

مشهدى أكبر : لقد كبرت، سيدى : أذنى لا تسمع، وعينى لا ترى .

جعفر خان : كم عمرك مشهدى أكبر ؟

مشهدى أكبر : المرحوم السيد الكبير عندما عاد مع الشاه الشهيد من أوربا لم تكن قد ولدت بعد. أذكر فى ذلك العام خلعت الهانم ضرسين. (**يحسب**) هنا عشرون عامًا، وهناك خمسة وعشرون عامًا، يصبح ستة وخمسين ... ستة وخمسين عامًا .آه ولدينا سبع عشر سنة ؛ ... سبع عشر سنة ... يجب أن يكون عندى ثمانين، خمسة وثمانين عامًا يا سيدى .

جعفر خان : خمسة وثمانين عامًا ! إنها لعادة سيئة جدًا بالنسبة للصحة، عليك أن تقلع عن هذه العادة .

مشهدى : عادة سيئة .

جعفر خان : نعم إذا أراد الإنسان أن يسير على الـــ(Systéme)[1] يجب أن يموت بعد السبعين. هذه عادة سيئة جدًا .

(**يتقدم المسرح محدثًا نفسه**) ... علىّ أن آخذ حمامًا، وأنظف نفسى. الساعة الخامسة، سأتناول الطعام، وأذهب إلى منزل مدام "حلوابزوف ". لقد

---

(١) النظام .

تعرفت إلى هذه السيدة القوقازية أثناء رحلتى. رافقنا بعضنا من باكو. من المتفق عليه أن أذهب لمنزلها فى العصر لتعمل لى Présenter[(١)] مع زوجها، زوجها أيضًا رجل مناسب : تاجر سيارات .

وبعد نقاش وجدل بين جعفر خان والآخرين خاصة الخال الذى يستاء ويغضب أكثر من الآخرين من تصرفات جعفرخان تنتهى المسرحية على النحو التالى :

جعفرخان : ... لو بقيت لساعة أخرى سوف أنفجر بالتأكيد **(بصوت عال)** يا سادة، لقد نفذ صبرى منكم، نفذ صبرى لقد أخطأت .. وأتيت إلى هذا البلد. لن أفعل ذلك ثانية ... والآن آخذ منكم congé[(٢)]. سأذهب **(يجمع أغراضه فى الحقيبة)** .

الأم : كيف ؟

الخال : ماذا ؟

المشهد السابع عشر

(جعفر خان – الخال – الأم – مشهدى أكبر – زينت – كاروت)

زينت : (**سلسلة الكلب فى يدها**) لقد يئست من هذا الكلب، لقد دخل الدولاب وأكل كل ما لدينا كله ؛ السمن والشمع وحلوى النذر .

الأم : حلوى جهنم ! زينت !، زوجك سيذهب، لا تدعيه يذهب .

جعفرخان : (**متوتر حتى نهاية المشهد**) انتهى الأمر انتهى أمر الوزارة ... والوكالة أيضًا ... انتهى موضوع الخنطور والسيارة أيضًا. سأعود إلى الكفار الذين أعرفهم، كى نأكل لحم الخنزير وزيت الزيتون. Allons, carotte allons!، هذا البلد لا يناسبنا .

---

(١) تعرفنى على زوجها .

(٢) الإذن .

الخال : ألم أقل إن أوربا تصيب الإنسان بالجنون .

جعفر خان : (**يضع على الطاولة التعويذة والحجاب والعباءة**) هذه التعويذة وهذا الحجاب لكم، هذه العباءة أيضًا لكم ... و " زينت " هذه أيضًا لكم ...

الأم : (**مندهشة**) آه ! ليتنى أموت ويردم التراب على قبرى، ماذا تفعل، جعفر ؟

جعفر خان : لى عندك طلب واحد والدتى : لا تشعلى لى الشمع ثانية ! (**يحمل حقيبته ويأخذ الكلب من زينت**) (Allons, carotte allons!) (**يهم بالخروج**) .

الخال : (**يمسك ذراعه**) آه ! أين ستذهب، هل أصبت بالجنون ؟

جعفر خان : (**يخلص يده**)، Impssible [١] .

مشهدى أكبر : سيدى، لا ينبغى أن تسافر غضبان ! (**يأخذ الحقيبة من يده**) .

جعفرخان : Non, non [٢]، كفى جدال (**يسترد حقيبته**) .

زينت : ألا تبقى حتى من أجل خاطرى ؟

جعفر خان : لا، لا. أكثر من هذا مستحيل (Allons, carotte allons).

الجميع : (**يقفون أمامه، يأخذ مشهدى أكبر حقيبته**) لن ندعك تذهب، لن ندعك .

الخال : لا ينبغى أن تسافر غضبان .

الأم : ليأخذنى اللـــه .

زينت : ليتنى أموت ويردم التراب على قبرى .

مشهدى أكبر : اليوم لدينا " قرمه سبزى "[٣] وأرز .

(**يسدل الستار**)

---

(١) محال.

(٢) لا، لا.

(٣) قرمه سبزى : وجبة إيرانية شهيرة قوامها اللحم المفروم والخضروات ويضاف إليها البقدونس (المترجم).

إيرانى بازى : اللعبة الإيرانية

" اللعبة الإيرانية " هى مسرحية أخرى لعلى نوروز، يسمى بطلها " جعفر خان " أيضًا، وقد عاد من أوربا عام ١٤٢٠هـ، أى على أعتاب القرن الحادى والعشرين الميلادى ؛ يحمل تقريبًا نفس الصفات والأخلاق والمعلومات التى كانت لجعفرخان منذ ثمانين عامًا مع الفارق. فبدلاً من التكبر فى محيط عائلته الإيرانية فى فترة الانقلاب، هذه المرة يسعى للحصول على عمل مناسب ويطوف بالإدارات الحكومية التابعة للحكومة الجديدة واحدة تلو الأخرى(١) .

لدينا عدد من النماذج للمسرحيات التى أُلفت حتى عام ١٣٤٠. ويجب أن أكرر أن هذه النماذج من المسرحيات فى حد ذاتها تعد أفضل النصوص المسرحية التى حصلنا عليها حتى اليوم، كما أنه لا توجد واحدة من المسرحيات التى كُتبت حتى تلك الفترة تضاهى مؤلفات كمال الوزارة من حيث الإنشاء أو التكنيك بما فيها مسرحية " جناب خان " التى اقتبسها سيد على نصر من مسرحية " البورجوازى النبيل " لموليير .

ثالثًا: المسرحيات الموسيقية والتاريخية

بعد ذلك اعتاد الممثلون والموسيقيون القوقازيون السفر لإيران، وبعد عرض مسرحيات مثل " بائع القماش المتجول، عاشق غريب، والمشهدى عباد " ؛ تعرف الناس على المسرح الحديث. وظهر فنانون مثل رضا كمال شهرزاد، رحيم زاده صفوى، سعيد نفيسى، ذبيح اللــه بهروز، علينقى وزيرى، أفلاطون شاهرخ، مير سيف الدين الكرمانشاهى، على أصغر گرمسيرى وغلام على فكرى وآخرين. وفضلاً عن ترجمتهم أعمالاً عن اللغات الأجنبية قاموا بمحاكات الأوبريتات القوقازية، وقدموا أعمالاً مثل " الآلهة"(٢)، " أصلى وكرم "، " ليلى والمجنون " " خسرو وشيرين " كما استلهموا تاريخ

---

(١) يستطيع القراء قراءة نص هذه المسرحية القصيرة الساخرة فى مجلة "فرهنگستان " العدد الخامس .

(٢) ألفت مدام پرى آقابابيان هذا الأوبريت وقام بترجمته للفارسية شهرزاد ونفيسى .

إيران وألفوا مسرحيات مثل " نادر شاه وفتح هند " و " آخرين يادگار نادرشاه : آخر تذكار لنادرشاه " و " سرگذشت برميكان : تاريخ البرامكة " .

وسنتجاوز عن الحديث المفصل فيما يتعلق بهذه المسرحيات، حيث إنها لا تتمتع بأهمية كبيرة من الناحية الأدبية، وسنكتفى بالحديث عن أعمال واحد من أفضل الأدباء الذين يصنفون ضمن هذه المجموعة .

١ - شهر زاد

لا يمكن أن نتجاهل شهر زاد عند الحديث عن فن المسرح والتأليف المسرحى حيث إنه يعد واحدًا من أهم مؤسسى المسرح فى إيران .

ولد رضا كمال الشهير بشهر زاد بن ميرزا حسن خان منشى باشى كمال الوزارة فى طهران عام ١٢٧٧ ش، وأمضى طفولته مع والدته الفاضلة ووالده العالم .

كان رضا منذ طفولته مرهف الحس رقيق المشاعر. أحرز فى دراسته تقدمًا عجيبًا، وفى سن السادسة أو السابعة كان يقول عبارات موزونة، ونظم الشعر وهو فى سن صغيرة جدًا .

" كان شهر زاد معجبًا جدًا بألف ليلة وليلة، كان فى الغالب يؤدى دور كلٍّ من العذراء والعباس، ويبدأ فى أدائهما بصوت جذاب وبشغف ومتعة كبيرة. لقد قرأ ألف ليلة وليلة كثيرًا لدرجة أنه حفظ أكثر حكاياتها. ولهذا السبب عندما أصبح أديبًا اختار لنفسه اسم شهر زاد راوية القصص فى ألف ليلة "[١].

بدأ رضا ينتظم فى الدراسة بمدرسة "سان لويس" التى أنشأها القساوسة اللازاريون الفرنسيون. أجاد اللغة الفرنسية ودرس الأدب الفرنسى، وأحرز تقدمًا ملحوظًا فى الفنون الأدبية وخاصة الشعر، وكان على معرفة بالفنون الأخرى أيضًا؛ فكان يحسن الغناء، ويجيد العزف على العود ويلعب الشطرنج بمهارة .

---

(١) د. أبو القاسم حنتى عطائى : " زندگانى وآثار رضا كمال شهرزاد : حياة رضا كمال شهر زاد وأعماله ". ص ١٤ .

وهو أول من ترجم نماذج لطيفة من الشعر أو النثر الفرنسى إلى الفارسية، وكانت تنشر هذه النماذج الأدبية البديعة فى الصحف والمجلات، وكانت ترجمته لـ " سالومى " رائعة أوسكار وايلد سببًا لشهرته المتزايدة يومًا بعد يوم. تعاون رضا لفترة مع " دشتى " فى صحيفة " شفق سرخ : الشفق الأحمر " و مع " نظام وفا " و " حبيب ميكده " فى مجلة "وفا".

وكانت جريدة " الشفق الأحمر " التى أسسها دشتى ملتقى للفيف من الموهوبين ونخبة الأدباء والشعراء فى ذلك الوقت، وكانوا ينشرون بها أعمالهم الأدبية. وكان شهر زاد أكثرهم موهبة حيث شارك "دشتى" فى العمل بالصحيفة منذ العام الأول لتأسيسها. وتميز بحساسيته المفرطة تجاه الجمال المادى والمعنوى، كما أحب الأدب حبًا جمًا وخاصة المسرح و " تميز بموهبته المبدعة بحيث لو كان المناخ ملائمًا لاستطاع أن يترك أعمالاً رائعة"[(١)].

وفى عام ١٢٩٨ ش، كان الممثلون القوقازيون يعرضون أوبريت " بائع القماش المتجول " فى طهران، ففكر رضا فى تأليف مسرحية. وفى العام التالى ألف مسرحية غنائية " پريچهر وپريزاد " وعرضت هذه المسرحية وأخرجها " طريان " فى شهر آذر عام ١٣٠٠ ش، فى قاعة جراند هتيل (مسرح دهقان حالياً) على نحو رائع، ولعبت مدام پرى آقابابيان دور البطولة فى المسرحية، وكانت قد أتمت دراستها للمسرح فى أوربا وعادت أخيرًا إلى طهران [(٢)].

---

(١) على دشتى : مقدمة كتاب " زندگانى وآثار رضا كمال شهرزاد "، د. أبو القاسم حنتى عطائى، طهران ١٣٣٣ش .

(٢) هذه السيدة الموهوبة تطوق بأفضالها عنق المسرح الإيرانى. ففى الوقت الذى كان الدين محورًا لكل الأمور وكان الفن فى نظر الرأى العام مرادفًا للسخرية وأعمال المهرجين، وجميع النساء الإيرانيات محجبات ؛ قدمت هذه السيدة وعدد آخر من النساء والرجال الأرمن العديد من التضحيات وتجاوزت مصاعب ومشاكل جمة فى سبيل رفعة هذا الفن، نذكر من بينهن (سيرانوش، مدام قسطاميان، لرتا، آرسنيان، مانوليان، قسكانيان، أودبان، طريان، ماروتيان، إستپانيان ويقيكيان) .

وبعد ذلك ترجم رضا كمال عدة مسرحيات قوقازية إلى اللغة الفارسية من بينها "افسانهء عشق : أسطورة العشق "[١]، " أصلى وكرم " [٢]، كمربند سحر آميز : الحزام المسحور"[٣]. ونظم أشعارها بنفسه وعرضها بالتعاون مع پرى آقابابيان وفنانين أرمن آخرين، ثم اقتبس عدة مسرحيات وقام بكتابتها مثل " هزار ويكم الف ليل : الليلة الأولى بعد الألف من ألف ليلة " [٤]، " عباسه خواهر امير : عباسة شقيقة الأمير "، "ايرت عروسى ساسانيان يا خسرو وشيرين : أوبريت عروس الساسانيين أو خسرو وشيرين " [٥].

ثم ترجم فى النهاية إلى اللغة الفارسية " در سايهء حرم : فى ظل الحرم " للفرنسى لوسين برنار بأمانة شديدة، وعرضت كل هذه الأعمال بأسلوب مهيب لم تشهده مسارح إيران حتى ذلك الوقت .

وشهد عام ١٣٠٩ ش، نشاطًا وشهرة واسعة له فى مجال الأدب. فقد كتب فى هذا العام " الليلة الأولى بعد الألف من ألف ليلة " وحظيت بإعجاب منقطع النظير .

وعلى هذا يعد شهر زاد أعظم كتاب المسرح فى بداية عصر رضا شاه بهلوى بل الأوحد فى هذا المجال .

إن شهرزاد الذى كان يتمنى أن يزدهر المسرح الإيرانى يومًا بعد يوم أصيب بالاكتئاب والجمود، وانزوى تدريجيًا عندما رأى فن المسرح يتدهور بسبب الرقابة الشديدة على المطبوعات وغياب الحافز [٦]. إلا أنه طرد فكرة الموت عن نفسه لفترة من

---

(١) ١٣٠٦ ش .
(٢) ١٣٠٧ ش .
(٣) ١٣٠٨ ش .
(٤) ١٣٠٩ ش.
(٥) ١٣١١ ش .
(٦) منذ ذلك الوقت فكر فى الانتحار وأفصح عن هذه الفكرة لأربعة من أصدقائه، وانتحر من " جماعة الانتحار الخماسية " أربعة أشخاص هم مجتبى الطبطبائى، وسيد رضا خان صدر، وحبيب ميكده، وشهر زاد نفسه ولكن فى تواريخ مختلفة .

الوقت، والتحق بالعمل الحكومى كى يعيش حياة بسيطة. ولكنه مرض وأصيب بالاكتئاب. وذات ليلة ارتدى (بيجامته) الحريرية الصفراء التى اشتراها أخيرًا، وابتلع دواءً كان قد أعده مسبقًا. وانتهت القصة ولفظ شهر زاد آخر أنفاسه صباح العشرين من شهريور عام ١٣١٦ .

رابعًا: الدراما الشعرية

إن جميع المسرحيات التى ذكرناها قد كُتبت نثرًا سواء الكوميدية منها أو التاريخية أو الموسيقية (إذا تجاوزنا الأجزاء المنظومة منها وأغانى الأوبريتات). والمسرحية الكوميدية الشعرية الوحيدة التى وجدناها فى تاريخ فن المسرح الإيرانى هى ترجمة ميرزا حبيب الأصفهانى " تارتوف " المأخوذة عن موليير، وقد تحدثنا عنها فى حينها [1]. ولعل أقدم دراما تاريخية شعرية تسمى " سرگذشت پرويز : سيرة پرويز " التى نظمها على محمد خان أويسى فى باكو فى ذى القعدة من عام ١٣٢٤، وطبعت فى اسطنبول فى شهر ذى القعدة عام ١٣٣٠ .

«سرگذشت پرويز : سيرة پرويز» : إن سيرة پرويز مسرحية قصيرة فى فصلين، اقتبست قصتها وأكثر أشعارها عن الحكيم نظامى الكنجوى، وقام المؤلف بالربط بينها من خلال أشعاره التى نظمها .

الفصل الأول يشرح إرسال الرسول الأكرم رسالة إلى الملك الساسانى، والفصل الثانى يتناول مقتل خسرو على يد ابنه شيرويه (كما ورد فى شاهنامة الفردوسى ومنظومات نظامى الخمسة). ولكن المشاهد مبتورة تمامًا وضعيفة، ولا تقدم عظة أخلاقية أو اجتماعية. كما أن الأشعار التى نظمها ضعيفة للغاية وركيكة وتبدو كرُقعة بالية على الرداء الفاخر الذى صنعه الأستاذ الكنجوى، ومع هذا لا يمكن إغفال مجهود المؤلف .

---

(١) انظر القسم الثانى (بيدارى : اليقظة) .

خسرو پرويز

فى عام ١٣٣٨ هـــ.ق، (أثناء العصيان المدنى فى أذربيجان) قام تقى رفعت رئيس تحرير صحيفة " تجدد " وصاحب المجلة الأدبية " آزاديستان " بإدخال تعديلات جذرية على مسرحية " سيرة پرويز " بناء على طلب طلاب مدرسة تبريز الثانوية، بحيث إنه عدل الفصل الأول وحذف الفصل الثانى وأضاف بدلاً منه فصلين جديدين، وصارت المسرحية فى ثوب جديد من ثلاثة فصول وتمت مراعاة الأصول الفنية بها أكثر من ذى قبل [(١)].

وفى هذا العمل الجديد تم إسناد دور " شيرين " إلى " نرسس " الأميرة اليونانية ونديمة خسرو (ربما يكون هذا التغيير كى تلائم طلاب المدرسة) وقد رسمت الشخصيات بوضوح، وبدلاً من أن يلوث شيرويه يده بدم أبيه لسلب تاج الإمبراطورية الإيرانية، فإنه يلقى به فى السجن كى يحرر إيران منه على حد قوله. وعلى هذا لا يصبح الأمير الساسانى قاتل والده تاريخيًا، ولكنه أحد الأبطال القوميين، حيث ضحى بمشاعره كابن تجاه والده فى سبيل الوطن .

بناء المسرحية يشبه إلى حد كبير التراجيديا (المأساة) لدى بيير كورنى وراسين، وخاصة فى الفصل الثالث حين يلتقى الأب والابن وجهًا لوجه، ويبدأ خسرو فى صب اللعنات وخاصة فى المونولوج الختامى للمسرحية حينما يتخذ شيرويه قراره النهائى، فنجد أنفسنا نتذكر أبطال مسرحية " هوراس " لكورنى .

وتنتهى المسرحية على النحو التالى :

شيرويه : (**للقادة وزادفرخ**)

ســـــــوف تـــــــضعون فى الـــــــسجن مكـــــــبلاً
الأب، بـــــــدلاً مـــــــن الابـــــــن بعـــــــد ذلـــــــك

خسرو : (**يصب اللعنات عبر الطريق**)

إن شـــــــفتك بعـــــــدى تحـــــــت الفلـــــــك الـــــــدوار
لـــــــن تبتـــــــسم، يـــــــا بـــــــنى، للحظـــــــة .

---

(١) لم تطبع هذه المسرحية بعد، وعندى منها نسخة خطية .

فـــــــــــــلا هنئـــــــــــــــت بالملـــــــــــــك

ولتنقلـــب عليـــك الأمـــور وتحـــل بـــك الخـــسارة .

شيرويه : (وحيدًا، عبوسًا ومفكرًا)

مـــاذا ينبغـــى أن أفعـــل فى هـــذا الوقـــت العـــصيب ؟

لا أجـــــروء علـــــى قتلـــــه، وإذا عـــــاش

لـــــن تتحـــــرر إيـــــران منـــــه ....

لا أجـــــد حـــــلاً ســـــوى الـــــسجن .

نعـــــم، إنـــــه لمريـــــر، وقـــــاس ومحـــــزن

أن ينتـــــصر الابـــــن علـــــى أبيـــــه

ولكـــــن إيـــــران، أنـــــت يـــــا إيـــــران معبـــــودتى

فليحـــــل الفنـــــاء علـــــى أعـــــدائك

لقـــد مـــنحتى شـــرويه هـــذا الـــشر وتلـــك العاطفـــة

وأنـــــت أخمـــــدتى عاطفـــــة البنـــــوة فى قلبـــــه

فلـــــيكن والـــــد شـــــيرويه فـــــداءً

وشـــــــــــــــيرويه أيـــــــــــــــضًا

ليـــت مائتـــان شـــيرويه يـــذهبون فـــداءً لـــك

تحيـــا إيـــران وتظـــل أبـــد الـــدهر !

وهناك عدد من المسرحيات الشعرية الأخرى مثل " شيدوش وناهيد ياداستان عشق ومردانگى : شيدوش وناهيد أو قصة العشق والرجولة " التى نظمها أبو الحسن فروغى عام ١٣٣٥ هــ.ق، على غرار شاهنامة الفردوسى ووزنها، ومسرحية " رستم وسهراب " التى نظمها كاظم زاده ايرانشهر، وطبعت فى برلين عام ١٣٠٢ ش، ومثل هذه المسرحيات هى فى الواقع قصص حماسية منظومة لم تكتب للعرض على خشبة المسرح، كما أنها تخلو من التنوع والحركة مما يتيح لها العرض على خشبة المسرح .

الباب الثانى

الشعــــراء

الفصل الأول
التعاطف مع ألمانيا فى الأشعار الفارسية

مقدمة

أثناء الحرب العالمية الأولى قام المستنيرون الإيرانيون الذين بذلوا مساعى كبيرة قبل بدء الحرب من أجل التعاون مع ألمانيا، بحملة دعائية واسعة لصالح ألمانيا، وكانت هذه الحملة الدعائية الصاخبة تجد الدعم والمساندة بوسائل شتى من جانب العملاء السياسيين الألمان الذين كانوا يرغبون فى الاستفادة من الفكر الوطنى البرجوازى الإيرانى .

وقد انعكست مشاعر التعاطف مع ألمانيا فى الشعر والأدب الإيرانى أيضًا، وكان على رأس هذا التيار الشاعر الكبير والقدير أديب البيشاورى .

١- أديب البيشاورى

ولد سيد أحمد رضوى بن سيد شهاب الدين (المعروف بسيد شاه بابا) الذى يصل فى نسبه، على حد قوله، إلى الشيخ شهاب الدين السهروردى، بدولة الهند فى حدود سنة ١٢٦٠هـ ق، فى المناطق الجبلية الواقعة بين أفغانستان وبيشاور ووسط العشائر المقاتلة بتلك المنطقة، و انشغل بأمر الزراعة والقتال بعد انقضاء أيام طفولته واجتيازه مرحلة التعليم الإبتدائى، وفى هذه الأثناء (السنوات من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٢م) دارت اشتباكات عنيفة بين سكان حدود الهند الغربية والجنود الإنجليز وقتل فى هذه الفتنة والاضطرابات أبوه وأولاد عمه وأقاربه، ووصل أديب إلى كابل نتيجة إصرار أمه ونساء القبيلة وظل فيها عامين، وتتلمذ على يد الواعظ الملا محمد المعروف بآل ناصر، وسافر من هناك إلى غزنين ونزل بحديقة فيروزه (مرقد الحكيم سنائى) وظل هناك أكثر

من عامين ونصف العام، وانشغل بالتعليم عند المدرس المشهور الملا سعد الدين، وبعد غزنين ذهب إلى هراة وأقام بها أربعة عشر شهرًا ثم توجه إلى " تربت جام " وأقام فيها أيضًا عامًا وعدة شهور، وجاء إلى مشهد وهو فى الثانية والعشرين من عمره وتعلم فى تلك المدينة الرياضيات عند ميرزا عبد الرحمن والعلوم العقلية فى الحلقة العلمية للواعظ الملا غلام حسين شيخ الإسلام، وقد عانى كثيرًا خاصة فى تعلم العلوم الأدبية .

وحضر أديب إلى سبزوار سنة ١٢٨٧هـ ق، وأدرك هادى السبزوارى فى العامين الأخيرين من عمره، وبفضل توجيه وإرشاد ذلك الحكيم استفاد من حلقة علم ابنه الواعظ الملا محمد، ونهل أيضًا من حلقة علم الواعظ الملا إسماعيل .

وقد عاد أديب إلى مشهد عقب وفاة الحكيم السبزوارى وسكن فى مدرسة ميرزا جعفر، واشتهر فى ذلك الوقت بالفضل والعلم وعقد حلقات الدرس والعلم باسم أديب الهندى و أقبل على مصاحبته الفضلاء والأدباء .

وفى سنة ١٣٠٠هـ ق، هاجر إلى طهران، وظل فيها حتى آخر عمره حيث أنه توفى سنة ١٣٤٩ يوم الإثنين الثالث من صفر بالسكتة القلبية بمنزل يحيى خان قراكوزلو بهاء الملك وزير المعارف فى ذلك الوقت .وقد عاش أديب حوالى تسعين عامًا وظل حتى آخر عمره وحيدًا منعزلاً و لم يملك من متاع الدنيا سوى عدة كتب .

وقد قيل الكثير عن ذاكرة أديب منها؛ أنه حفظ أثناء إقامته فى خراسان أجزاء المثنوى الستة تقريبًا، ويقول محمد القزوينى فى كتابه " بيست مقاله " : " عندما لاحظت ذاكرة أديب القوية تذكرت حمّاد الراوية الذى كُتب عنه فى الكتب الأدبية أنه حفظ للشعراء الجاهليين فقط بعدد كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة طويلة بخلاف المقتطفات، فكيف الحال بشعراء العصر الإسلامى " .

و لم يترك أديب أعـــمالاً كثيرة، أما ديوانه الذى طبع بطهران سنة ١٣١٢ش (٣ – ١٩٣٤م) بمقدمة وحواش وتعليقات على عبد الرسولى، فإنه يشتمل على ٤٢٠٠ بيت

من القصيدة والغزل الفارسى و٣٧٠ بيتًا، من القصائد والقطع العربية فضلاً عن رسالتين، إحداهما فى بيان قضايا البديهيات الأساسية والأخرى فى تصحيح ديوان ناصر خسرو العلوى[١].

أشعاره

كان أديب متبحرًا بشكل عجيب فى فنون الأدب وفى اللغة والعلوم العربية وفى حفظ الأشعار والنحو واللغة والفلسفة والرياضيات و" قلما وجد شخص فى هذه الحقبة الأخيرة فى إحاطته وتبحره – فى هذه العلوم[٢]– " وربما كان من نتيجة هذا التبحر العجيب أنه " كان يعرف جيدًا كيف يعرض الكلام على القارئ بتعقيدات كثيرة وفى ثوب من الألفاظ الغريبة بدلاً من أن يلجأ إلى العبارات الساقطة المبتذلة[٣] " .

"برغم أن أشعاره ربما لا تكون سلسة أو نابعة من موهبة شعرية أو قائمة على العواطف والغزل والتشبيب أو التصوف والتذوق والوجدان، فإنها تتميز بالقدرة الفنية والفصاحة والبلاغة وتميل إلى الزهد واعتزال الدنيا، وهى تقريبًا من جنس ونوع أشعار أبى العلاء المعرى[٤] " .

والخلاصة : أن ما قلناه بشأن أديب الممالك وأشعاره ينطبق أيضًا على أديب البيشاورى: فهذه القصائد الطويلة جدًا والتى يُجدد مطلعها فى بعض الأحيان على

---

(١) ما بقى من أشعاره فيما يبدو (بخلاف قيصر نامه) لم يكن أكثر بكثير من هذا الكم ، ويقول ناشر ومصحح ديوانه فى مقدمة الكتاب : "طلبت منه أنه عندما ينظم شعرًا يعطينى نسخة منه لكى أتشرف بجمعه وتدوينه ، وأن يكتب أيضًا سيرته الذاتية بشكل مختصر حتى أكتبها فى مقدمة الأشعار بإيجاز . . . . فتساهل فى أول الأمر فى الرد على طلبى، وقمت بإعادة تدوين تلك الأشعار مرة أخرى وأكدت على ذلك الطلب . . . ومنذ ذلك الحين وحتى آخر حياته ظل يسلمنى نسخة من كل ما ينظمه ، وهو مدون الآن ، وعندما كان يطلب منه شخص آخر كان يرسله لى" .

(٢) وفيات المعاصرين من تذاكر العلامة القزوينى ، مجلة يادگار ، السنة الثالثة ، العدد الثالث .

(٣) ياسمى ، رشيد ، أدبيات معاصر ، طهران ، ١٣١٦ ش (٧ – ١٩٣٨ م) .

(٤) وفيات المعاصرين من تذاكر العلامة محمد القزوينى ، مجلة يادگار ، السنة الثالثة ، العدد الثالث .

حسب الضرورة، برغم متانتها واحكامها، تمتلىء بالألفاظ الغامضة وتاريخ وقصص العرب والعجم والحكمة والفلسفة، وتعد جامدة ومتحجرة جدًا لدرجة أن فهمها وإدراكها يصعبان على العامة بل وعلى غالبية الخواص أيضًا حتى إن ناشر ديوانه قد اضطر لكتابة الهوامش والشروح على كل كلمة منها[1] .

والناشر فى المقدمة التى يكتبها على هذا الكتاب يعتبر هذه الصفات ميزة حسنة للشاعر، فيقول :

" لو أمعنت النظر فى كل كلمة من كلماته يمكنك الحصول على معجم مختصر للغتين (العربية والفارسية[2]) "، ويضيف أن " قصائده المكونة من مائتى وستين بيتًا ومائتى وسبعين بيتًا وأربعمائة بيت هى دليل صادق وشاهد عدل على قوة موهبته[3] " .

أمّا من حيث المضمون فإن من بين القصائد السبعة وثلاثين التى جمعها ناشر الديوان اثنتى عشرة قصيدة (أى ثلثها) فى مدح القيصر الألمانى وأحداث الحرب العالمية، وكان اهتمام الشاعر وشدة إعجابه بالشعب والإمبراطور الألمانى وقادته مغاليًا فيه، بحيث يفلت منه زمام الأمور فى المسمط الذى نظمه فى بداية الحرب، ويتفوه فيه بألفاظ بذيئة وشتائم وكلمات مبتذلة ومستهجنة وغير لائقة فى سب الحكومات التى تحارب ألمانيا فيسمى إنجلترا مثلاً "السيد المحتال " و " أم الخداع " و " النصاب " و " الأفعى لادغة العالم " و" العاهر العنين المخنث الطبع " .

---

(١) يقول كاتب مقدمة الديوان : " عندما قال هذه القصيدة (انظر إلى الصقور النحاسية ذات المخالب الحديدية) وهو الشعر الذى قاله فى وصف البندقية ، وتصور أن له أبًا وابنًا وخالة ، قلت له إن هذا الشعر لن يفهمه أكثر من شخص واحد من بين آلاف الأشخاص ، فقال وأنا قد قلت هذا الشعر لهذا الشخص الواحد ".

(٢) مقدمة على عبد الرسولى على ديوان أديب البيشاورى ، شوال ١٣٥٢ .

(٣) المصدر السابق .

ونقل فيما يلي جزءًا من هذا المسمط الجدير بالذكر :

لك أن تتعجب من هذه الدنيا المحتالة
تحت هذه القبة الزرقاء المنبسطة
فإنها تدعو إلى لعبة فى كل عهد
فاعتبر من كل هذه اللعبات
وأطرف لعباتها معركة الغراب والعنقاء[1]
فالغراب هو نذير الشؤم
وكل من كان صوته شؤمًا اعلم أنه غراب
وبسبب حقده على عظمة عنقاء الزمان
كتم خوفه فى قلبه
وقبل أن يصبح ذلك الخوف على الملأ
ذهب عند الحدأة وخدعها
واحتال الغراب أسود الوجه على الحدأة[2]
ولّما ضمن صداقتها صبر فترة
حتى أعاد بالحيلة كلاً من الصعوة[3] وعصفور الشوك[4]
ثم سحب العود وعزف الألحان
وبالمصادفة فرح الغراب المغفل
وأظهر العداء لطائر العنقاء المبارك
وذهب مع رفاقه إلى الميدان مبادرًا بالهجوم
فانظر إلى طائر العنقاء العظيم الذى لم يعطه الأمان

---

(١) المقصود بالغراب إنجلترا والعنقاء ألمانيا .
(٢) المقصود بالحدأة روسيا .
(٣) الصعوة، العصفور والمقصود فرنسا .
(٤) عصفور الشوك المقصود بلجيكا .

فافترقوا جميعًا وصاروا هباءً منثورًا
فاقرأ ذلك المثل العربى القديم
كل من كان الغراب دليله
تصير ناره رمادًا وريحه ماءً
ويتحول منزله ومسكنه إلى خراب
ثم يقوده الغراب فى النهاية إلى الجحيم(١)
لقد أحدثت " إمدن " انقلابًا فى بحر " المانش "(٢)
ووقعت صاعقة فى ساحة لندن
وتعالت الصرخات فى منطقة غرس أشجار الصندل(٣)
وسقط من فوهة إبريق الخمر مترنحًا
الفأر الذى كان مكانه فوق قنينة الخمر
إن القيصر هو تاج أوربا المضىء
والمدفع مدمر الفلك هو من مصنع كروب(٤)
إن سقوط آنفرس(٥) فى الحصار وصوت المدفع المخيف
وسم الهزيمة بدلاً من قدح الحساء
قد تجرعه العدو، وكان هذا هو جزاءه
والطريف أن أيادى السماء الزرقاء
قد فتحت غطاء صندوق جحا(٦)

---

(١) مثل هذا : إذا كان الغراب دليل قوم ... يمر بهم إلى جيف الكلاب
أو : إذا كان الغراب دليل قوم ... فناووس المجوس لهم مقام
(٢) EMDEN ، السفينة الألمانية المعروفة فى الحرب العالمية الأولى .
(٣) مكان غرس أشجار الصندل والمقصود الهند .
(٤) KRUPP ، مصنع الأسلحة الألمانى المشهور .
(٥) ANVERS ، مدينة فى بلجيكا .
(٦) من الحمقى المشهورين ويضرب به المثل فى الحماقة (فرهنگ معين) .

فـــــــرأى المـــــــسلم والمـــــــسيحى والمجوســـــــى واليهـــــــودى

أنـــــــه لم يكـــــــن فى ذلـــــــك الـــــــصندوق شـــــــىء

ســـــــوى ورقـــــــة مـــــــن أولهـــــــا إلى آخرهـــــــا طلاســـــــم وشـــــــعوذة

لتنقلـــــــب ســـــــفينة المحتـــــــال

لـــــــتكن العـــــــين الداميـــــــة ملازمـــــــة لـــــــه

لـــــــتكن روحـــــــه مهمومـــــــة ومعذبـــــــة

لـــــــيكن خـــــــصمه هـــــــو الغالـــــــب والقـــــــاهر

مـــــــن العبـــــــد الـــــــدعاء ومـــــــن الملـــــــك الإجابـــــــة. ..

" قيصر نامه : كتاب القيصر"

فى سنة ١٣٣٢هـــ ق، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وصلت إلى مسامع الشعبين الإيرانى والهندى أول أشعار أديب الحماسية وقد كانت هذه الأشعار قطعًا من منظومة قيصر نامه الحماسية، والتى كان الشاعر قد مدح فيها بطولات القيصر فولهام الثانى وقادته وعزم الشعب الألمانى إرادته، وأدّى واجبه فى التعاطف مع ألمانيا على أكمل وجه .

وتشتمل قيصرنامه – كما يقول جامع ديوان أديب – على أربعة عشر ألف بيت، وقد نُظمت بنفس وزن شاهنامه الفردوسى، وهى فى غاية الإحكام والفصاحة وذات مضامين عالية، وفى هذه المنظومة يدور الحديث فى الغالب عن الموضوعات الصوفية والنصيحة والموعظة وتشجيع الإيرانيين على البطولة والتضحية فى سبيل استقلال وعظمة إيران ومحاربة الظلم والفساد، والشاعر فى هذا العمل علاوة على كراهيته القديمة للإنجليز كان منقادًا لمشاعر أبناء عصره[(١)].

وفيما يلى عدة أبيات من الأشعار التى نظمها فى فتح رومانيا والاستيلاء على بوخارست على يدى القائدين الألمانيين ڤان ماكنسن وڤان فالكنهاين :

---

(١) هذا الكتاب لم يُطبع بعد .

- أهدى أديب نسخة من بعض قطع المنظومة للسفارة الألمانية يوم السبت ٧ ربيع الأول ١٣٣٥هـــــ ق (٢٠ ديسمبر ١٩٩٦ م) وأرسلت ترجمتها للقيصر ، ولكنه لم يقبل الهدايا التى كان القيصر قد أمر بإرسالها إليه .

... قالت لى لم كل هذه السعادة ؟
فهل أصاب رأسك مس من الجنون !
فقلت لها أيها القمر مضىء القلب
يا من تفوقت على القمر فى هذا العرش
لتكن بلاد القيصر عامرة
وليسعد العالم بقلبه السعيد
إنه يشعر الليلة بالسعادة من أعماق قلبه
كما سعد كوكب الزهرة بالأرض
فقد استراحت النفس لفترة بفضل آلته الموسيقية
وانعقدت الشفايف بفضل لحنه
والوجه الخجلان يرى الجميع
من بعيد وقد انشغلوا بالسرور والطرب
وبدت مدينة برلين كلها فى ثوب جديد
كالسماء المزينة بالنجوم اللامعة
والكل كبارًا وصغارًا وشبابًا
سعداء بانتصار الملك.

ونموذج آخر من أبسط أشعار أديب
فى سيرته الذاتية

لقد تمنيت العقل الراجح المسيطر
وعهدت الدنيا دائمًا حقيرة
وعندما مال الطبع نحو المظاهر
ألجمته وكبحت جماحه

وحين ألزمت نفسى بترك كل شىء

عندئذ رأيت أننى امتلكت كل شىء

إننى اعتزلت الدنيا كابن مريم

فلا عشاء جاهز لى ولا إفطار

إن راحة الجسم تؤذى الروح

وقد تركت آفة النفس الذليلة

إن الزمان ينقص من قدر الجسم وأنا أيضًا

قد وليت العقل وفقًا لقانونه

وبما أنه يريد الامتلاء عن آخره

فقد ملأت طبعى بترابه

لقد كان حجاب القلب هو الأنس بالدنيا

فمزقت هذا الحجاب

وما دامت بذرة الأمل تجلب العناء

فإننى لم أغرس هذه البذرة ولم أزرعها

إننى قد محوت من القلب أثر أى كتاب

وأزلت كل ما قد تصورته

وبعين اليقين تخلصت من قبضة الظن

فكل ما قد تصورته كان عبثًا

لأننى فى صف الأولياء

رفعت راية لامعة.

٢ - وحيد[١]

وحيد الدستجردى شاعر آخر من الشعراء الذين كانوا يحثون الشعب على كراهية روسيا وإنجلترا والتعاطف مع ألمانيا، فكان ينظم الأشعار الملهبة للمشاعر وينشرها فى الجرائد ويشجع دراويش أصفهان على إنشادها فى الأزقة والحوارى. ومن بين تلك الأشعار ترجيع بند بعنوان " درويش يورشى[٢]" (الدرويش الثائر) وكان ينشده درويش عذب الصوت فى السوق والمساجد والتجمعات ويلهب حماسة وثورة أهالى أصفهان، وننقل مطلع ذلك الترجيع بند وعدة مقاطع منه .

الدرويش الثائر

الهمّـــــة والغـــــيرة منّـــــا والمــــدد مـــــن الحـــــى الأحـــــد
الغالـــــب الحـــــى القـــــديم القـــــادر الفـــــرد الـــــصمد
واهـــــب الفـــــضل الأزلى مالـــــك الملـــــك الأبـــــدى
نعمتـــــه بـــــلا عـــــدد ورحمتـــــه بـــــلا حـــــساب
عنايتـــــه للمحـــــب مرصـــــودة بـــــالعون
وجـــــزاؤه للغربـــــاء دائمًـــــا فى الحـــــسبان
هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس
هـــــو الحـــــق، هـــــمّ أيهـــــا المرشـــــد والـــــشيخ والمريـــــد
همّـــــوا جميـــــعكم صـــــغارًا وكبـــــارًا أســـــيادًا وعبيـــــدًا
همّـــــوا جميـــــعكم ملوكًـــــا وشـــــحاذين ســـــودًا وبيـــــضًا

(١) سنتحدث فيما بعد بالتفصيل عن وحيد ومجلة " أرمغان " .

(٢) كانت الدعوة إلى الأفكار التحررية والوطنية عن طريق الدراويش المتجولين هى إحدى وسائل الأحـــرار الإيرانيين، وكان كسروى يعطى فى أذربيجان أيضًا أشعارًا عن السفور وحرية المرأة للـــدراويش الـــذين كانوا ينشدونها بصوت عذب فى الأزقة والأسواق .

لقـــــد اعتـــــدى الغربــــــاء علـــــــى شــــــرفنا

أيـــن جـــيش ســـليمان ؟ لقـــد وصـــل الـــشيطان الظـــالم

أيـــن آصـــف فـــإن نبـــات الـــشياطين ينمـــو ولا حـــول

هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس

إنهـــم يطـــأون بأقـــدامهم دولـــة جمـــشيد مـــن النـــاحيتين

الثعلـــب القبـــيح مـــن الجنـــوب والـــدب المحتـــال مـــن الـــشمال

الأســـد نـــائم كالأرنـــب، حلـــم هـــذا أم خيـــال ؟

هـــل هـــذا ذيـــل الأســـد أم هـــو الثعلـــب المكـــار

إلى مـــتى يظـــل النـــاس مخـــدوعين فى الدبـــة

ازر أيهـــا الأســـد الغـــضنفر حـــتى يخـــاف الـــدب والثعلـــب

هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس

....

إن دولـــة ألمانيـــا بقبـــضتها الحديديـــة

قـــد عـــصرت قـــصبة بريطانيـــا الهوائيـــة كمـــا عـــصرت حلـــق روســـيا

ودقـــت الهـــراوة الألمانيـــة رأس أوكرانيـــا

فـــانهض أيهـــا الإيـــرانى يـــا مـــن أنـــت حفيـــد كـــسرى والـــساسانيين!

وكـــن فى ميـــدان المعركـــة خـــير خلـــف للأجـــداد

وحـــاول كالآبـــاء فـــتح البـــاب بمنتـــهى الجـــد والاجتـــهاد

هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس

إن الإيـــرانى يتحـــد مـــع الألمـــانى فى الأصـــل

وكلاهمـــا فى ميـــدان المعركـــة أســـد قـــوى

لقـــد انطلـــق الألمـــانى بـــشجاعة فى ســـاحة المعركـــة

واســــتعد للقتـــــال وفـــــتح ذراعيـــــه للحـــــرب
فيـــا مرفـــوع الـــرأس فى العـــالم بفيـــضل نـــسب كيقبـــاد
إلى مـــتى العجـــز؟ انهـــض وقـــف علـــى قـــدميك
هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس
واأســـفاه لقـــد وصـــلت أقـــدام الـــروس إلى أرض جـــيلان
ووضـــعت بريطانيـــا يـــدها بـــسهولة علـــى فـــارس
واحـــدة مـــرت مـــن جهـــرم وواحـــدة وصـــلت إلى طهـــران
وتعـــالى صـــراخ وأنـــين الرشـــت حـــتى وصـــل إلى خراســـان
ووصـــل أنـــين وصـــراخ فـــارس حـــتى أصـــفهان
لا تجلـــس واهجـــم علـــى أصـــفهان فقـــد وصـــل الـــصراخ إلى عنـــان الـــسماء
هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوان المفتـــرس
لقـــد فـــتح الإنجليـــز ثقبًـــا فى هـــذا البيـــت القـــديم وهجمـــوا كالـــسيل
وهـــــدموا بيتنـــــا العـــــالى مـــــن أساســـــه
وشـــربوا الـــشهد مـــن الكـــأس ووضـــعوا فيـــه الـــسم
فيجـــب النـــهوض وإظهـــار الهمّـــة والرجولـــة
وعـــدم الطـــيران فـــوق النـــار كمـــا تفعـــل الفراشـــة
وبنـــاء ســـد حديـــدى مـــصنوع بالـــدم أمـــام هـــذا الـــسيل
هـــو الحـــق مـــولى المـــدد، دمّـــر الـــشيطان والحيـــوات المفتـــرس[1]

ومن أشعار وحيد المعروفة فى هذا الموضوع مسمّط " نارنجك " (القنبلة) والذى نظمه باسم الإمبراطور فولهام الثانى وأدان فيه سياسة المحتلين بانفعال وبلغة شعرية متحمسة، وأشاد بالتوغلات الألمانية الأولية فى أراضى بولندا وروسيا وفرنسا .

(١) لمشاهدة القصيدة بأكملها يمكن الرجوع إلى " ره آورد وحيد " ج ١ ، ص (٥ – ١٠) .

ونتقل فيما يلى جزءًا من هذا المسمّط المفصل الذى يزيد على المائة بيت :

القنبلة

إن "الـــسير إدوارد جــــارى[1]" قـــد تــــزعم الفتنـــــة

وأمـــــضى فتـــــرة النقاهـــــة فى أوربـــــا

وإذا نظـــــرت جيــــدًا بعــــين الحقيقـــــة

ســتجد أن الـــشعارات الـــتى أطلقهـــا "الـــسير إدوارد جـــارى"

كلـــها كـــلام فـــارغ وتخريـــف ولا طائـــل منـــها

وتوعـــدت إنجلتـــرا صـــاحبة الـــصوت الأجـــوف

وأطلقـــت صـــرخة فى الآفـــاق اعتمـــادًا علـــى هـــذا الـــصوت الأجـــوف

وبـــدأت روســـيا تظهـــر وجـــه الجـــشع والطمـــع

فأشـــعلت نـــار هـــذه الفتنـــة فى العـــالم الـــصامت

فـــأطلق جليـــوم الثـــانى[2] صـــرخة الحـــرب مـــن أعمـــاق قلبـــه

وجليـــوم الثـــانى هـــو أول القياصـــرة العلمـــاء

كوكـــب الـــسماء الثالثـــة وشمـــس الـــسماء الرابعـــة

نجـــم يـــضىء الـــسماء، وسمـــاء تمتلـــئ بـــالنجوم

والـــذى إذا وجـــه إنـــذارًا للفلـــك

قامـــت الكواكـــب الـــسبعة بتـــسليمه بنـــات الـــنعش

ومن الأشعار الأخرى لوحيد القصيدة المفصلة المكونة من مائتى بيت والتى نظمها باسم المارشال هندنبرج، وتمتلئ كلها بمدح وتبجيل ألمانيا وتشجيع الإيرانيين على المقاومة بشجاعة وقطع يد الأجانب .

---

(١) رئيس الوزراء الإنجليزى .

(٢) جيوم (فيلهلم) .

وقد نظم بعض الشعراء الإيرانيين الآخرين أيضًا أشعارًا فى ذم المظالم الروسية والإنجليزية ومدح ألمانيا وسنكتفى منها كلها بذكر قصيدة لملك الشعراء بهار فى فتح وارسو ونختم هذا البحث :

فتح وارسو

استولى القيصر على مدينة وارسو
وبعثر كرامة أوسلو
ومزّق شمل الجيش الروسى بحملته
كمنجل البستانى الذى يحصد العلف
ولم يمض وقت طويل حتى سقطت موسكو
من يد مسكوف نتيجة الحملة الأخرى
وروسيا التى قبضتها فى بولندا
قد تحملت ظلم ملوك كثيرين
....
....
فالدب الكبير الذى لم يكن يقبل
التضرع والمواء من الصيد العاجز
الآن قد أصبح من شدة خوفه كالأرنب
الذى ينظر من بعيد على كلب الترنيف[1]
واليوم، شمس فتح العالم
تأبى أن تشرق من إيران

---

(١) Terre- Neuve كلب ذو شعر أسود وطويل وناعم وأصله من جزيرة بنفس الاسم، ونظـرًا لأن لـه أقدامًا كثيفة الشعر فإنه يعوم بسهولة وهو ذكى ووفى وحنون .

فلمـــــــــاذا الجــــــــيش الروســــــــى فى هـــــــذه الدولــــــــة
قـــــــد تطبــــــــع بطبــــــــع شــــــــعب شــــــــيروان ؟
وكأنــــــــــه قـــــــــد دُعــــــــى إلى إيــــــــــران
أحـــــــــرق اللــــــــــه الـــــــــداعي والمــــــــدعو !

٣ - غنى زاده

عند بحث الأدب المنظوم لهذه الفترة لا يمكن تجاهل الشاعر الفذ الموهوب الذى قلما جاد الزمان بمثله وهو الشاعر غنى زاده .

ولد ميرزا محمود بن ميرزا غنى زاده أحد قدامى الأحرار الأذربايجانيين وأحد زعماء الحركة الدستورية الإيرانية بمدينة سلماس (شاهپور حاليًا) فى شهر جمادى الآخرة من عام ١٢٩٦هـــ ق، وقد انشغل بأمور التجارة فى بادئ الأمر وراسل فى ريعان شبابه لفترة قصيرة سيد جلال الدين الكاشانى مدير صحيفة "حبل المتين" والتى كانت تصدر فى كلكتا، وكان يرسل، بفضل تشجيعه، بعض المقالات أحيانًا لهذه الصحيفة، وخلال سفره إلى القوقاز ربطته علاقة صداقة بميرزا عبد الرحيم طالبوف وبعد عودته إلى إيران أسس صحيفة "فرياد" فى المحرم سنة ١٣٢٥هـــ ق، بمدينة أرومى (رضائيه حاليًا) .

وفى بداية سنة ١٣٢٦هـــ ق، وقبل شهرين من انقلاب محمد على ميرزا وقصف المجلس بالمدفعية حضر غنى زاده إلى تبريز بناءً على دعوة أصدقائه وكتب مقالات فى صحيفة "شوراى إيران" وبعد فترة قام ستارخان الزعيم الوطنى بتعيين كاتبه الخاص غنى زاده نائبًا للمجلس المحلى، وتأسست بموافقة المجلس صحيفة بعنوان "أنجمن" والتى استمرت عامين وتولى إدارتها غنى زاده، ثم أصدر صحيفة أخرى بعنوان "بوقلمون" وظلت صحيفة "شفق" التى كان يمتلكها ميرزا حاجى آقا رضا زاده (الدكتورشفق حاليًا) تصدر هى الأخرى تحت إدارته فى العامين الأول والثانى، وفى عام ١٣٢٨هـــ ق، قام بتأسيس صحيفة "محاكمات" الأسبوعية بتشجيع حاجى مخبر السلطنة هدايت والى أذربيجان .

وكُلف غنى زاده فى منتصف عام ١٣٢٩هـ ق، بتشكيل محكمة سلماس والتخلى عن إصدار صحيفة "محاكمات" والتعاون مع صحيفة "شفق"، وبعد دخول الجنود الروس تبريز وحادثة المحرم الدامية عام ١٣٣٠هـ ق، هاجر إلى اسطنبول مع جماعة من الأحرار الأذربيجانيين، وهناك تعرّف على الأدب التركى وأخذ يكتب المقالات والأشعار من حين لآخر فى صحيفة "اختر" التى كان يصدرها الإيرانيون المقيمون باسطنبول مهاجمًا الاعتداءات الروسية والإنجليزية ضد إيران، أما الشعر الذى كان قد نظمه فى تضمين غزل حافظ المشهور أثناء إقامته فى اسطنبول واحتلال الدولة من قبل القوات الأجنبية بعنوان "نالش ونياز" (الشكوى والتضرع) فإنه يعبر عن مشاعره الوطنية، ويبدأ بهذا الشكل :

إن الدنيا حقيرة والحظ غير مواتٍ والهوس متزايد
ونار التنهيدة الداخلية قد أوشكت على الخروج مع النفس
لقد أصبت بالاكتئاب الشديد من ضيق هذا القفص
فأغثنى يا مُخلص التائهين !
"إذا مررت يا رياح الصبا على ساحل نهر أرس
فاطبعى قبلة على أرض ذلك الوادى وانشرى عبيرك المسكى"

وسافر غنى زاده إلى برلين فى أواخر عام ١٩١٥م (١٣٣٤هـ ق) حيث كانت تدور رحى الحرب العالمية الأولى وتعاون فترة مع تقى زاده وسائر الإيرانيين المقيمين ببرلين فى تحرير مجلة "كاوه"، وهناك وفى مطبعة كاويانى تولى تصحيح كتب "سفر نامه" و "زاد المسافرين" و "وجه دين" للشاعر ناصر خسرو ومجموعة رباعيات عمر الخيام وكتب أخرى .

وبعد انتهاء الحرب وأثناء قيام بعض الكتّاب الأتراك ومنهم سليمان نظيف وروشنى بيك بنشر موضوعات تسيء لسمعة إيران، كتب غنى زاده رسالة موثقة وبليغة باللغة التركية ردًّا على روشنى بيك[1].

وقد انشغل غنى زاده فترة بالعمل فى مكتبة برلين الوطنية وهناك قرأ وبحث فى تاريخ أذربيجان معتمدًا على المصادر والمراجع الموثقة، وجمع المذكرات والمعلومات القيمة التى للأسف لم يجد حتى آخر عمره الفرصة لتنظيمها.

وبعد أربعة عشر عامًا من الغربة والبعد عن الوطن عاد إلى إيران فى آخر ربيع عام ١٣٠٥ش (١٩٢٦م) وأسس صحيفة "سهند" فى تبريز فى شهر آبان من ذلك العام (أكتوبر ونوفمبر ١٩٢٦م)[2]، وعقب عودته إلى إيران نقل غنى زاده الكتب التالية من الألمانية إلى الفارسية ونشرها فى هامش صحيفة " سهند " :

"المعطف[3]" لجوجول، و "الإنسان الخفى" لفوندر جابلنتس، و "علاج النوم" للمؤلف س. آ. دوزه، و "الوهم" لـــ "فاننوفسكى" .

---

(١) "روشنى بگه جواب" م . غنى زاده ، برلين ، مطبعة شركة كاويـــانى ، " ١٣٤٣ – ١٩٢٤ " — هـــذه الرسالة التى تعد من أفضل أعماله كانت صفعة قوية للذين يدّعون بأن الشعب الأذربيجانى شعب تركى ، وكان روشنى بيك من كبار الشخصيات التركية ويتجسس فى إيران أثناء الحرب ، وقد عقد مـــؤتمرًا فى أول الأمر عام ١٣٤٣هـــ ق، فى "تورك اوجاغى " (مقر الأتراك) وقال كلامًا غير لائق عن إيـــران ، وبعد عدة شهور كتب عدة مقالات فى العدد رقم ٤٨٣ السنة الثانية من صحيفة " الـــوطن " الـــصادرة باسطنبول والأعداد التالية كان مفادها كالتالى : ١- الإيرانيون أعداء الأتراك ويتظاهرون بالمحبة الزائفـــة ٢- يعيش فى إيران وخاصة فى أذربيجان أربعة ملايين تركى، وقد كتم على أنفاسهم " كابوس فارس " بالإجبار. وبمجرد نشر هذه المقالات احتج اثنان من الإيرانيين المقيمين بتركيا ونشرت رسالة غنى زاده بعد ذلك ونشرت فى نفس الوقت رسالة أخرى بقلم الدكتور رضا زاده شفق بعنوان " تورك متفكر لرينـــك نظر انتباهنه ، تأليف س . تبريزى ، برلين ، مطبعة إيران شهر ، ١٩٢٤ " .

(٢) صدرت صحيفة " سهند " بعد وفاة غنى زاده مرة ثانية حتى عام ١٣١٧ش (٨- ١٩٣٩م) وتولى إدارتها أحمد دهقان وتحريرها ابنه فضل اللـــه غنى زاده .

(٣) ترجم ونشر بعد ذلك أيضًا تحت عنوان " الشال " .

وفى عام ١٣٥١هـ ق، (١٣١١ش) وعندما تولى حسين سميعى أديب السلطنة محافظ أذربيجان رئاسة الجمعية الأدبية بتبريز قامت الجمعية بناء على اقتراحه بتكليف غنى زاده بترجمة الكتاب المفيد جدًا "حماسهء ملى إيران[١]" (الملحمة الوطنية الإيرانية) للمستشرق الألمانى المعروف "نولدكه" إلى اللغة الفارسية، ولهذا الغرض تتم توصية ألمانيا بإرسال نسخة من هذا الكتاب المفيد جدًا وبعد وصوله تم تسليمه لغنى زاده، ولكن لم يتم هذا العمل المهم بسبب تغيير مهمة سميعى وحل الجمعية، وبعد قليل توفى غنى زاده فى تبريز فى الثلاثين من شهر بهمن ١٣١٣ش (فبراير١٩٣٥م).

وكان غنى زاده رجلاً تحرريًا مستنيرًا وشاعرًا موهوبًا وقديرًا، وأنا أتذكر جيدًا عندما نُشر فى إحدى صحف تبريز شعر فى شكل المثنوى للحاج إسماعيل أمير خيزى رئيس المدرسة المتوسطة بتبريز تحت عنوان "بلبل بى آشيان" (البلبل الشريد) وكان يتحدث عن انهدام عش البلبل بفعل الرياح وبقائه بلا أى متاع كما هى عادة الشعراء القدامى، كتب غنى زاده مقالة نقدية فى صحيفة "سهند" التى كان يتولى نشرها، قال فيها : "ارفعوا أيديكم عن خناق هذا الطائر البائس، لو كانت أقوى وأشد الرياح العاصفة قادرة على تمزيق فردة جورب صوف واحدة ربما تستطيع أيضًا هدم عش البلبل الذى قد بُنى بمنتهى الدقة والإحكام بحكم الغريزة والشعور الطبيعى" .

أشعاره

لا يوجد لغنى زاده سوى عدة غزليات ومثنوى "هذيان" المكون من خمسة وستين بيتًا، ولكن ما بقى عنه يعد فى منتهى السلاسة والمتانة :

الحيرة:

إننى قد ضللت الطريق فى الصحراء،فأين أثر القدم؟
لقد هلك ظهرى من السعى، فأين الحرم؟
هذه هى الخيمة التى نصبناها فى الخارج نزولاً على رغبته
فقل لى بالله عليك أين مكان الخيام

(١) هذا الكتاب هو نفسه الذى ترجمه بزرج علوى فيما بعد عن النص الألمانى ونشر ضمن إصدارات جامعة طهران عام ١٣٢٧ش (٨- ١٩٤٩م).

لقـــد ســـقط جنـــاحي وريـــشى كلـــه فى ســـاحة الغربـــاء

فـــأين بـــستان الأنـــس هـــذا الـــذى أطـــير إليـــه ؟

إن نجـــــوم الليـــــل المـــــساكين يلومـــــونني

أيـــن ســـيف الملـــك الـــبراق وقـــت الـــصباح ؟

إن هـــؤلاء المرشـــدين يأخـــذونني إلى نقطـــة مجهولـــة

فهـــل مـــن مغيـــث صـــاحب مـــروءة ؟

ليمتنـــع عـــن قـــراءة تفـــسير الـــوحي وبـــاطن التنزيـــل

فكيـــف لنـــا الوصـــول إلى ســـر الأبحـــاث المعقـــدة ؟

والمجـــذوب الـــذى لا يعـــرف رأســـه مـــن قدمـــه

كيـــف يمكـــن لـــه أن يفحـــص ويبحـــث الحـــدوث والقـــدم ؟

إن الـــدنيا الوضـــيعة هـــى القـــوة عديمـــة الإحـــساس للقـــضاء والقـــدر

فـــأنى للـــشخص مجـــال الحـــديث عـــن الكـــثير والقليـــل ؟

والجـــسم الـــضعيف أمـــام ســـيل الحـــوادث

كيـــف يقـــوى علـــى القتـــال وعلـــى قـــول نعـــم أو لا ؟

إنـــه لم يـــسر إلى مكـــان فى دولـــة الوجـــود

فكيـــف يعـــرف الطريـــق الـــذى يـــؤدى إلى ديارالعـــدم[1]؟

---

(١) هذا الغزل الذى كان قد قدم لأديب البيشاورى نشر فى العدد السادس من السنة الأولى لمجلة "إيران شهر" وقد أرسل أديب فى الرد عليه قطعة مفصلة نشرت فى العدد الثانى من السنة الثانية لنفس المجلة ، وفيما يلى أبياتها الأولى :

يا من ضللت طريق العقيق ومكان الحى — وحائر ولا تعلم أين الطريق الصحيح

لا ترفع عينك عن البرق اليمانى الوامض — حتى يظهر لك ورد الخشم

إذا عجزت عن الوصول إلى الملك البعيد ، ففى الجو — سيخبرك الطبل أين الملك حامل اللواء

مزق جيب الظن وكذا حجاب القياس — حتى ترى بإمعان أين مكان الخيام .

- عقيق : الوادى المتسع وقد ذكر فى الأشعار العربية لمكانة المحبوب .
- حى : قبيلة .
- الطريق الصحيح : الأرض المزروعة وقد ذكرت لمكانة المعشوق وكلاهما إشارة لأرض الرسول الكريم =

هذيان

أمّا رائعة غنى زاده فهى هذا المثنوى "هذيان" والذى سيخلد اسمه فى تاريخ الأدب الإيرانى المعاصر.

وهذا المثنوى برغم وجود عدة كلمات غليظة "تركية الأصل" فإنه جميل جدًا ويعبر عن المشاعر الداخلية الرقيقة للشاعر وعاطفته وشوقه المتدفق.

وقد أورد الشاعر ما يلى فى المقالة التى كتبها بقلمه حول ظروف كتابة مثنوى هذيان :

تجاوز عام ١٩١٨م حد الاعتدال نتيجة استمرار الحرب فى أوربا وأخذت دائرة المعيشة تضيق فى كل لحظة سواء فى الطعام أو فى جميع ضروريات الحياة، وفى ظل اشتعال هذه الحرب المدمرة ،باتت العاصمة الألمانية برلين، تقلل فى كل ساعة، تحت ضغط عشرين مليون بندقية، كمية أخرى من الغذاء اليومى المخصص للنساء والأطفال والمعاقين الذين اضطروا للبقاء فى منازلهم، وترسله إلى جبهة الحرب، ومع ذلك فإنها لم تستسلم، نعم كانوا يميلون إلى الصلح ولكن أحدًا لم يكن مستعدًا للتفريط ولو فى ذرَّة واحدة من العزة والكرامة الوطنية.

وكانت همم وفضائل الألمان، بناء على أن " المجالسة مؤثرة "، قد أيقظت مجموعة من الإيرانيين وغير الإيرانيين من الهند ومصر وتركيا والقوقاز ممن كانوا قد واجهوا صعوبات فى بلادهم أيضًا، وتركت فى نفوسهم أثرًا غريبًا، ومن ناحية أخرى فإن نقص الطعام ربما قد حرّك هو الآخر مشاعرنا الرقيقة مثل ممارسى الرياضة الروحية بالهند والذين يحاولون تنقية باطنهم من المتع المادية بكبح جماح النفس، وأنا أعتقد أن الناس بوجه عام كانوا قد أصبحوا مختلفين فى تلك الأيام.

- البرق اليمانى : كناية عن الحكمة المحمدية .
- ورد الحشم : مسقى الغنم ، كناية عن العمران والمكان المسكون .
- الملك حامل اللواء : كناية عن حضرة النبى والذى كان حامل اللواء فى الغزوات .

وفى ظل هذه المشاعر لازمت حجرتى بالبانسيون مضطرًا لمدة أسبوعين أو ثلاثة نتيجة عدم الاتفاق بينى وبين اللجنة الإيرانية، ولا أخفى سرًا كم كانت هذه المسألة مؤلمة بالنسبة لى، وفى هذه الأثناء أصابتنى الحمى الشديدة قضاءً وقدرًا وزادت من اضطرابى.

والحمى أساسًا هى مرض الشعراء : وذات ليلة من هذه الليالى التى كان يحترق فيها جسمى كله ارتفعت درجة حرارتى ووصلت إلى أربعين درجة، فنسجت عدة أبيات لم تكن فى الحقيقة أكثر من مجرد هذيان، وبعد أن أفقت حملتها كلها وسميتها بنفس اسمها الحقيقى هذيان [1].

وقد سمعت من الأستاذ الفقيد هادى سينا[2] أنه قال : كنا ذات ليلة " خلف القلعة " مع أحمد أشترى وإسماعيل أمير خيزى وأحمد بهمنيار ومحمد حسين شهريار والأصدقاء الآخرين، ومعنا أيضًا ملك الشعراء بهار هو الآخر وكانت ليلة صافية وهادئة وضوء القمر فيها ينفذ من بين أوراق الشجر فى كل مكان والمياه تجرى تحت الأشجار، وكنت أنا شابًا ممتلئًا بالمشاعر الجياشة وفى ذلك الجو الذى تظلله السعادة والسرور أخذت أدندن مع نفسى بأبيات مثنوى هذيان، فسألنى بهار الذى لم يكن قد سمع هذا الشعر حتى ذلك اليوم، لمن هذا، فأخبرته أن هذا الشعر لمحمود غنى زاده الشاعر

---

(١) فى هذا الوقت قام أحد محبى الأدب الإيرانى ويدعى " لشتشينسكى " والذى انشغل عند غنى زاده باستكمال تعلم اللغة الفارسية ، قام بترجمة مثنوى " هذيان " نظمًا إلى الألمانية ونشره فى مجلة " الشرق الجديد " الألمانية وبهذه المناسبة حصل الشاعر على شهادات تقدير من الأدباء الألمان .

(٢) كان سينا أستاذ كرسى الفلسفة والأدب العربى بكلية العلوم العقلية والنقلية بطهران، ومن مفاخر أذربيجان وكان فريدًا فى اللغة العربية وآدابها والفلسفة الشرقية، وفى يوم وفاته الذى وافق الثلاثاء الساعة الثامنة وعشرين دقيقة بعد ظهر الثانى عشر من شهر آذار عام ١٣٤٢ش (ديسمبر ١٩٦٣م) قال الأستاذ بديع الزمان فروزانفر عبارة كانت أبلغ من كتاب كامل ، قال : " كان سينا أحد علماء القرن السادس الهجرى".

السلماسى الأذربيجانى ... فطلب منى أن أنشده مرة ثانية فأنشدته وكررت بعض الأبيات بناءً على طلبه، فانصت بهار بكل كيانه حتى النهاية وقال : بحق خالق هذا الليل وهذا القمر المنير لم أسمع فى حياتى شعرًا بهذه الفصاحة والجاذبية ولم يؤثر فىّ شعر بهذا الشكل.

وفيما يلى النص الكامل لهذيان

هـــذا الـــشىء الـــذى أراه يـــا للعجـــب هـــل هـــو تـــأثير الحمـــى
أم هـــــــــى تهيـــــــــؤات الليـــــــــل وخيالاتـــــــــه ؟
هـــــــل الـــــــتى تنظـــــــر إلىّ هـــــــى النجـــــــوم
وتنتظـــــــــر لكـــــــــى تهـــــــــبنى الـــــــــروح ؟
شمـــــــــع تـــــــــابوتى أنـــــــــا المـــــــــسكين
هـــــــــذا الـــــــــذى أراه أم الثريـــــــــا ؟
لمـــــــاذا تظـــــــل الآفـــــــاق صـــــــامتة هكـــــــذا
وكأنهـــا قـــد أصـــبحت كلـــها مـــن أولهـــا إلى آخرهـــا جاسوسًـــا؟
ربمـــــا كـــــان مـــــوت شـــــاعر خيـــــالى
هـــــــــو الـــــــــسبب فى هـــــــــذه المنـــــــــاظر
إنـــــه لـــــن يـــــأتى هـــــذه المـــــرة، لمـــــاذا غـــــاب القمـــــر؟
إنـــــه ضـــــل الطريـــــق، ربمـــــا ســـــقط فى البئـــــر ؟
ولمـــــــاذا ظـــــــل الكـــــــون مـــــــذهولاً
وظـــل كلـــه مـــن أعـــلاه إلى أدنـــاه فى وجـــوم وتعجـــب ؟
مـــــرة ثانيـــــة هـــــذه الـــــساحة غارقـــــة فى الـــــدم
مـــــرة ثانيـــــة فاجعـــــة داميـــــة !

لا ينطلق فى الكون كله صوت

إلا من أنين طائر يا حق

والذى يخترق كبدى

ويقطعنى بقسوة كأى مشرط حاد

فإنه يسلب منى الراحة والسكون

ويخطف النوم من العين، والسكون من القلب المهموم

اذهب أيها الطائر ولا تصيح هكذا

لا تصرخ فلا فائدة من كل هذا

فإن هذا لن يؤثر شعرة واحدة

أيها الطائر الأحمق المندفع المغرور

إنه ليس فى ساحة الدنيا هذه حق

وما تطلبه أنت ليس بالشيء المطلق

إن الحق قد غادر بلادنا الخربة

بل إنه مقلوب فى بئر العدم

أين الحق ؟ أنصت وانظر

فإنك لن ترى فى الدنيا إلا التنهيدة والأنين

لقد أشعلوا نار القهر

لقد أحرقوا بيت الضعفاء

إن ما يحدث فوق الكرة الأرضية

يمر دخانه على القبة العلوية

إن النار والدم يحكمان الأرض

فـــــأين قـــــوة حقـــــك القـــــاهرة ؟

أيـــن الحـــق ؟ اذهـــب واطـــرق بـــاب الخرافـــة

ولا تـــضرم النـــار فى فلـــبى المجنـــون

آه أيهـــا الـــدهر الأزلى القـــديم

انتظـــر ســـاعة حـــتى أصـــل إليـــك

مـــا أكثـــر الأنـــات الـــتى لم تـــصل إلى هنـــاك

لم يُـــداو ألم واحـــد مـــن آلامـــك

إنـــنى سأصـــل إليـــك بنفـــسى واقفًـــا الآن

يـــا وطـــن الكـــبر والريـــاء العـــالى

كـــم مـــن مـــرة تـــشتعل النـــار فى قلـــبى بـــسببك

احـــذر فـــإننى أمطـــر النـــار

لـــو تـــصل قـــدمى إلى الأفـــلاك

ســـيكون مـــصيرك هـــو الفـــضيحة

وسأشـــعل فى الملكـــوت نـــارًا

حـــتى أحـــرق الحجـــب كلـــها

وســـأخترق قبـــة الـــسماء

وأهجـــم مباشـــرة علـــى الخـــالق الأعظـــم

وســـآخذ مـــن يـــده اللـــوح والقلـــم

وأحطمهمـــا علـــى رأســـه المختلـــة[1]

وأمـــد يـــدى علـــى حجـــاب الأســـرار

(١) كلمة سرسام (المختلة) استخدمت فى هذا الشعر فى صورتها التركية فقللت من قيمة الشعر .

وأقطعه وأمزق نسيجه
وأثبت للعالم الموجود
أنه لم يكن يوجد خلف الحجاب سوى السراب !
آه إن النار تخرج من رأسى
إن جحيمًا يخرج من شررى
ما هذا العمر الذى مرّ بى
لقد انقضى كله فى الأنين والنواح
وفى حرقة القلب وشدة الحزن ليلاً ونهارًا
والبكاء غير المفيد فى أوقات السحر !
لقد كنت شمع خلوة السكارى
لم أكن استرح لحظة واحدة من البكاء
لم يحرق أحد قلبه علىّ أنا المسكين
لم تحرق شعلى جناح الفراشة
إن الدموع الدامية التى كانت تحرق جسدى
كانت تتراكم كلها فى طرف ثوبى
فارق أيها الطالع المحترق صدرى
إرحل أيها الحظ المضطرب من أمامى
اختنق أيها الخيال الغريب
اذهب إلى قاع الدرك الأسفل
إن اليد الحقيرة للقدرة الأزلية
قد أرادت أن تحل المشكلة فى الغالب

فامتزج سم أنياب أفاعى الجحيم
واختلط بالماء الحميم
وهباب الدخان الجهنمى
قد خط مصيرى المشرد
كنت مسترخيًا فى مخبأ العدم
مستريحًا من وخزات العذاب والألم
كانت لى رأس خالية من هوس الجنون
وقلّب مستريحًا من ضجيج الشئون
لم يكن قلبى مهمومًا بالعدم والوجود
ولم يكن جسدى ممتلئًا بسم الوجود
لم تكن لى عين ترى العالم
وترى كل هذه المناظر المُحزنة
لم يكن لى قلب غارق فى الحزن
وفيه ألم يفوق الحد
كنت غافلاً عن آفة الوجود
كنت متحررًا من حب النفس. . .
فهجم علىّ فجأة القدر
وصارت حجتى هى أبى وأمى
وجعلنى فى هيئة غريبة
وألقانى بشدة فى البلاء
لو كان العالم قد وُجد بدونى

ماذا كان سينقص من العالم كله ؟

ما الذى كان سينقص عالم الوجود

من الأزل إلى الأبد إذا لم تكن هذه الذرّة موجودة ؟

إن أحلى لحظة رأيتها فى العالم

رأيتها فى هذه اللحظات الأخيرة

لأننى منشغل بالرحيل عن العالم

ومغادرة سر الكون والمكان

فإن حياتى بهذا الشكل هى السم

بينما الموت وسكراته هما السكر

ما أحلى ركن العدم مرة أخرى

ما أحلى ذلك العالم الخالى من العذاب والألم

ما أحلى ذلك المرقد الأبدى

الذى يخلص الجسد من شقاء الروح

إن فراش الراحة وحضن الوفاء

هما آخر ملاذ الضعفاء

إن أول الطريق الأبدى أيتها الدنيا

هو عتبة العدم أيتها الأرض

إن رائحتك تجلب راحة الروح

وتنشر عبير الجنان

يا من أنت لى بمثابة الأم الحنونة الوفية

إننى قد جئت إليك فافتح ذراعيك

جئت إليك محترق القلب ومهموم الروح

من سوء عمل ابن آدم

إن ظل جناحك هو مكان مبهج

فهو أفضل منزل وأحسن مأوى

فإن قدرة الظلم لا تصل إلى هناك

ويد التعدى لا تمتد على أحد

والذلة والضعف ليسا متلازمين معًا

وليس هناك أيضًا ظلم الحظ العاثر

فمرحبًا بك أيها المكان الجديد

والسلام عليك أيتها الحفرة المظلمة !

الفصل الثانى
سائر شعراء هذا العصر

١- بهار (استطراد)

ظهر ملك الشعراء بهار فى ساحة الأدب الإيرانى مرة ثانية بعد الحرب العالمية الأولى، وكما رأينا فقد انسحب من الثورة هو ورفاقه وزملاؤه بعد التحول المناوئ للثورة والذى حدث فى محرم سنة ١٣٣٠هـ ق، حتى اندلعت الحرب فى كل مكان، وكان بهار فى ذلك الوقت قد عاد من منفاه بطهران إلى مشهد وظل يصدر صحيفة "نوبهار" ولكنها ما لبثت أن أغلقت مع بداية الحرب، وفى عام ١٣٣٢هـ ق، أى العام الأول للحرب انتخب بهار عضوًا بمجلس النواب فى دورته الثالثة عن الولايات الثلاث "درجز" و"كلات" و"سرخس"، وانتقل إلى طهران عبر طريق روسيا ونشر صحيفة "نوبهار" فى طهران من عام ١٣٣٣ حتى ربيع عام ١٣٣٦هـ ق، (وقد تمت مصادرتها وإغلاقها عدة مرات) .

وجمع بهار حوله الشعراء والكتّاب الشبان فى سنة ١٣٣٤هـ ق[١]، وذلك بتأسيس جمعية تحمل اسم "دانشكده" وحثهم على العمل وبذل الجهد وعلمهم طريق ومنهج الكتابة والشعر، ذلك الطريق الذى كان قد تعلمه هو نفسه، وعلى حد قوله " أسس مدرسة شعرية ونثرية جديدة[٢]"، وفى سنة ١٣٣٦هـ ق[٣]، أصدر مجلة "دانشكده" التى كانت تنشر أفكاره وأعماله هو وأعضاء الجمعية، وقد قام فى هذه المجلة

---

(١) غرة ربيع الأول ١٣٣٤ .
(٢) ديباجة بهار على كتاب "تاريخ مختصر أحزاب سياسى" .
(٣) أول أرديبهشت ١٢٩٧ش (أبريل ١٩١٨ م) .

بمناقشة ومناظرة كاتب مجلة " تجدد تبريز" ورد على اعتراضات المجددين والمبدعين المتشددين ونشر مقالات تحت عناوين : تأثير الأوضاع فى الأدب، الشاعر الجيد، التوتة والصفصافة، الشاعر المُعذب، وأشعار من قبيل بث الشكوى، بيروس (ترجمة عن بوآلو)، العين والصخرة (ترجمة عن لافونتن)، العمل (ترجمة عن لافونتن) .

وقد كانت "دانشكده" واحدة من أفضل المجلات التى صدرت فى إيران حتى ذلك الوقت، وبرغم أنها لم تستمر أكثر من عام فإنها تركت تأثيرًا كبيرًا فى الكتّاب والشعراء .

وقد حدث فى هذا الوقت أن تم إيقاف صحيفة "نوبهار" نتيجة نشر مقالات ضد الحكومة، وقد اعترض الشاعر على هذا الإجراء فى مجلة "دانشكده" (العدد الرابع، أول السنبلة ١٢٩٧ش)، (٢٣أغسطس ١٩١٨م) بقصيدته القوية المشهورة "بث الشكوى" ومطلعها :

إن حركتى قـــد امتـــدت إلى مـــا بعـــد الـــرى فأنـــــا متـــــهالك وحـــــزين وبـــــاك

وفى سنة ١٣٣٨هــ ق، تولى بهار مسئولية إدارة صحيفة "إيران" شبه الرسمية. وقد حُبس فى انقلاب سنة ١٣٣٩هــ ق، (الثالث من أسفند ١٢٩٩ش) (فبراير ١٩٢١م) واستمرت مدة حبسه ثلاثة شهور .

وقد واكب الدورة البرلمانية الرابعة لمجلس النواب بداية الأيام العصيبة للأسرة القاجارية والصراعات السياسية الحادة، وفى هذه الدورة كان بهار الذى انتخب نائبًا للمجلس عن بجنورد، ضمن صفوف الأغلبية ومن الزعماء المعروفين فيها .

وفى محرم سنة ١٣٤١هــ ق، أسس مجلة "نوبهار"، وكانت فى هذه الفترة مجلة أدبية ويعد بعض مقالاتها التاريخية كبار الكتّاب مثل عباس إقبال آشتيانى وسيد أحمد كسروى، وقد نشرت فى هوامشها أعمال مهمة مثل "الشيطان" العمل الشعرى الجميل للشاعر الروسى لرمونتوف، ترجمة الزعيم الخراسانى المبجل (تيمورتاش) وكتاب المريد[1]

(1) Disciple.

تأليف بول بورچيه، ترجمة رشيد ياسمى، وكانت المقالات الأدبية التى يكتبها بهار بنفسه تزين صفحات هذه المجلة مثل "قلب الشاعر"، "روح الشاعر"، "لغة سعدى"، "المذهب والأمة"، "المعذب دائمًا"، "مواساة التعساء"، "أنا أحب"، "الجيل المعاصر"، "فكروا"، والأشعار "دماونديه"، "عشق الأم"، "الأفكار القديمة"، "الأسنان"، "الليل"، "مدح الفردوسى".

وقد استمرت مجلة "نوبهار" سنة واحدة، وبنشر آخر أعدادها[1] توقف أيضًا عمل بهار كمحرر للصحيفة، وانتخب بهار فى الدورة البرلمانية الخامسة عن دائرة ترشيز، وفى الدورة السادسة عن دائرة طهران وفى هاتين الدورتين كان ضمن صفوف المعارضة مع مدرس والبهبهانى وآشتيانى.

وفى هذه السنوات اشتدت الصراعات السياسية ووصلت إلى ذروتها بين الحكومة والمعارضة وكان لبهار نصيب كبير فى هذه الصراعات، فأخذ يدير صحف المعارضة بمفرده، وانشغل "بكتابة المقالات الافتتاحية علاوة على المقالات الفنية والأدبية للمجلات بالنثر والشعر، والكفاح المستمر[2]".

ولكن بعد انتهاء الدورة البرلمانية السادسة سيطرت الحكومة على الانتخابات و لم يتمكن بهار بعد ذلك من دخول مجلس النواب، ويكتب هو نفسه فى هذا الشأن :

" منذ انتهاء الدورة البرلمانية السادسة لمجلس النواب فصاعدًا ابتعدت برغبتى وإرادتى عن التدخل فى السياسة، وكان السبب فى هذا أنه فى يوم من الأيام قابلنى موظف من البلاط وعرض علىّ بعض المقترحات فى الشئون السياسية فيما تبقى من عمر المجلس فرفضت تلك المقترحات لأسباب ما، وقلت له إننى أرغب فى اعتزال السياسة والانشغال بالخدمات العلمية والأدبية[3] " .

(١) العدد ٣٤ ربيع الأول ١٣٤٢ .
(٢) شرح حال بهار ، ديوان أشعار ، ج ١ .
(٣) نفس المصدر .

وشاعرنا الإيرانى المشهور ملك الشعراء بهار " هو رجل جرىء ومناضل لا يتورع عن قول أو فعل ما يراه صحيحًا، وهو يحب إيران ويفكر دائمًا فى رفعتها وازدهارها، ويعبر تاريخه وأدبه وثقافته عن فضائله ونكباته ويجعله جديرًا بالحب، فهو لا ينسى المساكين والمحتاجين والجهلاء ويرى أنهم يستحقون حياة أفضل ويأسف ويحزن لغفلتهم وتعصبهم، وهو متفتح وفاتح ذراعيه للأفكار الجديدة وتطور العصر والتقدم العلمية وليس متحجرًا ومنغلقًا، ويتفاعل مع آثار الحضارة الحديثة وثمرات العلم. والأهم من كل هذا يميل بطبعه إلى السمو والنور والجمال والعدل وهذه هى أهم صفة يجب أن يتحلى بها الشاعر(١) " .

وبهار لا يمكن نسبته لفرع أدبى معين فهو كاتب وشاعر ومحرر ومؤرخ ومحقق ومترجم وناقد سياسى واجتماعى، وقد عمل فى الفروع الأدبية المختلفة وله مقالات عديدة ونثر أدبى بديع ونظم أنواع الشعر من القصيدة والغزل والقطعة والمثنوى والمستزاد والرباعى وله مؤلفات كثيرة، وهو "شاعر الأحداث" فقد أثرت فى أعماله بصورة كبيرة الأحداث التى شهدها إيران فى عهده والصدمات النفسية التى تعرض لها المجتمع، ولوكان بهار قد ولد قبل خمسين عامًا لكانت أعماله قد أخذت لونًا آخر تمامًا،وربما لم يستطع التحررمن قيد الجمود(٢) ".

نثر بهار

ولكى يجرّب بهار حظه فى الكتابة النثرية منذ بداية نشاطه الاجتماعى والأدبى أرسل إلى صحيفة "حبل المتين" قصيدة ومقالة فى عام ١٣٢٦هـ ق، فكتب له سيد جلال الدين مدير الصحيفة " لقد كانت أشعارك فى منتهى الحسن والجمال وقد نشرت، أمّا المقالة فهى سيئة للغاية وغير قابلة للنشر(٣)" وبرغم ذلك فإن رد مدير الصحيفة لم

(١) محمد على إسلامى ، بمناسبة الذكرى السنوية العاشرة لملك الشعراء بهار ، مجلة " پيام نوين " السنة الثالثة، العدد العاشر ، شهر تير ١٣٤٠ (يونية، يوليو ١٩٦١ م) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ديباجة بهار على " تاريخ أحزاب سياسى " .

يصبه باليأس والإحباط، بل زاد من حماسه ونشاطه وعلى حد قوله، فقد لفتت مقالاته السياسية والتاريخية فى الصحف أنظار الناس فى عامى ١٣٢٧ و ١٣٢٨هـ ق».

ونحن لا نعلم ماهية هذه المقالات السياسية والتاريخية، وإلى أى مدى لفتت أنظار الناس فى ذلك الوقت، ولكن المؤكد أن عامى ١٣٢٧ و١٣٢٨هـ ق، اللذين يتحدث عنهما الكاتب هما الفترة التى كان محمد أمين رسول زاده قد أدار فيها صحيفة "إيران نو" المعروفة فى طهران وكتب مقالاتها السياسية بنفسه، وقد أعجب بهار بهذه المقالات التى لم تكن من حيث أسلوب الإنشاء إلا نثرًا صحفيًا بسيطًا فى بداية الثورة، وقام بتقليدها.

ويكتب بهار فى مذكراته حول هذا الموضوع: " كنت قد اخترت أسلوب "تاريخ البيهقى" فى النثر الكلاسيكى، إلا أن العوامل السياسية وحاجة الشعب للنثر البسيط أدت إلى أن أسلوبى النثرى أخذ شكلاً جديدًا، ومرة واحدة رفضت العودة إلى الأسلوب القديم ... وفى آخر الأمر أدّى رواج مقالات رسول زاده وتشجيع السياسة والتعصب الفكرى إلى أننى بدأت فى كتابة المقالة بأسلوب يجمع بين أسلوب رسول زاده والأسلوب الذى كنت قد ابتكرته، والتغيير الذى أحدثته بنفسى كان هو إدخال الألفاظ الفارسية والتركيبات الشعرية فى هذا النثر وبرغم أننى لم أمتنع عن كتابة ألفاظ "ايجاب"(إلزام)، "استكمالات"(تكميلات)، "استحصالات" (تحصيلات) وأمثال ذلك فإننى فى ذات الوقت لم أخش كتابة كلمات " بيم آن است " (خشية أن)، "گزيده" (المنتخب)، "نوين" (الجديد)، "دستاويز" (ذريعة)، "پايمردى" (الصمود)، "كشور" (الدولة)، "بيگانگان" (الأجانب)، "وجاهت" (الكرامة)، "وجيه" (الشريف)، "وجاهت ملى" (الكرامة الوطنية)، وغيرها والتى لم تكن مستخدمة فى الأعمال النثرية حتى ذلك الوقت، ولكنها شاعت كلها اليوم وأصبحت موضع استخدام الجميع، وبهذه الطريقة بدأت فى تأسيس نمط من النثر أزاح فيما بعد أسلوب رسول زاده بعد ثلاثة أو أربعة أعوام، وأوجد أسلوبًا جديدًا أكثر فارسية[١] ".

---

(١) شرح حال بهار ، ديوان أشعار ، ج ١ .

ما قيل كان عن أسلوب إنشاء بهار، أمّا من حيث الإتقان والإحكام فى الاستدلال والاستنتاج فإن ملك الشعراء بهار لم يُعرّف ككاتب صاحب رؤية، ومقالاته السياسية والاجتماعية الكثيرة لا تسلم أبدًا من النقد، ويُلاحظ ضعف الكاتب وعجزه بصورة أوضح خاصة فى الموضوعات العلمية البحتة التى تتطلب كفاءة خاصة وثروة فلسفية كافية، وفى هذا النوع من المقالات يخسر بهار نفسه أحيانًا وسط الأفكار المتناقضة وينخدع بالانسجام الظاهرى للكلمات وتطابق الأحكام الخادع للبصر.

وبالطبع يجب الانتباه إلى أن هذا العيب الذى يوجد بكثرة فى كتابات الأدباء فى ذلك الوقت كان ناتجًا إلى حد كبير عن نفس اللغة التى لم تكن قد أعدت بعد بشكل جيد لاستخدامها فى الموضوعات العلمية والفلسفية. ولهذا السبب فإن الألفاظ والمصطلحات احتلت مكانة كبيرة فى مثل هذه الموضوعات، كان كل منها فى الغالب يستعمل مكان الآخر بلا مبالاة[1].

وبهار الذى كان فى البداية يقلد أسلوب الكتابة الصحفية البسيطة بما أن "أسلوبه البسيط لم يكن يرتقى بالموضوعات الأدبية إلى درجة عالية فقد اقتبس أحيانًا فيما بعد أسلوب الشاعر والكاتب الكبير الذى مرّ على عصره ستمائة عام وهو سعدى الشيرازى ولجأ إلى أشكال مختلفة من السجع[2]"، ولكنه لم يحقق نجاحًا كاملاً فى هذا الفرع أيضًا و لم يصل نثره الأدبى والفنى إطلاقًا إلى درجة أشعاره.

وقد نشرت لبهار قصة واحدة فقط بعنوان "نيرنگ سياه يا كنيزان سفيد" (السحر الأسود أو الجوارى البيض)، فى هامش صحيفة "إيران" عام ١٣٣٧هـــ ق، والتى لا تستحق اهتمامًا كبيرًا من حيث التكنيك القصصى، وفيما يلى منتخب من نثر بهار :

---

(١) انظر مسم مقالات "آزاديها : الحريات" بقلم تقى رفعت ، صحيفة "تجدد تبريز"، الأعـــداد ٩٠ ، ٩٦، ١٠٧ سنة ١٣٣٦ هـــ ق .

(٢) محمد ضياء هشترودى ، منتخبات آثار ، ص ١٠٧ .

التوتة والصفصافة[1]

على رصيف أحد الشوارع كانت الأشجار المختلفة قد وقفت مرفوعة الهامة وكانت هناك شجرة توت كبيرة ؛ جزعها الضخم يدل على عمرها الطويل، وتقع بجوارها شجرة صفصاف ومنذ السنة الأولى التي أخرج فيها الشجر أوراقه أظهرت شجرة الصفصاف بعض حقدها وعداوتها لرفيقتها الصامتة، فكانت من حين لآخر تمد أوراقها الخضراء المدببة الشبيهة بالمشرط ناحية أوراق التوت الضخمة العريضة الشبيهة بكف عامل مُسن.

وحكاية غيرة شجرة الصفصاف من شجرة التوت حكاية تتكرر كل يوم.

فالصفصافة كان كل همّها التنافس، والتوتة كان كل همّها العمل، الصفصافة تعلو وتتدلى والتوتة الصغيرة تكبر وتثمر وتصنع السكر والشربات.

اليوم العاشر من الجوزاء : كانت الشمس الدافئة ساطعة فوق الشجر و تنثر أشعتها على امتداد الشارع من بين ثنايا الأوراق والأغصان فجعلته وكأنه مبدور بعملات فضية، والرياح الخفيفة أخذت تحرك الأغصان الصغيرة فقط، وكان البلبل لا يزال يغرد والصرصور لم يكن قد بدأ بعد في الصفير، فالوقت قبيل الظهر وهو نفس الوقت الذى أخذ يسرع فيه عدة أفراد صغار وكبار من ناصية ذلك الشارع إلى ناحية هذه الأشجار، وكل منهم يحمل على كتفه عصاه الطويلة والبعض يجهز نفسه قبل الوقت أيضًا فيمسك الواحد منهم فى يده الأحجار وقطع الخشب المختلفة، ثم تفرقوا بعد ذلك ولكنهم وقفوا تحت الشجر تدفعهم رغبة واحدة، فى البداية كان يُعتقد أنهم سيذهبون ناحية شجرة الصفصاف ولكن لا، فلا شأن لهم بها فهى خاوية، وإنما هذا

(١) هذا الموضوع طرح فى " جمعية دانشكده " وكتبه اثنان : بهار رئيس دانشكده ورشيد ياسمى عضو دانشكده، والأحسن أن يقرأ القرّاء كلا الاثنين فى العدد الخامس فى الأول من الميزان ١٢٩٧ " مجلة دانشكده " وأن يقارنوا بين الأستاذ والتلميذ فى الكتابة .

الهجوم وهذا الكم الكبير من الإهانة والغارة القاسية كان موجهًا لشجرة التوت، لأن بها فاكهة وفوق فروعها المثمرة حبات حلوة ولذيذة ومسكرة كالشهد، ولهذا السبب يجب الهجوم عليها، فارتفعت العصيّ الخشبية ومدّ المهاجمون أيديهم بعد أن وقفوا على أطراف أصابعهم وبدأت القفزات وإلقاء الحجارة والتعامل بقسوة مع الشجرة فاهتزت فروعها المثمرة، وقد كانت أصوات الضربات وسقوط الأوراق والفاكهة مسألة بسيطة وعادية ولكنها بالنسبة للشجرة كارثة كبيرة، وشجرتنا متوترة ولكنها رابطة الجأش ظلت تقاوم أمام هذه الحملة كمقاتل شجاع دُمرت أسلحته فجأة وتساقطت من حوله وسط ميدان المعركة.

وكانت شجرة الصفصاف الرفيقة خالية البال ترى بعينيها هذه الواقعة التي تعتبر فرصة للشماتة، ولم يكن يُلقى عليها حتى حجر واحد.

كم كانت سعيدة أن رفيقتها كانت ترجم بالحجارة وتتعرض لهجوم الناس! وهنا هب الرياح فتهز شجرة الصفصاف رأسها وكانت نغمات الاستهزاء وحركات التقريع الصادرة عن اهتزاز شجرة الصفصاف تجسد غرورها وتكبرها أمام محنة رفيقتها.

وظلت شجرة التوت تتعرض للهجوم لفترة بذنب أنها مثمرة فتحطمت الكثير من فروعها وأغصانها وصارت عارية، وكانت ضربات الأحجار قد ثقبت أوراقها النضرة وجعلتها مدببة، وظلت شجرة الصفصاف خالية وطليقة طوال فصل الصيف.

ولم يدم الأمر كثيرًا فقد مضى فصل التوت وزيّنت شجرة التوت نفسها من جديد وظهرت براعمها الجديدة وزيّن لونها الفستقي أطراف قوامها المحتشم.

عقدة كبيرة وغرور شديد، فالعقدة استقرت في قلب شجرة التوت والغرور ملأ رأس شجرة الصفصاف، ولكن الطبيعة الصادقة لم ترض بأن تظل هذه الحقيقة غائبة لفترة طويلة.

ودخل الخريف واصفرّت أوراق الشجر وأخذت الرياح الباردة الواخزة تداعب نور الشمس، والسحب الكثيفة المظلمة تحجب فى الغالب الشمس عن الأرض، وزهور الخريف تتفتح من جديد، والصراصير تهم بترك الصفير، وكان البستانيون قد بدأوا هم أيضًا فى قطع الأشجار عديمة الفائدة وذلك لتدفئة غرف الأكابر والأعيان .

وعصر ذات يوم هبّت رياح شديدة وأخذت تقذف بأوراق الشجر الصفراء وشبه الصفراء وتدحرجها فوق الأرض، وبينما كانت بقية الأوراق الجافة تطير من على الفروع، وتلف فى الهواء وكأنها مراوح الأطفال، ظهر على رصيف هذا الشارع الذهبى اللون رجل مُسن يحمل منشارًا بنفسجيًا صلبًا، رجل ذو عينين متلصصتين، وأخذ يتقدم نحونا وكانت رياح الغرور ما زالت تتحرك بين أغصان الصفصافة وبقايا العقدة القديمة ما زالت راسخة فى قلب التوتة، فتحرك البستانى واقترب فى البداية من التوتة وتفحصها، و لم يكن شكلها ومنظرها يفسدان لذة ثمارها الحلوة التى تنفع البستانى، فهى شجرة قيمة ومثمرة، لذا لم ترغب أسنان المنشار الصلب أن تتسبب فى ألم ووجع لجسد مفيد ومهم، فتوجه إلى الناحية الأخرى ناحية شجرة عديمة القيمة والفائدة والاستخدام وتستحق القطع والحرق وهى نفس المنافس المغرور ؛ شجرة الصفصاف التى كانت تهز رأسها أثناء هجوم آكلى الثمار، وهنا تقدم المنشار القاسى وغرس أسنانه القاطعة فى ساقها وهبّت رياح أشد فارتعدت الصفصافة بشكل لا إرادى وأخذت النشارة البيضاء تتطاير فى الجو من جانبىّ ساقها بأنين خفيف ومتقطع، وضغطت آخر أسنان المنشار آخر ضغطة على آخر عروق الشجرة وامتلأ الشارع بالفروع والأغصان وأغلق عرض الشارع بجزع شجرة ضخمة عديمة الفائدة.

لو رأيتم عنصرًا مفيدًا وقد ابتلى بهجوم الناس فلا تضحكوا عليه، اتركوه حتى يصل الشتاء والقيمة الحقيقية للشجر يحددها الرأى الأخير للبستانى.

كل من له ثمرة من ثمرات الفضائل سيرجم بالحجارة، أمّا الناس عديمو القيمة والفائدة فإنهم لن يتعرضوا للهجوم، فقط سيحترقون تحت مواقد النسيان والتجاهل وحتى رمادهم لن يحل محل أى تراب مفيد !

شعر بهار

يعتبر بهار فى الشعر من أتباع الأسلوب القديم وهو شاعر قصيدة قبل أى شيء، فهو يبدى أستاذية ومهارة فائقتين فى نظم القصيدة، إن بهار الذى كان قد انضم لصفوف المجاهدين فى سبيل الحرية بعد الحركة الدستورية وجعل موهبته واستعداده فى خدمة أهداف الأحرار والوطنيين، يتقدم مع العصر والزمان خطوة بخطوة فى الفترة الثانية من نشاطه الأدبى – الفترة منذ الحرب العالمية الأولى فصاعدًا والتى أقام خلالها فى طهران – ويميل إلى الطُرز والأساليب الجديدة وإلى التجديد، ويتعاون مع الشعراء الشبان المجددين، ويصير شعره أكثر نضجًا واتزانًا، ويكتسب لونًا آخر أيضًا سواء من حيث الشكل والقالب أو المضمون، ويقبل أساسًا أى تجديد فى الأدب أثناء البحث والجدال بين التقليديين والمجددين (كما سيأتى) فيما عدا أنه يضع شروطًا خاصة لهذا الأمر وهى المحافظة على الأسس والأصول القديمة، ويظل هو نفسه ثابتًا ومتمسكًا بهذه الأسس والقواعد بصفة دائمة فى كتاباته وأشعاره[1] .

والحقيقة أن بهار من ناحية مفتون بنماذج وروائع الشعرالقديم ومن ناحية أخرى ليس غافلاً عن تطور الزمن ومقتضيات العصر فهو يتحدث بنفس أسلوب الشعراء القدامى ولغتهم ونغمتهم، وبرغم ذلك يميل إلى توفيق الأشعار الحديثة مع أصول الشعر القديم، وفى ظل صراع الأفكار المتناقضة هذا يخشى حدوث فوضى أدبية، ويحاول مع كل هذه الدعوة والرغبة فى التجديد أن يصب أفكاره ومشاعره والقضايا الجديدة المعاصرة فى نفس الأشكال والقوالب القديمة ويتحدث بنفس أسلوب ولهجة الشعراء القدامى عن الأمور السياسية والاجتماعية، وعندما لا يجد قوالب ونماذج الشعر القديم مناسبة تمامًا لتقديم المضامين الجديدة والتعبير عن الآلام الاجتماعية والسياسية يعدل إلى حد ما عن رأيه الأول، فمثلاً يحاول فى شعر"كبوتران من : حمائمى، طيور الحمام

(١) فى أخريات حياته يمنح حرية أكبر للشعراء بل ولا يمنعهم من نظم الشعر الأبيض فاقد الوزن والقافية .

خاصتى " أن يستخدم لهجة جديدة ونغمة أحدث وفى شعر "دماونديه" يتأثر بشكل واضح وملموس بقطعة "اى شب:أيها الليل" للشاعر نيما.

وهذا الانحراف عن الأصول أو التجديد برغم أنه ليس عميقًا إلا أنه على كل حال انحراف.

ولكن بهار نفسه له ادعاء أكبر فهو مع تأكيده على أنه "كان من أهل التتبع و لم يخطو ناحية التقليد[١]" يدّعى أن "له شعر فى كل أسلوب، وأن أسلوبه تابع للموضوع[٢]" بل إن "أحدث أسلوب موجود، قد ظهر لأول مرة من خياله[٣]" وهو أيضًا الذى "عالج النقص الكبير فى الأسلوب القديم وقام بتركيب الأساليب وفقًا لذوقه وأعد أسلوبًا مستقلاً[٤]".

والحقيقة أن بهار فى الشعر لم يكن بأى حال من الأحوال صاحب أسلوب خاص ومستقل، ودوره فى فتح الطرق الجديدة وخلق المضامين الحديثة أقل حتى من " إيرج " الذى لا يتظاهر أبدًا بالتجديد، فهو لم يكن قادرًا بالفعل فى أى مرحلة من مراحل نشاطه الأدبى على الخروج من دائرة الأصول الثابتة للقدامى أو بعبارة أخرى يعد بصفة دائمة شاعرًا أديبًا وأستاذًا فى فن القصيدة سواء فى الأعمال القديمة أو فى أشعاره الوطنية والاجتماعية الحماسية.

وينظم بهار القصيدة فى جمال قصائد أديب الممالك ومتانتها، ولكن غزلياته بالرغم من أنها ناضجة وموزونة وجميلة " فإنها تفتقر إلى الشوق والعشق الذى يتميز به الغزل[٥]"، ومثنويات بهار أيضًا برغم أنها قد نظمت بمنتهى المهارة والفن فإنها لا ترقى لمثنويات "إيرج" فى العذوبة والحرارة، فمثلاً مثنوى " زندان: السجن" لا يتساوى مع

(١) من رسالة بهار المنظومة إلى صادق سرمد ، الديوان ، ج ٢ ، ص (٢٢٩ ، ٢٣٠) .
(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص (٢٢٩ ، ٢٣٠) .
(٣) المصدر السابق، ج ٢ ، ص (٢٢٩ ، ٢٣٠) .
(٤) نفس المصدر .
(٥) عبد الحسين زرين كوب ، شعر بهار ، مجلة سخن ، الدورة الثامنة ، العددان ٩ ، ١٠ .

قصة "زهره ومنوچهر" و"عارفنامه" للشاعر إيرج، وألفاظ ومصطلحات الشعر القديم لها نصيب كبير فى ديوان أشعار بهار من العبير والديباج، العقيق ويبروج الصنم، القافلة والجرس، يوسف والقميص، شيرين وكوهكن، الغريم والأعداء، صنم فرخار، النرجس الغامزة، الطرة شديدة التجاعيد، الحاجب المقوس كالقبو، محراب الصلاة، وتوجد به بكثرة المضامين المبتذلة والمكررة ألف مرة، وهو أيضًا مثل أجداده الشعراء يعرف جيدًا طريق الحانات ويسكر ويتحطم من عين الساقى وينام فى وادى المسكنة ويطأطئ رأس الخضوع للقنينة وينصهر جسمه كالشمع ويتعلق قلبه المحترق بقميصه كشعلة الفانوس ويعشق التركيات الختائيات ويستنشق مسك الختن ويشكو داخل القفص سواء من ظلم البستانى أو من قاطف الورد ويئن من يد اللص والمحتسب والعسس، وفم المحبوب فى نظره سر خفى ؛ يُفشى إذا ما خاطب الألسن، فهو العنصر الغامض الذى لكل شخص فيه ظن و" ما دام هو لا يتحدث فلا يقين لأحد[1] " .

وتكثر مثل هذه الألفاظ والعبارات فى شعر بهار لدرجة أنها تحجب أحيانًا الألفاظ والأفكار التى دخلت إليه من السياسة والصحافة.

كما كتب بهار أيضًا مؤلفات تعتبر جميلة بلا شك، ويمكن اعتبار "مرغ سحر: طائر السحر" من بين أشعار الشعراء المجددين، ولهذا الشعر لهجة ثورية وبيانه بسيط وثرى .

وعلى الرغم من أن بهار متفائل ويحدوه الأمل فى بعض أقواله[2] فإن السمة المميزة لشعره بوجه عام خاصة فى هذا العصر هى؛ التشاؤم المفرط واليأس من الحياة والخوف من المستقبل وعدم الثقة فى كل الناس وفى كل الأشياء، وربما أنه بعد السنوات الساخنة للمرحلة الدستورية وتفسخ الثورة والنتائج التى ترتبت على ذلك يرى نفسه فى جو

---

(١) كل هذه الألفاظ والتعبيرات مستخرجة من أشعار بهار .

(٢) منها فى الشعر : أيها العالم يا لك من عالم جميل ومفرح ... وا أسفاه فإنك لا تدوم للخلق
كل أعمالك مصدرها الحكمة ... فأنت لا تعرف العمل بعيدًا عن الحكمة

وفى الشعر أيضًا : إن العالم ما هو إلا صورة لخالق العالم ... فلا يليق ذم العالم
إنه كله جمال وروعة ... ولا يظهر فيه أى عيب

غريب ولا يجد نفسه قادرًا على الدفاع عن حقوق ومصالح أمته، فيصاب باليأس والحرمان شاء أم لم يشأ، ويعد أفضل نموذج يعبر عن حاله هذا " أفكار پريشان : أفكار مشوشة" و " دماونديه ".

وفى ختام هذا البحث يجب القول: إن أشعار ملك الشعراء بهار بها مجموعة كبيرة تجمع بين الغث والسمين من حيث السلاسة والقيمة الفنية، ولكنها على كل حال كلها مُحكمة ومهذبة وقوية ومزيّنة بالمحسنات والصنعة البديعية ويمكن العثور بينها على نماذج راقية وفاخرة جدًا.

وفيما يلى منتخبات من أشعار بهار :

ساقينامه

قام بنظم هذا المثنوى أثناء الحرب العالمية الأولى عندما تعرضت إيران لهجمات الضيوف غير المدعوين، وقد ذكر الأمجاد الإيرانية القديمة بحزن وحسرة :

أعطنى أيها الساقى تلك الخمر التى تأخذنى إلى عالم الأحلام
تلك الخمر التى تضىء العقل
الخمر التى إذا شرب منها الحجر الصوّان
صار أنعم من الحرير الأفرنجى
الخمر التى إذا شربت منها بروسيا
صارت بجرعة واحدة موالية لروسيا
الخمر التى إذا شربت منها إنجلترا
صارت جليسة سيدتها ألمانيا
الخمر التى إذا شرب بها فولهام دفعة واحدة
قلما خطط للحرب بعد ذلك
الخمر التى إذا شرب منها نيكولا
أغمض عينه بعد ذلك عن إيذائنا

وصرف نظره عن تقسيم إيران
وتأهب لمواساتنا ورعايتنا

الخمر التى إذا شرب منها "السير إدوارد جارى"
جرعة واحدة فى قاعة المحكمة

لن يقول إن إيران جزء من منطقة حكمنا
ويخاف من العقاب والمحاكمة

تعال أيها الساقى وأعطنى تلك الخمر
التى تذهب العقل فقد مللت اليقظة

فإن هذه اليقظة هى قيدى وهى سجنى
وبسببها حلقى مر كالصبّار

وإذا لم تؤثر فىّ هذه الخمر
فأعطها للأجنبى حتى يغمض العين

وا أسفاه فإن الأجنبى ليست عنده رحمة
فقد ضاعت تلك الرحمة فمن يعيدها ؟

إن العالم من أوله إلى آخره هو ميدان القوة فحسب
وجزاء الضعيف هو القبر فحسب

....
....

تعال أيها المطرب واعزف على ذلك العود
وابدأ اللحن بالصوت الجلى القوى

أشعل الحماسة فى النفوس وارفع الصوت
وأنشد هذا الغزل بحرقة وذوبان :

ما أجمل حدود بلاد إيران العامرة
ما أروع هؤلاء الملوك المحمودين

مـــــا أجمـــــل تلــــك القــــصور حديثــــة الزينــــة
مـــــا أجمـــــل شـــــبيهات الـــــسرو الأبكـــــار
مـــــا أجمـــــل تلــــك الأنهـــــار في فـــــصل الربيـــــع
مـــــا أروع تلـــــك الـــــشقائق النابتـــــة علـــــى شـــــط النـــــهر
مـــــا أجمـــــل مدينـــــة اصـــــطخر هـــــذه الـــــتى تـــــشبه الجنـــــة
مـــــا أروع هـــــؤلاء الأبطـــــال والـــــشجعان
مـــــا أجمـــــل مدينـــــة أكباتـــــان[1] وأروع مدينـــــة شـــــوش
مـــــا أجمـــــل مدينـــــة بلـــــخ أرض المـــــلاك المباركـــــة

....

مـــــا أجمـــــل مدينـــــة تبريـــــز ذات العـــــبير المـــــسكى
مـــــا أروع الـــــساحل الأخـــــضر لنـــــهر أرس
مـــــا أجمـــــل عهـــــدنا الميمـــــون
مـــــا أروع حظنـــــا العـــــالى المبـــــارك
والآن ضـــــاعت كـــــل هـــــذه العظمـــــة مـــــن بـــــين أيـــــدينا
ولم يبـــــق فى أيـــــدينا ســـــوى الـــــسراب
أيـــــن ذهـــــب هوشـــــنج[2] وأيـــــن زرادشـــــت[3]؟
أيـــــن ذهـــــب جمـــــشيد[4] حـــــسن الطبـــــع ؟
أيـــــن ذهـــــب ذلـــــك العلـــــم الكاويـــــانى[5]؟
أيـــــن ذهبـــــت تلـــــك الـــــسيوف الأرغوانيـــــة ؟

---

(١) أكباتان : عاصمة دولة ماد القديمة ، همدان حاليًا (المترجم) .
(٢) هوشنج : ثانى ملوك الأسرة البيشدادية الأسطورية (المترجم) .
(٣) زرادشت : صاحب الديانة الزرادشتية (المترجم) .
(٤) جمشيد : اسم ملك إيرانى قديم (المترجم) .
(٥) العلم الكاويانى : علم كاوه الحداد الذى رفعه فى ثورته ضد الضحاك ثم صار علمًا رسميًا فى عهد الساسانيين (المترجم) .

أيـــن ذهـــب كـــاوه الـــشهير ؟
أيـــن رحـــل فريـــدون[١] شـــريف الأصـــل ؟
أيـــن ذهـــب أبطـــال إيـــران
الـــذين هـــم زينـــة الْملـــك المجهـــولين ؟
فليـــأت هـــؤلاء العظمـــاء الـــذين هـــم تحـــت التـــراب
ويمـــرون علـــى بلادنـــا
وليـــسألوا هنـــا أيـــن إيـــران
أيـــن بلـــد الأبطـــال!
ولـــيروا أن مـــا تبقـــى هنـــا لـــيس فيـــه
التـــاج والعـــرش الإمبراطـــورى
لا كـــرة ولا صـــولجان ولا ســـاحة ولا جـــواد
لا اصـــطخر ظـــاهرة ولا آذرگشـــسب[٢]

پيشگويى (التنبؤ)

هذه القصيدة نظمها فى عام ١٣٣٢ هـ ق، أثناء الحرب العامة فى طهران ونشرها فى صحيفة " نوبهار"، وكانت أوضاع الدولة فى ذلك الوقت مضطربة والجماهير متعطشة للإصلاحات، وقد بيّن بهار هذه الأفكار فى صورة تنبؤ :

لتـــسمح أيهـــا الربيـــع بطلـــوع نبتـــة
وظهـــور لمعـــة مـــن ســـحابة ســـوداء
وصـــبُر ليـــل الغـــم فى هـــذه الظلمـــة
بـــأن ثمـــة قمـــرًا آتيـــا مـــن ناحيـــة الـــشرق

(١) فريدون : ملك من العهد الأسطورى حارب الضحاك (المترجم).
(٢) آذرگشسب : معبد نار شهير (المترجم).

وانتظر حتى يظهر بقوة الشمس طريق
فى هذه الأرض الجليدية الغائرة المعتمة
فإن الوطن مكان ملىء بالآبار وهو سجن الأعزاء
فانتظر حتى يخرج عزيز من أحد الآبار
أمهل المدّعى فى هذه المحاكمة
فغدًا سيحضر أحد الشهود
عش اليوم ظالمًا وشريرًا
فسيظهر متظلم فى اليوم التالى
وستخرج من الكم يد القدرة
وستظهر الطبيعة بصورة مختلفة أيضًا
وسيتحرك على هذه الأرض سيف الشجاعة
وسيظهر من هذه الصحراء غبار أسود
وسيموت المتسولون وهؤلاء البشر السفلة
الذين يظهرون على ظهر سرج المُلك
وسينظر الملك إلى أحوال الرعية
وتُقضى كل الأمور بنظرة واحدة
إذا لم يصدر من أحد أى عمل صائب
فاسمح بأن يُرتكب ذنب من أى أحد
عسى أن يخرج من أى ذنب بلاء
عسى أن يخرج من أى بلاء رخاء
عسى أن يخرج من وسط البلاء نهار مشرق
ومن حلقوم المظلوم آهة

عـــــــــسى أن تخـــــرج مــــــن آهــــــة المظلـــــوم غــــبرة

ويخـــــرج مـــــن تلــــك الغـــبرة صـــاحب تــــاج

دماونديه

نظم هذه القصيدة التى تعد من روائعه فى عام ١٣٤١هــ ق، ففى هذا العام وبسبب تحريض الأجانب كانت قد شاعت الفوضى الكتابية والاجتماعية فى الصحف والمطبوعات، وساد الضعف كل شئون الدولة، وقد نظمت قصيدة دماونديه تحت تأثير تلك الأوضاع فى طهران[1]:

أيهــــا الـــــشيطان الأبــــيض المقيـــــد القـــــدمين

يــــــا دماونـــــد يــــــا قبــــــة الـــــدنيا

عمامتـــــــك مــــــن الفـــــضة علــــى رأســــك

وحزامــــــك مـــــن الحديــــــد فى وســــــطك

طالمــــــــا لا تـــــــراك عــــــين البـــــــشر

فقــــد أخفيـــــت وجهــــك فى نقــــاب الـــــسحاب

حــــــتى تـــــتخلص مـــــن أنفــــاس الأحيــــاء

ومــــــن هــــــؤلاء البــــــشر الــــــشياطين المنحوســـــين

فقــــد عقــــدت حلفًــــا مــــع أســــد الفلــــك

وأقمــــــت رابطــــــة مـــــع كوكـــــب الـــــسعد

عنـــــدما صـــــارت الأرض مـــــن ظلـــــم الفلـــــك

بـــــاردة ومظلمــــــة وصـــــامتة ومتأرجحـــــة

ضــــربت الفلــــك بقبــــضة يـــــدها مــــن شــــدة الغـــضب

وتلـــــك القبـــــضة هـــــى أنــــت يـــــا دماونـــــد

---

(١) تقليدًا لقصيدة الحكيم ناصر خسرو التى يقول مطلعها :

يا قارئ كتاب الزند والبازند إلى متى تقرأ فى هذا الكتاب .

كتاب الزند والبازند : شرح الأفستا كتاب زرادشت المقدس (المترجم) .

فأنـــــــــــت قبـــــــــــضة الـــــــــــدهر الـــــــــــضخمة
مـــــــــــدخرة ومجمعـــــــــــة مـــــــــــن دوران القـــــــــــرون
فـــــــــــارفعي رأســـــــــــك عاليًـــــــــــا يـــــــــــا قبـــــــــــضة الأرض
واضـــــــــــربي الـــــــــــورى عـــــــــــدة ضـــــــــــربات
لا لا أنـــــــــــت لـــــــــــست قبـــــــــــضة الـــــــــــدهر
أيهـــــــــــا الجبـــــــــــل، إنـــــــــــني غـــــــــــير ســـــــــــعيد بهـــــــــــذا الكـــــــــــلام
أنـــــــــــت قلـــــــــــب الأرض المتجمـــــــــــد
ظهـــــــــــرت لـــــــــــك عـــــــــــدة أورام مـــــــــــن شـــــــــــدة الألم
ولكـــــــــــي يـــــــــــسكن الألم والـــــــــــورم
قـــــــــــاموا بتـــــــــــضميده بالكـــــــــــافور[1]
انفجـــــــــــر يـــــــــــا قلـــــــــــب الزمـــــــــــان
ولا تقبـــــــــــل تلـــــــــــك النـــــــــــار الـــــــــــتي في جوفـــــــــــك
لا تجلـــــــــــس صـــــــــــامتًا، تكلـــــــــــم باســـــــــــتمرار
لا تكـــــــــــن متجمـــــــــــدًا اضـــــــــــحك علـــــــــــى الـــــــــــدوام
لا تخفـــــــــــي النـــــــــــار بـــــــــــداخلك
واســـــــــــتمع لنـــــــــــصيحة واحـــــــــــدة مـــــــــــن هـــــــــــذه الـــــــــــروح المحترقـــــــــــة
إن أخفيـــــــــــت نـــــــــــار القلـــــــــــب
أقـــــــــــسم بروحـــــــــــك بـــــــــــأن روحـــــــــــك ســـــــــــتحترق
علـــــــــــى ثغـــــــــــرك الغـــــــــــائر ســـــــــــد محكـــــــــــم
أقامـــــــــــه الفلـــــــــــك الجـــــــــــرىء المحتـــــــــــال
وأنـــــــــــا ســـــــــــأفتح ثغـــــــــــرك المـــــــــــسدود
ولـــــــــــو حـــــــــــرروني مـــــــــــن القيـــــــــــد

(١) الكافور ، كناية عن الثلج بالنظر إلى بياضه .

سأطلق من نار القلب
برقًا سيحرق ذلك السد على ثغرك
وسوف أفعل هذا والمهم أن
تكون سعيدًا بهذا العمل
فتحرر وانطلق واصرخ
واقفز من القيد كالشيطان
إن صرختك توقع الزلازل
من نيسابور إلى نهاوند
ومن شعلة بركانك ينتشر
الشعاع من البرز إلى الوند
استمعي أيها الأم بيضاء الرأس
إلى هذه النصيحة من الإبن أسود الحظ
انزع هذه الطرحة البيضاء من رأسك
واجلس على عرش أزرق
تلوّى كالأفعى السامة
ازأر كالأسد الغاضب
اصنع تركيبة عديمة المثيل
أعدّ مزيجًا عديم النظير
من النار والسعير والغاز والكبريت
من الدخان والحميم والأبخرة
من نار آهة الناس المظلومين
من جحيم عقاب رب العالمين
وأرسل سحابة على رأس الورى
مطرها من الهول والفزع والرعب

اكـــــــسر بـــــــــاب جهـــــــــنم وصُـــــــب

جـــــــــزاء كفــــــــــر بعــــــــــض الكفــــــــار

مـــــن تلـــك الـــريح الـــصرصر الـــتى ســـقطت علـــى مدينـــة عـــاد

وصـــــــــب عليهــــــــــا شــــــــــرارة العـــــــــدم

وكــــــأن مـــــضخة فى ســـــــاحة المدينـــــــة

تقـــــــــذف بركــــــــان المــــــــوت الفجـــــــــائى

خـــــــــرّب هـــــــــــــذا الأســــــــــــاس

اقطــــــــع هــــــــذه الـــــــصلة وهــــــذا النـــــسب

اقتلــــــع هـــــــذا البنـــــــاء مــــــن جـــــــذوره لأن

بنـــــــاء الظلـــــم ينبغـــــى أن يقتلـــــع مـــــن جـــــذوره

اقـــــــتص لقلــــــــــوب النـــــــاس العقـــــــــلاء

مـــــــن هــــــــؤلاء الحمقـــــــى الـــــــــسفلة

كبوتران من (حمائمى، طيور الحمام خاصتى)

هذه القطعة التى قد نظمت فى عام ١٣٤٢هــ ق، ربما تكون الشعر الوحيد لبهار الذى استخدم فيه شكل الرباعى الوترى والقافية على شكل صليب اقتداءً بالأسلوب الجديد (ا — ب، ا — ب) وقد نظم هذا الشعر بمجرد أن انتهى بهار من الجدل مع كاتب " تجدد " وكأنه يريد أن يقول للمدعى إنه إذا أراد سيكون أجدد من أى متجدد، ولكن كما تشاهدون " لم تهب عاصفة بعد فى قاع محبرة الشاعر ولا يمكن رؤية قبعة (فيكتور هوجو) الحمراء على رأسه[1]".

تعــــــــالين أيتـــــــــها الحمامـــــــــات المعـــــــــشوقات

بأجـــــــسادكن البيــــــــضاء وأقــــــــدامكن الحمــــــــراء

وطـــــــرن مـــــــن فــــــوق الـــــــسطح وفجـــــأة

(١) العبارة لتقى رفعت .

اهبطن من حولى كالثلج الأبيض
فى أوقات السحر حيث يقوم هذا الطائر الذهبى
بنشر ريشه من فوق برج المشرق
أطل عليكن بقصد أن أظهر نفسى
فأرفع رأسى من خلف الزجاج الشفاف
إننى أغنى نشيد البراءة
وأتنفس على الأرض بعشق
وأستمع يانصات إلى نسيم الصباح
فإنه من تلك النغمة تأتى بشرى العشق
اعزفن الألحان السماوية اللطيفة
على مهل وبهدوء فى وقت السحر
ابعثن الرسائل إلى العشاق
فى كل لحظة بلغة الصمت
تميأن أيتها العرائس الجديدات الشكل
فإننى سأفتح باب عشى هذا
إن ضجيج أجنحتكن فى ذلك الحين
سيخرج من البيت ليصل إلى المنطقة والحى
وكأن الباب سيفتح من فلك الأفلاك
حين أفتحه لاستقبالكن
طرن دفعة واحدة كالحوريات
وألصقن أجنحتكن فى السماء كل فى الآخر
إن الحوريات يهبطن من الفلك

بزعم الناس القدماء

فاصعدن أنتن أيتها الحوريات

من سطح البيت وصرن سماويات

لا يظهر منكن أى التفات

وإذا توقفتن كثيرًا ستصبحن بلا ماء وبلا حَب

لا صراخ ولا قيل ولا قال

إلا أغنية العشق الجذابة

اهبطن صديقاتى من ذلك السطح

مصفقات راقصات

واجلسن هادئات على هذا السطح

فليس هنا غيرى إنسان

تعالين يا رفيقاتى الوفيات

إننى هنا أبسط من أجلكن الحَب

فرؤيتكن لى هى أفضل عندى

أنا الملتاع من رؤية رجال الحى

وفيما يلى قطعة وغزل لبهار، وقد جرت أشعارهما على الألسن أو رددت بالغناء :

رأيت بالبصرة صبية أعجمية النسب

أضاءت المدينة بنور جمالها

كانت تتعلم القرآن عند شيخ المدينة

فخطفت قلب الشيخ بإغرائها ودلالها

وكان الشيخ يعلمها درس "الضلال المبين"

فوصل حرف الضاد إلى ذروة كماله فى التفخيم

فلم تقدر الفتاة على نطق حرف الضاد

بذلك الفم الصغير الذى يشبه البرعم

فكانت تجيب الشيخ بقول "الدلال المبين"

وكان ذلك الشيخ يكرر قوله فى كل مرة

فقلت للشيخ لا ترهق نفسك فى طريق الضلال بهذا الشكل

فإن هذه الفاتنة لن تنصرف عن خيالها

ولقد كان من الأفضل أن تبقيا كلاكما

هى فى دلالها وأنت فى ضلالك

....

كانت هناك معركة بين حاجبك وعينك

وقتلت أنا فيها فما الفائدة التى عادت علىّ

أنت عديم الوفاء والأجل قريب وأنا مريض

ولقد متُ من الغم فما الذى كان متوقعًا غيرهذا؟

لا تطردنى أبدًا من حلقة عشاقك

إذا كان لى عندك قدر واعتبار

فى نور جمالك، خصلتك السوداء

خطفت قلبى والعجيب أنها كانت لصًا ظاهرًا

كلما تقابلنا خسرنا بسبب الجهل

فقد لعبنا القمار بجهل وكان هو مقامرًا ماهرًا

إن الحضارة قد أشعلت فى العالم نارًا أحرقت

كل ما هو ذكرى لعهد الوفاء والرحمة

لو كان معى تفويض من الفلك

لكنــــــــت هـــــــــدمت بنـــــــاء هــــــــذه الحــــــــضارة

تـــــشرب خمـــــرًا فى حديقـــــة بعيـــــدًا عـــــن أنظـــــار العــــزول

لـــــــو كنـــــــت أنـــــا وأنـــــت وثالثنـــــا الربيـــــع

وفيما يلى غزل "موقوف المعانى"له :

قلـــت لـــه إنـــه وقـــت الوصـــال بنـــا صـــنم فرخـــار، فقـــال

انتظـــر الآن حـــتى يطلـــع، قلـــت: الـــشوك مـــن الـــورد ؟ قـــال

روحـــك فى الهجـــر، قلـــت إن الـــروح تقـــصد إيثـــارك

بـــرغم أن هـــذه الهديـــة لا تـــساوى شـــيئًا عنـــدك، قـــال

أيهـــا العاشـــق الم – كـــل هـــذا الأنـــين والتنهيـــد والعويـــل، مـــن ظلمـــك؟

قلـــت إنـــه بـــسببك أنـــت أيهـــا المعـــشوق الظـــالم، قـــال

يجـــب تعـــذيب العـــشاق، قلـــت: بعـــذاب العـــشق ؟

قـــال: وأصـــعب مـــن ذلـــك، قلـــت: فـــراق الحبيـــب ؟ قـــال

مـــا يحـــرق روح العاشـــق، قلـــت لـــه: ظلـــم العـــزول ؟

قـــال: لا، قلـــت: نظـــر الحبيـــب للأغيـــار ؟ قـــال

نعـــم نعم،قلـــت: إن اســـتحال إغمـــاض العـــين عـــن الأغيـــار

فـــلا تنـــسنا بنظـــرة واحـــدة بـــين الحـــين والآخـــر، قـــال

هـــل أعطتـــك عيننـــا الثملـــة كأسًـــا أنـــت أيـــضًا ؟

قلـــت وهـــل يخـــرج أحـــد مـــن الخمـــارة منتبـــهًا ؟ قـــال

هـــل أصـــبح قلبـــك هـــدفًا لـــسهمنا جـــارح القلـــوب ؟

قلـــت لـــه لم يكـــن لى يـــا عزيـــزى قلـــب مـــشغول، قـــال

وهـــل سُـــلب منـــك القلـــب ؟ قلـــت نعـــم، قـــال: وهـــذا الظلـــم

ممـــن صـــدر؟ قلـــت: مـــن تلـــك الخـــصلة النـــشالة، قـــال

لماذا تختفي كالبرعم داخل القلب في حجاب الحسرة ؟

قلت من ألم فراق ذلك الوجه المتورّد، قال

لقد أصبح قول الحبيب هو قانون الكلام يا "بهار"

فقلت له إن ما قاله الحبيب هو قانون الروح

وهذه الأغنية قد لحّنها بهار فى مقام "بيات ترك" أثناء الحرب العالمية الأولى عندما دخلت الجيوش الأجنبية الأراضى الإيرانية، وأنشدت فى أحد العروض لصالح "مدرسة الأيتام":

لو أن العدو يقصد حبيبى

تشتعل نار الغيرة فى قلبى

إن جيشه المكر والخداع

وجيشي العشق والحرية

أى خوف لى أنا الجرىء من العدو ؟

الله – الله سينصرنا على العدو

فإمّا أخضّب فراشه بدمه

وإمّا يخضّب فراشى بدمى

لا أدع مقبض هذا السيف الذى فى يدى

ما لم يرفع العدو يده عن رأسى

إلى أين يا أعداء الوطن، إلى أين، إنها بلادنا ؟

ابتعدوا قليلاً فإنه ليس هذا، ليس هذا مكانكم

ابتعدوا، ابتعدوا فإننا لن ننقاد

ارحل أيها الأبله فإننا لن نخضع

٢

إن قلــــــــــــى لا يخـــــــــــــشى نــــــــــــاره
فقلـــــــــى لـــــــه وضـــــــع الفراشـــــــة
لقـــــد ربـــط الـــصياد ريـــش وجنـــاح الأمـــل عنـــده
ولكـــن قلـــى عنـــدما يطـــير لا يخـــشى
أى خـــوف لى أنـــا الجـــرىء مـــن العـــدو ؟
اللـــــه – اللـــــه سينـــصرنا علـــى العـــدو
لـــو قـــصدنى المعـــشوق الكـــافر أنـــا وقلـــى بخنجـــره
لا يهتـــز قلـــى ذرة واحـــدة مـــن هـــذه المـــسألة
حـــدّثوا أعـــداء الـــوطن عـــنى أنـــا الحـــزين
إن قلـــى لـــن يتـــرك لكـــم حبـــى
يـــا أعـــداء الـــوطن ... (إلى آخـــره)

وفيمـــا يلى أغنيته الأخرى المشهورة جدًا والتى غنتها قمر[1] ولا يزال تسجيلها موجودًا :

مرغ سحر : طائر السحر"

(مقام الماهور)

١

ارفـــع صـــوت الأنـــين يـــا طـــائر الـــسحر
وجـــــــــــــــدد أوجـــــــــــاعى
حطـــــــــم هـــــــــذا القفـــــــص

(١) المقصود المغنيَّة "قمر الملوك وزيرى" وهى أول من غنى هذه الأغنية وتبعها فى ذلك أخرون منهم. (المترجم).

بالآه المشتعلة ودمّره تمامًا
اخرج أيها البلبل المقيد الجناحين من ركن القفص
واعزف لحن حرية البشرية
وفى نفس واحد أشعل النار
فى أرجاء هذه الأرض !
إن ظلم الظالم وجور الصياد
قد حطم عشى
يا الله، أيها الفلك، أيتها الطبيعة
اجعلوا ليلى المظلم نهارًا مضيئًا
ربيعًا جديدًا تتفتح فيه الزهور
إن سحابة عينى تمطر الندى
وهذا القفص مثل قلبى ضيق ومظلم
فاقذفى الشعلة فى القفص أيتها الآهة النارية
ولا تقطفى زهرة عمرى يا يد الطبيعة
وانظرى أيتها الوردة النضرة ناحية العاشق
انظرى، انظرى أكثر من هذا
وأنت أيها الطائر العاشق تحدث عن الهجر بإيجاز !

٢

إن زمن الحقيقة قد مضى
وأصبح لا قيمة للعهد والوفاء
وصار أنين العاشق ودلال المعشوق
كلاهما باطلين ولا أثر لهما

وأضـــحى الـــصدق والحـــب والرحمـــة خرافـــة
وأصـــبح الوعـــد والـــشرف فى خـــبر كـــان
وســيقت الحجــج والأعــذار مــن أجــل ســرقة الــوطن والــدين
فبلـــل العـــين
جـــور المالـــك وظلـــم الأســـياد
والـــزارع مـــن كثـــرة الهـــم لا يقـــدر علـــى الاحتمـــال
كـــأس الأغنيـــاء مملـــوءة بـــالخمر الـــصافية
وكأســـنا مملـــوء بـــدم الكبـــد
أيهـــا القلـــب الحـــزين ارفـــع صـــوت الأنـــين
واحـــذر الأقويـــاء الغـــاشمين
واصـــرف نظـــر عـــن المـــساواة
اعطـــنى الميـــاه الناريـــة أيهـــا الـــساقى متـــورد الوجـــه
ضـــع النقـــاب الجـــذاب أيهـــا المعـــشوق المحبـــوب
وارفـــع صـــوت الأنـــين مـــن القفـــص أيهـــا البلبـــل الحـــزين
فمـــن حزنـــك امـــتلأ صـــدرى بالـــشرور

٢ – عارف (استطراد)

بقيام الحرب العالمية الأولى ظهرت التيارات السياسية المختلفة فى إيران، وأضحى زمام الأمور فى يد الأحزاب والجمعيات التى كانت فى الغالب ترقص على نغمات الآخرين، أمّا عارف المنادى بالحرية فقد تبع بدون شك التيار الذى كثرت فيه العناصر الوطنية، وعندما اشتدت اعتداءات الحكومات المجاورة على وطنه المحايد، اضطر لأن يسلك طريق الدولة العثمانية (تركيا) مع المجاهدين الإيرانيين وعاش فترة فى اسطنبول.

وقد قام عارف الذى كان رجلاً حساسًا وطيب القلب بنظم بعض المؤلفات فى هذه الرحلة متأثرًا بدعايات الأتراك ودعا أبناء وطنه إلى " الوحدة الإسلامية ":

إن الكفـــــــــر والـــــــــدين فى حـــــــــرب متواصـــــــــلة

وقـــــد أحــــرز الكفــــر تقــــدمًا بـــــسبب اختلافنــــا

إن الكعبــــة واحـــــدة، واللـــــه واحـــــد، والكتـــــاب واحـــــد

فمـــــن أيــــن أتــــى كــــل هـــــذا الانقـــــسام ؟

دعك من العناد، فينبغى أن تمد يـد الإتحـاد فـإن يـد المـصطفى ممـدودة مـن اللحـد

إنه وقـت العمـل، فالقلـب معـذب مـن الهـم وهمـوم القلـب لا حـصر لهـا

مــــد يـــد المــــساعدة فـــإن القلــــب مهمــــوم

وإنـــى أيهـــا المـــوت لأشـــعر بالعـــار مـــن هـــذه الحيـــاة . . .

ولكن سرعان ما اكتشف عارف الداعى إلى الوحدة الإسلامية هجوم الأتراك العثمانيين وأهدافهم بشأن أذربيجان فأعرض عنهم وألف أغنية أخرى فى أواخر سنة ١٣٣٦ هـ ق، وقال فيها :

هــذا لـيس غريبًـا علـى الأتـراك فهـم ليـسوا ذوى حـسب ولا نـسب

إن التعـدى علـى بـلاد الملـك خـسرو لـيس مـن شـروط الأدب

مثلمـــا تـــضرب كفًـــا بكـــف مـــن الآهـــة والحرقـــة

اضـــرب الـــرأس وقـــل أى لعبـــة هـــذه ؟ أهـــو عهـــد الهجـــوم

عجبًـــا، أهـــو الإعـــداد والتجهيـــز مـــن أجـــل بنـــاء تركيـــا !

إن اللغـــــة التركيـــــة هـــــى مـــــن أجـــــل الاســـــتدراج

وإصـــلاح قـــدم هـــذه اللغـــة هـــو قطعهـــا مـــن المملكـــة
وطـــيران رســـول ســـريع مـــن أرس بلغـــة فـــارس ...
فـــانهض يـــا نـــسيم الـــصباح وقـــل لـــشعب تبريـــز
إن خلـــوة زرادشـــت ليـــست مـــضجعًا لجنكيـــز[1]...

وقد ندم عارف سريعًا على هذا السفر مثل أى عمل آخر فعله، وفى آخر الأمر اشتاق بشدة لرؤية الوطن وعاد إلى إيران عام ١٣٣٧هـ ق، ولكنه وجد وطنه أكثر خرابًا عما كان قد شاهده، فخارت قواه مرة واحدة وكتب لأحد أصدقائه فى اسطنبول يقول : " حيثما ذهبتُ، طهران، قم، أصفهان، كاشان، فإن السماء هى السماء بنفس اللون، والمكان الوحيد الذى لم أذهب إليه هو القبر وأنا أفكر فيه الآن "، ولكن برغم هذا فإنه لم يكف عن السعى والجهاد وأخذ فى الترحال، وكان يقطع المسافة بين طهران وأصفهان وينشد:

إن عمـــرى قـــد مـــضى ســـاعة فى الهجـــر وســـاعة فى الـــسفر
تـــاريخ حيـــاتى امـــتلأ كلـــه بـــالمحن والـــشدائد

وقد أقام عارف فى هذه الفترة من عمره حفلات موسيقية رائعة فى طهران شهدت زحامًا شديدًا، وما زالت الأغنيات التى قد سمعت منه فى هذه الحفلات تتردد فى أذن أهل ذلك العصر، وأى شعر كان ينشده عارف وأى أغنية كان يغنيها كانت

(١) من أكثر شخصيات الساحة التركية تشددًا سليمان نظيف أحد رجال الحكومة العثمانية ومن الأدباء وكتاب النثر الأتراك المعروفين ، وقد كان كرديًا وكان يكتب صحيفة " حادثات " فى اسطنبول فى عام ١٣٣٦هـ ق، وفى هذه الأثناء كان الممثلون الأتراك يطالبون فى باريس بإعادة ترسيم الحدود، فتأثر سليمان نظيف بهذا الخبر وشتم كل ما هو إيرانى فى أعداد كثيرة من صحيفته فقام عارف الذى كان آنذاك فى اسطنبول بنظم قصيدة رد بها عليه ، وكانت قصيدة عارف تبدأ بهذه الأبيات :
قولى يا رياح الصبا لسليمان نظيف أســـود القلب   يا من ظاهرك أبيض كاللبن وباطنك أسود كالقار
إذا كان الأتراك لم يُسمح لهم بدخول مجلس السلام العالمى   فهل كان هذا بسبب الإيرانيين ؟

كالسهم النافذ الذى يخترق كبد المستبدين الأنانيين ولهذا السبب فقد تأهب الجميع لإيذائه،ولكن ظل الشاعر ينتقد العملاء وأهل الرياء ويهاجمهم دائمًا بشجاعة وحماسة برغم كل هذه المحن والشدائد والأخطار التى كانت تهدد حياته فى كل لحظة :

لقـــد أصـــبحت بـــلاد الملـــك خـــسرو وكـــرًا للبـــوم

وأنـــا ســـاكن الخرابـــة ســـعيد بـــأن لى وطنـــا

عنـــدما ينـــهب رجـــل الـــشريعة أمـــوال الوقـــف

كيـــف أشـــكو أنـــا مـــن اللـــص قـــاطع الطريـــق

وعندما اشتعلت الثورة فى روسيا وسيطر على زمام الأمور الحزب البلشفى رحب به عارف بحرارة وحماسه غير عاديتين مع أنه لم تكن لديه معرفة صحيحة عن معنى الثورة العمالية ومكانتها التاريخية ونتائجها، وطلب من لينين أن يسرع فى نجدة الشعب الإيرانى:

يـــا ليـــنين يـــا مـــلاك الرحمـــة

حـــرّك القـــدم المتعبـــة ســـريعًا مـــن فـــضلك

حدقـــة عـــينى هـــى عـــشك

هيّـــا، اصـــدر الأمـــر فـــإن البيـــت بيتـــك

....

....

إمّـــا تهدمـــه أو تعمّـــره

لـــتكن رحمـــة الحـــق مظلـــة لـــك !

وفى عام ١٣٣٩هـ ق، حيث أمسك سيد ضياء الدين بزمام السلطة، حظى عارف بعنايته وأعرب عن أمله من خلال إحدى الغزليات، فى أن يقوم بالإصلاحات ويزدهر مستقبل إيران على يده :

اعلـــــم أن مملكـــــة داريــــوش ودولـــــة جمـــشيد

لـــــن تظـــــل فريــــسة لفـــتن الأجانـــــب

قـــل للكـــادح علـــى لـــسانى إنـــه لـــن يبقـــى

علـــى ظهـــرك بعـــد الآن حمـــل الأشـــراف الثقيـــل

بـــشر شـــحاذ حـــى الخمـــارات بأنـــه

عـــن قريـــب لـــن يظـــل الملـــك علـــى رأس الحكـــم

وعندما سقطت حكومة سيد ضياء الدين التى استمرت لفترة قصيرة، سأل ضمن غزل له :

مـــاذا حـــدث يـــا عـــارف، هـــل عجـــز ســـيد ضـــياء

عمـــا كـــان يتمنـــاه القلـــب، أم لم يفعلـــه ؟

لم يقـــبض علـــى الملـــك ولم يـــشنق اثـــنين مـــن الأشـــراف

ليـــتنى أســـأله هـــل فعـــل أســـوأ مـــن هـــذا أم لم يفعـــل

وبعد فترة ألف أغنية " لحكومته السوداء " :

عُـــد يـــا مـــن يـــد الحـــق هـــى ظهـــرك وحاميـــك

عُـــد يـــا مـــن تـــتمنى العـــين النظـــر إليـــك

عُـــد يـــا مـــن أنـــت ضـــحية حكومتـــك الـــسوداء

عُـــــــــد فقـــــــــد عـــــــــادت

عُـــد يـــا مـــن تجلـــس علـــى العـــرش بعيـــدًا عـــن بـــساط بلاطـــك [1].

(١) فى هذا الوقت نشر الشعر الذى لم يُعرف مؤلفه ونسب لملك الشعراء بهار فى صحيفة " قانون " ردًا على عارف وجرى على الألسن والذى يبدأ كالتالى : عُد يا من ليكن حاميك هو الأجنبى
عُد فإن من يريد الشر لإيران هو من يريد لك الخير

ومنذ ذلك الحين اشتعلت ثورة خراسان بزعامة الكولونيل محمد تقى خان پسيان وذهب عارف إلى مشهد بعد شهر أو اثنين من بداية ثورة خراسان برغم حالة التشويش التى كان عليها وأسرع لمقابلة الكولونيل فى حديقة خونى.

وفى هذه الأثناء كان إيرج فى خراسان وقلما كان عارف يتردد على المحافل والتجمعات التى يشارك فيها إيرج فاستاء منه إيرج لهذا السبب (وكذلك بسبب الحفلة الموسيقية التى قدمها عارف) وكانت ثمرة هذه الضغينة والجفوة منظومة عارفنامه الشهيرة[1].

وقد تعرّف عارف إلى الكولونيل منذ فترة الهجرة وكان قد عرف صفاته ومعتقداته وحماسه الوطنى، وعندما رآه عن قرب مرة أخرى فى هذه الرحلة أعجب بأخلاق وصفات ذلك الزعيم الشاب أكثر من قبل فآمن به وأخلص له.

وبات عارف يضع آمالاً على الكولونيل ونتائج ثورته ويعتبره الشخص الوحيد الذى يستطيع إنقاذ إيران، وكان إخلاص الكولونيل الشديد ونقاء سريرته وعزمه وكفاءته ووضع الثورة وانضباط الأمور وجدية الضباط وعناصر الثورة، تؤيد نظرته فى هذا الأمل، ولكن سرعان ما انضم الكولونيل الشاب هو الآخر لقافلة شهداء الحرية الطويلة، وضرب عارف رأسه فى تشييع جنازته (السادس من صفر ١٣٤٠هـ ق،) ولعن وشتم المتسببين فى هذه الفاجعة، وعندما أرادوا ضم الرأس للجسد ووضعه فوق عربة المدفع صرخ قائلاً :

إن هـــــذه الـــــرأس هـــــى رمـــــز الرئاســـــة والزعامـــــة
واليـــــوم هـــــى متحـــــررة مـــــن قيـــــد الوجـــــود

---

(١) الظن الأقرب إلى اليقين أن عارف قد ذهب إلى خراسان بدعوة الكولونيل ومن أجل مساعدة الثورة وعمومًا لم تكن هذه الرحلة عادية ومن أجل الترفيه، فلم يكن باستطاعة عارف أن يشارك فى اللقاءات والمحافل الشعرية والأدبية وقضاء الوقت الممتع ، علاوة على أن إيرج لم يكن قد دعاه حتى يتعرض لعتاب " رفيق طهران "، وحول خلاف إيرج وعارف يمكن الرجوع إلى شرح وآثار إيرج فى هذا الكتاب.

انظـــــــــــــــر إليهـــــــــــــا بعـــــــــــــين الاعتبــــــــــــار

فـــــــإن هـــــــــذه هــــــــى عاقبــــــــة حــــــب الــــــــوطن

وقد كُتب هذان البيتان الخالدان بخط غليظ على قطعة قماش بيضاء بأمر المجلس المحلى ورفعوها فوق عربة المدفع .

وبعد مقتل الكولونيل ذكره عارف فى أشعار عديدة أفضلها الشعر الذى يبدأ بما يلى:

إبـــــك فإنــــك لــــو بكيـــت ســــيلاً مــــن الــــدم فــــلا فائــــدة

إن النــــواح الــــذى لا يـــصدر مـــن نــــاى القلـــب لا أثـــر لـــه

كـــل مـــن لــيس مـــن أهـــل القلـــب لا خـــبر لـــه عـــن القلـــب

لا مفـــــــــــر للقلـــــــــــــب مـــــــــــــن الغـــــــــــم

لـــــــــــيس للعـــــــــــــين إلا الــــــــــــدمع المبلـــــــــــــل

هـــــــــــذا لــــــــــيس محـــــــــــــرم ولا صـــــــــــــفر

فمـــــا الخــــــوف لـــــو مزقنـــــا ثــــوب الـــــروح ؟

لا طريـــــــق أمــــــام الرجـــــــل ســـــــوى الهــــــلاك

فلـــــــــــم تعـــــــــــد للحيـــــــــــاة فائـــــــــــدة

والحقيقة أن عارف بعد أن " فقد أمله الكبير " وتبخرت آماله وأمنياته عـــاد إلى طهران منكسرًا ويائسًا. وفى اليوم الذى وصل فيه رضا خان سردارسپه (قائد الجيش) إلى رئاسة الوزراء ظهرت مرة أخرى بارقة أمل فى قلب عارف، فقال فى غزل له :

فليحيــــــــا رضــــــــاخان فى إيـــــــران، فإنـــــــه يـــــا عـــــارف

ســـــــيحمل الدولـــــــة المحتـــــــضرة إلى طريـــــــق البقـــــــاء

وفى اليوم الذى عُزف فيه السلام الجمهورى قام بحكم مشاعره المتقلبة وعدائه القديم للأسرة القاجارية بإقامة بعض العروض فى فندق " جراند أوتيل " بطهران، وقد تباهى فيها وافتخر بشدة لدرجة أنهم اعتمدوا على أشعاره فيما بعد.

ومنها أنه ترنم مساء الأربعاء الخامس من شعبان سنة ١٣٤٢هـ ق، بالغزل الذى كان قد نظمه بعنوان " الجمهورية الإيرانية " فى مقام الماهور المحتشم وبصوته الثورى :

إن كـــل هـــذا الظلـــم قـــد وقـــع علـــى الـــشعب مـــن مركـــز العـــدل

ولقـــد ضـــربنا المعـــول فى هـــذه الجـــذور ولـــيكن مـــا يكـــون

فمـــا لـــك هـــذه الـــبلاد هـــو دائمًـــا الـــشعب الـــذى أعطـــى

الوثيقـــة لفريـــدون وســـلم العقـــد لقبـــاد

الآن ورايـــة الجمهوريـــة تـــصل مـــن بعيـــد

فلـــتكن الحيـــاة مباركـــة فى ظلـــها

إنـــنى ســـعيد لأن يـــد الطبيعـــة وضـــعت مـــصباح ســـلطنة المُلـــك

فى الـــبلاط علـــى النافـــذة الواقعـــة فى مهـــب الـــريح

وأنـــت أيـــضًا يـــا عـــارف اقـــرأ الفاتحـــة علـــى روح الـــسلطنة

ليغفـــر لهـــا اللـــه بـــرغم كـــل طباعهـــا الـــسيئة

وفى الليلة التالية نقل " السلام الجمهورى " والذى تضمن ذم القاجاريين ومدح رضا خان، من خشبة المسرح إلى مسامع أبناء وطنه :

لـــو رحلـــت الـــسلطنة قـــل لهـــا ترحـــل .

إن اســـم الجمهوريـــة مـــن جديـــد

قـــد أضـــاء كالـــشمس

مـــا أجملـــه، فقـــد أصـــبح نـــور علـــى نـــور

لا كـــان عهـــد قاجـــار

فهـــذه الـــشجرة بـــلا ثمـــر وبـــلا جـــذور

لـــيكن العـــادل إلى القيامـــة

المعـــين القـــوى للجمهوريـــة

إن أمـــر إيـــران فى مهـــب الـــريح

لـــــــيكن اســــــــم المملكــــــــة مفتـــــــــضحًا

ليحيـــــــــــــــا رضـــــــــــــــا خـــــــــــــــــان

علـــــــــى أصـــــــــوات الطبــــــــل والـــــــــنفير

وبرغم ذلك فقد نفى إلى همدان وأمضى بقية عمره فى منطقة نائية بتلك المدينة يعانى من الفقر والفاقة، وفى هذه الأثناء لم يقبل مساعدة أو هدية من أحد باستثناء صديق ومريد قديمين هما "عليجان"(١) وحاجى محمد النخجوانى(٢).

وكان عارف فى هذه المرحلة من حياته يائسًا ومتشائمًا من كل شىء، وعلى حد قوله من كثرة ما رأى إناسًا أشرارًا، نظر إلى كل الناس بعين الشك وسوء الظن(٣)، وكان الكولونيل محمد تقى خان هو الشخص الوحيد الذى ظل يحبه حتى آخر العمر؛ يحبه لدرجة العبادة، وكان قسمه العظيم دائمًا هو " بروح الكولونيل " ودائمًا ما قال : إن واقعة خراسان قسمت ظهرى، وفى اعتقاد عارف " منذ عهد نادر وحتى الآن قلما رأت إيران رجلاً فذًا، ومنذ بداية الثورة وحتى هذه اللحظة كل ما حدث كان هكذا(٤)! " .

(١) كربلائى على حريرى المعروف ببيرنج من المجاهدين والأحرار المعروفين بأذربيجان والذى توفى فى آخر أيام فروردين ١٣٢١ ش (إبريل ١٩٤٢ م) .

(٢) ابن حاجى على عباس النخجوانى وابن أخت ميرزا على خان شمس الحكماء المتخلص بلعلى من شعراء أذربيجان المشهورين، وكان من التجار والعلماء بتلك المحافظة وقد سلم كتبه النفيسة فى آخر عمره لمكتبة تبريز القومية وتوفى فى الخامس من ربيع الأول عام ١٣٨٢هـ ق (١٥ مرداد ١٣٤١ش) (أغسطس ١٩٦٢ م) بتبريز وكان عنده نيف وثمانين عامًا .

(٣) كانوا قد ضيقوا عليه الخناق لدرجة أنه أصبح يكره حتى معشوقه " الوطن " :

لا الشعب يعتبرنى من الأقارب — ولا الوطن يقول علىّ إننى من أولاده
لو بحثت فى كل مكان فى العالم — لن تجد أحدًا أكثر كراهية منى للوطن
إن كل عطف هذه الأم العجوز الحمقاء — قد انصب على أولاد الحرام
لقد عاقبنى الوطن لدرجة أن — طبق حسابى قد أصبح حارقًا للشفاه
إن الوطن قد أضاع ثمرة عمرى — وعلمنى " واحسرتاه واأسفاه "
وبعد يا أبناء الوطن — ماذا تريدون من قالبى المتجمد

(من مثنوى عارف مخاطبًا لملك الشعراء بهار)

(٤) شرح أحوال عارف بقلمه ، الديوان ، الطبعة الثالثة ، ص ٧٠ .

وفى آخر أيام عمره سكت عن الصراخ والأنين وكان حزينًا جدًا وقليل الكلام، وفرش فى غرفته فراءً ودق علي الحائط جلد ماعز فوق رأسه ووضع عليه بلطتين على شكل صليب وعلق فى وسطهما كشكولاً .

وأخذ عارف فى هذه المرحلة من العمر يهرب من الناس ويعيش وحيدًا منعزلاً وكان مثل روسو يسلك طريق الصحراء فى الصباح الباكر ويجلس على شط الترعة تحت ظل شجرة ويناجى الطبيعة ثم يعود إلى المترل ليلاً، ويقضى معظم أوقاته صامتًا وغارقًا فى بحر من الحيرة والذهول وكان يحدث نفسه بهدوء " يا للألم يا للحسرة أرأيت ماذا فعلوا؟ بأى قدم جاءوا وبأى يد أخذوا ! أى غنم هؤلاء، فقد وصلت السكين إلى عظامهم ومع ذلك فإنهم لا يتحركون[1] ".

وعلى هذا النحو عاش الشاعر الوطنى الإيرانى آخر لحظات حياته الحزينة فى وديان الصمت بهمدان يتجرع الحسرة والألم حتى توفى يوم الأحد الأول من بهمن عام ١٣١٢ش (يناير ١٩٣٤م) وهو فى الثانية والخمسين من عمره ودفن بنفس المكان فى مزار ابن سينا .

وقد طبع ديوان عارف فى برلين سنة ١٣٤٣هـــ ق، (فروردين ١٣٠٣ش)، وبعد ذلك وفى سنة ١٣٢١ش (٢- ١٩٤٣م) أى بعد موت الشاعر، نشر سيد هادى حائر تتمة له، والتى ضمت أشعار عارف غير المنشورة، ثم طبع ديوانه كاملاً فى طهران عام ١٣٢٧ش (٨ - ١٩٤٩م) .

ومجموع أعماله القديمة علاوة على ما نظمه منذ عام ١٣٠١، وحتى بهمن ١٣١٢ش(٢- ١٩٢٣ / يناير وفبراير ١٩٣٤م) حوالى مائة وخمسين غزلية وقطعة وقصيدة ومثنوى وأغنية ومجموعة أشعار متفرقة من النوع الفكاهى وغيرها والتى قد نظم كلا منها فى حالة خاصة، وذكر أيضًا تاريخها فى الغالب، وربما لم تُجمع بالكامل .

---

[1] نصرت اللـــه فتحى ، عارف وإيرج ، طهران ، ١٣٣٣ ش (٤ – ١٩٥٥ م)

تحكمت فى عارف عاطفته الشديدة وأفكاره الحائرة على الدوام، فكان يتأثر من أى شيء ويتعلق بأى شيء ويصل فى هذا العشق والتعلق لدرجة الجنون، وحينما كان يلقى معارضة أو جفاءً بسيطًا كان عقد الألفة ينفرط عنده ويبحث عن الحل وعلاج الألم فى "الرصاصة المعدنية"، فهو رجل على الفطرة غافل عن الأحداث السياسية والمغزى الحقيقى وراء هذه الأحداث، ولكنه كان يجهل ذلك ويعتقد أنه على علم بدهاليز الأمور وخفاياها، ويقول فى الرسالة التى كتبها لمحمد رضا هزار الشيرازى من همدان : "يا للحسرة والأسف فإننى لم أنجح فى أن أجمع كل معلوماتى على الورق وأترك كتابًا قيّمًا ونفيسًا يكون تذكارًا لى . . . مائة ألف حسرة فليس لى أمنية تستحق الذكر غير هذا وحتمًا سأذهب إلى القبر ومعى هذه الأمنية[1] " ومع هذا فإنه فى الحقيقة لو كان قد حرر كتابًا كهذا بقلمه ونشر معلوماته، لما ترك " شيئًا " سوى دفتر إنشاء متوسط يضم مجموعة من الأشعار المملوءة بالشكوى والأنين واللعنة.

وقد كانت لعارف مثالب وعيوب حياته لم تكن تخفى على أحد، وكانت هى نفسها تعطى الحجة والذريعة للمدعين والمنتقدين، وربما أنه كان يرغب فى عدم المبالاه بكل ما يندرج تحت مسمى " الأخلاق " من أجل فضح المرائين والظهور بصورة أسوأ وأقبح مما كان عليه فى الواقع، ومع هذا فإنه لم يكن أسوأ من غالبية الأشخاص الذين كانوا يتظاهرون بتراهتهم فى المجتمع، و لم يكن هؤلاء الذين رجموه أقل ذنوبًا.

وكان عارف رجلاً " أبيًّا وصريحًا وغيورًا وشجاعًا ولم يهتم بالغنى والمال و يصعّب الأمور على نفسه ولم يقبل المنّة من أحد ولم يكذب أبدًا ولم يعرف طريق الاعوجاج مطلقًا، وكان يتجنب تمامًا النفاق والرياء ويقول كل ما فى قلبه، ويهبَّ لنصرة كل من يراه من أهل الخير أمّا الشرير فلم يتوانَ عن عدائه، وكان يفعل كل ما يراه مباحًا ولا يخفيه على أحد، وكل ما يراه طيبًا لم يقبل أن يذمه أحد، وتعد هذه نخبة

(١) الديوان ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٥٥.

من الصفات الحسنة التى قلما يمكن وجودها فى إنسان .كانت لغة عارف بلا دين ولكن آداب الدين هى نفسها التى تحلى بها[1] ".

وقد خرج عارف من وسط فئات الشعب الكادحة وعاش نظيفًا وفخورًا ومرفوع الرأس ولم يستسلم للقوة والمال ولم يمدح أو يعجب بأحد – إلا وفقًا لتقييمه للشخص – ولم ينظم شعرًا بناءً على توصية أو بالأمر، وجعل فنه – من الغزل والأغنية – أيًا كان فى خدمة الشعب ووضعه تحت أقدام الجماهير وكان هو الداعى الصادق للحرية والناقد السياسى والاجتماعى الجرىء ومترجم إرادة الجماهير ومشاعرهم وفى كلمة واحدة هو الشاعر الوطنى الرسمى للثورة الدستورية الإيرانية.

نثر عارف : يعتبر الموجز الذى كتبه عارف بعنوان (شرح أحوال عارف) وطبع فى مقدمة ديوانه نموذجًا لنثره البسيط السلس البعيد عن التكلف، وقد كتب هذه السيرة الذاتية سنة ١٣٠٢ – ١٣٠٣ ش (٣- ١٩٢٤ /٤- ١٩٢٥م) وذكر ضمنها نبذة عن أحواله دون سرد التفاصيل، ويرسم عارف فى سيرته هذه صورةً لعهد الطفولة والشباب، واهتماماته فى الفترات السابقة ،ومجالسته للأشراف وأولاد الأعيان، وتحالفه مع الأحزاب والأحرار، والأسفار والرحلات، أمّا أسلوب البيان فهو الذى استخدمه فى أشعاره ومكاتباته وأغنياته : فالانتقادات حادة وقاطعة، والمزح لطيفة وأحيانًا جريئة وركيكة، والصورة الدقيقة لمحيط ذلك العصر تظهر فى كل موضع خلال هذه السطور، وتبرز فى كل سطر نفس الروح المتعبة المتألمة أو المتمردة العنيدة، تلك الروح التى تنفعل بسبب رؤيتها لهذا الجهاز الاجتماعى الفاسد والأشرار.

وحتى عند الحديث عن المسائل الشخصية والعائلية يهرب عارف إلى الأمور والقضايا السياسية والاجتماعية : " وكانت هناك فاطمة تلك العاملة بالحمام التى لم تستسلم منذ أولى سنوات عمرها للحجاب، ولم تكن تخفى وجهها عن أحد، وأظن أنها

(١) أحمد كسروى ، مجلة پيمان ، السنة الأولى ، العدد السادس.

كانت قد أدركت أسرع وأحسن من الجميع، أو ربما كانت تريد أن تكون أول امرأة تمزق هذا الحجاب وتخدم بهذه الطريقة عالم الحضارة[1] " ويكتب فى رسالة لملك الشعراء: " كتبتم أخيرًا أننى اختلفت مع نصرت الدولة وقطعت أحد خيوط العنكبوت، وهذا الكلام كله يا عزيزى خداع، فأنا أؤيد وجود نصرت الدولة وأمثاله، فينبغى قطع خيط عمر هؤلاء وليس خيط العنكبوت[2]".

شعر عارف : ربما قام عارف بنظم الشعر قبل سن العشرين ولكن لم يصل إلينا شيء من مؤلفاته القديمة ولا نعرف طبيعتها، وربما أنه فى ذلك الوقت لم ينظم الشعر أو الأغنية ذات القيمة الأدبية أو أنه هو نفسه لم يؤمن بقيمة وأهمية أقواله، وبالتالى لم يهتم بجمعها والمحافظة عليها، فيقول هو نفسه : " لا أظن أننى حتى وقت رحلة اسطنبول حافظت على مسودة غزل واحد، وكل ما ألفته فى قزوين فى الفترة الأولى من الشباب نسيته تمامًا، لأننى منذ أن قرضت الشعر لم أهتم بذلك الأمر أبدًا وكان اعتقادى أنه بعد سعدى وبقية الأساتذة الكبار من الخطأ أن يعلن أحد عن وجوده فى هذا المجال[3]".

ويقلد عارف فى غزلياته أساتذة الشعر خاصة سعدى وحافظ، ويقول إنه منذ أن عرفت عينه الخط الفارسى أحب كليات سعدى وحفظ غزلياته فى فترة طفولته، وبرغم هذا يجب القول بأنه لم يقرأ الشعر الفارسى القديم القراءة المتعمقة، ولم يتتبعه التتبع الكافى وأن أشعاره ليست فى متانة وسلاسة وإحكام أقوال الشعراء الكبار السابقين، فهو على حد قول ملك الشعراء بهار – إن صح التعبير – شاعر " العوام "، ولكن المقصود بالعوام هنا هو السطحية وقلة التعمق فى البحر اللامتناهى لآثار القدامى، وهو ما أدى إلى خلو أشعاره من الكلمات الغليظة والثقيلة والتركيبات غير التقليدية خاصة العربية والكنايات والاستعارات الأدبية والفلسفية التى يتطلب فهمها وجود رصيد من المعلومات

(١) شرح أحوال عارف بقلمه ، الديوان ، الطبعة الثالثة ، ص ١٤٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٦٣ .
(٣) شرح أحوال عارف بقلمه ، الديوان ، ص ٧٦ .

خاصة عن الأدب العربي والرجوع إلى المعاجم، وبوجه عام تخلو أشعاره من تلك الميزة والسمة الموجودة عند أمثال أديب الممالك الفراهانى وأديب البيشاورى وغيرهم، وأدى هذا الأمر كذلك إلى قيام الشاعر الإيرانى الوطنى الثورى بنظم غزلياته وأغنياته الفصيحة بلغة الشعب البسيطة . أمّا الحديث عن عيوب أشعار عارف وانتقادها والقول مثلاً: لماذا أورد قافيتين معلومة ومجهولة فى غزل واحد، فإنه أساسًا حديث غير مناسب بالمرة، لأن عارف ليس مقيدًا بالكلام وليس عنده فرصة لهذه التحقيقات الأدبية وهدفه هو إيجاد عمل راقٍ بانتقاء الكلمات المناسبة البليغة مثل شعر :

" انتبه فهناك أمة قد انتبهت ! "، وهو العمل الذى يؤثر فى نبض الشعب بنغمته الجميلة ولحنه المؤثر.

ويتباهى عارف بمواهبه الربانية العديدة، فيقول فى الرسالة التى كتبها لمحمد هزار الشيرازى : " منحتنى الطبيعة أنا وحدى أربعة أو خمسة أشياء من المحتمل أنها لم ولن تمنحها كلها لأحد لا فى الماضى ولا فى المستقبل، فمن النادر جدًا أن يكون هناك شخص واحد أستاذًا فى الموسيقى وشاعرًا لا مثيل له وأيضًا ملحنًا أى مبتكرًا ومبدعًا فى التلحين والشعر والعزف [1] ".

والحقيقة أن عارف لا هو الشاعر القدير جدًا ولا الموسيقى والملحن الماهر الفذ، أى ليس هو الشخص البارع فى هذين الفنين أو الثلاثة وإنما هو بالقطع الشخص الذى لديه قدر من المعرفة فى كل فن من الفنون ويستخدم كل هذه الفنون فى آن واحد، وأشعاره – تلك الأشعار التى اقتبس مضمونها من أحداث العصر وجعلها تتوافق بشكل جيد مع مطالب الشعب – مع الألحان التى أعدها بنفسه لتلك الأشعار تبعث فى القلوب الحماسة والنشاط، وأغنياته وغزلياته تنتقل من يد إلى يد ومن بيت إلى آخر.

---

(١) من رسالة عارف لمحمد رضا هزار ، الديوان ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٥٦ .

ويعتبر عارف الشعر وسيلة لبيان الأفكار السياسية والاجتماعية وإثارة الجماهير، وهو يستخدمه كسلاح لنقد العيوب والمفاسد الداخلية، وتعد السمة الأساسية لشعر عارف هي التشاؤم والحزن والغم وكل أشعاره، باستثناء بعض الأشعار ذات النغمة المتفائلة، لها صور قاتمة.

وعارف متأثر، كسائر شعراء عصره، بمحيطه الأدبي وملتزم بالكلمات والعبارات وحتى المضامين التقليدية القديمة ويناجي أيضًا الوطن والأمة والحرية بلغة العشق والغزل ويتحدث عن مقام الفناء والحانة والخرقة والكأس وطرة الحسناوات والمحبوبات الممشوقات القوام، ويتزلق فى الغالب فى طلسم المصطلحات ودوامات البحور والقوافى، لدرجة أنه " لا يعرف طريق الخروج " ويضطر كما هى العادة للإشارة إلى الموضوع والمقصود الأصلى فى بيت أو بيتين ضمن حديثه عن الخمر والأمرد والجديلة والمشط، ولكن برغم كل هذا الاتباع للأسلوب التقليدى فإن له أيضًا إشارات بسيطة وجذابة والتى تعد على حد قول الدكتور رضا زاده شفق " ماله الحلال[1] "، وعلى كل حال فإن بعض أشعار عارف سلسة وسهلة وجميلة النغمة و " مثل البلور النقى المصقول[2]" فهو يجيد اختيار الكلمات ويضع كلاً منها فى مكانها الصحيح وأحيانًا يأتى بألفاظ وعبارات من المحادثات العامية التى تناسب الحال والمقال، وهذا هو سر نجاح شعر عارف.

و له عدة غزليات

رداء الموت

نظم هذا الغزل المؤثر والمثير للمشاعر فى بداية الحرب العالمية الأولى حيث كانت دولة إيران قد تحولت إلى ساحة لهجمات الدول الأجنبية، وغناه فى حفلة موسيقية رائعة وصاخبة بقاعة أبى العطا مساء ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣٣٣هـ ق.

---

(١) من مقدمة الدكتور رضا زاده شفق على ديوان عارف ، الطبعة الثالثة ، ص (٥٦، ٥٧).
(٢) المصدر السابق .

إن رداء الموت على الجسم هو عالم جميل

ماذا حدث حتى تكون هذه العباءة على قوامنا قصيرة وقبيحة

هات الخمر حتى نسلك طريق العدم

إننى قد جرّبت وفى النهاية بقائى فى الفناء

إن الخراب تارة من عين الساقى وتارة من الخمر

فهو خراب متعاقب فى إثر خرابنا

لقد تجاوز الظلم كل الحدود ولم يسأل أحد

أين حدود بلادنا المهجورة

أخبرونى أين جنكيز مبارك الخطى

ليسفك الدم الفاسد هؤلاء البشر

قل للحكومة الجميلة

إن أيامنا المضطربة هى من صنع يدها

ماذا حدث حتى لا يخبرنا مجلس النواب

هل هذا وطننا أم وطن الأجانب

إن خراب البلاد من فعل اللص الداخلى

فلم نشك من سطوة الأجنبى وكل ما هو حادث لنا من فعلنا

انظر إلى بناء المحبة كم هو محكم ومع ذلك فقد انهار

فى إيوان كسرى وجبل بيستون الشامخين

لو يسقط النقاب من على الوجه سترى

بعين العالم والجاهل أن فى الأمر فضيحة

حلاوة ذلكِ الزمان

هذا الغزل نظمه سنة ١٣٣٧هـ ق، بعد عودته من اسطنبول مقلدًا غزل ملك الشعراء بهار الذى يقول مطلعه " كانت هناك معركة بين حاجبك وعينك " وقد غناه فى ليلة العرض :

ما أحلى ذلك الزمان الذى كان قلبى فيه ثابتًا على المحبة
وكان لى اعتبار فى حى الخمارين
هات الخمر التى قد ظلت هى نفسها ذكرى
لعهد جمشيد، فما أحلاه من عهد
على أى أساس تفتخر بأن إيران
كان لها ذات يوم امتياز وشرف وفخر وقوة
لأنه كان عندها فى أحد العصور قائد شهير مثل كاوه
وكان فى هذه البلاد ملك مثل سيروس
وفى هذا المحيط الذى ليس له اليوم شبيه أو نظير
كان قوّاس مثل اسفنديار هو الصاحب
إن الشخص الذى أسر فرسان المعركة
كان أسيرًا لطفل بلا جواد
لو كان معنى تفويض أيها الفلك
لكنت هدمت قصر الحضارة
كم من مرة تحملت عذاب فراقك، وهذه المرة
التوت قدمى من التعب، فأى حمل كان هذا
لقد اتفقت عيناه على ألا تسفك دم القلب الرقيق
من بعد الآن، فكيف صارت ناقضة للعهد ؟

بـــــــسبيك أيتـــــها العـــــين غـــــرق القلـــــب فى الهـــم

إلهـــــى يـــــصيبك العمـــــى،أى فعـــــل كـــــان هـــــذا ؟

لقـــد تـــاه مـــنى القلـــب فـــإن ســـأل أحـــد عـــن العلامـــة

فقـــل لـــه إنـــه كـــان قلبًـــا كالزنبقـــة المكويًـــة بالنـــار

دع العـــــــارف واشـــــــنق الجاهـــــــل

حـــــتى لـــــو كانـــــت الفلكـــــة هـــــى العقـــاب

وفى ذكرى الكولونيل محمد تقى خان

نظم هذا الغزل سنة ١٣٤٠هـــ ق، باسم الكولونيل الشهيد محمد تقى خان الرجل الذى عمل بتلك الصعوبة وسقط بهذه السهولة .

ليحيـــا ألـــف ســـياوش مـــن قطـــرة الـــدم هـــذه

الـــتى تفـــور منـــك، حـــتى يأخـــذ بثـــأرك

إن عـــشقك لإيـــران قـــد جـــرّك إلى الـــدم، وهـــذا الـــدم

كيـــف ينـــساه الإيـــرانى إذا كـــان إنـــسانًا

لـــو يـــؤدى الخلـــق حـــق الـــشكر لـــدمك ســـتتزين

إيـــران المنكوبـــة منـــذ ألـــف عـــام

زوجتـــك النـــادرة وصـــل بهـــا الأمـــر

لدرجـــة أنهـــا حـــضنتك بـــصورة نـــادرة

مـــن أجـــل نيـــل الـــشرف والفخـــر

أطاعتـــك حـــتى آخـــر نفـــس

شـــعلة شمـــوع البطولـــة والـــشجاعة

انطفـــأت فى هـــذه المملكـــة مـــن بعـــد رحيلـــك

وكـــل وضـــيع دبّـــر لـــك مكيـــدة

ارتـــــــدى ثـــــــــوب العـــــــار والفــــــــضيحة
أخـــــــذت رأســــــك إلى التـــــــراب ورفـــــــع
نبّـــاش قـــــبرك غطـــــاء الـــــرأس مـــــن رأســـــك
مـــــا الخـــــوف إذا نُـــــبش قـــــبرك، فأنـــــت تعلـــــم
أن النمـــــوذج الكامـــــل للعقـــــل قـــــد صُـــــب فى الألبـــــاب
ثملـــــت الـــــوردة مـــــن العـــــشق فتغنـــــت
وصـــــمت البلبـــــل وعـــــارف مـــــن الحرقـــــة علـــــى موتـــــك

٣ – عشقى

ظهر فى نفس الوقت فى ساحة الأدب شاعر آخر ذو موهبة وقريحة وهو سيد محمد رضا ميرزاده عشقى ابن سيد أبى القاسم الكردستانى، والذى ولد بمدينة همدان فى الثانى عشر من جمادى الآخر سنة ١٣١٢هـــ ق، تلقى تعليمه الأول فى مدارس طهران وفى السابعة من عمره استكمل تعليمه بمدارس " الفت " و " آليانس " بطهران، وتعلم اللغتين الفارسية والفرنسية بصورة جيدة لدرجة أنه عمل مترجمًا لدى أحد التجار الفرنسيين قبل تخرجه، وفى سن السابعة عشرة ترك التعليم تمامًا واقتحم مجال العمل الاجتماعى .

وقد أصدر عشقى صحيفة فى همدان بعنوان " نامهء عشقى[١] " سنة ١٣٣٣هـــ ق، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى هاجر مع سائر السياسيين إلى اسطنبول التى كانت قد أصبحت مركزًا لنشاط القوميين الإيرانيين، وأمضى هناك عدة سنوات والتحق بالمدرسة السلطانية ودار الفنون باسطنبول كمستمع حر، وهناك أنتج أول مؤلفاته الشعرية مثل "نوروزى نامه : الكتاب النيروزى" و "إيراى رستاخيز شهرياران إيران : أوبرا بعث ملوك إيران ".

---

(١) العدد الأول تاريخه ١٨ ذى القعدة عام ١٣٣٣، والعدد الثالث تاريخه ٢٨ محرم ١٣٣٤ (تاريخ الصحافة لبراون وتاريخ الجرائد والمجلات لصدر هاشمى لم يذكرا هذه الصحيفة) .

وربما يكون قد عاد عشقي إلى همدان سنة ١٣٣٦ أو ١٣٣٧هـــ ق، وحضر بعد فترة إلى طهران وانضم لمجموعة من الكتّاب وانضم لصفوف أنصار الحزب الاشتراكى والأقلية فى البرلمان، وخلال هذا الكفاح السياسى شن حملة شرسة على وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى بسبب عقده اتفاقية مع إنجلترا باع فيها إيران لإنجلترا، حيث سمّى عشقى هذه الاتفاقية " صفقة بيع إيران لانجلترا " وفى أحد أشعاره العديدة التى نظمها حول هذا الموضوع سنة ١٣٣٧هـــ ق، يقول :

رحـــل الملـــك ورحلـــت المملكـــة ورحـــل التـــاج ورحـــل العـــرش

لن تعانى أيهـــا البـــستانى بعـــد الآن فقـــد اقتلعـــوا جـــذور هـــذه الـــشجرة

إن ضـــــــيوف وثـــــــوق الدولـــــــة ظلمـــــــة وســـــــفاحون

يـــــا رب إنهـــــم يقيمـــــون هـــــذه المـــــضيفة بـــــدمائنا

وقد تسببت خطب عشقى اللاذعة ومقالاته وأشعاره النارية ضد الاتفاقية فى أن قام وثوق الدولة بإصدار أمر باعتقاله وبالتالى دخوله السجن .

وكانت الدولة غارقة فى الأزمة السياسية، وفى منتصف سنة ١٣٣٩هـــ.ق (أسفند١٢٩٩ ش) (فبراير ومارس ١٩٢١م) وقع الانقلاب وصار سيد ضياء الدين رئيسًا للوزراء، وقد سمّاه عشقى فى أحد أشعاره " مجدد إيران القديمة "، حيث كان مؤمنًا به وبإخلاصه فى خدمة الدولة، وقدّم له التهنئة بهذا البيت :

لا أعلـــــم أى عـــــلاج وصـــــفه هـــــذا الطبيـــــب الاجتمـــــاعى

فيـــسببه شُـــفى الجـــرح المهلـــك الـــذى عـــانى منـــه هـــؤلاء القـــوم مائـــة ســـنة

إلا أن حكومة سيد سقطت بعد تسعين يومًا، وتعاقبت بعده عدة حكومات أخرى حتى تولى زمام الأمور رضا خان الذى كان وزيرًا للحربية فى انقلاب سيد ضياء الدين، وذلك فى أوائل سنة ١٣٤١هـــ ق.

وكان عشقى يهاجم فى الدورة البرلمانية الرابعة أعضاء الأغلبية الذين كان من بينهم مدرس وملك الشعراء بهار، وكان ينشر مقالات حادة وعنيفة فى انتقاد الوضع السياسى للدولة ومنها مقالة " عيد الدم " والتى نشرها دشتى فى صحيفة " شفق سرخ : الشفق الأحمر" وكانت عناوين هذه المقالات تكفى وحدها لإثارة كراهية المسئولين السياسيين وعدائهم له، ولكن الشاعر الشاب كان يعيش بمفرده و لم تكن عنده زوجة أو ولد أو قريب وكان قد كرّس ليله ونهاره وقلمه وقدمه فى خدمة الإصلاح السياسى والأدبى.

وعندما انتهت الدورة البرلمانية الرابعة نظم عشقى شعرًا من نوع المستزاد والذى يقول مطلعه :

بالله إن هذا المجلس الرابع كان عارًا على البشرية

أرأيت ماذا حدث ؟

إن كل ما فعلوه كان ضررًا فوق ضرر

أرأيت ماذا حدث ؟

وفى سنة ١٣٤٢هـ ق، ظهرت الدعوة للجمهورية ورغم أن عشقى كان شابًا مستنيرًا ويدرك مزايا الجمهورية ومن أنصارها أساسًا[١]، فإنه عارض بشدة هذه الجمهورية الخادعة، لأنه وجدها مؤامرة سياسية ولعبة خفية، فقام على سبيل المثال بإعلان هذا الرفض والاحتجاج فى مقالة بعنوان " الجمهورية الخادعة ".

وفى ذى القعدة سنة ١٣٤٢هـ ق، أصدر عشقى الصحيفة الكاريكاتورية " قرن بيستم : القرن العشرون "[٢]، ونشر فى عددها الأول عدة رسومات كاريكاتورية وشعرًا

---

(١) كان قد قال سابقًا فى إحدى الرباعيات :

إمّا سأقلب تاج الملك أو أضحّى فى سبيل هذه العقيدة !

(٢) كان عشقى يصدر صحيفة " قرن بيستم " قبل ذلك فى عام ١٣٣٩هـ ق فى أربع صفحات من القطع الكبير، وقد صدر أول عدد يوم ٢٧ شعبان من ذلك العام، والعدد الرابع يوم ٢٨ رمضان ، ثم توقفت ثمانية عشر شهرًا وصدر العدد الأول من الدورة الثانية فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ ق، وفى هذه الدورة ربما لم يصدر منها أكثر من ١٨ عددًا والعدد الوحيد للدورة الثالثة صدر فى ثمانى صفحات من القطع الصغير فى ٢٤ ذى القعدة ١٣٤٢هـ ق، وكانت موضوعات هذا العدد هى نفسها التى تسببت فى قتله بمنتهى الخسة والنذالة.

ومقالة لاذعة جدًا تعتمد على الهزل والسخرية من الجمهورية والجمهوريين، وأعلن صراحة أن ألاعيب طهران الأخيرة هي من تحريض الأجانب.

وكان من ضمن موضوعات ذلك العدد قصة شعرية عنوانها " جمهورى سوار" أى "الراكبون موجة الجمهورية" والتى تضمنت حكاية كلها رموز وكنايات :

كان فى إحدى قرى كردستان لص ماهر يدعى " ياسى " ذهب إلى بيت العمدة فى غيابه، وحلّى فمه بإبريق العصير فاقتفى العمدة أثر أقدامه وتوصل إلى أن اللص هو ياسى، فقام اللص لكى يضلل العمدة بالركوب هذه المرة على ظهر حمار وساقه إلى بيت العمدة وشرب من العصير حتى ارتوى، ثم عاد أدراجه فتحير العمدة الذى رأى حول الإبريق أقدام الحمار وعلى الإبريق آثار يد ياسى :

اليـــد يـــد ياســـى والقـــدم قـــدم الحمـــار

وأنـــا بـــالطبع لا أعـــرف ســـر هـــذا الأمـــر !

وبعد سرد هذه الحكاية يستنتج الشاعر ما يلى :

إذا أراد أى إنســـان ألا يُقتفـــى أثـــره

فعليـــه أن يـــضع فى قدمـــه حـــدوة حمـــار

كمـــا أن كـــل مـــن عنـــده شـــىء فى بيتـــه

لـــه جـــار مثـــل " ياســـى "

وجارنـــا " ياســـى " يـــا صـــديقى العزيـــز

لـــيس إلا " جـــون بـــول " الإنجليـــزى

فهـــو يفعـــل دائمًـــا فعلـــة " ياســـى "

ولكنـــه يفعلـــها فى ثـــوب الدبلوماســـية

فقـــد أدرك أن بلادنـــا لقمـــة ســـائغة

فخـــدعنا واســـتغفلنا

وهو يظن أن إيران بلد ليس له صاحب
وأنها بلاد من السهل شربها كالعصير
فعقد فى البداية اتفاقية مع وثوق الدولة
ثم رأى أنها لم تأت بثمرة جيدة
فنهبوا ماله وأذلوه
وركلوا فكره وتدبيره بالقدم
ولّما فقد الأمل فى وثوق
نظّم انقلابًا وأصبحت إيران ساحة للفوضى
ثم توارى خلف سيد ضياء
وسرعان ما ضرب به عرض الحائط وتخلى عنه
فقد جاء هذا الانقلاب هو الآخر على غير هواه
ولم تخضّب هذه الحناء كفيه باللون الذى أراده
فرأى أن يعمل بطريقة مباشرة
وأن يضرب الأمة بعضها ببعض
فقال : " من الأفضل أن أصل إلى هدفى
عبر الطريق الذى لا يُذكر فيه اسمى "
ففكر فترة فى هذا الطريق
إلى أن احترف فى النهاية عمل " ياسى "
فقال إننى سأطرح فكرة الجمهورية
وعن طريقها أمسك فى يدى الزمام
وسأجعل أنصار الجمهورية حمارى الذى أمتطيه
ثم أفعل بعد ذلك أسوأ مما فعلته من قبل

....

....

فـــــربط شـــــعار الجمهوريـــــــة فى قـــــــدم الحمـــــار

وهجــــــم فى الخفــــــاء علــــــى إبريـــــق العـــــصير

ولكـــــن فجـــــأة أدرك الإيرانيـــــون مـــــا يؤديـــــه

مــــن دور كــــل مــــن الحمــــار وراكــــب الحمــــار

فهـــاجوا ومـــاجوا قـــائلين : أى نظـــام جمهـــورى هـــذا

إنـــــه لـــــيس إلا فوضــــــى واضـــــطراب

القـــدم قـــدم الجمهوريـــة واليـــد يـــد الإنجليـــز

جـــاء اللـــص، جـــاء اللـــص، أيهـــا الـــشرطى

مـــا هـــذه الرايـــات الحمـــراء والزرقـــاء ؟

أيهـــا النـــاس إن هـــذه الجمهوريـــة خادعـــة

وفجـــأة ثـــار الـــشعب ورفـــع صـــوته

فخـــاف صـــغير الحمـــار وفـــرّ مُـــسرعًا

ولم يتحقـــق غرضـــه لا بالـــذهب ولا بـــالقوة

وبقـــى العـــصير ووقـــع صـــاحبنا إيـــاه فى الحـــرج

وفى نفس هذا العدد كان " رمز الجمهورية " قد صُوّر على هيئة رجل مسلح وغاضب يحمل فى يده اليمنى البندقية وفى يده اليسرى كيس النقود، وبعد ذلك جعله يستظل بظل الأجنبى، وكانت قد التفت حوله الصحف الموالية للجمهورية فى شكل حيوانات قبيحة نجسة ناهيد (الأفعى)، تجدد (البومة)، كوشش (الفأر)، ستاره (الكلب)، جلشن (البغل)، جارچى (القط)، و أورد الشاعر تحت هذا الرمز كلامًا بالشعر العامى البسيط على لسان "رمز الجمهورية " وعلى لسان كل صحيفة من الصحف وأخيرًا على

لسان " قرن بيستم: القرن العشرين "، وكان قد أشار إلى الخطر القادم ضمن مقالة وكاريكاتير " شعار الجمهورية " وتكون هذا الكاريكاتير من أوراق مالية ومدفع وبلطة وهراوة ذات رأس على شكل الثور وقبضة مكوّرة وسوط رباعى وجمجمة وعظام كف،و شمس إيران تسطع فوقهم.

وكانت هذه الإيحاءات صريحة جدًا وبمثابة ضربة قاضية، فصودرت الصحيفة على الفور وسُحبت نسخها بواسطة الشرطة واغتيل هو نفسه كما كان يتوقع دائمًا[1]، صباح آخر أيام ذى القعدة ١٣٤٢هـ ق، (١٢ تير ١٣٠٣ش) (يوليو ١٩٢٤م) بمنزله بجوار باب الدولة على يد شخصين مجهولين وتوفى بمستشفى الشرطة ظهر هذا اليوم[2].

ومات عشقى شابًا و لم يكن عند موته قد تجاوز الواحدة والثلاثين من عمره، وقد جعل أنصار البلاط حادثة مقتل الشاعر وسيلة للتظاهر ضد رضا خان وقام الأهالى بتشييع جثمانه بمنتهى التوقير والاحترام ودفنوه فى هذه البوابة وكتبوا على حجر قبره :

فى مـــــــسلخ العـــــــــشق لا يــــــــــذبحون إلا الأملـــــــــــح

لا يـــــــــذبحون ذوى الأجـــــــسام النحيلـــــــة والطبـــــــاع القبيحــــــــة

إذا كنــــــــت عاشــــــقًا صـــــــادقًا فـــــــلا تهــــــرب مــــــن الـــــذبح

فكـــــــــل مـــــــــن لا يذبحونـــــــــه كـــــــــان جيفـــــــــة

وقد خصصت صحف ذلك العصر مقالاتها لشرح تفاصيل هذه الحادثة الدامية فى أعداد كثيرة ونظم الشعراء أشعارًا كثيرة فى موت ذلك الشاعر المسكين ومنها قال ملك الشعراء بهار فى رثائه :

---

(١) أنا أكتب هذا الآن لأننى ربما لا أكون فى إيران أو فى الدنيا كلها حتى ذلك اليوم (من مقالة " الجمهورية القاصرة " المنشورة فى صحيفة "سياست").

(٢) " كان القاتل أبا القاسم بهمن ابن ضياء السلطان وشقيق ميرزا على خان بهمن والذى مات وهو سكران تحت أنقاض محل لبيع الشراب، وكان شركاؤه أحد الحرس بالزى المدنى وسلطان أحمد خان شقيق الفريق أول، والشخص الأخير استقال بعد مقتل عشقى وهام على وجهه فى الصحراء كالمجنون " علـــى أكـــبر سليمى ، كليات مصور عشقى ، ديباجة المؤلف ، ص ١٢ .

يـــــا لــــــه مـــــن شـــــاب شـــــجاع فـــــصيح
وشــــــــاعر وعــــــــــالم وحنــــــــــون
لم يحـــصل بعــــد علــــى نـــصيبه مـــن الــــدنيا
لم يــــــر عاقبتــــــه علــــــى أرض الواقــــــع
لم يــــذق بعــــد حــــلاوة الـــــدنيا
لم يُجمـــــــع مــــــن الــــــــشتات
لخنــــــه كلــــــه آلام كالبلبــــــــل
جيــــب حظــــه ممـــزق إربًـــا إربًـــا كــــالوردة
لم يظهــــــر لــــــه ريــــــش بعــــــد
لم يــــبنِ لنفــــسه عــــشًا بعــــد فــــوق أى غــــصن
ينـــــام بالليــــل علــــى غــــصن الأمــــل
وفى وقــــت الـــسحر يتحــــاور مـــــع العـــشق
فخــــرج مـــــن قــــوس الفلـــــك ســــهم
أصــــاب موضــــع كبــــد الطـــــائر الفــــصيح
قضى عشقى عمره فقيرًا وتعيسًا وحزينًا ومضطربًا وقتل بمنتهى القسوة، وتمتلئ مؤلفاته باليأس والتشاؤم والملل من الحياة، وأمنية الموت والخلاص.
باختـــصار أنـــا مللــت مـــن هـــذه الحيـــاة الدنيئـــة
فأنـــا شـــاب فى ميعـــة الـــصبا وصـــرت شـــيخًا مـــن كثـــرة الأحـــزان
لمــــاذا تحبـــذين الـــشيخ يـــا عـــروس المـــوت ؟
فمـــا عـــيبى أنـــا الــــشاب بـــدون شـــيخوخة ؟
وكان شابًا وطنيًا حساسًا ومتحمسًا لا يهدأ أبدًا، وكانت مصائب الحياة وشدائدها تنزل على رأسه كالمطر، وكان مُلمًا بقدر الإمكان بالسياسات المتناقضة

وأخذت هذه المشاعر والأحاسيس تقوى وتزداد وتسيطر على عقله ومعتقداته، فلم يعد الشاعر الشاب يخشى الموت أو السجن ولم يسلم أى سياسى من لدغة قلمه ليس هذا فحسب، بل إنه كان يتطاول دائمًا على اللـــه والطبيعة والخلق وكان يحارب الكائنات ويصارعها .

إن الإنـــــسان مـــــا هـــــو إلا وصــــمة عــــار علـــــى وجـــــه الأرض
يليق بـــك حتمًـــا أيتـــها الأرض أن تعرضـــى عـــن هـــذا الحيـــوان مبتـــور الـــذيل

وشيئًا فشيئًا أخذ النقد العشوائى غير الهادف يقوى بداخله، فأخذ يدعو الشعب للقتال المسلح ضد الإمبريالية، والإصلاح الجذرى لمظاهر الحياة، ويتحدث فى مقالاته وأشعاره عن الدم وإراقة الدم و " عيد الدم " دون أن يقوم بتعريف الطريق الصحيح للثورة والوصول إلى النتيجة المطلوبة، ومقالات عشقى السياسية والاجتماعية ليست ذات قيمة أدبية كبيرة، أمّا مجموعة مسرحياته الترفيهية ("جمشيد ناكام : جمشيد البائس"، "حلواء الفقراء : حلوى الفقراء "، "إيرت بچه گدا : أوبريت الطفل المتسول"، " دكتر نيكوكار : الدكتور نيكوكار أى المحسن") والتى كان هدف الكاتب منها تصوير حياة الأرستقراطيين الإيرانيين فى الخارج ومحاربة الخرافات أو إظهار المواهب الإيرانية الجيدة، فليس لها شهرة كبيرة أيضًا، وتعتبر هذه المسرحيات سواء من ناحية التكنيك المسرحى أو تنميق الموضوع بدائية وركيكة [١] .

---

(١) كانت أعمال عشقى تطبع فى الجرائد وغالبًا فى الصحف التى كان يصدرها هو نفسه ، وبعد موته قـــام على أكبر سليمى مدير مجلة " گلهاى رنگارنگ " ورسالة " مربى " فى أول الأمر بطبع منتخبـــات مـــن أشعاره فى عام ١٣٠٦ش (٧- ١٩٢٨م) وجمع بعد ذلك مقالاته وأشعاره التى كانت قـــد تفرقـــت فى أيدى الناس وأوراق الجرائد وطبع ديوانه الكامل فى مهر ١٣٠٨ (سبتمبر وأكتـــوبر ١٩٢٩ م) وقـــد صدرت الطبعة الثانية من ديوان عشقى بعد ستة عشر عامًا بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لموت الشاعر فى ١٣٢٤ ش (٥- ١٩٤٦ م) وطبعته الثالثة فى ١٣٣١ ش (٢- ١٩٥٣ م).

أشعار عشقى

لم يتعرض الفن الشعرى عند عشقى للتقييم الصحيح حتى الآن، كما أن المحققين الأجانب الذين يبحثون ويطالعون الأعمال الأدبية للشعراء والكتّاب الإيرانيين المعاصرين عادة أكثر من الإيرانيين أنفسهم، وقلما تحدثوا هم أيضًا عن عشقى وأعماله[1]، ولكن يعتبره بعض مؤرخى الأدب فى إيران واحدًا من رواد " الأسلوب الحديث " الكبار و يقول البعض الآخر برغم اعترافهم بهذا الأمر إنه لا يملك رصيدًا علميًا كبيرًا، فلا هو متبحر فى الأدب الإيرانى القديم ولا متعمق فى الأدب العالمى الحديث وعلى حد قول ملك الشعراء بهار فإنه هو أيضًا مثل عارف شاعر " العوام[2] " وهذا العيب يُلاحظ أيضًا حتى فى أفضل أشعاره أحيانًا[3].

وفى اعتقادنا أن هذين الرأيين بشأنه صحيحان وفى محلهما : " فعشقى لم تكن عنده المعلومات الكافية فى الأدب، وكان هو نفسه أيضًا يمتنع بشكل متعمد عن قراءة أعمال الفصحاء القدامى[4] " وبرغم هذا فإن عشقى بدون شك " يعد موهبة فذة

---

(١) منهم منيب الرحمن المؤلف الهندى فى رسالة الدكتوراه الخاصة به بعنوان " الشعر الإيرانى فى فترة ما بعد الثورة" والسيدة ڤيراكوبيتشكوا فى " تاريخ الأدب الإيرانى والطاجيكى " والذى تم تأليفه تحت إشراف البروفسور جان ريكا ، فقدما موجزًا لأحوال وأعمال عشقى ، وأخيرًا قدم أيضًا الدكتور فرانشيك ماخالسكى عالم الإيرانيات البولندى فى رسالة " التجدد فى أعمال عشقى الشعرية " معلومات أكثر حول عشقى وأنا استفدت من ذلك الكتاب .

(٢) كان إيرج مقلدًا لقائممقام ... اقترض منه الأسلوب واللفظ والفكر
وعارف وعشقى هما شعراء العوام (ديوان بهار ، ج٢ ص ٢٢٩) .

(٣) أحيانًا يتعمد فيقول مثلاً : " فى هذين البيتين قفيت بياء التنكير ، وبما أن شعره كان جيدًا فلم يكن عندى استعداد لحذفه من الغزل:

بناء نظام دگر تازه وعشوه سازى نيست ... كه اين معامله سربازى است بازى نيست
كلاه خويش نما قاضى اين همه قاضى ... چه لازم است كه اندر خزانه غازى نيست
أيتها الحسناء لم يعد النظام هو تصنع الدلال والإغراء ... فهذا الأسلوب هو بداية اللعبة وليس اللعبة
أظهر عمامتك يا قاضى كل هؤلاء القضاة ... فما الداعى فى ألا يكون فى الخزانة غازى

(٤) غلام رضا رشيد ياسمى ، أدبيات معاصر .

وشاعرًا قديرًا[١] " وهو يفهم الموضوعات التاريخية والاجتماعية بصورة سريعة و " لديه مقدرة عجيبة فى تصوير المشاهد التاريخية والأدب الوصفى، كما أنه يستطيع أن يعبّر عن عواطفه وتأثره بأوضاع العصر ورأيه فى السياسة وشعوره وانطباعه عن العشق ومناظر الطبيعة، وذلك بإحساس وذوق وبساطة وصدق ومهارة فائقة، وأشعاره تمتلئ كلها بالاعتراض والتمرد على الظلم الاجتماعى والتعلق بالمساكين والتأثر بحالهم، والبغض والكراهية الشديدة للأغنياء والأثرياء .

وللأسف فإن لغته - كما قلنا - ليست معبرة والألفاظ والعبارات التى تشكل قاموسه اللغوى ليست فصيحة بالقدر الكافى لعرض مثل هذه المشاهد الملتهبة المؤثرة وبالطبع لو كان عاش عمرًا أطول وخلا بيانه من النقائص والعيوب " لترك آثارًا كثيرة من قطوفه الأدبية وبراعمه الشعرية النضرة للشعب الإيرانى بل للدنيا بأسرها، وهذا القدر المحدود من الأعمال الأدبية التى أنتجها عشقى خلال عمره القصير الملىء بالمحن والشدائد، يكفى كدليل على عظمته وعلو موهبته[٢]".

وأشعار عشقى ليست كثيرة، كما أن هذا الكم الذى تركه ليس متساويًا من حيث القيمة الأدبية، فأشعاره الأولى التى نظمت غالبًا حول أحداث العصر تعتبر فى الغالب بدائية وغير متجانسة وتخلو من ميزة الفكر والمنهج ولكن يمكن أيضًا مشاهدة قمة أعماله الحقيقية خلال هذه القطع الصغيرة التافهة وأحيانًا المبتذلة.

وعلاوة على المنظومات الهزلية والهجائية اللاذعة جدًا فإن أشعار عشقى الجيدة تنحصر فى عدة قطع مثل نوروزى نامه (الكتاب النيروزى)، رستاخيز (البعث)، كفن سياه (الكفن الأسود)، احتياج (الحاجة)، وأخيرًا ايده آل يا سه تابلوى مريم (المثالى أو لوحات مريم الثلاث)، حيث تعد القطعة الأخيرة أفضلها وأحسنها.

ففى هذه القطع يبدو جيدًا أن عشقى مبتكر، حيث إنه ساهم فى خلق شىء جديد مع محافظته على الأسس والقواعد القديمة، وتأثير بيانه يتوقف فى الغالب على الأصالة وحسن الذوق فى اختيار الموضوع والعاطفة والحرارة والجودة الفكرية والتى تكمن فى شعره.

---

(١) ملك الشعراء بهار ، صحيفة قانون ، عام ١٣٤٢ هـ ق .
(٢) نفس المصدر .

والآن سنحاول بقدر استطاعتنا تحليل وتعريف بعض أعماله المهمة .

نوروزى نامه : تعتبر هذه المنظومة من أقدم أعمال عشقى والتى نظمها فى اسطنبول قبل حلول فصل الربيع بخمسة عشر يومًا باعتبارها هدية النيروز لعام ١٢٩٧ ش (١٣٣٦ هـ ق) وطبعها فى مطبعة شمس، ويمكن مشاهدة المحاولة الحقيقية الأولى للتجديد عند عشقى فى هذا العمل، فالشاعر الذى يستمد إلهامه من الأدب التركى يحاول لأول مرة استعمال القوافى طبقًا لنغمتها ونطقها وليس وفقًا لأسلوب كتابة أبجدية الكلمات، وكذلك إيرادها كل عدة مصاريع فى كل مقطع من مقاطع المنظومة وفقًا للحاجة وهو ما يعد لازمًا، فيقول هو نفسه فى مقالة بعنوان " أسلوبى الجديد فى كتابة الكتاب النيروزى " :

إن الأدب الفارسى أكبر من أن يُمدح باللسان والقلم، ولكن لا يعيينا أن نتبع دائمًا الأسلوب الأدبى القديم صاحب العمر الطويل ونكرر أسلوب نظم الشعراء القدامى " فى اعتقادى أنه كان لابد من إحداث تغيير فى أسلوب النظم الفارسى ولكن لا يجب تضييع الأصالة فى هذا التغيير ".

" إننى لم أستسلم فى هذه القصيدة لأغلال أو قيود تنظيم القافية كحال المتقدمين بحيث يمكن توسيع ميدان النظم إلى حد ما، فعلى سبيل المثال قفيت ب " گنه وقدح " ومى خواهم و باهم " ...[١]

---

(١) قبل عشقى كان قد فتح هذا الطريق فى الأدب العثمانى توفيق فكرت (١٨٦٧ – ١٩١٥ م) والأشخاص الآخرون ، وهذا الشعر البديع لفكرت :

يجب عليه أن يرفع جبهته ويوجهها نحو السماء

ولا يسمع كلام الناس حول ارتفاع الطائر

فالحياة أفق يُعتلى ويرتفع

والارتفاع يهبط بى فإما الترقى فى الحياة وإما الانحطاط

وكما تعلم فإن مثل هذه القيود قد زالت بتغيير الأبجدية التركية إلى الحروف اللاتينية.

" والواضح أن المسئول عن تمييز توازن القوافى وتقييمه هو الأذن، والآن ليس عندى شك فى أن كل أذن تعتبر " گنه " و " قدح " بينهما توازن، وقد تمردت على أسلوب نظم السابقين فى مواضع عديدة، فمثلاً لم أجعل كل مجموعة أشعار من القصيدة فى جميع المواضع أكثر من خمسة مصاريع، وفى الموضع الذى يجب أن يدور فيه الحديث بالتفصيل فى هذا الشأن بصفة خاصة قمت بتزيين مجموعة الأشعار بعشرين مصرعًا وفى المصرع السادس من القصيدة تجرأت وكررت قافية "روزى" و "آموزى" نظرًا لنقص القوافى " .

ويتحدث الشاعر فى هذه القصيدة التى تتكون من خمسة مقاطع، بعد وصف ربيع اسطنبول وتحليل النيروز القديم وتقديم التهنئة للسلطان العثمانى بمناسبة العام الجديد، يتحدث عن الوحدة الإسلامية ويتمنى توطيد أواصر المودة بين الشعبين .

وفى هذه المنظومات فإن ذكريات الشاعر الشخصية والمشاعر الوطنية الراقية ووصف مناظر الطبيعة والتغزل الموافق للبناء الملحمى والقصصى، شكلت مجموعة رائعة تفتن القارئ بجمالها الشعرى .

كفن سياه (الكفن الأسود)

يتباهى عشقى كثيرًا بالأمجاد الإيرانية القديمة ويحزن بشدة لهجوم العرب على إيران وسلب العرش والتاج الساسانى، وتعتبر كفن سياه شعر خيالى أو على حد قول الشاعر نفسه "قطرات من الدموع زرفت من عين الشاعر المتأثر على الأوراق بسبب رؤيته لأطلال المدائن" وتطرح فى هذا الشعر مسألة الحجاب وحرية المرأة الإيرانية، وهذا الموضوع ليس جديدًا فقد تحدث عنه قبل عشقى شعراء عهد الثورة، إلا أن عشقى قد عرض هذه المسألة بصورة أحدث أكثر إثارة .

عندما " تتجه الشمس نحو الغروب، ويتشح الفلك بالسواد مع رحيلها " تصل إحدى القوافل ويصحبها صوت الجرس إلى قرية تاريخية بضواحى المدائن، ويبحث أفراد القافلة عن المنزل ولكن الشاعر يميل للفرجة والمشاهدة أكثر من التفكير فى المنزل، وفى

النهاية يترل فى بيت إحدى العجائز على حافة البحيرة، وفى ضوء القمر الخافت الذى يسطع فى الداخل من خلال النافذة يرى أطلال القلعة الشاهنشاهية وقصر الملوك الكيانيين ومهاباد ذات الإيوان العالى ومخدع خسرو وشيرين. ويتجسد الماضى أمام عين الشاعر نتيجة رؤيته لتلك الآثار الرائعة، وتشتعل فى قلبه حادثة حرب العرب ويظهر له كل ملك من الملوك العظام حتى يزدجرد الساسانى ثم "عمر" الفاتح العربى وهم فى هيئة الحرب والقتال، ويسلك الشاعر طريق الصحراء والمقابر كالمجنون، وفيها " اجتماع خلوة الصامتين " فى الوادى الذى فيه "يمضى ليل إيران ونهارها بالسحر والخرافات "، وتشرح " ملكة المكفنين " الملفوفة فى عباءة سوداء عجز المرأة الإيرانية والظلم الواقع عليها بهذا الشكل :

ليس لى أى ذنب سوى أننى امرأة

وبسبب هذا الذنب أنا فى الكفن ما حييت

أنا متشحة بالسواد وما لم أخلع هذا السواد

ستكون تعيسًا وسيئ الحظ لأننى أنا حظك

أنا ذلك الشخص الذى يمكن أن يبيّض حظك

أنا لو بكيت تكون أنت باكيًا

ولو ضحكت تكون أنت ضاحكًا

إن خلعت هذا الثوب من على جسمى فأنا مذنبة

وإن لم أخلعه فإن عمرى ليس له أى قيمة فى هذا الثوب

ماذا أفعل ؟ فإن حظى أكثر سوادًا من هذا الثوب الأسود

إن ثمرة عمرى فى هذه الحياة هى الآهة

الموت أمام عينى فى كل ليلة وكل صباح

محنة موتى على بعد خطوة واحدة

سيظل الكفن على جسمى إلى حافة القبر

منذ هذه اللحظة التى جئت فيها إلى هذه الدنيا المظلمة

لبست الكفن وسرت بقدمى إلى القبر

لم تكن لى أى فائدة كأى جماد

وجدت نفسى داخل هذا الجوال المنعقد

لقد تعبت من الحياة أيها الناس لأسباب كثيرة

وما دمت دخلت فى هذا الكفن المظلم

فأنا لست حية، أنا ميتة منكوبة

وبعد تلك الحيرة والذهول ينتبه الشاعر فيجد نفسه ملطخًا بالتراب والطين :

فنهضت ووقفت مذهولاً حائرًا

فرأيت أنه من إحدى نواحى القرية

أقبلت هذه المرأة تحمل جرة إلى حافة النهر

فتصورت أن ما رأيته هو مجرد حلم

فقد رأيت تلك المرأة التى قد انعدم وجودها فى اعتقادك

وقد أقبلت من الطريق الآخر بالوعاء والطبق

أقبلت من الناحية الأخرى بلفة ملابس

وقد تجمعن على حافة النهر بنات كسرى الثلاثة

فلم أتحمل من شدة الخوف

فجريت مضطربًا نحو القرية عسى

ألا أرى هذا المنظر المخيف ثانية

فخرجت تلك المرأة مرة ثانية من أحد المنازل

فتركت ذلك الطريق وجريت نحو الطريق الآخر

فرأيتها فى ذلك الطريق وعلى رأسها طفل

وتلبس ذلك الكفن المظلم

ثم تختال بهدوء نحوى

والخلاصة؛ أن الشاعر حيثما يذهب يرى المرأة الإيرانية ملفوفة فى العباءة السوداء يتساءل؟

هل كان أبوك وأمك بهذا القبح؟

لماذا أنت حية، ماذا حدث لهما ؟

وذلك الكائن المتشح بالسواد :

أطلق الشكوى نائحًا آه آه

إننى فى أحد الأماكن الخربة من إيران الخربة

إننى أميرة هذه البلاد الخربة

لقد كنت ابنة خسرو الإمبراطور العريق

وكنت ربيبة الدلال فى حجر شيرين

لم يكن بيتى الأول هو هذه الزاوية الخربة

لأن حرملك أجدادى لم يكن هذا البيت

ويتحير الشاعر من هذه الحكاية الغامضة ويفعل أفعال المجانين وبعد ثلاث سنوات حيث يحضر إلى إيران :

كلما رأيت امرأة هناك رأيتها بهذا الشكل

رأيتهن كلهن أحياء داخل كفن الأموات

رأيتهن كلهن فى صورة ابنة ساسان هذه

رأيت صفوفًا من بنات كسرى بهذا الشكل فى كل مكان

فوجدت نفسى خائفًا بعد هذه الحكاية

ويضيف فى نهاية القصة:

لماذا الخجل ؟ فالرجل عبد والمرأة أمَة

ماذا فعلت المرأة حتى تخجل من الرجل ؟

ما هذه الخيمة وهذا النقاب سيئ المنظر ؟

إذا لم يكن كفنًا، فقل لى إذن ما هذا النقاب ؟

ليمت ذلك الذى يلقى النساء فى القبر أحياءً

فيما عدا المذهب فقط يمكن لأى شخص !

أن يتحدث هناك فى أى موضوع آخر

لو يردد معى متكلم أو اثنان أو ثلاثة

ستبدأ هذه النغمة فى المجتمع تدريجيًا

وسيُكشف وجه النساء بهذه النغمات

وستخلع المرأة الثوب المخجل وترفع رأسها

وتستمتع بلذة الحياة الاجتماعية

وإلا، ما دامت المرأة تعيش فى الكفن

فإن نصف الشعب الإيرانى ميت

وينبغى ذكر هذه النقطة بصفة خاصة، وهى أن الجانب الوصفى والبيانى فى هذه المنظومة جذاب وقوى جدًا وقد استخدم الشاعر فيها كلها تعبيرات جديدة وغير مسبوقة[١] .

برگ باد برده (الورقة التى تحملها الريح)

تعد هذه القطعة جديرة بالاهتمام خاصة من حيث الشكل والقالب الذى اختاره الشاعر، فيقول هو نفسه فى هذا الشأن :

" لقد نظمت هذه الأبيات بالأسلوب الجديد، وفقًا لنظرياتى وملاحظاتى فى ثورة الأدب الفارسى وقواعدها الجديدة، وذلك أثناء توقفى فى اسطنبول حيث كانت أفكارى قد تشتتت بسبب الابتعاد عن الوطن ".

---

(١) منها أفسانه گه (وادى الأساطير) ، گرتاريك وش (القبر المظلم) ، كلبۀ فرتـوت وخـم خـورده (الكوخ القديم المتهالك) ، برف مرگ (ثلج الموت) ، بارش كفن (مطر الكفن) ، داروى عدم نوشان (شاربو دواء العدم) ، پيراهن يكتا به تن پوشان (ثوب واحد يستر الجسم) ، بوى درد دل (رائحـة الحزن) ، اسپيد كن بخت (مبيض الحظ)، وغيرها .

والمقطع الأول من الشعر هكذا :

فى نزهة على شاطئ البوسفور وداخل إحدى الحدائق

سرت بالأمس

يا لها من حديقة جميلة تلك التى على شاطئ البحر

النظر إليها يبهر العين

فالشجر فوق الحرير الأخضر

والأرض ملفوفة فى ثوب من الزمرد

وفى كل جانب هناك طائر

يهمس فى أذن زهرة

رستاخيز شهر ياران إيران (بعث ملوك إيران)

تعد مسرحية بعث ملوك إيران(١)، التى سمّاها المؤلف " اوبرا " صورة خيالية منظومة وملحنة عن عصر الحضارة الإيرانية القديمة، والشخصية الحقيقية الوحيدة فى هذه المسرحية هو الكاتب نفسه والذى يلعب دور الرجل المسافر، وخلفيتها الموسيقية قامت على أساس الأغانى الوطنية وأحد ألحان أوبرا "ليلى والمجنون" تأليف عزيز بيك حاجى بيكوف(٢)، وقد ظهرت أجزاء منها فى شكل الرواية والحكاية .

---

(١) عرضت هذه المسرحية عدة مرات على المسارح الإيرانية، حيث كان الشاعر نفسه يلعب دور المسافر فى بعض هذه العروض، وقد عرضت ذات مرة أيضًا على خشبة مسرح طهران حيث لعبت دور " شيرين " السيدة ملوك ضرابى، وقد كان لهذه المنظومة الموسيقية أثر عجيب فى إثارة العزة والكرامة الوطنية مثلمـــا بعث الفرس المقيمون بالهند زهريتين فضيتين تكريمًا للشاعر، وأهديت له فى معبد الزرادشتيين بطهران مع بعض المراسم الرائعة .

(٢) سويله برگوروم عرب ، بوجوان نه دن خسته ؟

لا شك أن عيوب العمل كثيرة وواضحة من الناحية الفنية، ومع ذلك فإن العمل له أهميته لكونه أول محاولة فى هذا المجال فى الأدب الفارسى .

وقد زار الشاعر أطلال مدينة طيسفون فى رحلته التى قام بها من بغداد إلى الموصل عام ١٣٣٤هـ ق، وسقط مغشيًا عليه من مشاهدة منظر مهد الحضارة فى العالم، وأوبرا البعث هى " قطرات الدمع التى سقطت على الورق حزنًا على قصور الأجداد(١) ".

وبناء المسرحية بسيط جدًا، ويعرض المشهد أطلال أحد قصور البلاط الساسانى حيث توجد فيه عدة قبور مهجورة وأعمدة قائمة وشبه مهدمة لا حصر لها وتماثيل الآلهة، ويقوم ميرزاده عشقى الذى يشاهد هذا المنظر وهو فى حالة ذهول ودهشة بالإنشاد بلحن المثنوى :

لقد تهدّم باب وجدار البلاط كلاهما

يا رب ما هذا العمود عديم الفائدة ؟

لو نجوت من هذا السفر

سأقسم ألا أذكر اسم السفر بعد ذلك

هل كانت هذه الخرابة مهد الساسانيين ؟

إمبراطورية الإيرانيين التاريخية ؟

وبعد ذلك تخرج " خسرودخت " الأميرة الساسانية من قبرها فى رداء أسود وتذكر عصر عظمة إيران القديمة وتسمى أبناء وطنها " الأموات الخارجون من القبر " و " القوم المعذبون " و " الأمة الملطخة بعار الجهل " وتذمهم على تبلدهم وغفلتهم وتضييعهم لأمجادهم القديمة :

لقد كانت هذه البلاد فى عهدى كالفردوس الأعلى

---

(٣) من مقدمة الشاعر القصيرة على منظومة " البعث ".

أقسم باللـــه أيها القوم أن هذه المملكة لم تكن هكذا

ماذا حدث يا أبطال إيران

يا شجعان إيران ؟

أين أنت يا خسرو المتوّج

حتى تلقى نظرة واحدة على إيران ؟

إن هذا القبر الخرب ليس هو بلادنا إيران

إن هذه الخرابة ليست إيران، أين إيران ؟

ويسقط أحد الجدران ويظهر ملوك وعظماء إيران الواحد تلو الآخر فى المشهد ويتحدث كل منهم بحسرة عن ماضى إيران المليء بالأمجاد ويبكون على وضعها المهين الحالى .

ولكن المنظومة لا تنتهى عند ذكر الأمجاد الإيرانية التاريخية وإنما تطرح على لسان زرادشت النبى الإيرانى أسباب خراب الدولة وتعاسة شعبها أيضًا والتى تتلخص فى الصراعات السياسية والاقتصادية بين الأمم الأوربية فى منطقة آسيا، ويُذكر من باب التوقع أن سعادة البشر فى المستقبل تتوقف على وحدة الشعوب الآسيوية ضد الغرب والوصول إلى الحرية، وتعتبر فكرة الشاعر ورؤيته فى هذه القراءة السياسية صمّاء ومظلمة بل وخيالية، وظهور زرادشت فى آخر مشاهد المسرحية يولد فى المُشاهد الشعور بأنه ربما يكون شرط النهضة الإيرانية القادمة هو العودة نهائيًا إلى الدين القديم :

انظر وأمعن النظر فقد حدثت ضجة فى الغرب

فهذا يقول إن إيران ملكى، وذلك يقول إنها ملكنا

فيا أيتها الكتلة الشرقية يا بلاد الهند وإيران وتركيا والصين

لقد دارت الحرب فى الغرب من أجل الفوز ببلاد الشرق

ففى أوربا ظنوا أن آسيا لقمة سائغة

وشحذ كل منهم أسنانه لأكلها

غافلين عن أن الفأر لا يبتلع الفيل

ولو أنهم ابتلعوا هذه اللقمة، فأنا مخطئ

....

ما دام الشرق لا ينام، فكيف تغرب الشمس ؟

إن اليقظة قد أصبحت للغرب عندما نام الشرق

وأتمنى أنه إذا قوى الشرقى

يُسخّر قوته من أجل راحة الناس

ولا يكون مثل الغربى فيطرد الإنسان ويقتلعه من كل مكان

ويهين هكذا الإنسان والإنسانية

وبعد ذلك لا يجب أن يبقى شخص واحد فى العبودية

وأن يكون كل شخص حرًا وله حياته الخاصة

وتختفى أشباح زرادشت والملوك والتى كانت قد ظهرت من خلف الجدار، ويستيقظ عشقى من النوم:

ما رأيته فى هذا القصر الخرب

هل كان حلمًا يا رب أم حقيقة ؟

إننى رأيت الملوك فى حزن شديد

فى مأتم بلاد إيران

إن أجدادنا يعتبروننا عارهم

فيا رب استجب لصرختنا بعد الآن

وحقق وعد زرادشت

فقد رأى عشقى حلمًا ففسّره أنت

إيده آل (المثالى)

من المناسب أن نتحدث أكثر قليلاً عن منظومة " المثالى " المفصلة نسبيًا والتى تعد من الأعمال التى كتبها عشقى فى آخر عمره القصير .

فقد اقترح عشقى فى مجموعة المقالات التى نشرها فى صحيفة " شفق سرخ " سنة ١٣٠١ ش (٢- ١٩٢٣م) بعنوان " عيد الدم " و " اقتراح إراقة الدم " أنه " ... يجب مراقبة أمناء القانون خمسة أيام فى السنة حتى إذا ما استباح أى أمين من الأمناء لنفسه خيانة أمانات الأمة يتم إراحة المجتمع منه ومن مشكلاته ويطمئن الشعب لسلامة إجراء القوانين فى الثلاثمائة وستين يومًا الأخرى من السنة [1] " .

وقال بعد ذلك : " يجب نشر عقيدة إراقة الدم بحيث تطلب النساء من أزواجهن فى الغالب بدلاً من المهر إراقة دم كل نجس وخائن[2] ".

وهذه هى نفس المعتقدات الثورية المتطرفة التى قد نظمت بعد عام وبضعة شهور فى قطعة " المثالى " فى صورة أدبية جيدة، وقام فيها الشاعر بشكل جيد بتنمية عقيدته

(١) شفق سرخ ، السنة الأولى ، العدد ٢٨ .

(٢) شفق سرخ ، السنة الأولى ، العدد ٣٥ .

ومُثله العليا الأساسية، وهى النضال العملى من أجل إصلاح المجتمع وتحسين أوضاع الشعب المكافح.

وقد ظهرت هذه المنظومة عندما كانت الأفكار السياسية تصب فى مصلحة الجمهورية والمرشح لرئاستها.

وفى منتصف عام ١٣٤٢هـ ق، طلب كبير الأمناء القائم على وزارة الحربية - والذى كان يعد من الكتّاب والعلماء الإيرانيين - من الشعب أن يكتب كل شخص مُثله العليا وينشرها فى جريدة " شفق سرخ " التى كانت أهم صحف ذلك العصر.

وقد تكهن البعض بأن هدف كبير الأمناء هو أن يعلن أغلب الكتّاب أمنياتهم ومُثلهم العليا من أجل تشكيل حكومة قوية، وكانت الدولة فى حالة اضطراب والأفكار مهيأة لقبول الديكتاتورية، وقد وُجدت مقالات بنفس المضمون أيضًا فى صحيفة " شفق سرخ "، وكان عشقى صامتًا وعندما رجعوا إليه نظم " سه تابلوى إيده آل " (اللوحات الثلاث المثالية) والتى كان مضمونها يتعارض مع قصد المقترح، وقد نشرت هذه المنظومة فى أعداد السنة الثالثة من " شفق سرخ " ويتباهى عشقى بعمله هذا ويسميه " مقدمة ثورة الأدب الإيرانى ": " إننى أعتقد أن ما بذله المعاصرون من محاولات من أجل نهضة الشعر الفارسى لم يحقق حتى الآن النتيجة المرجوة وأعتقد أيضًا أن الشاعر فى اللوحتين الأولى والثانية لهذه المنظومة قد نجح فى إيجاد أسلوب جديد ومقبول فى الأشعار الفارسية لأن طريقة التفكير وإبداع القريحة فى تنمية الأفكار الشعرية تختلف تمامًا مع طريقة تفكير سائر شعراء الفارسية المتقدمين أو المعاصرين، وفى نفس الوقت فإن أى ناطق بالفارسية يحبذ هذا الأسلوب فى النظم الشعرى، فى حين أنه عندما بادر سائر المعاصرين (أحدهم حاج ميرزا يحيى الدولت آبادى) بإيجاد أسلوب جديد فى نظم الأشعار الفارسية، فإن هذا لم يلق القبول من أحد.

" وتعتبر هذه المنظومة " سه تابلوى إيده آل " أفضل نموذج يجسد الثورة الشعرية لهذا العصر، وحتى لو كانت هذه اللوحات لشخص آخر كنت مدحتها أكثر من ذلك أيضًا لأنه حتى الآن لم تكتب منظومة كهذه في اللغة الفارسية "

لا شك أن هذا القول مبالغ فيه ولكن يجب بالطبع أن نعلم أن منظومة " إيده آل: المثالى " وبعض أشعار عشقى الأخرى من أوائل التجارب فى طريق الثورة الأدبية الإيرانية أو على حد تعبيره هو نفسه هى " مقدمة " لهذه الثورة والتحول، ومهما يكن فإن عشقى يعد واحدًا من الأشخاص الذين كسروا حاجز القواعد التقليدية فى الأدب الإيرانى المنظوم وتجاوزوا الخطوط الحمراء فى هذا الأمر، وحتى لو لم ينجح بشكل كامل فى هذه الخطوة الجريئة فإنه بدون شك قد فتح الطريق أمام القادمين بعده .

وتحتل منظومة " ايده آل " مكانة كبيرة جدًا بين الأشعار الواقعية الفارسية من حيث الأسلوب النقلى والروائى وطريقة البيان وأصالة المضمون .

وكما نعلم فإنه فى الأدب الكلاسيكى الإيرانى كان الشعر الروائى يعتمد بصفة أساسية على القصة والحكاية مثل يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى أو على قصص الحب التى وجدت شهرة كبيرة بين الناس منذ عهد بعيد مثل قصص نظامى أو على الموضوعات التمثيلية والعرفانية مثل " سلامان وأبسال " للجامى، وقلما نقابل فى الآداب الفارسية الشعر الروائى الذى يخرج عن إطار هذه الأنواع، إلا أن عشقى فى هذه المنظومة قد تخطى النماذج التقليدية المعروفة واقتبس مضمون الحكاية من القصص الحادثة فى الحياة، وأخذ صفات وأحوال وطباع أبطالها من الأشخاص العاديين والمعروفين.

ويعتبر عشقى مبتكرًا كذلك فى اختيار وزن وقالب الشعر، فقد كان الشعراء الفرس يستخدمون قالب المثنوى للحكايات والذى يتميز بوزنه الخفيف، ولكن عشقى قد عدل عن هذه القاعدة لأول مرة، واختار فى بيان " قصة مريم " قالب المسمط وبحر المجتث الذى لم يستخدم من قبل فى كتابة القصة الفارسية.

ويرى البعض أن عشقى قد قام بتقليد أسلوب نيما الحديث واستخدم نفس أسلوب "أفسانه " فى نظم " تابلوهاى ايده آل : اللوحات المثالية "[1]، ولكن هذا الرأى غير صحيح، فعشقى مستقل ومبتكر فى أسلوبه، والأسلوب الذى اختاره فى " تابلوهاى ايده آل " هو نفسه الذى قد استخدمه أيضًا فى بعض أشعاره الأقدم مثل " كفن سياه " .

وبطل القصة رجل إيرانى وطنى فقد ولديه خلال معارك الثورة الدستورية، وماتت زوجته من شدة الحزن والألم، أمّا ابنته الوحيدة مريم فقد واجهت التعاسة والضياع على يد شاب أرستقراطى، وانتحرت بتعاطى الأفيون.

وتعرض اللوحة الأولى ليلة التغرير بمريم الجميلة على يد شاب طهرانى متفرنج، واللوحة الثانية يوم موت مريم واللوحة الأخيرة قصة والد مريم والتى هى فى الحقيقة لمحة تاريخية موجزة وسريعة عن الثورة الدستورية الإيرانية ونتائجها المريرة.

وفى اللوحتين الأولى والثانية يصور الشاعر مشاهد حية وجميلة لليلة قمرية ربيعية، ونهار خريفى بارد وحزين أمّا فى اللوحة الثالثة فيشرح الأوضاع الاجتماعية فى الدولة فى عهد حكم آخر سلاطين الأسرة القاجارية على لسان والد مريم، ثم يطرح بعد ذلك مُثله العليا الشعرية الجنونية الثابتة بلهجة ثورية انفعالية :

لتنقلب مملكة ذلك العصر كلها رأسًا على عقب

فإن اعتراض الشعب يُواجه بالقوة

لتصبح السماء عدوًا لخونة الأرض

ليُغسّل عصر قتل الشعب

لتُخضّب الأرض بدمائهم النجسة

وليصعد وزراء العدل إلى المشنقة

---

(١) منهم ضياء هشترودى فى " منتخبات آثار " ص ١٦٧.

وليرحل رؤساء قوات الأمن إلى تلك الديار

وليذهب أمناء الإدارات المالية إلى القبر أحياءً

وليرحل وزراء الخارجية عن العالم

بحيث لا يبقى لهم أثر على وجه الأرض

ليطوى بساط الفساد من بعد الآن

وليأخذ قاتل مريم أيضًا جزاءه

وعندما تقل بطانة هؤلاء المفسدين

لن يبقى لهؤلاء البشر وجود بعد ذلك فى هذه المملكة

وستصبح بلاد إيران الفردوس الأعلى

وعندئذ لن يكون الفن هو قتل العاطفة والوجدان

ولن يكون الشرف فى الأرستقراطية والعملات الذهبية

ولن يكون الشرف فى سرقة حصيلة كفاح الكادح

ولن يكون الشرف فى امتلاك القصر الفخم

الشرف ليس الخنطور وليس العجلات الذهبية

وفيما يلى لوحة موت مريم من هذه المنظومة :

يوم موت مريم

مضى شهران على الخريف والأوراق كلها مصفرة

وجو شميران مليء بالغبار بسبب رياح الخريف

وجو دربند بارد لقرب شهر آذار

لقد جاءت بعد الشباب الشيخوخة، فماذا يجب العمل ؟

فالربيع الأخضر انتهى بالخريف الأصفر

فى البداية النهار بديع والشمس جميلة

والظلال الممتدة تسقط أسفل الأشجار

والأوراق تتحرك على وجه الأرض بفعل الرياح الخفيفة . . .

وبدلاً من الهروب جلست على

حجر أملس، ومن وضع الزمان

تحسر شعاع الشمس الضعيف

والأوراق جفت واصفرت وذبلت كلها

وكل الطيور وضعت رأسها تحت ذيلها

وبساط جمال الطبيعة طوى كله

وشجرة السرو تبدو فى نظرى كراية الغم

وبدلاً من أن تجلس الطيور الجميلة

فوق أغصان الورد، نامت على الحجر

وتلوّن وادى دربند كله بلون الزعفران

وبسبب قيل وقال الغربان قبيحة الصوت

صار الوادى مملوءًا بالأصوات القبيحة المنكرة

وأصبيت الحشائش حديثة النمو بالنحافة والجفاف

وجلس الغراب زابلاً فوق الأشجار

وتحطمت فروع كثيرة من الشجر بفعل الرياح

وتهيأ الصفاء للرحيل من بلاد الصيف

وكان سعيدًا بالرحيل عن المنطقة الجبلية

بقدر ما الربيع مفرح وممتع وجميل

فإن الخريف على العكس كئيب ومحزن

وهذا دليل واضح على غدر الدنيا

وتقلبها ظاهر من هذه المسألة

فبقدر ما تبنى فى الأول فإنها تهدم فى الآخر .

احتياج " الحاجة "

من بين أشعار عشقى شديدة اليأس والتشاؤم تعد قطعة " احتياج " قطعة جميلة جدًا .

أى ذنب يرتكبه إنسان متعمدًا فى الدنيا

الحاجة هى التى تهيئ أسبابه

. . . .

رجل سيئ الحظ مطرود من الإدارة

وسقف بيت متصدع بسبب ضغط الثلج والطين
والمرأة فيه تلد الجنين من الهول والفزع على روحها
وترى جثة الابن صاحب العشر سنوات متجمدة
وتئن من سوء الحظ من أول الليل حتى الصباح
ولص يذهب ويسرق منزلاً فى أحد البلاد
يصعد إلى السطح بجسد مرتعش
فيسقط من فوق السطح ويصبح جثة متناثرة
فمن غيرك قاتل هذا الذى لا علاج له ؟
الحاجة، أيتها الحاجة !

فتاة فقيرة، رمز العهد الجديد
راودها الأمل فى وصال شاب ممشوق القوام
ولكن المسكينة بدا كيسها خاليًا من الذهب
وفى النهاية بائع الحطب الطاعن فى السن والقذر جدًا
والذى كان يتحدث دائمًا عن الفحم والقرمة وعن خشب الصفصاف
أخرج من وسط الدكان أكياسًا من الذهب
وزار أمها واشترى الفتاة بقوة الذهب
وبسببك حدث هذا الزواج غير المتكافئ
الحاجة، أيتها الحاجة !

رجيل مسن وقذر وأحمق ومريض وأعرج

لا يفهم ولا يعلم غير التخريف

فوق سرير مع امرأة جميلة وفى قصر أنيق

مستريح لأن عنده القطعة الصفراء الملونة

وأنا الشاب الشاعر المشهور من الصين إلى أوربا

كُتب عليّ أن أتحرك دائمًا بين الأزقة المتعرجة والضيقة

وأن أمشى وأركض من الصباح إلى المساء

لأننى ليس عندى قطعة العملة، لا كانت هذه القطع النقدية

ليمت ذلك الشخص الذى روّجها

الحاجة، أيتها الحاجة !

ولم يكن عشقى وعارف ديمقراطيين ثابتين، ولم يضع أى منهما نصب عينيه صورة واضحة لسياسات العالم، وكان كلا الشاعرين مؤمنين بالأهمية الحتمية والمؤكدة للفرد، وكانت نزعتهما الثورية فى الغالب بلا خطة أو هدف وتتسم بطابع السحق والمحو والإطاحة وتؤدى وطنيتهما المفرطة أحيانًا إلى الفكرة الساذجة الخاصة بتأسيس إيران العظمى (الدعوة إلى الإيرانية) ومثل هذا التطرف واهتزاز العقيدة هو الذى أدى إلى انضمام الاثنين إلى معسكر أنصار سيد ضياء الدين الطباطبائى الذى كان قد دعا إلى إصلاح الأمور، وبرغم هذا لا يمكن إنكار أن أعمالهما حتى وإن فشلت فى تحقيق أمنيات الأحرار الإيرانيين فى إقامة حكومة دستورية قوية وإصلاح الأوضاع الاجتماعية بصورة جذرية، فإنها بالطبع قد أثرت بشكل كبير فى يقظة الشعب ونهضتهم التالية فى سبيل الحرية والخلاص من الضغوط الداخلية والخارجية.

٤ – اللاهوتى (استطراد)

عاش اللاهوتى فى اسطنبول أكثر من ثلاثة أعوام وانضم للإيرانيين المهاجرين فى واقعة الهجرة، وحضر إلى كرمانشاهان ضمن البعثة التبشيرية الألمانية، وعند عودتـــه إلى إيران عبّر عن يأسه وأسفه بهذه الأشعار :

مرة ثانية

أصابتنى الشيخوخة من الحزن على العُش
فلم يبق من وجودى سوى هذا الاسم
من شدة الحزن أيها الناس، أى أيام هذه ؟
أنا بالتأكيد سأمت هذه الحياة

وقلت برغم أننى ليس عندى ريش وجناح
ولا أستطيع الطيران نحو الروضة
فإن لى مخلبًا ومنقارًا وصدرًا ورأسًا
وسأزحف حتى الحديقة

لقد بدت الروضة أمامى من بعيد
فقويت قدماى واشتد عودى
ورأت عيناى المبللتين عشًا
ولّما وصلت احترق كبدى حزنًا

فقد رأيت أنه ليس عُشًا وإنما هو فخ

آه لقد وقعت فى الأسر مرة ثانية .

خانقين العجم، إبريل ١٩١٥

وقد ظل اللاهوتى يصدر صحيفة " بيستون " فى كرمانشاه خلال أول عامين من أعوام الحرب وبعد هزيمة قوات وسط أوربا (الحلفاء) سافر مرة ثانية إلى تركيا وأدار فى اسطنبول مجلة أدبية استمرت خمسة عشر يومًا كان عنوانها " پارس : فارس "[(١)]، وخلال فترة إقامته الثانية فى اسطنبول كانت إيران فى ذاكرة الشاعر دائمًا وكان يئن ويشكو من ألم الغربة والبُعد عن الوطن والأحباب، وفى تلك الأثناء قام أيضًا بنظم أشعار جيدة كثيرة خاصة فيما يتعلق بالمرأة والحجاب وحرية الفتيات الإيرانيات .

وهذه الأشعار من مؤلفات تلك الفترة

إلى الفتيات الإيرانيات

إنـــــنى منــــــذ اليــــــوم قطعـــــــت الــــــصلة بحُـــــسنك

ربمــــــــا ســــــــيحكم علــــــــىّ النـــــــاس بـــــــالجنون

فيــــا قمــــر بــــلاد العجـــــم، يـــــا حـــــسناء عــــالم الــــشرق

تعقلـــــــــــى وانتبـــــــــــهى جيـــــــــــدًا لكلامـــــــــــى !

إنـــــنى حـــــتى الآن قــــد تــــضرعت أمامــــك وســــحقت وجهــــى

فى التـــــــراب كالعبــــــــد فى الحــــــــضرة الإلهيــــــــة

ولكــــــنى ســــــأقول لــــــك اليــــــوم كلامًــــــا صــــــريحًا

بــــــــصورة جــــــــادة وبــــــــشكل رسمــــــــى فانتبــــــــهى

(١) قلنا سابقًا إن هذه المجلة كانت تُنشر فى عام ١٣٣٩ هـ ق، باللغتين الفارسية والفرنسية وكان رئيس تحرير القسم الفارسى حسن مقدم (على نوروز) .

إن قلـــبي لـــن يخــشى بعـــد اليـــوم أســـلحة جمالـــك الفتاكـــة
لأنـــــني لا شــــأن لي مـــــرة أخــــرى بحُـــــسنك
إلى مـــتى.أضـــع الأغــــلال في عنقـــي بـــسبب خــصلة شـــعرك
إلى مـــتى أضـــع الـــسهم في القلـــب البـــاكي بـــسبب رمـــشك
إلى مــــتى يـــدمي قلـــبي بـــدون شـــفاهك الياقوتيـــة
إلى مـــتى يعتـــل جـــسمي بـــدون ذؤابتـــك الثعبانيـــة
إلى مــــــتى أقـــــم أظـــــافرك بالقتـــــل
إلى مـــــتى أصـــــف رموشــــك بأنهــــا الـــشوك
إلى مـــتى أقـــول إن وجهـــك كـــان قمـــرًا في الحُـــسن
إلى مـــتى أقـــول إن قوامـــك كـــان كالـــسرو في المـــشي
فأنـــت قمريـــة الوجـــه ولم يكـــن هنـــاك داعٍ للكـــلام
أنـــت ســـروية القـــوام ولم تكـــن هنـــاك حاجـــة للتـــصريح
جمالـــك أكـــبر مـــن أن أســـتطيع وصـــفه ومدحـــه
ولكـــن كـــل هـــذا كـــلام ولـــيس لـــه قيمـــة
مـــاذا ســـيحدث لـــو صـــنعوا مـــن رموشـــك الخنجـــر
أو سمّـــــوا حاجبـــــك الهـــــلال الرفيـــــع ؟
أنـــــا لا أشـــــترى الجمـــــال بـــــدون علـــــم
فـــلا تبيعـــي ليّ الحـــسن بعـــد الآن وانـــت بالفعـــل
إن عُـــشاق جمـــال وجهـــك هـــم معلمـــو الـــسوء
فـــلا تـــسمحين هـــذه الطائفـــة بـــدخول الـــبلاط بعـــد الآن
إنـــه لا يليـــق بـــك أيتـــها الحـــسناء في عـــصر الحـــضارة هـــذا
ألا تتحلـــــي فاتنـــــة مثلـــــك بزينـــــة العلـــــم
مـــن العـــارأن تكـــوني أنـــت مُختفيـــة وهنـــاك أنـــاس ظـــاهرون
مـــن المُخجـــل أن تكـــوني أنـــت نائمـــة وهنـــاك عـــالم يقـــظ

ألـيس من الظلم أن يُحرم قمر مثلك من النور
أليس من العيب أن تخلو شجرة مثلك من الثمار؟
اخلعي الشادور واذهبي إلى المدرسة وتعلمي
فلا ثمرة لغصن الجهل إلا الإدبار
تعلمي واعرفي أحوال العالم
واخلعي هذا النقاب الأسود من الوجه المبارك
إذا لم يكن هناك علم فما الفرق إذن بين الإنسان والحيوان؟
إذا لم تكن هناك رائحة فبم يتميز الورد عن الشوك
افتحي العقل ومن أجل النهوض بأمتك
جدّى واجتهدى مثل الفاضلات الأخريات
فأنت من تضع فى فم كل شخص الكلمة الأولى
وكل شخص يسمع الكلام أول مرة منك أنت
فاصغِ إذن إلى كل هؤلاء المدققين
الذين لا يخافون من السعي ولا يهربون من العمل
علّمي ابنك وابنتك شرف العمل
لكي يعلموا أن الذل والعار هو الانتفاع بثمرة كفاح الآخرين
تحدّثي عن العلم والحرية والكفاح
حتى ينشأ ولدك على هذه المبادئ
وحتمًا لو كنت أنت مثل هذه الأم الصالحة
فإن نحاس إقبال الوطن سيصبح بك ذهبًا خالصًا

اسطنبول يناير ١٩١٨

وفى بداية عام ١٣٤٠هـ ق، حيث كان حاجى مخبر السلطنة هدايت حاكمًا على أذربيجان، عاد اللاهوتى إلى إيران بشفاعته والتحق بخدمة حرس الحدود فى أذربيجان بنفس رتبة الرائد التى كان عليها، وعُين مساعدًا لفرقة الميجور محمود خان

بولادين، وكما ذكر فى الجزء التاريخى من هذا الكتاب فقد تحالف فى جمادى الآخرة من هذا العام هو ومجموعة من ضباط حرس الحدود مع الوطنيين التبريزيين وهجم على تبريز من " شرفخانه " واستولى الثوار على المدينة بأسرها فيما عدا الحديقة الشمالية التى كانت مركزًا لمقر القوزاق واحتجزوا حاجى مخبر السلطنة والعقيد شهاب، ولكن وقعت حادثة غير متوقعة أفسدت خطتهم وهى أن آترياد القوزاقى الأردبيلى هجم من تلقاء نفسه على أحد أحياء المدينة بقصد السلب والنهب، ودارت معركة دامية يوم الأربعاء العاشر من جمادى الآخرة عام ١٣٤٠هـ ق، وأصيب سلطان تورج ميرزا والذى كان مسئولاً عن إدارة المعركة بطلق نارى أفقده الحركة فتشتت شمل قوات حرس الحدود بدون داعى بعد أن كانت متفوقة حتى ذلك الوقت وهرب اللاهوتى مع مجموعة من الضباط إلى الاتحاد السوفيتى فى أول الليل، وقد ظل فترة مسلحًا فى أذربيجان بالقوقاز حتى قام بتسليم الأسلحة فى آخر الأمر واستوطن فى الاتحاد السوفيتى.

٥ – إيرج

ومن الشعراء الآخرين ذوى المقدرة الفائقة لهذا العصر الأمير إيرج ميرزا جلال الممالك، ولد إيرج بن غلام حسين ميرزا صدر الشعراء[١] بن ملك إيرج ميرزا القاجارى فى تبريز أوائل رمضان سنة ١٢٩١هـ ق، وكان والده وجده كلاهما شاعرين متوسطين وقد ورث إيرج عنهما موهبة الشعر ولكنه تفوق عليهما وعلى مئات الشعراء فى عصره فى هذا الفن. تعلم إيرج الفارسية والعربية والفرنسية فى تبريز، واستفاد من تلمذته على

(١) تخلص غلام حسين ميرزا بـ " بهجت " وقد ولد فى الرابع من صفر سنة ١٢٥٠ هـ ق (السنة التى توفى فيها فتحعلى شاه فى أصفهان) وسافر إلى أذربيجان فى عام ١٢٨٦هـ ق ، وشق طريقه إلى بلاط مظفر الدين ميرزا ولى العهد وحصل منه على لقب صدرالشعراء وفى عام ١٣١٠هـ ق، توفى بتبريز متأثرًا بمرض السل وكان منزل صدر الشعراء الذى قضى فيه إيرج فترة شبابه يقع فى حى سيلاب بتبريز ، المنطقة التى تنتهى بحى ششگلان ونبدأ بطريق سيلاب بباغميشه ، وأنا قد رأيت هذا المنزل المتواضع مرات عديدة فى الطفولة بجداره الطينى وبابه الأرجوانى ، وقد ظل هذا الرباعى فى خاطرى من أشعار صدر الشعراء :

آدم وجد النقصان فى الجنة بسبب المرأة والعنقاء اختبأ بجبل قاف من المرأة
وضربة علىّ بن عمران من المرأة الخلاصة أن ألف بيت تهدّم بسبب المرأة

يد أساتذة كبار أمثال آقا محمد تقى عارف الأصفهانى وميرزا نصر اللـــه بهار الشيروانى ثم درس المنطق والمعانى والبيان فى حلقة درس الآشتيانيين المقيمين فى تبريز، وتعلم اللغة الفرنسية عند المسيو لامبر مع ابن الأمير نظام حسنعلى خان جروسى وتزوج وهو فى السادسة عشر من عمره وبعد ذلك بثلاث سنوات توفيت زوجته ووالده وأصبح مسئولاً عن الأسرة مما جعله يعمل فى البلاط والحكومة .

وأخذ إيرج ينظم الشعر منذ صباه المبكر بينما والده لايزال على قيد الحياة، وكان يلقى عناية وتشجيع حسنعلى خان أمير نظام، وقد على حد قوله :" يحب إيرج مثل ابنه عبد الحسين[١] " .

ويكتب أمير نظام الذى كان رجلاً أديبًا وعالمًا وناقدًا شعريًا، فى إحدى رسائله:

. . . وصلت رسالة حضرة السيد مرفقة بمنظومة فخر الشعراء[٢] وعلمت أن حضرة السيد بموجب لطفه معى قد شجعه ودفعه لكتابة تلك القصيدة، وللإنصاف فإنه قد نظم قصائد جيدة ولطيفة، وهو نفسه "ميرزا شوكلا "الذى كنا نقول عنه إنه لا يقدر على التنفس وأنه كجسد بلا روح، وكان يجلس وكنا نمزح معه ونسخر منه، انظروا الآن حجم موهبته وكم هو شاب موهوب وحسن القريحة، وقد كتبتُ الرد عليه وأرسلت له أيضًا الجائزة فرجاء توصيلها إليه [٣] .

وقال فى الرسالة الأخرى التى كتبها لميرزا عبد الرحيم قائمقام :

لقـــد تأسفـــت لـــوفاة المرحوم صدر الشعراء، وسررت لمجىء "شوكلا" أى السيد إيرج ميرزا خلفًا له، وقرأت مرارًا القصائد التى كان قد أرسلها واستمتعت بها

---

(١) منشآت أمير نظام .

(٢) لقب إيرج بهذا اللقب قبل موت أبيه وكان هذا اللقب قد أعطاه له أمير نظام ، وضاق إيرج بلقب فخـــر الشعراء فى القصيدة التى نظمها فى مدح الأمير :

يا عزيزى دعوتنى فى العيد فخر الشعراء	عندما رأيت أننى أرغب مديحك
وكما أننى لم أخجل لعدم وجود اللقب	فإننى لا أفخر أيضًا بفخر الشعراء
لقد كان هذا هو العار نفسه أما الفخر والمباهاة	عندما تكون أنت الممدوح صاحب المدح

(٣) منشآت أمير نظام ، من الرسالة المؤرخة ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣١٠ .

حيث إنما بدون مبالغة تلى قصائد الفرخى، وتعطى الشعر حقه فى فصاحة الألفاظ وعذوبة العبارات وهى بالطبع تسعد روح المرحوم صدر الشعراء وسوف أبعث الرد على خطابه مع جائزة قدرها عشرون تومانًا إلى عليقلى خان وأفوض لسيادته أمر العناية به وصقل موهبته فهو الذى سيعرف قدره وسيحتضنه ويشجعه هو وأمثاله[1].

وكان إيرج قد بلغ التاسعة عشر من عمره أثناء موت أبيه حيث عهد إليه ولى العهد مظفر الدين ميرزا بنظم وغناء قصائد السلام الوطنى والأعياد.

وعندما فوضت حكومة أذربيجان لميرزا على خان أمين الدولة سينكى عيّن إيرج كاتبه الخاص، لما انتقل إلى طهران لتولى منصب الوزارة أخذه معه أيضًا إلى طهران وقد كلفه بنفس الوظيفة مع إدارة منشآت كرمان ويزد (١٣١٤هـ ق)[2].

وسافر بعد فترة إلى أوربا مع كاتب الحضرة (قوام السلطنة فيما بعد)، وعند عودته عبر طريق تبريز أقنعه نظام السلطنة حاكم أذربيجان بالبقاء عنده وسلمه رئاسة "الغرفة التجارية" وأعطاه وظيفة مناسبة أيضًا فى دار الإنشاء (١٣١٨ هـ ق،).

وفى نفس هذا العام انتقل إلى طهران بصحبة نظام السلطنة وفى عام ١٣١٩هـ ق، حيث سافر نظام السلطنة إلى " خمسه " لتفقد أملاكه، كان إيرج معه أيضًا.

وفى فترة ولاية عهد مظفر الدين ميرزا انتقل إيرج فى أحد الأعوام إلى طهران وكان قد نظم قصيدة فى مدح الأتابك ميرزا على أصغر خان، وتقرر أن تُمنح له عشرة تومانات شهريًا من خزينة الدولة وظل يحصل عليها طيلة الشهور، وبهذه السابقة قبلوه فى العمل بالجمرك الذى كان يُدار تحت إشراف الخبراء البلجيكيين، وأرسلوه إلى جمرك كرمانشاهان وعمل هناك فترة مترجمًا، وبعد ذلك رئيسًا لصندوق البريد والجمرك فى كردستان ولكنه

---

(١) نفس المصدر ، تاريخ الرسالة غير معلوم ولكنها بالتأكيد كتبت بعد الرسالة الأولى.

(٢) وعلى هذا النحو أمضى إيرج حتى عام ١٣١٤ ثلاثة وعشرين عامًا من عمره فى أذربيجان ولكن العجيب أنه برغم كونه ابن أذربيجان وربيبها فإنه لم يشر أبدًا إلى انتسابه لأذربيجان.

لم يستمر طويلاً فى هذه المناصب واستقال من وظيفة الجمرك بسبب اختلافه فى وجهات النظر مع المسئولين البلجيكيين وانتقل إلى طهران (١٣٢٣هـ ق)[١] .

وكان وصول إيرج إلى طهران يوافق سنوات الثورة الدستورية الإيرانية، وقد أورد الدكتور مهدى ملك زاده[٢] اسم جلال الممالك إيرج ضمن الأربعة أفراد المتحصنين بضريح "الشاه عبد العظيم " فى عام ١٣٢٣هـ ق، وأضاف أن هؤلاء الأربعة عندما سمعوا أن العلماء يريدون التصالح مع عين الدولة أقسموا معًا على قتل الطباطبائى والبهبهانى إذا ما قبلا هذا الصلح "[٣] .

---

(١) يتضح من التقرير رقم ٧٤٧٢ بتاريخ ٨ ذى الحجة ١٣٢٤هـ ق، والذى كتبه المسيو نوز المدير العام للجمارك والبريد إلى البلاط أن إيرج قد تم قبوله فيما يبدو للعمل كمترجم بإدارة الجمرك والبريد فى أوائل عام ١٣٢٢هـ ق، وأوفد على الفور إلى كرمانشاهان، وبعد عام ونصف العام كُلف برئاسة جمرك وبريد كردستان وقد أبلغ عنه بعد فترة أنه قام بضبط علب الألوان التى كانوا يريدون تهريبها وأهداها كلها للقنصل العثمانى، ولهذا السبب تم عزله من منصبه حتى ذهب عند المسيو نوز فى طهران أوائل عام ١٣٢٤هـ ق، وطلب العمل فعمل مؤقتًا فى الإدارة المركزية وكلف بعد ذلك برئاسة دار ترجمة جمرك ميناء گز ولكنه امتنع عن قبول هذا العمل واستقال وطلب ضمنًا الحصول على شهادة تفيد بأنه قد فصل من العمل فصلاً تعسفيًا ولكن رفضت الإدارة العامة للجمارك هذا الطلب على اعتبار أنه يجب أولاً إعادة التحقيق فى الشكاوى الواردة.

وقد ذكر فى هذا التقرير بصفة خاصة أن الخادم المخلص للدولة (أى نوز مدير عام الجمارك) قد أخذ على نفسه عهدًا بألا يقبل المذكور بعد ذلك فى خدمة الإدارة ، " لأنه علاوة على الأخطاء التى تصدر منه فإنه هو شخصيًا إنسان مغرور ومتكبر وكثير الإدعاء ، وقد قال إيرج هو الآخر قبل ذلك فى الرسالة التى كتبها للمسيو نوز بتاريخ ١٠ شوال ١٣٢٤هـ ق : " أنت لا يرضيك أن أيأس من عدل سيادتكم وأدائكم للحق فى استعادة كرامتى وتعويض أضرارى ، وأضطر للجوء إلى وسائل لن تعجب سيادتكم خاصة وأنت تعلم أننى أنفق منذ فترة خمسة تومانات يوميًا وأنتظر هذه المحاكمة " ، ويتضح من هذه الرسائل ومن الأشعار التى نظمها إيرج بعد ذلك فى هذا الشأن خاصة من رسالتيه إلى وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى اللتين نقلهما غلامرضا رياضى بعينهما من مخطوطة مدينة الأدب تأليف ميرزاى عبرت ، فى كتابه (إيرج وگزيدۀ آثارش) " إيرج ومنتخب من أعماله " ، يتضح أن طبع إيرج الحساس لم يكن ليتفق مع العمل الحكومى وأن رؤساءه كانوا دائمى الشكوى والتضجر منه وأنه لم يكن سعيدًا بعمله ووظيفته.

(٢) تاريخ انقلاب مشروطيت ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٣) من الصعب قبول هذا الموضوع لأننا نعلم أن إيرج كان يهرب دائمًا من التدخل المباشر فى الشئون السياسية ولم يرحب إطلاقًا بأن يحترف الشعب السياسة.

وفى عام ١٣٢٤هـ ق، حيث كان صنيع الدولة رئيسًا لمجلس النواب فى دورته الأولى ووزيرًا للمالية الإيرانية، انتقل إيرج بمساعدته إلى وزارة المعارف، وأسس سكرتارية تلك الوزارة وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى قتل صنيع الدولة عام ١٣٢٩هـ ق.

وفى عام ١٣٢٦ سافر إلى تبريز بصحبة مهديقلى خان مخبر السلطنة حاكم أذربيجان مع احتفاظه بمنصبه بوزارة المعارف، وتولى رئاسة المجلس المحلى وأثناء ثورة تبريز انتقل معه إلى طهران عبر طريق القوقاز، وقد قامت وزارة المعارف بناءً على اقتراح إيرج بتأسيس هيئة الآثار والتى تسمى الآن الهيئة العامة للآثار.

وبعد عامين توجه إيرج لاستلام منصب مساعد حاكم أصفهان، ويروى وحيد الدستجردى تفاصيل هذه الوظيفة على لسان الشاعر نفسه : " عُينت مساعدًا لحاكم أصفهان أثناء حكومة سردار جنگ وسردار ظفر بختيارى المشتركة وكان كلا الحاكمين فيما يبدو يكنان لى كل الاحترام وقد عملت أربعة أيام فى الإدارة الحكومية ومع أننى كنت رئيسًا لهذه الإدارة إلا أن رجل جاهل غير متعلم يُدعى حاجى يعقوب خان أخذ يحل ويربط هناك دون إذن منى، فطلبنى سردار ظفر عنده ذات ليلة وقال لى : " تعال لأرى كم أخذت من المال؟ " فتعجبت من هذا الكلام وسألته : " أى مال ومن أين ؟ فقال الحاكم : إن مساعد حاكم أصفهان يجب أن يقدم لىّ ألف تومان يوميًا فأجبته : إن هذا الأمر لا يتفق معى أنا، فقال : من الواضح إذن أنك لا ترغب فى أن تكون مساعدًا لحاكم أصفهان، ومن بعدها لم أذهب إلى الإدارة الحكومية وبعد عدة أيام من الإقامة فى أصفهان اقترضت مبلغًا وسافرت إلى طهران(١)".

وقد عُين الشاعر بعد ذلك حاكم " آباده " ثم عضوًا بجمرك أنزلى (ميناء بهلوى) ولكن لم يحالفه التوفيق فيما يبدو فى هذين المنصبين لأنه عند عودته من أنزلى استقال من العمل بالجمرك وتولى رئاسة إدارة المحاكمات المالية (١٣٣٣هـ ق) .

---

(١) نقل قول يو . ن . مار المستشرق الروسى (أرشيف المستشرقين ، شعبة لينجراد ، كلية الأمم الشرقية).

ويدّعى إيرج فى مثنوى "انقلاب أدبى: الثورة الأدبية" حين يتحدث عن قصة الهجرة أنه قد شارك فى ذلك الحدث التاريخى وأنه كان ضمن مجموعة المهاجرين :

ولكـــن خوفًـــا مـــن أن يُحاصـــروا
فقـــد كـــان لابـــد أن يبعـــدوا عـــن الـــرى
لا شـــك أنهـــم اتجهـــوا إلى قـــم
واحـــدًا واحدًا،وعـــشرة عـــشرة، ومائـــة مائـــة
وقـــد كنـــت أنـــا أيـــضًا مـــن بينـــهم
كنـــت واحـــدًا مـــن ذلـــك الجمـــع المـــشتت
وســـأرحل أنـــا أيـــضًا مـــع الرفـــاق
حزنًـــا علـــى الـــوطن، ولكـــن لا أعلـــم إلى أيـــن

وفى نفس عام ١٣٣٤هـ ق، انتحر ابنه الكبير جعفر قلى ميرزا بالطبنجة لسبب غير معلوم فوق السد الترابى لخندق باب الدولة، فجعل حياة الشاعر مريرة صعبة [١].

وفى عام ١٣٣٧هـ ق[٢]، أوفد إيرج ليتولى منصب مساعد مدير الشئون المالية بخراسان،وكان قوام السلطنة محافظ خراسان آنذاك، وكان يتولى إدارة شئونها المالية والجمركية كرنليس البلجيكى ودوبوآ من بعده، وفى عام ١٣٣٩هـ ق، اعتقل قوام السلطنة وأُرسل إلى طهران بناءً على أوامر سيد ضياء الدين، وعندما سقطت حكومة سيد ضياء الدين بعد قليل وتولى قوام رئاسة الحكومة عزل دوبوآ من إدارة خراسان المالية، وأعطى هذا المنصب لإيرج لحين قدوم المساعد الجديد[٣]، ولكن عندما أمسك

---

(١) كان قد درس أول الأمر فى مدرسة آليانس بطهران وبعد ذلك فى مدرسة سان سير الفرنسية وكان شابًا ثوريًا ، ويقول إيرج فى مثنوى " انقلاب أدبى " الذى نظمه فى خراسان :

سوف يهون بعد الآن أمر كل ألم　　　ولكن آه من هذا الألم الذى لا علاج له

(٢) بموجب الحكم رقم ٣٨٢٢٥ بتاريخ ٩ بهمن ١٢٩٧ ش (يناير ١٩١٩ م).

(٣) توجه قوام السلطنة إلى خراسان ليعمل محافظًا لها أثناء حكم أخيه وثوق الدولة (بعد مجاعة ١٢٩٦ ش) وقد حكمها ثلاث سنوات بمنتهى الاقتدار حتى تم احتجازه فى مركز حربى الحـدود عـصر يـوم ١٣ فروردين ١٣٠٠ (أبريل ١٩٢١ م) أثناء عودته من حديقة أحمد آباد بناء على أوامر سيد ضياء الـدين رئيس وزراء الانقلاب، وأُرسل بعد ذلك إلى طهران وفى الثالث من خرداد ١٣٠٠ (مـايو ١٩٢١ م) حيث سقطت حكومة سيد ضياء الدين انتقل من سجن القصر إلى رئاسة الوزراء.

الكولونيل پسيان بزمام أمور خراسان[١] أحضر دوبوآ مرة أخرى ليتولى رئاسة شئون خراسان المالية والجمركية[٢]، فقام إيرج الذى كان تابعًا لقوام فى الإدارة المالية بتسليم الإدارة له.

وبعـــد وصـــول الخبراء الأمريكيين واستلامهم العمل فى أواخر عام ١٣٠١ ش (١٩٢٣م) عُين الميجور ملفين هال رئيسًا لمالية خراسان والأمير محمد مهدى ميرزا محوى (ابتهاج السلطان) مساعدًا له وعُين إيرج مفتشًا عامًا فى هيئة الخبراء الأمريكيين الجديدة ولكن هذا المنصب كان اسمًا بلا مسمى فلم يكن يُرجع إليه أى أمر، وفى الحقيقة فإنهم كانوا قد اعتبروا وجوده فى الهيئة الجديدة غير ضرورى، وأعلنوا إيقاف صرف راتبه الشهرى لحين التصديق على الميزانية من قبل مجلس النواب، وقد حصل على نفقات سفره من مشهد إلى طهران بناءً على طلبه، وانتقل إلى طهران أواخر عام ١٣٤٢هـــ ق، (خرداد ١٣٠٣ش) (مايو ويونيو ١٩٢٤م) وانتظر التكليف .

وتعتبر فترة الخمس سنوات والأربعة أشهر التى قضاها إيرج فى خراسان، وأدى خلالها مهمته هناك من عام ١٣٣٧ إلى عام ١٣٤٢هـــ ق[٣]، هى أكثر فترات نشاطه الأدبى إنتاجًا، فلم يكن فى مقدور الشاعر أن يقف متفرجًا على الحركات التحررية التى كانت قد ظهرت فى كل مكان فى الدولة فى ذلك العصر، أمّا الأشعار التى نظمها فى هذه المرحلة من عمره فتلاحظ فيها بوضوح البساطة والصدق وعمق الفكر ولهجة الصراحة والاعتراض، وفى هذه السنوات تصل قدرته الشعرية إلى ذروتها وتعرّفه كشاعر وطنى كبير .

وعند وصوله طهران قوبل إيرج بالاستقبال الحار من جانب أدباء وشعراء العاصمة وجمهورها العادى الذى كان قد وجد فى أشعاره الكثير من مطالبه واحتياجاته، وقد

---

(١) السابع من تير ١٣٠٠ ش (يونية ١٩٢١ م) .

(٢) أول مرداد ١٣٠٠ ش (يوليو ١٩٢١ م) .

(٣) بهمن ١٢٩٧ إلى خرداد ١٣٠٣ ش (يناير، فبراير ١٩١٩ م إلى مايو، يونيه ١٩٢٤ م) .

أسرعت السيدات بصفة خاصة لاستقباله بشوق وحماس شديدين تقديرًا لشجاعته الفائقة التى كان قد أبداها فى مسألة خلع الحجاب وحرية المرأة وأهدينه زهرية ورد وعلبة سجائر فضية وقطعة شعر، ويكتب المستشرق الروسى تشايكين الذى كان يتابع هذه المراسم : " لقد كانت هذه المراسم البسيطة الخالية من الرياء فى ظروف ذلك العصر ذات معنى كبير فلم يحظ أى شاعر أو سياسى فى إيران بمثل هذا التكريم والتشريف[1] " .

وكانت رئاسة الإدارة العليا لمدارس البنات فى يد السيدة درة المعالى[2] والسيدة نديم الملوك .

وقد نظم إيرج قطعة للإشادة[3] بهما وسمّاهما "مُمزقتا حجاب الجهل عن وجه البنات" إلا أن حاجة الشاعر الإيرانى الكبير للمال قد دفعته للبحث عن عمل فقد ظل حوالى عامين فى طهران ينتظر التكليف، وفى هذين العامين قضى كل أوقاته فى النشاط الأدبى وكان منزله دائمًا محفلاً لمحبى العلم والأدب :

وفى هـــذه الأثناء أى صيف سنة ١٣٤٤هـــ ق، تعرّف عليه المستشرق الروسى يو . ن . مار الذى كان قد أوفد إلى إيران من طرف أكاديمية العلوم السوفيتية للتعرف على الصحف الفارسية، وقد التقى مار بإيرج مرتين وتحدث معه فى منزل تشايكين المستشرق الروسى الآخر الذى كان فى طهران فى تلك الأيام .

ويقول عنه مار : " كان رجلاً داكن السواد، نحيل القوام، متوسط القامة، صبورًا وحليمًا فى القول والفعل[4] " ويضيف كذلك : " أشعار إيرج عندما كان

---

(١) تاريخ حديد ترين أدبيات إيران ص ١٠٢ .

(٢) ابنة شمس المعالى وأم الدكتور علي رضا خان هوش (فيلسوف الدولة) من الذين قدّموا خدمات للثقافة الإيرانية وهى مؤسسة مدرسة " درة المدارس " و " مخدرات " (النساء المحجبات) ولدت عـــام ١٢٩٠ هـــ ق، وتوفيت عام ١٣٤٤ هـــ ق – قبل موت إيرج بعدة شهور – وقد قال إيرج فى رثائها :

تقوســت قامتى كالهلال بسبب موتك   فطلى برأسك وانظرى إلى القامة الهلالية

(٣) مطلعها : جاءتنى هديتان كقرصى الشمس والقمر   مع رسالتين كطبق الجوهرات الثمينة .

(٤) مار ، من ذكريات طهران الأدبية ص ٢٦٠ .

ينشدها هو بنفسه كانت تُنعش روح الإنسان، وتميز بطريقة خاصة فى القراءة تتسم بالبساطة والهدوء الشديدين، وكانت تظهر شعره واضحًا وطبيعيًا بقدر الإمكان[١] ".

ومع أن إيرج قد حاول بعد ذلك أن يجد عملاً مناسبًا له إلا أنه لم يستطع أن يجد لنفسه العمل الذى يساعده على المعيشة، وظل الشاعر الإيرانى ذو المكانة العالية ومسئول الحكومة رفيع الشأن والذى عمل فى الجهاز الإدارى ما يقرب من ثلاثين عامًا، ظل يقضى آخر سنوات عمره فى فقر وشتات، وتتضح جيدًا مسألة الحرمان المادى فى أشعاره التى أنشدها خلال تلك الفترة، والشاعر لا يشكو من نصيبه ويعتبر فقره دليلاً على عفته وخدماته الصادقة للدولة وللشعب ويتباهى باستغنائه وتعففه، ومع هذا فإنه يتحسر أحيانًا على العمر الذى ضاع هدرًا، ويقول ابنه فى هذا الشأن : " عندما كان يتحدث عن أيام شبابه كان يتضح جيدًا من وجهه الحزين أنه يتحسر على السنوات الماضية بتذكره لأيام الشباب بعد أن أعطته الدنيا ظهرها، فيدندن شعره هذا بهدوء وتمهل وبتوجع وحزن خاص:

كانــــت ذكـــــرى أيـــــام الـــــشباب تـــــدمى قلـــــبى
كانــــت لذيـــذة فأصـــابتنى الـــشيخوخة تـــدريجيًا واختلـــف الأمـــر[٢]

وقد تسببت صعوبات الحياة ومتاعبها فى آخر الأمر فى تدهور حالته الصحية حتى توفى بالسكتة القلبية فى الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٣٤٤هـ ق، (٢٢ أسفند ١٣٠٤ ش) (مارس ١٩٢٦ م) قبل الغروب بساعة واحدة ودُفن فى مقبرة ظهير الدولة وقد حُفرت هذه القطعة من أشعاره على حجر قبره :

أيتها الحسناوات يـا مـن تعـشن فى هـذه الـدنيا أو ســتأتين إلى الـدنيا بعــد ذلـك
فهــذا الراقــد تحــت هــذا التــراب هــو أنــا أنا إيــرج، أنــا إيــرج عــذب الـشعر
هنــــا مـــــدفن عــــشق العـــــالم هنـــا مــدفون عـــالم مـــن العـــشق

(١) مار ، الخطبة الافتتاحية للدورة الدراسية ، الخاصة بالأدب الإيرانى الحديث ، ص ١٢٨.
(٢) مقدمة خسرو ايرج على ديوان أبيه ، أرديبهشت ١٣٠٧ ش (إبريل ومايو ١٩٢٨ م) .

ونظم ملك الشعراء بهار هذا الشعر الجميل فى رثائه :

يـــا إيـــرج أنـــت ذهبـــت وبقيـــت أشـــعارك
أنـــت رحلـــت وبقيـــت آثـــارك
عنـــدما ترحـــل القافلـــة عـــن الـــصحراء
فإنهـــا تتـــرك نـــارًا كـــأثر لهـــا
وأنـــت حزمـــت حقائبـــك ورحلـــت عـــن مـــنزلى
فظلـــت نـــارك ولكـــن فى قلـــبى
ســـلبت قلـــوب الأحبـــة فى حياتـــك
وأحرقـــت قلوبنـــا بمماتـــك

....

....

كنـــت فى الـــنظم سمـــاءً صـــافية وصـــادقة
موتـــك ســـكتة ولكـــن غـــير لطيفـــة
لم يكـــن هـــذا العهـــد هـــو وقـــت ســـكتتك
لم يكـــن حـــديثنا عنـــك هكـــذا
القلـــم اتـــشح بـــاللون الأســـود حزنـًــا عليـــك
والكتـــاب شـــق ثوبـــه فى مأتمـــك
والـــشعر صـــار بـــلا وزن والقافيـــة ذليلـــة
والـــسجع والرديـــف والـــرويّ توقفـــوا عـــن العمـــل .

أمّا حياة إيرج الخاصة فقد كانت بدون عنوان وعلى حد قوله: كل ما كان لى من عالم الوجود كان هو فقط اللهو والطرب والسُكر، وكان على حد قول سعيد نفيسى يعيش غالبًا فى الولائم والمجالس الأرستقراطية العجيبة وما يصاحبها من لهو

وشرب ومستلزمات الضيافة والشراهة فى الأكل – حيث كان مجلس الطرب والسرور مجهزًا بالخمر– ولا سيما بعد نشر منظومة " عارفنامه " والشهرة غير العادية التى حصل عليها بسببها وفى مثل هذا الجو أنشأ آخر أشعاره الجميلة[1] .

والأشعار التى بقيت عن إيرج لا تتجاوز أربعة آلاف بيت .

أمّا ديوانه فقد طبع أول الأمر فى طهران فى سبعة مجلدات صغيرة مع مقدمة لابنه خسرو ميرزا عن طريق المكتبة المظفرية من عام ١٣٠٧ حتى عام ١٣٠٩ ش (من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠م) وللأسف لم يُذكر فى هذا الكتاب (وكذلك فى الطبعات العديدة التالية) تاريخ نظم الأشعار – إلا فى عدة مواضع – ولم تقدم إيضاحات بشأن المناسبات التى نظمت بسببها هذه الأشعار والأعلام والأسماء التى قد وردت فى النص.

وبعد ذلك نُشرت كليات ديوان ومنتخبات أشعار إيرج أكثر من مرة فى طهران وقد طبعت منظومتا " عارفنامه " و " زهره ومنوچهر " كل على حدة ونُقلت أيضًا قطع من أفضل أشعاره فى كتب التذاكر والكتب الدراسية والمجلات[2] .

ولم يجعل إيرج الشعر عمله وحرفته ولم يتباهى بالشعر ولم ينظمه إلا بحكم التفنن وإلحاح الموهبة وحتى لقب فخر الشعراء الذى كان قد منحه له الأمير نظام لم يستخدمه فى بداية أمره، وفيما يبدو أنه قلما نظم الشعر حتى منتصف عمره، وكانت أشعاره تنحصر فى قصائد السلام الوطنى والأعياد أو الأشعار ذات طابع التفنن والفكاهة والمزاح الودى، وعلى هذا الأساس فإنه قلما ذكر اسمه لفترات فى محافل طهران[3]، " فى الحقيقة

---

(١) مقالة " خيمه شب بازى " (مسرح العرائس) مجلة سپيد وسياه ، السنة الثالثة ، العدد ١٨ ، ٣٠ آبان ١٣٣٤ ش (نوفمبر ١٩٥٥م) .

(٢) صدرت مجموعة شاملة لأعمال إيرج عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٤م) لآخر مرة بسعى الدكتور محمد جعفر محجوب.

(٣) لم يحب إيرج أشعاره القديمة وحذفها من الدفتر وكان ينفر من هذا الأسلوب الشعرى خاصة فى آخر عمره وفى خراسان وعلى حد قول محمود فرّخ " لم يكن يتحدث إطلاقًا عن ماضيه وإذا سُئل كان يتملص من الجواب " ، وكان يقول باستمرار لأديب البيشاورى الذى كان يحترمه ويصاحبه ويؤمن به : " أنا شاعر وكل ما عندى بفضل مجلسكم ".

أن مرحلة إيرج الشعرية وأيام شهرته هى السنوات العشر الأخيرة من عمره، حيث إنه هجر الأسلوب القديم السابق ومنح أبياته أسلوبًا خاصًا، وبالغ وتفنن كثيرًا فى سهولة البيان وبساطة المقال حتى إن هذه الدرجة من البساطة لا يمكن أن تستخدم فى النثر فى بعض الأحيان[١] " والشيىء الذى جعل اسمه يجرى على الألسنة فى الغالب كان المثنوى المشهور " عارفنامه " وقد نظمه بأسلوب "جلايرنامه" لقائمقام الفراهانى[٢] .

عارفنامه : فى صيف عام ١٣٣٩ – بعد ثورة خراسان بقليل – بينما كان إيرج فى مشهد، سافر أبو القاسم عارف إلى هناك واستضافه الكولونيل محمد تقى خان پسيان حاكم خراسان فى حديقة "خونى" ونظم إيرج الذى لم يكن مرحبًا بعارف مثنوى "عارفنامه"، وعندما وصلت نسخة إلى طهران ونُشرت هناك تناقلتها الأيدى وحدثت ضجة فى المدينة وثار أصدقاء عارف ومحبوه بشدة وهجا بعضهم إيرج وشتموه فى الصحف الكبرى و قام الشعراء بنظم أشعار على نمط عارفنامه ردًا عليها ونشروها[٣].

وقد قيل إن الحوافز المادية والمعنوية التى يقدمها أشراف خراسان ورجال مقر الحكم لم تكن بلا تأثير فى ظهور هذه المنظومة، أو أن إيرج بسبب عناده وجرأته وكونه من الأمراء القاجاريين نظم هذه الأشعار بعد ما علم بكراهية عارف وعداوته القديمة لهذه الأسرة، أو أن إيرج حزن وتكدر من أن " رفيق طهران " لم يهتم به وكيف ذلك وهو المغرور الذى كان مساعدًا للرجل البلجيكى رئيس مالية خراسان القوى وضيف الحاكم العام لخراسان وكاتم أسراره[٤] .

---

(١) رشيد ياسمى ، أدبيات معاصر ، ص ٢٤ .

(٢) يقول عباس فرات:" كان المرحوم ميرزاى عبرت يقول كتبت فى خراسان قبل طبع ونشر عارفنامه أكثر من مائة نسخة منها بأمر أساتذة الأدب" .

(٣) المناظرات الشعرية بين إيرج وأمير الشعراء نادرى الخراسانى تستحق القراءة وبصفة خاصة حول حجاب وسفور المرأة، وهو الموضوع الذى يحتل جزءًا من عارفنامه برغم أن كليهما قام بالفضح والتشنيع.

(٤) يقول الأستاذ سعيد نفيسى فى هذا الشأن : "... عندما حضر ايرج إلى طهران وارتبطت به سألته ذات يوم بشكل ودى عن سر هذا الموضوع فاعترف لى بأنه منذ فترة وهو متأثر وحزين بسبب اللدغات والصفعات التى كان قد وجهها عارف للقاجاريين فى أشعاره وأغنياته، وأنه ينتظر الوقت المناسب للرد=

لا شك أن طهران كانت مصممة على قمع ثورة الكولونيل محمد تقى خان، و لم تكن تتورع فى سبيل تحقيق ذلك عن القيام بأى تحريضات أو عراقيل أو إنفاق المبالغ

= عليه، وكانت هاتان الخصلتان متأصلتين سواء فى عارف أو فى إيرج، فقد كان عارف يكره القاجاريين كراهية صريحة وعلنية وبما أنه كان يشاهد منذ شبابه شهوات بعض الأمراء القاجاريين ليلاً ونهاراً ويعرف نساءهم ورجالهم بل ووصل أذى هؤلاء الأمراء لشخصه هو فأخذوا منه محبوبته بالقوة ، ولـذلك فـإن كراهيتهم قد أصبحت بالنسبة له أمراً طبيعياً بداخله بل وكان يجاهر بها ، ومن ناحية أخرى فإن ايـرج كان يتباهى كثيراً بكونه أميراً وأنا رأيت منه هذا التعصب مراراً ووجدت مرات عديدة أنه كان يفـرح بشدة عندما يقول له أى أحد " يا صاحب المقام الرفيع " وذات مرة كان قد تأذى من أحد الأشـخاص ووصل الأمر إلى مرحلة حساسة ومعقدة ، فقال لى ذلك الشخص : حاول أن تجعل إيـرج يـسامحنى ، فنقلت نفس العبارة لإيرج ، فقال لن أسامحه ، فقلت لماذا ، قال أنت لا تعلم و لم تر ماذا فعل معى ، إنـه يستخف بإمارتى ومنذ ذلك اليوم بدأت أتعامل مع إيرج بمنتهى الحذر حتى لايشعر بالاسـتخفاف مـن إمارته"(من مقالة "خيمه شب بازى" مجلة سپيد وسياد ، السنة الثالثة العدد١٨) .

وقد جاء أيضاً فى مجلة " سخن " : " ... ذات يوم سُئل المرحوم ملك إيرج عن سبب تأليف " عارفنامه " فقال إيرج : أتريد الحقيقة ، إن عارف نفسه هو الذى دفعنى لهذا الأمر فقد أحزن قلبى منه والحقيقة فقد مكثت فترات انتظر منه رسالة حتى سمعت ذات يوم أن عزيزى عارف قد جاء إلى مشهد فظلـت عـينى ترقب الطريق عدة أيام عسى أن يأتى ويسألنى عن حالى ولكنه لم يظهر حتى قابلته ذات يوم بالمصادفة فى حديقة مشهد القومية ، عندما كنت أتنزه وكان هو يقوم بتجهيز ساحة العرض والغناء وعندما وقعـت عينه علىّ قلت إنه سيأتى حالاً حتى نتعانق ونتبادل القبلات ولكنه أعطانى ظهره بمنتهى الجفاء بعكس ما توقعت ، وقال ارفع يدك عنى أيها الأمير ودعنى أصل إلى عملى ، وهكذا أعرضت عنه ووضعت أسـاس منظومة عارفنامه فى طريق عودتى إلى المنزل وحتى مساء ذلك اليوم كنت قد نظمت ستين بيتاً منـها " (پرويز سلطانى ، مجلة سخن ، الدورة السادسة ، العدد ٩) .

ذكر هذا الموضوع محمود فرخ شاعر خراسان الذى شهد القضية بنفسه ، فى هامش إحدى نسخ الطبعـة الأولى من " ديوان إيرج " على هذا النحو : " فى أيام ثورة الكولونيل حضر إلى مشهد عـارف شـاعر الحرية المشهور والذى كان صديقه ، وكانت إقامته فى طهران أمراً عـسيراً أثناء حكومة قوام الـسلطنة ، فأنزله الكولونيل فى بيته وكان ذلك البيت متنزه يعرف بحديقة خونى ، ونحن كنا شـباباً ومتحمـسين ، وكان عارف يبدو فى نظرنا شخصية عظيمة وتمنينا التعرف عليه ، وكان إيرج يقول إننى أحبه بشدة فقد جاء إلى منزلى ألف مرة فاتركوه يومين أو ثلاثة وأنا سوف أدعوه على الغداء ذات يوم وأدعوكم أنـتم أيضاً ، وكانت هذه الأحاديث تدور فى طرق حديقة مشهد القومية، حيث إننا كنا نتنزه وفجـأة ظهـر عارف من بعيد مع اثنين أو ثلاثة من أعوانه ومساعدى الكولونيل ففرح إيرج وتقدم وأراد معانقته فامتنع عارف وأعرض عنه بفتور فبدا إيرج أمامنا منكسراً وحزيناً، وهذا التأثر دفعه إلى البدء فى نظم عارفنامـه وبعد يومين كان قد نظم منها مائة وخمسين بيتاً وأكملها بعد ذلك حتى وصلت إلى ستمائة بيت " (نقلاً عن غلام رضا رياضى ، إيرج ونخبة آثارش ، ص ٣١) .

الضخمة ولكن المستبعد هو أن يقوم إيرج فى هذا الأمر بالتواطؤ والاتفاق مع أعداء الكولونيل والاستفادة منهم، لأننا نعلم أنه منذ اليوم الذى دخل فيه الكولونيل خراسان أصبح واحدًا من أصدقائه الحميمين وكان يؤمن به ويخلص له، أما إيرج الذى عاش قبل ذلك فترة فى تبريز وكان فيها الكاتب الخاص للأمير نظام جروسى ويعرف محمد باقرخان والد الكولونيل وعمه الجنرال حمزة خان ويدرك أحوال أسرة پسيان[1]، فقد كان يعلم جيدًا أن ادعاءات الكولونيل بأن أجداده كلهم خدموا هذه البلاد وكانوا من أصحاب ميرزا تقى خان أمير كبير، ليست ادعاءات جزافية وواهية وأن هذا الكولونيل الشاب لا يريد سوى خدمة الوطن خاصة وأنه علاوة على شجاعته وخبرته فى القتال كان أيضًا شابًا ناقدًا ومحبًا للشعر ويقدر جدًا صداقة إيرج ويعتبر مصاحبته سببًا فى ثرائه المعنوى.

وقد اعترف إيرج بفضائل الكولونيل ومميزاته العلمية والأخلاقية وقام بتمجيد هذه الصفات فى نفس منظومة عارفنامه ومدح طريقته فى العمل على إجراء الإصلاحات :

ولكنــك تملــك بيتًــا فى أحــسن مكــان

فأنــت صــاحب بيــت ولــك معــشوق

فيجــب أن تكــون الوليمــة بــك لذيــذة

فمــن يكــون أفــضل مــن روحــك المــضيافة

رشــيق القــوام، صــادق القــول والفعــل

وقعــت فى تلــك الناحيــة حــتى مــن غــير حــول ولا قــوة

مــؤدب وخجــول وعاقــل ومتواضــع

مهــذب ومخلــص ونظيــف اليــد

خلــوق وعطــوف وصــادق القــول

قــدير ومــع قدرتــه قليــل الإيــذاء

(١) كما قلنا كان منزل صدر الشعراء والد إيرج يقع فى حى " پل سنگى " بتبريز ومنزل والد الكولونيل محمد تقى خان فى حى " سرخاب " ولم تكن المسافة بين المنزلين بعيدة.

لـــــــيس شـــــــــهوانيًا بـــــــــرغم شـــــــــبابه

في الخلـــوة أكثـــر عفـــة وطهـــارة مـمـــا هـــو عليـــه علـــى المـــلأ

عنــــــدما وجـــــــد الإدارات الحكوميـــــــة كلـــــــها لـــــــصوص

يرتكبـــــــون الخيانـــــــة وينـــــــهبون الأجـــــــور

خـــــــرج عـــــــن طاعـــــــة الحكومـــــــة

واســــــتعد بنفــــــسه لإجــــــراء الإصــــــلاحات

فأقــــــــام مركـــــــــزًا للـــــــــدرك

والــــــذى أحــــــدث ضــــــجة فى كــــــل العــــــالم

حيثمـــــا وجـــــد شـــــاب صـــــالح فى أى مكـــــان

التحـــــق بهـــــذا الـــــدرك وحمـــــل الـــــسلاح

كلـــــهم أقويـــــاء وعلـــــى طريـــــق الاســـــتقامة

أصـــحاب بنيـــة ويجمعـــون بـــين جمـــال الخلـــق والخلقـــة

عنـــــدما يقولـــــون "واحـــــد" ويـــــدبّون علـــــى الأرض

يهتـــــــــــز عـــــــــــالم الأفـــــــــــلاك

وقـــــــد أســـــــس فى ذلـــــــك الـــــــدرك

مدرســـــــة نظاميـــــــة مـــــــن أجـــــــل التـــــــدريس

فيهـــــا مجموعـــــة مـــــن غلمـــــان الـــــدرك

فاللـــــــهم احفظهـــــــم مـــــــن الغـــــــى

كـــــل منـــــهم عـــــذب الفـــــم حلـــــو الـــــشمائل

تمامًـــــــا كمـــــــا يحـــــــب قلبـــــــك

أســــــود فى محاربــــــة عــــــدو الدولــــــة

وشـــــــجعان فى ســـــــفك دم العـــــــشاق

بوجـــــــــه عبـــــــوس فى ســـــــــاحة المعركـــــــــة

وبزينــــــــة العــــــــروس فى وقـــــــت العــــــز والـــــــتمكين

كلـــــــهم مهــــــــرة فى جميــــــع فنـــــــون الحـــــــرب

كلـــــــهم يقولــــــــون " هـــــــل مـــــــن مبـــــــارز ؟ "

ولكى يعلم القرّاء أن إيرج لم يكن يستطيع أن يرفع قدمًا ضد الكولونيل لنيل رضا قوام السلطنة وأن الكولونيل لم يكن له أى دخل فى نظمه لعارفنامه، سنذكر أيضًا هذا الموضوع:

نظم الشيخ أحمد بهار مدير صحيفة "بهار" مشهد هذه الأشعار باللهجة المحلية احتجاجًا على اتفاقية ١٩١٩، ونشرها فى العدد العاشر من صحيفته بعنوان " شوخى " (مزاح) :

أخى غلام اُنظر، أين أنا وأين أنت

دع الظلم والجفا، أين أنا وأين أنت

اجعلنا راضين عنك، أين أنا وأين أنت

اقض لنا مصالحنا، أين أنا وأين أنت

أخى غلام انظر، أين أنا وأين أنت !

يا عزيزى بهار، لماذا تمشى وأنت مقطّب الجبين طول العام

لماذا يا أخى، وأنت داخل المجموعة تمشى مقيد اليدين

لماذا تسير فى الطرق الضارة برغم أنك تعلم أنها ضارة

لا تقول الصدق، ولا تكن صادقًا، فسوف تتعب فى النهاية

فكر فى التزوير والرياء، أين أنا وأين أنت

أخى غلام اُنظر أين أنا وأين أنت

أخى غلام، لقد سافرت وشاهدت طهران لفترة من الزمن

ورأيت مركز الفتن المنتشرة فى كل ركن من أركان إيران
شاهدت البلطجية الطمّاعين واللصوص النص نص
شاهدت الفندق والسيارة والمطعم والقطار
فتعال أنت أيضًا إلى هنا واسترح وتمتع،أين أنا وأين أنت
أخى غلام انظر، أين أنا وأين أنت
أخى غلام، روحى فداء حرافيش مشهد
طهران وكل ما فيها بالكامل فداء مشهد
روحى فداء حى " نوغان " بمشهد
روحى فداء كل الإخوة المجانين والجهلاء فى مشهد
قم واجعل روحك فداء، أين أنا وأين أنت
أخى غلام انظر أين أنا وأين أنت
إن عصرنا نحن الشعب الجاهل عديم الهمّة قد انتهى
انتهى عهد عزتنا نحن جماعة المسلمين
واندثر لفظ الحرية وغابت كلمة القانون
أخى غلام العزيز، إننا نحن أهل إيران قد انتهى عصرنا
فاذهب وأحضر التابوت، أين أنا وأين أنت
أخى غلام انظر، أين أنا وأين أنت !

وفى العدد الثالث عشر من نفس الصحيفة بتاريخ الثلاثاء الثانى من صفر سنة ١٣٤٠هـ ق، – اليوم الثانى لاستشهاد الكولونيل محمد تقى خان – نُشرت أشعار أخرى تقليدًا لشعر أحمد بهار والتى كان قد قيل فى مقدمتها : الأبيات التالية أعطاها شخص متخفٍ من خلف باب الإدارة لأحد العاملين بالإدارة (ميرزا أحمد عظيمى) وهرب على الفور، وكانت الأشعار لإيرج جلال الممالك، وكان الشاعر قد أشار فى هذه القطعة المسمطة إلى تحرر سجناء طهران ووصول أحدهم – وهو قوام السلطنة – إلى منصب رئيس الوزراء وإلى سوء أعماله السابقة والأوضاع العامة بالدولة :

أخى غلام أقسم بروحك بأننى قد استمتعت بأشعارك
وتلذذت بجمال أقوالك
وقد أشدت بها ومدحت موهبتك ناثرة الدر
وأقسم باللــه أننى فتنت بك وبعملك
فلم يصف أحد العاصمة بصراحة مثلك
ولم يقل الحاصل والمرئى والموزون والمفهوم
كل ما كان فى العدد العاشر[1] كان مُبرّأ من العيب
لو أنك رأيت فيه حسنًا واحدًا فأنا رأيت عشرة
رأيت شيئًا حسنًا يستحق المدح والإشادة
رأيت شعرك مُحكمًا ونثرك جديرًا بالاهتمام
ولا عدد من أعدادك كان بهذا الحُسن
لم تكن فيه صفحة واحدة بها عيب
كيف تكون كل هذه الأخبار عند أحد غيرك ؟
إذا كانت هناك أخبار، فأين الجرأة على التصريح بها ؟
إن هؤلاء الآخرين مُخنثون فأين الشهم الراسخ ؟
من ذا الذى ينكر شهامتك ؟
الانحناء والتصفيق لك على ثباتك ووفائك
فأنت راسخ وصريح وشجاع
من كان يظن أن هذه الثورة ستحدث
وأن كل لص سيخرج من قسم الشرطة
إن اللص السجين سيصبح رئيسًا للوزراء
سيصبح مصدرًا لتعبك وشقائنا
وستصير البلاد مرة ثانية نفس الحساء ونفس الإناء

(١) المقصود العدد العاشر من صحيفة (بهار).

فهل سيصير ياقوتنا حجرًا ولؤلؤنا رملاً ! ؟
إن رئيس الوزراء هذا لا يصلح فراشًا
ولا يليق بك أن تتعلق به
فإن همّته لا تكون إلا فى الأخذ والسلب
وليس فى بلاطه إلا الراشى والمرتشى
فلو يودع العالم عنده يأكل العالم
ولو يصبح الوطن كسرة خبز فسيأكلها
من تصريحات رئيس الوزراء لشخصين أو ثلاثة
أعدّ أحد الفُسّاق مسرحية وأرسلها إلىّ
وأنا سأشرح حالاً لأبناء الوطن
ما يبصّر عيونهم
لكى يعلموا من هم أمناؤهم الصالحون
ومن هو رئيس وزرائهم الوطنى

فيقول رئيس الوزراء (قوام السلطنة) لوكيله (ميرزا قاسم خان).

لقد مضى يوم أو اثنان، ألن تقوم بأى عمل ؟
ألن تجمع الليرات من هنا ومن هناك ؟
ألن تعقد صفقة أو بيعة، ألن تحصل على دخل أو تلعب قمارًا ؟
ألن تزحف وتنقضّ على فريسة وتصطادها ؟
ماذا سمعت حتى تخاف بهذا الشكل ؟
هل أفزعتك أوضاع خراسان ؟
إن هذا الوطن هو وصمة عار، فنفذ مخططك
إن كل ما يُقال هو تخريف، فنفذ مخططك
إن قدم هذه القافلة عرجاء، فنفذ مخططك
إن مدينتنا هى مدينة الفرنجة، فنفذ مخططك
اسع جاهدًا فينبغى شراء الحقيبة

يجب التفكير فى عربة طريق همدان

فيرد عليه ميرزا قاسم خان الوكيل :

لا تتكلم، إن الأوضاع صعبة، فهيا لنرحل

إن الكولونيل مصمم على الحرب، فهيا لنرحل

والكلام عن المدفع والبندقية، فهيا لنرحل

لم يعد هناك وقت للتباطؤ، فهيا لنرحل

يكفى ما أخذناه من الشعب المسكين

فالتفكير فى نهب الأموال أكثر من ذلك هو ضرب من الجنون

فيرد الأول قائلاً :

دعك من هذا التخريف، إننى لن أصغى لكلامك أيها الجاهل

إننى لن أفرط بسهولة فى "سلامى" و " سده "[١]

ولن أترك الجمل بما حمل لدرك خراسان

ولن أترك لقمة عيشى للدرك ولو ضحيت بروحى

أأظل حيًا وعربتى مُصادرة !

إننى من الممكن أن أحارب الجميع لو أخطأ الجميع

لقد سرق منى الكولونيل ستة وثلاثين جوادًا من أفضل الجياد

ونكت فى قلبى ستًا وثلاثين نكتة مُحرقة

وسلّط الإضاءة على منفذ أموال خراسان

وأشعل نار جروحى برغم أنه عديم الملوحة

فإذا لم أحارب مثل هذا الأمر، فماذا أفعل ؟

إذا لم أسفك دماء كل هذه البلاد فماذا أفعل ؟[٢]

(١) اسمان لقريتين فى خراسان .

(٢) هذا المسمط مفصل ولكننا صرفنا النظر عن ذكر بقيته ، وبعد أن نظم إيرج هذه الأشعار والشتائم التى كان قد وجهها لقوام السلطنة وأخيه لم يستطع البقاء فى مشهد بعد فشل الثورة، ولجأ إلى الأمير شوكت الملك علم حاكم بيرجند وسيستان وكان برفقته معتصم السلطنة فرخ وكيل خراسان والمساعد الإدارى للكولونيل.

وظل إيرج الذى رأى أعمال الكولونيل المذهلة وحادثة موته المفجعة، ظل وفيًا لهذا الشاب الغيور حتى بعد استشهاده وانتهاء أمر الثورة، وسمّاه فى الغزل الذى نظمه فى رثائه "مُحب إيران"[١]:

إن قلبى قد احترق لحالك يا محب إيران
إذ كيف يجعلون أسدًا مثلك فى هذا المرقد
ليس فى عين شعب هذه البلاد دموع
وإلا ما توقفوا عن البكاء عليك
أعداؤك سكارى الخمر الوردية
وأنصارك يتجرعون كأس المرارة
إن الأشخاص الذين يتمنون عزة الوطن
يتمنون الآن بعد استشهادك السراب
ليس فى جسم هيئة المدرك روح
وإلا كانت تحركت من أجل الانتقام

وعلى هذا الأساس فإن موقف إيرج مع عارف ينفصل تمامًا عن موقفه مع الكولونيل، وكما رأينا فإنه يجب بحث غضب إيرج من عارف فى موضع آخر، وعلى كل حال فإنه علاوة على ما نقلناه على لسان پرويز سلطانى ومحمود فرخ فإن الحكاية على ما يبدو أن عارف فى الحفلة الموسيقية التى كانت قد أقيمت فى حديقة مشهد القومية كان يغنى على أنغام بيانو الأستاذ مشير همايون شهردار، وينشد غزلاً كان مشحونًا بالإهانة والتحقير للأسرة القاجارية[٢]، فغادر إيرج صالة العرض فى الحال فاستاء

---

(١) ظل إيرج مطاردًا عقب عملية قتل الكولونيل الدنيئة بل واحتجزوا بدلاً منه بطريق الخطأ الأمير إيرج ميرزا ركنى موظف المالية وأحد أصدقاء إيرج (آذرى ، ص ٣٨٤ ، حائرى ، ص ٦٧) .

(٢) كان الغزل على النحو التالى: إن جيش عشقك قد دمر الوجود أيها الملك لقد هدم بناء عمرى وسوّاه بالتراب .

إلى أن قال : يا رب تشتته مثل خصلة الشعر الشخص الذى شتت المملكة والأمة
إلهى يُصاب بالضيق للأبد كل من خان مملكة ساسان
كالغراب فوق أطلال الشاه عباس جلس عارف ولعن روح الخاقان

الكولونيل بشدة مما حدث وبعث خلفه ياوره جعفر خان الثقفى ولكن دون جدوى وبعد أسبوع نظم إيرج أشعاره المعروفة ونشرها بين الشعب .

والأبيات التالية من مثنوى عارفنامه تثبت مدى كراهية إيرج لعارف :

سمعـــــــت أنـــــــك قـــــد عرضـــــــت الحُمـــــــق الجبلـــــــى
علـــــــــى مـــــــــسرح الحديقـــــــــة القوميـــــــــة
واستعرضـــــــت بجـــــــسمك فى المــــــــسرح العـــــــام
كمـــــــا يـــــــستعرض الحمـــــــار جـــــــسمه
وانتقلـــــــت بحـــــــديثك إلى الموضـــــــع الـــــــسيئ
وأطلقـــــــت هـــــــذا الفـــــــم بـــــــلا رابـــــــط أو ضـــــــابط
أنـــــــا لـــــــن أقـــــــول مـــــــاذا قلـــــــت فأنـــــــا أســـــــتحى
إنـــــــنى أخجـــــــل مـــــــن قلـــــــة حيائـــــــك
لقـــــد قـــــالوا إنـــــك معتـــــاد علـــــى ذلـــــك الـــــشيء
ولكنـــــــك بالغـــــــت قلـــــــيلاً
يـــــــا إلهـــــــى،إن المـــــــسرح كـــــــان ينـــــــادى عليـــــــك
بأنـــــــه لم يعـــــــد أحـــــــد يـــــــشاهدك فـــــــوق المـــــــسرح.

وتشتمل عارفنامه على خمسمائة وخمسة عشر بيتًا[1]، وفى هذا المثنوى يشكو إيرج فى البداية من عارف صديق طهران القديم ويتساءل لماذا لم يترل فى بيته، وبعد ذلك يفعل كما فعل هو ويوجه إليه كلامًا لاذعًا جدًا ويتفوه بأحط الألفاظ، ومع هذا فإن مثنوى عارفنامه من أوله إلى آخره شعر وبه أجزاء فى غاية الجمال حول المرأة والحجاب، وعقد وزواج الأعمى، وظلم المُلاك والرؤساء، وفقر وعجز الفلاحين، ووصف الكولونيل محمد تقى خان وشباب الدرك، ووقفات مع غدر الدنيا، وأكذوبة "السياسة حرفة الشعب " والشكوى والصراخ من عدم وجود قانون، وسوء أوضاع البلاد وأمثال ذلك والتى لولا أنها قد امتزجت بتلك الهزليات لرفعت من قيمة المنظومة إلى حد كبير.

---

(١) طبقًا لطبعة الدكتور محمد جعفر محجوب ، طهران ، ١٣٤٢ ش (٣ – ١٩٦٤ م).

وبوجه عام فإن عارفنامه منظومة تحكى الأوضاع والأحوال السيئة للشعب والدولة فى ذلك العصر أكثر من كونها تتعلق بعارف وعلاقة الشاعرين الإيرانيين الكبيرين وهى فى الواقع عريضة اتهام كلها ذم وهجاء ضد مسئولى الجهاز الإدارى والاجتماعى الإيرانى، وهذا التطابق فى المضمون بينها وبين مطالب وأمنيات الشعب هو الذى أدى إلى سرعة انتشارها بين العوام وترديدها على ألسنتهم ونقل نسخها غير المطبوعة إلى كل أنحاء الدولة كورقة من ذهب(١).

وقد قسم الشاعر الشعب الإيرانى فى هذا المثنوى إلى ثلاث طبقات : الطبقة الأولى الأكابر أى اللصوص المُخيّرين الذين يرتبطون بالأجانب ويأخذون منهم النصيحة ولا علاقة لهم بالوطن، والثانية اللصوص المجبرين أى العاملين بأجهزة الدولة ولا سبيل أمامهم سوى الخدمة وانتظار القليل من المال، وإذا دخلوا فى السياسة فإن هذا من أجل السعى خلف العمل والمنصب والرئاسة ، والطبقة الثالثة هم الرعايا والفلاحون الإيرانيون المساكين والمشردون الذين هلكوا من ظلم المالك عديم الدين وطحنوا كالتراب تحت أقدام صاحب الأملاك وهم جماعة جاهلة غير متعلمة لا تتمتع بالحرية ولا تحب النظام والقانون، وللأسف يعتبر إيرج مثل هذا المزيج الذى يسمى بالشعب الإيرانى غير قادر على تحديد مصيره ولا يعرف طريقًا للخروج من هذا الوضع السيئ، وينصح عارف بأنه لا ينبغى عليه أن يفعل ما لا طائل منه مع مثل هذه الأمة والشعب، ولا يجب أن يتحدث عن العرف والنظام والقانون .

(١) سمع البروفسور مار الذى حضر إلى إيران فى هذه السنوات اسم إيرج أثناء الطريق منذ بداية دخوله وقدم له أحد التجار آخر أعداد صحيفة خراسان والتى نشرت فيها قطعة من بيتين لإيرج وقال له : " لقد ظهر فى خراسان فردوسى جديد " ، (مخطوطة محاضرة مار حول رحلة إيران ، أرشيف المستشرقين ، شعبة لنينجراد ، ورق مقوى ٩٥ ، العدد الخامس سنة ١٩٥٥) وبعد ذلك سمع نفس المستشرق أبيات إيرج حول المشايخ الجهلاء وحرية المرأة على لسان الشعب فى كل مكان (خطبة مار الافتتاحية فى الدورة الدراسية الخاصة بالأدب الإيرانى المعاصر، صفحات (١٢٨ – ١٢٩).

وفيما يلى منتخب من مثنوى عارفنامه:

إلهـــى، إلى مـــتى سـيظل هــؤلاء الرجــال نــائمين ؟
إلى مـــتى ستظل النـساء أسـيرات الحجـــاب ؟
لمـــاذا تُحجـــب طلعـــة الحبيـــب ؟
يـــا رب ارفـــع الحجـــاب عـــن هـــذا اللغـــز
أليـــست المـــرأة إنـــسانة بيننـــا ؟
ألا تميّـــز المـــرأة بـــين الخـــير والـــشر ؟
أتظـــن أن الـــشادور مـــن الحديـــد أو النحـــاس ؟
وأنـــه ســـيمنع المـــرأة إذا كانـــت نـــصابة أو محتالـــة ؟
لـــو أرادت المـــرأة الإتـــصال بـــك
لـــن يمنعهـــا لا شـــادور ولا نقـــاب
إن المـــرأة تلزمهـــا العـــصمة والعفـــة
ولا يلزمهـــا لا الـــشادور ولا الـــسروال
إن المـــرأة المنتقبـــة لـــيس لهـــا إدراك ولاعقـــل
كمـــا لـــيس لهـــا خـــبرة بأســـلوب التعامـــل فى المـــسرح والمطعـــم
لـــو كانـــت المـــرأة تريـــد مكانـــا مغلقّـــا
فـــإن المـــسرح والقلعـــة لهمـــا ســـواء
وإلا فلـــتجلس إذن فى قـــاع مخـــزن البعـــر
أو فى ســـطح بـــرج ايفـــل
مـــا أجمـــل هـــذا البيـــت الـــذى أنـــشده الجـــامى
أعظـــم الأســـاتذة علـــى الإطـــلاق بعـــد النظـــامى
" إن الحـــسناء ملائكيـــة الوجـــه لا تتحمـــل الاختبـــاء
فـــانزع النقـــاب مـــن الوجـــه واكـــشف الـــرأس "

* * *

حـــــين خُلقـــــت كنـــــت أصـــــل الجمــــال

أنـــــت خُلقـــــت مـــــن أجــــل عيوننــــا

النـــــساء هـــــن روح الريـــــاحين فى الحديقـــــة

النـــــساء هـــــن بمثابـــــة الـــــورد واليـــــاسمين

مـــــاذا يـــــضر نعومـــــة وجنـــــة الـــــوردة

إذا مـــــا نظـــــر عليهـــــا البلبـــــل المـــــسكين

كيـــــف تُـــــنزع الحـــــلاوة مـــــن الـــــسكر

ولـــــو طـــــارت حولـــــه مائـــــة نحلـــــة

مـــــاذا يـــــنقص أو يزيـــــد شـــــعاع الـــــشمعة

إذا مـــــا ســـــطع علـــــى شـــــخص واحـــــد أو مجموعـــــة

إذا وقفـــــت فراشـــــة فـــــوق الـــــوردة

لـــــن تـــــصاب الـــــوردة بـــــالأذى مـــــن الفراشـــــة

* * *

إذا مـــــا علّمـــــوا المـــــرأة الـــــشرف

تمكنـــــت مـــــن طـــــرق أبـــــواب الفلـــــك بـــــلا حجـــــاب

إذا مـــــا أدركـــــت حقيقـــــة الاختبـــــاء ســـــيكون

مـــــن الأفـــــضل لهـــــا أن تكـــــون هـــــى نفـــــسها بـــــلا حجـــــاب

فليخـــــرجن ويتفاعـــــلن مـــــع الرجـــــال

ويجـــــتهـــــدن فـــــى تهـــــذيب خـــــصالـــــهن

فـــــإن المـــــرأة إذا تعلّمـــــت وتثقفـــــت

ستـــــضىء الـــــروح بنـــــور المعرفـــــة

ولـــــن ترتـــــد عـــــن العـــــصمة بـــــأى

خديعـــــة ولـــــن تـــــصاب بالبلـــــل إذا مـــــا ســـــقطت فى البحـــــر

وستنـــــشر شـــــعاعها علـــــى العـــــالم كالـــــشمس ولكنـــــها

ستظل هي نفسها سالمة من الاعتداء
فلتذهب المرأة إلى الجامعة وترى الكليّة
ولو جاءت عندك بفستان مكشوف الصدر والظهر
عندما سترى فيها العفة والحياء
ستنظر إليها أنت أيضًا بعين الحياء
فتوقع الخطأ منها محال
وانتظار الخطيئة منها خيال
اذهب أيها الرجل، فكر فى الحياة
لست حمارًا، فاترك هذا الغباء
أخرج من رأسك نحس الخرافات
وانهض من مكانك فإن فى التأخير آفات

* * *

لقد سئم قلبي هذا العمر عديم الفائدة
فقد صار تدريجيًا فاسدًا وعديم المنفعة
لم يعد فى الرأس هوس ولا فى القلب عشق
لم يعد فى الصدر القدرة على التنفس
تارة تتألم الأسنان وتارة العين
وأحيانًا تغضب المعدة بشدة
تزداد تقطيبة الوجه كل دقيقة
لا ينام شعر شحمة أذني على الشقيقة
لقد كان قلبي فى أيام الشباب يتألم ويشكو
قائلاً لماذا تنبت اللحية على وجهي
والآن أشعر دائمًا بالحزن والاضطراب الشديد
وأشكو قائلاً لماذا تسقط لحيتي فى كل لحظة

لمـــاذا يـســقط شــعر رأســى كــالمطر لدرجـــة أن

رأســـى ستـــصبح كالبطيخــة تمامًـــا

ألا مـــوت يُـــباع فأشـــتريه

فهـــذا العـــيش مـــا لا خـــير فيـــه .

الأم

تعتبر قطعة " الأم " من أفضل أعمال إيرج وواحدة من روائع الأدب الإيرانى المعاصر وتوجد هذه القطعة النفيسة والجميلة جدًا والتى جعلها إدوارد براون فى صدر المجلد الرابع من كتابه (تاريخ أدبيات إيران)، فى الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية وهى تجرى على الألسنة لدرجة أن معظم أطفال المرحلة الابتدائية يحفظونها:

يقولـــون عنـــدما ولـــدتنى أمـــى

علّمـــتنى كيـــف أرضـــع ثـــديها

ســـهرت الليـــالى أمـــام

ســـريرى وعلّمـــتنى النـــوم

وضـــعت الابتـــسامة علـــى شـــفاهى

وعلّمـــت الـــبرعم كيـــف يتفـــتح

أمـــسكت بيـــدى وحـــركتنى خطـــوة خطـــوة

حـــتى علّمـــتنى كيـــف أمـــشى

أجـــرت علـــى لـــسانى كلمـــة أو كلمـــتين

وعلّمـــتنى النطـــق والكـــلام

إذن فـــإن وجـــودى مـــن وجودهـــا

ومـــا دمـــت موجـــودًا وهـــى موجـــودة فإنهـــا لى حبيبـــة

زهرة ومنوچهر : يعد مثنوى " زهرة ومنوچهر" بدون شك أقوى وأفضل أشعار إيرج بعد قطعة " الأم "، وموضوع "زهرة ومنوچهر" مأخوذ من وليم شكسبير وهو فى الحقيقة ترجمة حرة لـــ "ڤينوس وآدونيس " للشاعر الإنجليزى الكبير.

وقصة الحب الشعرية بين ڤينوس (آفرودين) آلهة العشق والجمال وآدونيس ابن ملك قبرص وحفيده تعد واحدة من أجمل فصول الأساطير اليونانية.

فقد أحيا شكسبير رواية لأسطورة ڤينوس وآدونيس من جديد فى الأدب الإنجليزى وفقًا لذوق شعب عصره، وأخذها إيرج من الشاعر الإنجليزى ونقل الجزء الأول من القصة إلى الشعر الفارسى بعنوان "زهرة[1] ومنوچهر" والذى يتناول حب ڤينوس للصياد الشاب وتعلقها الشديد به.

وقد جعل إيرج مكان وقوع الأحداث فى المناطق الجبلية الإيرانية، وصوّر الشاب "آدونيس" على هيئة ملازم أول فى الجيش، ومنوچهر بطل قصة إيرج صاحب الستة عشر عامًا ليس هو آدونيس الأسطورى وإنما هو عسكرى عصرنا الذى " حيكت على طرف قبعته لبّة هلالية " والممنطق بالسيف وحامل النيشان والرتبة العسكرية وقد ذهب بالبندقية والرصاص بحثًا عن الصيد الجبلى وهو شاب حيى وخجول لم يجرب بعد صراع العشق و لم يذق لذة السكر، وهو بسيط ومع ذلك فإنه متبصر فى عواقب الأمور.

أمّا زهرة التى لها دور مشترك تقريبًا فى الأدبين الإيرانى واليونانى، وفى كلتا القصتين هى نفسها بنت السماوات " الذكية "، فإنها فى شعر إيرج ذات صفات أرضية وفى الحقيقة واحدة من أجمل الجميلات الإيرانيات.

وتبدأ القصة بلقاء " زهرة " و "منوچهر" فى وقت مبكر من أوقات السحر، حيث لم تكن الشمس قد بزغت بعد و لم يكن النرجس قد أفاق من نومه.

---

(١) الزهرة : ثاني كوكب في المجموعة الشمسية من حيث قربه إلى الشمس، ويسمى أيضًا ڤينوس نسبة إلى إلهة الجمال ، ولهذا السبب على ما يبدو اختار الشاعر هذا الاسم ليطلقه على البطلة (المترجم).

فزهرة السماوية التى خلعت ثوب الأفلاك وارتدت حجاب أهل الأرض تهبط من مخدعها السماوى وتظهر لمنوچهر فى موضع الصيد ومن أول نظرة تقع فى حب " ابن الأرض " وتسقط فى شباك الشاب الشجاع.

وكل أبيات هذا المثنوى مملوءة بالصور العديدة الملونة الخاصة بتضرع زهرة ومناجاتها وتمنع منوچهر وبخله فى العواطف.

لقد قام شكسبير فى عمله ببيان الموضوع مباشرة بدون تمهيد أو مقدمة، أمّا إيرج فإنه يسرد مقدمة طويلة قبل شرح لقاء زهرة والعسكرى الشاب يتحدث فيها عن وسامة بطل القصة ورأسه وقيافته وأخلاقه وصفاته وميوله والعوامل التى دفعت "عروس الفلك الثالث" للهبوط من السماء إلى الأرض، ويبين بالتفصيل الشديد اشتعال نيران أول حب لها، والواضح أن الشاعر الإيرانى كان يريد بهذه المقدمة تعريف قرّائه بموضوع الحكاية القديمة.

وقد استخدم إيرج فى نقل القصة إلى اللغة الفارسية قمة المهارة والأستاذية فقد مزج المضامين التى استعارها من الشاعر الإنجليزى بمشاهد الحياة الإيرانية التقليدية المألوفة لدرجة أن القارئ لا يشعر قط بأن موضوع القصة ومشهد لقاء وحوار الأبطال قد تُرجم أو اقتبس من عمل أجنبى[١].

ولتعريف القرّاء بطريقة عمل إيرج ومهارته الفائقة فى الترجمة سنعرض فيما يلى أجزاء من النص الإنجليزى وما يقابلها من المنظومة الفارسية.

وقد حافظ الشاعر فى هذه الترجمة والاقتباس إلى حد كبير على الصورة الأصلية للشعر الإنجليزى، وإذا كان قد أحدث تغييرًا طفيفًا فى بعض الأحيان فى تركيب الكلام وأسلوب البيان لمراعاة ذوق القرّاء الإيرانيين، فإن هذا التغيير لم يكن بالقدر الذى يخل بأصل الموضوع.

ففى النص الإنجليزى تخاطب "ڤينوس" " آدونيس " بهذا الشكل:

---

(١) مثلاً عندما يتحدث الضابط الشاب عن العسكرية وحب الملك أو عندما تحصى زهرة أعمالها العظيمة واحدًا واحدًا فى اكتشاف ورعاية الفنانين الإيرانيين (الكولونيل وزيرى وكمال الملك وغيرهما) .

Ten Kisses short as one, One long as twenty
....
Give me one kiss, I'll give it three again
And one for interest, if thou will have twain

أمّا فى منظومة إيرج فتقول زهرة لمنوچهر :

تــــارة تأخـــذ مـــنى فى عـــشر ثـــوان بـــلا زيـــادة
أو نقـــصان ثلاثـــين قبلـــة متاليـــة
وتـــارة آخـــذ منـــك قبلـــة واحـــدة
تكـــون فى الطـــول أكثـــر مـــن الـــثلاثين
لـــيس فى كلامـــى هـــذا خـــداع
فلـــو أقرضـــتنى قبلـــة واحـــدة
سأضـــع عليهـــا قبلـــة أخـــرى مـــن عنـــدى
وأردهـــا لـــك بعـــد لحظـــة
لا أقـــول أعطـــنى قبلـــة بـــلا مقابـــل
بـــل أعطـــنى قبلـــة واحـــدة وخـــذ اثنـــتين

وتلفت " ڤينوس " نظر " آدونيس " لجمالها بهذه العبارات:

Or Like a nymph, eith long dishevell'd hair
Dance on the sands, and yet no footing seen
Love is a spirit all compoct of fire,
Not gross to sink, butlight , and will aspire
Witness this primrose bank whereon I lie !
These forceless flowers like study trees support me

ولكن بدلاً من رقص " الحورية " الرشيق فوق رمال الساحل استخدم إيرج الفراشة ذات الأجنحة الرقيقة وجلوسها الهادئ فوق زهور الحديقة، والظاهر أن المضمون الأخير مألوف أكثر بالنسبة لذهن القارئ الإيرانى:

عنـــدما أرقـــص علـــى هـــذه المـــروج الخـــضراء
لا تتـــرك أقـــدامى أثـــرًا علـــى الخـــضرة
وعنـــدما أتمايـــل نـــشوانة وأضـــع قـــدمى علـــى الـــوردة
أكـــون بعـــد الفراشـــة فى الخفـــة والرشـــاقة
إنـــنى أنتقـــل مـــن وردة إلى وردة
دون أن أصـــيب الـــورد بـــأى أذى
إن رقـــصى علـــى رؤوس ورود الحديقـــة
كـــرقص الـــشعاع أمـــام المـــصباح

وهذا المضمون المشهور الذى يقول إن " التمنع والدلال يزيدان من لهيب العشق "، قد بيّنه شكسبير فى سطرين بطريق الاستعارة:

An oven that is stopp'd , or river stay'd
Burneth more hotly , swelleth with more rage.

أمّا إيرج فقد شرح هذا المضمون من جوانبه المختلفة فى عدة أبيات بأسلوبه وذوقه الخاصين:

إن صـــدّ العاشـــقات يزيـــدهن شـــوقًا وولهًـــا
كمـــا أن الـــدلال يزيـــد القلـــب المكلـــوم إدمـــاءً ونزفًـــا
كـــل مـــا كـــان ســـهل المنـــال
كـــان قليـــل القـــدر ورخـــيص الـــثمن
إن اليـــاقوت هـــو نفـــس هـــذا الحجـــر ولكنـــه أحمـــر
ومـــا أكثـــر الأحجـــار الحمـــراء الجميلـــة مثلـــه
ولَمـــا كـــان اليـــاقوت يـــستخرج بـــصعوبة مـــن المـــنجم
فـــلا شـــك أنـــه يكـــون أغلـــى مـــن كـــل الأحجـــار
ولـــو كـــان الراديـــوم كـــثيرًا أيـــضًا
لأصـــبح بـــنفس قيمـــة أحجـــار الـــصحراء

Torches are made to light , jewels to wear,
Dainties to taste, fresh beauty for the use ,
Herbs for their smell ...,

قد عبّر عنها إيرج بهذه الكلمات:۔

إن لم تكــــن قـــــد أعطيــــــت كــــــل هــــــذا الحُــــــسن
مــــــن أجـــــل العــــــشق والهـــــوى فلــــــم أُعطيتــــــه ؟
لقـــــــد ظهـــــر المـــــنجم مـــــن أجـــــل بــــــذل الـــــذهب
كمـــــا نمـــــا الغـــــصن مـــــن أجـــــل إعطـــــاء الثمـــــر
والغـــــرض مـــــن المـــــصباح هـــــو نـــــشر الـــــضياء
والحديقـــــــة مهمتـــــــها الفرجـــــــة والـــــــتتره
لقـــــد خُلـــــق الـــــدُر الـــــثمين مـــــن أجـــــل الزينـــــة
كمـــــا خُلقـــــت الفتـــــاة البكـــــر مـــــن أجـــــل الـــــزواج

وأبيات " زهرة ومنوچهر" هذه تتطابق مع منظومة شكسبير سطرًا بسطر تقريبًا:

وقالـــــت آه منـــــك أيهـــــا الفـــــتى الحجـــــرى القلـــــب
يـــــا مـــــن يخجـــــل الحجـــــر الـــــصلد أمـــــام صـــــلابة قلبـــــك
لـــــو أن أمـــــك قـــــد تمنعـــــت مثلـــــك هكـــــذا
لمـــــا جئـــــت أنـــــت إلى عـــــالم الوجـــــود
عجبًـــــا لمـــــن ولدتـــــه امـــــرأة
ثم يحـــــاول الفـــــرار هكـــــذا بعيـــــدًا عـــــن المـــــرأة

Art thou obdurate , flinty, hand as steel.
Nay, more than flint , for stone at rain relenteth ?
Art thou a woman's son, and canst not feel
What tis to love? How want of love tormenteth ?
O had thy mother borne so hard a mind
She had not brought forth thee , but died unkind.

ولكن برغم كل هذا التطابق والتشابه بين النصين فإن " زهرة ومنوچهر" يعد عملاً مستقلاً تمامًا وأغنية رومانسية حية وجميلة، وعشق " زهرة " وغرامها فى هذه المنظومة – بعكس معظم القصص الإيرانية – ليس عشقًا سماويًا أو صوفيًا، وإنما هو عشق أرضى وبشرى بكل جماله وكماله الطبيعي. ويعد الحوار الذى يدور بين الأبطال والذى يشكل الجزء الأعظم من القصة، نموذجًا رائعًا للكلام الفارسى المنظوم فهو سلس وبليغ ويفيض بالمزاح والفكاهة والعذوبة، والشاعر فى هذه الأبيات يصور الشخصيات بأفكارهم وأحاسيسهم فى جميع المواضع بعبارات بسيطة وموجزة ومؤدية للغرض، وبسبب هذا الأسلوب البيانى وخصائص هذا العمل غير المسبوقة تقريبًا فإنه قد لقى القبول بمجرد نشره وجرت على الألسن الكثير من مفرداته كالأمثال الشعبية :

إن الطائر المذعور لا يصير أليفًا بسهولة
لم ير الفخ من سقط فيه

*

من كان الخجل والحياء مرشده
يخطف الناس القلنسوة من على رأسه

*

حينما تكون الرغبة عند حد الطلب
تكون كفرع ورد جاف سرعان ما يتحول إلى حطب

*

تجادل أو لا تجادل فقد فزت
فأنت جميل الوجه مهما فعلت

*

لا تكن ساذجًا فى هذه الدنيا
فالسذاجة لا تأتى منها أى جدوى أو منفعة

وقد قضى إيرج آخر سنوات عمره فى نظم " زهرة ومنوچهر" ولكنه للأسف لم يستطع إتمامها، وبرغم ذلك فإن الجزء الذى بقى للذكرى من هذه المنظومة يعد ثروة كبيرة للأدب الإيرانى المعاصر[1].

أمّا قصة ڤينوس وآدونيس التى لم ينجح إيرج فى نظم بقيتها فإنها تنتهى فى النص الإنجليزى نهاية محزنة على هذا النحو – بالطبع مع التطويل والتفصيل وبعض العبارات الشعرية – :

يودع " آدونيس " " ڤينوس " ويذهب لصيد الخنزير البرى، وتظل " ڤينوس " فى مكانها برهة بقلب حزين، وبعد ذلك تهيم فى الصحراء نائحة باكية تبحث عن ضالتها، وفجأة تصل إلى وسادة " آدونيس " حيث كان مستلقيًا على الأرض وقد مزقت صدره أنياب الخنزير البرى[2]، فتمسك بيده وتنظر إلى شفتيه فتجدهما باردتين لا حياة فيهما

---

(١) عدد أبيات " زهرة ومنوچهر" فى طبعتها الأولى التى نشرتها مكتبة طهران بإذن خسرو ميرزا ابن الشاعر ، لا يتعدى ٣٥٦ بيتًا وقد كتب سيد هادى الحائرى أن أبيات هذه المنظومة ٤٣٥ بيتًا فى المجلد الثانى من " أفكار وآثار ايرج " طبقًا لنفس الجزء الذى نشرته مكتبة طهران بعد مطابقته بكتب التذاكر، وذكر غلامرضا رياضى فى كتابه المفيد " ايرج وگزيدهٔ آثارش " أن أبيات " زهرة ومنوچهر " ٤١٩ بيتًا ، وأخيرًا أوصل الدكتور جعفر محجوب (تحقيق در احوال وآثار ... ايرج ، تهران ، ١٣٤٢ ش) عدد أبيات هذا المثنوى إلى ٥٢٨ بيتًا ، وهذا الاختلاف فى عدد الأبيات ناتج فيما يبدو عن أنه بعد موت الشاعر أضاف كل شخص بعض أبياته لهذا العمل النفيس وحتى بعض الأشخاص (كان أحدهم الدكتور محمود حسابى أستاذ الجامعة وكذلك مصطفى قلى بن سليمان المتخلص بأديب) أرادوا إتمامه ، وبما أنهم لم يكن يعلموا أن " زهرة ومنوچهر" ترجمة فقد أنهاها كل منهم على حسب ذوقه بشكل أو بآخر، والآن إذا استحال تحديد واستخراج جميع الأبيات المضافة بصورة صحيحة، فإنه يمكن الحكم بشكل قاطع وجازم على الأقل بالتدقيق فى أسلوب بيان إيرج واستحكام كلامه أن ٧٦ بيتًا من بين ال ٧٧ بيتًا التى وردت فى آخر النسخة التى نشرها الدكتور محجوب (أى باستثناء بيت : آه چه غرقاب مهيب است عشق ... الخ) (آه من العشق يا له من دوامة مخيفة) كلها مضافة ومن تأليف الآخرين.

(٢) جاء فى الأساطير اليونانية أن غياب " ڤينوس " الطويل يقلق زوجها والآلهة العاشقين الذين كانوا يعشقونها جميعًا فى السر، وفى آخر الأمر يكتشف الموضوع "مارس" (المريخ) آله الحرب الذى كانت له علاقات غرامية علنية مع " ڤينوس " فيضمر العداء لآدونيس ويمزق خاصرته وهو فى صورة خنزير برى أثناء صيده فى الجبل والغابة.

فتغنى فى أذنه قصة الحب والعشق فتجده هكذا هادئًا وبارد الأعصاب، فتفتح جفنيه فتجد تحتهما شمعتين محترقتين ومنطفئتين، فتلطخ وجهها بدم الحبيب المتجمد وتقول فى نفسها : الآن وقد خطف الموت حبيبى، فلا كان أبدًا ذلك العشق الذى يسبب الشقاء والحرمان .

وفى هذه الأثناء كأن جسم " آدونيس" يتبخر ويطير فى الهواء وفى ذلك المكان الذى كان قد نزف فيه دمه تنمو زهرة أرجوانية بها أجزاء بيضاء من كل ناحية[1]، فتقوم " ڤينوس " (زهرة) بقطف تلك الزهرة من الأرض وتضعها فى صدرها وتجلس على عجلة من نور يجرها الحمام الأبيض وهى كسيرة البال مكلومة الفؤاد وتصعد إلى السماء، وبعدها لا تقصد العالم الأرضى أبدًا مرة ثانية .

لا يمكن التوقع بسهولة كيف كان إيرج يريد إنهاء قصة " زهرة ومنوچهر" وقد سمعت من حسين سميعى أديب السلطنة أنه قال إن إيرج نفسه ظل مترددًا فترة طويلة و لم يكن يعرف بالضبط كيف يختم قصة الحب هذه بالهجر أم بالوصال ولكن بالنظر إلى أن الشاعر كان معه الأصل الإنجليزى للقصة أو ترجمتها بدون أدنى شك، وأنه استخدم فى بدايتها الألفاظ العاطفية الجياشة إلى حد كبير فإنه يمكن استنتاج أن الشاعر لم يكن ليتجاهل هو الآخر نهايتها المؤلمة المحزنة .

ويتضح جيدًا من الأبيات التالية أيضًا والتى قد وردت فى آخر أجزاء " زهرة ومنوچهر" أن الشاعر الإيرانى لم يكن أمامه سوى أن يمزج كأس العشق بسم العذاب والحرمان وينهى الحكاية بموت الحبيب وحرمان الحبيبة :

برغم أن العشق هو دينى ومذهبى

فإننى أصب عليه الآن جام غضبى ولعنتى

لقد أصابنى العشق بالهموم والأحزان

---

(١) Adonis : اسم زهرة ، وهو يرمز أيضًا للشاب الوسيم جدًا.

فليـــــــعب هــــــو الآخــــــر بـــــــالهموم والأحـــــزان

ولـــــــيكن جـــــــزاؤه اليـــــــأس وخيبـــــــة الأمـــــل

ولـــــتكن بدايتـــــه عذبـــــة ونهايتـــــه ســـــينة مـــــرّة

وليمـــــت مـــــن فـــــرط الـــــسعادة أو مـــــن فـــــرط الـــــضيق

ولا يتمتـــــع علـــــى الإطـــــلاق بحـــــد الاعتـــــدال

ولـــــــيكن متقلبًـــــــا دائمًـــــــا كالأطفـــــــال

يفـــــــرح بـــــــلا ســـــــبب ويغـــــــضب بـــــــلا داعٍ

ولـــــــيقم بـــــــإدارة منزلـــــــه بالنـــــــهار

خـــــــادم ثمـــــــل ملقـــــــب ب " حـــــــارق المـــــــنزل "

ولـــــــتقم بترتيـــــــب فـــــــراش نومـــــــه بالليـــــــل

خادمـــــــة مختلـــــــة تـــــــدعى " المـــــــضطربة "

ولـــــــيكن أســـــــير " لا " و " نعـــــــم "

ولا يفارقـــــه الخـــــوف والرجـــــاء لحظـــــة واحـــــدة

ولـــــــيكن الـــــــصبر أمنيتـــــــه البعيـــــــدة

ولـــــــيكن غارقًـــــــا فى الـــــــشكوى والأنـــــــين

وفيما يلى أبيات من مثنوى " زهرة ومنوچهر" :

فى الـــــصباح حيـــــث لم تكـــــن الـــــشمس قـــــد بزغـــــت بعـــــد

ولم يكـــــن النـــــرجس قـــــد أفـــــاق مـــــن نومـــــه

والـــــورد الأحمـــــر المتفـــــتح ذو الرائحـــــة المـــــسكية

يغـــــسل يـــــده ووجهـــــه بالنـــــدى فى الروضـــــة

وينتظـــــــر منـــــــشفة ريـــــــاح الـــــــسحر

كـــــــى يجفـــــــف بهـــــــا وجهـــــــه المبلـــــــل

قالت السلام عليك يا إبن القمر والشمس
كفى الله وجهك الجميل شر عين السوء
يا من أنت أحسن فاكهة لأجمل بستان
والبرعم الأحمر للروضة البهية
أنت تموُّج خصلة شعر عروس الحياة
وأنت الخال الجذاب لوجه الكائنات
فى روضة الحسن تصارع على وجهك
الورد وطائر الفاخته،هذا باللون الأحمر وذاك باللون الأبيض
اغرس غصن الورد فى الخضرة
فما أجمل غصن الورد فى وسط الخضرة
اربط ذلك الحبل بمؤخرة السرج
واقفز من فوق السرج على الأرض
ولو ترغب أُشبِّك يدى
وأصنع من كفوف يدى ركابًا
كى تضع قدمك على كفى
وتشغل مكانك فى قلبى
أو ضع قدمك على كتفى
ثم انزل من على كتفى واسقط فى أحضانى
فهيا إلى حضنى أيها الرقيق خفيف الروح
حتى أفترش بك المروج الخضراء
ولو ترغب، استشر قلبك
وكل ما يقوله قلبك افعله بالضبط
كل هذا سمعه منوچهر منها
ولم يرق قلبه لها أبدًا

فقد كان يسيطر عليه الطابع العسكرى
ويمنعه من الافتتان والوقوع فى الحب
لا شك أنه لم يرد بسبب الحياء
فقد تلقى خطابًا ولم يرد عليه
كأن شفتى ذلك الفتى الملائكى
قد التصقتا من كثرة المشهد
فبادرت زهرة بالحديث مرة أخرى
وبدأت فى عزف لحن العشق
إن الذى أعطاك هذا الفم الدقيق
وتلك الشفاه الوردية المريحة للروح
قد أعطاها لك كى تنثر بها القبلات
فتأخذ أحيانا وتعطى أحيانا
تارة تأخذ منى فى عشر ثوان بلا زيادة
أو نقصان ثلاثين قبلة متتالية
وتارة آخذ منك قبلة واحدة
تكون فى الطول أكثر من الثلاثين
ومدت يدها وأمسكت بلجام حصانه
ثم أمسكته وأحكمت قبضتها عليه تمامًا
وجذبته من فوق سرجه جذبة عنيفة
وأخذته فى حضنها وارتمت به على الأرض
وتمدد كلا الاثنين على المروج الخضراء
وكل منهما وضع رأسه على ذراع الآخر
فاكتست وجنتا كل منهما بالحمرة
وجنتاها بحمرة الشهوة ووجنتاه بحمرة الخجل

ولقد همّت به تقبّله من وجهه الجميل

فطار لون منوجهر من وجهه

وارتعشت كل أجزاء جسمه

من قمة رأسه إلى أخمص قدمه

فلم تتحمل زهرة هذا الأمر

وذابت القبلة بين شفتيها

هذا هو منظرى البهيج

هذا هو شكلى المُفرح ...

عندما أرقص على هذه المروج الخضراء

لا تترك أقدامى أثرًا على الخضرة

لا تهبط الخضرة تحت قدمى

فأنا أنعم من الحرير على الجسم

وعندما أتمايل نشوانة وأضع قدمى على الوردة

أكون بعد الفراشة فى الخفة والرشاقة

إننى أنتقل من وردة إلى وردة

دون أن أُصيب الورد بأى أذى

إن رقصى على رؤوس ورود الحديقة

كرقص الشعاع أمام المصباح

خذ منى قبلات كثيرة

وإن لم تعجبك فأعدها إلى مكانها مرة ثانية

أغمض عينيك كى لا ترانى

وأنا سأختبئ منك فى هذه الأركان

فإذا وجدتنى وأمسكت بى

سأعطيك كل ما تتمنى

هات الحصى ولنلعب لعبة الجوز والفرد
بشرط أن تكون القبلة هى الرهان وليس الكلام الفارغ
تجادل أو لا تجادل فقد فزت
فأنت جميل الوجه مهما فعلت
هيا انحن ورشنى بالماء من هذا الجدول المتدفق
واقذفنى بالمياه من الرأس إلى القدم
واملأ كفوف يدك بالماء من العين
واركض خلفى ورشنى به
فإن لى رداء رقيق وضيق
عندما يبتل فإنه يلتصق جدًا بالجسم
وإن تجاوز مطلبك حدود القبلة
فسأربت على شفتيك بأنامل الأدب
انظر إلى المروج الخضراء فقد نبتت حديثًا
إنها صافية ولامعة وقطعة واحدة
إنها مكان اللعب والتدحرج فى فصل الربيع
فهى من أجمل تدحرج الأحبة
فهيا بنا كفراشتين سعيدتين
نطلق العنان لأنفسنا مع رياح السحر
لنتشابك الأيدى ونتدحرج عليها معًا
تارة ملتصقين وتارة منفصلين
اقذفنى وعضّنى كما تفعل القطط
دعنى وألقنى ثم التقطنى مرة أخرى
صر طفلاً ونم فى حضنى
وارضع اللبن من حلمة ثديى

واطلب المسك من ذؤابتى
وجفف عرقك بنَفَسى
اقفز وابتهج وطرقع الأصابع
اقطف الوردة من الغصن واقزفنى بها
تنسّم رائحتى كالوردة وارشف من جسدى كالخمر
اطرحنى أرضًا واكشف عن جسدى وكن أنت غطائى
تبسّم وتفتح كالبرعم
تمايل وتثنَّ وتدلل بإغراء
قالت هذا وطلبت القبلة مرة أخرى
وتهلل ذلك الوجه العبوس وتفتح كالبرعم
وعندما أراد أن يحاور زهرة
تشابكت أهدابه
لم يكن نوم أهدابه من باب الدلال
وإنما كان نائمًا فيها أحد الأسرار
من الطبيعى أن الرجل فى منتصف الطريق
عندما يصل إلى حافة الهاوية
ويريد أن يقفز من هذه الناحية إلى تلك الأخرى
فإنه يغمض عينيه من الخوف
فقد كان شابًا يافعًا بعيد النظر
وكان يعرف عاقبته جيدًا
ولقد رأى أنه قد وصل إلى حافة الهاوية
فأغمض عينيه عن النظر من الخوف
وقال أيتها الشبيهة بالملاك
والتوأم الثالث للقمر والمشترى

عطف البيان للورد والسرو والياسمين
وجملة التأكيد للحديقة والروضة
إن شهد شفتى لم يمصّه أحد
ومنطقى المحظورة لم يرعى فيها أحد
لم يقطع طريقى أى خيال
ولم تنطلق آهتى فى وداع أحد
لم يقف غراب أحد على سطحى
لم توصل الرياح الرسالة إلى ركنى
لم تشبع عين من النظر فى وجهى
لم يفرح قلب من ردى
لم يضطرب نومى أبدًا
لم ير السحاب ليلتى المقمرة
إن مرآتى لا تقبل الصدأ
وقدم ثباتى لا يلمسها الحجر
إن الدم الذى يراق فوق الأرض فى سبيل الوطن
من الظلم ألا يكون دمًا طاهرًا
إننى أرى وأعلم ولن أسقط فى البئر
ولن أنحرف بقدمى عن الطريق الرئيسى
إن صد العاشقات يزيدهن شوقًا وولهًا
كما أن الدلال يزيد القلب المكلوم إدماءً ونزفًا
فكل ما تأخر الحصول عليه
زاد الهوس فى الوصول إليه
وكل ما كان سهل المنال
كان قليل القدر ورخيص الثمن

فقالت يا لك من جبان، انظر الشاب !
انظر صاحب السيف والنيشان !
ذلك الذى يهرب من امرأة
ماذا سيفعل وكيف سيقفز وسط الرجال
رجل عسكرى وضعيف القلب بهذا الشكل !
كيف تكون بهذا الجهل والضعف !
لماذا أغلقت أهدابك بهذه الصورة
لماذا حوّلت بيدك النهار إلى ليل ؟
لا أحد هنا غيرى وغيرك
فممن تراعى، ولِمَ الخوف ؟
هل أنت خائف أن تمشى بك الخضرة
وتبعث برسالة إلى قائدك ؟
إن كل هذا التخفى بلا داعٍ
فالحجب الزائدة على الحد أمر سيئ
إن الرجل الذى لا يكون جريئًا فى الأمر
يظل بعيدًا جدًا عن كل متعة وسرور
من كان الخجل والحياء مرشده
يخطف الناس القلنسوة من على رأسه
لا تكن ساذجًا فى هذه الدنيا فالسذاجة لا تأتى منها أى جدوى
أنت شاب يافع فأين شبابك ؟
إنه العيد فأين نظافتك الكاملة للمنزل ؟
لقد خُلق الدُر الثمين من أجل الزينة
كما خُلقت الفتاة البكر من أجل الزواج
إن البرعم الذى يتفتح فى طرف الروضة

لا يمكن القول بأنه مفتضح
والقمر الذى لكل الناس منه نصيب
لا يمكن القول بأنه بلا عصمة
إن حسنك قد وصل إلى حد النصاب
إنه زاد على الحد والحساب
أليس من الظلم ألا تتمتع بهذا الخط والخال
وألا تسعد بهذا الجمال
إن العشق لا يتم إلا بوجود الوردة والبلبل معًا
أمّا عشقك نفسك فلا جدوى منه
العشق يسرى فى كل قلب يختاره
كالنهر الهادئ كما يسرى النوم إلى الجفون
لقد وقعت صورتك فى عينى
فثملت عينى من تلك الخمر
ما زالت فروعك لم تتشابك بعد
ما زال ببغاؤك لم يأكل السكر بعد
من شدة العفاف ما زال طرف قميصك
لم يتجمع بعد فوق الصرة
وصالك فاكهة جديدة للمفتونين
والفاكهة الجديدة أغلى من أى فاكهة
ولهذا فقد أسرعت نحوك أيضًا
فوجدت أنفاسك دافئة فتيّة
ويمكن الاستمتاع بك لأقصى درجة
يمكن لعب النرد وشرب الخمر معك
يمكن معانقتك بحرارة

ما أجمل فقدان الوعى فى حضنك
إن الوقت يمر فيها اغتنم الفرصة
وتقدّم لتأكل من هذه المائدة بلا انتظار
وعندما وصل حديث زهرة إلى هذا الحد
ازداد أمر منوجهر صعوبة
فقد كان قلبه جائعًا وعينه شبعانة
وتنطبق عليه مقولة يريد ولا يريد
وعندما سمعت زهرة حديث الفراق
نفذ صبرها وزاد ألمها
وتبللت أهدابها بالدموع حتى بدت عينها
كنرجسة أحاطت بها قطرات الندى
وقالت آه منك أيها الفتى الحجرى القلب
يا من يخجل الحجر الصلد أمام صلابة قلبك
أهناك ظلم وقسوة بهذا الشكل !
ماذا سيضيرك من قبلة واحدة ؟
لو أن الشمس ستؤذى وجهك
أشمّر طرف ثوبى وأجعله مظلة لك
وأستوعبك بداخلى كالروح فى الجسد
وآخذك فى قلب ردائى
وأجمع طرة من شعرى
وأجعلها مروحة وأهوّى بها عليك
وأُمطر الدموع على وجهك بغزارة
لكى لا تؤثر فيك الحرارة
وأجلب لك الزلال من منبع العين

ونـــــدى الـــــشفاه يمـــــلأ غمـــــازة الــــذقن

إن كـــل مـــن علـــى وجـــه الأرض هـــم عبيـــدى

بمـــن فـــيهم الـــشاعر والرســـام والكاتـــب

أحيانـــا أبعـــث كمـــال الملـــك

وأجعلـــه فخـــر الرســـامين وقـــدوة الفنـــانين

وأحيانـــا أجـــح علـــى خيـــال الـــشعراء

وأخلـــق الحكـــيم إيـــرج

وأحيانـــا أضـــع العـــود فى يـــد درويـــش خـــان

كـــى يعيـــد الأرواح إلى أجـــساد المـــوتى

وأحيانـــا أرعـــى مطربـــة مثـــل قمـــر

كـــى يتـــساقط الـــسكر مـــن فمهـــا الـــدقيق

وأنـــا مـــن أوصـــل الكولونيـــل إلى هـــذه المرتبـــة

ومـــن جعـــل أصـــابعه تـــسلب القلـــوب

ولـــو أريـــد أكثـــر مـــن ذلـــك

سأفـــضحه مثـــل ثمـــرة الفـــستق الفارغـــة

فقـــال أيتـــها الفتـــاة الفائقـــة الجمـــال

يـــا مـــن يقطـــر حـــديثك بالـــسحر والـــدلال

بـــأى لغـــة أطلـــب منـــك

أن تخلـــصيني مـــن شـــرورك

لـــو ينتـــهى الأمـــر بقبلـــة واحـــدة مـــنى

فالمـــضى وتـــوكلى علـــى اللـــه وتعـــالى وخـــذى

عنـــدما سمـــع العقـــل مـــن العـــشق هـــذا الكـــلام

قـــال إمّـــا أنـــا وإمّـــا أنـــت

فاشـــتبك العقـــل والعـــشق فيمـــا بينـــهما

وســـــالت الـــــدماء مـــــن رأســـــيهما ووجهيهمـــــا

وعنــــدما ســــالت دمـــــاء قليلــــة مــــن رأس العقـــــل

قفـــــز وهـــــرب مـــــن ميـــــدان العـــــشق

وقــــال اذهـــــب فـــــذاك أنـــــت وذلـــــك حبيبـــــك

وذاك لجامـــــــــــك فى كـــــــــــف حبيبـــــــــــك

وعنـــــدما حـــــصلت زهـــــرة علـــــى الإذن بالقبلـــــة

وجـــــدت قبلتـــــها الفرصـــــة مـــــن جديـــــد

كـــــشاب ثمـــــل فى وقـــــت الليـــــل

وجـــــد زجاجـــــة ميـــــاه بـــــاردة

فقفـــــزت وضـــــمته إلى صـــــدرها

ولفـّــــت ســــاقيها حولـــــه كحـــــزام الوســـــط

وقالـــــت اذهـــــب الآن فقـــــد انتـــــهيت مـــــن أمـــــرك

امـــــض بعيـــــدًا عـــــنى فأنـــــت حـــــر

لم تحمـــــل هـــــمّ الحـــــب فاحملـــــه

لم تـــــذق مـــــرارة الفـــــراق فـــــذقها

فـــــإن طعـــــم الوصـــــال لا يُحـــــس بـــــدون ألم الفـــــراق

وكـــــان مـــــن الـــــضرورى قليـــــل مـــــن الهجـــــر

وعنـــــدما فتحـــــت عينيهـــــا فى ذلـــــك المـــــرج

وجـــــدت أن المكـــــان كـــــان مـــــبللاً ولـــــيس هنـــــاك أطفـــــال

مـــــن أثـــــر القـــــدم الـــــتى وطئـــــت بهـــــا الخـــــضرة

كانـــــت الخـــــضرة قـــــد أصـــــبحت ذات وســـــم كوســـــم قلبـــــه

فقـــــال لـــــو احتـــــضنت موضـــــع جـــــسدها

ستُـــــشوّه صـــــورتها علـــــى الخـــــضرة

ولـــــو قمـــــت بتقبيـــــل آثـــــار أقـــــدامها

ستقوم الحشائش النائمة من مكانها
فهذه هي العقدة التي صنعتها
ولا يمكن لمس عقدتها
فأي قلب أحل عقدتها
الأفضل أن أتمشى على هذه الخضرة

أشعار إيرج الأخرى:

يمكن فيما يلي إيجاز أشعار إيرج الأخرى والتي تعتبر معظمها سهلة وسلسة وجميلة:

- القصائد الخاصة بمرحلة الشباب وبداية أمره حول التهنئة بمناسبة الأعياد ومدح الأعيان وعلية القوم والتي قلما وجد منها شيء و لم يكن عددها كبيرًا فيما يبدو، ومن هذه العشر أو الاثنتي عشرة قصيدة التي توجد في مجموعة أشعاره يمكن ذكر القصائد التي نظمها في فقد الوالد، الشكوى من المُلك، في انتظار الجواد، وقصيدته الهزلية الجميلة جدًا التي يقول مطلعها :

فكر أيها الفتى المسرح في أنه في العام التالي
سيختلف زمنك ويتغير أمرك

أمّا العشر أو الاثنتا عشرة غزلية أشهرها غزل يقول مطلعه :

إن الطرب يؤذي القلب عندما يتجاوز الحد
وماء الحياة يقتل أيضًا عندما يُمنع

وغزل في الحجاب بهذا المطلع :

منقبة وقلبها صاف كالماء
نعوذ بالله أن تظهر بلا نقاب

- نظم حوالي ستين قطعة في القضايا السياسية والاجتماعية أو الأمور المختلفة مثل :

نقش حجر القبر، العامل، الدعوة، دموع الشيخ، ذم الخمر، ذم التكبر، الوفاء، صورة المرأة، سحق الأشقياء، فى رثاء الكولونيل محمد تقى خان، وغيرها.

- عدة ترجمات حرة للنصوص الأجنبية والتى نجح فى بعضها نجاحًا تامًا مثل : الملك والكأس، هدية العاشق، وكلاهما للشاعر الألمانى شيللر، قلب الأم لشاعر ألمانى آخر، قصص الأسد والفأر والغراب والثعلب، الصيادان، للشاعر الفرنسى الروائى لافونتان، قطعة الخمر التى لها سابقة فى كلا الأدبين الإيرانى والأوربى ومنها الحكاية النثرية التى كتبها تولستوى .

- المثنويان المفصلان نسبيًا " الثورة الأدبية " و " نصيحة للابن " وعدة مثنويات قصيرة : فى فوائد القراءة، الخبراء الأمريكيون، البوصلة، الليل والنهاروأمثالها.

- الأشعار التى نظمها لأطفال وتلاميذ المدارس وطبعت فى الكتب المدرسية مثل : كان لعباسقلى خان ولد، عيد النيروز، حمدًا لله، نحن أطفال هذه المدرسة، طفل حساس ومثقف، هكذا كان يقول تلميذ فى المدرسة .

تحليل لأشعار إيرج : لا يمكن تصنيف إيرج ضمن أى جماعة أدبية، فقد اجتهد فى كافة فروع الشعر ونجح فى أغلبها، وهو يحاول دائمًا عرض الحياة اليومية لإيران المعاصرة كما هى، ولا توجد فى أشعاره نقاط غامضة وقاتمة وأفكار تجريدية وصوفية بعيدة عن الذهن، ومنبع أفكاره هى الحقائق الموجودة بمختلف صورها.

وصوت اعتراضه السياسى ليس عاليًا وواضحًا بحيث يُستشعر منه ضرورة الثورة والتغيير، فإيرج الذى يعرف الحقائق المريرة والأوضاع الإيرانية غير المقبولة يشعر جيدًا بضرورة تغيير الأوضاع الاجتماعية الإيرانية من جذورها ولكنه لا يعرف بالضبط قوانين التكامل التاريخى للمجتمع ودور الشعب فى ملحمة النضال من أجل التغيير الاجتماعى، فهو لا ينتمى لأى حزب أو جماعة ويتجنب التدخل المباشر فى الأمور السياسية، فهو ليس مسئولاً تنفيذيًا بل شاعرًا وطنيًا يحب شعبه من صميم قلبه، ومتمسك بالعدالة

الاجتماعية ولا يمكن أن يقف موقف المتفرج أمام محن وشدائد بلده وشعبه أو يغمض عينه عن رؤية الجوانب القبيحة بالمجتمع وجهل وأمية وتخلف الشعب، وعلى هذا النحو تنعكس فى أشعاره فى كافة المواضع الآمال العريضة والمطالب الأساسية للتقدميين فى ذلك العصر، وينتقد الشاعر بشدة الاتفاقية الإنجليزية الروسية بشأن إيران واستقدام الخبراء الأمريكيين ويتحدث عن الحرب العالمية وقضايا الهجرة، وينصح أحمد شاه ويطلب منه تعيين حاكم فى تبريز وإخماد نار الفتنة فى فارس والإطاحة بالقوزاق والشرطة من الشمال والجنوب وإصلاح رغيف الخبز الذى يعد فى رأيه أهم من أى شيء، وطرد الجماعة التى كل همّها أخذ الرشوة فى مكاتب الإدارات، ويوصل إلى مسامع الملك شكوى العجائز وأنين الشيوخ المستيقظين بالأسحار وحتى (مع أنه هو نفسه من الأمراء القاجاريين المتعصبين) عندما ينفد صبره يتفوه بكلمات حادة وجريئة مثل : ينبغى أن يفكر الملك بفطنة ولكن ملكنا قذر وغبى ومُخرّف، ومع هذا فإن شعر إيرج كما نرى وسنرى ليس فى حدة شعر عارف وعشقى والفرخى، وربما أن شلال الهزل والمزاح وخفة الدم الذى يطغى على أشعاره وكلامه يطفئ نار أشد اعتراضاته ويعطيها نوعًا من اللطف والظرف .

أمّا من الناحية الاجتماعية فإن شعر إيرج يعد شعرًا نفيسًا جدًا وجدير بالاهتمام، وقد انعكست الأفكار الديمقراطية بصورة جيدة فى هذه الأشعار، وبُحثت فيها آفات المجتمع كتزوير ورياء المتظاهرين بالتدين وبؤس الشعب وجهله والعادات القبيحة والخرافات والتعصبات الدينية، وتم من خلالها نقد هذه الأمور بشدة، كما احتلت المرأة مكانًا متميزًا فى أشعاره لبيان وضعها المتردى فى المجتمع الإيرانى والذى يستكمل بسلسلة من أشعار الشاعر حول الأم وحنان الأم وحول الأطفال والصغار.

وبلغة نابضة وجذابة يقدم إيرج صورًا حية وجميلة لـــ "دموع الشيخ" و"جماعة شاه حسين والأتراك حاملى الكفن" و " الدراويش الصامتين دائمًا ويلبسون الخرقة الصوف فى جو تموز الحار " والوزراء الذين لا يراهم أحد، و "حقيقة الناس الذين

يستحقون النظر " ومبنى مقبرة الحكيم الفردوسى الذى " لن يُبنى منه شبر واحد " والمسئولون عن بنائه " يأخذون من الناس مبالغ من المال بهذه الحجة وينفقونها بعد ذلك على الابن والابنة والصهر " والعيوب الأخرى المتفشية فى المجتمع.

أمّا من الناحية الفنية فإن إيرج كما يقول سعيد نفيسى " هو أفصح شعراء عصرنا وأعذبهم شعرًا " وسر نجاحه فى بساطته وسهولة كلامه.

ولا شك أن الميل إلى البساطة والاقتراب من لغة الحوار اليومية فى الشعر الفارسى يعد رد فعل لأسلوب القدامى شديد التكلف، وهو فى الحقيقة ثورة جريئة على " الأسس والقواعد الأدبية " للسابقين، ويفتح فصلاً جديدًا فى الأدب الإيرانى المنظوم والذى تقترن بدايته باسم إيرج، ويجب اعتباره فى الحقيقة واحدًا من أهم زعماء هذه الثورة مثلما عُرف دهخدا وبعده جمال زاده كرائدين لهذا الأسلوب فى النثر الفارسى.

وقد اختار إيرج فى نظم الشعر لغة هزلية بسيطة حادة وجريئة و لم يمتنع — حتى فى أشعاره الجادة جدًا — عن استخدام الألفاظ والمصطلحات العامية الشائعة والمعبرة والتى امتنع عن استعمالها ليس السابقون فحسب بل والمعاصرون أيضًا إلا فى الأشعار الفكاهية[1]، وكذلك أدخل فى أشعاره التعبيرات والأمثال الفارسية بمهارة واستخدمها

---

(١) مثل اخم (عبوس) ، الدنگ (عديم الإحساس) ، بام زدن (الصفع على الرأس) ، پک وپوز (سحنة)، بوج (أجوف) ، تخت (سرير) ، تو (الوليمة) ، جر زدن (المجادلة فى اللعب) ، جفتك زدن (القفز بالقدمين معًا) ، جفتك (عبث ، لغو) ، چرت (نعاس) ، چك زدن (الجلوس متربعًا) ، جموش (جموح) ، چوله (مقوس) ، خوشگل (جميل) ، داش (قمينه) ، دبنگوز (ديوث) ، دستپاچه (متسرع) ، دوزوكلك (احتيال) ، رك گوئى (الصراحة) ، شلم شوربا (شوربة لفت) ، شلوغ (مزدحم) ، شنگ (حسن) ، غرغر كردن (الهمهمة غضبًا)، قرزدن (الغمغمة بغضب) ، قلقلك دادن (الدغدغة) ، كيس شدن (التغضن) ، گاز گرفتن (العض ، القضم) ، گردن كلفت (فتوّة)، گول زدن (الخداع) ، گيج وگول (حائر ومشتت) ، لاس زدن (ملاعبة) ، لج كردن (العناد) ، لك زدن (العطب) ، لوس (التملق) ، لوند (فتاة لعوب) ، له كردن (الدهس) ، ماچ كردن (التقبيل)، نشگان (القرص) ، ننه (أم ، حدة) ، ول كردن (الهجر ، الترك) ، ول گفتن (التخريف) ، ولنگار (متسيب ، مخرف) ، هوچى (مروج شائعات) .

فى محلها تمامًا[1]، ومنح شعره بهذه الطريقة بريقًا خاصًا، وكما قلنا أيضًا فقد قرّب الكلام الأدبى إلى حد كبير من اللغة العامية اليومية.

وإلمام إيرج باللغة العربية وآدابها والعلوم التى تعد معرفتها ضرورة لأى أديب بناءً على رأى القدامى، برغم أنه ليس بحجم إلمام أديب الممالك، فإن الشاعر على كل حال يتمتع بنصيب كبير من هذه العلوم وتوجدفى أشعاره أحيانًا عبارات غليظة ومهجورة من هذا القبيل: الأنس لك ليس ممنوعًا ومحظورًا، فالتمر يانع والناطور غير مانع، ولكن مثل هذا التظاهر بالفضل واستعراض المهارات نادر فى شعر إيرج، وإيراد العبارات شـــديدة التكلف ليس من طبع إيرج أصلاً لأنه يعتقد أن الشعر يتطلب الـــروح السلـــسة، ولا يتطلب المعانى ولا البيان، ولهذا السبب فإنه يتعهد بصفة خاصة بأن يكون بيانه بـــسيطًا بقدر الإمكان لكى يقرأه ويفهمه كل الناس.

ومع أن إيرج قد تربى تربية أرستقراطية إلا أنه ابتعد عن نظم القصيدة والمـــدح والمجاملة أو كما يقول هو نفسه، القول نعم سيدى نعم سيدى، واللف والدوران حول السلطان، وهو ما أخرج كلام أفضل الشعراء المداحين الموهوبين فى صورة أقوال مبتذلة وساقطة، وسحب شعره من بلاط وقصور العظماء إلى السوق والزقاق وجعله يتناسب مع ذوق عامة الشعب، وبما أن قصده كان هو السخرية من بعـــض عـــادات وتقاليـــد وأخلاق الشعب السيئة وأوهامهم وخرافاتهم فإن غالبية أشعاره قد ارتدت ثوب الهـــزل والمزاح، بل إنه خرج فى بعض الأحيان من دائرة القيود والأسس الأخلاقية والاجتماعية وكتب بقلمه كلمات قللت أحيانًا من قيمة شعره، ومع هذا فإنه بصفة عامة صـــاحب استقلالية وشخصية مميزة، ومثل هذه الشخصية والنزعة التحررية تظهر ليس فى أعمالـــه الجادة فحسب بل وفى أشد هزلياته أيضًا .

---

(١) من قبيل :
وكأن البحر قد نام " فالماء لا يتحرك أبدًا من البحر " (الملك والكأس) .
أخاف أن يكثر نواحه وضعفه " فلا خير يأتى من هذا البحر " (نفس المصدر) .
لم يشبع من زهرة وجهه فإن الفلك " ألقى باقة الورد فى البحر " (هدية العاشق) .
كان منبع الدلال هذا قد قرأ هذا المثل وهو " افعل الخير وألقه فى البحر " (نفس المصدر) .

وبرغم أن تجديد إيرج محدود فإنه على كل حال أعمق وأرسخ مما يمكن أن تجده عند معاصريه، وبينما كان الشعراء يعتبرون التجديد فى الأدب هو فقط فى استخدام الألفاظ الأوربية المهجورة فى أشعارهم أو فى تقديم وتأخير القوافى، قام إيرج فى مثنوى " انقلاب أدبى" والذى نظمه فى رحلة خراسان وصوّر فيه الأوضاع الإدارية والمالية، بمهاجمة هذه الجماعة التى تعرف بما يسمى بالمجددين بعبارات مثل : فُتح باب التجديد والتجدد، وأصبح الأدب شوربة لفت، وأنا أقدّم وأؤخّر القوافى..إذن أنا نابغة عصرى، ويستخدم الكثير من هذه العبارات متعمدًا من باب السخرية والاستهزاء :

إننى كثيرًا ما قمت فى "الليفر[1]" وأثناء "اللته[2]"

بترتيب "الدوسيهات[3]" وعمل "ترتيه[4]" للـ"كارتون[5]"

وما أكثر ما دوّنت "النوت[6]" وقمت بعمل "الآنكت[7]"

وجعلت الأخطاء" البروت" و"النت"[8]

وأحضرت الدبابيس ودبّست الأوراق

وشبّكت الأوراق بعضها ببعض بـ"البونز" و"البنس"[9]

وما أكثر عملت "الباراف[10]" وقمت بالتوقيع عليها

---

(١) الشتاء: l'hiver .

(٢) الصيف: l'été .

(٣) الدوسيه: Dossier .

(٤) قراءة Traitér .

(٥) دوسيه كرتون: Carton .

(٦) مذكرات: Note .

(٧) بحث: Enquéte .

(٨) الوزن: Brute ، الوزن الصافى: Nette .

(٩) مشبك: Punaise ، دبوس: Pince .

(١٠) نسخة: Paraphe .

وطمأنت خاطر المدّعى
وكنت استدعى الساعى إلى "البورو"[1]
تارة بالجرس وتارة بالنداء
وحياتك لقد نسيت "الآمور"[2]
نسيت الحماس والإحساس والشعور
ماذا أفعل بكل هذه "الشيفر" و"النومرو"[3]
وليس فى يدى غير "الزرو"[4]

ومع هذا فإنه ينقل فى أشعاره أحيانًا بصورة طبيعية لا بالتكلف والتعمد ألفاظًا من اللغات الأجنبية بصورتها الأصلية أو المُحرّفة والتى دخلت إلى اللغة الفارسية وصارت معروفة :

وظل جسمى بين " تيارى " النهر
كحبة وسط حجرى الرحى

الملك والكأس

نظف الحذاء وغطاء الرأس بـ " الفرشاة "
وأزل التراب من فوق ثيابك جيدًا

نصيحة إلى الابن

ولفّت الحبل على رقبة الأحبة

(١) المكتب: Bureau .
(٢) الحب: Amour .
(٣) الرقم: Chiffre ، العدد: Numéro .
(٤) صفر: Zero .

وصـــــــــار اســــــــــم حبلــــــــــها " الــــــــــــشريطة "

زهره ومنوچهر

وبعــــــــــد أن أجـــــــــــيء بــــــــــالزى " المــــــــــدنى "

لـــــــــن أهـــــــــرب منــــــــك بـــــــدون ســـــــــبب

نفس المصدر

و لم يغيّر إيرج فى وزن وقافية الشعر وإنما هو يتبع نفس أسس وقواعد القدامى[1]، فقالب ونسيج شعره – ربما مع اختلاف بسيط – هو نفس قالب ونسيج شعر القدامى المعروف، ورؤيته للعالم لا تختلف كثيرًا أيضًا عن رؤية شعراء عصره ومع هـــذا فإنــه أحدث تغييرًا إلى حد ما فى الشعر بأسلوبه الخاص الذى يختلف عــن أســلوب بيــان الآخرين، فهو حلقة الوصل التى تربط بين جيلين من الشعراء الراحلين والقادمين .

وبصفة عامة فإن إيرج مع أنه أكثر ثقافة واستنارة من الكثير من معاصريه فــإن شعره لا ينبع من الفضل والكمال ولا من التجديد والتحديث والتدخل والتغيير فى شكل وقالب الشعر، وإنما ينبع من قريحة وموهبة عالية، فهو يعبر عما يحسه بداخلــه بمنتــهى الصدق والواقعية ولا يربط نفسه بفكر وإحساس الآخرين، ولا يتبع قواعــد وقــوانين

(١) لم يراع الأسس المُتبعة من حيث القافية فى شعر " صبحدم " (الفجر) فقط ، وأتى بالقوافى على شــكل الصليب :

فى الفجر حيث هذا الطائر المتنقل — يظهر من أعلى الجبل

مُحلقًا عبوس الوجه ومُحطم الجناح — والروضة تهاب أجنحته وقوادمه

وطائر السحر المغرد فوق الأشجار

انظر إلى تلك الفراشة جميلة الخال والخط — فقد قفزت خارج غطاء قميصها

بجناحين مملوءين بالنقط الذهبية — إنما تتنقل فوق زهور الروضة زهرة زهرة

فتقوم بتقبيل هذه من أسفل الذقن وتلك من الوجنة .

خاصة وكل أشعاره فى المدح والذم، والجد والهزل سواء القبيح منها أو الجميل، السيئ منها أو الجيد كلها نابعة من داخله هو.

نموذج آخر من أشعار إيرج

العامل وصاحب العمل(١)

سمعت أن أحد أصحاب العمل قد نظر
إلى العامل الذى عنده بنظرة ملؤها الكبر والتعالى
فاستاء العامل منه بشدة
لأنه اعتبر تلك النظرة نظرة احتقار وازدراء
فقال له لمَ هذا التعالى يا صاحب المال
لأنك تعطى للكادح أجر مشقته ؟
إننى أتحمل كل هذه المشقة لكى لا أرى
مرة أخرى الكبر من أى ثرى أو صاحب مال
فأنت تريد منى القوة وأنا أريد منك الذهب
فأى فضل لأحدنا على الآخر بعد ذلك !
فإن كنت تدفع لى بعض مالك
فإننى أقدم لك معاناة الروح ونور العين

---

(١) نظم أبو القاسم اللاهوتى هو الآخر قطعة بنفس الوزن والقافية والتى برغم أنها لا تصل إلى مكانة شعر إيرج من حيث القوة والمتانة فإنها عالية جدًا من حيث المضمون فى شعر إيرج :

فأنت تريد منى القوة وأنا أريد منك الذهب — فأى فضل لأحدنا على الآخر بعد ذلك ؟

قورنت القوة بالذهب أى الكدح بالأجر وتمت التسوية بين حساب العامل وصاحب العمل ، أما فى شعر اللاهوتى :

وإذا قلت الذهب منى والقوة منك — فهذه خدعة ومصيدة للكادح
فما دامت القوة منى فقد أصبح الذهب منى هو الآخر — لأن هذه القوة هى التى تجلب الذهب !

أنا إبن هذه الشمس شديدة الضياء
أبي فوق رأسي كالنار الساخنة
عينه المضيئة مفتوحة دائمًا
لكى يرى قوة ساعد الابن
لو ضربت فأسًا واحدة مثلى فى هذه الأرض
ستمسك وسطك بكلتا يديك
إننى أغرس غصن السعى فى هذه الحديقة
لكى أقطف منه الثمر بلا منّة
فإننى لا أريد مال أحد بالذلة والمهانة
وإنما أحصل عليه ممزوجًا بدم الكبد
منى القوة ومنك الذهب هذا فى مقابل ذلك
فأى موضع للتعالى والغطرسة ؟
إننى أنثر الدر من الجبين على هذا التراب
وآخذ منك أجر ما أفعل
فهذه الحسبة ليس لها باقٍ أو فارق
أنت أعطيت المال وأنا قدّمت الدر
ما داموا لا يعطون شيئًا لأحد بلا مقابل

فلمـــــــــاذا يتكـــــــــبر أصـــــــــحاب الـــــــــمذهب هـــــــــؤلاء ؟

لمـــــــــاذا يمـــــــــن النـــــــــاس علـــــــــى بعـــــــــضهم الـــــــــبعض

مـــــــــا دام كـــــــــل منـــــــــهم يحتـــــــــاج للآخـــــــــر ؟

٦ – نظام وفا

نظام وفا: هو أول أولاد ميرزا محمود إمام الجمعة وأحد علماء كاشان الأحرار ومن أصحاب المؤلفات[١]، ويتضح من سيرته الذاتية الشعرية والنثرية أنه ولد عام ١٣٠٦هـ ق[٢]، فى قرية " آران " القديمة التابعة لمركز بيدگل بكاشان " كدمعة من عين الحزن " سقطت فى حجر الحياة، وقضى أيام طفولته وسط حدائق ومروج هذه القرية المنعمة الفخمة، وتلقى تعليمه منذ السادسة من عمره تارة من أبيه وتارة من أمه[٣]، ودرس فى أصفهان وقد فرغ من الصرف والنحو والأصول وهو فى السادسة عشر من عمره وانشغل بالمعانى والبيان والبديع وقد أحب ابنة عمه فريدة وأبرم معها عقد الهوى ولكن ذبلت تلك الوردة وماتت قبل أن تتفتح وهى فى مطلع الرابعة عشر، وقد أنشد الشاعر الشعر على قبرها وذرف الدمع أيامًا[٤]، وبعد فترة تزوج من فتاة " وفيَّة ونقيَّة

---

(١) كان أبى رجلاً يبحث عن الهدوء　　　عاش فى الدنيا بشرف وكرامة =
= كان لقبه الإمام وإسمه محمودًا　　　وكان فى إقليم القلب إمامًا مشهورًا
وفى عام ثلاثمائة وسبعة وثلاثين بعد الألف　　　أوقفته الطبيعة عن العمل

(٢) عندما زادت على الألف ثلاثمائة وستة　　　أثمرت شجرة الهم والحزن

(٣) كانت أم الشاعر " منور " ابنة مهدى وفا وأخت ميرزا على أكبر النقاشباشى أحد أساتذة الموسيقى المعروفين ، كانت سيدة فاضلة وكانت تتمتع بخط حسن وتنظم الشعر وتتخلص باسم " حيا " وقد توفيت عام ١٣١٥ هـ ق، حيث كان نظام عمره آنذاك تسع سنوات :
عندما مرت على الثلاث عشرة مائة ثلاث خمسات　　　انتهت حياتها السريعة

(٤) يقول الشاعر : " فكرت فى أن أقوم بإعداد مجموعة فى شرح حال فريدة وحالى فكتبت كتابًا بسيطًا يتسم بالصبيانية يحكى اشتراكنا معًا فى اللعب والدرس والمشاعر والأحلام وسميته " كتاب الحزن " وبعد أن اكتمل طلبت من أبى أن يقوم بقراءته وتعديله وأن يسمح لى، بتبييضه ونشره، إلا أن أبى قال لى بابتسامة حزينة بعد عدة أيام : يا بنى العزيز إن كتاب الحزن تستمر أوراقه حتى آخر العمر وأنت ما زلت

السريرة " وأنجب منها ولدًا وبمجرد أن علا صوت الحركة الدستورية ونداء الحرية وظهر فى الوطن شاعر التنظيمات السرية صار هو الآخر معجبًا ومفتونًا بالحرية والثورة بما كان له من حماسة، وشارك عام ١٣٢٤هـ ق، فى الثورة الدستورية مع جماعة فدائية .

وبعد فترة فقد زوجته الحنون وولده اللطيف ومنذ ذلك الحين سقط فى دوامة حوادث الزمان وحيدًا بلا أنيس أو جليس، وأمضى أكثر من نصف قرن فى المعترك السياسى وفى سجن باغشاه والطرد والنفى، وخدمة الدولة والمدارس الثانوية والكليات وفى الدول العربية والممالك الأوربية وكذلك فى المدارس ووسط التلاميذ المخلصين وفى حلقة الأصدقاء الفضلاء والعلماء، وقد ظل طيلة هذه المدة مشغولاً دائمًا بالشعر والتعليم والتعلم. ويجب تسمية نظام وفا " شاعر القلب " فلو كانت يد الطبيعة جاءت بكتلة من المشاعر الجياشة الرقيقة وصنعت منها تمثالاً لكان هذا التمثال هو الشاعر نظام وفا[1]".

فيقول هو نفسه:

قلتُ الشعر عندما كنت لا أعرف ما هو معنى الشعر، فقد كنت استمتع فقط بسماع وقول مثل هذا الكلام. وعامل الوراثة غير مستبعد هو الآخر فى موهبة الشعر، فقد كان أبى رجل العشق والشعر وأمى سيدة العشق والشعر، وتجرى فى دمى وعروقى أحاسيسهما ومشاعرهما[2].

إن الأسرة الحساسة ذات القلب الرقيق، والقرية الهادئة المنعمة والفتيات الخجولات خفيفات الظل، والحدائق والمروج المثيرة للمشاعر وأحاسيس وانفعالات وتقلبات الشباب، والثورات السياسية وتجارب السجن والنفى المريرة، والأسفار

- فى مقتبل العمر ، فأعجبنى كلام أبى و لم أظهر بعدها كتابى لأحد واحتفظت به لنفسى وأنا أضيف إليه فصلاً كل عام فمتى يُكتب فصله الأخير وينتهى عصر همى وحزنى" .

(١) محمد ضياء هشترودى ، " منتخبات آثار " ، ص ١١٧.

(٢) من مقدمة الشاعر على كتاب " حديث دل " ، ص ٩ .

والجولات الطويلة، وتجارب العشق والإخفاقات الدائمة، كلها زادت من لهيب القلب فظهرت فى أقوالى وكتاباتى ثورة وبركان.

أنا الشاعر والكاتب الذى يريد قلبى ألا أكون موجودًا، ولكن ماذا يمكن العمل ! عندما تسأل الشمعة المحترقة عن علة ضيائها فإنها لا تملك ردًا إلا إظهار دموعها الساخنة وقلبها المشتعل(١) !

وحتى فى قمة شيخوخته حيث كان قد مضى من عمره ما يقرب من ثمانين عامًا كان نظام يتحدث عن الحب، على حد قوله، بالشعر الأبيض والوجه الشاحب ويبدأ ينفجر كجبل عقيم مملوء بالثلج(٢)، وكان يعتقد أن " حياة الشاعر ليست أكثر من مجرد حلم ورؤيا وعندما يسقط الشاعر فى النوم الأبدى وهو الموت فكأنه تقلّب من هذا الشق إلى الشق الآخر(٣) ".

وقد توفى الأستاذ نظام وفا نتيجة جلطة فى المخ يوم الخميس ١٨ رمضان عام ١٣٨٤هـ ق، (أول بهمن ١٣٤٣ ش) (يناير ١٩٦٥ م).

وقد ترك نظام وفا كتبًا كثيرة منشورة وغير منشورة منها مثنوى حبيب ورباب فى شرح انتحار حبيب اللـه ميكده ومسرحيتان عنوانهما " ستاره وفروغ: النجم والضياء " و " فروز وفرزانه " ومسرحيات تشبه السيناريوهات مثل " پيروزى دل :انتصار القلب"، أو " ناهيد وبهرام "، وكتب " گذشته ها :العصور الماضية"، " معراج دل : معراج القلب "، " آماج دل : إشارة القلب "، " پيوندهاى دل : روابط القلب "، "يادگار اروپا : تذكار أوربا" (مذكرات الرحلة التى قام بها الشاعر إلى أوربا فى عام ١٣١٦ش(٧- ١٩٣٨م) حيث كان قد مضى من عمره حوالى خمسين عامًا). ويعتبر

---

(١) صحيفة آميد ، العدد ٣٢ ، ١٦ تير ١٣٢٣ ش (يوليو ١٩٤٤ م) .
(٢) من مقدمة " يادگار اروپا " ، الطبعة الثانية ص ١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣ .

كتاب " حديث دل : حديث القلب " الكتاب الحادى عشر المنشور لنظام وفا والذى يتضمن كل غزلياته تقريبًا، وهذا الكتاب على حد قوله هو " طومار حياته الأدبية " وقد صُورت فيه أوضاع وأحوال حياته منذ الطفولة وحتى الشيخوخة[١].

وقد نظم نظام وفا حوالى عشرين ألف بيت واختبر موهبته فى أنواع الشعر، ومن أفضل أعماله السيرة الذاتية المنظومة التى شرح فيها حياته البائسة المُعذبة، وفى هذا المثنوى نقابل أحيانًا التعبيرات الركيكة جدًا والتى تسبب لنا الحيرة لكونها صادرة من شاعر قدير مثله، إلا أن هذه المنظومة بوجه عام تترك انطباعًا جيدًا لدى القارئ[٢].

ومع ذلك فإنه يعد شاعر غزل فى المقام الأول وحتى أشعاره الأخرى من القصائد والمثنويات والوطنيات هى فى الحقيقة نوع من الغزل الحى الجميل وفى كل منها حالة شعورية تصف خصائص الصورة التى قد رسمت فى قلبه[٣].

وشعر نظام له جاذبية خاصة فهو شعر صاف بلا عيوب، وشعر مهدّئ للنفس ومُسلٍ، ويراعى وفا قواعد الشعر الكلاسيكى بمنتهى الدقة، وهو يعبّر بصورة جيدة فى قوالب الشعر الفارسى التقليدية عن أرق الموضوعات التى كانت قد جذبت قلوب شعوب العالم الغربى فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى، فهو يشرح قصة البلبل الذى أصابه الولد العفريت بالرصاص، وعشق البلبل القديم للزهرة، وحزن وحسرة الزهرة الوحيدة والتى قد نمت بعيدًا عن رفاقها، ومثل هذه الموضوعات التى لا تعد جديدة فى الأدب الإيرانى وقد نظمت مرارًا فى كل عصر وزمان راج وازدهر فيه الشعر الفارسى،

---

(١) حديث دل ، الخاتمة ، ص ٢٦٧ .
(٢) برتلس ، تاريخ مختصر أدبيات إيران ، ص ١٦٧ .
(٣) حديث دل ، ص ٢١ .

تكتسب فى شعر وفا صورة ومنظرًا جديدًا. وأكثر ما يميز شعره ربما تكون هى نفس لغته البسيطة والجميلة وغير المتكلفة والتى ليس فيها أى بريق زائد[1].

أمّا نثر وفا فإنه يتميز أيضًا بالشاعرية والقبول ويعتبر كتاب پيوندهاى دل (روابط القلب) مجموعة من شعره ونثره وهو أفضل من يبين روحه الجميلة، والكلمات فى هذه القطع النثرية جذابة والجمل منظمة والمعانى دقيقة والبيان بسيط وواضح، ومن خلال سطورها تبدو ملامح حياة مملوءة بالتعب والسعى والتفكير.

والآن نقدم نماذج من شعر ونثر نظام وفا:

نشيد الشبان الأقوياء

نحـــن الـــشباب أصـــحاب الهمّـــة والقلـــوب الطـــاهرة
وطنيـــون وأشـــداء وشـــجعان
المـــوت عنـــدنا أفـــضل مـــن هـــذه الحيـــاة
فهـــذه ليـــست الحيـــاة وإنمـــا الخـــذلان
كيـــف يـــشترى الرجـــل الباحـــث عـــن الـــشرف
الخمـــر بالكرامـــة ولـــو كانـــت هـــى مـــاء الحيـــاة ؟
مـــازال هـــذا القلـــب المُعـــذب يغلـــى
وهـــذه النـــار لم تتحـــول بعـــد إلى رمـــاد
لنمـــد يـــدنا نحـــو العـــلاج
فـــلا يمكـــن الجلـــوس بعـــد ذلـــك فـــوق النـــار
فـــإذا لم تكـــن الـــبلاد عـــامرة وســـعيدة
فـــلا كـــان الربيـــع والـــشباب والـــسعادة !

المرأة والحياة

فكـــر فى النـــساء وأرفـــق بهـــن

---

(١) برتلس ، تاريخ مختصر أدبيات إيران ص ١٦٦ .

فالبلاد عامرة والوطن مرفوع الرأس
ولولا المرأة فى الحياة لما كان سر
وما كان الشعر والعشق والغناء
المرأة هى سيدة عش القلوب
المرأة هى مصباح المحافل المنير
حجرها هو مجرة الحياة
وبنات السعد هم أولادها
حسن المرأة هو لطفها وحياؤها
وزينتها هى حبها وعاطفتها الشديدة

من غزليات وفا

زينة العشق

ما أجمل العشق والسكر والتحرر
ما أحلى أن تشرب الخمر من دم قلبك
إلى أين ستذهب من قلبى أيها الغم ؟
فإنك مهما ذهبت ستعود إلىّ فى النهاية
غسلت وجه العشق بالدموع والدم
وجعلته مشرقًا وإلا ما كان بهذا الجمال
إننا مطرودون من جميع الأماكن وذنبنا
أننا ليس عندنا قلب مهووس وليس لنا مكان
لا أفتح عينى قط من نوم العدم
لو رأيت أن هذه هى عاقبة الإبصار
لماذا تضع القدم فى المنزل سيئ السمعة يا "نظام"

سرور السماء

إن الشارع الجانبي مغسول ونظيف كفتاة فرغت فى التو من الاستحمام وجلست على شاطئ البحر .

إن طقس جيلان قلما يكون فى جمال هذا العام فى أيام النيروز، وكأن السماء راضية ومسرورة لخلو أرض الدولة من الأجانب، والمشرق الإيرانى يبتسم فى وجه الجميع من الصباح إلى المساء .

لقد كان العام الماضى بالنسبة لى هو عام البكاء بسبب موت أخى والمصائب الأخرى التى حلت بى، ولكن بإذن اللـــه تعالى سيزول غبار البؤس بدموع العيون ودماء القلوب وسيكون هذا العام هو عام تَفَتُّح البراعم وستجد شفتاى أيضًا طريق الابتسامة !

أخذ صياد قرب الميناء يرمى الشبكة باسم المتفرجين ويجرّب حظهم وفى دورى سقطت أسماك كثيرة فى الشبكة فهنأنى الحاضرون على حظى العالى، ولكن عندما رأيت روح السمك وهى تنتزع على الأرض، قلت فى نفسى : أى سعادة هذه التى تبنى على تعاسة الآخرين ومن يقبل أن يضيء منزله بإطفاء مصباح منزل جاره ؟

إن السعادة الشخصية ليست فى نظرى هى السعادة الحقيقية، والوجه الجميل للشخص صاحب الهندام السيئ والقبيح والكريه لم يلفت نظرى أبدًا.

أنا لا أحب الزواج فى القبور والرقص مع الأموات، فعندما تغمـــز لى النجـــوم وتبتسم لى الزهور، إذا لم يكن هناك شخص آخر غيرى يراها وينافسنى فى ذلك فلـــن تتحقق لى المتعة واللذة من رؤيتها ١٣٢٦ ش (٧- ١٩٤٨م) .

٧ – وحيد (استطراد)

فى نفس هذه الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى حضر رجل شاعر وأديب ولكن محافظ ومتذمت من أهل أصفهان، وكان قد عاش فى عزلة لمدة عامين فى " چهار محال " بختيارى، حضر إلى أصفهان ومنها ذهب إلى طهران ورفع راية المحافظة على الأدب القديم.

وقد ولد حسن وحيدى الدستجردى المتخلص بوحيد[١] بن محمد قاسم سنة ١٢٩٧هـ ق، بقرية دستجرد خيار بمركز برزرودجى على بعد فرسخ واحد من جنوب أصفهان، وفى الفترة من السابعة إلى الثانية عشرة من عمره، تعلّم فى قرية دستجرد اللغة الفارسية ومقدمات العربية عند الحاج الملا عبد الكريم السودائى، وعمل بالزراعة مع أبيه الذى كان مزارعًا فقيرًا[٢]، وكان عنده خمسة عشر عامًا عندما سافر إلى أصفهان بناءً على تصميم وتشجيع معلمه، وقام بدراسة العلوم المتداولة فى مدرسة ميرزا حسين الواقعة بحى بيد آباد .

وفى عام ١٣٢٤هـ ق، حيث قامت الحكومة الدستورية انضم للأحرار وتولى كتابة المقالات السياسية والأدبية والاجتماعية بصحف أصفهان الأربع (پروانه، زاينده رود، درفش كاويان، مفتش إيران) .

وقد قلنا آنفًا: إنه عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية وهجمت الدول الأجنبية على أرض إيران أثارت دعاية الألمان واسعة النطاق فى إيران غالبية الشعب الإيرانى ضد سياسة الحلفاء، وانضم إليهم أيضًا مجموعة من الشعراء، وأشرنا إلى أن أحدهم كان وحيد الدستجردى الذى اشتهرت أشعاره ومقالاته فى تلك الفترة فى مهاجمة الروس والإنجليز ومدح الألمان وقُرئت فى المجالس والمحافل .

(١) كان تخلصه فى البداية (لمعه) وكان يوقع أحيانًا بالاسم المستعار " ناظر الأصفهانى " .

(٢) لست أكثر من ابن فلاح   حياتى السابقة كلها كانت فى القرية
كانت حرفتى فى الدنيا هى الزراعة   كان شعار الفلاحة هو فكرى
(سرگذشت اردشير) " حكاية أردشير "

وقد أدت هذه الأشعار والمقالات إلى لجوء الشاعر مضطرًا إلى مركز " چهار محال " سنة ١٣٣٤هـ ق[١] لاتهامه بموالاة الألمان، وكذلك نتيجة مطاردة العملاء الأجانب وأنصارهم الإيرانيين بعد دخول الروس أصفهان والاضطراب الشديد الذى سيطر على الأوضاع، وأثناء هذه الهجرة والغربة التى استمرت عامين تعرّض منزله ومتاعه فى أصفهان للسلب والنهب[٢] .

وقد عاد وحيد من چهار محال إلى أصفهان عام ١٣٣٦هـ ق، ومن هناك سافر فى العام التالى إلى طهران وهناك اشترك فى عضوية الجمعية المركزية للإخوّة بإرشاد على خان ظهير الدولة (صفا) ومنذ ذلك الحين جمع وحيد حوله الشعراء فى منزله وأسس الجمعية الأدبية الإيرانية، وأصدر فى نفس هذا المنزل سنة ١٣٣٨هـ ق، أول أعداد مجلة (أرمغان) الأدبية والتى ظلت تصدر لمدة اثنين وعشرين عامًا خلال فترة حياته ؛ تارة بشكل منتظم وتارة أخرى بشكل غير منتظم[٣].

وعمل وحيد فترة فى هيئة المطبوعات ودار التأليف بوزارة المعارف ثم تولى تدريس أحد أقسام الآداب الفارسية بدار الفنون التى كانت آنذاك أعلى المدارس الإيرانية، ولكنه ابتعد عن الأعمال الحكومية بعد عامين أو ثلاثة، وانشغل بالأعمال الأدبية حتى آخر عمره.

وتوفى صاحب الترجمة (وحيد) بطهران فى العشرين من ذى الحجة سنة ١٣٦١هـ ق، (٨ دى ١٣٢١ ش) (ديسمبر ١٩٤٢م) وهو فى الرابعة والستين من عمره.

---

(١) الأربعاء ١٧ جمادي الأولى وفى هذه الأثناء كان عنده خمسة وثلاثون عامًا :

لقد قطعت الآن من دورة الحياة　　خمسة وثلاثين عامًا فى المحنة والعذاب

(٢) فى مدينة أصفهان وبدون أى سبب　　طردتنى بريطانيا من منزلى

وما زلت مطرودًا من منزلى　　لا كان الطائر بعيدًا عن عشه

ما زلت عاجزًا عن الوقوف فى وجه هذا الظالم　　ما زلت فى حداد مأتمى ومأتم ولدى

(٣) تحدثنا عن هذه المجلة بالتفصيل فى الجزء الخاص بالجرائد والمجلات.

وكان وحيد معلمًا مثقفًا ومُلمًا بقدر كبير بالآداب الإيرانية القديمة، وكان يؤمن بالنظامى شاعر "گنجه" الروائى أكثر من غيره من الشعراء الإيرانيين الكبار[١]، وهو نفسه أيضًا الذى قام بإعداد أوسع قصصه المنظومة انتشارًا.

وقد ترك وحيد بعض القصائد والغزليات والقطع ومجموعة (صد اندرز : مائة نصيحة) ومثنوى (سرگذشت اردشير: حكاية أردشير) وقد نُشر له أيضًا كتاب بعنوان " ره آورد: هدية المسافر " فى مجلدين أعوام ١٣٠٨ و ١٣١١ ش، والذى يعد لمحة تاريخية عن وقائع أصفهان وجنوب إيران أثناء الحرب والأشخاص الذين كانوا قد تجمعوا فى " چهار محال " كمهاجرين، وقد تضمن هذان المجلدان أيضًا بعض أشعار وحيد.

سرگذشت اردشير : تعتبر منظومة سرگذشت أردشير من أعمال وحيد الجيدة التى نظمها سنة ١٣٣٤ هـ ق، أثناء إقامته فى بختيارى وأتمها على حد قوله فى عشرين ألف بيت خلال عام واحد :

فى عـــام واحـــد أنجـــزت كتابًـــا
بـــه بجيـــا اســـم بـــلاد إيـــران
لـــو تم عـــدد أبيـــات الـــشعر بيتًـــا بيتًـــا
ســـتكون هـــى نفـــس العـــشرين دفعـــة وكـــل دفعـــة ألـــف

ولكن ما وصل إلينا من هذا الكتاب هى أجزاء متفرقة نُشرت فى مجلة أرمغان خلال عدة سنوات وظلت ناقصة[٢].

---

(١) لا رسول غير النظامى ، ولو قالوا هناك رسول إذن فإن وحيد الدستجردى على هذا الدين وحسب.

(٢) نفس الأجزاء المتفرقة نشرها وحيد زاده ، نسيم ، ابن الشاعر فى طهران بشكل مستقل فى فروردين ١٣٤١ ش (مارس أبريل ١٩٦٢ م) والتى تزيد عدد أبياتها قليلاً على ٢٥٠٠ بيت، وبناء على قول الناشر فإن وحيد نفسه هو الذى قد اختار هذه الأبيات وحذف بقيتها.

وسرگذشت أردشير علاوة على فصاحة البيان التى تعلو أحيانًا لتصل إلى مستوى شعر النظامى، فإنها تلقى أهمية أيضًا من ناحية أن الشاعر الوطنى الذى شاهد القضايا بنفسه قد نظم مقتطفات من الأحداث الإيرانية فى تلك الأيام المُظلمة السوداء بمنتهى الصدق والصراحة.

ويبدأ الشاعر مثنويه بسرد قصة حياته ثم يتحدث عن وقائع أصفهان أثناء الحرب العالمية وتأثرها بهذه الفتنة المهلكة ويوضح لنا الأيام الصعبة والشديدة التى عاشتها هذه المدينة التاريخية الكبيرة فى تلك الأثناء، وكيف كان العملاء الإنجليز خاصة شخص يُدعى " هيج " يهجمون على هذه المنطقة " المحايدة "، وبعد سرد بعض الأشعار وإيراد أبيات حماسية فى ثورة أكتوبر يعود مرة ثانية إلى أصل الحكاية ويشرح مرة أخرى الأيام المخيفة أثناء مجاعة أصفهان وخيانة المسئولين المحليين والعملاء الأجانب :

اشـــــتعلت الـــــدنيا بفتنـــــة الحـــــرب العالميـــــة
فـــــاهتزت الأرض وانقبـــــضت الـــــسماء
آفـــــة الرأسماليـــــة فى الـــــدنيا
دعـــــت إلى صـــــلاة الجنـــــازة والعـــــزاء
فـــــتح الهـــــوس الرايـــــة مـــــن بـــــيرق الطمـــــع
ونفـــــخ المعـــــارض فى بـــــوق الجـــــشع
لا مكـــــان فى الأرض بـــــلا حـــــرب أو نـــــزاع
لا يـــــصدر مـــــن أى بيـــــت إلا صـــــوت النـــــواح العـــــالى
صـــــارت أوربـــــا مـــــشعلة النـــــار فى هـــــذه الحـــــرب
ولكـــــن عنـــــدما اشـــــتعلت أحرقـــــت العـــــالم
وتطـــــاير الـــــشرر مـــــن الغـــــرب وســـــقط فى الـــــشرق
فاشـــــتعلت إيـــــران بالنـــــار مـــــن أولهـــــا إلى آخرهـــــا
ونفـــــخ الـــــروس بـــــوق الظلـــــم فى جـــــيلان

وجاء بلاء الهجوم من بغداد
ونفخت بريطانيا البوق فى أرض فارس
وعلا ضجيج فارس ووصل إلى عنان السماء
وبعد عام واحد أبدى جيش روسيا القيصرية
الرغبة فى تقبيل القدم من بعد تقبيل اليد
ولازم نيكولا سوء الحظ
فابتعد جسده عن رأسه، ورأسه عن التاج والعرش
وبذنب أنه أشعل النار فى العالم
فقد أشعل العالم النار فى أسرته
ولما انتشرت ظلمات الظلم والعدوان العالمى
انتصر نور العدل على الظلام
وظهر لينين العامل(١) بالجيش الأحمر
وفى يده العلم الأحمر
جيش أحمر كحديقة الشقائق
له رصيد فى القلوب كالوشم الأحمر
إن العالم قد أنجب من بطن حواء وصلب آدم
بطلين لا ثالث لهما
أحدهما يزين إيران من أصفهان
والآخر يزين العالم من موسكو
اشتهر أصل كسرى من ذلك الأول
وخلد اسم العامل من هذا الآخر

(١) نعلم أن لينين لم يكن عاملاً وإنما كان من المستنيرين الثوريين وربما بقصد الشاعر " لينين خادم طبقة العمال " .

الأول نهض بالعلم الكاويانى[١]

والثانى نهض من العالم بالعلم الأحمر

وكما أن علم كاوه يلازمه

فإن جيش العالم يحيط به

أسقط الضحاك الظالم مضرجًا فى دمائه

وأزال من الدنيا صدأ الحزن والتعب

لتكن مباركة هذه الحركة على لينين

الذى حرّك الكرة الأرضية مثل الحلقة !

مدينة العلم القادمة

لو يُظهر العلماء الهمّة

ويستبدلوا الخير بالشر

ولا يعتبرون الأرض إلا بلدًا واحدًا

ولا ينظرون للشعوب إلا كأهل دولة واحدة

ويطرحوا الثنائيات جانبًا

ولا يبقى أثر للاختلافات

ويرفعون الأيادى من أجل الصلح

ويمحون الفتنة والنزاع من العالم

وبدلاً من السيف الفولاذى السفاح

يصير فى العالم سيف العلم البتار

وينظم قانون بسيط

تفتح قنوات الاتصال فى العالم

---

(٢) علم أفريدون المنسوب إلى كاوة الحداد (المترجم) .

وتـــصير الأرض كلــها مدينـــة العلـــم
ويُمحـــى الجهـــل والـــنزاع مـــن الـــذاكرة
وينجـــو العـــالم مـــن الإيـــذاء والتعـــذيب
وتعمـــر الـــدنيا بالحريـــة
لـــو يجـــد هـــذا الكـــلام اليـــوم الآذان الـــصاغية
ســـيأتي اليـــوم الـــذى تكـــون فيـــه الـــدنيا وفقًـــا للمـــرام

وعندما يجد الشاعر الفرصة فإنه يطرح نظرياته الأدبية ويئن من حماقة أهل هذا العصر ويشكو من أن الجهلاء المحرومين من الموهبة والعلم يقومون بالنقد ويذكرون الأساتذة بالسوء والقبح بحجة كتابة " شرح أحوالهم " :

شـــخص جهنمـــى الطبـــع ذليـــل العاقبـــة
يـــصف الفردوســـى بالوضـــيع
وآخـــر قبـــيح الفعـــل مـــن فـــرط الـــسذاجة
وصـــف النظـــامى بـــالقبيح
وواحـــد يـــضرب بقبـــضته علـــى مـــشرط ســـعدى
وينتقـــد ذلـــك الـــشخص كـــلام الأســـتاذ
وواحـــد يحـــارب المولـــوى
وواحـــد ينكـــر الـــسنائى
وواحـــد يجـــادل جمـــال الـــدين
وواحـــد يعـــادى كمـــال مـــن بـــاب الـــنقص
وواحـــد يقـــود حملـــة التـــوبيخ ضـــد الأنـــورى
وواحـــد يـــصف الخيـــام بـــشارب الخمـــر
وواحـــد يعـــادى الخاقـــانى عـــداوة شـــديدة
وواحـــد يحـــارب أيـــضًا القـــا آنى

مـــــــــا مــــــــــــــن أســــــــــتاذ أو عــــــــــالم

إلا ذمّــــــــــــوه واتهمــــــــــــــــوه بالجهـــــــــــــل

الــــــــشخص الـــــــذي يعيـــــــب الأســـــــتاذ بهـــــذا الـــــــشكل

مــــــــاذا ســـــــــيفعل مـــــــع تلميــــــــــذ الأســــــــتاذ ؟

والتحديد عند وحيد لا يتعدى كون الشعراء المعاصرين مصرحًا لهم مثلاً بعدم رعاية قاعدة الدال المهملة والذال المعجمة والتي كان الأساتذة القدامى يراعونها بمنتهى الدقة :

الآن والقاعـــــــــدة الـــــــــسابقة غـــــــــير مناســـــــــبة

فــــــــإن رعايـــــــــة القاعـــــــــدة غـــــــــير جـــــــــائزة

لا معــــــــــــروف ولا مجهــــــــــــــول ثابـــــــــــــــت

لا دال ولا ذال باقيـــة

طالمـــــــــــا أن اللفـــــــــظ واللحــــــــن كليهمـــــــــا واحـــــــــد

فـــــــــلا يجـــــــــب تـــــــــضيق ميـــــــــدان الـــــــــشعر

أشعار وحيد الأخرى

وحيد غير مُلم باللغات والآداب الأجنبية، وبرغم ذلك فإنه كتب بعض أشعار الشاعر الروسي المشهور بوشكين بالفارسية وفقًا لترجمة طالب زاده سردادور والتي منها قطع "الزهرة" و" تحية لجيل الشباب " و" نور عالم الغيب " و" الحبيبة التي تشبه ليلى " .

ونختم هذه السيرة الذاتية بإحدى ترجمات الشاعر المنظومة لبوشكين وأغنية له في مقام الدشتي:

" الحبيبة التي تشبه ليلى "

إنــــــــني أتــــــــذكر الحبيبـــــــــة الـــــــــتي تـــــــــشبه ليلـــــــــى

عنـــــــــدما تبختــــــــــرت في غـــــــــرور وتكـــــــــبر ودلال

فقلـــــت لهـــــا أيتـــــها الحبيبـــــة يـــــا مـــــضيئة القلـــــب ينبغـــــي عليـــــك

ألا تبحثـــــى عـــــن العــــشق البــــارد وألا تهجمـــين بـــسرعة
فقالــــــــت بتـــــهكم : أمـــــام الـــــشعر الأبــــيض
العــــــشق قـــــــصير واليــــــــد طويلـــــــــة
لقـــــــد طغـــــى عليـــــك ثلـــــج الــــشيخوخة الأبــــيض
وبــــــسببه فـــــإن العـــــشق البـــــارد هــــو رفيقـــــى
فقلـــــت لهـــــا لا تتـــــهكمى أيتــــها المحبوبــــة الــــشابة
علـــــى الــــشيخ ولا تـــــستمعين لهـــــذا الـــــسر
فـــــإن للحيـــــاة ألوانـــــا متنوعـــــة ومختلفـــــة
وكـــــــل منـــــــها يظهـــــــر فى حينـــــــه
فقـــــد كـــــان شـــــعرى مـــــسكًا فـــــصار كـــــافورًا
فأحـــــدهما مزيـــــد للـــــسرور والآخـــــر مـــــثير للحـــــزن
فقالـــــت ضـــــاحكة : كلامـــــك لطيـــــف ولكنـــــك
لم توضـــــــــح النقطـــــــــة الأساســـــــــية
فالمـــــــسك هـــــــو زينـــــــة العروســـــــين
أمّـــــا الكـــــافور فهـــــو رفيـــــق الكفـــــن !

موسم الورد

إن موســـــم الـــــورد هـــــو وقـــــت الحـــــسن
فى الزمـــــان والـــــذى يـــــدوم يومًـــــا أو يـــــومين
فيـــــا مـــــن تـــــزينين قلبـــــك بعـــــالم الخرافـــــة
مـــــن الأفـــــضل لـــــك أن تتركـــــى ذكـــــرى طيبـــــة
لا تـــــــؤذى خـــــــاطر العـــــــشاق

فلـــــــــيس طيّـــــــا الأذى مـــــــــن المعـــــــــشوقة

لـــــــو يحــــــرق الــــــشمع الفراشـــــــة باللـــــــهب

عنــــدما يطلـــع النـــــهار هــــل تـــرى أثــــرًا لــــشمع الليــــل .

****

الفصل الثالث
الجمعيات الأدبية

بمناسبة ذكر اسم وحيد ومجهوداته الأدبية والموضوعات التى أعتزم ذكرها فيما بعد، أرى أنه من الضرورى أن أتحدث هنا عن دور جمعية " الحكيم نظامى " والمحافل الأدبية الأخرى فى توجيه الأدب الإيرانى.

فقد ظهرت بعد الحكومة الدستورية جمعيات أدبية كثيرة ومع ذلك فإنه قلما وُجدت جمعية أدبية أوثقافية ذات مكانة لائقة ونشاط مفيد، وكانت هذه الجمعيات تتشكل فى منازل الأشخاص بين الفينة والأخرى وفقًا لظروف العصر، وصارت فى الغالب بمثابة مكان للعمل والكسب والتجارة أو وسيلة لتحقيق الأهداف السياسية والشخصية ونيل المكانة والمترلة، "فلم يأخذ رؤساء هذه الجمعيات على أنفسهم تعهدًا أخلاقيًا بتكريم رموز العلم والأدب، ولم تكن لديهم القدرة على فهم جوهر المعانى ونتائج مثل هذه الأمور[١] ".

وأنا لا أقصد القيام بحصر جميع الجمعيات والمحافل الأدبية العابرة والتى ظهرت فترة فى أفق الأدب الإيرانى ثم أفل نجمها بعد فترة قصيرة، أو تناول كلاً منها بالشرح التفصيل ؛ وإنما أريد فقط تقديم قائمة شاملة بأسماء هذه المحافل ودورها فى هذا المجال .

جمعية بلا اسم: فى الفترة من عام ١٢٩٠ إلى عام ١٢٩٣ ش (١٩١١ — ١٩١٤م) قام حسن وثوق الدولة الشاعر صاحب الموهبة والقريحة بتشكيل جمعية فى مترله الواقع فى السليمانية (نهاية شارع دوشان تپه)، وترددت عليها مجموعة من أدباء

---

(١) من خطبة حبيب يغمائى بمناسبة السنة السابعة لوفاة ملك الشعراء بهار، "پيام نوين : الرسالة الجديـــدة "، السنة الأولى، العدد الثانى، آبان ١٣٣٧ ش (أكتوبر، نوفمبر ١٩٥٨ م) .

وشعراء ذلك العصر، وكان نشاط هذه الجمعية هو نظم الأشعار وإدارة البحوث الأدبية، وبعد فترة وعندما تولى وثوق الدولة رئاسة الوزراء اضطرت الجمعية للتوقف وتفرّق أعضاؤها.

جمعية دانشكده: وفى نفس هذه الفترة تقريبًا (شهر دى ١٢٩٤ ش) (ديسمبر ١٩١٥ – يناير ١٩١٦م) تشكلت حلقة أو جمعية " دانشكده " الأدبية فى طهران ورفع أعضاء هذه الجمعية الشبان الذين التفوا حول ملك الشعراء بهار، دعوى " إعادة النظر فى أسلوب الأدب الإيرانى ورؤيته " ومع ذلك فإنهم لم يفعلوا شيئًا فى الحقيقة سوى طرح الموضوع واختبار قرائحهم فى مجال غزليات الأساتذة القدامى، وسوف نتحدث على حدة وبالتفصيل عن هذه الجمعية ومجلتها الأدبية التى صدرت لمدة عام واحد بنفس الاسم منذ أرديبهشت إلى اسفند عام ١٢٩٧ ش (من إبريل ومايو ١٩١٨ إلى فبراير ومارس ١٩١٩م) والمناقشات التى أجرتها مع كاتب صحيفة " تجدد " تبريز، وإذا كانت جمعية "دانشكده" الأدبية لم تحقق نتيجة سريعة فى وقتها، فإنها قامت على الأقل بتربية مجموعة من الشباب، وهؤلاء الشباب هم الذين قدّموا فيما بعد خدمات جليلة فى مجال العلم والثقافة.

الجمعية الأدبية الإيرانية: كما رأينا حضر وحيد الدستجردى إلى طهران فى آخر الحرب العالمية الأولى أثناء مغادرة القوات الأجنبية أراضى الدولة، وبدأ أنشطته الأدبية وأسس فى عام ١٢٩٩ ش (١٩٢٠م) " الجمعية الأدبية الإيرانية ".

وقد كانت هذه الجمعية تجتمع مرة واحدة أسبوعيًا فى أول الأمر بمنزل وحيد نفسه وبعد عام أو اثنين كانت تعقد فى أماكن أخرى منها منزل الدكتور حسنع لى قزل أياغ وميرزا رضا خان النائينى حتى انتقلت إلى وزارة الثقافة بناءً على اقتراح بعض الأعضاء، وقد اعترفت بها وزارة الثقافة رسميًا.

وبعد ذلك ظلت " الجمعية الأدبية الإيرانية " تجتمع مرة واحدة أسبوعيًا كما كانت، وذلك في قاعة المرايا بوزارة الثقافة وكان أعضاؤها شخصيات من أمثال ملك الشعراء بهار والزعيم الخراساني المعظم تيمورتاش وأديب السلطنة سميعي وشمس العلماء وقريب الجرجاني ومحمد على بامداد والدكتور ولي اللـــه نصر وميرزا رضا خان النائيني، ومحمد هاشم ميرزا أفسر وحاجي ميرزا يحيى الدولت آبادى والأدباء والعلماء الإيرانيين الآخرين، و قد حصل على عضويتها الشرفية عدد من المستشرقين المعروفين، ولكن نظرًا لأنه لم يكن لها مقر دائم فقد نقلت بعد عام ونيف إلى منزل الأمير الشيخ الرئيس افسر، وواصلت جلساتها هناك لفترة ما وعندما تعرضت للتدنيس فقدت قيمتها المعنوية وهجرها أصحاب الرأي.

جمعية الحكيم نظامي: لكي لا نعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى لابد أن نسبق المجريات الطبيعية للتاريخ ونضيف عدة كلمات أخرى على ما ذكرناه. قام وحيد بعد أن ترك " الجمعية الأدبية الإيرانية " بتأسيس جمعية أخرى في آخر عام ١٣١١ ش (١٩٣٣ م) باسم جمعية " الحكيم نظامي الأدبية "، وهي نفس الجمعية التي قامت بتصحيح بعض مؤلفات أساتذة الشعر وكتابة حواش لها ونشرها، وواصلت نشر مجلة ارمغان لعدة سنوات.

" الجمعية الأدبية الإيرانية " مرة أخرى: تأسست في السنوات التي أعقبت عام ١٣٢٠ ش (١٩٤١م) " الجمعية الأدبية الإيرانية " مرة ثانية في مبنى المجمع اللغوى الإيراني برئاسة أديب السلطنة سميعي، وكان أعضاؤها في هذه المرة ملك الشعراء بهار وسيد حسن مشكان الطبسي وميرزا أحمد خان اشترى، وعددًا آخر من الشعراء والكتّاب، وكانت الجمعية تعقد جلساتها مرة واحدة أسبوعيًا، وفي هذه الجلسات كان كل واحد يقرأ عمله من الشعر أو النثر، وقد أعدت في الجمعية أيضًا مشروعات لتأليف الكتب والمعاجم والقصص والسيناريوهات، ولكن ضاعت كل هذه الجهود هباءً و لم تستمر الجمعية هذه المرة سوى مدة قصيرة (ربما عامين أو ثلاثة).

وقد جرت قبل موت ملك الشعراء بعدة سنوات بعض النقاشات والمشاورات من أجل تأسيس جمعية تكون بمثابة الممثل الحقيقى للأدب والثقافة الإيرانية الأصيلة ودليل للشعراء والكتّاب، إلا أن هذه الفكرة لم تتعد مرحلة الطرح والأمنية والكلام.

وهكذا واصلت الجمعيات الأدبية نشاطها بالتجمع فى المنازل وإنشاد القصائد والغزل، وتتشكل حاليًا أيضًا جمعيات أدبية عديدة بأسماء طهران، آذرآبادگان، حافظ، صائب، الفردوسى، نصر، وغيرها فى طهران والمدن الأخرى والتى يتولى إدارة كل منها أحد الأدباء المحافظين، وفى هذه الجمعيات يلتف الأشخاص الذين يدّعون النقد ونظم الشعر (وما أكثر هؤلاء !) ويقرأون شعرًا أونثرًا لرموز الأدب الفارسى أو شيئًا من إنتاجهم الخاص بهم ثم يتفرقون بعد ذلك وهم يتبادلون الإشادة والتعظيم إلى أن يقوموا مرة ثانية بنظم غزل أو قصيدة أخرى ويقرأونها فى الأسبوع التالى وينشرونها فى المجلات التى فتحت صفحاتها لاستقبال مثل هذه الأعمال.

الباب الثالث

مقدمات الشعر الحديث

مقدمة

برغم كل ما حملته الحرب العالمية الأولى من مصائب لإيران فإنها قد هيأت المجال لحدوث حركة وتحول فى أيديولوجية الشعب الإيرانى القديمة، فقد تسببت الأحداث الاجتماعية والسياسية المذهلة التى وقعت فى السنوات التالية فى حدوث أزمة فى ساحة الأدب الإيرانى وكانت نهايتها غير واضحة.

فالأدب الكلاسيكى الإيرانى – خاصة الأدب المنظوم – بأسسه وقواعده المعقدة الجامدة والتى لم يكن قد طرأ عليها أى تغيير طوال تاريخ الأدب الإيرانى الممتد، لم يعد قادرًا على تصوير الحياة الاجتماعية المعاصرة بكل تعقيداتها ومتناقضاتها، وكان الكتّاب والشعراء الذين يريدون عرض قضايا العصر الساخنة فى أعمالهم، يجدون أنفسهم مقيدين من جميع الجوانب بقواعد وقوانين الصنعة الأدبية. وأصبح معظم الأدباء والكتّاب يشاهدون بوضوح مدى تدهور وتخلف الأدب الإيرانى وقد اعترفوا بذلك.

كتب جمال زاده رائد أستاذ القصة الواقعية ومبتكرها، فى مقدمة قصص "يكى بود يكى نبود:كان يا ما كان": " إن الخروج عن دائرة أسلوب السابقين يعد بصفة عامة أساس التخريب الأدبى فى بلدنا إيران للأسف، وعمومًا فإن جوهر الاستبداد السياسى الإيرانى المشهور فى العالم موجود أيضًا فى مجال الأدب، بمعنى أنه عندما يمسك الكاتب أو الأديب بالقلم فإنه لا ينظر إلا لمجموعة الفضلاء والأدباء ولا يلتفت أساسًا للآخرين، وحتى الأشخاص الكثيرين الذين يعرفون القراءة والكتابة ويستطيعون قراءة الكتابات البسيطة وغير المتكلفة وفهمها بصورة جيدة، لا ينظر إليهم أبدًا، والخلاصة أنه لا يهتم بـــ " الديمقراطية الأدبية "، ولا شك أن هذه المسألة تدعو للأسف الشديد خاصة فى دولة كإيران التى يحول جهل الشعب فيها وغفلته دون أى تقدم[1] ".

---

(١) برلين، ذى القعدة ١٣٣٧

وبعد عدة سنوات قال محمد ضياء هشترودى فى مقدمة كتابه " منتخبات ": " لا شك أن أدبنا المعاصر متخلف جدًا عن ركب الأدب العالمى من ناحية التجديد والتقدم ... فلم يعد نظم الغزل والقصيدة أو أسلوب النثر القديم يفى باحتياجاتنا الأدبية فى الوقت الحالى، ويمكننا القول بأن الانحطاط الأدبى يسيطر على اللغة الفارسية[١] ".

تحدثنا قبل ذلك عن الأعمال الفكاهية السياسية والدعائية التى كانت قد ظهرت بقيام الحكومة الدستورية ورأينا كيف استخدم كتّابها القوالب الجاهزة الخاصة بالأناشيد والأغنيات الشعبية والمستزاد والترجيع بند لتوصيل رسالتهم، وقد نجح بعضهم فى هذا الأمر ولقيت أعمالهم قبولاً بين الناس إلا أن هذه القوالب البدائية البسيطة التى كانت قد حلت محل الأشكال القديمة مؤقتًا نظرًا لقسور الأشكال القديمة وعدم كفاءتها، وقامت تلك القوالب بمهمة التعبير عن المضامين الجديدة، لم تسلك الطريق الفنى الخالص على الإطلاق و لم تكن تستطيع حل المسألة الغامضة والمحيرة بخصوص تحديد المنهج الأساسى للأدب الإيرانى الفنى فى المستقبل، ولهذا السبب اضطر شعراء وكتّاب العصر الحديث للبحث عن قوالب وأساليب أحدث وأنسب لبيان الأفكار والأحاسيس الجديدة حتى يمكن لأعمالهم أن تتحدى فى زمنها أعمال العصور القديمة ذات الشهرة والقيمة الكبيرة.

ولكن التغيير والتدخل فى الأصول والقواعد الأدبية القديمة (أعود وأكرر فى الكلام المنظوم بصفة خاصة) لم يكن أمرًا سهلًا، فالأدباء من أمثال أديب الممالك الفراهانى وبديع الزمان الخراسانى (فروزانفر) ووحيد الدستجردى وأمثالهم الذين كانوا قد تربوا فى أحضان أشعارالخاقانى والأنورى اللطيفة، وأكلوا خبزًا وملحًا على مائدة سعدى وحافظ، كانوا يحرسون الأدب القديم مثل " آرجوس[٢] " ولم يقبلوا إطلاقًا السماح لأحد بأن يخرج عن دائرة أجدادهم الأساتذة الفنانين، وكانت أقصى حدود تسامحهم أن يوافقوا مثلاً على اختفاء ظاهرة اختلاف الدال والذال التى لم يعد لها معنى أو مفهوم.

(١) منتخبات آثار، ١٣٤٢هـ ق.

(٢) Argus: فى الأساطير اليونانية كائن ضخم له مائة عين وكان حارس " يو " محبوبة زيوس.

وهؤلاء – جماعة المحافظين – لكى يثبتوا أنه من الممكن التعبير عن أى موضوع أو مضمون جديد بأسلوب القدامى وفى قالب الشعر القديم أخذوا يتغزلون فى الوطن الأم بأسلوب "خواجه" و"خاجو" ويستفيضون فى الحديث عن معنى الحرية والديمقراطية وينسجون الأشعار فى وصف الطائرة والسكك الحديدية من خلال أسلوب قصائد العسجدى والفرخى الطويلة وبنفس الأدوات القديمة والثقيلة[1].

إلا أن محاولة صب الموضوعات المعاصرة فى القوالب القديمة والتى قام بها أساتذة وأدباء العصر هؤلاء كانت محاولة فاشلة، حيث لم يستطع قالب قصائد المدرسة الخراسانية ذات الدبيب العالى وغزليات عصر أتابكة فارس أن يستوعب قضايا العصر الشائكة والمعقدة والمفاهيم الاجتماعية والسياسية الجديدة، وعلى حد قول أحد النقاد " إن إيراد مضمون عشق الوطن بدلاً من عشق الحبيب والتحول من وصف المقلمة إلى وصف الطائرة[2] " لم يكن يحل عقدة واحدة من المشكلة.

ولحسن الحظ أنه فى نفس هذا الوقت الذى انشغل فيه " الأدباء " بمثل هذا التلاعب بالألفاظ كانت الأمور مواتية وكانت أولى علامات التحول والتغيير تزحف ببطء وفى السر وتحتل مكانًا لها فى أعمال المحافظين المتشددين.

وكانت فترة السبع سنوات التى امتدت منذ اندلاع الحرب العالمية وحتى ظهور الأسرة البهلوية تعتبر هى " مرحلة اليقظة لدى الشعراء[3] "، " فى هذه المرحلة تجنب غالبية الأشخاص أصحاب الموهبة الشعرية تقليد السابقين بقدر الإمكان، وحاولوا

---

(١) بالمطلع المعهود : عندما طلت الشمس المضيئة برأسها من الشرق   أتت تلك الحسناء قمرية الوجه
وبعد ذلك ثلاثون أو أربعون بيتًا جميلاً من نوع الأشعار التى كان قد نظمها الحكيم قا آنى مثلاً فى وصف جواده السريع:

رأيت خطين ممتدين من الحديد   تحت المطيّتين مثل الخطوط المسطرة
خط من الحديد ممتد على الأرض   كخط المجرة على الفلك الأخضر

(٢) نخستين كنگرهٔ نويسندگان إيران (مؤتمر الكتّاب الإيرانيين الأول)، ص ٤٣.
(٣) هذا المصطلح لرشيد ياسمى.

إدخال مضمون جديد فى القالب الشعرى القديم وفكرت جماعة أيضًا من الشعراء فى الثورة الأدبية ودعت إلى تجديد شكل الأشعار ومضمونها[1] ".

وعلى الرغم من أن ملك الشعراء بهار كان أديبًا مفتونًا بالأدب القديم وظل وفيًا لعقيدته ومسلكه أيضًا حتى آخر العمر، فإنه كانت لديه مرونة أكثر من ناحية الوعى الفنى وكان بإمكانه التوافق مع المجددين المتشددين إلى حد ما.

وقد استخدم عشقى ولاهوتى كل بدوره، أسلوبًا جديدًا فى الشعر الفارسى ، ومالا إلى البساطة والصفاء بحسب قدرتهما ومكانتهما ووجدا فى بيان أفكارهما نوعًا من الاستقلالية و"الشخصية".

أمّا إيرج فقد أدخل فى شعره لغة الحوار وحاول بقدر المستطاع إضفاء البساطة والسلاسة على بيانه الشعرى وأنشأ أسلوبًا أعجب الناس وقلّده الشعراء، وقد سجل المعاصرون اسمه ضمن مجموعة الشعراء الذين نظموا الشعر بالأسلوب الجديد[2]، وقد قال بهار فى شأنه:

لقـــــد كـــــان إيــــرج مـــــيرزا "ســــعديًا" جديــــــدًا

ولقـــــد أتـــــى للزمــــان بالــــــشعر الجديـــــــد[3]

ومع هذا لم يتمكن إيرج ولا حتى عشقى واللاهوتى من تخليص أنفسهم من قيود قواعد العروض الفارسى وقوانينه الثقيلة والتى كانت قد كبّلت أشعارهم من كل جانب، وكان إيرج نفسه يقول بلهجة ساخرة فى مثنوى " انقلاب أدبى " بشأن الأشخاص الذين كانوا يبحثون عن الطرق الجديدة.

أنــــــا أقــــــدّم وأؤخــــــر القـــــــوافى

كـــــــى أصـــــــبح نابغـــــــة عـــــــصرى

(١) رشيد ياسمى، أدبيات معاصر إيران، طهران، ١٣١٦ ش (٧ – ١٩٣٨ م).
(٢) ملك الشعراء بهار، پيام نو، العدد الخامس، سنة ١٣٢٥ ش (٦ – ١٩٤٧ م).
(٣) ملك الشعراء بهار، الديوان، ج ٢، ص ٤٥٨.

والحقيقة أن الوصول إلى التجديد فى الأدب الإيرانى المنظوم لم يكن ممكنًا بتقديم وتأخير القوافى والتغيير فى الأوزان واستعراض المهارات فى تركيب الكلام فقط، وإنما كان من الممكن أن يزول الاختلاف بين المضامين الجديدة وقوانين الشعر القديم عند حدوث تحول جذرى وعميق فى طريقة التفكير وأسلوب بيان الشعر الفارسى.

الفصل الأول
صراع القديم والحديث

وهكذا بدأت عملية الجدل حول الثورة أو بمصطلح ذلك العصر "التجديد الأدبى"، وانقسم الشعراء والكتّاب إلى معسكرين متناحرين، أحدهما ضم التقليديين والمحافظين الذين لم يرغبوا فى التحرك قيد أنملة عن القواعد الأدبية القديمة، وعلى الجانب الآخر الثوريون أو المجددون الذين طالبوا بالتخلص من القواعد الأدبية القديمة وإحداث تغيير جذرى فى الأدب الإيرانى. ونحن هنا بصدد بحث الأفكار الجديدة وصداها فى الأدب بعد الحرب العالمية الأولى.

كنا قد ذكرنا آنفًا أن الأحداث الساخنة التى سبقت الحكومة الدستورية قد قسمت الأدب إلى جبهتين مختلفتين من الناحية السياسية فقط، ولم تكن قد ظهرت بعد فى ذلك الوقت القضايا الأدبية والفنية، إلا أن الحركة والانتفاضة كانت هذه المرة أعمق وأقوى نسبيًا وكانت قد تناولت قضايا أهم.

ولا يمكن المرور بإيجاز على الجدل الشديد الذى دار بين الجماعتين: المحافظين والمجددين، نظرًا لتأثيره على مستقبل الأدب الإيرانى، ونحن سنعرض على القرّاء لمحة تاريخية عن هذا الجدل والصراع المثمر بجوانبه المهمة والبارزة.

دانشكده

تشكلت فى ربيع الأول سنة ١٣٣٤ (دى ١٢٩٤ش) (ديسمبر ١٩١٥ - يناير١٩١٦م) جمعية أدبية صغيرة فى طهران ضمت شباب "الأدباء الموهوبين" تحت اسم

"الحلقة الأدبية أو الحلقة العلمية " وكان الغرض من تشكيل الجمعية " نشر المفاهيم الجديدة فى ثوب الشعر والنثر القديم وتعريف معايير الفصاحة وحدود الثورة الأدبية وضرورة احترام أعمال الفصحاء السابقين واقتباس مزايا النثر الأوربى[١] " وفى هذه الجمعية كانت تطرح بعض الغزليات بنفس أسلوب شعراء الغزل الإيرانيين القدامى، وكان الأعضاء ينشدون الغزل وفقًا لذلك النظام، وقد زاد عدد الأعضاء تدريجيًا ووجدت الجمعية نفسها فى مطلع عام ١٣٣٥هـ ق، قادرة على العمل وفقًا لأسس أحدث، وسُميت الحلقة الأدبية الصغيرة بـ"دانشكده " وتم تجديد لائحتها فى أواخر عام ١٢٩٦ش(٧- ١٩١٨م) وروعى كذلك "إعادة النظر فى أسلوب الأدب الإيرانى وتوجهه " مع احترام تعبيرات الأساتذة القدامى وأسلوبهم اللغوى ومراعاة الأسلوب الجديد والاحتياجات العامة فى الوقت الحالى[٢].

غزل عضو "دانشكده" ومقالة "بيزبان: الأخرس": كتب "تقى رفعت[٣]" رئيس تحرير صحيفة "تجدد" والذى كان من أشد المؤيدين والمتحمسين للتجديد الأدبى والاجتماعى الإيرانى، بعض الموضوعات بنوع من السخرية بتوقيع مستعار " بيزبان: الأخرس " وتحت عنوان " الرجعية الأدبية " وذلك بمناسبة الغزل الذى كان قد نظمه

---

(١) رشيد ياسمى، تاريخ أدبيات معاصر، طهران، ١٣١٦ ش (٧ – ١٩٣٨ م) ص ١١٩.

(٢) مجلة دانشكده، العدد الأول، من مقالة " مرام ما " (هدفنا) بقلم ملك الشعراء بهار.

(٣) درس تقى رفعت ابن آقا محمد التبريزى فى اسطنبول وعمل عدة سنوات مـــديرًا لمدرســـة " ناصـــرى " للطلاب الإيرانيين فى طرابزون، وحضر إلى تبريز أثناء الحرب العالمية الأولى فى حدود سنة ١٣٣٥ هـــ ق وعمل مدرسًا للغة الفرنسية بمدرسة تبريز الثانوية، وكتب صحيفة " تجدد " التى تولى إدارتها الشيخ محمد الخياباني وأصدر أيضًا أثناء ثورة الديمقراطيين مجلة " آزاديستان " الأدبية والتى صدر منها أربعـــة أعـــداد، وكان رفعت يجيد اللغات الفارسية والفرنسية والتركية وكان ينظم الأشعار بهذه اللغات الثلاث، وكانت أشعاره الفارسية تنشر فى "تجدد " و " آزاديستان "، وبعد هزيمة الثورة ومقتل الخياباني انتحر رفعت الذى كان من زعماء الثورة الوطنية الأذربيجانية يوم الأربعاء غرة المحرم ١٣٣٩ هـــ ق، فى مخبئه (قرية قـــزل ديزج) وهو فى سن الحادية والثلاثين.

أحد أعضاء جمعية "دانشكده" مقلدًا الشيخ سعدى ونشره فى صحيفة (زبان آزاد)[١]، وأضاف فى نهاية المقالة:

لا تبحث يا عزيزى عن قبعة فيكتور هوجو الحمراء فى أول قاموس دانشكده ! فلم تهبّ عاصفة بعد فى قاع محبرة فتية طهران[٢].

فاستسلمت دانشكده دون أن تحتج :

لا تغضب فإذا كان أحد أعضائنا أراد أن يتجاوز التجديد ونظم الغزل بنفس أسلوب سعدى ونشره فى الجرائد للأسف دون أن يحصل على موافقة وإذن دانشكده فلا تؤاخذه فإنه لن يفعل ذلك مرة ثانية.

ومن الآن فصاعدًا ستنبّه دانشكده على أعضائها بضرورة عدم نشر أى أشعار فى الصحف دون الرجوع إليها وإلا ستأمرهم بضرورة عدم كتابة رقم العضوية فى نهاية تلك الأشعار.

ت. ب. عضو دانشكده[٣]

مدرسة سعدى

وفى نفس هذا الوقت (أو قبله بقليل) نشرت صحيفة (زبان آزاد) مقالة بعنوان "مدرسة سعدى[٤]"، وكان كاتب المقالة قد هاجم سعدى ومكانته الرفيعة وتساءل

---

(١) كانت هذه الصحيفة ناطقة باسم الديمقراطيين التنظيميين، وكانت تصدر بدلاً من " نوبهار " تحت إدارة " معاون السلطنة " ورئاسة تحرير " سيد هاشم وكيل " و " ميرزا على أصغر خان الطالقانى " وكان كاتبها ملك الشعراء بهار وفى هذا التاريخ لم تكن مجلة "دانشكده" قد صدرت بعد .

(٢) صحيفة تجدد، العدد ٦٦، ٢ ربيع الآخر ١٣٣٦ هـ ق.

(٣) صحيفة تجدد، العدد ٧٩ بتاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٦ هـ ق.

(٤) نشر الجزء الأول من هذه المقالة فى عدد يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٣٣٦ هـ ق (١٣ دى ١٢٩٦ش) (يناير ١٩١٨م) وكان كاتب المقالة هو على أصغر الطالقانى والد المهندس خليل الطالقانى، وكان سعدى قد أهين فى هذه المقالات فى اعتقاد أدباء العصر، وحدثت ضجة فى الأوساط الأدبية واضطرت الحكومة لإغلاق الصحيفة.

"ما هى كليات سعدى هذه التى سجدت لها الشعوب الناطقة بالفارسية ؟ " وقد اتحدت صحف طهران، كما كان متوقعًا، فى الدفاع عن الشاعر الشيرازى ووجهت للكاتب الوقح سيلاً من السباب والشتائم وصاح أحد تلامذة "مدرسة سعدى" فى وجه كاتب المقالة دفاعًا عن أستاذه.

وأثناء هذه المشاجرة علا صوت أحد الأساتذة من فناء "مدرسة سعدى" والذى أغلق عينه وأصم أذنه وأخذ يصرخ قائلاً " هل ستطوون كتاب سعدى والملا ؟ فماذا قدمتم أنتم من العلم والفضل ؟ "، وبعد "فإننى أقول إن كل الأصول والقواعد موجودة فى بوستان سعدى وغزليات حافظ[1] ".

وعلى هذا النحو رُفعت راية التمرد و لم يعد هناك طريق للعودة ولكن لم يكن كتّاب كلا الفريقين يعرفون بالضبط طريقة وأسلوب المجادلة فكانوا فى كل خطوة يخطونها يبعدون بسهولة عن الموضوع الأصلى.

فانتهز "تقى رفعت" المحرر الأدبى لصحيفة تجدد التبريزية الفرصة التى كان ينتظرها وتحجج بهذه الواقعة وجعل الأبحاث المتناثرة وغير المنظمة تتفق مع منهجه الطبيعى وأكسبها الصورة الجادة الأصلية.

التمرد الأدبى: سنقرأ مع القرّاء فيما يلى مضمونًا، أو فى بعض الأحيان، أجزاءً من مقالات "التمرد الأدبى" التفصيلية والتى قد نشرت فى الأعداد ٧٠- ٧٣ و ٧٤ من صحيفة تجدد:

عندما تدور القضية حول اسم سعدى تصبح قضية أدبية، وعندما يتحمل سعدى وأدباء مدرسته وزر انحطاط الأمة الإيرانية تصبح قضية اجتماعية، والقضية فى كل الأحوال مهمة وتستلزم الدقة.

---

(١) كانت هذه العبارات لملك الشعراء بهار.

أمّا الادعاء الكبير للخصم المفتون بمدرسة سعدى فهو أن " السبب الرئيسى فى كل أزماتنا الوطنية والاجتماعية هو فقط وفقط الخلل الموجود بأسس التعاليم الوطنية وفساد مبادئ التربية الاجتماعية والذى أخذ ينخر كالسوس فى بطن قوميتنا منذ ثمانمائة إلى تسعمائة عام حتى أفرغها تمامًا ".

" لا يوجد إخلاص حقيقى على الإطلاق، وهناك صرخة صادقة تعلو خلف هذه العبارات وهى صادرة من أعماق قلب يحترق لآلامنا الاجتماعية ".

أنصتوا جيدًا للكاتب الثائر: " إن أسس التعاليم الوطنية ومبادئ التربية الاجتماعية الإيرانية محصورة للأسف فى عدة كتب والتى قد استحوذت موضوعاتها على تفكير جميع طبقات المجتمع وأذهانهم ونالت فى محيط أدبنا القديم والحديث مرتبة أعلى من الكتب السماوية ".

أنتم تشعرون بإفراط وغلو ومبالغة فى هذا المعتقد، ولكنه إفراط حتمى ولابد منه، ففى كل مرة تنتزعون فيها علة واحدة فقط من بين علل كثيرة لمعلول واحد محدد، وتريدون أن تعرضوها على المراقبين ترتكبون نفس هذا الخطأ وهو الإفراط أو التفريط، ولكن لنتابع ما كتبه هذا الكاتب الذى أحدث ضجة:

" وأهم وردة فى باقة هذه الكتب هى كليات مصلح الدين سعدى والتى أحب أن أسميها هنا بمنتهى الجرأة كليات الانحطاط ".

وكاتب " مدرسة سعدى " يستحق الإشادة والتكريم فقد قال كلامًا جريئًا وطرح قضية مهمة للمناقشة...برافو ! كان لابد من هذا التمرد فقد كانت الثورة السياسية الإيرانية بحاجة إلى هذه التكملة وهذه التتمة، وكانت هذه الانتفاضة تنتظر نقطة الانطلاق، وقد أعطى كاتب مقالة (زبان آزاد: اللسان الحر) الثورية إشارة البدء ويستطيع الشباب الآن الهجوم على قلعة الاستبداد والرجعية الأدبية.

ولابد من الهجوم لأننا يجب أن نكون أولاد عصرنا، فصوت المدفع والبندقية فى الحروب الدولية يوقظ بداخلنا شعورًا لا تستطيع أن تسكنه أو تعبّر عنه اللغة المعتدلة والموزونة والجامدة القديمة التى استخدمها سعدى وأبناء عصره فى أناشيدهم أو فى الواقع أورادهم وأذكارهم، فنحن لدينا احتياجات لم تكن موجودة فى عصر سعدى، ونواجه صدمات التيارات الوطنية والسياسية المعارضة والتى عجز سعدى عن تصورها، ونشعر بداخلنا وفى محيطنا بسلسلة من النقائص والعيوب المادية والمعنوية والتى لم ينطق سعدى بأول حرف منها، وأخيرًا فإننا نعيش فى عصر يعتبر فيه أطفال المدارس الحاليون أصحاب الثلاثة عشر عامًا أكثر علمًا بمراحل من سعدى فى العلوم والفنون المختلفة.

إن فقرنا المعنوى هو الذى يقودنا إلى هذا التمرد وسوف يتحمل سعدى والفردوسى وحافظ وكل الشعراء والأدباء السابقين صدمات هذه الثورة ولن يخلصهم شىء، وخلاصهم فى نجاح التمرد، فهذا التمرد سيخرج منه مَنْ يحميهم وينصرهم، وسوف يستولى على غذاء العقل المتعطشون للعلم والفن، والشعر والأدب، والشعور والفكر، وسيقومون بتكميل وتتويج الثورة السياسية والاجتماعية.

لهذا لا تحدثنا الآن عن سعدى وحافظ والفردوسى نحن الشباب المضطرب المهموم فى عصر اليقظة هذا، واشرح لنا معنى الحياة وعرّفنا طريق الفوز والفلاح، مدّ أرواحنا بالريش والأجنحة، وأفكارنا بالنور والضياء، وارفع عن أعيننا كابوس الانحطاط والاضمحلال[1].

أمّا أنصار سعدى الذين ردوا على اعتراضات (زبان آزاد) فقد كانوا جميعًا بعيدين عن هذه الموضوعات وعن هذه العوالم، وقد نشر أحد هذه الردود فى " نوبهار" (٢٢ ربيع الأول) بعد يومين من نشر مقالة (زبان آزاد).

---

(١) صحيفة تجدد، العدد ٧٠ الأربعاء ١٦ ربيع الآخر ١٣٣٦.

وكان كاتب هذا الرد قد أمسك بالقلم بقصد سحق وتدمير معارضي مدرسة سعدى، فدخل المعركة موجهًا التهديدات والويل والثبور كالشخص الذى يشعر بأن وراءه أغلبية مستعدة للدفاع عنه.

وبهذه المناسبة كتب رئيس تحرير صحيفة " تجدد " ما يلى:

... لا يحق لهم لكى يرفعوا من قدر سعدى أن ينكروا فضائل الأمة التى يعد سعدى نفسه ثمرة من ثمار أرضها الزاخرة بالنفائس... وما يدعو للأسف أن ينسبوا حركة ثورية صادقة إلى فساد الأوضاع مثل الأكاذيب السياسية الملفقة، فهذا سباب وقح جدًا.

إن عوامل انحطاط أى أمة مسألة مهمة ونطاقها واسع جدًّا، أمّا الصرخة التى قد صدرت بشأن تحديد هوية سعدى فإنها من الممكن أن تدخلنا فى هذا المبحث العظيم من جانب واحد فقط ولا يمكن فى هذه الحالة أن نتحدث عن القضية كلها.

... التلميذ المفتون بأستاذه... عندما يرى أن أفكار سعدى كانت راقية ومتميزة بالنسبة لعصره وبيئته فإننا نقبل ذلك، أمّا إذا أراد أن يقول إننا نستطيع أن نعتبر هذه الأفكار فى الوقت الحالى أيضًا مثل أفكارنا المعاصرة — فإننا نرفض[1] ".

من هو سعدى ؟: بخلاف المقالتين الرئيسيتين اللتين نشرت إحداهما بصحيفة (زبان آزاد) بعنوان "مدرسة سعدى" وأعلنت التمرد على الولاء للأدباء والشعراء القدامى، والرد الذى نشر بصحيفة "نوبهار" بتوقيع "تلميذ مدرسة سعدى"، نُشرت مقالات أخرى أيضًا فى صحف ذلك العصر والتى لم تكن تستحق اهتمامًا خاصًا من حيث موضوعاتها وأفكارها وأسلوبها، ولكن بناءً على وعد سابق فقد خصصت صحيفة "نوبهار" مقالة مفصلة عن هذا الموضوع بقلم مديرها محمد تقى بهار ملك الشعراء تحت عنوان " من هو سعدى ؟ " وعبّرت عن رأيها فى هذا الموضوع.

(١) صحيفة تجدد، العدد ٧٠ الأربعاء ١٦ ربيع الآخر ١٣٣٦.

وقد شرح الكاتب فى مقدمة مقالته هوية سعدى وفضائله واستفاض فى هذا الموضوع بعبارات كانت تتوافق مع أفضل الأسس الفنية من حيث البنية والتركيب، وتتمتع بأحسن التراكيب من حيث الانسجام واللحن، وأخذ القرّاء إلى مسائل متنوعة مثل تأثير البيئة فى المواهب، الشعر الطبيعى وغير الطبيعى، الثورة، التكامل، الانحطاط وتأثيره فى الشعر، تأثير الفلسفتين اليونانية والهندية فى الأدب الإيرانى وغيرها، وقد أمسك كاتب صحيفة تجدد القلم مرة أخرى بمناسبة هذه المقالة وكتب ما يلى:

لن نتوقف عند شرح وتحليل ومشاهدة اللطائف الأدبية والفنية لهذه المقالة... وسنحاول ألا نبتعد كثيرًا عن أصل القضية المتنازع عليها وأن نعرض على القرّاء الراغبين فى التجديد من بين ما ذكره مدير "نوبهار" ما يتعارض، من وجهة نظرنا، مع الحقيقة الحالية ويتنافى مع المعتقدات المعاصرة... يجب ألا ننسى أن أصل القضية هو فقط: هل أفكار وتعاليم الشعراء والأدباء والحكماء القدامى تكفى لحاضر أمة معاصرة ومجددة أم لا؟ أو بعبارة أخرى هل أعمال القدامى الشعرية والنثرية تمدنا بأفكار حديثة أو تعطينا انطباعات ومعلومات وأحاسيس جديدة أو أى شىء جديد أم لا ؟

ويُقال فى الرد على هذا السؤال: " عندما نقرأ هذا البيت لسنائى:

يؤمن العامة بالبقرة إلهًا ولا يؤمنون بنوح رسولاً !

فإننا نتلذذ ونطرب ونكتشف معلومة ظريفة " .

ولو لخصنا هذه التصريحات ستصبح كالتالى: " بالنظر إلى أفكارنا الحالية ومعلوماتنا المكتسبة فإن الأحاسيس والانطباعات التى من الممكن أن تظهر لدينا فى ظل المؤثرات الخارجية، تبرز أثناء قراءة هذه الأشعار، فنقوم نحن بتجميل هذه الأشعار وتأويلها والتلذذ بها ".

إن التأويل الذى كان يقدمه أجدادنا بنفس الجودة تقريبًا، واللذة التى كان القدماء يستشعرونها أفضل من التى نشعر بها، والإحساس الذى يولد بداخلنا لا يضيف

إلى وجودنا شيئًا غير أنه يعطينا النعم المتوارثة، فهل وجودنا نحن بمثابة لا شيء ؟، وهل لا نستطيع الادّعاء بأننا قد تعلمنا لغتنا الوطنية وأدبنا الوطنى وتعاليمنا الوطنية بشكل جيد ؟ (مع الوضع فى الاعتبار أن كل هذه الأمور الوطنية ليست معاصرة لنا).

لندع البقرة جانبًا وننظر، هل تقدّم هذه الآداب "للشباب الإيرانى الراغب فى شئ من التجديد" واحدًا على مائة أو واحدًا على ألف مما تقدمه " شاترتون[١] " من مشاعر وأحاسيس أم لا ؟

لو لم تكن هناك حضارة متقدمة وحركة إنسانية متكاملة فيما وراء حدود إيران وكان عصرنا أحد عصور القرون الوسطى، وكان العالم كله عبارة عن العالم الإيرانى فقط، لقنعنا ورضينا بهذه الثروة والقدرة الأدبية المحدودة، هل حقًا عندما ترون أنفسكم بعيدًا عن قافلة الحضارة وأنتم إيرانيون لا تشعرون بأى ألم أو مرارة فى أعماق قلوبكم ؟

حسنٌ، أى شعر وأى شاعر من شعرائكم يمكن أن يترجم لكم هذا الألم بشكل جيد ؟ مثلاً هل البيت الذى يقول:

يا من ذهبت ورحت فى النوم خمسين عامًا هل ستصحو فى الأيام الخمسة الباقية

...يكفى؟ وهل له أى علاقة بهذا الفكر وهذا الإحساس؟

أو هل هذا الغزل وبعض المصاريع المشابهة له " رأيت مزرعة الفلك الخضراء ومنجل القمر الجديد(الهلال)..." إلخ. أو غزل آخر أو قصيدة أخرى نظمت فكرتها ألف مرة، هل ستنجح فى التعبير عن ذلك الألم وعلاجه ؟

وهنا أسأل نفسى ألم نقم بتوضيح الأمورالواضحة الجلية ؟ هل إثبات أن شعراءنا القدامى كانت لهم مكانة عالية وذكاء خارقًا وموهبة غير عادية، ولكنهم لم يتمكنوا

---

(١) المقصود: Chatterton، مسرحية للشاعر الفرنسى ألفريد دو فيني والتى كتبت سنة ١٨٣٥ م.

بالطبع من رؤية الأشياء التى نراها نحن اليوم ويجب أن نتأثر بها نحن ونحسها وأخيرًا نسعد بها أو نحزن، هل يحتاج هذا فى الواقع إلى إقامة الدليل ؟

والرد على هذا السؤال لا يمكن أن يخرج عن حالتين: إمّا أنهم قد أدركوا أو لم يدركوا، وإذا كانوا لم يدركوا فلابد أن نقبل أن العالم فى تبدل وتحول مستمرين، وفى عالم الوجود والبقاء توجد الثورة ويوجد كذلك التكامل وبالتالى التجديد، تجديد دائم ومستمر، تجديد لا يفارق الحياة، وبعد فيجب أن نتبع عوامل هذه " الرؤية " ونؤمن بالشىء الذى قد أدركناه.

ومسألة أننا كان عندنا سعدى وأمثاله فى فروع العلوم والفنون القديمة لا تعنى أننا لم نعد فى حاجة لسعديين آخرين، وبالطبع مهما قلنا أو أردنا فإن هؤلاء السعديين الآخرين لكى يصبحوا " آخرين " لابد لهم أن يكونوا " جددًا ومجددين "، ومن ناحية أخرى فإن مسألة أن سعدى كان رجلاً (شاعرًا وأديبًا وفيلسوفًا...)عظيمًا وفاضلاً لا تعنى أنه كان خاليًا من أى نقص أو عيب، وأنه لم يرتكب خطأ واحدًا فى حياته وفى عمره الأدبى أو لم يصدر منه فعل سيئ وغير مقبول !

إن الحرية الفكرية- التى هى أغلى الحريات - شرطها ألا تكون مقيدة بأية ملاحظة تخالف العقل والمنطق، فلا يجب إعلاء مكانة سعدى وتبجيله لدرجة منحه مقام الربوبية. فقد كان سعدى هو سعدى، فهو رجل إيرانى عاقل يقظ وعالِم عصره... شاعر رقيق المشاعر، أديب حكيم، كاتب نثر مبدع، ناظم محترف، فيلسوف مجدد بالنسبة لعصره، وكانت لديه "إطلاله" على اللغة اللاتينية، وتحت يده أعمال الأدباء الغربيين، واستخدم الكلمات الفلسفية فى الشعر والنثر بأسلوب شرقى، وهناك مجموعة أشياء أخرى تجعل سعدى حاليًا مدعاة لفخر الإيرانيين وأساسًا لمباهاتهم، ويعتبر هذا النجاح غير عادى، والسبب فى ذلك أن سعدى نفسه ليس له ند أو نظير فى مجال تخصصه فى الشرق[(١)] ".

---

(١) صحيفة " تجدد "، العددان ٧٣ و ٧٤ السبت والأربعاء ٢٦ ربيع الآخر وأول جمادى الأولى ١٣٣٦.

وأنهى كاتب " تجدد " مقالته بالآتى:

وحين نقرأ مقالة "نوبهار" القيمة حتى النهاية يجب أن نلاحظ هذه العبارات الأخيرة أيضًا: " وأنا أتحدى وأقول أشيروا إلى أى قانون أو قاعدة تكون فى الوقت الحالى أجدد وأنفع للحياة العامة والأخلاق الاجتماعية حتى أستخرجها لكم من كتاب المثنوى أو بوستان سعدى أو من غزليات حافظ ".

ولو صح هذا الادعاء لكان أسوأ مدح لسعدى، لأن سعدى لو أنه " كان قد كتب جميع القواعد والأسس للحياة العامة، والمبادئ الاجتماعية " للتذكار يكون قد أتعب نفسه دون جدوى تقريبًا، ولو أنه كان قد قبلها وأمسك بالقلم بهدف نشرها يكون قد جمع الأضداد فى آن واحد وأثبت أنه لا يؤمن بأى منها[1].

رد "الداعى إلى التجديد": أضاف رئيس تحرير صحيفة "تجدد" السطور التالية فيما بعد لبياناته السابقة فى نقده الذى نُشر بقلم " الداعى إلى التجديد " على مقالة " من هو سعدى "[2]، خاصة ذلك الجزء الذى أشار إلى شمولية تعاليم سعدى ومعاصريه:

... هناك اعتقاد شائع بين الإيرانيين ومفاد هذا الادعاء، أن كتاب سعدى يضم جميع مبادئ صفوة العلماء المتقدمين والمتأخرين، فهؤلاء الذين قد شعروا بشىء من الغلو والمبالغة فى هذا الادعاء، لو أفرطوا فى الإنصاف وقول الحق سيدّعون طبقًا لمقالة "نوبهار" أنه:" يمكن القول بأنه حتى الآن لم يُكتب كتاب فى الفارسية بهذا الكمال وهذه المتانة والبساطة وأن هذا الكتاب فريد من نوعه فى دروس الأخلاق وتدبير شئون الحياة " وقد كان نقدنا مخالفًا للآراء سالفة الذكر ومعارضًا لتلك الادعاءات، لأن كتاب سعدى ليس أيًا من هذه، ولو كان كذلك فإنه يكون بشرط نسبى.

---

(١) صحيفة " تجدد "، العدد ٧٤ الأربعاء أول جمادى الأولى ١٣٣٦.
(٢) صحيفة " تجدد "، العدد ٧٦ الأربعاء الثامن من جمادى الأولى ١٣٣٦.

فإنه كامل من وجهة نظر الأدب القديم تام، لأنه يشتمل على أغلب معتقدات عصر سعدى، متين لأنه قد كتب بلغة فصيحة وخالية من الأخطاء الأدبية، بسيط لأنه كان من الممكن أن يكون غامضًا، ويوجد عند سعدى نوع من" الدروس الأخلاقية " الممزوجة بنوع من " تدبير شئون الحياة " والتي تعتبر في الواقع خاصية فريدة.

والدروس الأخلاقية التي يمكن أخذها من مؤلفات سعدى هي " إلى حد ما " الدروس الأخلاقية، وشيء من التعمق في عدة حكايات من الجلستان يمكن أن يغنينا عن الشروح التفصيلية في هذا الشأن، فأولى حكايات الجلستان تعلمنا أن " الكذب الذى يهدف إلى المصلحة أفضل من الصدق المثير للفتنة "، والحكاية الرابعة تعلمنا أن " النزعات الإجرامية الموروثة لا يمكن إصلاحها بأى تربية "، والحكاية الثامنة مضمونها أن الملوك يجب أن يتخلصوا بلا رحمة من الأشخاص الذين يخشونهم:" فالقطة المسكينة لو كان لها جناح لسرقت بيضة العصفور من الدنيا" ، وتقول الحكاية التاسعة إن " ورثة أى شخص هم أكبر أعدائه "، والحكاية الرابعة عشر تقول إن " الجندى الذى لا تصل إليه جرايته من الدولة يحق له الفرار من المعركة ".

وتقدم الأشعار التالية أمثلة مفيدة في تدبير شئون الحياة:

إن العقـــــــلاء قــــــــد ســــــــلّموا العنـــــــــان
لأنـــــــــك تجــــــــد الفاشــــــــل محظوظًـــــــا

طالمـــــا لـــــيس عنــــدك الظُفـــــر الحـــــاد القـــــاطع
لـــــذلك فإنــــه مــــن الأفـــــضل أن تقلــــل الـــــشجار

كـــــل مـــــن اســـــتعرض قبــــضته ذات الـــــساعد الفـــــولاذى
أتعــــــــب ســــــــاعده الفــــــــضى

فـــــانتظر حـــــتى يَغُـــــل الزمـــــان يـــــده
ثم أطــــــح برأســــــه كمــــــا يحلــــــو لــــــك !

إن الأمور الكلية التى لا يمكن أن تخرج جزئياتها صحيحة وسليمة من أى اختبار دقيق وتحليل شامل، لا ينبغى أن تدفع أنصار سعدى للتعصب أكثر من اللازم، ولكن بعض الوثنيين قد رفعوا سعدى كما قلنا إلى مقام الربوبية، وعندما يسمعون " أوامره " ترفرف أرواحهم وتسمو عن أجسادهم، فسعدى بزعمهم هو العقل الشامل، وقد كان علم الأولين والآخرين محفورًا فى صدره. وهذا الاعتقاد هو ثمرة التعبد الذى يمكن أن يليق بالفتشيين[١] بأفريقيا ولا يليق بالشباب الإيرانى المعاصر[٢].

---

(١) Fetichistes: الوثنيون الذين يرون فى بعض الأشياء والأجسام الخاصة خاصية الإعجاز ويعتبرونها بمثابة الخرز والخارس.

(٢) صحيفة " تجدد " العدد ٧٩، السبت ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٦.

الفصل الثانى

قضية التجديد فى الأدب

مجلة دانشكده

بعد وقت قليل من المناظرة حول مكانة سعدى قامت مجلة "دانشكده" الأدبية والتى كانت ثانى مجلة أدبية تظهر فى المطبوعات الفارسية بعد مجلة "بهار" لاعتصام الملك، بإصدار أول عدد لها، وتولى إدارتها ملك الشعراء بهار وساعده مجموعة من الكتّاب الشباب[1].

وهذه المجلة التى كانت قد تأسست على حد قولها " من أجل نشر الروح الأدبية وتحديد منهج جديد فى الأدب الإيرانى " قد جعلت هدفها الأساسى هو إحداث تجديد " بطىء لين ومرن " " دون همهمة وبدون ضجيج ومظهرية "، ولم تكن تجرؤ بعد على أن " تجعل هذا التجديد معولاً لهدم الصرح التاريخى لآبائها الشعراء وأجدادها الأدباء " وإنما كانت تريد "أن ترممه بالفعل وأن تضع بجانبه دعائم التجديد لتعلو جدرانه وأعمدته عبر مسيرة التكامل ".

وبرغم هذا المنهج المناسب والمعتدل الذى سلكته مجلة دانشكده وظهورها فى الواقع كتيار وسطى بين المجددين المتشددين والمحافظين المتعصبين، فإنها واجهت فى بداية صدورها اعتراضات المتشددين وانتقاداتهم الحادة.

---

(١) عباس إقبال آشتيانى، رشيد ياسمى، سعيد نفيسى، رضا هنرى، سردار معظم الخراسانى تيمور تاش، أحمد رخشان (الدكتور أحمد مقبل فيما بعد)، يحيى ريحان، عبد اللـه انتظام، حبيب اللـه أميرى، إبـراهيم ألفت، علي رضا صبا، عبد اللـه تلگرافچى زاده، على أصغر منصور .

ولقد نشرت صحيفة تجدد فى أحد أعدادها نص أول مقالة لـــ "دانشكده " التى كتبت بقلم ملك الشعراء بهار نفسه، وأخذت تحدد منهج المجلة وفقًا للشرح الذى ذُكر سالفًا، وبهذه الحجة نشرت مقالات مفصلة بعنوان " قضية التجديد فى الأدب ".

التجديد فى الأدب: طرحت سلسلة مقالات " قضية التجديد فى الأدب " أهم المسائل المتعلقة بالتجديد الأدبى ضمن ردها على الأجزاء المهمة والحساسة من مقالة دانشكده، وكان قد جاء فى مقالة دانشكده:

... نحن لا نريد أن نفعل شيئًا من تلقاء أنفسنا قبل أن تأمرنا مسيرة التكامل...

ولهذا فإن هدفنا الأساسى هو تجديد بطيء ليِّن ومرن يتفق مع احتياجات المجتمع الحالية ويتناسب مع الأوضاع التى تقودنا نحو التكامل، وما زلنا لا نجرؤ على أن نجعل هذا التجديد معولاً لهدم الصرح التاريخى لآبائنا الشعراء وأجدادنا الأدباء، ولهذا فإننا سنقوم بترميمه بالفعل وسنضع بجانبه دعائم التجديد لتعلو جدرانه وأعمدته عبر مسيرة التكامل.

فكتبت " تجدد " فى الرد

يا شباب دانشكده، حيثما وُجدت البيئة التى يمكنها أن تقودكم إلى الكمال لا تنسوا أن هناك بيئة أخرى أيضًا يجب أن تقودوها أنتم إلى الكمال، وهذه البيئة الأخرى أقرب إليكم.

لماذا لا توضحون فكركم أكثر؟ لنفرض أنكم لن تهدموا أساس " الصرح التاريخى لآبائكم الشعراء "، فكيف فى نفس الوقت الذى سترممون فيه هذا الصرح ستنجحون فى "وضع دعائم أحدث " ؟

لقد اعترفتم فى السطور السابقة بعدة أشياء:

أولاً- أنكم تخافون، وستعيشون داخل صرح آبائكم.

ثانيًا- أن هذا الصرح يحتاج إلى الترميم وستقومون أنتم بهذا الأمر.

ثالثًا- ستضعون بجانب هذا الصرح " دعائم التجديد ".

أى بناء وأى معمارى سيضع مثل هذا التصميم، إن هذه الفكرة ستقودكم إلى الفشل، هل سترممون تشققات تحت جمشيد بخرسانة القرن العشرين ؟ هل تتخيلون أى بناء عجيب الشكل هذا الذى ستحصلون عليه ؟ إن بناءكم وبناء آبائكم المهدم هذا سيكون على هيئة مسخ مُشوّه إن الصرح القديم الشريف قد فَقَدَ كل قيمته الأصلية مثل ملك متنكر فى رحلة غامضة عاجز عن إثبات هويته، وأنتم سوف تنزعون الفصاحة وطلاقة اللسان عن تلك الكومة من الأنقاض والأتربة والرماد، وستمحون آثار " صناديد العجم " بــ " رسومات ونقوش الباب والجدار المحطم ".! أى فن عجيب هذا !

وحتى هذا الفن لن يكون عندكم أيضًا لأنكم تخافون، لأنه بهذه الطريقة سيكون فى رأسكم هدف واحد وفكرتان !

أنتم ستقولون فى ردكم: " نحن نراعى فى أى أمر شيئين: الحاجة والإمكانيات " ونحن سنفكر قائلين: الآن مجموعة الشباب التابعين (للحاجة والإمكانيات) هل سيجوعون عندما يكون لديهم (الخبز) و (يستطيعون) سد جوعهم ؟ أى أنهم لن يطلبوا الخبز ما لم يجوعوا ولن يسعوا فى الوصول إليه ما لم يتأكدوا من العثور عليه.

وسنقول لأنفسنا:

فى النهاية هم شباب، ومهما ادّعوا فسيأتى اليوم الذى يجوعون فيه، سيجعلهم الزمن يشعرون بالجوع، وعندئذ هل إمكانية أو عدم إمكانية الوصول إلى الخبز ستسد جوعهم ؟ طالما أن المتطلبات الحياتية تتغلب دائمًا على توقعات عقلهم ومنطقهم فإنهم سيجرون حتمًا خلف الطعام ويسدون جوعهم بأى شىء تصل إليه أيديهم، مثل الصرّافين المفلسين يؤجلون صرف حوالة الموت لفترة ومهلة بعد مهلة ولا يصدر منهم أى عمل جاد ومحترم.

إن " دانشكده " تتصور أن " التجديد فى الأدب " هو دفتر يمكن أن تشتريه من مكتبة أوربية وتضعه تحت الإبط، وبعد ذلك كلما أحست بأن الأمة فى حاجة إليه قطعت منه ورقة أو عدة أوراق بقدر الإمكان ووضعتها فى فم الأمة، إن " دانشكده " تظن نفسها " مخزن الأدب " وترتدى ثوب الخازن.

مع أنها للأسف ترى بعينها أن التجديد قضية أصعب من ذلك بكثير.

فالوصول إلى " تجديد " خاصة فى الأدب الإيرانى الذى شهد عصرًا كلاسيكيًا مزدهرًا، ليس أمرًا سهلًا، فالفن فى هذا الميدان يحتاج لمائة بطل جسده من حديد.

ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن ينهض حاليًا أديب مجدد مرة واحدة ويلخص التجديد فى كلمتين فجأة وينجز أعمال مائة سنة لمائة أديب فى يوم واحد.

يا أدباء " دانشكـــده " الشبـــاب ! اطلبوا مساعدة جميع زملائكم بأكثر " مشاعر التجديد " إفراطًا وأبعد "الآمال الأدبية" التى تبحثون عنها بداخلكم، وادخلوا المعركة بلا خوف، لا تخافوا واهدأوا وقاتلوا بشدة، فإنكم لن تنجحوا فى الوصول إلى هدفكم بتلك الوتيرة.

إن حماسكم الأدبى هو الذى يمكن أن يقدم لكم فكرًا صحيحًا عن " التجديد " ربما بعد مجهودات كثيرة تجدون فوق ورقة تدريباتكم عدة ألفاظ خطأ وعدة عبارات غير موزونة وعدة أشعار غير مستوية، ولكن اهدئوا فإن " التجديد " سيكون لا يزال بعيدًا جدًا عنكم.

إن التجديد بمثابة ثورة والثورة لا يمكن تقطيرها فى عين الجماعة بالقطارة كالدواء، أنتم جماعة "دانشكده" تقولون:

" طالما أن الخط الفارسى بهذه الحالة من القصور، وألفاظ العجم محدودة إلى هذه الدرجة، والأصول الفنية والعلمية فى دولتنا غائبة لهذا الحد، وطالما أن مشاعرنا العامة

وأخلاقنا الوطنية وأفكارنا الاجتماعية فى الوقت الحالى قد استقرت، و لم يترل مطر التقدم والتجديد ولو بمقدار قطرة واحدة فى أنوف غالبية أفراد هذا الوطن، فإننا نرى أنه لا فائدة مثلاً من أن نطبع مجلتنا بالحروف المقطعة، ونوفق أشعارنا مع سيل الأشعار الأوروبية غير الموزونة، ونعرض أفكارنا فى قوالب جديدة جدًا والتى مازال مفهومها غير واضح فى بلادنا ".

إن مثل هذه التصريحات تعطينا انطباعًا غريبًا عن أسلوب تجديد " دانشكده " "فالخط الفارسى، ومطر التقدم والتجديد، أنوف غالبية الأفراد، والحروف المقطعة وسيل الأشعار غير الموزونة" ليست هى القضية هنا، فمن الممكن كتابة أى فكر جديد بالخط المسمارى على حجر من عصور ما قبل التاريخ، وكذلك يمكن على هذا الغرار طباعة ديوان أدبى كلاسيكى بأحدث اختراعات فن الطباعة وفى أفخم المطابع الأوروبية، فقضيتنا هنا ليست هى أى منهما سيكون أحدث.

يا أهل " دانشكده "، لا تنتظروا الغوث من " المشاعر العامة والأخلاق الوطنية والأفكار الاجتماعية " فكل هذه التراكيب المتتالية والمترادفة ليس لها معنى فى هذه القضية.

فهذه المشاعر العامة والأخلاق الوطنية، فى مقابل الحركة الدستورية والحرية مثلاً قد أفرزت أيضًا الغربة وعدم الانتماء، ولو ربطتم هذه القذائف الثقيلة فى قدم موهبتكم الشعرية وقريحتكم الأدبية سيكون من المستحيل لكم الارتفاع، ولو أنتم أدباء أو شعراء، فاعلموا أن الشاعر أو الأديب غير "تابع" وإنما "رائد".

اسحبوا الماء إلى أعلى، أو بعبارة أخرى، اسبحوا ضد التيار، لأن مَنْ يعرف القليل عن السباحة يستطيع أن يقطع المسافات فى اتجاه التيار، اكتبوا للغد.

أنتم ترون الآن أن سعدى نفسه يعارض وجودكم، فتابوت سعدى يخنق مهدكم ! والقرن السابع يسيطر على القرن الرابع عشر ولكن هذا القرن القديم سيقول لكم: "إن كل من جاء بنى عمارة جديدة" وأنتم تفكرون فى ترميم عمارة الآخرين، وبينما أنه

فى الواقع كل من كان يأتى كان يبنى عمارة جديدة، فإن سعدى لم يكن يستطيع أن "يستبدل" "المترل بآخر"، و لم يكن "كل شخص" يجد " آخر " فى الخارج !

استقلوا بأنفسكم وجددوا فى عصركم على الأقل بنفس القدر الذى أظهره السعديون فى عصرهم، لا تستووا بالأرض تحت وطأة قيود ماضٍ عمره سبعمائة عام، اثبتوا وجودكم، إن وجود أى شيء فى الدنيا لا يمنع وجود شيء آخر، وأخيرًا يجب أن يكون هناك تعاقب وتناسب وأن يعقب الليل النهار ويأتى القمر وراء الشمس(١).

رد " دانشكده "

أمّا رد " دانشكده " على هذه المقالات فلم يكن يحمل أى جديد و لم يكن يوضح أى موضوع ولذلك فإن نقله ليس له أى فائدة، ومع هذا فإننا لكى لا نترك هذا البحث ناقصًا سننقل فيما يلى الأجزاء الهامة من مقالة " دانشكده ":

بعكس الأشخاص الذين لا يعلمون معنى الرقى ويتصورون أنه هو فقط القفز والسقوط على الأرض، فنحن نعتبر أن عوامل التكامل الطبيعى والتقدم التدريجى هى المؤثر الأساسى الوحيد فى الرقى الحقيقى، ونرى أن الثورة الحقيقية أبطأ وأصعب من أن يريد كاتب ثورى أن يقدم لنا مثالاً واقعيًا فى أول قفزاته الفنية خلال أولى رقصاته الموزونة أو غير الموزونة، التقليدية أو المبتكرة.

نحـــن لسنا مفلسين أو عاجزين حتى تجبرنا الطبيعة على الابتكار وسد الحاجة وإنما نحـــن نســـير فى طـــريق التكامل والرقى، وإذا لم نسر فإن الرقى سيرحل من أمامنا ويصل إلى أولادنا، وإذا سرنا معه سنستفيد نحن أنفسنا منه أيضًا وإذا سبقناه ربما ضللنا الطريق.

---

(١) صحيفة " تجدد "، العدد ١٢٥، الخميس ١٢ شعبان ١٣٣٦.

إن زميلنا يقول لنا: " اسحبوا الماء إلى أعلى، أو بعبارة أخرى، اسبحوا ضد التيار، لأن مَنْ يعرف القليل عن السباحة يستطيع أن يقطع المسافات فى اتجاه التيار " وهذا التشجيع والتحفيز ليس لهما معنى فى الحقيقة،...وإن وُجد لهما معنى فى بعض الأحيان فقد كان يجب أن يُوضح من خلال معانٍ وروح أدبية، فبينما حديثنا فى أسلوب أداء المعانى و " صرح آبائنا" أى الأسس والقواعد اللغوية والشكلية التى لا نجرؤ على هدمها...فإن استخدام رسومات ونقوش الباب والجدار المحطم وتشققات تخت جمشيد بشأن الصروح اللغوية هو قياس مختلف وخاطئ، فكلما دعونا إلى المحافظة على العادات والأخلاق والمعتقدات القديمة، ذكرتم لنا على الفور تشقق إيوان كسرى وأنقاض تخت جمشيد، من أين جاء هذا الأمر ؟ ولماذا كل هذا التأويل ؟

إذا كنتم أيها المجددون تعرفون الألفاظ والمصطلحات والتراكيب الأدبية الإيرانية المماثلة لأطلال المدائن، فاكتبوها بصراحة وبدون أى خوف ونحن لن نهاجمكم، وإنما سنسألكم فقط من أى محجر أو مصنع طوب ستجلبون بديل هذا الطوب والقواعد النحاسية وهذه المواد الجاهزة التى ليس لها مثيل حتى نذهب ونحضرها نحن أيضًا(١).

بقية الأحداث

انتهى بهذه المقالة جدل شباب أدباء طهران وتبريز، وتوقفت مجلة دانشكده بعد إصدار عشرة أعداد(٢)، ولكن صحيفة تجدد الصادرة بتبريز طرحت قضية " التجديد فى الأدب " للمناقشة مرة ثانية بعد فترة من الصمت واكبت الأحداث السياسية السيئة سنة ١٢٩٧ ش (١٩١٨م) وكفاح الديمقراطيين الأذربيجانيين، فكتبت على سبيل المثال:

---

(١) " انتقادات در أطراف مرام ما : الانتقادات حول هدفنا " بقلم ملك الشعراء بهار، مجلة دانشكده، العدد الثالث، الأول من تير ١٢٩٧ ش (١٩١٨ م).

(٢) من أرديبهشت إلى أسفند ١٢٩٧ ش (من أبريل مايو ١٩٢٨ إلى فبراير مارس ١٩١٩ م).

لقد أعلنا وجهات نظرنا فى المقالات السابقة، وقلنا إن هذه القضية فى رأينا لم تكن مجرد قضية أدبية بحتة وإنما هى قضية اجتماعية ووطنية مشتركة وبالتالى، فإنها قضية أساسية.

إن أدب أى أمة هو مرآة لحضارة تلك الأمة.

وإذا كانت حضارة الإيرانيين فى القرن الرابع عشر الهجرى حضارة تستحق الإشادة والاستحسان والمدح فإن أدبهم سيكون كذلك، والأدب الإيرانى المعاصر كأى أدب يتناسب مع ظروف العصر، كما أن قبوله بمثابة قبول الأوضاع والأحوال الاجتماعية والسياسية التى تسود الآن بلادنا الخربة المتدهورة.

والأسوأ من هذا أنه إذا كان الرجوع إلى الأدب قبل ستة قرون يعد فكرًا أدبيًا معقولاً فإن العودة إلى الحضارة والأسس الإدارية الملكية والنظام الاجتماعى للحياة فى نفس العهد تعتبر فكرًا ثوريًا وحضاريًا مقبولاً، ونحن لا يمكن أن نختار أيًّا من الشقين فنحن لا يمكن أن نصنع "الأدب من هيكل اجتماعى بعيد مهجور ".

وعلاوة على هذا فإننا نضع نصب أعيننا دائمًا رأى فيكتور هوجو ذلك الشاعر الفرنسى الرومانسى – والذى نرى مصداقية رأيه فى فلسفة تاريخ الأمم الحالية – إذ يقول: " إن النتيجة المباشرة الحتمية لأى ثورة سياسية هى ثورة أدبية " و "لا تشتركوا فى حركات التغيير والتجديد المادية إلا بالثورات المعنوية".

أمّا قضية " التجديد فى الأدب " فسوف نبحثها بدقة من النواحى الأساسية الثلاثة، من ناحية:

- الشكل
- اللغة
- الأسلوب

ومن وجهة النظر العامة سنأخذ " الصنعة الأدبية " ونقبلها على النحو الذى يتم به تفسيرها فى عصرنا، ونرى ضرورة ووجوب الامتثال إلى المفاهيم الدولية بخصوص "الصنعة"[1]. وبعد ذلك ستكون مناقشاتنا وانتقاداتنا كلها مُستلهمة من هذه المعتقدات الأساسية ومن هذه الأصول الأخلاقية مثلما كان الأمر كذلك فى بادئ الأمر[2].

وكتبت كذلك:

إن أدبنا القديم قد ابتعد عن مصادره الأولى وتراكم فى حوض واسع وقد استقر وتوقف فى ذلك المرقد الواسع فى حالة ركود وسكون.

والسد المنيع الذى لدينا نسميه سد "المحافظة"... وقد حُبست هذه الأمواج الأدبية المتراكمة فى ذلك الحوض الواسع، وعندما نقول " نحن ستتكفل بإيجاد حالة من التدفق فى هذا المجال " يُعلم بالطبع أن قصدنا وخطتنا هى إحداث ثقب فى أساس هذا السد المنيع الراكد.

وهذه الخطة فيما يبدو سهلة وبسيطة جدًا ولكننا نعلم أنه سيكون لها آثار وعواقب[3].

وفى فروردين ١٢٩٩ ش (مارس، أبريل ١٩٢٠م) ثار الأحرار التبريزيون كما نعلم بزعامة الشيخ محمد الخيابانى أحد مشاهير التاريخ الإيرانى الدموى، وانقطعت سلسلة المقالات الأدبية التى كانت تنشرها صحيفة "تجدد" نتيجة الخلافات السياسية المحتدمة، وبعد ستة أشهر (فى آخر شهريور ١٢٩٩ ش) (سبتمبر ١٩٢٠م) انتحر كاتب مقالات " التجديد فى الأدب " حيث إن هذا الكاتب المتحمس الذى على حد قوله " تعهد بإحداث ثقب فى سد المحافظة والركـــود الأدبى المنيع وإيجـــاد حالة من التدفق " لم ينجح فى الوفاء بوعده[4].

---

(١) يجب أن نذكر أن كلمة صنعة فى هذه المقالات وباصطلاح ذلك العصر بوجه عام قد استخدمت بدلاً من كلمة " فن " "Art".

(٢) صحيفة " تجدد " العدد ١٦٣، الاثنين ٢٣ صفر ١٣٣٨.

(٣) صحيفة " تجدد "، العدد ١٦٨ بتاريخ الأول من ربيع الآخر ١٣٣٨.

(٤) سنرى فيما بعد المقالات الثلاث الأخرى فى الرد على اعتراضات صحيفة " كاوه " والتى نشرها فى مجلة "آزاديستان" الأدبية فى آخر شهور حياته (من ١٥ خرداد إلى ٢١ شهريور ١٢٢٩ ش) (من يونيه إلى سبتمبر ١٩٢٠ م).

أشعار المجددين

لم يكتف المجددون أو بعبارة أنسب الباحثون عن الطريق الجديد، فقط بطرح نظرياتهم وآرائهم وإنما أخذوا ينشرون أيضًا نماذج من أشعارهم فى الصحف والتى اختلفت إلى حد ما مع أعمال الشعراء القدامى سواء من حيث الشكل أو المضمون.

وقبل هذه الحوارات بكثير قام جعفر خامنئى[1]، أحد شباب أذربيجان المستنيرين الأحرار، والذى تعلم اللغة الفرنسية من وراء أبيه المتعصب، وتعرف أيضًا على الأدب الحديث لدى الأتراك العثمانيين، قام بالعدول عن الشكل التقليدى للأشعار الفارسية ونشر قطعًا بدون توقيع بقافية جديدة وغير مسبوقة ومضامين جديدة نسبيًا، وفيما يلى إحدى هذه القطع والتى نقلها إدوارد براون فى مؤلفه "تاريخ مطبوعات وأدبيات إيران نو: تاريخ الصحافة والأدب الإيرانى الحديث"[2].

إلى الوطن

إنك فى كل يوم تظهر فى منظر دموى
وفى كل لحظة تخرج فى صورة حارقة للروح
من الحرقة عليك طائر قلبى فى كل يوم وليلة
يبكى وينوح بنغمة جديدة

يا صاحب الوجه الحزين الجريح
يا هدف سيوف الظلم، آه أيها الوطن المتألم
إننى أرى خيمة جيش الحزن منصوبة فى كل مكان
وأراك محاصرًا من العدو كنقطة الفرجار

---

(١) ابن حاجى شيخ على أكبر خامنئى من تجار تبريز، ولد بتبريز سنة ١٣٠٤ هـ ق (١٢٦٦ ش) ودرس فيها، وكانت أشعاره الثورية تنشر فى "حبل المتين" و "چهره نما" و "عصر جديد" و "شمس" وبعد ذلك فى مجلة "دانشكده".

(٢) Brown , E. G. The Press and Poetry of Modern Persia. Cambridge , 1914.

أيها المحاصر من العدو، أو إذا صدقت أنا نفسى القول
أيها الأسد يا من أذلك الثعلب الجبان
إن سيف الظلم مشهور فى وجهك من كل اتجاه
إلى متى ستظل نائما ؟ افتح عينيك وأفق من نومك
انهض وأرهم صولة واحدة من صولات الأسود
فإمّا أن تسترد الروح فى هذه المعركة أو تسلم الروح ![1]

وقد نُشرت قطعة أخرى لخامنئى أيضًا سنة ١٣٣٤هـ ق، فى إحدى صحف طهران فى أول الأمر، وبعد ذلك فى عدد عيد الربيع لصحيفة " تجدد " الصادرة بتبريز بتاريخ ١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥ هـ ق:

إلى القرن العشرين

أيها القرن العشرون المنحوس يا ربيب الظلم
يا تذكار الفزع وتمثال الكوارث
نحِ عنا ذلك الوجه القبيح !
أيامك السوداء مملوءة بالكوارث

منظرك أبشع من أنقاض القبور
أصلك من النار وزينتك من الدم
أنت مُكتظ فى كل لحظة بمآتم مئات العائلات
من ظلمك تهدّم أساس السعادة

(١) ليس معلومًا لى التاريخ الصحيح لهذه القطعة، والمؤكد أنها قد نظمت قبل عام ١٣٣٢ هـ ق، وكتاب براون الذى يضم هذا الشعر قد نشر عام ١٩١٤ م (١٣٣٢ هـ ق).

من هذه المذابح الدامية التى وقعت فى الدنيا
تأذَّت روح المدنيّة وجُرحت
الدماء المسفوحة فى كل ناحية بغير وجه حق
وصمة عار على جبين عصر الفن

اللعنة عليك أيها القرن المُخادع الغدّار
اللعنة عليك يا عدو الإنسانية وعدو العمران
التقط أنفاسك أيتها البومة، يا نذير الشؤم
لا تسع بعد الآن وراء هدم الآثار

أى بشرى لم تزفها فى ذلك اليوم الذى ولدت فيه ؟
واليوم بعد أن نمت فروعك أنت تمل حتمًا من الدم
فأنت تسير فى طريقك بهذا الشكل يا آفة الوجود
وفى الغد ستخلف تلاً من الرماد.

والآن سنقدم نماذج أخرى من أشعار المجددين والتى قد نظمت فى الفترة من عام ١٣٣٥ إلى عام ١٣٣٨ هـ ق:

أيها الشاب الإيرانى

انهض فقد طلع صباح جديد
وقامت شفاه الشمس بتقبيل آفاق الوطن
انهض ! ليكن مباركًا صباحك ناثر الضحكات !
انهض ! فقد حان وقت العمل والسعى
انهض واعزم عزمًا جازمًا أيها الابن شريف الأصل
لا تستسلم لليأس ولا تأمل فى الحياة

يجب وضع خطة لحرب البقاء
مادام أنه فات ما فات، فيجب الالتفات إلى المستقبل...

هناك فصل جديد يظهر من أجل الجيل الجديد
ربيع جديد جاء حاملاً الثمار
انهض وارم تعويذة حفظ الروح فإن هذا العهد حسن الفأل

انهض وأرنا مرة ثانية قوام تهمتن[1]
انهض ومثل القوس الذى شدّه زال بالوتر
ارم روحك وجسدك صوب الغد

تقى رفعت، تجدد، عدد عيد النيروز، ١٢٩٧ ش

من الرسالة المنظومة (خطاب للنساء)

....

اسمك الزهرة والقمر والشمس
أنت بعيدة عن هذا العالم السيّار
ذليلة فى هذه البلاد السفاحة
متضايقة من نفسك ويائسة من الغير

هؤلاء الذين يركعون لك
ويعبدونك فى سجدة العشق
مثل الوحوش البريّة

(١) تهمتن: لقب رستم بن زال البطل الأسطورى الإيرانى (المترجم).

فى حركة وسعى من أجل صيدك.

فمينا[1]، مجلة آزاديستان

العدد الأول، ١٥ خرداد١٢٩٩ ش (يونية ١٩٢٠ م)

فلسفة الأمل

إننا فى أيام حياتنا التى لا تتعدى خمسة
ما أكثر الزروع التى رأيناها
ولحسن الحظ فإننا قطفنا العناقيد
التى زرعها من قبل أفراد الشعب بأرواحهم

لقد كنا نحن الزارعين السابقين
وسيكون الزرع القادم لنا أيضًا
تارة نأخذ وتارة نعطى
أحيانًا منطفئون وأحيانًا مشرقون
سواء مجتمعين أو متفرقين
فنحن فى الطبيعة حتمًا ثابتون
ولو خرج النفس فنحن أيضًا موجودون

السيدة شمس كسمائى، مجلة آزاديستان

العدد ٢، ١٥ تير ١٢٩٩ ش

محور الفخر

ما دام ظل اعتماد البشرية على الذهب والفضة

---

(١) فمينا الاسم المستعار لتقى رفعت، والذى كانت له مناظرات قلمية مع فمينيست (الدكتور رفيع خان أمين) فى صفحات صحيفة " تجدد " حول المرأة والحرية.

فلا تتوقع أبدًا عهد الإخاء
وطالما أن الحق لا تدعمه القوة
فإن الغفلة خطر على بلاد المشرق

أولئك الذين أداموا النظر تحت أقدامنا
أخفوا سيف الطمع فى ظهورنا
لقد كان هدفهم هو الاستيلاء على الشمس والقمر

حاشا للـــه أن يُلبى نداؤنا
لتكن غيرتنا هى دائمًا ركيزتنا
فالإيرانى يفتخر بقوميته

شمس كسمائى[1]، آزاديستان، العدد ٣
٢٠ مرداد ١٢٩٩ (أغسطس ١٩٢٠ م)

---

(١) كانت أسرة كسمائى من أهالى كرجستان الذين هاجروا إلى أذربيجان بعد فتح مدن القوقاز السبع عشرة على يد آغا محمد خان القاجارى، وتفرقوا من هناك إلى سائر المناطق الإيرانية، وعملوا فى التجارة بعضهم فى قزوين والبعض فى يزد والبعض الآخر فى تبريز، وكان خليل بن حاجى محمد صادق أحد أفراد هذه الأسـرة يعيش فى يزد و أنجب السيدة شمس كسمائى، أمّا أرباب زاده زوج شمس والذى سافر إلى روسيا للتجـارة وعاش فيها سنوات فقد جاء إلى أذربيجان سنة ١٩١٨ م (١٣٣٦ هـ ق) مع زوجته وولديـه (صـفا وأكبر) وكان الابن الأكبر لأرباب زاده رسامًا ماهرًا و يعرف لغات وآداب عدة دول أجنبية و ينظم الشعر الفارسى، وكان عنده لثمانية عشر أو تسعة عشر عامًا عندما قتل فى جيلان فى حادث أليم، وأحـد أشـعار اللاهوتى الجميلة والتى خاطب بها شمس كسمائى تدور حول هذا الشاب المسكين، وكانت السيدة شمس تجيد التركية والفارسية والروسية و من السيدات الإيرانيات المستنيرات العالمات، وعندما حضرت مع أسرتها إلى تبريز لم تكن تضع الخمار على رأسها وكانت أول امرأة إيرانية مسلمة تظهر سافرة فى حوارى وأسـواق تبريز، وبسبب هذه الحرية والسفور تعرضت فى تلك الأيام المظلمة للزجر والقسوة مـن جانـب الـشعب الجاهل، وكان منزلها فى تبريز محفلاً للكتّاب والعلماء ولكن عندما حضرت إلى طهران فيما بعد قضت أيامها وحيدة وصامتة وتوفيت سنة ١٣٤٠ ش (١ – ١٩٦٢ م).

تربية الطبيعة

الحب والدلال والملاطفة من شدة النار
ومن هذا التوهج الحرارة والنور والضياء

روضة فكرى

يا للأسف فقد اضطربت وتهدّمت
أفكارى البكر كالورود الزابلة
فقدت صفائها ونضارتها فصارت يائسة

نعم إننى أجلس ورأسى على ركبتى
وكأنى شبه حيوان حبيس المكان
لا أقدر على الخير
ولا أقوى على الشر
ليس لى سهم ولا سيف ولا أسنان حادة
ليس لى قدم للهرب
ولهذا فإننى محبوس فى قبضة إنسان مثلى
منعزلاً عن الدنيا وعن منهج عبدة الدنيا
وأنوى أن أخرج من حضن الأم الرحيمة !

شمس كسمائى، آزاديستان، العدد الرابع
٢١ شهريور ١٢٩٩ (سبتمبر ١٩٢٠)

و لم تُقبل هذه الأمثلة التجريبية بسهولة، ووجد شعراؤها على حد قول أساتذتهم " على ورقة تدريبهم عدة ألفاظ خطأ وعدة عبارات غير موزونة ومجموعة أشعار غير مستوية بعد معاناة شديدة(١) " " وكانوا لا يزالون بعيدين جدًا عن التجديد(٢) ".

فقد كان هؤلاء شباب متحمسين ومتعجلين وبالطبع تحدوهم طموحات كبيرة، أيقظتهم طبول الحرب العالمية وأصابتهم بالحيرة والتشتت، فكانت عندهم آلام وآمال، صدورهم مكبوتة ويحتاجون إلى الفضفضة والكلام ولكن لم تكن لغتهم معبّرة ولا صوتهم مسموعًا، فصرخاتهم الصادقة التى كانت تنبع من قلوبهم الراجية تتحطم فى حلوقهم قبل أن تصل إلى الآذان.

و لم يُحْدِث تقديم وتأخير القوافى وتقصير وتطويل المصاريع تغييرًا جذريًا فى بنية الشعر، بل إنه أصاب المستمعين المفتونين بالأدب القديم بالارتباك والحيرة، فقد اعتادت الأذن الإيرانية على القافية المتعاقبة وتجنبت سماع ما دون ذلك، و لم يحط الشعراء الشبان بقواعد الشعر القديم واللغة الفارسية وفنون "الأدب" بشكل كامل وشامل، و لم تألف الطبائع إيراد بعض الألفاظ الفارسية والعربية المهجورة مثل خنهر (الوطن)، فيفاء (صحراء)، آبده (مبنى أثرى)، حفيد، بانوج (مهد)، تيراژه (قوس قزح) وأمثالها والتى كان أغلبها فيما يبدو مأخوذًا من الأدب التركى، وكذلك فإن تركيب العبارات بتلك الصورة غير المألوفة والتى لم تكن من وجهة نظر الأدب الفارسى خالصة وصافية ومتجانسة كثيرًا، لم يكن فى صالح المجددين ليس هذا فحسب، بل إنه منح المحافظين الحجة لكى يتجاهلوا جهودهم بشكل عام ويسخروا من أى مساعى لهم فى طريق التجديد ويصفوهم بالإيرانيين المتفرنجين الذين هم لا هؤلاء ولا أولئك.

---

(١) تقى رفعت، " تجدد " العدد ١٢٥، شعبان ١٣٣٦ هـ ق.

(٢) نفس المصدر السابق.

فارسية خان والده[1]: فمثلاً كانت صحيفة كاوه الصادرة فى برلين والتى كانت تدار تحت إشراف سيد حسن تقى زاده قد نشرت فى العدد الثالث (مسلسل رقم ٣٨) بتاريخ غرة رجب سنة ١٣٣٨هـ ق، تحت العنوان الساخر "رقى اللغة الفارسية فى قرن" عبارات من إحدى الصحف الفارسية والتى صدرت فى طهران سنة ١٢٥٣هـ ق، أى فى أولى سنوات سلطنة محمد شاه وكان مديرها ميرزا صالح الشيرازى[2]، وعدة سطور من "گنجينهء معتمدى" تأليف ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة وقطعتين من صحيفة "وقائع اتفاقية" وسطورًا من كتاب "مآثر سلطانى" تأليف عبد الرزاق الدنبلى بعنوان "فارسية عهد حاجى ميرزا آقاسى" مع ست قطع قصيرة من موضوعات الصحف الإيرانية بعنوان "فارسية خان والده فى العهد البرلمانى"، ووضعت كل هذا فى عمودين متقابلين يمينًا ويسارًا وأضافت فى نهاية ذلك:

موضوعات العمود الأيمن هى كتابات القرن الثالث عشر الهجرى والتى كتبت باللغة الفارسية ويفهمها أهل اللغة بسهولة، ولم يكن موجودًا فى ذلك الوقت التلغراف ولا البريد ولا المصباح الكهربائى، فهذه الأشياء قد أحضرها الأوربيون إلى إيران لحسن الحظ فيما بعد ولكنهم لم يقتربوا من لغتنا من أجل إصلاحها أو على الأقل لمنع إفسادها وتركوها لنا نحن، والعمود الأيسر يعرض تصرفات الإيرانيين فى اللغة، وموضوعات العمود الأيسر نموذج لمنطق الطير أى (كتابات) (القرن العشرين) (البليغة) والتى يكتبها (مراسلو) و (رؤساء تحرير) الصحف الإيرانية فى (مقالاتهم الافتتاحية) فى الفترة التى افتتح فيها (مجلس النواب) وظهر فى الصورة (المسئولون) المؤهلون و (المجددون) و (للأسف) فقد ظهر (أبطال) (التجديد الأدبى) كنوع من (إثبات الوجود) و (استعراض المهارات).

---

(١) "والده خان" : قصر فى اسطنبول معظم سكانه إيرانيون.
(٢) تحدثنا عن هذه الصحيفة وعن هذا الشخص فى جزء فن الطباعة وأولى الصحف الفارسية.

وقد كانت هذه المقارنة تتعلق بالنثر الفارسى وكانت صحيفة كاوه قد عقدت نفس المقارنة حول الشعر الفارسى أيضًا تحت نفس العنوان فى العدد المزدوج (٤، ٥) (مسلسل٣٩) بتاريخ غرة رمضان ١٣٣٨هـ ق، وفى هذه المقارنة كان قد تم مقارنة قصيدة مسمطة بتاريخ النيروز سنة ١٣٣٦هـ ق، لميرزا محمود غنى زاده وأبيات من مثنوى " نوروز أمروز وأميد فردا " (نوروز اليوم وأمل الغد) تأليف أحمد ملك الساسانى، مع قطعتين تنسبان لـ "أدب خان والده" واللتين كانت إحداهما قطعة " أيها الشاب الإيرانى " تأليف تقى رفعت محرر "تجدد" التبريزية[1]، وقد أضيف فى السطور الأخيرة: " وقصائد العمود الأيسر نموذج للكلام الفارسى الغث ودليل على انحطاط الذوق الأدبى بسبب اعتلال الصحة الوطنية ".

رد مجلة آزاديستان: تحججت مجلة آزاديستان[2] بهذا النقد الذى كان قد نُشر ليس بقصد البحث والاستدلال وإنما بقصد السخرية والاستهزاء، وردت كالتالى على كتّاب صحيفة كاوه بعد توضيح رأى أنصار" التجديد فى الأدب " وأسلوبهم فى التفكر:

إن أصول المقارنة التى قد عقدت فى مجلة كاوه الشريفة لا تبدو صحيحة، فالنصوص التى عرضت فى العمودين المتقابلين ليس بها أى نوع من التشابه سواء من حيث الموضوع أو من حيث المعنى حتى يمكن الوصول إلى وجه مقارنة صحيح، وكأننا نضع قصيدة لمنوچهرى جنبًا إلى جنب مع غزل لحافظ ثم نسأل " أيهما أفضل" ؟

إمّا يجب مراعاة الشكل الظاهرى ومقارنة القصيدة بالقصيدة والغزل بالغزل أو جعل المعنى هو المعيار ومقارنة أسلوبى البيان المختلفين فى موضوعين متجانسين، وإذا كان المقصود هو استخراج الأخطاء فيجب وضع خط سميك تحت الأخطاء وتحديد وجه الاعتراض والاحتجاج دون إثارة الشك واصطياد الأخطاء.

---

(١) كانت القطعة الأخرى قد نقلت بعنوان " آيينه دل " (مرآة القلب) من الرسالة التى نشرت فى اسطنبول سنة ١٣٣٠ هـ ق.

(٢) العدد الثالث المؤرخ بالعشرين من مرداد ١٢٩٩ ش (أغسطس ١٩٢٠ م).

ألا تثبت جيدًا العبارة المنقولة من صحيفة صدرت فى عهد " حاجى ميرزا آقاسى " بجملها العامية المفتقدة للصنعة مدى الجهل والسذاجة وعدم الإلمام بالمدنية، وهى الأوضاع التى سادت فى بلدنا إيران فى ذلك العصر المظلم ؟ أليس صحيحًا أن هذا الأسلوب البدائى الساذج غير المتكامل أيًا كان زمانه ومكانه سيكون دليلاً على هذا الجهل وهذه البدائية وهذه السذاجة البلهاء ؟

وبنفس الشكل لا يمكن وضع جمل " گنجينهء معتمدى " وعباراتها المسجعة الموزونة فى أحد العهود "البرلمانية"، أو بمصطلح عصر حاجى ميرزا آقاسى فى عهد " مجالس الشورى "، كبعع للأساليب الجديدة لأحد قرون الثورة والتحول الشامل.

وبرغم أنهم قد سجلوا تاريخ كتابتها بعناية خاصة، فإننى لا أتصور أن يقدموا لنا شعر السيد غنى زاده كمثال على رقى اللغة الفارسية، فمكان هذه المنظومة فى كليات الأدب الفارسى الكلاسيكى، فقد استخدمت هذه " النيروزية " مثل جميع النيروزيات القالب والتشبيهات المبتذلة والتى لا يمكن أن يوجد فيها أى أثر للتجديد والرقى، ومع ذلك فلم يكن هناك أى عيب فى أن يقارنوا " نوروز أمروز وأميد فردا: نيروز اليوم وأمل الغد" تأليف أحمد خان ملك الساسانى مع " نوروز ودهقان: النيروز والقروى" التى نشرت فى عدد عيد الربيع لصحيفة " تجدد " سنة ١٣٣٥ هـــ ق، عندئذ كان سيطرح موضوع جاد للمناقشة.

وقد عقدت مجلة آزاديستان هذه المقارنة بنفسها فى العدد التالى[1]، وجعلت " نوروزيه " خان ملك الساسانى مع أحد الأعمال الجديدة فى نفس الموضوع على حد قولها، فى عمودين متقابلين.

---

(١) العدد الرابع، ٢١ شهريور ١٢٩٩ (سبتمبر ١٩٢٠ م).

وفيما يلى عدة سطور من هذا الجدول

نيروز(ربيع) اليوم وأمل الغد	النيروز (الربيع) والدهقان
أقبل النوروز وحلت السنة الجديدة	إنه النيروز ! الدنيا تهتز
فأبشر بالسعادة والخير	والحظ معلق فى السماء ليلاً ونهارا
فقد وصل لنا هذا العيد من أهل الخير	ليلة يجد القمر فيها إقبالاً عاليا
وصل من الإيرانيين الأجداد	ويومًا تظهر البهجة فى الشمس
ففى هذا العيد،خسرو عريق الأصل	لقد قالت هذا العام إننى لن أحزن ثانية
منح خلعة العدل للإيرانيين	والقروى المتفائل همس فى أذن أحفاده
وفى عيد النيروز هذا يقبل الربيع	بأن الزمان سيسير وفق رغبتنا
ويغرد الطير فى حديقة الشقائق	ونعوض ماحدث إلى حد ما
على غصن كل وردة بلبل شجى	لقد جئت أيها النيروز من أعماق الماضى
يقص مائة حكاية عن الإيرانيين	فحيا الأمل وعلت الرؤوس
....	وتأهب القروى الأبىّ للثورة
....	كيف وقع أيها النيروز فى أرومية على بنات جمشيد
....	القتل العام بأمر السنوائى الثائر
....	فقد حزن القروى الآذرى من جديد

أحمد خان ملك الساسانى تقى رفعت

ربما نكون قد تحدثنا بالتفصيل أكثر من اللازم عن المناقشات التى كانت قد جرت بين الجماعتين، وقد كان هدفنا من هذا الإسهاب والتفصيل أن يفهم القرّاء جيدًا أن الحديث هذه المرة لم يكن عن تغيير شكل وقالب الشعر، وإنما كانت قد طرحت ضرورة قبول التغيير الجذرى وإعادة النظر بشكل أساسى فى المسار الأدبى والاقتراب به إلى الطبيعة وتجنب التقليد والتعبد وتحقيق الاستقلال فى التفكير والإحساس والحرية والصدق فى التعبير.

نصيحة للشباب المجددين

وقد نصح تقى رفعت زملاءه الشباب فى أول أعداد مجلة آزاديستان:

فكروا واشعروا بمنتهى الحرية وعبّروا عن أفكاركم وأحاسيسكم ويجب أن تستند أفكاركم إلى العلم والواقع، ولا تخضعوا فى أحاسيسكم لأى تأثيرات خارجية غريبة عن أرواحكم ومشاعركم، ولا تتخلوا عن الصدق أبدًا تحت أى ظروف، وعند التقليد والاقتباس أو الإبداع والابتكار كونوا فى كل الأحوال " أنتم "، واستقبلوا النقد الذى يوجه إليكم من أى شخص ووجهات النظر الأخرى بصدر رحب، ولكن لا تتخلوا أبدًا عن أفكاركم الأولى مهما يكن بدون الدلائل الكافية وبمجرد التعرض لأى هجوم شديد ومُباغت، واقبلوا الأفكار بعد تجربتها واختبارها، واحذروا بصفة خاصة اليأس والتشتت والملل والتسيُب، ولا تتركوا هذه الأمور تتسلل إلى قلوبكم وامضوا نحو " الغد " بعزيمة وإرادة راسخة وبقلب قوى[1].

بيان المجددين

وقال بعد ذلك ضمن المقالة التفصيلية التى كانت فى الحقيقة هى "بيان" المجددين:

الأخوة الأعزاء، نحن فى أصعب أوقات إحدى الثورات الأدبية... وما نريده ليس أقل من أن نصنع عهد تجدد فى عالم الأدب أى فى عالم الفكر والفن، ونمحو وضعًا قديمًا ومتهالكًا ولكنه سائدًا ومتحكمًا، ونستبدله بوضع جديد ما زال غير موجود على أرض

---

(١) آزاديستان، العدد الأول بتاريخ ١٥ خرداد ١٢٩٩ ش (يونية ١٩٢٠ م).

الواقع، ولكن وجوده متوقف على انتصارنا نحن وزملائنا فى ساحة الفكر، وقوتنا الأساسية تنبع من الوضع الحالى للأشياء أى موائمة الظروف، وبقدر ما تنفذ أفكار وأحاسيس القرن الحالى داخل أجسامنا وعقولنا نشعر بالحاجة الضرورية والحتمية لحدوث تغيير وتحول وثورة، وتدفعنا قوة ديناميكية لحركة تكاملية شملت العالم وأصبحت فى موقع متميز ومُحصّن من أى خلل أو زوال، أمّا السد والعائق الذى أمامنا فهو أدب قوى ومُحكم، هو تل الأعمال المتراكمة وثمرة جهد وعرق قرون عديدة بذلته مجموعة متميزة من أمهر أدباء وشعراء عالم الأمس... ونحن كما قلنا فى وضع صعب جدًا، ونحتاج إلى تفكير، ولكن إذا تصرفنا وفقًا لاحتياجات عصرنا فإن النجاح حتمًا سيكون حليفنا.

إن اللغة هى وسيلة وأداة للتعبير عن الأفكار والمشاعر الإنسانية، وإذا أمكن الادعاء والتأكيد على أن الأفكار والمشاعر الإنسانية لا تتعرض لأى تغيير فى العصور والأزمنة المختلفة، فإنه فى تلك الحالة سيتم الاستدلال بالتالى على أن اللغة من الممكن أن تبقى هى الأخرى للأبد فى حالة من الاستغناء عن التغيير. فهذه حقيقة واضحة وهى أن التجديد الفكرى والحسى يستلزم التجديد الأدبى... لأن " الشكل هو الصورة الظاهرة للحياة والروح " ونحن نرى استحالة هذا الفرض والتصوّر أى أن تغيّروا شيئًا ولا يتغير شكله.

من يظن أن قاموس شخص فلاح مكوّن من ثلاثمائة أو أربعمائة لفظ يمكن أن يفى بالاحتياجات اللغوية لإحدى المدن أو يستطيع شخص أمى ترجمة أفكار وأحاسيس أحد العلماء.

ولحسن الحظ فإن صحة وصواب هذا الموضوع من الوضوح بحيث لا يفكر أحد فى رفضه أو إنكاره ولم يلق أبدًا أى انتقادات أو اعتراضات، بل قد رأينا دائمًا أنهم قد نشروا أكثر الأعمال النثرية والشعرية ميلاً إلى القديم فى الصحف والمجلات تحت عنوان " الآداب الجديدة" و " الغزل الجديد " ولحسن الحظ أيضًا فإن أسلوب موضوعات مجلة كاوه الفاضلة والنظريات التى تُلاحظ بين كتابات كتّابها الأفاضل والمحترمين، كلها تؤيد الرأى الذى نقوله.

وبوجه عام فإن أى شخص يقر ويعترف بضرورة ووجوب حدوث تجديد فى الأدب، ولكن طريقة تصور هذا التجديد وتلقيه هى التى تتعرض لأشد أنواع الخلافات، ومن ناحية أخرى فإن الخوف من انحطاط وتدهور اللغة الفارسية قد رسخ أيضًا فى الأذهان إلى جوار هذا التعطش والرغبة فى التجديد.

وللأسف فإن التجديد لدى البعض مجرد ادّعاء، فالبعض يظن أن حداثة الأعمال الأدبية تعنى حداثة تاريخ كتابة تلك الأعمال، وتسعون بالمائة من المجددين يرفعون قدمهم من نقطة ما ثم يضعونها على نفس النقطة، وليس لديهم أى نوع من المعرفة المُسبقة عن المسافة بين الحداثة والقدم حتى يستطيعوا أن يكتشفوا خطأهم.

ولكن هؤلاء الذين يخافون من انحطاط وتدهور اللغة الفارسية لا يوضحون على الإطلاق أساس مخاوفهم بشكل قاطع وحاسم، واحتجاجاتهم مُبهمة جدًا لدرجة أنها تبدو بلا أساس، وهم فى هذا المجال لا يتبعون أسس وقواعد النقد كما ينبغى، والسبب الذى يدفعهم إلى الشكوى فى أغلب الأوقات لا يستحق إطلاقًا كل هذه الضجة، وعلى جانب آخر فإن خوفهم فى الغالب بلا أساس وبدون مبرر.

طالما قلت هات الدليل

وقد استمر هكذا الخلاف بين المجددين والمحافظين، وهناك فريق من جماعة المحافظين والذين كانوا أكثر ثباتًا وحلمًا، قاموا بالرد على هذه البيانات والادعاءات بمنتهى الهدوء:

نحن موافقون تمامًا، فالتحول والتجديد فى الأدب أمر طبيعى وضرورى، وقد حدث هذا التحول مرات فى الأدب الإيرانى فقد كان الفردوسى ونظامى وسعدى وجلال الدين الرومى كلهم مجددين مشهورين وتميّزوا بالجرأة والشجاعة، وقد فتحت أعمال هؤلاء العظماء فى الأدب الإيرانى المنظوم طرقًا جديدة وظلت أسماؤهم مُسجلة فى كل آداب عصرهم، ولو خرج من بينكم أنتم أيضًا أساتذة بهذا الشكل سوف نستقبلهم بمنتهى الترحاب، فنحن لا تهمنا البيانات والدعايات البرّاقة بقدر ما نريد أن نرى الأعمال الحالية للمدرسة الحديثة لننحنى أمامها، فالتحول الأدبى لا يمكن صناعته بواسطة

النظريات والفرضيات الملفقة، وإنما التحول والتجديد هو نتاج وثمرة المواهب الفنية، فالفردوسى لم ينظم الشاهنامه وفقًا لقواعد محددة وضعها هو نفسه مسبقًا أو الآخرون، بل إن هذه القواعد والتعاليم قد وضعها علماء الأدب فيما بعد طبقًا لرائعته الخالدة.

ونحن لا نذم أو نلوم الأشخاص الذين يسيرون فى طريق التجديد الأدبى لحد الإفراط أو يقومون فقط بنشر الخيالات المضطربة غير العلمية من أجل التفنن، وإنما نحن نقدس كل الآراء... ولكننا فقط نقول إن الآراء ستكون أكثر قدسية إذا ما تم تطبيقها بعد قولها مباشرة وكانت سببًا فى إحداث تأثيرات جديدة فى بيئتها.

إن الهدم والتقويض أمر سهل، ومن الممكن هدم أساس أى شىء فى أى وقت، وإذا كنتم فنانين حقًا، فينبغى عليكم أن تربطوا بين الإدراك والبيان لكى لا تكون أحاسيسكم البكر الجديدة التى تعبّرون عنها صمّاء وغامضة ومبهمة.

أمّا أعمالكم فنحن لا نرى فيها سوى هدم للقواعد – القواعد التى ظلت سنوات تحكم أدبنا – وتقويض للتركيبات الشائعة وأحيانًا إيراد الألفاظ والتعبيرات الخاطئة وأخيرًا الإبهام والغموض والتخريب.

وإذا نظرنا بحياد فلابد أن نعترف بأن كلتا الجماعتين كانتا على حق إلى حد ما فى رأيهما وعقيدتهما.

فالدولة الإيرانية يوجد فى خزائنها أدب منظوم محترم وقد أنجبت شعراءً كبارًا من أمثال الفردوسى وسعدى وحافظ ونظامى وظلت تتباهى وتفتخر بأسمائهم وأعمالهم فى عالم الأدب، ولم يكن فى مقدور أنصار المدرسة القديمة الذين كانوا مفتونين بالأعمال الخالدة والمبهرة للأساتذة الأوائل أن يتخطوا بسهولة الأسس والقواعد القديمة بحيث ينهدم فجأة هذا البناء العظيم بمعول الهوس الذى يمسك به المدّعون المتعجلون الجدد.

ومن ناحية أخرى لم يكن هناك أى مجال للشك أو التفكير فى أنه كان لابد من حدوث تحول فى الأدب الإيرانى جنبًا إلى جنب مع شئون الحياة، وأن يواكب الشعر الفارسى شاء أم لم يشأ، العصر والزمان، ولكن لم يكن من الممكن أن يحدث هذا التغيير والتحول بالمناقشات والمباحثات والمشاورات، وحتى الأمثلة التى كان قد قدمها المجددون

ونحن عرضنا بعضها لم تكن لها تلك القيمة الفنية التى تقوّى ادّعاء شعرائها وتوقف المعترضين والمخالفين عند حدهم.

وعلى كل حال فقد تهيّأ المجال لتحول نسبى وأصبح الأدب الإيرانى المنظوم فى انتظار الرجال الموهوبين الذين يظهرون بفكر مستنير ولغة معبّرة وجرأة وشجاعة كافية، ويحملون راية هذه النهضة حتى يتسع نطاق الشعر الفارسى الضيق بفضل جهودهم، ويمتلك المواصفات اللازمة للتعبير عن الأحاسيس والأفكار العظيمة.

الفصل الثالث

نيما يوشيج شاعر " أفسانه "

وفى تلك الأثناء أسرع الشاعر الشاب الذى كان قد خرج من أراضى شمال إيران الجبلية لمساعدة زملائه، وقد قام بتنظيم هذه النغمات المبعثرة التى كانت قد خرجت من أفواه الشباب المجددين، وأعطاها لحنًا موزونًا.

وقد ولد على اسفندياري نيما[١] فى خريف سنة ١٣١٥هـ ق، بقرية "يوش[٢]" النائية بمازندران، وكان أبوه إبراهيم خان أعظام السلطنة رجلاً شجاعًا وحاد الطبع، ومن إحدى أسر مازندران العريقة، وكان يعمل بالزراعة والرعى فى تلك المنطقة.

وقد قضى نيما مرحلة الطفولة فى أحضان الطبيعة ووسط رعاة الغنم والخيل الذين يقضون فصلى الصيف والشتاء فى المناطق النائية وفقًا لجو المرعى وفى الليل يتجمعون معًا فوق الجبال ويوقدون النار، أمّا هو فإنه لم يتذكر فيما بعد من كل حياة الطفولة، على حد قوله " سوى المعارك الوحشية والأشياء المتعلقة بالحياة البدوية ووسائل الترفيه البسيطة فى الهدوء الرتيب والمحيط الأعمى الغافل عن كل ما يجرى فى العالم من حوله[٣] ".

وقد تعلم نيما القراءة والكتابة عند شيخ القرية فى مسقط رأسه، وهو يقول: " كان (أى الشيخ) يتتبعنى فى ممرات الحدائق ويعذبنى، فكان يربط قدمى الرقيقتين فى الأشجار الضخمة ويضربنى بالفروع الطويلة ويجبرنى على حفظ الرسائل التى يكتبها عادة أفراد الأسرة القروية، وكان قد جمعها بنفسه وصنع لى منها طومارًا[٤] ".

---

(١) على اسم أحد حكام طبرستان.

(٢) اشتهر بيوشيج نسبة إلى " يوش ".

(٣) نخستين كنگره نولسيندگان إيران، صفحات (٦٢ – ٦٣).

(٤) المصدر السابق.

وبينما عمره اثنى عشر عامًا حضرت أسرته إلى طهران وبعد أن أنهى المرحلة الابتدائية ذهب إلى مدرسة سان لويس لتعلم اللغة الفرنسية، ولم يكن يتقدم بشكل جيد فى المدرسة ولم يكن يحصل على درجات عالية إلا فى الرسم والرياضة، وقد قضى سنوات حياته المدرسية الأولى فى الشجار مع الأطفال، وكان يجيد فن الهروب من فناء المدرسة ولكن الشىء الذى جعله يسلك طريق نظم الشعر فيما بعد فى المدرسة هو عناية وتشجيع أحد المعلمين أصحاب الخلق الرفيع وهو الشاعر المشهور "نظام وفا"(١).

وفى تلك الأثناء كان بإمكان نيما قراءة أخبار الحرب العالمية الأولى الدائرة باللغة الفرنسية.

وقد أخذ ينظم الشعر فى بادئ الأمر بالأسلوب القديم المعتاد ولا سيما الأسلوب الخراسانى، إلا أن إلمامه باللغة الفرنسية وآدابها قد فتح أمام عينيه طريقًا جديدًا، وتحققت ثمرة مجهوداته فى هذا الطريق بعد أن ترك المدرسة وحظى بالتشجيع، لدرجة أنه من الممكن ملاحظتها فى منظومته " أفسانه:الأسطورة ".

وكان نيما يسافر إلى مسقط رأسه فى أيام الصيف وهو الشىء الذى لم يقلع عنه أبدًا وظل يداوم عليه حتى آخر عمره.

وقد أحب فى شبابه فتاة ولكن نظرًا لأن المعشوقة لم تبادله الحب فقد انقطع رباط العشق وتعرّف الشاعر الذى كان قد فشل فى الحب الأول، على فتاة جبلية تدعى "صفورا "، وكان والد نيما يرغب فى زواجه من صفورا إلا أن صفورا لم تكن مستعدة للحضور إلى المدينة والاحتباس فى قفص الحياة المدنية، فاضطرا للانفصال.

ولم يرها نيما ثانية، وقد ظل التفكير فى الحب الضائع يشغل باله المضطرب لفترات، فقام الشاعر لكى يتخلص من التفكير فى صفورا انشغل بالعلم والفن، وأخذ يقضى معظم أوقاته فى قهوة الشاعر حيدرعلى كمالى، وهناك كان يستمع لأشعار ملك الشعراء بهار وعلى أصغر حكمت وأحمد أشترى وسائر شعراء وعلماء عصره ممهدًا المجال أمام شعره وفنه.

---

(١) كنگره نويسندگان ايران، ص ٦٣.

وأول أعمال نيما المنظومة قصة "رنگ پريده:الشاحب"، فيقول هو نفسه: " لم يكن لى شعر قبل ذلك[١]"، وقد نظم نيما هذه القصة فى عام ١٣٣٩هـ.ق/أسفند ١٢٩٩ش/فبراير-مارس ١٩٢١م، ونشرها بعد عام واحد، وبعد ذلك نُقلت أجزاء منها بعنوان "دلهاى خونين: القلوب الدامية " فى "منتخبات الآثار" تأليف محمد ضياء هشترودى، وتعتبر منظومة رنگ پريده البالغة حوالى خمسمائة بيت على وزن مثنوى جلال الدين الرومى (بحر الهزج المسدس) عريضة اتهام قدّمها الشاعر ضد المجتمع الذى كان يعيش فيه، ولم يعرض الشاعر فى هذه المنظومة المفاسد الاجتماعية بشكل مباشر وإنما شرح فيها قصة حياته المؤلمة.

إن قصة رنگ پريده ومجموعة القصص القصيرة مثل "چشمهء كوچك[٢]: النبع الصغير"، و"خروس وروباه[٣]:الديك والثعلب"، "وبز ملا حسن مسئله گو:عنزة الشيخ حسن الفقيه" والتى نُقلت من نسخة خطية لمؤلفاته فى " منتخبات الآثار"، برغم أنها تعبّر عن أفكار الشاعر الاجتماعية فإنها " قطع قيمة وناضجة[٤] "، ولا تختلف اختلافا جوهريًا عن أعمال الشعراء القدامى من حيث الشكل والقالب والمضمون وأسلوب البيان، وفى هذه المنظومات " يتدرب الشاعر الشاب على الشعر[٥]"، والظاهر أنه لم يعثر بعد على طريقه، ومن الممكن أن يكون سار خلف جيش " الأدباء " الجرار نتيجة غفلة منه أو حادثة عارضة، لأنه ليس بالرجل الجاهل قليل الحيلة، فهو يتصفح دواوين الشعراء بنفس قدر تصفح الزملاء المعاصرين له ويعرف أسلوب النظم القديم وأسرار النظم الأدبى، ويستطيع أن يأخذ نفس الطريق الذى سار فيه الآخرون، ويختم البيت بالرديف أفاعيل وتفاعيلى و " ينظم الشعر القديم بأقل مجهود[٦] "، بل وينضم يومًا ما فى الغالب لزمرة عظماء الأدب عن طريق الممارسة والتدريب فى هذه الطلاسم الأدبية[٧].

---

(١) كنگره نويسندگان إيران، ص ٦٣.

(٢) يمكن مقارنتها بحكاية " قطرة المطر والبحر " من بوستان سعدى.

(٣) يوجد ملمح من قصة لافونتان المعروفة بـ (الغراب والثعلب) فى هذه القصة التى يجبر فيها الثعلب الديك بالحيلة والتملق على النزول من فوق الشجرة وتسليم نفسه لمخالبه وتختم بهذه النتيجة الأخلاقية (كل من لم يعرف الأمان طلب الحرمان بدلاً من العلاج).

(٤) جلال آل احمد، مشكل نيما يوشيج (ديد وبازديد وهفت مقاله، صفحات ١٨٢ – ١٨٣).

(٥) المصدر السابق.

(٦) يقول هو نفسه فى هذا الشأن : بما أن عناء نظمى للقديم بسيط فإن نظم القديم وشرب الماء سواء.

(٧) بشهادة قصيدة مطولة نظمها بالأسلوب الخراسانى وبعض الرباعيات ومثنوى " مفسدة گل : مفسدة الوردة ".

ولكن ربما يشعر هو نفسه بأن نظم الشعر المنسجم المحكم من قماشة الآخرين القديمة المستهلكة ليس شأنه، وأن مئات الدواوين من أنواع هذا الشعر لن تحقق له أى فضيلة أو ميزة، ومن ثم فإنه يرحل عن هذا الطريق ويصنع أول أشعار فترة شبابه التى تعبّر عن شخصيته الفنية بنظمه لقطعتى " أى شب:أيها الليل" و " أفسانه: الأسطورة".

أمّا قطعة " أى شب " والتى "كانت قد تناقلتها الأيدى[(١)]" قبل نشرها بعام واحد، فقد نشرت فى خريف سنة ١٣٠١ش[(٢)] بصحيفة نوبهار الأسبوعية[(٣)]، وقال الأدباء " إن الانحطاط قد أصاب الأدب القديم الراقى، وقد تباحثوا فترات فى التجديد الأدبى وكان الشاعر متنمرًا فلم يجرؤوا على مهاجمته صراحة، فكانوا يتحدثون بالكناية، ولكن الأصوات كانت ضعيفة جدًا لدرجة أنها لم تصل إلى أذن الشاعر وظلت بلا إجابة، وخلال هذه الفترة حظيت تلك القطعة مع بعض الأشعار الأخرى التى كانت قد تداولت هنا وهناك بإعجاب بعض الأفراد، واستحسنها هؤلاء الأشخاص ورحبوا بها، وكان السهم قد أصاب الهدف، وكان هدف الشاعر هو القلوب الشابة الرقيقة، وكانت عينه على أصحاب العيون ذات البريق والنظرة الثاقبة، حيث كانت أشعاره قد نظمت لهؤلاء[(٤)] ".

وقد تسببت ثورتى ١٣٣٩ — ١٣٤٠هـ ق، فى عزلة الشاعر وابتعاده عن شعبه وفنه، إلا أن الطبيعة الخلابة والهواء الطلق والحياة الهادئة وسط الغابات وقمم الجبال قد أمدّت فكر الشاعر بالقوة والثراء، فحان وقت عودته مرة ثانية إلى فنه "وخروج نغمة جديدة من هذا الصنج[(٥)]".

---

(١) نخستين كنگرة نويسندگان إيران، ص ٦٣.
(٢) ٦ آذار (ربيع الآخر ١٣٤١).
(٣) السنة الثالثة عشر، العدد العاشر وبعد ذلك فى " منتخبات آثار ".
(٤) مقدمة الشاعر على كتاب " خانوادة سرباز :أسرة الجندى " .
(٥) مقدمة الشاعر على كتاب خانوادة سرباز :أسرة الجندى ".

ونشر الشاعر فى صحيفة "قرن بيستم: القرن العشرون" عدة صفحات من منظومة "افسانه" التى كان قد قدمها للأستاذ نظام وفا، مع مقدمة صغيرة، وهذه الصحيفة كانت لصديقه الشهيد ميرزاده عشقى، وبفضل موهبته واستعداده جعله يسير فى نفس اتجاهه الفكرى.

" وبرغم أن أفسانه كانت حدًا فاصلاً بين دوامات الحكومة الدستورية والأدب القديم من ناحية والعالم الذى نجح نيما فى صناعته فيما بعد من ناحية أخرى، فإنها أغضبت الساحة الأدبية بشكل كبير فى ذلك العصر[1]".

" ففى ذلك العصر لم يجر حديث على الإطلاق عن تغيير أسلوب التعبير عن مشاعر وأحاسيس العشق، وكانت الأذهان التى قد اعتادت على الموسيقى الشرقية المحدودة الرتيبة تأنس بالجماليات غير الطبيعية للغزل القديم، ولم تخرج رأس واحدة من هذا القبر لسماع تلك النغمة، ولم تكن " أفسانه " تتوافق مع موسيقاهم، فعابوها ورفضوها، ولكن مؤلفها كان يضع فى اعتباره أنه لم يضع أساس صنعته فى مكان تطاله أيدى العامة، وحتى هو نفسه أيضًا يحتاج إلى الوقت المناسب لكى يقترب مرة أخرى من أسلوب خيالات وانشاء "افسانه"، ومع هذا فقد ترك آثار أقدامه على هذا الطريق الخرب، وولت الأفكار المشوشة، وبات يبدو كالنجم الذى يومض باستمرار تحت هذا السحاب المظلم[2]".

ونشر بعد ذلك فى منتخبات الآثار المعاصرة جزءًا من منظومة " محبس " والذى يعرض لنا أسلوب الوصف والحوار فيما يتعلق بالأفكار.

" وقد برزت الخصائص الفنية والمهارية للشاعر فى كل هذه الأشعار، ولم يلتفتوا إليها، وبرغم ذلك فإنه لم يُوجه نقد لأسلوبه الفنى. وكانت الانتقادات لفظية وبدائية [3]".

---

(١) مهدى إخوان ثالث، كان نيما رجلاً جريئًا، مجلة انديشه وهنر، الدورة الثانية، العدد التاسع.
(٢) مقدمة الشاعر على كتاب " خانوادة سرباز: أسرة الجندى ".
(٣) المصدر نفسه.

وفى سنة ١٣٤٥هـ ق/أسفند ١٣٠٥ش/فبراير ومارس١٩٢٧م) صدر كتيب لأشعار نيما، كان من بينه منظومة " خانواده‌ء سرباز:أسرة الجندى" والقطع الثلاث القصيرة "شير: الأسد"، "انگاسى:الأنجاسى[١]": "بعد أز غروب: بعد الغروب"، وكان هذا الكتاب ساحة للتعبير عن أنين التعاسة التى كانت قد جعلتها الأفراح والمسرات فى طى النسيان من فرط السعادة والفخار، وكانت أشعار هذا الكتيب والتى كان قد استغرق نظمها سنوات من التدقيق والمطالعة، بمثابة المتطوعين فى هذه الساحة الحربية، المتطوعين الذين لا يقعون فى الأسر ويحرزون النصر الكامل[٢] .

وكـــان الشاعر يثق فى نفسه وفى عمله، وقال لنفسه فى البداية: إن كل مَنْ يعمل عمـــلاً جـــديدًا سيلقى أيضًا مصيرًا جـــديدًا، وبادر بالعمل الذى كانت الأمة فى حاجة إليه[٣].

ويقول نيما فى موضع آخر حول أشعار ذلك العصر: " كان أسلوب العمل فى أى من هذه القطع سهمًا مسمومًا موجهًا لأنصار الأسلوب القديم، خاصة فى ذلك العصر، وكان أنصار الأسلوب القديم يعتبروها غير قابلة للنشر، وبرغم ذلك فإن أشعارى فى سنة ١٣٤٢هـ ق، ملأت صفحات كثيرة من كتاب " منتخبات الآثار" للشعراء المعاصرين، والعجيب أن أولى منظوماتى قصة " رنگ پريده " التى تعد من أعمال الطفولة كانت تقرأ ضمن موضوعات هذا الكتاب وسط أسماء كل هؤلاء الأدباء العمالقة، لدرجة أنها كانت تثير غضب الشعراء والأدباء منى ومن مؤلف الكتاب العالم (ابن هشترودى[٤]. [٥]).

والحقيقة أن نيما فى هذا الطريق لم يكن أكثر تجددًا من سائر الأشخاص الذين أدركوا قبله عيوب النظم على غرار أسلوب القدامى وبحثوا عن طرق جديدة وقدّموا أيضًا كما رأينا نماذج لأشعارهم المقترحة، غير أن اطلاعه العميق على دقائق اللغة

---

(١) نسبة إلى قرية أنگاس التابعة لمدينة نوشهر (المترجم).

(٢) مقدمة الشاعر على كتاب " خانوادهٔ سرباز :أسرة الجندى ".

(٣) من مقدمة الشاعر على كتاب " خانوادهٔ سرباز :أسرة الجندى ".

(٤) المقصود محمد ضياء هشترودى مؤلف منتخبات الآثار.

(٥) نخستين كنگرهٔ نويسندگان إيران، ص (٦٣، ٦٤).

الفارسية ومعرفته المباشرة بالأدب الفرنسي (ليس عن طريق الأدب التركي- العثماني) وبالتالي خلو بيانه من بعض الألفاظ والعبارات والجمل المهجورة فضلاً عن موهبته الشعرية على وجه الخصوص، قد سمح له بأن يثبت دعاوى زملائه عمليًا بتقديم نماذج أفضل وأجمل، وكان نيما يعتبر طرح النظريات الفنية ليس إلا كلام، فانشغل بالعمل أكثر من الكلام.

ولم يكن عمل نيما متعجلاً وعشوائيًا بعكس عمل رفاقه الآخرين، فلم يكن يريد أن ينصرف عنه المعارضون له دفعة واحدة فى أولى خطواته، وكأنه قد استشف أن أبناء وطنه يتعلقون بشكل الشعر وقالبه والألفاظ التى تستخدم فيه أكثر من تعلقهم بالمضمون.

ولم يكن عمل الشاعر الشاب فى خطوته الأولى هو " الهدم والتقويض "، فهو لم يتجاهل قواعد الشعر الفارسى التقليدية، وصبّ أشعاره الأولى فى نفس القوالب التقليدية المعتادة وترك الوزن كما هو، فصل بين القوافى بمصراع واحد لكى لا تتكرر بشكل متتالى إلى ما لا نهاية، ولم يكمل القافية التى كان قد أوردها مسبقًا حتى يقلل من التأثير الرتيب الممل للقوافى المسلسلة والمكررة، وقد صنع بهذه الطريقة غزلاً جديدًا بمفردات جيدة وتركيب محكم يعبّر عن آلام وهموم الشاعر أو بعبارة أفضل آلام المجتمع.

"أى شب: أيها الليل": يظهر الهم والحزن واليأس الاجتماعى بشكل واضح فى منظومة (أى شب) والتى يمكن مقارنتها من حيث الشكل بالترجيع بند الرائع والجميل لسعدى[1].

ألا أيهــــــــــا الليـــــــــــل المـــــــــــــشئوم المخيـــــــــــــف

إلى مـــــــــــــتى تـــــــــــــشعل النـــــــــــــار فى روحـــــــــــــى

إمّـــــــــــا تقتلـــــــــــع عـــــــــــينى مـــــــــــن مكانهـــــــــــا

أو تـــــــــــسدل الـــــــــــستار علـــــــــــى وجهـــــــــــك

(١) يا من فى كل ثنية من طرتك لها أنشوطة للصيد.
وكل غمزة من عينك لها سحر.
وبعد نيما نظم ملك الشعراء بهار أيضًا قطعة " دماوند " بنفس الوزن واللحن.

أو تدعنى حتى أموت
فقد سئمت رؤية العالم
منذ فترة وأنا فى الزمن الوضيع
أذرف الدمع دائمًا من عينى
لقد مضت حياتى فى الضيق والألم
فكيف أعيش بقية العمر !
إننى لا أتحمل الحظ السيئ
ألا تنجلى أبدًا أيها الليل
هناك حيث سقطت الوردة من الغصن
هناك حيث دقت الرياح على الباب
هناك حيث انساب النهر التموج
وأضاءه القمر المنير بنوره
أتعلم أيها الليل المظلم الطويل
لماذا ظل ذلك المكان خفيًا ومستترًا ؟
لقد كان هناك قلب دامٍ من الألم
وكان هناك وجه مكتئب من الحزن
كانت هناك رؤوس كثيرة تمتلىء بالآمال
والحبيب الذى يأخذ حبيبه فى حضنه
فأين كل هذه الصرخات والشكوى والأنين ؟
أين تأوه العشاق المهمومون ؟
ما الذى يخفى عن عيون العالم
تحت ظل تلك الأشجار ؟

هـــــذه الفظـــــائع، أهــــــى نتيجـــــة عجــــز البـــــشر

أم أن هـــــــذه هـــــــى حقيقـــــــة العـــــــالم ؟

لقـــــد خـــــارت قـــــواى فى طريقـــــك

فمـــا الفائـــــدة مـــن هـــــذا المنظـــر فى النهايـــة ؟

هــــــل رأيـــــت مـــــــرآة للعـــــــالم

أم أنـــــك كــــاتم الأســـــرار فى طريـــــق العــــشق ؟

أم أنـــــك قـــــد أصـــــبحت عــــدو روحـــــى ؟

أيهــــا الليــــل يــــا مــــصدر هــــذه الأمــــور العجيبـــة

اتـــــــــــــــركنى لحـــــــــــــالى

مـــــع الــــروح المهمومــــة والقلــــب الجـــريح.

" أفسانه: الأسطورة "

ولكن كانت أفضل نماذج هذا الأسلوب الغزلى هى منظومة "أفسانه" الكبيرة نسبيًا والتى نُظمت سنة ١٣٤١هـ ق، (دى ١٣٠١ش)، وبعد أن سقطت فترة فى بحر النسيان طبعت من جديد سنة ١٣٢٩ش (١٩٥٠م) مع مقدمة لأحمد شاملو، وقد اعتبرت هذه القطعة التى ظهرت فيها بصمات لشعراء الرومانسية الفرنسيين خاصة " لامارتان " و"ألفريد دو موسيه"، تحولاً فى أسلوب البيان والتذوق الفنى.

وتعتبر أفسانه غزلاً عشقيًا مُلتهبًا من النوع الجديد، ونُظمت بلحن ونغمة سيريالية وتوجد فيها أبيات جيدة وتركيبات جميلة.

وفى هذا الغزل يتحاور شاعر فى البداية مع قلبه البائس المسكين من شدة الحزن أو "المجنون الذى سلّم قلبه للحُسن الهارب":

يا قلبى

مع كل هذا الحسن والمكانة والادعاء

ماذا حدث لى منك فى النهاية

غير الدموع على الوجه الحزين ؟
إذن أيها القلب المسكين، يا من طرت
على كل غصن وشجرة
كنت تستطيع الخلاص أيها القلب
لولا أنك انخدعت من الزمان
فى كل لحظة مهرب وحجة
ما دمت تجادلنى أيها الثمل
فأنت تحب أفسانه

وبعد ذلك تتحدث "أفسانه" نفسها بدلاً من القلب، وهذا الحوار بين العاشق وأفسانه هو الذى يصنع مشاهد جميلة، ونيما " فى عمله هذا، باستثناء الحياة — التى يبدى تعلقه بها واشتياقه لها — قد تصور كل شىء فى ثوب أفسانه، وأظهر أفسانه للقارىء فى صورة جميع الأشياء[١] " وقد ذُكرت أفسانه فى هذا الحوار بأسماء مختلفة: فهى هذا المجهول من حياة الشاعر، قلبه المشتاق وعيناه الدامعتان، الشيطان المطرود من كل مكان، القلب المشحون بالصراعات، الطبع والحظ، قصة بلا بداية أو نهاية، وليد المحن، صورة موتى العالم، العشق المميت، ثمرة الخياة، وليد الدمع، الكذب اللذيذ والحزن الجميل.

وفى نهاية القصة يسلم العاشق عشقه وقلبه لـــ "إفسانه" التى تسلمه نفسها هى الأخرى، حتى إذا ما بقى زمن وفرصة يعيشان معًا فى صفاء وينشدان معًا نشيد الحزن والهم بقلب واحد ولغة واحدة ونغمة واحدة فى ذلك الوادى الضيق الذى هو أفضل مهجع لرعاة الغنم.

و" أفسانه " برغم أنها لا تبتعد تمامًا عن الأسلوب التقليدى وليست ناضجة النضوج الكامل من حيث المضمون وليست خالية من العيوب، وبرغم وجود بعض الخلل والمواضع الضعيفة والغامضة وغير المناسبة فإنها بوجه عام عمل خيالى وتمثيلى بديع،

(١) مقدمة شاملو على كتاب أفسانه، ص ١٤.

والتعبيرات فى هذه القطعة غالبًا جديدة وغير مسبوقة، وقد نجح الشاعر إلى حد كبير فى الأسلوب الذى اختاره، وهذا الأسلوب فى النظم يعرفه الذوق الإيرانى من خلال نافذة أشعار شعراء الغزل القدامى، خاصة هؤلاء الذين استخدموا اللهجة الصوفية شديدة الانفعال، ويمكنهم بسهولة قبول أفسانه كعمل ناجح.

والشاعر فى هذا الأثر الذى قدّمه فى مرحلة الشباب يفتش فى زوايا قلبه، فهو يشرح قصة حبه وخيبة أمله ويأسه، ويصور محن ومصائب حياته ويوضح إدراكه التام لتقلبات الزمان وسرعة زوال العمر وخداع المظاهر والشهوات والأمانى، ويصور أيضًا كلما وجد الفرصة مشاهد ومناظر جميلة لماضيه وعهد شبابه وسهر رعاة الغنم بجوار النار وجمال الربيع وسط الوديان وسفوح الجبال – تلك المشاهد التى امتزجت بالحزن وحسرة البعد عن ذلك العصر والزمن المنصرم – إلا أن هذه المشاهد موجزة وعابرة .

و" الوصف فى أفسانه مجرد خلفية لأصل القصة لكى نعلم فقط أين نحن وكيف حال العالم الخارجى، وأحيانًا ينغمس القلم فى المحبرة ويترك أثرًا فى هامش القصة أو فى خلفيتها[1] ".

وعمل نيما هذا مع أنه عمل رمزى مملوء بالخيال فإن أبطاله أحياء، وقد أطلوا على الأقل من بين الأحياء أكثر من عشاق الغزليات القديمة.

ويحاول نيما فى أفسانه أن يقطع علاقته بالعروض وقوانينه، ولكن لم تكن لديه الجرأة أو الاستعداد لذلك، فقد اعتادت الآذان على أوزان العروض، وأى نغمة أخرى كانت ستخدش آذان السامعين، ومن ثم فإنه اضطر للجوء إلى نفس الأوزان المعتادة، ولكن ما قام به الشاعر هو أنه اختار وزنًا قصيرًا وبسيطًا – أنسب وزن يمكن أن يستوعب تغزلات الشاعر الشاب الملتهبة المحرقة:

انهض أيها العاشق فقد أقبل الربيع

وفاض النبع الصغير من الجبل

وظهرت الوردة فى الصحراء كالنار

---

(١) جلال آل أحمد، مشكل نيما (ديد وبازديد وهفت مقاله، ص ١٨٥).

والنهر المظلم أضحى ككرة الشمس المضيئة

وصار الوادى الآن متعدد الألوان

وإذا كان هذا الوزن الغنائى الراقص الذى صبّ فيه نيما أفكاره بصدق ومن صميم قلبه وباستخدام التعبيرات الجديدة، إذا كانت له سابقة قبل ذلك ثم أصبح مهجورًا ومعزولاً فقد أحياه نيما من جديد[1].

وعاشق أفسانه هو نفسه عاشق قصة " رنگ پريده: الشاحب " الكادح البائس الذى أصبح أكثر كراهية للحياة وأكثر حزنًا وبؤسًا بسبب شدة الهموم والمواجع .

وأنا أرى فى هذه المنظومة شخصية " تشايلد هارولد[2] " لبايرون، وأكثر من ذلك شخصية "الراهب الجديد" للشاعر لرمونتوف، ذلك الشاب الذى له روح طفل ومصير راهب الذى هرب من الناس ولجأ إلى أحضان الجبال الوعرة والوديان المخيفة.

ونظرة الشاعر ونسيج الشعر فى أفسانه كلاهما جديدان وما زالا فريدين من نوعهما، أمّا القطع الأخرى المنظومة بهذا الوزن واللحن أو فى هذا المضمون فإنها كلها محاولات لم تستطع على الإطلاق أن تصل إلى نفس المستوى ونحن نرى فيها كلها شخصية الأستاذ المميزة.

وأفسانه جديرة بالاهتمام من ناحية أنها قد نظمت فى شكل حوار، وأن المصاريع قد قسمت وكل مجموعة منها وُضعت على لسان أحد المتحاورين بحيث يمكن عرضها بسهولة.

---

(١) منظومة " مارش خون " (سلام الدم) لعارف والتى نظمت فى نفس عام ١٣٤١ هـ ـ ق، وقبل " أفسانه " بنفس الوزن واللحن.

إن لون الدم هو لون الجنة المبارك   لا تطيب رؤية الوادى بدون الشقائق

وقبل ذلك أيضًا نظم ملك الشعراء بهار هذه الأبيات :

لماذا تظل وإلى متى ستظل خربة   الهند وأفغانستان وخوارزم وإيران ؟

(سنة ١٢٨٧ ش) (١٩٠٨ م)

(٢) Lord Byron. Childe Harold.

وقد ظهر هذا الأسلوب الشعرى منذ مائة عام فى الأدب الإيرانى المنظوم ضمن الأدب المعاصر، وكما رأينا فى القسم الثانى فقد استخدمه فى البداية مترجم مسرحية " الهارب من البشر " لموليير وبعد عصر الحكومة الدستورية تم محاكاته فى المسرحية الشعرية " خسرو پرويز" وبعد ذلك فى أعمال نيما الأولى وفى " إيده آل " لعشقى ومنظومته " كفن سياه " .

ولا يمكن تلخيص أفسانه ويجب قراءة نصها كاملاً، ومع هذا فإننى سأنقل منها قطعة قصيرة على سبيل المثال :

العاشق: . . . إننى أتذكر ليلة مقمرة

جلست فيها فوق جبل " نوبن[1] "

ونامت العين من حرقة القلب

واستراح القلب من ضجيج العينين

وهبّت ريح باردة من فوق الجبل

فطيّرت خصلة شعرى كما يفعل المشط

بنعومة وهدوء ولطف

وكانت معى كالمعشوق الحزين

لعب ومزاح طفولى

يا أفسانه، هل كنت أنت تلك الريح الباردة ؟

لا أعرف من أنت، لماذا

كنت معى دائمًا تعيسة ؟

وكلما أخذتنى فى حضنك

أطلت غيبوبتى ؟

تكلمى أجيبينى يا أفسانه !

---

(١) اسم جبل يقع بين نور وكجور فى مازندران.

أفسانه: كف عن السؤال أيها الولهان

لكثيرًا ما قلت إنك أدميت قلبي
وأنا على يقين من أنك مضطرب من كثرة الهم
فكل من زاد همّه زاد كلامه
وأنت تعرفني أيها العاشق

إنني أختبيء من القلب بلا ضجيج
فأنا أحد مشردي السماء
لا أرتبط بالأرض ولا بالزمان
مهما كنت فأنا حضن العشاق

أنا كل ما تقوله وكل ما تريده

أنا كائن قديم ومُجرّب
يدعوني المنعزلون المهمومون
والأم العجوز تُخيف بيّ الأطفال
وترعبهم بيّ في الليل المُظلم

أنا قصة بلا بداية ولا نهاية

العاشق: أنت قصة ؟

أفسانه: نعم، نعم
قصة العاشق الولهان
اليائس المضطرب بشدة
الذي عاش سنوات في الهم والعزلة

حزينًا وساهرًا

أنا قصة العشق المملوء بالخوف
لو أنا مُخيفة كشيطان الصحراء
ولو المرأة القروية العجوز

تسمينى الغول، فأنا وليدة

اضطراب العالم بسبب الإنسان الهارب

فى وقت ما كنت فتاة
وكنت رقيقة وفاتنة
والعيون مملوءة بالفتنة
لقد كنت ساحرة

فحضرت وجلست على أحد القبور

آلة العزف الموسيقية فى يد
وكأس الخمر فى اليد الأخرى
لم أبدأ نغمة واحدة ومع ذلك تمل بشدة
من عينى السوداء، وجرت

الدموع المملوءة بالدم قطرة قطرة

وفى نفس اللحظة كانت تظلم
صورة السحب الدامية فى الأفق
وحدث اختلاط الأصوات الكثيرة
بين الأرض والسماء

وكان الدخان يصعد من هذا القبر

فهجم النوم وأغمض عينَى
وسقط من يدى الكأس والآلة الموسيقية
فتحطمت الآلة الموسيقية وانكسر الكأس
فنجوت من يد القلب واستراح القلب منى

فرحلت ولم تراني أنت ثانية

ما أكثر الليالى المخيفة
حيث ظهرت من خلف السحب

القامة التى لم تعرف أنت من هى
وقالت اسمى فى أذنك
بصوت حزين ومؤثر

أيها العاشق أنا هذا المجهول
أنا ذلك الصوت الذى يصدر من القلب
أنا صورة موتى العالم
أنا آهة تخرج كالبرق
أنا القطرة الساخنة للعين المبللة

انهض أيها العاشق فقد أقبل الربيع
وفارت العين الصغيرة من الجبل
وظهرت الوردة فى الصحراء كالنار
والنهر المظلم أضحى ككرة الشمس المضيئة
واكتسى الوادى بالزهور متعددة الألوان

وسطعت الشمس الذهبية
فوق ندى الصباح
فلمعت حبات الندى
وصارت كحبات الماس والسمك فى النهر
دار فوق الأمواج

وأنت أيضًا أيها التعيس افرح وامرح
فبهجة الربيع تطل من كل جانب
والدنيا ترقص فى كل مكان
فإلى متى تذرف عيناك الدمع ؟
اطبع قبلة فإن الزمان راحل

خانواده سرباز (أسرة الجندى)

فى شعر " أسرة الجندى " خفت إلى حد ما حدة اليأس والتشاؤم المفرط الذى رأيناه فى "افسانه" وبصفة خاصة فى قطعة " أيها الليل "، فقد مال شاعر الغابات والمناطق الجبلية فى هذه المنظومة نحو الواقعية، واختار موضوع شعره من وسط مجتمعه وحياة أبناء وطنه: فقد أُرسل جندى إلى الحرب ضد روسيا وبقيت أسرته بلا عائل، وموضوع الشعر حكاية مؤلمة عن فقر وبؤس طبقات الشعب.

وفيما يلى عدة مقاطع منها :

الشمع يحترق، أزحت الستار
حتى الآن لم تنم هذه المرأة
ارتكزت على المهد
آه يا مسكين، آه يا مسكين !
ستارة منزلها عدة قطع موصولة
تحفظ عشها
لم تر القوت منذ يوم أو يومين
لم تنم قريرة العين مع ولديها
أحدهما نائم وهو فى العاشرة من عمره
والآخر يقظ وفى حالة بكاء
يريد اللبن ولكن لبن الأم قليل
وهذه مصيبة أخرى
إن طفل الجيران يجد الثياب
ويتمتع بالحركة والشراب
فما الذى يميز هذا عن ذاك ؟
إن ما يجده ذلك ليس عند هذا
وطفل الجندى هو بالتأكيد صاحب الثياب الرثة

إذن كيف يعيش هو ؟
إن الناس يقولون: " إن الجيش سيصل
وسيعود هذا الرجل إلى بيته
فأين الأمل أيتها المرأة ؟ " إن أملى هو
متى يطلع صبحى المضيء ؟
فهذا كله كلام فمتى صار الكلام خبزًا
حتى ينقذ الروح !

محبس " السجن "

تعتبر قطعة " محبس " غير المكتملة والتى نظمت بعد أفسانه عكس منظومة أفسانه تمامًا، فهى منظومة مفصلة فى نقد الأوضاع الاجتماعية، وبطل القصة شاب يدعى "كرم" ابن قروى، تم الزج به فى السجن بتهمة عصيان أوامر أولى الأمر، وواقعية الشاعر فى هذه القصة محيرة وتعرض أحيانًا مناظر تقرّب شعره من أعمال نكراسوف[(١)]،[(٢)].

فى قـــــاع ضـــــيق لـــــسجن يـــــشبه القـــــبر
عنـــــدما دقـــــوا الجـــــرس خمـــــس مـــــرات
فُـــــتح فجـــــأة بـــــاب الظلمـــــات
إنهـــــا بوابـــــة الـــــسجن المظلمـــــة القديمـــــة
وأمـــــام ضـــــوء شمعـــــة
كانـــــت هنـــــاك جماعـــــة وضـــــعت الـــــرأس فـــــوق الركبـــــة
بـــــشعر أشـــــعث وثيـــــاب ممزقـــــة
كلـــــهم تعـــــساء ومـــــساكين

---

(١) Nekrassov (١٨٢١ – ١٨٧٨ م) الشاعر الروسى الديمقراطى الثورى الكبير.
(٢) برتلس، تاريخ مختصر ادبيات إيران، ص ١٦٢.

فهذا لا يعلم شيئًا عن زوجته وولده
وذلك الآخر مشرد من الولاية
تهمة هذا أنه لم يبذل جهدًا كبيرًا فى الحرب
وتهمة ذلك الآخر الضحك بشكل سيئ
وذنب هذا أنه يسعى من أجل لقمة العيش
لأنه يخشى على نفسه من الهلاك
وذنب ذلك السير معوجًا
وذنب هذا فتح الفم
ومثل هؤلاء أدانتهم العدالة السامية
ورأت أنهم يستحقون الموت ...
وعندما فتح أربعة جنود الباب
وقفوا على الباب بوجوه عابسة
وعيونهم تتلصص وتبحث
عمن يستحق من السجناء ذلك الحكم الجديد
فصدرت همهمة من كل جانب
فهذا أراد الوقوف وذلك رغب فى الجلوس
هذا أمسك الجندى من طرف ثوبه
وذلك فتح فمه من شدة الحسرة
ورفع عدة أشخاص وجوههم إلى السماء
قائلين " الحكم إليك يا الله ! "
هذا يقول باكيًا: " ولدى جائع "
وذلك يقول نائحًا: " كيف أكون فى القيد ! "

فصرخ عسكرى عبوس الوجه
حاد الطبع ومخيف الصوت
" لقد جاء دورك يا كرم
فلا تلعب فى رأسك وشعرك ! "
وقال العسكرى الثانى " يستحق الموت
كل شخص يسىء الأدب فى الكلام ! "
وقال الثالث " هذا الخائن
قد نام أم إنه يفكر فى الهروب ! "
والرابع لم يفتح فمه وينظر
لكن ذلك القبر الضيق شديد الظلام
فقفز شاب يائس من مكانه
مكفهر الوجه ضعيف الجسم
رأسه مجروحة ومربوطة
وثوبه الأحمر مفكك من بعضه
لا غطاء رأس ولا حذاء ولا حزام
شعره مضطرب وغير مرتب
ذنبه أنه لم يتطبع أبدًا
إلا على السجود بأمر إبن السيد
فقد ظل سنوات عبدًا لابن السيد
يطأطئ رأسه ويتحلى بالأدب
عاش عمره مسكينًا
ويائسًا من الزمن القادم

لـــــــولا الحاجـــــــة مــــــن أيـــــــن يـــــأتى الهـــــم
كيــــــف الســــــجود، وأيــــــــن " الكـــــــرم " ؟ ![1]

وتأثير نيما على الشعراء المعاصرين والتاليين أمر حتمى ومؤكد، وبناءً على رأى البعض فقد كان عشقى فى "كفن سياه: الكفن الأسود " وربما فى "تابلوهاى إيده آل: اللوحات المثالية "، وشهريار فى " أفسانهء شب:أسطورة الليل"، و" دو مرغ بهشتى:طائرا الجنة"، كانا متأثرين بـــ "نيما".

أما قضية كيف شق الشاعر المتمرد طريقه، هذا الشاعر الذى يعد على حد قوله شوكة أعدمًا الطبيعة من أجل العيون العليلة والكفيفة، وما هو التحول الأساسى والجذرى الذى أحدثه فى شعره وشعر الآخرين، فهى قضية تتعلق بمرحلة جديدة، وهو أمر خارج إطار هذا الكتاب، ويتطلب بحثه فرصة أخرى ومجالاً آخر، ونحن سعداء بأن يُختم هذا الكتاب حسن الختام باسم " نيما " على أعتاب انتصار الشعر الحديث.

(١) الجزء الثانى، شرح أحوال " كرم " وحكاية سجنه والجزء الثالث قصة إدانته ومحاكمته.

المراجـــع والمصـــادر

١ – مآخذ تاريخی

- آذری، علی:

١- قيام شيخ محمد خيابانی در تبريز، تهران، ١٣٢٩ ش

٢- قيام كلنل محمد تقی خان پسيان در خراسان، چاپ دوم، تهران، ١٣٢٩ ش

٣- تاريخ حيات خيابانی به قلم چند نفر از دوستان وآشنايان او، به اهتمام كاظم زاده ايرانشهر، برلن، ١٣٠۴ ش

- آكادمی علوم شوروی: ايران كنونی، مسكو، ١٩٥٧ م (روسی)

- اسكندری، عباس: تاريخ مفصل مشروطيت ايران، ج١، تهران

- اقبال، عباس:

قاتل حقيقی ميرزا علی اصغر خان اتابك، مجلة يادگار، سال ٣، شمارة ٤ .

ورقی از تاريخ مشروطة ايران – حيدرعمو اوغلی، مجلة يادگار، سال ٣، شمارة ٥ .

- ايوانسكی، س . پاولويچ، م . تريا، و: انقلاب مشروطيت ايران وريشه های اجتماعی واقتصادی آن، ترجمة هوشيار، تهران، ١٣٣٠ ش

- ايوانف، م . س .:

تاريخ مختصر ايران، مسكو، ١٩٥٢ م (روسی)

جديدترين تاريخ ايران، مسكو، ١٩٦٥ م (روسی)

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: تاريخ مختصر احزاب سياسی ايران، جلد يكم، تهران، ١٣٢٣ ش

- روزنامة تجدد شماره های از جمادی الآخر ١٣٣٥ تا ذيحجة ١٣٣٨

- تقی زاده، حسن: قتل اتابک، مجلهٔ سخن، دورهٔ ١٦، شمارهٔ ١، صفحات ٤٣ ـ ٤٨
- جاوید، س ٠: دو قهرمان آزادی (ستارخان وحیدرعمو اوغلی) تهران، ١٣٤٢ ش
- حلاج، حسین: تاریخ نهضت ایران، تهران، ١٣١٢ ش
- دنسترویل، ژنرال ماژورآگرا: امپریالیزم انگلیس در ایران وقفقاز (١٩١٧ ـ ١٩١٨)
ترجمهٔ میرزا حسین خان انصاری، تهران، ١٣٠٩ ش
-Sykes, Percy: A History Of Persia, 2 vols., London. 1951.
- سایکس، سرپرسی: تاریخ ایران، ترجمهٔ سید محمد تقی فخر داعی گیلانی، تهران، ١٣٣٥ ش
- سپهر، مورخ الدوله: ایران در جنگ بزرگ (١٩١۴ ـ ١٩١٨) تهران١٣٣٦ ش
- سمیعی،(حسین)، اردلان (امان الله): اولین قیام مقدس ملی، تهران، ١٣٣٢ ش
- شمیم، علی اصغر: ایران در دورهٔ آخرین پادشاهان قاجار، لنینگراد، ١٩٣٣م (روسی)
- فخرائی، ابراهیم: میرزا کوچك خان سردار جنگل، تهران، ١٣٤٤ ش
- قزوینی، محمد: حیدرعمو اوغلی، مجلهٔ یادگار، سال ٣، شمارهٔ
- کسروی، احمد: تاریخ هیجده سالهٔ آذربایجان یا جلد دوم تاریخ مشروطهٔ ایران، چاپ دوم،١٣٣٣ش
- محمد تقی خان پسیان، کلنل: دفترچهٔ جواب دادخواهی محبوسین تهران، سرطان ١٣٠٠ ش
-محمد لی، غلام: دموکرات نامی آذربایجان ایران، خیابانی، مجلهٔ آذربایجان، باکو، شمارهٔ ٦،ژوئن ١٩٤٦
- مکی، حسین:
مختصری از زندگانی سیاسی سلطان احمد شاه قاجار، تهران، ١٣٢٣ ش
تاریخ بیست سالهٔ ایران، در ٣ جلد، تهران، ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥
- مهرنوش: تاریخ جنگل: نشریهٔ روزنامهٔ فریاد لاهیجان، رشت، ١٣٣٤ ش

- نوائی،عبد الحسین:
حیدرعمو اوغلی ومحمد امین رسول زاده، مجلة یادگار، سال ۵ شمارهٔ۱-۲
انقلاب جنگل چگونه آغاز شد ؟ مجلة یادگار، سال ٤، شمارهٔ ۳
- نیکیتین، بازیل: ایرانی که من شناخته ام، ترجمهٔ فره وشی (مترجم همایون)، تهران ۱۳۲۹ ش
- هدایت، مهدیقلی مخبرالسلطنة: خاطرات وخطرات، تهران، ۱۳۲۹ ش

۲ - مآخذ ادبی (کلیات)

- آکادمی علوم شوروی: ایران کنونی، مسکو، ۱۹۵۷م (روسی)
-Ishaque, M.: Modern Persian Poetry , Calcutta , 1943 , 1950.
- اسحق، محمد: سخنوران ایرانی درعصرحاضر، ج۱ کلکته، ۱۳۵۱هـ ق، ج۲، کلکته، ۱۳۵۵هـ ق
- اسلامی ندوشن، دکتر محمد علی: تأثیر اروپا در تجدد ادبی ایران، مجلة راهنمای کتاب، سال ۷، شمارهٔ ۱، ص ۳
- ایرانی، دینشاه جی جی باهای: سخنوران ایران درعصرحاضر، دو جلد، دهلی، ۳۷-۱۹۳۳م
-Irani , Dinshah J.: Poets of the Pahlavi Regime , Bombay , 1933.
- براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران در دورهٔ مشروطیت، ترجمهٔ محمد عباسی، ج ۱، تهران، ۱۳۳۵ ش
- برتلس، ی ۰ ا ۰: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ م (روسی)
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی معاصر، سه جلد، تهران، ۱۳۲۹ ــ ۱۳۳٤ ش
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی یا تاریخ تطور نثر فارسی، ج ۳، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۷ ش
- چایکین، ك:
تاریخ مختصر ادبیات فارسی، مسکو، ۱۹۲۸ م (روسی)

تاریخچهٔ جدیدترین ادبیات ایران، مسکو، ۱۹۲۸م (روسی)
- خلخالی،عبد الحمید: تذکرهٔ شعرای معاصر ایران، دو جلد، تهران،۱۳۳۳ ـ ۱۳۳۷
- روزنفیلد، آ ۰ ز: دربارهٔ ادبیات بدیعی ایران در قرن بیستم، لنینگراد، ۱۹٤۹م (روسی)
- روماسکویچ، آ ۰ آ ۰:
نهضت ادبی در ایران کنونی، مجلهٔ وستوك (شرق) ج ۲، لنینگراد، ۱۹۲۳ (روسی)
مطبوعات معاصر ایران با نمون ها، لنینگراد، ۱۹۲٤م (روسی)
-Rypka, Jan: Spolupracovici, Déjini berské a tadzické Literatury, Praha, 1956.
- صفا، ذبیح الله: گنج سخن ج ۳، تهران، ۱۳٤۰ ش
-Machalski, Franciszek: La literature de l'Iran Contemporain, I. Wroclaw, Warszawa, Krakow, 1965.
- مؤتمن، زین العابدین: شعر وادب فارسی، تهران، ۱۳۳۲ ش
- منیب الرحمن، دکتر: برگزیدهٔ شعر فارسی معاصر، در دو جلد، دهلی، ۱۹۵۸ – ۱۹٦۳م
-Munibur Rahman: Post-Revolution Persian Verse Aligarh, 1955.
- میخالویچ، گ. پ.: شعر مترقیانهٔ ایران معاصر، لنینگراد، ۱۹۵۳م (روسی)
- نخستین کنگرهٔ نویسندگان ایران، تهران، ۱۳۲٦ ش
- نوری زاده، علی: شعرالا معاصر ایران، تهران، ۱۳۲۸ ش
- هشترودی، ضیاء: منتخبات آثار، تهران، ۱۳٤۲هـ ق
- یاسمی، رشید: ادبیات معاصر ایران، تهران، ۱۳۱٦ ش

۳ - جراید ومجلات

- آزادیستان، مجله: چهار شماره، تبریز، ۱۳۳۸هـ ق، (۱۵ خرداد ۱۲۹۹) – ۱۳۳۸هـ
ق (۲۱ شهریور ۱۲۹۹)
- ادب، مجله: دوازده شماره، تبریز، ١٤ صفر ۱۳۳۸ هـ ق، (۱۵ آبان ۱۲۹۸) – ۱۵ شوال ۱۳۳۹ هـ ق، (یکم سرطان ۱۳۰۰)
- ارمغان، مجله: ۲۲ سال، تهران، ۱۳۳۸ هـ ق، (بهمن ۱۲۹۸)- ۱۳٦۰هـ ق، (دیماه ۱۳۲۰)
- ایرانشهر، مجله: ٤٨ شماره، برلین، ذیقعدهٔ ١٣٤٠هـ ق، (تیرماه ۱۳۰۱)- رمضان
١٣٤٥ هـ ق، (اسفند ۱۳۰۵)
- برقعی، سید محمد باقر: سخنوران نامی ایران، یحیی ریحان، ج ۲، ص ١٤٢
- پارس، مجله: ٦ شماره، استانبول، شعبان ۱۳۳۹هـ ق، – ذیقعدهٔ ۱۳۳۹ هـ ق،
- دانشکده، مجله: ۱۲ شماره، تهران، رجب ۱۳۳٦ هـ ق، (یکم اردیبهشت ۱۲۹۷) جمادی الاولی ۱۳۳۷ هـ ق، (یکم اسفند ۱۲۹۷)
- ریحان، یحیی: سرگذشت ریحان، مجلهٔ یغما، سال ١٦، ص ١١٨
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، چهار جلد، اصفهان، ۱۳۲۷ – ۱۳۳۲ ش
- فرنگستان، مجله: ۱۲ شماره، برلین، رمضان ١٣٤٢ (یکم مه ١٩٢٤)- رمضان ١٣٤٣ (آوریل ۱۹۲۵)
- کاظم زاده، حسین – ایرانشهر: شرح حال – به قلم خود او، با مقدمهٔ ابوالفضل حاذقی، تهران، ۱۳۳۹ ش

- کاوه، روزنامه: دورهٔ قدیم، برلین، ۱۸ ربیع الاول ۱۳۳٤ هـ ق، ـ ۱٥ ذیقعده ۱۳۳۷ هـ ق،
- کاوه، مجله: دورهٔ جدید، برلین، یکم جمادی الاول ۱۳۳۸ هـ ق، ـ یکمَ ربیع الآخر ۱۳٤۰ هـ ق،
- گل زرد، مجله: تهران، ۱۳۳٦ ـ اواخر ۱۳٤۱
- یغمائی، حبیب: یادی از ریحان، مجلهٔ یغما، سال ۱۲، شمارهٔ ۷، مهرماه ۱۳۳۸

رمان

- برتلس، ی ۰ ۱ ۰: رمان تاریخی ایران در قرن بیستم، لنینگراد، ۱۹۳۲ (روسی)
- کامیساروف، د ۰ س ۰: تاریخچهٔ نثر معاصر ایران، مسکو، ۱۹٦۱ (روسی)
- نخستین کنگرهٔ نویسندگان ایران، تهران، ۱۳۲٦ ش
- نفیسی، سعید: رمان در ادبیات ایران، ژورنال دو تهران، اکتبر ـ نوامبر ۱۹۳۹ م
-Nikitine, B.
1. Les chémes sociaux dans La Litérature persane moderne,1954.
2. Le roman historique dans la literature persane actuelle Journal Asiatique, T. 223. 1933. pP. 297- 336.

خسروی

- جمال زاده، محمد علی: مقدمه بر دلیران تنگستانی تألیف رکن زادهٔ آدمیت، تهران، ۱۳۱۳ ش
- خسروی، محمد باقرمیرزا:
شمس وطغرا، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ ش
تاریخ افسانه، سه جلد، کرمانشاهان، ۱۳۲٦ ـ ۱۳۲۸ هـ ق،
-Machalski, Franciszek: Sams et Toqra, Roman historique de Mohammad Baqir Hosrovi, Bytom.?

- یاسمی، رشید:

شرح حال خسروی، در مقدمهٔ شمس وطغرا، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ ش

خسروی، مجلهٔ آینده، سال یکم، شمارهٔ ۲

شیخ موسی

- نثری، شیخ موسی کبودر آهنگی:

۱- عشق وسلطنت یا فتوحات کورش کبیر، ج ۱، همدان، ۱۳۳۷، بمبئی، رمضان ۱۳٤۲

۲- ستارهٔ لیدی، ج ۲، بمبئی، ۱۳٤٤

۳- شاهزاده خانم بابلی، ج ۳، کرمانشاهان ۱۳۱۱ ش

- هدایتی، دکتر هادی: کورش کبیر، تهران آذرماه ۱۳۳۵ ش

- هرودت: تاریخ – با مقدمه وتوضیحات وحواشی دکتر هادی هدایتی، ج ۱، تهران، ۱۳۳٦، بندهای ۹۵- ۲۱٦ .

بدیع

- بدیع، میرزا حسن خان نصرت الوزاره:

۱- سرگذشت شمس الدین وقمر، بوشهر، ۱۳۲٦ هـ ق، تهران، ۱۲۹۷ ش

۲- داستان باستان یا سرگذشت کورش، تهران، ۱۲۹۹ش

صنعتی زاده

- صنعتی زادهٔ کرمانی، عبد الحسین:

۱- دام گستران یا انتقامخواهان مزدك، ج ۱، چاپ دوم، بمبئی، ۱۳٤۲ هـ ق، .

۲- دام گستران یا انتقامخواهان مزدك،ج۲، تهران،۱۳۰٤ش

۳- مجمع دیوانگان، ج۱،تهران،حمل۱۳۰۳ش،ج۲،تهران،؟

٤- داستان مانی نقاش، ج۱، تهران، ۱۳۰۵ ش

- مینوی، مجتبی: مقدمه بر جلد دوم دام گستران، تهران، خرداد ۱۳۰٤ ش
- نیکیتین، بازیل: پیشگفتار بر رمان نادر فاتح دهلی تألیف صنعتی زاده، تهران، بهمن ۱۳۳۵ ش

کاظمی

- مشفق کاظمی، مرتضی:
۱- طهران مخوف (کتاب اول)، تهران ٥- ۱۳۰۳ ش
۲- یادگار یك شب، ج۲، برلین، ۱۳٤۲ هـ ق،
۳- رشک پریها، تهران، ۱۳۰۹ ش
٤- گل پژمرده، تهران، ۱۳۰۸ ش

خلیلی

- خلیلی، عباس:
۱- انتقام، تهران، ۱۳۰٤ ش
۲- اسرار شب، تهران، ۱۳۰۵ ش
۳- روزگار سیاه، تهران، ۱۳۱۰ ش
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۱، اصفهان، ۱۳۲۷ ش
- کسروی، احمد: زندگانی من، تهران، ۱۳۲۳ ش

دولت آبادی

- آینده، مجله: داستان شهرناز، سال دوم، شمارهٔ ۱۳ مسلسل، دی ماه ۱۳۰۵ ش
- دولت آبادی، یحیی:
۱- حیات یحیی، چهار جلد، تهران ۱۳۱۸ ـ ۱۳۳۱ ش
۲- شهرناز، تهران، ۱۳۰۵ ش

جمال زاده

- افشار، ایرج: جمال زاده، مجلهٔ یغما، سال ۱۲، شمارهٔ ۸، ص ۳۳۷

- جمال زاده، سید محمد علی:
۱- یکی بود یکی نبود، برلین، ۱۳٤۰
۲- شرح حال – به قلم خود او،نشریهٔ دانشکدهٔ ادبیات تبریز، شمارهٔ ٦، ص ۲۵٦
- دستغیب،عبد العلی: سید محمد علی جمالزاده، پیام نوین، سال ۲، شمارهٔ ۹، ص ۱۵
- **مهرین، مهرداد:**
۳- جمال زاده وافکار او با مقدمهٔ عبد اللـه وزیری، تهران، ۱۳٤۲ ش
٤- سید محمد علی جمال زاده – یك شخصیت بین المللی، مجلهٔ کاوش، تهران، شمارهٔ ۱۰، نوروز ۱۳٤۲ ش.

نمایش ونمایشنامه نویسی

- افشار، دکتر: حسن مقدم – علی نوروز، مجلهٔ آینده، سال یکم، شمارهٔ ۵ - افشار، ایرج:
۳- به یاد علی نوروز، مجلهٔ جهان نو، سال ۳، ص ٤٦۱
٤- علی نوروز (حسن مقدم) مجلهٔ یغما، سال ۸، ص ۵٦۹
- اویسی، علی محمد: سرگذشت پرویز در دو پرده، استانبول، ۱۳۳۰
- برتلس، ی ۰ ۱ ۰: تئاتر ایران، لنینگراد، ۱۹۲٤ م (روسی)
- **جنتی عطائی، دکتر أبوالقاسم:**
۱- بنیاد نمایش در ایران، تهران، اسفند ۱۳۳۳ ش
۲- دراماتورژی در ایران، مجلهٔ پیام نوین، سال ۳، شمارهٔ ۱۰،تیر ۱۳٤۰ ش
۳- زندگانی وآثار رضا کمال شهرزاد، تهران، ۱۳۳۲ ش
٤- نویسندهٔ جعفرخان از فرنگ آمده، اطلاعات ماهانه، سال ۷، شمارهٔ ۷۹، مهرماه ۱۳۳۳ ش، ص ۲۸
۵- تئاتر در ایران، مجلهٔ پیام نوین، سال ۳، شمارهٔ ۱۱ – ۱۲، مرداد – شهریور ۱۳٤۰، ص ۹۹ ۰

- رفعت، تقی: خسرو پرویز نمایشنامهٔ منظوم در سه پرده (چاپ نشده)
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج ۱، اصفهان ۱۳۲۷ ش
- **محمودی، أحمد کمال الوزاره:**
  ۱- حاجی ریائی خان یا تارتوف شرقی، در سه پرده تهران، ذیقعدهٔ ۱۳۳٦
  ۲- اوستاد نوروز پینه دوز، در شش پرده، تهران، جمادی الآخر ۱۳۳۷
- **مقدم حسن:**
  ۱- جعفرخان از فرنگ آمده، کمدی در یك پرده، تهران ۱۳۰۱ ش
  ۲- ایرانی بازی، در چهار پرده، مجلهٔ فرنگستان، شمارهٔ ۳، ژونیهٔ ۱۹۲٤ م
- نصیریان، علی: نظری به هنر نمایش درایران، مجلهٔ نمایش، دورهٔ ۲، شمارهٔ ۹، **بهمن ۱۳۳٦ش**
- نفیسی، سعید: خیمه شب بازی، مجلهٔ سپید وسیاه، سال۳، شمارهٔ۲٤، دی ماه ۱۳۳٤ ش

أديب پيشاورى

- ادیب پیشاوری، سید احمد: دیوان شعر- با مقدمه وتعلیقات علی عبد الرسولی، تهران، ۱۳۱۲ش
- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه، ذیل ادیب پیشاوری
- قزوینی، محمد: ادیب پیشاوری، مجلهٔ یادگار، سال ۳، شمارهٔ ۳
- یاسمی، رشید: ادبیات معاصر، تهران، ۱۳۱٦ ش

غنى زاده

- غنی زاده، مهندس فضل الله: آثارمنظوم مرحوم میرزا محمود غنی زاده، تهران اسفند ۱۳۳۲ش
- **غنی زاده، محمود:**
  ۱- یك غزل از غنی زاده، مجلهٔ ایرانشهر، سال یکم، شمارهٔ ٥، غرهٔ ربیع الاول ۱۳٤۱
  ۲- قطعهٔ ادبی تحیر، مجلهٔ ایرانشهر، سال یکم، شمارهٔ٦ وسال دوم،شمارهٔ ۲
  ۳- روشنی یگه جواب، برلین، ۱۳٤۳
  ٤- تاریخ آذربایجان، مجلهٔ ایرانشهر، سال دوم، شمارهٔ ۳، ص ۱۷٤

بهار

- إسلامی ندوشن، دکتر محمد علی:

۱- دهمین سال مرگ بهار، مجلة یغما، سال ۱٤، شمارهٔ ۳،تیر ماه ۱۳٤۰ ش

۲- به یاد دهمین سال درگذشت بهار، مجلة پیام نوین، سال ۳، شمارهٔ ۱۰، تیر ماه ۱۳٤۰ ش

- بهار،محمد تقی ملك الشعراء:

۱- دیباچة تاریخ مختصر احزاب سیاسی ایران، ج۱، تهران،۱۳۲۳ش

۲- مقدمه بر دیوان اشعار، ج۱، تهران، ۱۳۳۵ ش

- پیسیکوف، ل ۰ س ۰: ملك الشعراء بهار بزرگترین شاعر ورجل اجتماعی معاصر

ایران، مجلة پیام نوین، سال ٤، شمارهٔ ۲، آبان ۱۳٤۰ ش

- دستغیب، عبد العلی: ملك الشعراء بهار، مجلة پیام نوین، سال۳، شمارهٔ۸، اردیبهشت۱۳٤۰ش

- رفعت، تقی: سلسلة مقالات آزادیها، روزنامة تجدد، سال ۱۳۳٦، شماره های ۹۰ و ۹۷ و ۱۰۷

- زرین کوب، عبدالحسین: شعر بهار، مجلة سخن، دورهٔ ۸، شماره ۹ – ۱۰

- شعاعی، عبدالحمید: چکیده ای از زندگانی بهار، مقدمه بر کتاب شعر در ایران تألیف ملك الشعراء بهار، تهران، ۱۳۳۰ ش

- یغمائی، حبیب:

۱- دراحوال استاد بهار، مجلة پیام نو، دورهٔ ٦ شمارهٔ ۳، اسفند ۱۳۳۱ ش

۲- احوال وآثار ملك الشعراء بهار، مجلة پیام نوین، سال ۱، شمارهٔ ۲

۳- پنجمین سال درگذشت بهار، مجلة سخن، سال ٦، شمارهٔ ٤

٤- به یاد استاد، پیام نوین، سال ۳، شماره ۱۰

عارف

- آذری، علی: قیام کلنل محمد تقی خان پسیان در خراسان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۲۹ ش
- احتشامی، ابوالحسن: یادی از عارف قزوینی، اطلاعات ماهانه، سال ۳، شمارهٔ ۹، ص ۳٤

-Rombaci, A,: Il Poeta nazionalista persiana Aref de Qazvin, Oriente Moderno, xxv , 1945.

- دستغیب، عبدالعلی: عارف قزوینی، پیام نوین، سال ۳، شمارهٔ ٤ ص ۱
- عارف، ابوالقاسم:
  ۱- دیوان - با مقدمه دکتر رضا زادهٔ شفق، برلین، ۱۳۰۲ ش
  ۲- کلیات دیوان، چاپ سوم، تهران، ۱۳۳۷ ش
  ۳- دیوان، ج۲، به اهتمام هادی حائری (کوروش)، کرمان ۱۳۲۱ ش، تهران ۱۳۳٤ ش
- فتحی، نصرت الله: عارف وایرج، تهران، ۱۳۳۳ ش
- قائم پناه، حسن غلامرضا: عارف قزوینی شاعر ملی ایران، مسکو، ۱۹۷۱م (روسی)
- کسروی، احمد: مرگ عارف، مجلهٔ پیمان، سال یکم، شمارهٔ ٦، ص ۳۳
- مکی، حسین: تاریخ بیست سالهٔ ایران، ج ۲، تهران، ۱۳۲٤ ش
- هزار، محمد: عارفنامهٔ هزار، شیراز ۱۳۱٤ ش

عشقی

- استاریکوف، آ . آ .: عشقی ومنظومهٔ ایده آل او، اخبار مختصر آکادمی علوم شوروی، ج ۱٤، مسکو، ۱۹٦۱ م
- دستغیب، عبدالعلی: میرزادهٔ عشقی، مجلهٔ پیام نوین، سال ۳، شمارهٔ ۱۱ – ۱۲، ص ۸۱
- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج ٤، اصفهان، ۱۳۳۱ ش

- عشقی، محمد رضا:
۱- دیوان عشقی وشرح حال شاعر به اهتمام علی أکبر سلیمی، تهران، ۱۳۱۹ ش
۲- کلیات مصور عشقی به اهتمام علی اکبرسلیمی،چاپ سوم، تهران،۱۳۳۱ش
-Machalski, Franciszek : Le modernisme dans l'oeuvre poétiqu de Mahammed Reda Ešqi. Krakow , 1959.
- مکی، حسین: تاریخ بیست سالهٔ ایران، ج ۲ و۳، تهران، ۱۳۲٤ ــ ۱۳۲۵ ش

لاهوتی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: تاریخ مختصر احزاب سیاسی ایران، ج۱، تهران، ۱۳۲۳ش
- خانلری، دکتر پرویز ناتل: دیوان ابوالقاسم لاهوتی، مجلهٔ سخن، سال سوم، شمارهٔ ٤، ص۳۱۱
- زند، م ۰: ابوالقاسم لاهوتی، استالین آباد، ۱۹۵۷ م
- لاهوتی، ابوالقاسم: دیوان ـ، مسکو، ۱۹٤٦ م
- مکی، حسین: تاریخ بیست سالهٔ ایران، ج ۲، تهران ۱۳۲٤ ش
- نفیسی، سعید: لاهوتی، پیام نو، سال دوم، شمارهٔ ۱۲، ص ٤٦
- هدایت، مهدیقلی مخبر السلطنة: خاطرات وخطرات، تهران، ۱۳۳۹ ش

إیرج

- آذری، علی: قیام کلنل محمد تقی خان پسیان در خراسان، چاپ دوم، تهران ۱۳۲۹ ش
- امیر نظام، حسنعلی خان گروسی: منشآت ـ، تهران، ۱۳۲۲، ۱۳۲۵، ۱۳۳۱هـ ق،، تبریز، ۱۳۲۸ هـ ق،
- ایرج میرزا: کلیات دیوان ـ، مشتمل بر مقدمه وقصاید وغزلیات ومثنویات، هدیهٔ خسرو ایرج میرزا، در ۷ مجلد، تهران، ۱۳۰۷، ۱۳۰۹ ش

- ایرج میرزا: دیوان اشعار شاهزاده -، تهران، ۱۳۱۱ ش
-Taine , H. A.: History of English Literature , New York , 1873.
- حائری، هادی:
۱- افکار وآثار ایرج، تهران، ۱۳۲۵ ش
۲- افکار وآثار ایرج، در دو جلد، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۳ ش
- ریاضی، غلامرضا: ایرج ونخبهٔ آثارش، تهران، ۱۳٤۲ ش
- سلطانی، پرویز: ایرج، مجلهٔ سخن، دورهٔ ٦، شمارهٔ ۹، ص ۸۳۲
- عبرت نائینی، محمد علی مصاحبی: مدینة الادب، ج ۱، نسخهٔ خطی کتابخانهٔ مجلس به شمارهٔ ۲٦٤٤۹
- فتحی، نصرت الله: عارف وایرج، تهران، ۱۳۳۳ ش
-Graves , Robert: The Greek Myths , V. I. 1964.
- قزوینی، محمد: ایرج میرزا، مجلهٔ یادگار، سال ۳، شمارهٔ ۳، ص ۳۹
- کوگان، ب: تاریخ مختصر ادبیات اروپای غربی، مسکو، ۱۹۰۹ (روسی)
-Kittredge , George Lyman: The Complete Works of Shakespeare , 1936.
- محجوب، دکتر محمد جعفر: تحقیق در احوال وآثار وافکار واشعار ایرج میرزا وخاندان ونیاکان او، تهران، ۱۳٤۲ ش
- نفیسی، سعید: خیمه شب بازی، مجلهٔ سپید وسیاه، سال ۲، شمارهٔ ۱۸
- واروژی کینا، ز . ن: ایرج میرزا، زندگی وآثار او، مسکو، ۱۹٦۱ م (روسی)
- وحید دستگردی، حسن: دورهٔ نه سالهٔ اول مجلهٔ ارمغان .

وفا

- مستعان، حسینقلی: شرح حال نظام وفا، مجلهٔ تهران مصور، شمارهٔ ۱۳، آبان ۱۳۲۸ ش

- وفا، نظام:

۱- در پاسخ " چگونه شاعر یا نویسنده شدید ؟ " روزنامهٔ امید، شمارهٔ ۳۲، ۱٦ تیرماه ۱۳۲۳ ش

۲- آماج دل، تهران، ؟

۳- پیروزی دل یا ناهید وبهرام، تهران، ۱۳۳۰ ش

٤- پیوندهای دل، نشریهٔ مجلهٔ وفا، تهران، ؟

٥- حبیب ورباب، تهران، ۱۳۰٥ ش

٦- حدیث دل، تهران، بهمن ۱۳۳۸ ش

۷- ستاره وفروغ (نمایشنامه)، تهران، ۱۳۲۰ ش

۸- فروز وفرزانه (نمایشنامه)، تهران، ۱۳۲۰ ش

۹- گذشته ها، تهران، ۱۳۳۰ ش

۱۰- یادگار اروپا، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۳ ش

۱۱- دورهٔ مجلهٔ وفا

وحید - أرمغان

- برهان آزاد، ابراهیم: وحید دستگردی، مجلهٔ پیام نوین، سال ٤، شمارهٔ ۷، فروردین ۱۳٤۱ ش

- پرتو بیضائی، حسین: سومین سال وفات استاد فقید وحید دستگردی، مجلهٔ یادگار، سال ۲، شمارهٔ ٥

- صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، ج۱، اصفهان، ۱۳۲۷، ص۱۲۱ وما بعد

-Machalski , F.: Vahid Dastgardi and his " Armagan " , Krakow , 1963.

- مجد العلی: شرح حال وحید دستگردی، مجلهٔ ارمغان، سال ۲۳، شمارهٔ۱، فروردین ۱۳۲۷ ش

- نفیسی، سعید: استاد سخن وحید دستگردی، مجلهٔ ارمغان، دورهٔ ۳۰، شمارهٔ ۳
- وحید دستگردی، حسن:۱) ره آورد وحید،دو جلد، تهران،ضمیمهٔ مجلهٔ ارمغان، ۱۳۰۷و ۱۳۱۱ش
۲) سرگذشت اردشیر بابکان، به اهتمام وحید زادهٔ نسیم، تهران، فروردین ۱۳۴۱ ش

انجمنهای أدبی

- مجلهٔ ارمغان، دورهٔ ۲۹، شمارهٔ ۸، آبان ۱۳۳۹ ش
- نفیسی، سعید: استاد سخن وحید دستگردی، مجلهٔ ارمغان، دورهٔ ۳۰، شمارهٔ ۳
- مجلهٔ یغما، انجمن ادبی، سال ۱۷، شمارهٔ ۱۰، دیماه ۱۳۴۳ ش
- یغمائی، حبیب: از خطابهٔ او به مناسبت هفتمین سال درگذشت ملك الشعرای بهار، مجلهٔ پیام نوین، سال یکم، شمارهٔ ۲، آبان ۱۳۳۷ ش

تجدد أدبی

- مجلهٔ آزادیستان، شماره های ۱ ـ ۴
- روزنامهٔ تجدد، شماره های ۷۰، ۷۳، ۷۴، ۷۶، ۷۹، ۱۲۵، ۱۶۳، ۱۶۶، ۱۶۸
- جمال زاده، محمد علی: دیباچهٔ مؤلف بر کتاب یکی بود یکی نبود، برلین، ذیقعدهٔ ۱۳۳۷
- مجلهٔ دانشکده، شمارهٔ ۳
- مجلهٔ کاوه، شمارهٔ (۳۸ مسلسل) شمارهٔ ۴ـ ۵ (۳۹ مسلسل)
- نخستین کنگرهٔ نویسندگان ایران، تهران ۱۳۲۶ ش

نیما

- آل احمد، جلال: مشکل نیما، دید وبازدید و هفت مقاله، تهران، ۱۳۳۴ ش
- اخوان ثالث، مهدی: یك سخن دربارهٔ آثاری که نیما یوشیج به شیوهٔ قدما سروده است، مجلهٔ صدف، شمارهٔ ۶، فروردین ۱۳۳۷، ص ۴۴
- پارسا، هـ ۰: آتش مقدس نیما را فروزان نگاه داریم، مجلهٔ پیام نوین، سال ۳،ص ۱
- جنتی عطائی، دکتر ابوالقاسم: نیما، زندگی وآثار او، تهران، آذرماه ۱۳۳۴ ش

- دوستخواه، جليل: نيما يوشيج كيست وحرفش چيست ؟ مجلة راهنماى كتاب، دورة ٤، شمارة ١٠، ص ٩٣٨
- رؤيائى، يد الله: سومين سال درگذشت نيما يوشيج، مجلة راهنماى كتاب، دورة ٤، شمارة ١٠،ص ٩٣٧
- على يف، رستم: نوآورى در شعر معاصر فارسى، پيام نوين، دورة ٧، شمارة ٤ ص ١٧
- غريب: عصيان مقدس نيما، مجلة انديشه وهنر، دورة ٢، شمارة ٩

-Machalski , Franciszek , Nima Yušig (Essai d'une caractéristique), Krakow , 1961.

- نخستين كنگرة نويسندگان ايران، تهران، ١٣٢٦ ش
- نيما يوشيج:
  ١- قصة رنگ پريده، تهران، ١٣٠٠ ش
  ٢- منظومة افسانة نيما، تهران، ١٣٠١ ش
  ٣- أفسانه (از كتاب بيرقها ولكه ها) با مقدمة احمد شاملو، تهران، ١٣٢٩ش
  ٤- أفسانه ورباعيات (نخستين جلد از مجموعة آثار نيما)، تهران ١٣٣٩ ش

تــواريخ و أحــداث

٨ رمضان ١٣٣٢ (أول أغسطس ١٩١٤)	بداية الحرب العالمية الأولى.
٢٦ رمضان ١٣٣٢	سقوط حكومة علاء السلطنة وتشكيل حكومة مستوفى الممالك.
٣ ذى الحجة ١٣٣٢	احتلال عبدان على يد الجنود الهنود تحت مسمى حماية منطقة شركة النفط الأنجلوإيرانية.
١١ ذى الحجة ١٣٣٢	عبور الأكراد للحدود وهجومهم على الأراضى الإيرانية.
١٢ ذى الحجة ١٣٣٢	إعلان حياد إيران فى الحرب.
١٩ ذى الحجة ١٣٣٢	حملة الجنود الألمان والأتراك على أذربيجان.
٢٤ ذى الحجة ١٣٣٢	صدور فتوى الجهاد من جانب علماء الشيعة فى العراق.
٢٨ ذى الحجة ١٣٣٢	وفاة ستارخان الزعيم الوطنى فى طهران.
١٧ محرم ١٣٣٣	افتتاح الدورة التشريعية الثالثة.
-- صفر ١٣٣٣	بدء حملة الجنود الألمان والأتراك على المناطق الإيرانية الجنوبية والوسطى وقيامهم بالعمليات الإرهابية والجاسوسية.
٢٧ صفر ١٣٣٣	احتلال تبريز على يد القوات الألمانية والتركية.
١٥ ربيع الأول ١٣٣٣	احتلال تبريز على يد القوات الروسية وهزيمة الجنود الأتراك.
٥ ربيع الأخر ١٣٣٣	تشكيل حكومة مستوفى الممالك الجديدة.
-- ربيع الآخر ١٣٣٣	تقسيم المنطقة الإيرانية المحايدة بين الروس والإنجليز.
٢٥ ربيع الآخر ١٣٣٣	تشكيل حكومة مشير الدولة.
١١ جمادى الآخرة ١٣٣٣	تشكيل حكومة عين الدولة.

٢٣ رمضان ١٣٣٣	نزول الجنود الروس فى أنزلى.
أواخر رمضان ١٣٣٣	دخول القوات الهندية الانجليزية ميناء بوشهر.
٦ شوال ١٣٣٣	تشكيل حكومة مستوفى الممالك.
١٨ ذى الحجة ١٣٣٣	دخول الجنود الروس انزلى تحت قيادة الجنرال باراتوف.
٢٢ ذى الحجة ١٣٣٣	احتلال قزوين على يد القوات الروسية.
٢٥ ذى الحجة ١٣٣٣	انتهاء الدورة التشريعية الثالثة نتيجة العدوان الأجنبى.
٧ محرم ١٣٣٤	هجرة أعضاء المجلس ورجال إيران إلى قم • تشكيل " لجنة الوحدة الإسلامية " فى طهران والحركة الوطنية البورجوازية فى الغابات.
-- محرم ١٣٣٤	تشكيل " الحكومة الوطنية المؤقتة " فى قم.
١٥ محرم ١٣٣٤	أول حروب قوات حرس الحدود الإيرانية بقيادة الياور محمد تقى خان پسيان للجنود الروس واستيلائهم على همدان.
أواخر محرم ١٣٣٤	احتلال المناطق الجنوبية الإيرانية على يد الجنود الألمان.
١ و ٢ صفر ١٣٣٤	احتلال قم على يد القوات الروسية وانسحاب الحكومة المؤقتة إلى أصفهان.
٨ صفر ١٣٣٤	دخول الروس همدان وانسحاب حرس الحدود التدريجى إلى منطقة اسدآباد، كنگاور، بيد سرخ، صحنه، بيستون
١١ صفر ١٣٣٤	احتلال ساوة على يد الروس.
١٤ صفر ١٣٣٤	حرب المهاجرين فى رباط كريم مع الروس وهديمتهم.
١٥ صفر ١٣٣٤	استقالة حكومة مستوفى الممالك.
١٨ صفر ١٣٣٤	تشكيل حكومة فرمانفرما.
٢٣ صفر ١٣٣٤	تشكيل " الحكومة الوطنية المؤقتة " الجديدة فى كرمانشاهان برئاسة نظام السلطنة ما فى.
١٨ ربيع الأول ١٣٣٤	صدور الدورة الأولى من صحيفة كاوه فى برلين.
٨ ربيع الآخر ١٣٣٤	احتلال كرمانشاه على يد القوات الروسية.

١٢ ربيع الآخر ١٣٣٤	استقالة حكومة فرمانفرما.
١٦ ربيع الآخر ١٣٣٤	تشكيل حكومة سپهدار أعظم.
٢٦ ربيع الآخر ١٣٣٤	دخول العسكريين الإنجليز جنوب إيران بقيادة الجنرال سايكس وتشكيل فرقة حاملى البنادق فى الجنوب (S.p.R). احتلال أصفهان على يد الجنود الروس.
أواخر شعبان ١٣٣٤	احتلال كرمانشاه مرة أخرى على يد القوات العثمانية.
٢٩ رمضان ١٣٣٤	تشكيل حكومة وثوق الدولة.
--- شوال ١٣٣٤	حملة العثمانيين على همدان وانسحاب الروس إلى سلطان بلاغ ودخول الميجور محمد تقى خان همدان وحروبه فى سلطان بلاغ وآوج مع الروس.
١٢ ذى القعدة ١٣٣٤	انضمام فرقة البنادق الجنوبية للقوات الروسية فى اصفهان.
--- ذى القعدة ١٣٣٤	تشكيل المنظمة الإرهابية " لجنة العقوبات " فى طهران.
١٢ ربيع الأول ١٣٣٥	احتلال جنوب إيران على يد الجنود الإنجليز.
--- ربيع الآخر ١٣٣٥	قتل اسماعيل خان رئيس مخازن الغلال الحكومية بأمر لجنة العقوبات (استمرت المذبحة عدة أشهر).
٢٨ ربيع الآخر ١٣٣٥	موت أديب الممالك الفراهانى.
٢ جمادى الأولى ١٣٣٥ (٢٤ فبراير ١٩١٧)	إنتصار الإنجليز فى كوت العمارة.
٩ جمادى الأولى ١٣٣٥	انسحاب العثمانيين من همدان ودولت آباد وبيجار واستيلاء الروس على تلك المناطق.
١٧ جمادى الأولى ١٣٣٥	خروج العثمانيين من كرمانشاه ومرافقة المهاجرين الإيرانيين لهم وانتهاء أمر الهجرة وانضمام القوات الروسية للانجليزية فى العراق.
١٨ جمادى الأولى ١٣٣٥ (٢٧ فبراير ١٩١٧)	الثورة البورجوازية – الديمقراطية فى روسيا والإطاحة بالحكم الاستبدادى لأسرة رومانوف.
٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٥	موافقة وثوق الدولة على تشكيل فرقة البنادق الجنوبية.

١٤ جمادى الأخرة ١٣٣٥	تشكيل الحزب الديمقراطى الأذربيجانى من جديد بزعامة الشيخ محمد الخيابانى.
١٦ جمادى الأخرة ١٣٣٥	صدور أول أعداد صحيفة " تجدد " الناطقة بإسم الحزب الديمقراطى الأذربيجانى.
١٧ رجب ١٣٣٥	صدور فرمان انتخابات الدورة الرابعة لمجلس الشورى.
٥ شعبان ١٣٣٥	سقوط حكومة وثوق الدولة.
١٤ شعبان ١٣٣٥	تشكيل حكومة علاء السلطنة.
١٦ رمضان ١٣٣٥	حرق مدينة ارومى على يد الجنود الروس طليقى العنان بتحريض نصارى المنطقة.
ـــ ذى القعدة ١٣٣٥	افتتاح اللجنة المحلية للحزب الديمقراطى التبريزى.
أوائل ذى الحجة ١٣٣٥	مقتل حاجى إسماعيل خان سرابى وأخيه القائد رشيد (كان هذان قد تحالفا مع الروس ورفعا راية العصيان).
٢٧ محرم ١٣٣٦ (٧ نوفمبر ١٩١٧)	الثورة الاشتراكية الروسية الكبرى.
٤ صفر ١٣٣٦	نشر بيان الحكومة السوفيتية الموجه للكادحين المسلمين الروس والشرقيين.
٦ صفر ١٣٣٦	انتهاء أمر حكومة علاء السلطنة وتشكيل حكومة عين الدولة.
١٦ صفر ١٣٣٦ (٢ ديسمبر ١٩١٧)	عقد اتفاقية برست ليتوسك بين روسيا وآلمانيا (الفصل الثانى عشر منها يقضى بخروج الجنود الروس والأتراك من إيران).
١٣٣٥ ـ ١٣٣٦	الثورات العظمى والحركات الوطنية المعادية للإمبريالية فى كل الدولة، تقدم انتفاضة جنگل واحتلال جيلان وجزء من مازندران على يد المجاهدين الجنگليين.
١٨ ربيع الأول ١٣٣٦	تشكيل لجنة الثورة من المندوبين العسكريين الروس والعمال الإيرانيين فى ميناء أنزلى.

٣٠ ربيع الأول ١٣٣٦	تسليم مذكرة الحكومة السوفيتية لإيران حول سياسة تلك الحكومة (كان قد أعلن فى هذه المذكرة فسخ وإلغاء جميع عهود واتفاقيات الحكومة القيصرية بشأن إيران).
٣ ربيع الآخر ١٣٣٦	استقالة حكومة عين الدولة وتشكيل حكومة مستوفى الممالك.
--- جمادى الأولى ١٣٣٦	فجائع ارومى وحرب ومذبحة المسلمين والآشوريين والقتل الجماعى للمسلمين هناك على يد الآشوريين
١٠ جمادى الأولى ١٣٣٦	إعلان السفير الانجليزى للحكومة الإيرانية بشأن رعاية المصالح الإنجليزية فى إيران بواسطة القوات المسلحة الإنجليزية.
٨ جمادى الآخرة ١٣٣٦	مقتل حاجى ميرزا كريم إمام الجمعة وابنه على يد الديمقراطيين فى تبريز.
جمادى الآخرة - رجب ١٣٣٦	دخول القوات الانجليزية المناطق الشمالية الشرقية الإيرانية بقيادة الجنرال مالسن، دخول القوات الانجليزية انزلى، تدعيم قوات الجنرال دنسترويل باستلام المدفعية والعربة والمشاه.
٧- ١٢ رجب ١٣٣٦	حروب المسلمين والآشوريين الدامية ومذبحة المسلمين فى مدينة سلماس.
٩ رجب ١٣٣٦	صدور مجلة دانشكده تحت إدارة ملك الشعراء بهار.
١٩ رجب ١٣٣٦	سقوط حكومة مستوفى الممالك وتشكيل حكومة صمصام السلطنة .
٢١ شعبان ١٣٣٦	إلغاء اتفاقية المصائد مع آل ليانازوف.
أواخر شعبان ١٣٣٦	دخول الجنود العثمانيين خوى ومحاربتهم للمسيحيين وهزيمة المسيحيين وفرارهم.
٢ رمضان ١٣٣٦	حملة قوات الجنرال بيتشراخوف والجنود الإنجليز على الرشت وأنزلى.

أواخر رمضان ١٣٣٦	احتلال تبريز على يد القوات التركية وقيامهم بتنفيذ خطة الوحدة التركية تحت اسم الوحدة الإسلامية واستقالة الديمقراطيين.
أوائل شوال ١٣٣٦	دخول على إحسان باشا قائد القوات التركية تبريز عن طريق جلفا، اعتقال الخياباني ونوبرى وسائر الرؤساء الديمقراطيين وإرسالهم إلى قارص.
١١ شوال ١٣٣٦	حملة ميرزا كوچك خان مرة أخرى على الرشت وهزيمته وفراره واحتلال الرشت وانزلى على يد القوات الانجليزية
٢٧ شوال ١٣٣٦	سقوط حكومة صمصام السلطنة وتشكيل حكومة وثوق الدولة.
٦ ذى القعدة ١٣٣٦	توقيع اتفاقية بين ميرزا كوچك خان والإنجليز تقضى بمرور القوات الإنجليزية بحريّة من جيلان إلى القوقاز.
١٨ ذى القعدة ١٣٣٦	أعدام ونفى أعضاء لجنة العقوبات.
٢٦ صفر ١٣٣٧	خروج الجنود الأتراك من أذربيجان.
٢٧ رمضان ١٣٣٧	تسليم مذكرة الاتحاد السوفييتى للحكومة الإيرانية بخصوص تحديد أسس سياسة تلك الحكومة فى إيران.
١٢ ذى القعدة ١٣٣٧ (٩ أغسطس ١٩١٩)	عقد اتفاقية حكومة وثوق الدولة مع إنجلترا.
١٤ ذى القعدة ١٣٣٧	سفر السلطان أحمد شاه إلى أوربا.
٣ ذى الحجة ١٣٣٧	إعلان الحكومة السوفييتية الموجه للكادحين والفلاحين الإيرانيين بشأن إلغاء الاتفاقيات الإيرانية الروسية ورفض اتفاقية ١٩١٩ بين إيران وإنجلترا.
٢٢ ذى الحجة ١٣٣٧	إعدام نايب حسين كاشى.
بداية عام ١٣٣٨	هزيمة قوات ميرزا كوچك خان فى الحرب مع المعسكر الحكومى.
١٦ ربيع الأول ١٣٣٨	وفاة محمد باقر ميرزا خسروى مؤلف رواية "شمس وطغرا".

غرة جمادى الأولى ١٣٣٨	صدور الدورة الجديدة من صحيفة كاوه فى برلين.
--- جمادى الأولى ١٣٣٨	صدور مجلة ارمغان تحت إدارة وحيد دستجردى.
٢٩ جمادى الأخرة ١٣٣٨	انتحار الكولونيل فضل الله خان آق اولى سكرتير لجنة المستشارين الإنجليز اعتراضًا على الاتفاقية الأنجلوإيرانية.
١٦ رجب ١٣٣٨	بداية الثورة الوطنية الأذربايجانية بزعامة الشيخ محمد الخيابانى.
٢٠ رجب ١٣٣٨	خروج القادة العسكريين السويديين من تبريز.
٢٩ شعبان ١٣٣٨	دخول السفن السوفييتية ميناء أنزلى وإخلاؤه من الروس البيض والجنود الإنجليز.
١٥ رمضان ١٣٣٨	عودة أحمد شاه من رحلة أوربا.
١٧ رمضان ١٣٣٨	انتشار مجلة آزاديستان فى تبريز.
١٨ رمضان ١٣٣٨	تشكيل اللجنة المركزية للثورة الإيرانية الحمراء.
١٩ رمضان ١٣٣٨	تشكيل الحكومة الثورية المؤقتة ومجلس الثورة العسكرى فى جيلان بزعامة ميرزا كوچك خان.
٢٧ رمضان ١٣٣٨	استيلاء حكومة جمهورية جيلان الثورية على الرشت وأنزلى.
٣ شوال ١٣٣٨	سقوط حكومة وثوق الدولة.
٤- ٦ شوال ١٣٣٨	أولى جلسات الحزب الشيوعى الإيرانى باسم "العدالة" فى أنزلى والتصديق على هدف ولائحة الحزب وانتخاب اللجنة المركزية.
١٦ شوال ١٣٣٨	تشكيل حكومة مشير الدولة.
٢٢ شوال ١٣٣٨	انفصال ميرزا كوچك خان عن الجبهة الوطنية وذهابه إلى الغابات.
١ ذى القعدة ١٣٣٨	خروج هيئة المستشارين الإنجليز من طهران.

١٤ ذى القعدة ١٣٣٨	تشكيل لجنة الإنقاذ الوطنية الإيرانية بزعامة احسان الله خان فى جيلان.
١٦ ذى الحجة ١٣٣٨	احتلال الرشت على يد المعسكر الحكومى.
١٧ـ٢٤ذى الحجة ١٣٣٨	دخول القوات الحكومية تبريز.
٢٩ ذى الحجة ١٣٣٨	مقتل الخيابانى وانتهاء الثورة الوطنية الأذربيجانية.
--- محرم ١٣٣٩	تجديد انتخابات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيرانى واختيار حيدر خان عمو أوغلى لرئاسة الحزب.
٨ صفر ١٣٣٩	هزيمة المعسكر الحكومى من الشيوعيين وانسحاب المعسكر من الرشت.
١٤ صفر ١٣٣٩	استقالة حكومة مشير الدولة.
١٨ صفر ١٣٣٩	تشكيل حكومة فتح الله أكبر القائد الرشتى.
--- صفر ١٣٣٩	عزل ستار وسلسكى قائد الجيش القوزاقى الروسى وتسليم ذلك الجيش للقادة الإيرانيين.
٦ ربيع الأول ١٣٣٩ (١٧ نوفمبر ١٩٢٠)	خطبة اللورد كورزن المهمة والمفصلة فى مجلس الأعيان الإنجليزى حول الاتفاقية والأوضاع الإيرانية.
٧ ربيع الأول ١٣٣٩	تسليم مذكرة الحكومة الإنجليزية لإيران وطلب التصديق على اتفاقية ١٩١٩.
١٦ ربيع الآخر ١٣٣٩	امتناع المجلس الاستشارى الأعلى عن التصديق على اتفاقية ١٩١٩.
--- ربيع الآخر ١٣٣٩	اعتصام عمّال النفط فى عبدان.
١٦ جمادى الأولى ١٣٣٩	عقد جلسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيرانى والتصديق على الأصول المتعلقة بالوضع الاجتماعى والاقتصادى للدولة وتحديد سياسة حزب العدالة.
١٢ جمادى الآخرة ١٣٣٩ (٣ أسفند ١٢٩٩)	الانقلاب العسكرى على يد الجيش القوزاقى ورئاسة سيد ضياء الدين الطباطبائى.

١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٩ (٢٦ فبراير ١٩٢١)	توقيع معاهدة الصداقة الإيرانية السوفييتية وإلغاء جميع معاهدات ومقالات واتفاقيات الحكومة القيصرية.
٢٣ رجب ١٣٣٩	اعتقال قوام السلطنة فى خراسان بأمر سيد ضياء الدين وعلى يد الكولونيل محمد تقى خان.
٢٧ شعبان ١٣٣٩	صدور صحيفة " قرن بيستم " بقلم ميرزاده عشقى.
٢٩ شعبان ١٣٣٩	ائتلاف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيرانى وحكومة إحسان الله خان وميرزا كوچك خان.
١٧ رمضان ١٣٣٩	سقوط حكومة سيد ضياء الدين وفراره إلى بغداد.
٢٦ رمضان ١٣٣٩	سفر محمد حسن ميرزا ولى العهد إلى أوربا.
٢٧ رمضان ١٣٣٩	تشكيل حكومة قوام السلطنة.
١٥ شوال ١٣٣٩	افتتاح الدورة التشريعية الرابعة.
٢٧ شوال ١٣٣٩	انتشار رسالة جواب تظلم الكولونيل محمد تقى خان.
--- ١٣٣٩	انتفاضة خراسان بزعامة الكولونيل محمد تقى خان پسيان.
أول ذى القعدة ١٣٣٩	إخلاء الرشت من بقايا القوة الروسية.
١٧-٢٠ ذى القعدة ١٣٣٩	تحرك إحسان الله خان نحو طهران وهزيمته من المعسكر الحكومى وفراره إلى لاهيجان.
٢٠ ذى القعدة ١٣٣٩ (٢٦ يوليو ١٩٢١)	خطبة اللورد كورزن وزير الخارجية الإنجليزى فى مجلس أعيان تلك الدولة بشأن إيران.
٢٩ ذى القعدة ١٣٣٩	إعلان حكومة الجمهورية السوفيتية فى جيلان.
١ ذى الحجة ١٣٣٩	حملة الجيش الحكومى على مناطق جمهورية جيلان وهزيمة قوة تنكابن وطرد إحسان الله خان من مجلس الثورة.
٢٠ ذى الحجة ١٣٣٩	صدور صحيفة طوفان تحت إدارة فرخى اليزدى.
٢٩ ذى الحجة ١٣٣٩	إلغاء اتفاقية المستشارين الماليين الإنجليز.
٢٦ محرم ١٣٤٠	انقلاب ميرزا كوچك خان فى جيلان وتشتت الحزب الشيوعى فى الرشت وانزلى ومقتل حيدرخان وسائر أفراد رئاسة الحزب.

أول صفر ١٣٤٠	مقتل الكولونيل محمد تقى خان وانتهاء ثورة خراسان.
١٣ صفر ١٣٤٠	دخول سردار سپه (قائد الجيش) الرشت والاستيلاء على تلك المدينة.
صفر-ربيع الأول١٣٤٠	نهاية انتفاضة جيلان.
١٧ ربيع الآخر ١٣٤٠	التصديق على المعاهدة الإيرانية السوفيتية.
٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٠	استقالة حكومة قوام السلطنة.
٢٢ جمادى الأولى١٣٤٠	تشكيل حكومة مشير الدولة.
٢٦جمادى الأولى١٣٤٠	رحلة أحمد شاه الثانية إلى أوربا.
٣-١٠جمادى الآخرة١٣٤٠	ثورة حرس حدود تبريز بقيادة لاهوتى خان وطلب الإصلاحات الوطنية.
٢٣جمادى الآخرة١٣٤٠	تصريح سردارسپه بأنه المدبر الأساسى للانقلاب.
٩ رجب ١٣٤٠	التحصن الجماعى لمديرى الصحف فى السفارة الروسية.
٢١ رجب ١٣٤٠	تظاهر سردارسپه وتهديده بالاستقالة.
٢ شعبان ١٣٤٠	الاحتفال أول مرة بعيد أول مايو (العمال) من جانب العمّال فى طهران.
٢٠ شعبان ١٣٤٠	التحصن الجماعى لمحررى الصحف فى المجلس.
١٠ رمضان ١٣٤٠	استقالة حكومة مشير الدولة.
١٦ رمضان ١٣٤٠	إعلان رغبة المجلس فى رئاسة وزراء مشير الدولة.
٢٦ رمضان ١٣٤٠	استقالة مشير الدولة مجددًا.
صيف ١٣٤٠	ثورة الأكراد برئاسة إسماعيل آقاسيمقو.
٢٠ شوال ١٣٤٠	تشكيل حكومة قوام السلطنة.
--- ذى القعدة ١٣٤٠	صدور مجلة إيرانشهر فى برلين.
١٢ ذى الحجة ١٣٤٠	التصديق على الاستعانة بالدكتور ميلسبو والمستشارين الأمريكيين.
٢٩ ربيع الأول ١٣٤١	وصول الهيئة المالية الأمريكية إيران برئاسة الدكتور آرثر ميلسبو.

٢٢ ربيع الآخر ١٣٤١	استجواب المجلس لحكومة قوام السلطنة.
٢٧ ربيع الآخر ١٣٤١	عودة الشاه من رحلة أوروبا ووصوله طهران.
٧ جمادى الآخرة ١٣٤١	سقوط حكومة قوام السلطنة.
١٢ جمادى الآخرة ١٣٤١	تشكيل حكومة مستوفى الممالك.
١٤ شعبان ١٣٤١	بدء انتخابات المجلس الخامس.
--- شعبان ١٣٤١	اعتصام عمّال نفط الجنوب.
٢٥ شوال ١٣٤١	استجواب المجلس لحكومة مستوفى الممالك واستقالة الحكومة.
١ ذى القعدة ١٣٤١	تشكيل حكومة مشير الدولة.
ذى القعدة ١٣٤١	انتهاء الصلاحيات القانونية للمجلس الرابع.
١١ ربيع الأول ١٣٤٢	استقالة حكومة مشير الدولة.
١٦ ربيع الأول ١٣٤٢	تشكيل حكومة رضا خان سردارسپه.
٢٤ ربيع الأول ١٣٤٢	سفر أحمد شاه إلى أوربا للعلاج وإعلان الجمهورية فى تركيا.
٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٢	خروج القوات الانجليزية من إيران.
٥ رجب ١٣٤٢	افتتاح المجلس الخامس.
١٢ شعبان ١٣٤٢	مظاهرات تدعو إلى الجمهورية وترفض السلطنة القاجارية.
١٦ شعبان ١٣٤٢	اشتباك فى ميدان بهارستان وغلق البازار ومسرحية ضد سردارسپه وتصدع أساس الجمهورية.
٢٦ شعبان	بيان سردارسپه بعد مقابلة العلماء فى قم وطلبه من الشعب بأن يوقفوا الحديث عن الجمهورية.
٣٠ شعبان ١٣٤٢	وفاة محمد على ميرزا الشاه المخلوع فى باريس.
٢ رمضان ١٣٤٢	استقالة رضا خان سردارسپه وخروجه من طهران.

٥ـ ٨ رمضان ١٣٤٢	إعلان المجلس رغبته في رئاسة وزراء سردارسپه وتشكيل حكومته وعودته إلى طهران.
٢٤ ذي القعدة ١٣٤٢	صدور صحيفة " قرن بيستم ".
٢٩ ذي القعدة ١٣٤٢	توقيع الاتفاقية التجارية الإيرانية السوفيتية (هذه الاتفاقية لم يصدّق عليها المجلس)، ومقتل عشقي الشاعر الوطني ومدير صحيفة " قرن بيستم " على يد مجهولين
٧ ذي الحجة ١٣٤٢	اعتصام عمّال النفط الإيرانيين والإنجليز وطلب زيادة الأجور.
١٥ ذي الحجة ١٣٤٢	حكاية دار السقاية ومقتل الميجور إيمبري القنصل الأمريكي في طهران.
٢٦ ذي الحجة ١٣٤٢	استجواب أقلية المجلس لحكومة سردارسپه (لم يتم الاستجواب).
٢١ محرم ١٣٤٣	تشكيل حكومة سردارسپه الجديدة.
١٣ صفر ١٣٤٣	تشكيل لجنة " ثورة سعادت " في خوزستان وثورة خزعل.
٥ـ ٧ ربيع الأول ١٣٤٣	كارثة الخبز المصطنعة في طهران وتوجه الشعب إلى المجلس ومقتل عدة أفراد.
٤ ربيع الآخر ١٣٤٣	الخطاب التاريخي لمدرس زعيم الأقلية ضد سردارسپه.
١٩ جمادى الأولى ١٣٤٣	إخماد فتنة خوزستان.
١٨ رجب ١٣٤٣	تفويض القيادة العامة العليا للقوات لسردارسپه.
النصف الأول من عام ١٣٤٤	اعتقال وحبس عدد كبير من أفراد الحزب الشيوعي والاتحادات العمالية في طهران وإيقاف الصحف اليسارية.
خريف عام ١٣٤٤	إعلان عدم شرعية الحزب الشيوعي الإيراني والاتحادات العمالية.
١١ ربيع الآخر ١٣٤٤	طرح مسألة تغيير السلطنة في المجلس ومقتل واعظ القزويني مدير صحيفة " نصيحت " بدلاً من ملك الشعراء أثناء الخروج من المجلس.

١٣ربيع الأخر ١٣٤٤ تفويض الحكومة المؤقتة لرضا خان قائد الجيش.

٢٦ربيع الأخر ١٣٤٤ وفاة حسن مقدم (على نوروز).

١٩جمادى الأولى ١٣٤٤ تشكيل مجلس المؤسسين وطرح مسألة تغيير السلطنة.

٢٥جمادى الأولى ١٣٤٤ إعلان سقوط الدولة القاجارية وتأسيس الأسرة البهلوية.
(٢١ آذار ١٣٠٤)

الخاتمة

قرأنا تاريخ الأدب الإيرانى ومراحل تطور الشعر والنثر الفارسى من "صبا" حتى "نيما" أى منذ بداية القرن الثالث عشر إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى القمرى، فى الأجزاء الأربعة من هذا الكتاب والتى قد جُمعت فى مجلدين، والآن سنمر سريعًا وبإيجاز مرة أخرى على كل ما ذكرناه بالتفصيل:

١

أنهى أغا محمد خان القاجارى، بعد سلسلة من الحروب والمذابح، حالة الفوضى والاضطرابات التى عمّت البلاد عقب سقوط الدولة الصفوية، والتى شهدت تغيير الحكام بشكل سريع ومتعاقب واعتبرت واحدة من أسوأ عصور التاريخ الإيرانى، وأدخل كل مناطق الدولة تحت لواء حكومة واحدة .

وبعد عدة سنوات من ظهور مؤسس الأسرة القاجارية وقبل عدة سنوات من جلوس ابن أخيه وخليفته فتحعلى شاه على عرش السلطنة اشتعلت الثورة الفرنسية الكبرى، وقد ظهرت فى أعقابها سلسلة من الأحداث الغريبة فى أوربا، ومع ذلك لم يهتز البلاط ولا الشعب الإيرانى من هذه الأحداث ليس هذا فحسب بل إن الصورة الصحيحة لتلك الانتفاضات والتحولات التاريخية العظيمة لم تصل حتى ذلك الوقت إلى إيران، وظلت دولة إيران هكذا تواصل حياتها بنفس الشكل القديم .

وعلى الرغم من أن فتحعلى شاه كان غارقًا طيلة سنوات ملكه السبع والثلاثين فى الحروب عديمة الفائدة مع الجار الشمالى، فإنه جمع حوله مجموعة من الشعراء .

والهدف الأصلى وغاية آمال شعراء البلاط الذين يتمتعون برعاية الملك المُحب للشعر والشعراء هو؛ إنقاذ الشعر الفارسى من فقر وفساد العصر الصفوى وفترة الضعف والاضطراب التى أعقبت سقوط الدولة الصفوية وإحياء أسلوب شعر الأساتذة القدامى من جديد بلا نقصان مع مراعاة جميع اهتماماتهم وابداعاتهم الشعرية .

وشعر هذا العصر والذى انحصر، لا إراديًا، فى البلاط هو فى الغالب المنظومات المُزينة والمُنمقة فى مدح الملك والأمراء ورجال البلاط وذكر بطولاتهم وفتوحاتهم سواء التى فعلوها أو التى لم يفعلوها، وشرح مجالس الشراب والصيد والسمر ووصف مناظر الطبيعة المتنوعة من الربيع والخريف والليل والنهار، وذكر عدم وفاء الحبيب وظلم الغريم أو الهروب إلى التصوف والعرفان والشكوى من تقلب الزمان وحقارة الدنيا والتأسف على العمر الذى مضى.

وأشعار هذا العصر – سواء القصيدة أو الغزل أو المثنوى – ليس فيها مجال للإبداع والابتكار والتعبير عن المشاعر الحرة، وقلما نُظر فيها للأوضاع الاجتماعية والأحداث الجارية بالدولة و لم يُشر كذلك إلى آلام ومتاعب ومشكلات الشعب والفقر والبؤس الزائد عن الحد.

وبوجه عام فإن شعر البلاط لم يستفد من الحركة الأدبية فى بداية العصر القاجارى والتى قد ذكرناها باسم " العودة الأدبية "، فالعودة أنقذت الشعر الفارسى من الأسلوب الهندى الذى ساد فى العصر الصفوى، وأعادته إلى الأساليب القديمة وتركت آثارًا لها تعد تقليدًا محضًا لأعمال الأساتذة القدامى المشاهير سواء من حيث الشكل أو المضمون.

وفى هذا العصر كانت الغلبة للشعر كما كان قبل ذلك، أمّا النثر فقد كان يحتل المرتبة الثانية بعد الشعر وكان يُستخدم فى كتابة الرسائل والتاريخ والتذاكر وتحرير الكتب والرسائل الدينية والأخلاقية وأحيانًا القصص والحكايات.

وبرغم أن هناك شخصيات لامعة قد ظهرت فى هذا المجال مثل ميرزا أبى القاسم قائم مقام وبعد ذلك حسنعلى خان أمير نظام وقللوا كثيرًا من تنسيق وحشو العبارات المتكلفة فإنه غالبية الكتّاب ظلوا متعلقين بالأسلوب القديم فى الكتابات النثرية .

٢

وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر (بداية عصر ناصرالدين شاه) يظهر تحرير الصحف فى محيط البلاط فى أول الأمر ثم لعامة الشعب بعد ذلك، وتُفتتح دار الفنون فى طهران بفضل جهود ميرزا تقى خان أميركبير، والتى تعتبر أكاديمية علمية وصناعية (فى العلوم التطبيقية)، ويقوم المعلمون الأجانب فى هذه المؤسسة بتأليف المعاجم وترجمة الكتب العلمية والتطبيقية والعسكرية بمساعدة تلامذتهم الإيرانيين، ويتم خارج نطاق دار الفنون ترجمة الكتب والرسائل التاريخية والقصص العديدة إلى الفارسية، ويضطر المترجمون لاستخدام أسلوب الكتابة البسيط والمألوف اتباعًا للمتون الأصلية.

أمّا المستنيرون والأحرار الإيرانيون المقيمون بالخارج والذين لمسوا الفقر المادى والمعنوى للبلاد منذ فترات سابقة، فإنهم يمسكون بالقلم ويقومون بتأهيل أبناء وطنهم تأهيلاً فكريًا عن طريق الصحف والكتب.

ونتيجة لهذه الترجمات ونشر المقالات فى الصحف الفارسية الصادرة بالخارج ودخول كتب ورسائل الكتّاب الإيرانيين المقيمين بتركيا ومصر وروسيا وإنجلترا تَعْبُر الأفكار السياسية والاجتماعية الغربية الحديثة الحدود الإيرانية، ويستعد الشعب لقبول التحول الجذرى فى نظام إدارة الدولة واختيار أسلوب ونمط الحياة الحديثة، وتنقى اللغة الفارسية بصورة كبيرة من الألفاظ الغليظة والتركيبات المعقدة ويُترك أسلوب الكتابة القديم المشحون بالتكلف مكانه بهدوء للنثر البسيط السلس القريب من فهم العامة.

وبمقتل ناصر الدين شاه ينفرط عقد شعر البلاط الذى يمثل أبو نصر الشيبانى ومحمود خان ملك الشعراء آخر حبّاته، وفى فترة حكم مظفر الدين شاه القصيرة لم يظهر شاعر كبير، وببزوغ فجر الحركة الدستورية ينضم لصف شعراء عصر الحرية هؤلاء الشعراء الذين كانوا يعيشون فى هذا العصر.

٣

وتستيقظ دولة إيران الناعسة من الحلم القديم الجميل، ويرفع رجال إيران الأبطال والشجعان راية الثورة، وبفضل الثورة السياسية والاجتماعية يظهر تحول أيضًا إلى حد ما فى الحياة الأدبية الإيرانية .

وتنتعش سوق الصحف، وتتولى الصحف مهمة نشر وترويج الأفكار الجديدة، وتتسع دائرة النقد الاجتماعى والسياسى، وتزداد عمقًا، وتدخل مضامين جديدة فى الشعر والنثر الفارسى مثل تأييد إيران الثورية ومحاربة استبداد الملك وحاشيته ومدح الوطن والمشاعر الوطنية ومهاجمة المستعمرين الإمبرياليين وذم تدخلاتهم السافرة، وبحث التعصبات والخرافات وأحيانًا الحديث عن حقوق المرأة وحريتها ومسائل أخرى من هذا القبيل.

وتنضم الكتابة الساخرة والأغنية لركب الحركة الدستورية والحرية، ويلمع نجوم مثل أشرف (نسيم شمال) ودهخدا وبهار وعارف وأميرى (أديب الممالك الفراهانى) فى سماء الأدب الإيرانى.

٤

تشتعل الحرب العالمية الأولى، وتحدث بعد ذلك واحدة من أعظم الأحداث التاريخية فى القرن وهى ثورة أكتوبر الكبرى وتؤثر الحرب والثورة بالقطع تأثيرًا عميقًا فى جميع شئون الدولة الإيرانية .

وفى هذا العصر أيضًا تحتل الصحف مكانة كبيرة، وتجمع المجلات والجمعيات الأدبية حولها لفيفًا من الكتّاب والشعراء، ويقترب الأدب من مجريات الحياة، وتُصَوِّر الأوضاع والأحوال السياسية والاجتماعية فى القصص والروايات، وتُلْقَى الثقافة والآداب العامة العناية والاهتمام، وتكتسب الكتابات المسرحية اللون الوطنى، وتُعرض الأعمال الكوميدية والنقدية والمسرحيات الموسيقية والتاريخية والمسرحيات الشعرية فى سوق الأدب، ويلمع فى عالم الكتابة المسرحية أشخاص موهوبون مثل حسن مقدم (على نوروز).

وتظهر فى الشعر والنثر وبصفة خاصة فى الشعر الفارسى المشاعر الوطنية والقومية، فشاعر وكاتب هذا العصر شخص مفكر ضمن أفراد مجتمع بلده لم يعد غافلاً عن الأحداث والأخبار والتدابير السياسية، ولم تعد تُكتب المقالات والكتب للتفنن أو الشعر للتسلية.

ويبحث شعراء وكتّاب هذا العصر حتمًا عن الأساليب الحديثة والموضوعات الجديدة، وشيئًا فشيئًا توضع القواعد الأولى للتحديث والتجديد، أو بمصطلح ذلك العصر " التجدد الأدبى "، وفى نهاية هذا العصر يشتد الصراع بين القديم والحديث عن طريق المناظرات بين مجلتى "دانشكده" الطهرانية و" تجدد " التبريزية، أى الصراع الأدبى بين "بهار" و"رفعت"، وفى النهاية ترجح كفة " التجديد " والشعر الحديث بظهور الفارس الأوحد لميدان الشعر " نيما " ويشق الأدب الفارسى طريقه إلى المستقبل.

المؤلف فى سطور:

يحيى آرين بور:

كاتب ومحقق إيرانى بارز وشاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" كما هى العادة عند الشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوربية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكرية باسم خواجه نصير الطوسى.

المترجمان فى سطور:

١- إيمان محمد إبراهيم عرفة:

أستاذ مساعد اللغة الفارسية وآدابها. عُينت معيدًا بقسم اللغات الشرقية، ثم حصلت على درجة الماجستير فى موضوع "الحياة الثقافية فى بلاط السلطان "حسين بيقرا"، ثم حصلت على درجة الدكتوراه فى فكرة القومية فى أدب عبد الرحيم طاليوف .

٢- أشرف محمد عبد الوهاب:

- حاصل على ليسانس من قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة .
- عُين مترجمًا للغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية عام ١٩٩١.

المراجع فى سطور:

السباعى محمد السباعى:

- ليسانس الآداب – جامعة القاهرة – قسم اللغات الشرقية – فرع لغات الأمم الإسلامية عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف .
- الماجستير ١٩٦٦ ثم الدكتوراه ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى.
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩م.
- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م.
- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر عن جمعية خريجى أقسام اللغات الشرقية لمدة ثلاث أعوام .
- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م.

الإنتاج والأعمال العلمية :

أولاً - الكتب :

١- اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ١٩٧٥م.

٢- النثر الفارسى منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجارى فى إيران، ١٩٧٨م.

٣- الثـورة الإسـلامية فـي إيـران مـن وجهـة النظـر الإيرانيـة، ٢٠٠٠، الموسوعة العامة، مقاتل من الصحراء (المملكة العربية السعودية).

٤- عبد الوهاب عزام، رائدًا ومفكرًا، القاهرة الكتاب المصرى اللبناني، يناير ٢٠٠٥م.

ثانيًا- الترجمات:

- تاريخ إيران القديم "تأليف حسن بيريا والترجمة بالاشتراك مع د. محمد نور الدين عبد المنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب.

التصحيح اللغوي : وجيه فاروق

الإشـــراف الفني : حسن كامل